مركز البحوث الإسلامية
إستانبول
سِلْسِلَةُ عيونِ التُّراثِ الإسْلَامِيِّ

تتمة الكشاف

(حاشية الجاربردي على الكشاف)

فخر الدين أبو المكارم أحمد بن الحسن بن يوسف الجاربردي
(ت.٧٤٦هـ/١٣٤٦م)

تحقيق
أ.م. ضياء الدين القالش
محمد عماد النابلسي

إشراف
أ.م. محمد طه بويالق

المجلد السابع

نشريات وقف الديانة التركي

نشريات وقف الديانة التركي
رقم النشر ١٤٣٢
نشريات إسام ٢٦٧
سلسلة عيون التراث الإسلامي ٦٢

تتمة الكشاف (حاشية الجاربَردي على الكشاف)
فخر الدين أبو المكارم أحمد بن الحسن بن يوسف الجاربَردي

المجلد السابع

تحقيق أ.م. ضياء الدين القالش، محمد عماد النابلسي

تم إعداد تتمة الكشاف (حاشية الجاربَردي على الكشاف)
بإشراف اللجنة العلمية للتحقيق
بـ **مركز البحوث الإسلامية** (İSAM) التابع لوقف الديانة التركي.
İcadiye - Bağlarbaşı Cad. 38 Üsküdar/İstanbul
الهاتف: 50 08 474 216 90+ www.isam.org.tr yayin@isam.org.tr

التحرير أوقان قدير يلماز
المراجعة العلمية محمد طه بوبالق، عبد الرحمن رضوان حَرَش
التدقيق النهائي لقسم الدراسة سعيد قاياجي (العربي)، مصطفى دَمِيرآي (التركي)
التصحيح (العربي) عبد الناصر حكيمي (الإملاء والفهارس والمصادر)، نور الحيلة (الإملاء)،
علي حيدر أولوصُويْ (الإملاء والفهارس)، آزاد شارْسَانْتَايُوفْ (الإملاء)،
(التركي) عيسى قايا ألْبْ (الإملاء)، إسماعيل أُزِيلْكِين (المصادر)
التصميم علي حيدر أولوصُويْ، إبراهيم درويش مؤذن (تطبيق)،
حسن حسين جان (غلاف)، رمزي حاج مصطفى (خط الغلاف)

تم إعداد هذا الكتاب
من قبل مركز البحوث الإسلامية (إسام/İSAM)
في إطار مشروع العصور المتأخرة من الحضارة الإسلامية.

تم طبع هذا الكتاب بقرار مجلس إدارة إسام
بتاريخ ٢٠٢٤/١٢/٢٧ ورقم ٢٠٢٤/١١.

الطبعة الأولى: إستانبول، ديسمبر ٢٠٢٤م / ١٤٤٦هـ
(مجموعة) ISBN 978-625-428-633-9
(المجلد السابع) 978-625-428-640-7

الطباعة والنشر والتوزيع
TDV Yayın Matbaacılık ve Tic. İşl.
Ostim OSB Mahallesi, 1256 Cadde, No: 11 Yeni Mahalle / Ankara
الهاتف: 9131 354 312 90+ الفاكس: 9132 354 312 90+ bilgi@tdv.com.tr

فخر الدين أبو المكارم أحمد بن الحسن بن يوسف الجاربَردي
تتمة الكشاف (حاشية الجاربَردي على الكشاف) / فخر الدين أبو المكارم أحمد بن الحسن بن يوسف الجاربَردي؛ تحقيق: ضياء الدين القالش، محمد عماد النابلسي. إستانبول؛ أنقرة: مركز البحوث الإسلامية (إسام)؛ وقف الديانة التركي، ٢٠٢٤.
المجلد السابع (٧١٦ صفحة)؛ ٢٤ سم. – (نشريات وقف الديانة التركي؛ ١٤٣٢. نشريات إسام؛ ٢٦٧. سلسلة عيون التراث الإسلامي؛ ٦٢)
يحتوي على الفهارس والمصادر
(المجلد السابع) 978-625-428-640-7 (مجموعة) ISBN 978-625-428-633-9

فهرس المحتويات

سورة طه

مئةٌ وأربعون آيةً، مكيةٌ.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طه ①﴾

أبو عمرٍو فَخَّم الطَّاء لِاستعلائهَا وأمَال الهاء، وفخَّمها ابنُ كثير وابنُ عامرٍ على الأصْلِ، والباقون أمالُوهما.

وعن الحسن: "طَهْ"، وفُسِّرَ بأنَّه أمرٌ بالوَطْء، وأَنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم كان يقومُ في تهجُّده على إحدى رجْلَيه، فأُمِرَ بأَن يَطَأَ الأرضَ بقَدمَيه معًا،

/ سورة طه [١١٦ظ]

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله: (لاستعلائها)[١] اعلم أنّ نسبة الاستعلاء إلى الحرف مجاز، فإنّ الاستعلاء إنّما يكون بالحقيقة لِلّسان لا للحرف، فالمستعلية ما يرتفع اللسان بها إلى الحنك؛ وهي: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والخاء، والغين، والقاف، فهذه الحروف مستعلًى عندها، وسمّيت مستعليةً مجازًا. ثمّ هذا الذي ذكره إحدى الروايتين، وفي الرواية الأخرى قرَأ بإمالتِهما.[٢]

قوله: (والباقون) وهم: نافع، وعاصم، وحمزة، والكسائي،[٣] أمّا نافع ففي

---

[١] ن: لاستعلالها.

[٢] ن: بإمالتها. | فيه نظر، فلم يصحّ عن أبي عمرو مِن روايتيه إلّا فتح الطاء وإمالة الهاء. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٧١/٢.

[٣] وتمام العشرة: أبو جعفر، ويعقوب، وخلف البزار، وقرأ أبو جعفر ويعقوب بفتح الهاء والطاء، وقرأ خلف بإمالتهما. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٧١/٢.

وأَنَّ الأَصْل: "طَأْ" فقُلبت همزتُه هَاءً، أو قلبت في "يطَأ" فيمَن قال:

لا هَنَـــــــاكِ المَرتـــــــــعُ

ثمَّ بُنِيَ عَليه الأمرُ، والهاء للسَّكت.

ويجوز أن يُكتفَى بِشَطْرَيِ الاسمَين ....

إحدى الروايتين،[١] وفي الرواية الأخرى بتفخيمهما،[٢] وأمّا عاصم ففي رواية أبي بكر، وأمّا في رواية حفص فبتفخِيمهما،[٣] وأمّا حمزة والكسائي فأمالوهما بلا خلاف.[٤]

قوله: (**أو قُلبَت في يطأ**)... إلخ، أي: قلبت الهمزة في "يطأ" ألفًا، وبُني الأمر عليه، كما قالوا في "هَنَأَك": لا هَناك، وإذا بُني عليه الأمر فيكون "طَ"، كما يكون الأمر مِن يرى "رَ"، ثمّ ألحق به هاء السكت فصار "طَهْ".[٥]

قوله: (**لا هَناكِ المَرتعُ**) أوّله:

راحــتْ بـمَـسلَـمةَ الـبِـغـالُ عشيّةً   فـارعَـي فَـزارَةُ لا هَـنـاكِ الـمَـرتَـعُ[٦]

"فزارةُ": أبو حيّ مِن غطفان.

قوله: (**والهاء للسكت**) كما في: قِهْ، وعِهْ، ودِهْ، ورَهْ.[٧]

قوله: (**ويجوز أن يُكتفَى**) وجه آخر لقراءة الحسن البصري رحمة الله عليه،[٨] وهو أن يكون الأصل ﴿طه﴾ كما في القراءة المشهورة، فاكتُفي مِن الاسم الأوّل

---

١ إذا كان يعني إمالة الطاء والهاء في إحدى الروايتين ففيه نظر، فلا يصحُّ في الطاء إلّا الفتح مِن الروايتين، وأمّا الهاء ففي رواية ورش وجهان: الإمالة الكبرى، والإمالة بين بين، والصحيح فيها مِن رواية قالون الفتح. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٧١/٢.

٢ أي: بفتحهما، ففي عبارته تجوُّز، فالتفخيم خاصّ بالطاء دون الهاء؛ لاستعلائها.

٣ أي: بفتحهما.

٤ انظر: **النشر** لابن الجزري، ٧١/٢.

٥ هذا على القراءة المرويّة عن الحسن، وهي شاذّة. انظر: **الكامل** للهذلي، ص ٥٩٧.

٦ للفرزدق في **ديوانه**، ٥٠٨/٢، بلفظ:
ومَضتْ لمَسلَمةَ الرِّكاب مُودّعًا...

٧ "قِهْ" أمر مِن "وقَى"، و"عِهْ": أمر مِن "وعَى"، و"دِهْ" أمر مِن "ودَى" إذا أعطى وليَّه دِيَته، و"رَهْ" أمر مِن "رأى"، والهاء في جميعها ليست مِن أصل الفعل، وإنّما هي هاء السكت.

٨ د - رحمة الله عليه.

وهُما الدَّالَّانِ بلفظهما على المُسمَّيين.

واللهُ أعلمُ بصحَّةِ ما يقال: إن "طاها" في لغة عَكٍّ في مَعْنَى: "يا رَجُلُ"، ولعَلَّ عَكًّا تصرَّفُوا في "يا هذا"، كأنهم في لغَتهمْ قالِبُون اليَاء طاءً فقالُوا في "يا": "طا"، واختَصَرُوا "هذا" فاقتَصَرُوا على "ها" وأثرُ الصَّنعة ظَاهِرٌ لا يَخفى في البَيت المستشهَد به:

إنَّ السَّفاهَةَ طَاهَا في خلائقكُم لا قَدَّسَ اللهُ أَخلاقَ المَلاعِينِ

والأقوالُ الثلاثةُ في الفَواتح -أعني: التي قدَّمتُها في أوَّل **الكاشف عن حقائق التنزيل**- هي التي يُعوِّلُ عليها الأَلِبَّاء المُتْقِنونَ.

﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ۝٣﴾

﴿مَآ أَنزَلۡنَا﴾ إنْ جَعَلْتَ ﴿طه﴾ تَعدِيدًا لأَسماء الحُروف على الوجه السابقِ ذكرُه فهو ابتداءُ كلام.

-وهو الطاء- بجزئه، وهو "ط"، ومِن الاسم الثاني -وهو الهاء- بجزئه أيضًا، وهو "هَ"، فصار "طَهَ"، ثمّ سكّن الهاء لأجل الوقف.

قوله: **(وهما الدالّان)** أي: الاسمان اللذان اكتُفِيَ بشَطرهما هما[1] الدالّان... إلخ؛ وذلك لأنّ الطاء اسم، وكذلك الهاء، فبيّن المصنِّف بهذا الكلام أنّه اكتفى مِن الاسمين بالحرفين اللَّذين في أوّلهما، وهما شطرهما.[2]

قوله: **(واختصروا "هذا")** أي: اختصروا في حروف هاتين الكلمتين، فجَعلوا الياءَ طاءً، وحذفوا "ذا" مِن "هذا"، فقالوا: "طاها"، وقوله: "هذا"، أي: لفظة "هذا".

قوله: **(وأثر الصنعة)** طعَن المصنِّف في هذا البيت المستَشهَد به، والحقّ بيده في هذا الطعن، فإنّ البيت مجهول مَنحُول، انتَحَله سفيه ملعون، والعَجَب مِن رواية أمثال هذا البيت وإثباته في الكتب، والحقّ ضرب الخطّ عليه؛ بل ضرب الصَّفع على قَفا قائله.

---

[1] ن - هما.

[2] ن: شرطهما.

وإنْ جَعَلْتَها اسْمًا للسُّورة احتَمَلَتْ أن تكون خبرًا عنها، وهي في موضع المُبتدأ، و﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾ ظاهِرٌ أُوقِعَ مَوقعَ الضمير؛ لأنها قُرآنٌ، وأن يكون جوابًا لها وهي قَسَمٌ.

وقرئ: "ما نُزِّلَ عليكَ القرآنُ".

﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾: لتَتعَبَ بفَرطِ تَأسُّفِكَ عليهم وعلى كُفرهم وتحسُّرِكَ على أن يُؤمنوا؛ كقوله: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ﴾ [الشعراء ٣/٢٦]، والشَّقاءُ يجيءُ في مَعنى التَّعب، ومنه المثَل: "أتعبُ من رائضِ مُهْرٍ" و: "أَشْقَى مِن رائضِ مُهْرٍ"؛ أي: ما عَلَيْك إلا أن تُبلِّغ وتُذكِّر، ولم يُكتَبْ عَلَيْك أن يُؤمنوا لا مَحالة بَعْدَ أنْ لم تفرِّطْ في أداء الرسالةِ والموعظةِ الحسَنةِ.

قوله: (**أوقع موقع الضمير**) فيكون التقدير: طه ما أنزلناه عليك، مثل: زيد ما أرسلتُه إليك.

قوله: (**لتتعب**) كقوله تعالى: ﴿فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ﴾ [طه ١١٧/٢٠]، أي: فتتعب، ومِنه المَثَل: "سيّدُ القوم أشقاهم"،[١] أي: أتعبهم.

قوله: (**وتحسّرك**) حسَر البعير يحسِر[٢] حُسُورًا: أعيا، واستَحسَر وتحسَّر مثله. **صحاح**.[٣]

قوله: (**مُهْرٍ**) المُهْر: ولد الفرس، يقال: رُضتُ المُهرَ أروضها رِياضًا ورِياضة، فأنا رائض، والمُهر مَروض؛ وذلك بأن يجعله صالحًا للركوب بحيث يزول عنه الصعوبة وينقاد لصاحبه، وفي ذلك العمل مشقّة وتعب للرائض؛ فلذلك يُضرب به[٤] المَثل.[٥]

[١١٧و] قوله: (**بعد**) ظرف لقوله: / (**لم يكتب**) مِن حيث المعنى، كأنّه قيل: لا تؤاخَذ بعدم إيمانهم بعد أن لم تُفرِّط.

---

١ انظر: **مجمع الأمثال** للميداني، ٣٥٦/١.

٢ ف: تحسِر.

٣ **الصحاح** للجوهري، «حسر».

٤ د ف - به.

٥ انظر: **مجمع الأمثال** للميداني، ١٤٨/١.

وقيل: إن أَبا جهلٍ والنضرَ بن الحارث قالا له: إنَّك شَقيٌّ؛ لأنك تركتَ دِين آبائك، فأُريدَ رَدُّ ذلك بأنَّ دينَ الإسلام وهذا القرآنَ هو السُلَّمُ إلى نَيلِ كلِّ فَوزٍ، والسَّببُ في دَرْكِ كلِّ سَعادَةٍ، وما فيه الكفرةُ هو الشَّقاوَةُ بعَيْنها.

وَرُوي: أنه صلى الله عليه وسلم صَلَّى بالليل حتى اسْمَغَدَّتْ قَدَماهُ، فقَال له جبريل عليه السلام: أَبْقِ على نَفْسِكَ فإن لها عليكَ حَقًّا.

أي: ما أَنْزلناهُ لِتَنْهَكَ نفسَك بالعِبَادةِ وتُذيقَها المَشقَّةَ الفادِحَةَ، وما بُعِثْتَ إلا بالحنيفيَّة السَّمحةِ، وكُلُّ واحدٍ من ﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾ و﴿تَذْكِرَةً﴾ عِلَّةٌ لِلفعْلِ، إلَّا أنَّ الأوَّل وجبَ مَجيئُهُ مَع اللام؛ لأنه ليس لفاعل الفِعل المعلَّلِ، ففَاتَتْهُ شَريطةُ الانتصابِ على المفعولية، والثاني جاز قطعُ اللام عنه ونصبُه لاستجماعِهِ الشرائط.

قوله: (**اسمَغَدَّتْ**)[1] المُسمَغَدّ: الوارِم، بالغين معجمة، يقال: اسمَغَدَّ أناملُه إذا تورَّمت، واسمَغَدَّ الرجل امتلأ غَضبًا.

قوله: (**لتَنْهك**) نَهِكَتْهُ الحمَّى بالكسر تَنهَكُه نَهْكًا ونُهْكةً،[2] وقد نُهِك، أي: دنِف وضَنِيَ، فهو مَنهوك.

قوله: (**الفادحة**) فدَحَه الدَّين، أي: أثقله.

قوله: (**السمْحةِ**) أي: السهلة.

قوله: (**لاستجماعه الشرائط**) قال رحمه الله:[3] الصواب: لاستجماع الشرائط، بغير هاء؛ هكذا ذُكر في بعض[4] الحواشي، وأنا أقول: هذا المذكور في الحواشي صحيح، يدلّ عليه قول صاحب **المُغرب** فيه:

> يقال: استجمع السيل؛ اجتمع مِن كلّ موضع، واستجمعتْ للمرء أموزُه؛ اجتمع له ما يحبّه، وهو لازم كما ترى، وقولهم: استجمع الفرس جَريًا، نُصِب على التمييز، وأما قول الفقهاء: مستجمعًا شرائطَ الصحة، فليس بثبت، وأمّا قول الأبيوردي:

---

[1] ن: اسمقدّت.
[2] ن: ونَهكة.
[3] ف ن: رضي الله عنه.
[4] ف – بعض.

فإن قلتَ: أمَا يجوزُ أن تَقُولَ: ما أنزلنا عليْك القرآنَ أنْ تَشقى؛ كقولِه: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ [الحجرات ٤٩/٢]؟

قلتُ: بلَى؛ ولكِنَّها نَصْبَةٌ طَارِئةٌ كالنَّصبةِ في ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ [الأعراف ٧/١٥٥]، وأمَّا النَّصبَة في ﴿تَذْكِرَةً﴾ فهي كالتي في "ضَربْتُ زيدًا"؛ لأنه أحَدُ المفاعيلِ الخَمسة التي هي أصُولٌ وقوانينُ لغَيْرهَا.

فإن قلتَ: هل يَجُوز أن يكون ﴿تَذْكِرَةً﴾ بدلًا من مَحلِّ ﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾؟

قلتُ: لا؛ لاختلاف الجنسَيْنِ؛ ولكنَّها نَصبٌ على الاستثناء المنقَطِع الذي "إلَّا" فيه بمَعْنى "لكن".

ويَحتمِلُ أن يكون المعنى: ....

شآميّةٌ تستجمع الشَّول حَرْجَف[1]

فكأنّه قاسَه على ما هو الغالب في الباب، أو سمِعه مِن أهل الحضَر فاستعمله.[2]

جميع ذلك في **المُغرِب**، "الحَرْجَفُ": الريح البارِدة، و"الشَّول":[3] النُّوق التي يَجِفُّ[4] لبنُها وضرعُها وارتَفَع.

قوله: (**كقوله: ﴿أَن تَحْبَطَ﴾**) ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ﴾ [الحجرات ٤٩/٢].

قوله: (**قلت: بلى؛ ولكنّها نَصْبة طارئة**)؛ لأنّه بحذف حرف الجرّ وإيصال الفعل، والأصل: لأن لا تحبَطَ، لِأن تشقى.

قوله: (**قلت: لا؛[5] لاختلاف الجنسين**) أي: لأنّ قوله: ﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾ ليس جنسَ التذكرة ولا متناوِلًا لها؛ ليصحّ جعل التذكرة بدلًا مِنه كما في قولك: ما جاني أحد إلّا زيد، وقوله تعالى: ﴿مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [النساء ٤/٦٦]، وقوله تعالى:

---

[1] صدره:
وتَقرون والآفاق يَمري نجيعها
ديوان **الأبيوردي**، ص ٢٠٨.

[2] **المُغرب** للمطرّزي، «جمع».

[3] ن: والشوك.

[4] ن: يخفّ.

[5] ف - لا.

....

﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتُكَ﴾[١] [هود ٨١/١١]، وهذا الذي ذكره المصنِّف على عبارة مَن يقول: الاستثناء المنقطع هو الذي لا يكون مِن الجنس، أو نقول: هذا على عبارة جميع النحويّين، فإنّ مَن قال: الاستثناء المنقطع قد يكون مِن الجنس وذلك إذا لم يكن المستثنى داخلًا في المستثنى مِنه في قصد المتكلّم، نحو قولك في قوم ليس زيد مِنهم: ما جاءني القوم إلّا زيدًا، لا تَخالُفَ في أنّ المستثنى إذا لم يكن مِن الجنس يكون منقطعًا، قال بعض شارحي **المفصّل**:

> الاستثناء المنقطع؛ قيل: ما لم يكن مِن جنس المستثنى مِنه، نحو: ما جاءني أحد إلا حمارًا؛ إذ الحمار ليس مِن جنس أحد، فمذهب أهل الحجاز فيه النصب، وهو المختار؛ لأنّك لو أبدلت كنت جعلتَ الشيء بدلًا عمّا لا يجانسه، والقائم مقام الشيء لا بدّ أن يكون بينهما مجانسة.

قال بعض شارحي **المفصّل**:

> لو أبدلت في قولك: "ما جاءني أحدٌ إلّا حمارًا"، وقلت: "ما جاءني أحدٌ إلّا حمارٌ"[٢] بالرفع كنت جعلت الشيء بدلًا عمّا لا يجانسه، والقائم مقام الشيء لا بدّ أن / يكون بينهما مجانسة، ولو نصبتَ كنتَ مخرِجًا للحمار مِن حكم أحد، وقد يُخرَج الشيء مِن حكم ما لا يجانسه إذا جاز أن يشاركه في الفعل، نحو: "جاءني رجلٌ لا حمارٌ"؛ لأنّ الحمار وإن لم يشارك الرجل في الجنس يجوز أن يشاركه في الفعل.[٣] [١١٧ظ]

وأنا أقول: يظهر لك مِن هذا الكلام أنّه لا منافاة[٤] بين قول المصنِّف عن قريب: "﴿تَذْكِرَةً﴾ علّة للفعل"، وبين قوله ههنا: "هي نصب على الاستثناء المنقطع"؛ لأنّ ﴿تَذْكِرَةً﴾ وإن لم يشارك ﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾[٥] في الجنس يجوز أن يشاركه

---

١ ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتُكَ﴾ (هود، ٨١/١١) بالرفع على البدليّة، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ باقي القراء بالنصب على الاستثناء. انظر: النشر لابن الجزري، ٢٩٠/٢.

٢ ن - وقلت: ما جاءني أحد إلّا حمار.

٣ انظر معناه في **شرح المفصّل** لابن يعيش، ٨٠/٢.

٤ ن: منافة.

٥ في الأصول الخطّيّة: "للشقى".

إنّا أنزلنا إليك القرآنَ لتَحتمِلَ متَاعِبَ التَّبْليغ ومُقاوَلةَ العُتاةِ مِن أعْداء الإسلام ومُقَاتَلَتَهم وغَيْرَ ذلك من أنواعِ المشاقِّ وتَكاليفِ النُّبوَّة، وما أنزلنا عليك هذا المُتْعِبَ الشَّاقَّ إلّا ليَكونَ تذكرةً.

في العِلّيّة أو عدم العِلّيّة، فنفى عِلّيّة إحداهما، وأثبت عِلّيّة الأخرى، وإلى هذا المعنى أشار ابن الحاجب في **أصوله** بقوله: «ولا بدّ لصحّة الاستثناء المنقطع مِن مخالفة في نفي الحكم، أو في أنّ المستثنى حكم آخر له مخالفة[١] بوجه، نحو: ما زاد إلّا ما[٢] نقص».[٣]

قوله: (**مِن أعداء الإسلام**) بيان (**العُتاة**).

قوله: (**وما أنزلنا عليك هذا المُتعِبَ**) عطف على قوله: (**إنا أنزلنا**)، والفرق بين هذا الوجه وبين الوجه الأوّل الذي جعل فيه ﴿تَذْكِرَةً﴾ استثناءً منقطعًا أنّ المعنى في الوجه **الأوّل**: أنّه ليس الشقاء علة الإنزال، ولا الحامل عليه، وإنّما سبب الإنزال هو التذكرة، وليس سببه إلّا التذكرة. وأما على الوجه **الثاني** فالمعنى: أنّ الإنزال سبب الشقاء والتعب، والإنزال معلَّل بالشقاء والتعب كما يكون في المفعول له، فكأنّه قيل: إنّا أنزلنا عليك **القرآن**؛ للتعب والشقاء، أي: لتحمّل الشقاء والتعب مِن الأعداء، ثمّ قيل: ما أنزلنا عليك **القرآن** المستلزِمَ لهذه المَشاقّ وأنواع التعب في حال أو لسبب مِن الأسباب إلّا للتذكرة، أو حال التذكرة، يعني: ليست علّة نزوله على هذا الوجه إلّا التذكرة، أو ما[٤] نزلت على هذا الوجه في حال مِن الأحوال إلّا حال التذكرة. ثمّ لا يخفى أنّ معنى الشقاء بالتفسير الأوّل غير معنى الشقاء بالتفسير الثاني؛ لأنّ معنى الشقاء بالتفسير **الأوّل**: هو نَهْك النفس بالعبادة، وإذاقَتُها المشقّة بسبب العبادة، ومعنى الشقاء بالتفسير **الثاني**: هو تحمّل متاعب التبليغ، وتحمل متاعب مقاولتهم ومُقاتلتهم.

---

١ د ف: مخالفه.

٢ ن - ما.

٣ **مختصر ابن الحاجب**، ص ٧٩٢-٧٩٣.

٤ ن - ما.

وعلى هذا الوجهِ يجوزُ أن يكون ﴿تَذْكِرَةً﴾ حالًا ومَفعولًا له.

﴿لِّمَن يَخْشَىٰ﴾: لمن يَؤُولُ أَمرُه إلى الخَشية، ولمَن يَعلمُ الله منه أنه يُبدِلُ بالكفرِ إيمانًا وبالقسوةِ خَشيةً.

﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤﴾

في نصب ﴿تَنزِيلًا﴾ وُجُوه: أَنْ يكون بدلًا من ﴿تَذْكِرَةً﴾ إذا جُعل حالًا لا إذا كان مَفْعُولًا له؛ لأن الشَّيء لا يُعلَّل بنفسه، وأن يُنْصَب بـ"نُزِّل" مضمَرًا، وأن يُنصبَ بـ﴿أَنزَلْنَا﴾؛ لأن معنى: "ما أَنزلناه إلَّا تذكرةً": أَنزلناه تذكرةً، وأن يُنصَبَ على المدح والاختصاص، وأن يُنصبَ بـ﴿يَخْشَىٰ﴾ مفعولًا به؛ أي: أنزله الله تذكرةً لمن يَخشى تنزيلَ الله، وهو معنًى حسنٌ وإعرابٌ بيّنٌ.

وقرئ: "تنزيلٌ" بالرفع على خبر مُبتدأ محذوف.

ما بعدَ ﴿تَنزِيلًا﴾ إلى قوله: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه ٢٠/٨] تعظيمٌ وتفخيمٌ لشأن المُنزَل لنسبَتِه إلى مَن هذه أفعالُه وصفاتُه، ولا يخلُو مِن أَن يكون متَعلَّقُه

قوله: (**حالًا ومفعولًا له**) فلا يكون استثناء منقطعًا؛ بل متّصلًا؛ لأنّه يكون استثناء مُفرّغًا، والاستثناء المفرّغ يكون متّصلًا دائمًا.

قوله: (**لأنّه لا يُعلَّل بنفسه**) إذ لا يستقيم ولا يصحّ أن يقال: أنزلنا للتنزيل. ولقائل أن يقول: كما لا يُعلَّل الشيء بنفسه لا يقيّد بنفسه، فلا يصحّ أن يقال: أنزلناه حال كونه تنزيلًا، وجوابه أن نقول: إنّما جاز لتقييده بالصفة، كقولك: جاء زيد رجلًا فاضلًا.

قوله: (**وأن يُنصَب بـ﴿أَنزَلْنَا﴾**)... إلخ، فيكون مفعولًا مطلقًا، كأنّه قال: أنزلناه تذكرةً تنزيلًا.

قوله: (**ولا يخلو "مِن" أن يكون**) أي: لا يخلو[١] كلمة "مِن" في قوله: ﴿مِّمَّنْ خَلَقَ﴾،

---

١ ف ن: يخلوا.

إمَّا ﴿تَنزِيلًا﴾ نفسَهُ فيَقَعُ صلةً له، وإمَّا مَحذوفًا فيَقَعُ صِفةً لهُ.

فإن قلتَ: ما فائدة النُّقلة من لفظِ المتكلِّم إلى لفظ الغائب؟

قلتُ: غيرُ واحدة:

منها: عَادةُ الافتِنان في الكلام وما يُعطيه من الحُسْن والرَّوعة.

ومنها: أن هذه الصفاتِ إنَّما تسَرَّدتْ مع لَفظ الغَيبة.

ومنها: أنه قال أَوَّلًا ﴿أَنزَلْنَا﴾ ففخَّم بالإسناد إلى ضمير الواحد المُطاع، ثمَّ ثنَّى بالنسبة إلى المختصِّ بصفاتِ العَظمة والتمجيد، فضُوعِفَت الفخامة من طريقين.

فإنَّ أصله "مِن مَن" فأُدغم، ثمّ في الكلام حذف تقديره: لا يخلو[١] "مِن" مِن[٢] أن يكون **الأوّل** فاعل يخلو،[٣] **والثاني** صِلتَه؛ لكن حذف الثاني؛ لأنّ حذف الجارّ مع "أن" قياس مستمرّ. ويجوز أن يكون "يخلو"[٤] مسنَدًا[٥] إلى ضمير عائد إلى قوله: (**ما**[٦] **بعد** ﴿تَنزِيلًا﴾)، فكأنّه / قال: لا يخلو[٧] "ما بعد ﴿تَنزِيلًا﴾" مِن أن يكون... وقوله: (**فيقع**) أي: "مِن". وقوله: (**صفة له**) فيكون متعلِّقًا بمحذوف، أي: تنزيلًا رَبّانيًّا. [١١٨و]

قوله: (**قلت: غير واحدة**) أي: فوائدُ كثيرةٌ.

قوله: (**عادةُ الافتنان**) افتَنَّ في الكلام والخُطبةِ: جاء بأفانين جمع أفنان جمع فنّ.

قوله: (**إنّما تسرَّدت**) السرْدُ: الخَرْزُ، أي: انتظمت وتتابعت، مِن سَرْد[٨] الحديد. وقوله: (**مع لفظ الغَيبة**) ولا يَتسرَّد مع لفظ المتكلّم، فإنّه لو كان بدل قوله: ﴿مِّمَّنْ﴾ "نحن" لا يترتب عليه ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ﴾ و﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ و﴿لَهُۥ﴾ و﴿وَإِن تَجْهَرْ﴾ و﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ و﴿لَهُ﴾.

---

١ ن: يخلوا.
٢ ن: ممن.
٣ ن: يخلوا.
٤ ن: يخلوا.
٥ ن: مسند.
٦ ن – ما.
٧ ف ن: يخلوا.
٨ ف: سِرْد.

ويجوز أن يكون ﴿أَنزَلْنَا﴾ حِكايةً لكلام جبريلَ عليه السلام والملائكةِ النازلين معَه.

وصفُ السماوات بالعُلى: دلالةٌ على عِظَم قدرةِ مَن يَخلق مثلَها في عُلُوِّهَا وبُعْدِ مُرتقَاها.

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾

قرئ: "الرحمنِ" مجرُورًا صفةً لـ"مَن خَلَقَ"، والرفعُ أَحسنُ؛ لأنه إمَّا أن يَكونَ رفعًا على المدح على تقدير: هو الرحمنُ، وإمَّا أن يكون مبتدأً مُشارًا بلامِه إلى "مَن خَلَقَ".

فإن قلتَ: الجملةُ التي هي ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ ما محلُّها إذا جَرَرتَ "الرحمن" أو رفَعتَه على المَدْحِ؟

قلتُ: إذا جَرَرْتُ فهي خبرُ مبتدأ محذوفٍ لا غير، وإن رفعتُ جاز أن تكون كذلك، وأن تكون مع ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ خَبرين للمُبتدأ.

﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ لمّا كان الاستواءُ على العرش -وهو سريرُ المَلِك- مما يَرْدَفُ المُلْكَ جَعلوهُ كنايةً عن المُلك ....

قوله: **(ويجوز أن يكون)** عطف على جملة قوله: **(غيرُ واحدة)**، فالحاصل أنّه أوّلًا سلّم فيه التفاتًا، وذكر فوائده، ثمّ أجاب بأنّه يجوز أن لا يكون فيه التفات، فيئول المعنى إلى أنّ جبرئيلَ والملائكة النازلين معه يقولون: ﴿أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾، ثمّ بيّنوا[١] أنّه مِن الله تعالى فقالوا: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ﴾.

قوله: **(إما أن يكون مبتدأ)** خبره ما بعده. وقوله: **(بلامه)** يعني: لام ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾، وهي هنا للعهد.

قوله: **(مما يَردَف)** رَدِفَهُ، أي: تبِعه.

---

١ ن: بيّنو.

فقالوا: "استَوى فلانٌ على العرش" يُريدون: مَلَكَ، وإن لم يَقعُد على السرير البتَّةَ، قَالوه أيضًا لشُهرَته في ذلك المعنى ومُساواتهِ "مَلَكَ" في مُؤَدَّاهُ وإن كان أشرَحَ وأبسَط وأدلَّ على صُورة الأمْر.

ونحوُه قولُك: "يَدُ فلانٍ مَبْسُوطةٌ" و"يدُ فلان مغْلولةٌ" بمعنى: أنَّه جوادٌ أو بخيلٌ لا فرقَ بين العبَارتين إلَّا فيما قلتُ، حتى إنَّ مَن لم يَبسُطْ يدَه قط بالنَّوَال، أو لم يكن له يَدٌ رَأسًا، قيل فيه: "يدهُ مَبسُوطَةٌ" لمُسَاواتهِ عندهم قولَهُم: "جوادٌ".

ومنه قولُ الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة ٥/٦٤]؛ أي: هو بخيلٌ ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة ٥/٦٤]؛ أي: هُو جَوادٌ، من غَيْرِ تصوُّرِ يدٍ ولا غَلٍّ ولا بَسطٍ، والتفسيرُ بالنِّعمة والتمحُّلُ للتَّثنِيَة من ضِيقِ العَطَنِ ....

قوله: (**فقالوا: استوى فلان على العرش**)... إلخ، وهذا المعنى استعمل الشاعر في قوله:

رأوا عَرشـي تَثَلَّـمَ جانبـاهُ   فلمّـا أن تَثَلَّـمَ أفردونـي[1]

قوله: (**وإن كان أشرح**) أي: وإن كان "استوى على العرش" أشرح من "مَلَكَ".

قوله: (**وأدلّ**) أي: أدلّ على المقصود، وهو المالكيّة.[2]

قوله: (**إلّا[3] فيما قلت**) أي: أشرح وأبسط.

قوله: (**والتفسير بالنعمة**) أي: تفسير اليد ههنا بالنعمة، ثمّ التمحّل[4] بأن يقال: المراد بالنعمتان: نعمة الدنيا، ونعمة الآخرة؛[5] للتثنية في قوله تعالى: ﴿يَدَاهُ﴾ [المائدة ٥/٦٤]، مِن ضِيق العَطَن.[6]

---

[1] انظر: **شرح ديوان الحماسة** للتبريزي، ١/١٠٦.

[2] ن: الماكلته.

[3] ف: وإلّا.

[4] تمَحَّلَ، أي احْتالَ، فهو مُتَمَحِّل. **لسان العرب** لابن منظور، «محل».

[5] ن – بأن يقال: المراد بالنعمتان: نعمة الدنيا، ونعمة الآخرة.

[6] قال أبو بكر الأنباري: «قولهم: "فلانٌ ضَيِّقُ العَطَنِ" معناه: قليل العطاء، ضيق النفس. فكُني بالعطن عن ذلك. والأصل في العطن: الموضع الذي تَبرُكُ فيه الإبل إلى الماء إذا شربت». **الزاهر** لأبي بكر الأنباري، ٢/٣٩٤.

والمُسافرةِ عن عِلم البيان مَسيرةَ أعوام.

﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦﴾

﴿وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾: ما تحتَ سَبْع الأرضين؛ عن محمد بن كعب.

وعن السدي: هو الصخرة التي تحت الأرض السابعة.

﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧﴾

أي: ﴿يَعْلَمُ﴾ ما أَسْررتَهُ إلى غيرك ﴿وَأَخْفَى﴾ من ذلك: وهو ما أخطَرْتَه ببالك. أو: ما أَسْررتَهُ في نفسِك ﴿وَأَخْفَى﴾ منه وهو ما سَتُسِرُّه فيها.

وعن بعضهم: أنَّ "أَخْفَى" فِعْلٌ، يعني: أنه يَعلم أسرارَ العباد وأخْفَى عنهم ما يَعلمُه هو؛ كقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه ٢٠/١١٠]. وليس بذَاك.

فإن قلتَ: كيف طابَقَ الجزاءُ الشرطَ؟

قلتُ: معناه: إنْ تجْهَرْ بذكر الله من دُعاءٍ أو غيره فاعْلَم أنَّه غنيٌّ عَن جهرِكَ،

قوله: **(والمسافَرة عن علم البيان)** سافر عنه: تركه.

قوله: **(وأخفى مِن ذلك)** عطف على **(ما أسررتَه)** أي: يعلم أخفى ما أسررتَه. وقوله: **(وهو)** يعود إلى "أخفى".

قوله: **(وليس بذاك)** هذا ردّ مِن المصنّف للوجه الأخير؛ وإنّما ردّه لأنّ طرفي الكلام لا يكونان متناسبين؛ لكون أحدهما مضارعًا والآخر ماضيًا، فلو كان المراد ما ذكروا لقيل: يعلم السرّ ويَخفَى، أو[1] عَلِمَ السرّ وأخفى، أو نقول: دلالة اللفظ على ما ذكروا غير واضحة، فلا يحسُن الحمل عليه.

قوله: **(قلت: معناه)** حاصل المعنى: إن تجهر بالذِّكر يكن سببًا[2] للإخبار بأنّه تعالى يعلم السرّ وأخفى، وإخبار الجاهر بأنّه تعالى يعلم السرَّ يعود حاصله

---

[1] ن: أي.

[2] ن - سببًا.

فإمَّا أَن يكون نهيًا عن الجَهْر كقوله: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الأعراف ٧/٢٠٥]، وإمَّا تَعليمًا للعبَاد أَنَّ الجَهْر ليْسَ لإِسماعِ الله وإنَّما هو لغَرضٍ آخر.

إلى أنّ الله تعالى غَنيّ عن جهرك أيّها الجاهر الذاكر، فاعلم ذلك لئلّا تجهر بالذِّكر، أو لئلّا تظنّ أنّ الجهر لإسماعه تعالى؛ بل هو لغرض آخر مِن التأثير في نفس الذاكر، أو لإسماع غيره مِن النّاس؛ ليكون ترغيبًا لهم في الذِّكر، كما قال عمر رضي الله عنه:[1] «أُوقظ الوَسنانَ»، أو لطرد الشيطان، كما قال عمر رضي الله عنه[2] أيضًا: «وأَطرد الشيطان»،[3] وتحقيق هذا الموضع هو الذي ذكره ابن الحاجب رحمه الله[4] في **شرح المفصّل**، وهو:

> أنّ جواب الشرط لا يكون إلا جملة، ويكون معنى الشرط فيه إمّا مضمونها وإمّا الخطاب بها، فمثال مضمونها: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة ٢/٢٧٤]، ومثال الخطاب بها: ﴿وَمَا بِكُم مِّن / نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل ١٦/٥٣]، والمعنى بالمضمون معنى نسبة الجملة، كقوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة ٢/٢٧٤]، فثبوت الآخر لهم هو مضمون الجملة، وهو مسبَّب عن الإنفاق، والمعنى بالخطاب بها أن يكون نفس الإعلام بها هو المشروط لا مضمونها، ألا ترى أنّك لو جعلت مضمون قوله: ﴿فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل ١٦/٥٣] هو المشروط لكان المعنى: أنّ استقرارها عندكم سبب لحصولها مِن الله، فيصير الشرط مسبَّبًا للمشروط، ومِن ثَمّ وَهِمَ مَن قال: إنّ الشرط قد يكون مسبَّبًا، وإذا جعلنا الإخبار بنفس الجملة هي المشروط ارتفع الإشكال.[5]

[١١٨ظ]

---

١ د - رضي الله عنه.

٢ د - رضي الله عنه.

٣ عن أبي قتادة، أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم خرج ليلة،... وفيه: وقال لعمر: «مررتُ بك، وأنت تصلّي رافعًا صوتك»، قال: فقال: «يا رسول الله، أوقظ الوَسْنان، وأطرد الشيطان». **سنن أبي داود**، ٢/٤٩٢ (١٣٢٩)؛ **سنن الترمذي**، ١/٥٦٩ (٤٤٧). والوَسْنان: النائم الذي ليس بمستغرق في نومه. والوسَن: أوّل النوم. **لسان العرب** لابن منظور، «وسن».

٤ د - رحمه الله.

٥ **الإيضاح** لابن الحاجب، ١/١٨١.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾

﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ تأنيثُ الأَحسن، وُصِفَت بها الأسماءُ؛ لأنَّ حُكمها حُكمُ المؤنَّثِ؛ كقولك: "الجمَاعةُ الحُسْنى" ومثلُها: ﴿مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه ١٨/٢٠] و﴿مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى﴾ [طه ٢٣/٢٠].

والذي فَضَلَتْ بهِ أسمَاؤه في الحُسْن سِائرَ الأسماء: دلالتُها على معاني التقديس والتمجيد والتعظيم والربُوبية والأفعالِ التي هي النِّهايةُ في الحُسن.

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩﴾

قفَّاه بقصَّةِ موسى عليه السلام ليَأتَسيَ به في تحمُّلِ أعبَاء النبوَّة وتَكاليفِ الرسالة والصَّبرِ على مُقاسَاة الشدائد، حتَّى ينَالَ عند الله الفوزَ التامَّ والمقامَ المحمودَ.

هذا كلام ابن الحاجب، ثمّ إنّي أقول: علم السرِّ والأخفى مستلزم للغِنَى عن الجهر، فأُطلق الملزوم وأُريد اللازم، فيكون مجازًا، ويئول المعنى إلى قولك: إن تجهر بالقول يكن سببًا للإخبار بأنّه تعالى غنيّ عن الجهر.

قوله: (سائرَ **الأسماء**) "السائر" فاعل مِن السؤر، ومعناه: الباقي؛ لأنّ "السؤر" ما تبقى بعد الشرب، وهذا ممّا يَغلَط فيه النّاس فتضعُه موضع الجميع.[1]

قوله: (**قفّاه بقصّة**[2] **موسى**) يقال: قفَوت فلانًا، أي: تبِعتُه، وقفّيتُه بفلان، أي: أتبَعتُه إيّاه، والضمير المستتر في "قفّى" يعود إلى الله تعالى، والضمير المنصوب إلى قوله تعالى: ﴿مَآ أَنزَلْنَا﴾... إلخ، يريد أنّ قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾... إلخ جملة معطوفة على قوله تعالى: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾؛ ليكون بَعثًا وحَملًا على تحمُّل أعباء[3] النبوّة، وتحريضًا وتحضيضًا[4] على ذلك للنبيّ عليه الصلاة والسلام، فالمعنى: أنزلنا عليك **القرآن**؛ لتحتمل المشاقّ،

---

[1] ف: الجمع.
[2] ن: بقصّته.
[3] ن: أعناء.
[4] ن - وتحضيضًا.

﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ١٠﴾

يجوز أن ينتصِبَ ﴿إِذْ﴾ ظرفًا لـ"الحديث"؛ لأنه حَدَثٌ، أو لمضمَرٍ؛ أي: حين ﴿رَءَا نَارًا﴾ كان كيتَ وكيتَ، أو مفعولًا لـ"اذكُرْ".

استَأذَن موسى شُعيبًا عليهما السلام في الخروج إلى أُمِّه، وخرج بأهله فوُلد له في الطريق ابنٌ في ليلةٍ شَاتِيَةٍ مُظلمةٍ مُثْلِجة، ....

وبعثناك لذلك، كما فعلنا بموسى مثل ذلك، فتحتمل الأعباء كما يحتملها[1] هو. والدليل على ما ذكرنا: أنّه ابتدِئ في هذه القصّة بمبدأ[2] نبوّته، وبيان المشقّة التي وقعت في ذلك المبدأ على موسى عليه السلام،[3] حيث قال تعالى: ﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ﴾، فإنّه خرج بأهله فوُلِدَ له ابنٌ في تلك الليلة في الطريق، وكانت الليلة ليلةً شاتيةً مُظلِمةً مُثلِجةً، وقد ضلَّ الطريق وتفرّقت ماشيتُه ولا ماء عنده، وأراد قدْح النّار فقدح وصَلَد زَنده، فبينا هو في تلك الحَيْرة والمشقّة رأى نارًا فتوجَّه إليها، وكان بعد ذلك ما كان، مع ما اتفق له قبل ذلك مِن أنواع المتاعب والمشاقِّ كما أخبر عنه تعالى بقوله: ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ [طه ٢٠/٤٠]، فالله تعالى أخبر النبيّ عليه الصلاة والسلام في هذه القِصّة بأنواع المشقّة اللاحقة بموسى متقدِّمًا ومتأخِّرًا ليَأتسي به في ذلك.

قوله: (**أو مفعولًا لـ"اذكُر"**) أي: اذكر إذ رأى، أي: وقت رؤيته، فإنّه وقت عجيب وقع فيه أمور عجيبة، فذلك الوقت جدير بأن يُذكر.

قوله: (**فخرج بأهله**) كان موسى عليه السلام غَيورًا، فلم يَصحب الرفقةَ في الخروج، فخرج بأهله وحده.

قوله: (**في ليلة شاتية**)... إلخ قوله:[4] "شاتية" مِن قولهم: شتَوتُ بموضع كذا؛ أقمتَ به الشتاء، فالإسناد في ليلة شاتية مجازي. ويقال: أثلَج يومُنا،

---

[1] ف ن: يحتملهما.
[2] ن: بمبتدأ.
[3] د - عليه السلام.
[4] ف: قولهم.

وقد ضَلَّ الطريقَ وتفرَّقتْ ماشيتُه ولا ماء عِندهُ، وقَدَحَ فصَلَد زَندُهُ فرَأى النار عند ذلك.

قيل: كانت ليلةَ جُمعةٍ.

﴿ٱمۡكُثُوٓاْ﴾: أقِيمُوا في مَكانكم.

"الإيناس": الإبصَارُ البيِّن الذي لا شُبهةَ فيهِ، ومنه: إنسانُ العَين؛ لأنَّه يُتبيَّنُ به الشيءُ، والإنسُ لظُهورهم، كما قيل: الجنُّ؛ لاستتَارهم.

وقيل: هو إبصَار ما يُؤنَسُ به.

لمّا وُجد منه الإيناسُ فكان مقطوعًا مُتَيقَّنًا حَقَّقه لهم بكلمةِ "إنَّ" ليُوطِّنَ أنفسَهم، ولمّا كان الإتيانُ بالقبَس ووجُودُ الهُدى مترَقَّبين مُتوقَّعَين بَنى الأمر فيهما على الرَّجاء والطَّمع وقال: ﴿لَّعَلِّيٓ﴾ ولم يَقطع فيقولَ: "إنِّي آتيكم"؛ لئلَّا يَعِدَ ما لَيس يَستيقِنُ الوفاءَ به.

"القبَسُ": النارُ المقتبَسة في رأس عُودٍ أو فَتيلةٍ أو غَيْرهما، ومنه قيل: "المِقْبَسَةُ" لِمَا يُقْتبَسُ فيه مِن شَقَفَةٍ أو نحْوِهَا.

والثلج معروف، والإسناد في "مُثلِجة" مثله في "شاتية"، ولا يبعُد أن يقال: معنى "مثلِجة": / ذات ثلج، والتاء فيه للمبالغة، كما في قولهم: "عيشة[1] راضية"، إذا فسّر راضية بذات رضًى. [١١٩و]

قوله:[2] (وقدَح[3] فَصلَد) يقال: قدحت النّار. ويقال: صلد الزَّنْد، أي: كَبا،[4] وهو نقيض قولهم: وَرِي الزَندُ يَرِي.

قوله: (وقيل: هو إبصار ما يؤنَس به) فالإيناس: إفعال مِن الأُنس.

قوله: (مِن شَقْفة) الشَّقفة: الخزَفة المكسَّرة، وفي بعض النسخ: "مِن سَعَفَة"،[5]

---

١ ن: عشية.

٢ ف: وقوله.

٣ ف: قدح.

٤ الزَنْدُ: العود الذي يُقْدَح به النار، وصلَد الزَّند: إذا صَوَّتَ ولم يُخرِجْ نارًا. **الصحاح** للجوهري، «زند» «صلد».

٥ ن – من سَعَفَة.

﴿هُدًى﴾؛ أي: قومًا يهْدُونني الطريقَ، أو يَنفعونني بهُداهم في أبواب الدِّين، عن مجاهد وقتادة؛ وذلك لأنَّ أفكار الأَبرار مَغمورَةٌ بالهِمَّة الدِّينية في جميع أحوالهم لا يَشغَلُهم عنها شَاغلٌ، والمَعنى: ذوي هُدًى، أو إذا وَجَد الهُداةَ فقد وجَد الهُدى.

ومعنى الاستعلاء في ﴿عَلَى ٱلنَّارِ﴾: أنَّ أَهل النَّار يَستَعْلون المكانَ القريبَ منها؛ كما قال سيبويه في "مررْتُ بزيد": إنَّهُ لُصُوق بمكانٍ يَقرُب من زيد.

أو لأنَّ المُصطَلين بها والمُستَمتِعينَ ....

و"السَّعَفَة"[١] بالتحريك: غصن النخل،[٢] والجمع: سَعَفٌ، و"الشَّقفة"[٣] بالشين المعجمة والقاف والفاء مما لم أطّلع عليه في شيء مِن كتُب اللغة.

قوله: (**والمعنى: ذوي هدًى**) لِما ذكر أنّ معنى الآية: "أجدُ قومًا يَهدونني الطريق، أو ينفعونني بهداهم إلى أبواب الدين"، أشار إلى أنّ حصول هذا المعنى إمّا بتقدير حذف المضاف، أو بأن يقال: وجدان الهُداة سبب وجدان[٤] الهدى، فأطلق المسبَّب وأراد السبب، وهو مِن باب الكناية، نحو:

إنَّ السماحة والمروَّة والندَى في ... قبّة ضُرِبت على ابن الحَشرجِ[٥]

والهدى: الرشاد والدلالة، يقال: هداه الله للدِّين، والهُداة: جمع هادٍ، مثل: قُضاة وقاضٍ.

قوله: (**كما قال سيبويه رحمه الله[٦] في: مررتُ بزيد**)...[٧] إلخ، يعني: جُعل استعلاء مكانٍ يَقرُب مِنها بمثابة استعلائها، كما جُعل اللصوق بمكان يقرُب مِن زيد بمثابة اللصوق بمكان زيد.

قوله: (**أو لأنّ المصطَلين بها**) عطف على قوله: (**ومعنى الاستعلاء**)... إلخ

---

١ ن: والسففة.

٢ وقال الطيبي: «السَّعَفة: الخِرقة بلغة أهل مكة». **حاشية الطيبي على الكشّاف**، ١٣٦/١٠.

٣ ن - والشقفة.

٤ ن: وجذان.

٥ لزياد الأعجم كما في ربيع الأبرار للزمخشري، ٣٨٦/٤.

٦ د - رحمه الله.

٧ انظر: **الكتاب لسيبويه**، ٢١٧/٤.

إذا تكنَّفُوهَا قيامًا وقعُودًا كانوا مُشرِفينَ عليها، ومنه قولُ الأعشى:

وبــاتَ عَـلـى الـنـار الـنَّـدَى والـمُـحَـلَّـقُ

مِن حيث المعنَى، فكأنّه قال: إنّما قيل: ﴿عَلَى﴾ بلفظ الاستعلاء؛ لأنّ أهل النّار يستعلون المكان القريب؛ أو لأنّ المصطَلِين... إلخ، فعلى هذا الوجه الاستعلاء حقيقة، وعلى الأوّل مجاز.[١]

قوله: (**إذا تكنّفوها**) قال في **الصِّحاح**: «تكنّفوه واكتنفوه، أي: أحاطوا به، والتكنيف مثله، يقال: صِلاءٌ[٢] مُكنَّف، أي: أحيط به مِن جوانبه».[٣]

قوله: (**ومِنه قول الأعشَى:**

وبــات عـلــى النّــار النــدَى والمحلّــقُ)

أوّله:

تُــشَــبُّ لــمَــقــرورَيــن يَـصـطَـلـيـانـهـا

"المُحلِّق" بكسر اللام وبالحاء المهملة: اسم رجل مِن ولد أبي بكر بن كلاب مِن بني عامر الذي قال فيه الأعشى هذا البيت. رجل مَقرور: أصابَه القِرُّ، وهو البرد، ويوم قارّ: بارد. وقبلَه:

لـعَـمري لقد لاحَـت عـيونٌ كثيرةٌ   إلـى ضَـوء نـارٍ فـي يَـفـاعٍ[٤] تُـحـرَّقُ

ثمّ: تُشَبُّ... البيتَ، وبعدَه:

رَضيعَــي لِبــانٍ ثــديَ أمّ تقاسَــما   بأسْــحَمَ داجٍ عَــوضُ[٥] لا نتفــرَّقُ[٦]

قيل: إنّ المحلِّق رجل فقير مِن بني عكاظ، خاملُ الذِّكر، له عِدّة بنات لا يرغب فيهنّ أحدٌ لفقرهنّ، ففارق حيّ عكاظ وانعزل عنهم إلى بعض المَهامِه[٧]

---

[١] ن – فعلى هذا الوجه الاستعلاء حقيقة، وعلى الأوّل مجاز.

[٢] الصِّلاء، بالكسر والمدّ: الشواء؛ لأنّه يُصلى بالنار. والصِّلاء أيضًا: صِلاءُ النار. **الصحاح** للجوهري، «صلا».

[٣] **الصحاح** للجوهري، «كنف».

[٤] ن: يقاع.

[٥] ن: غوض.

[٦] **ديوان الأعشى الكبير**، ص ٢٢٤-٢٢٥.

[٧] ن: المهامة. | المهمه: المفازة والبرّيّة القَفر، وجمعها: مهامه. **لسان العرب** لابن منظور، «مهه».

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ۝١٢﴾

قرأ أبو عمرو وابنُ كثير: ﴿أَنِّي﴾ بالفتح؛ أي: نُودي بأنِّي ﴿أَنَا۠ رَبُّكَ﴾، وكسَر الباقُون؛ أي: نُوديَ فقيل: يا مُوسى؛ أو لأنَّ النداء ضربٌ من القول فعُومِلَ مُعَاملتَه.

تكرير الضَّمير في ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ لتوكيد الدَّلالة وتحقيقِ المَعرفة وإماطة الشبهة.

رُوي أنَّه لمَّا نُودِي ﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾ قال: مَن المتكلِّمُ؟ فقال الله عز وجل: ﴿أَنَا۠ رَبُّكَ﴾، وأنَّ إبليسَ وَسوَسَ إليه: لعَلَّكَ تَسمَعُ كلامَ شَيْطانٍ، ....

والبراري لِأَنفةِ نفسه، فنزل به الأعشى ليلة فأحسن قِراه، ونحَر له ناقة لم يكن عنده غيرها، فوقَع سخاؤه مِن الأعشى موقعًا جليلًا، فلمّا أصبح الأعشى واستوى على راحلته قال له: ألك حاجة؟ قال: نعم، قال: فما هي؟ قال: إنّي[١] أريد أن تسير بذكري في بني عكاظ وبين العرب؛ لعلِّي أشتهر ويرغب في بناتي أحدٌ، فقد مسّهنّ الضرّ، فتوجّه الأعشى إلى عُكاظ / ومدحه بقصيدة طويلة، ذكر [١١٩ظ] فيها مكارم أخلاق المحلِّق،[٢] واستمالَ بذلك قلوب أهل عُكاظ إلى مواصلته وإخائه،[٣] فلم يمضِ إلّا قليل حتّى خُطب إليه جميع بناته.[٤]

قوله: "في يَفاع" اليَفاع المرتَفَع مِن الأرض، وهو أشهر للنار؛ ليقصدها مَن يراها وإن بَعُد عنها. "تُشَبُّ" بضمّ التاء وفتح الشين على البناء للمفعول، بمعنى: تُوقَدُ. و"المقرور": الذي أصابه القِرُّ بكسر القاف، وهو البرْد. "يصطليانها" يريد: يَسخُنان بها، والندى: الكرم. أي: كأنّ الممدوح والجُود باتا على النّار مَقرورَين، وإنّما قال: "بات على النّار" إشارة إلى أنّ الجود ضجيعُ المحلِّق لا يفارقه. وسمّي المحلِّقَ؛ لأنّ بعيره عضّه في وجهِه، فبقي أثر العضّة مثل الحلقة.

قوله: (روي: أنّه لمّا نودي)[٥] إشارة إلى أنّ المقام خليق[٦] بالتأكيد والتحقيق وإماطةِ الشبهة.

---

١ ف - إني.

٢ ن: المخلق.

٣ ف: وأخائه.

٤ انظر: **خزانة الأدب** للبغدادي، ١٤٥/٧.

٥ لم أجد مَن ذكره قبل الزمخشري.

٦ ف: حليق.

فقال: أنا عرفتُ أنه كلامُ الله بأنِّي أسمَعُه من جَميع جهاتي الستِّ، وأسمعُه بجميع أعضائي.

وروي: أنه حين انتهى رأى شجرةً خَضْرَاء من أسفلهَا إلى أعْلاها كأنَّها نارٌ بيضَاءُ تتَّقِدُ، ويسمعُ تسبيحَ المَلائكة، ورَأى نورًا عظيمًا، فخاف وبُهِتَ، فأُلقيت عليه السكينةُ ثم نُودي.

وكانت الشجرة عَوسَجةً.

وروي: كُلَّمَا دَنا أو بَعُدَ لم يَختَلِفْ ما كان يَسمعُ من الصَّوت.

وعن ابن إسحَاقَ: لمَّا دنا استأخَرتْ عنه، فلمَّا رأى ذلك رَجع وَأَوجس في نفسهِ خيفةً، فلمَّا أرَاد الرَّجعَةَ دَنَتْ منه ثم كُلِّم.

قيل: أُمرَ بخَلعِ النَّعلين؛ لأنهما كانتا من جلدِ حمارٍ ميِّتٍ غيْرِ مَدبُوغٍ، عن السدي وقتادة.

وقيل: ليُباشِرَ الواديَ بقَدميه مُتبرِّكًا به.

وقيل: لأن الحِفْوة تواضُعٌ لله، ومِن ثَمَّ طافَ السَّلفُ بالكَعبة حَافينَ، ....

قوله: (**بأنّي أسمعه**) "أسمعه" حكاية حال ماضية،[١] أي:[٢] كنت أسمعه.

قوله: (**مِن أسفلها**) وهذه صفات أشجار الجنّة.

قوله: (**عَوْسَجةً**) شَوك.

قوله: (**بخَلع النعلَين) في لطائف القُشيري**: «﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾: ارفُض الدنيا والآخرة، وانفُضْ يديك عنهما».[٣]

قوله: (**وقيل: لأنّ الحِفوة**)[٤] "الحِفْوة":[٥] فِعْلة مِن الاحتفاء، كالقدوة مِن الاقتداء،

---

١ ن: ماضيّة.

٢ ن: أن.

٣ عبارة القشيري: «يقال: الإشارة في الأمر بخلع النعلين: تفريغ القلب مِن حديث الدارين، والتجرّد للحقّ بنعت الانفراد». **لطائف الإشارات** للقشيري، ٤٤٨/٢.

٤ ن: الجفوة.

٥ ن – الحفوة؛ ف: جِفوة.

ومنهم مَن استعظَم دُخولَ المسجد بنَعْلَيه، وكان إذا نَدَر منه الدُّخُولُ مُنتعِلًا تصَدَّق.

والقرآنُ يدُلُّ على أن ذلك احترامٌ للبُقعة وتعظيمٌ لها وتشريفٌ لقُدسِهَا.

وروي: أنه خلع نَعلَيْه وألقَاهما من وراء الوادي.

﴿طُوًى﴾ بالضم والكسر، منصرِفٌ وغيرُ منصَرِفٍ بتأوِيل المكان والبقعة.

وقيل: مَرَّتين نَحو ثِنًى؛ ....

ذكر في **الصِّحاح** أنّه: «قال الكسائي: رجل حافٍ[١] بيّن الحِفْوة[٢] والحِفْية[٣] والحِفاية والحِفاء[٤] بالمدّ، وقد حَفِيَ يحفى؛[٥] وهو الذي يمشي بلا خُفّ ولا نعْلٍ، وأما الذي حَفِي مِن كثرة المشي -أي: رقّت قدمه أو حافره- فإنّه حفِيّ بيّن الحَفا مقصور».[٦]

قوله: (**إذا بدَر**)[٧] يقال: بدَر مِنه بوادرُ غضبٍ، أي: خطأٌ وسقَطاتٌ.

قوله: (**بتأويل المكان والبقعة**) فيه لفّ ونشر.

قوله: (**طُوًى بالضمّ والكسر**)...[٨] إلخ، قال في **الصِّحاح**: «طُوى: اسم موضع بالشام، تكسر طاؤه وتُضمّ، يصرَف ولا يصرَف، فمَن صرَفه جعله اسم وادٍ أو مكان، وجعله نكرة، ومَن لم يصرفه جعله بلدة أو بقعة، وجعله معرفة، وقال بعضهم: طُوًى مثل طِوًى؛ وهو الشيء المثنّى، وقيل في تفسير ﴿طُوًى﴾: طُوِيَ مرّتين، أي: قدِّس، وقال الحسَن: ثُنّيت فيه البركة[٩] والتقديس مرّتين».[١٠] وأمّا قول المصنِّف: (**وقيل: مرّتين**) فهو عطف على قوله: (**بتأويل المكان أو البقعة**) مِن حيث المعنى؛ لأنّ الأوّل إشارة إلى أنّه اسم مكان،[١١] وهذا إشارة إلى قول آخر،

---

١ ن: جتف.

٢ ن: الجفوة.

٣ ن: والجفية.

٤ ن: والخفاء.

٥ ن: جفى يجفى.

٦ **الصحاح** للجوهري، «حفي».

٧ في مطبوع **الكشّاف**: "ندر".

٨ القراءة الصحيحة بضمّ الطاء، فالقراءة بالكسر شاذّة، وكذا القراءة بالفتح. انظر: **الكامل** للهذلي، ص ٥٩٧.

٩ ن: البكرة.

١٠ **الصحاح** للجوهري، «طوى».

١١ في هامش د: "وعلى هذا بدل مِن الوادي، أو خبر مبتدأ محذوف".

أي: نُوديَ نداءين، أو قُدِّسَ الوادي كرَّةً بعدَ كرَّة.

﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣﴾

﴿ٱخۡتَرۡتُكَ﴾: اصطَفيتُك للنبوَّة، وقرأ حَمزةُ: ﴿وإنَّا اخْتَرْناك﴾.

﴿لِمَا يُوحَىٰٓ﴾: للَّذي يُوحَى، أو: للوَحي، تعلَّقَ اللامُ بـ﴿استَمِعْ﴾ أو بـ﴿ٱخۡتَرۡتُكَ﴾.

﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾

﴿لِذِكۡرِيٓ﴾: لتَذكُرني، فإنَّ ذكْرِي أن أُعبَدَ ويُصَلَّى لي.

أو: لِتَذكُرني فيها؛ لاشتمالِ الصلاةِ على الأذكار، عن مجاهد.

أو: لأنِّي ذكرتُها في الكتُبِ وأمَرْتُ بها.

قال في الكواشي: «القراءة[١] بصرف ﴿طُوًى﴾ هنا والنازعات: اسم للوادي، وبترك صرفه: اسم لبقعة معروفة، أو معدول عن "طاوٍ"، كعُمر، وقرئ بها».[٢] وأنا أقول: بهذا[٣] الذي ذكره في الكواشي يتبين وجه قول المصنِّف: "مرّتين"، ووجه منع صرفه، ويتبيّن أيضًا معنى: «لا ثِنَى في الصدقة» في الحديث.[٤]

قوله: (أي:[٥] نودي نداءَين)... إلخ، أي: الطُّوى بمعنى المَطويّ، كالثِّنَى بمعنى المَثنيّ، كما قال عليه الصلاة والسلام: «لا ثِنَى في الصدقة».[٦] وقوله عليه الصلاة والسلام: «لا ثِنَى في الصدقة» مَكسور مقصور، أي: لا تؤخذ[٧] في السنة مرّتين.

قوله: (أو لِتذكُرَني) عطف على (فإنّ ذِكري) مِن حيث المعنى. وقوله: (أو لأنّي) عطف على (لِتذكُرَني).

---

١ ن – القراءة.

٢ تفسير الكواشي، ٣١٣و. وأمّا مذاهب القرّاء فقرأ ابن عامر والكوفيّون بالتنوين، وقرأ الباقون بغير تنوين. انظر: النشر لابن الجزري، ٣١٩/٢.

٣ ن: هذا.

٤ الأموال لأبي عُبيد، ص ٤٦٥؛ وهو في المصنَّف لابن أبي شيبة، ٤٣١/٢ (١٠٧٣٤)، بلفظ: «لا ثناء في الصدقة».

٥ ن: أو.

٦ تقدّم تخريجه قريبًا.

٧ ف: تواخد.

أو: لِأَنْ أَذكرَكَ بالمَدح والثَّناء وأَجْعَلَ لك لسَان صدْقٍ.

أو: لِذِكْري خاصَّةً لا تَشوبُه بذكرِ غيري.

أو: لإخلاصِ ذكري وطلَبِ وجهي لا تُرائِي بها ولا تَقصِدُ بها غَرضًا آخرَ.

أو: لِتكُون لي ذاكِرًا غيرَ ناسٍ فعلَ المُخلِصين في جَعْلِهم ذكرَ ربِّهم على بَالٍ منهم وتوكيلِ همَمِهم وأفكارهم به؛ كما قال: ﴿لَا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور ٣٧/٢٤].

أو: لأَوقاتِ ذكري، وهي مواقيتُ الصلاة؛ كقوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء ١٠٣/٤]، واللامُ مِثلُها في قولك: "جئتُك لوقتِ كذا"، و: "كان ذلك لِستِّ ليَالٍ خلَونَ"، وقوله تعالى: ﴿يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر ٢٤/٨٩].

قوله: (**لا تَشوبه بذكر غيري**) كما يفعله المشركون.

قوله: (**وطلب وجهي، لا تُرائي**)[1] كما يفعل المُرَّاءون بها[2] والذين يشترون / الدنيا بعمل الآخرة. [١٢٠و]

قوله: (**ذاكرًا غير ناسٍ**) فهو مِن الذِّكر بالقلب.

قوله: (**﴿كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾** [النساء ١٠٣/٤]) أي: فرضًا مؤقتًا.[3]

قوله: (**واللام مثلها**) يعني على هذا الوجه كقوله تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق ١/٦٥].

قوله: (**﴿قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾** [الفجر ٢٤/٨٩]) أي: لوقت حياتي الباقية، أي: يا ليتني قدَّمتُ عملًا صالحًا لأيّام حياتي الآخرة، هكذا في بعض الحواشي، وفيه نظر؛ لأنّه لا يناسب هذا الموضعَ؛ بل المراد هنا: يا ليتني قدَّمتُ الخير أو الطاعات أوقات حياتي في الدنيا، أي: يا ليتني عملت الطاعات ولم أعمل المعاصي في الدنيا، وهذا هو مراد المصنِّف بالاستشهاد.

---

١ ف ن + بها.

٢ ف ن - بها.

٣ ن: موقوتًا.

وقد حُمِل على ذكر الصَّلاة بَعد نسيانها، من قوله عليه السلام: «مَن نامَ عن صَلاةٍ أو نسيَها فليُصَلِّها إذا ذكرها» وكان حقَّ العبَارة أن يُقال: لذِكْرها؛ كما قال رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا ذكرها» ومَن يَتمحَّلْ له يقول: إذا ذَكر الصلاةَ فقَد ذكَر الله، أو بتقدير حَذفِ المضاف؛ أي: لذِكر صَلاتي؛ أو لأنَّ الذِّكر والنسيَان من الله عزَّ وجلَّ في الحقيقة.

قوله: (**وقد حُمِل**)... إلخ، واعلم أنّ قول المصنِّف: "وقد حُمل" يشير إلى أنّ هذا التفسير غير مَرضيّ عنده، ولذلك قال بعده: (**وكان حقُّ العبارة**)، فأشار إلى أنّ اللفظ بعيد الدلالة على هذا المعنى، ثمّ أكّد ردَّه بقوله: (**ومَن تمَحَّل**)، يقال: تمحَّله، أي: طلبه بحيلةٍ وتكلُّفٍ، والحقُّ أنّ هذا التفسير تفسير صحيح لا يجوز ردُّه ولا الطعن فيه ولا استبعاده، فإنّه ثبَت وصحّ نقل هذا التفسير عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، قال الواحدي في **الوسيط**: «﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾،[1] أي: أقم الصلاة متى ذَكرتَ أنّ عليك صلاة، كنت في وقتها أو لم تكن، هذا قول عامّة المفسّرين، وروي ذلك مَرفوعًا»،[2] وذكَر بإسناده عن أنس بن مالك رضي الله عنه[3] أنّ النبيّ عليه الصلاة والسلام قال: «مَن نَسِيَ صلاةً فليُصلِّها إذا ذكَرها، لا كفّارةَ[4] لها غيرُ ذلك، وقَرأ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾» رواه مسلم عن هُدْبة،[5] وأنا أقول: إذا ثبَت بالحديث الصحيح هذا التفسير فكيف يجوز ردّه بمجرّد الاحتياج إلى الحذف أو غير ذلك مما ذكره؟ فإنّ الوجوه الثلاثة التي ذكرها في غاية الحُسن، والعجب مِن المصنِّف أنّه جعل تلك الوجوه مِن التمحّل.

قوله: (**أو بتقدير حذف المضاف**) أي: أو نقول: هو بتقدير حذف المضاف.

قوله: (**أو لأنّ الذكر والنسيان مِن الله عزّ وجلّ**) فإنّ مَن ذكر شيئًا بعد نِسيانه

---

[1] ن – لذكري.

[2] **التفسير الوسيط** للواحدي، ٣/٢٠٢ (طه، ٢٠/١٤).

[3] د – رضي الله عنه.

[4] ن: كفراة.

[5] **صحيح البخاري**، ١/١٢٢ (٥٩٧)؛ **صحيح مسلم**، ١/٤٧٧ (٦٨٤).

وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: "للذِّكْرَى".

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ١٥﴾

أي: أكاد أُخفِيها فلا أقول: "هي آتيةٌ" لفَرطِ إرادتي إخفاءَها، ولولا ما في الإخبار بإتيانها مَع تَعميَةِ وقتِها من اللُّطف لَمَا أخبَرتُ به.

وقيل: معناه: أكادُ أُخفيها من نفسي، ولا دليلَ في الكلام على هذا المحذوفِ، ومحذوفٌ لا دليلَ عليه مُطَّرَحٌ، والذي غرَّهم منه أن في مصحف أُبيٍّ: "أكادُ أُخفيها من نفسي"، وفي بعض المصَاحف: "أكاد أُخفيها من نفسي فكيف أُظْهِرُكم عليها".

ذلك الشيء فإنّما يذكره بإيجاد الله تعالى الذِّكر فيه،[1] كما أنّ النسيان أيضًا إنّما يحصل بخلق الله تعالى ذلك فيه، ولمّا كان الذِّكر مِن فِعله تعالى أُضيف إليه.

قوله: **(وقرأ رسول الله عليه الصلاة والسلام)**[2] هذه القراءة يؤيّد التفسير الأخير، أعني قوله: **(وقد حُمل على ذكر الصلاة بعد نسيانها)**، قال في **الصِّحاح**: «الذِّكر والذِّكرى: نقيض النسيان»،[3] فيَحتمل أنّ المصنِّف أوردَها لتقرير هذا التفسير أو لتقرير الوجه الأخير لهذا التفسير، يقال: أذكرتُه غيري وذكّرتُه بمعنًى، قال المصنِّف في سورة الأعراف:[4] "الذِّكرى: اسم بمعنى التذكير".

قوله:[5] **(ومحذوفٌ لا دليل عليه مُطّرَح)** ولقائل أن يقول: الدليل على هذا المحذوف أنّه قد عُلِم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان ٣٤/٣١]

---

[1] ف هامش د + فعلى هذا الإضافة في "ذكري" لا يكون مِن قبيل إضافة المصدر إلى فاعله ولا إلى مفعوله؛ بل بأدنى ملابسة، كما في قوله: صاحب الخرقاء، فإنّ بين الذِّكر والله ملابسة باعتبار الله تعالى موجِده، فيكون المعنى: لذكرِ مِنّي، أي: صادر مِنّي، والإضافة بمعنى اللام؛ لكن تقديرنا "مِن" مِن حيث المعنى، ويحتمل أن يكون مِن قَبيل ذكر اللازم وإرادة المَلزوم، فإنّ ذكر الصلاة مستلزم لذِكر الله، فيكون كناية، وهذا قريب مما قلنا مِن أنّ وجدان الهداة مستلزم لوجدان الهدى.

[2] انظر: **صحيح البخاري**، ١٢٢/١ (٥٩٧)؛ **وصحيح مسلم**، ٤٧٧/١ (٦٨٤).

[3] **الصحاح** للجوهري، «ذكر».

[4] في تفسير سورة الأعراف، ٢/٧.

[5] ن: وقوله.

وعن أبي الدَّرداء وسعيد بن جبير: "أَخْفِيها" بالفَتح، من خَفاهُ: إذا أَظهره؛ أي: قَرُبَ إظهارُها؛ كقوله: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر ٥٤/١].

وقد جاءَ في بعض اللغات: "أَخفاه" بمعنى: "خَفَاهُ"، وبه فُسِّر بيتُ امرئ القيس:

فـإنْ تَـدْفِـنُـوا الــدَّاءَ لا نُـخْـفِـهِ وإن تَـبـعـثُـوا الـحَـرب لا نَـقـعُـدِ

فـ﴿أَكَادُ أُخۡفِيهَا﴾ محتمِلٌ للمَعنيين.

﴿لِتُجۡزَىٰ﴾ متعلِّق بـ"آتيةٌ" ﴿بِمَا تَسۡعَىٰ﴾: بسَعْيِهَا.

﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ١٦﴾

أي: لا يصُدَّنَّك عن تصديقها، والضميرُ للقيامة، ويجوز أن يكون للصلاة.

فإن قلتَ: العبَارَةُ لنهي مَن لا يُؤمِن عن صَدِّ مُوسَى عليه السلام، والمقصودُ نهيُ موسى عليه السلام عن التكذيب بالبعثِ أَو أمرُه بالتصديق، فكيف صَلَحتْ هذه العِبارةُ لأداء هذا المقصود؟

وبقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ [الأعراف ١٨٧/٧] وغيرهما أنّه أخفاها مِن جميع الخلائق، فلا يمكن أن يكون المعنى ههنا: أكادُ أخفيها[1] مِن الخلائق؛ / لأنّها مَخفيّة عنهم، فتعيّن أن يكون المعنى: أكاد أخفيها مِن نفسي. [١٢٠ظ]

قوله: (**بمعنى: خفاه**) أي: أظهره.

قوله:

(**فــإن تَــدفِــنــوا**)... الـبـيـتَ[2]

الداء الدفين: الذي لا يُعلم به حتّى يظهر. يقول: فإن ترجِعوا إلى الصلح لا نظهر[3] العداوة والحرب التي كانت بيننا، وإن تبعثوا الحرب -أي: تعودوا إلى الحرب- نعُد إليها.

قوله: (**عن صدِّ موسى**) مضاف إلى المفعول.

---

١ ن: أخفها.

٢ **ديوان امرئ القيس**، ص ١٨٦.

٣ ف ن: تظهر.

قلتُ: فيه وجهان:

أحدهما: أن صدَّ الكافر عن التصديق بها سببٌ للتكذيب، فَذُكِر السَّببُ ليدُل على المسَبَّب.

والثاني: أنَّ صَدَّ الكافر مُسبَّبٌ عن رَخاوةِ الرجُل في الدِّين ولِينِ شكيمتهِ، فذُكِرَ المسبَّبُ ليدلَّ على السبب؛ كقولهم: "لا أَرينَّكَ هاهُنا" المراد: نهيُه عن مشاهدتهِ والكونِ بحضرته، وذلك سَببُ رؤيته إيَّاه، فكان ذكرُ المسبَّب دليلًا على السَّبب؛ كأنَّه قيل: فَكُن شديدَ الشَّكيمة صَليبَ المَعْجَم حتى لا يَتلوَّحَ منك لمن يكفُرُ بالبَعث أنه يَطمعُ في صَدِّك عمَّا أنت عليه، ....

قوله: **(أنّ صدَّ الكافر)** مضاف إلى الفاعل. وقوله: **(سبب للتكذيب)** فكأنّ المعنى: فلا تُكذِّبَنّها.

قوله: **(شَكيمتِهِ)** الشَّكيمة والشَّكيم في اللجام: الحديدة المعترِضة في فم الفرس التي فيها الفأس، والجمع: الشكائم، وفلان شديد[1] الشَّكيمة إذا كان شديد النفْس أنِفًا أبيًّا؛ وذلك لأنّ شَكيمة الفرس إنّما تجعل شديدة إذا كان الفرس جَموحًا أبيًّا.

قوله: **(عن مشاهدته)** هي مِن الشهود بمعنى الحضور.

قوله: **(والكون بحضرته)** كالتفسير لـ"مشاهدته".

قوله: (صليبَ المَعجَم) المَعجَم: المَغْمَز،[2] أي: موضع الامتحان، مِن العَجْم بمعنى الامتحان.

قوله: **(أنّه يطمع)** فاعل "يتلوَّح"، ومعنى "يتلوّح": يظهر ويبدو،[3] يقال: لاح البرق إذا وَمَض، ولاح وألاح إذا بدا، فالمعنى: مِنك طمع الكافر في صدِّك. وتقرير هذا المعنى أن نقول: إذا كان في الشخص رِخاوة في الدِّين ولينُ شكيمةٍ فمَن نظر في رخاوته ولين شكيمته يظهر له أنّ الكافر سيطمع في صدِّه، فقيل:

---

[1] ن: شديده.

[2] فيه مَغْمَزٌ وغَميزَة، أي: مَطْعَن. **القاموس المحيط** للفيروزآبادي، «غمز».

[3] ن: ويبدوا.

يعني: أنَّ مَن لا يؤمِنُ بالآخرة هم الجَمُّ الغفيرُ؛ إذ لا شيء أَطمُّ عَلى الكفرة ولا هُم أشَدُّ له نكيرًا من البَعث، فلا يَهُولَنَّكَ وُفُورُ دَهمائهم وعِظَمُ سَوادهم، ولا تجعَلِ الكثرةَ مَزِلَّةَ قدمِك، واعْلم أنَّهم وإن كثرُوا تلك الكثرةَ فقِدْوَتُهم فيما هُم فيه هو الهَوى واتِّباعُه لا البُرهانُ وتَدبُّرهُ.

وفي هذا حَثٌّ عظيمٌ على العمل بالدليل، وزجرٌ بليغٌ عن التقليد، وإنذارٌ بأنَّ الهلاكَ والرَّدَى مع التقليد وأَهله.

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾

لا يكن فيك رِخاوة؛ لئلا يظهر لمَن نظر فيك وفي حالك طمع الكافر في صدِّك، فلا تكن بحيث يظهر مِن حالك طمع الكافر في صدّك.

قوله: (**هم الجَمُّ**) أي: الكثير، يقال: جمَّ المال وغيره إذا كثُر. والغَفْر: التغطية، ويقال:[1] جاءوا جمًّا[2] غفيرًا، والجمّاءَ الغفيرَ، أي: جاءوا بجماعتهم الشريف والوضيع ولم يتخلّف أحد، وكانت فيهم كثرة كأنّهم بكثرتهم يَغفِر -أي: يستر- بعضهم بعضًا. وقوله: (**إذ لا شيء**) علّة كثرتهم. وقوله: (**أطمُّ**) أي: يعظُم عليهم قبول ذلك ويستبعدونه استبعادًا عظيمًا كأنّه عندهم مُحال، وقوله: (**أطمُّ على الكفرة**) أي: مِن البعث.

قوله: (**مِن البعث**) تنازع فيه "أطمُّ" و"أشدُّ". وقوله:[3] (**فلا يَهولنّك**) مسبَّب عن قوله: (**هم الجمّ الغفير**). وقوله: (**دهمائهم**) دهماء النّاس: جماعتهم.

قوله: (**واتّباعه**) لقوله: ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَتَرْدَىٰ﴾ يجوز أن يكون نصبًا على جواز النهي، ورفعًا، أي: فإذا أنت تردى.[4]

---

[1] ن: وقالوا.

[2] د: جمّاء.

[3] ن: قوله.

[4] ن – قوله تعالى: ﴿فَتَرْدَىٰ﴾ يجوز أن يكون نصبًا على جواز النهي ورفعًا أي فإذا أنت تردى.

﴿تِلْكَ بِيَمِينِكَ﴾ كقوله: ﴿وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [هود ٧٢/١١] في انتصاب الحال بمعنى الإشارة، ويجوز أن يكون ﴿تِلْكَ﴾ اسمًا موصُولًا صِلتُه ﴿بِيَمِينِكَ﴾.

إنما سأله ليُرِيَه عِظَم ما يَخْتَرِعُه عزَّ وعلا في الخشَبة اليَابسة من قلبِهَا حَيَّةً نَضْنَاضَةً، وليُقرِّرَ في نفسِه المُبَايَنةَ البعيدةَ بين المقلوبِ عنه والمقلوبِ إليه ويُنبِّهَه عَلى قُدرتِهِ البَاهرة.

ونظيرُه: أَنْ يُريَك الزَّرَّاد زُبْرةً من حَديدٍ ويقولَ لك: ما هي؟ فتَقُولَ: زُبْرةُ حديدٍ، ثم يرِيَكَ بَعد أيّام لَبُوسًا مُسرَّدًا فيقولَ لك: هي تلك الزُّبْرَةُ صَيَّرتُهَا إلى ما تَرى من عجيبِ الصَّنعة وأَنيقِ السَّرْد.

﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ۝١٨﴾

قوله: (ويجوز أن يكون)... إلخ يريد: أنّ ﴿تِلْكَ﴾ اسم موصول، كما جاء "هذا" موصولًا في قول الشاعر:

عَـدَسْ ما لـعبَّادٍ عليكِ إمارةٌ أمِنتِ وهـذا تحملينَ طليقُ[1]

عَـدَس: اسـم بغلـة. "وهـذا تحملين"، أي: والـذي تحملينـه، وهـذا مذهب الكوفيّين.

أي: ما التي بيمينك؟[2] بمعنى قارّةٌ ومأخوذة، وهذا على مذهب الكوفيّين، أي: هم يجعلون ﴿تِلْكَ﴾ اسمًا موصولًا، و﴿بِيَمِينِكَ﴾ صلته.

قوله: (نَضْناضةً) النضنضة: تحريك الحيّة لسانها، ويقال للحيّة: نضْناض ونَضناضة؛ لذلك قال عيسى بن عمر: سألت ذا الرُّمة عن النضناض، فلم يَزدني

[١٢١و] / أن حرَّك لسانه في فيه.[3]

قوله: (الزرّاد) الزَّرْد مثل السَّرْد؛ تداخل حِلَق الدِّرع بعضها في بعض، والزَّرَد بفتحتين: الدِّرع المزرودة، والزَّرّاد: صانعها، واللَّبوس: الدِّرع.

---

[1] ليزيد بن مفرغ كما في **الصحاح** للجوهري، «عدس».

[2] ف + قوله: "بيمينك".

[3] **الصحاح** للجوهري، «نضنض».

قرأ ابن أبي إسحاق: "عَصَيَّ" على لغةِ هُذيلٍ، ومثلهُ: "يا بُشْريَّ"، أَرادُوا كسرَ ما قَبل ياءِ المتكلِّم فلم يقدرُوا عليه فقلبوا الألفَ إلى أختِ الكسرة.

وقرأ الحسَن: "عصايِ" بكسر الياء لالتقاء الساكنين، وهو مثلُ قراءَة حمزة: ﴿بمصرخيِّ﴾ [إبراهيم ٢٢/١٤].

وعن ابن أبي إسحاقَ سُكون الياء.

﴿أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا﴾: أعتمِدُ عليها إذا أعيَيْتُ، أَو وقَفتُ على رأس القطيع، وعندَ الطَّفرة.

"هَشَّ الوَرقَ": خَبَطَه؛ أي: أَخبِطُهُ على رؤُوس غَنمي تأكُله.

وعن لقمان بن عَادٍ: «أكلتُ حُقًّا وابنَ لَبُونٍ وجَذَعْ، وهَشَّةَ نَخِبٍ وسَيْلًا دُفَع، والحمدُ لله من غيْر شِبَع».

قوله: (قرأ ابن أبي إسحاق)[١] أبو إسحاق هو الزجّاج.[٢]

قوله: (إلى أخت الكسرة) وهي الياء، فلمّا انقلبت ياء أدغمت[٣] في الياء.

قوله: (لالتقاء الساكنين) أي: على غير حدّه.

قوله: (وعند الطَّفْرة) أي: الوثبة مِن جانب النهر إلى جانب آخر.

قوله: (أكلتُ حِقًّا وابنَ لبونٍ وجَذَع،[٤] وهشّة نخبٍ وسيلًا دُفَع، والحمد لله مِن غير شِبَع)[٥] منثور غير منظوم، و"هشّةَ" أي: مخبوطة، "الهشّة" واحد الهشّ؛

---

١ انظر: المحتسب لابن جنّي، ٤٩/٢.

٢ ف ن: الرجاج. | ابن أبي إسحاق هو عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي البصري، جدّ يعقوب بن إسحاق الحضرمي أحد العشرة. انظر: غاية النهاية لابن الجزري، ٤١٠/١. وأمّا أبو إسحاق الزَّجّاج فهو إبراهيم بن السري بن سهل الزَّجّاج. انظر: طبقات النحويين لأبي بكر الإشبيلي، ص ١١١.

٣ د ف: أدغم.

٤ قال الطيبي: «الحِقّ بالكسر: ما كان مِن الإبل ابن ثلاث سنين وقد دخل في الرابعة، سُمّي لاستحقاقه أن يُحمل عليه وينتفع به. وابن لبون: إذا استكمل الثانية ودخل في الثالثة؛ لأنّ أمّه وضعت غيره فصار لها لبن، وهي نكرة تعرف بالألف واللام. والجذع؛ قيل: الثنيّ، وهو مِن الإبل ما طعَن في السنة الخامسة». حاشية الطيبي على الكشّاف، ١٥١/١٠.

٥ لم أجد مَن ذكَره غير الزمخشري، وفي المَثل: "تَجَشَّأ لقمانُ مِن غير شِبَعٍ"، يضرَب لمن يَدَّعي ما ليس يملك. انظر: مجمع الأمثال للميداني، ١٢٥/١.

سَمِعتُه من غير واحدٍ من العرب، ونَخِبٌ: وادٍ قريبٌ من الطائف كثيرُ السِّدر.

وفي قراءة النَّخعي: "أَهِشُّ"، وكلاهما من هَشَّ الخُبزُ يَهِشُّ: إذا كان يَنكسرُ لهَشَاشتِه.

وعن عكرمةَ: "أَهُسُّ" بالسين؛ أي: أُنحِي عَليها زاجرًا لها، والهسُّ: زَجرُ الغَنم.

ذكرَ عَلى التفصيل والإجمال المنافعَ المتعلِّقةَ بالعَصا كأنَّه أحَسَّ بما يَعقُبُ هذا السُّؤالَ من أمرٍ عظيمٍ يُحدِثه الله، فقال: ما هي إلا عَصًا لا تَنفعُ إلا منافعَ بناتِ جنسِها وكما تَنفعُ العيدانُ. ليكون جوابُه مُطابقًا للغَرَضِ الذي فهمَه من فحوَى كلام ربِّه.

ويجوز أن يريدَ عز وجَل أن يُعدِّدَ المَرافقَ الكثيرَة التي عَلَّقها بالعصا ويَستكثرَها ويستَعظِمَها، ثُمَّ يُرِيَه على عَقِب ذلك الآيةَ العظيمةَ؛ كأنَّه يقول له: أينَ أنتَ عن هذه المَنفعةِ العُظمى والمأرُبةِ الكُبرى المَنسيَّةِ عندها كلُّ مَنفعةٍ ومَأرُبةٍ كنتَ تَعتَدُّ بها وتحتَفِلُ بشَأنها.

مِن كلّ شيء ما فيه رِخاوة، والمراد هنا: الثمار، ويقال في المَثل: "آكَلُ[١] مِن لقمان"، يعنون: لقمان العادي، زعموا أنّه كان يتغدى بجَزور ويتعشّى بجَزور.[٢] و"الدُّفعة": سيل يملأ الوادي، والجمع: دُفَع، مثل: بُرْقة وبُرَق، وقال في **المُجمل**: «الدُّفعة مِن المطر والدم وغيره، مثل: الدَّفعة».[٣]

قوله: (**وفي قراءة النخعي: "أَهِشُّ"**)[٤] "أَهِشّ" بالكسر في قراءة النخعي بمعنى "أَهُشّ" بالضمّ في القراءة المشهورة.

قوله: (**وكلاهما**) يعني: "أهُشّ" بالضمّ والكسر؛ مأخوذ مِن معنى: هشّ الخبزُ.

قوله: (**أُنحِي عليها**) أنحَى عليه بالسوط إذا رفعه موهِمًا لضَربه.

قوله: (**أن يُعدِّد**) أي: موسى. وقوله: (**ثمّ يريه**) أي: يريه الله تعالى. وقوله: (**والمأرُبة**)[٥] الحاجة. وقوله: (**وتحتفل**) يقال: حفِلت كذا، أي: باليتُ به.

---

١ ف: آكِل.

٢ انظر: **مجمع الأمثال** للميداني، ٨٦/١، وقال: «وهذا مِن أكاذيب العرب».

٣ ف ن: الدفقة. | **مجمل اللغة** لابن فارس، «دفع».

٤ وهي قراءة شاذّة. انظر: **المحتسب** لابن جنّي، ٥٠/٢.

٥ ن: ومأربة.

وقَالوا: إنما سأَله ليَبسُطَ منه ويُقلِّل هَيْبتهُ.

وقالُوا: إنما أَجمَل موسى عليه السلامُ ليسأَله عن تلك المآرِبِ فيَزِيدَ في إكرامه.

وقالوا: انقطعَ لسَانهُ بالهيبة فأجمَلَ.

وقالوا: اسمُ العصَا: نَبْعَةُ.

وقيل في المآرب: كانت ذاتَ شُعبتَينِ ومحْجَنٍ، فإذا طَال الغُصنُ حَنَاه بالمحجَن، وإذا طلبَ كسْرَه لَوَاهُ بالشُّعبَتين وإذا سَار ألقَاهَا على عَاتقه فعَلَّق بها أَدَواته من القَوْس والكِنَانةِ والحِلَاب وغَيْرِهَا، ....

قوله: (ليَبسُط مِنه) "مِن" للتبعيض أو للابتداء، أي: ليجعله منبسطًا غير متقبض.

قوله: (وقالوا: إنّما أجمَل موسى) وقريب مِن إجمال موسى عليه السلام في لفظ "المآرب" هذا المعنى:

تصامَمْتُ إذ نطَقتْ ظبْيةٌ تصيد الأُسودَ[١] بألحاظِها
وما بيَ وَقْرٌ ولكنَّني أردتُ إعادةَ ألفاظِها[٢]

قوله: (اسم العصا: نبعةُ) "نبعةُ" غير منصرف؛ للعلميّة والتأنيث.

قوله: (وقيل في المآرب) أي: في تفسير المآرب.

قوله: (حناه) أي: ثناه.

قوله: (المِحجن) حجَنتُ الشيء واحتجنتُه:[٣] جذبتَه بالمِحجَن إلى نفسك.

قوله: (والحِلاب)[٤] و"الحِلاب" بمعنى المِحلب، كما في قول الشاعر:

---

١ د ن: الأسد.

٢ ذكرهما البلوي في تاج المفرق، ٢/٧٣، وذكر أنّ قوام الدين العجمي ادّعاهما لنفسه، وقال: «وأعجب بالبيتين صاحبنا شافع ابن عبد الظاهر كاتب السرّ للسلطان الملك الناصر، فاستحسنهما واستقصر جميعَ مَن عارضه فيهما مِن الشعراء، ثمّ وقع في نفسه أنّهما لغيره، فلم يزل يكشف عنهما حتّى وجدَهما لابن الرومي». ولم أجدهما في ديوان ابن الرومي.

٣ ن: واحجته.

٤ ن: والخلاب.

وإذا كان في البَرية رَكزهَا وعَرضَ الزَّنْدَين على شُعْبتيْهَا وألقى عَليها الكسَاء واستَظل، وإذا قصُر رِشَاؤه وصَلهُ بها، وكان يُقاتِل بها السِّباعَ عن غنمه.

وقيل: كان فيها من المعجزات: أنه كان يَستقي بهَا فتَطولُ بطُول البئر وتَصيرُ شُعبتَاها دَلوًا، وتكُونان شَمعَتَينِ بالليل، وإذا ظهر عَدوٌّ حَارَبت عنه، وإذا اشتَهى ثمرةً رَكزهَا فأورقَتْ وأثمرَتْ، وكان يحملُ عليها زادَه وسِقَاءهُ، فجعلت تُماشيهِ ويَركُزُهَا فيَنبعُ الماء فإذا رَفعها نضَبَ، وكانَت تَقِيهِ الهوَامَّ.

﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾﴾

"السَّعي": المشيُ بسُرعَةٍ وخفَّةِ حرَكةٍ.

صاحِ هل ريتَ أو سمعتَ براعٍ ردَّ في الضَّرعِ ما قَرَى[1] في الحِلابِ[2]

أي: جَمع.

قوله: **(رَكزَها)** أي: أثبتها. وقوله: **(وعرَض الزَّندين)** هو مِن قولهم: عرَض العودَ على الإناء، والسيفَ على فخذه، يعرُضُه ويعرِضُه أيضًا، قال في **الصِّحاح**: «فهذه وحدها بالضم»،[3] يريد أنّ العرْض بالمعاني الأُخَر لم يجئ في مضارعه إلّا الكسر. و"الزَّند": العود الذي يُقدح به النّار، وهو الأعلى، والزَّندة: السفلى، فيها ثقبٌ، وهي الأنثى، فإذا اجتمعا قيل: زَندان، ولم يُقل: زَندتان.[4]

قوله: **(تَقيه)** أي: يحفظه،[5] مِن الوقاية. وقوله: **(الهَوامَّ)** الهميم: الدبيب؛ وهو المشي على الأرض، ومِنه الهامّة مِن الدوابّ؛ ما يَقتل مِن ذوات السموم، والجمع: هوامّ.

---

[1] ن: قرا.
[2] لإسماعيل بن بشّار في **الصحاح** للجوهري، «رأى».
[3] **الصحاح** للجوهري، «عرض».
[4] **الصحاح** للجوهري، «زند».
[5] ف: تحفظه.

فإن قلتَ: كيف ذُكرتْ بألفاظ مختلفةٍ: بالحيَّة **والجَانِّ والثُّعبانِ؟**

قلتُ: أمَّا الحيَّة فاسمُ جنسٍ يقعُ عَلى الذَّكَر والأُنثى والصَّغير والكبير، وأمَّا الثُّعبانُ والجانُّ فبينهُما تَنافٍ؛ لأن الثعبَان: العظِيمُ من الحيَّاتِ، والجانَّ: الدقيقُ. وفي ذلك وجهان:

أحدُهما: أنَّها كانت وقتَ انقلابها حَيَّة تنقَلب حيَّةً صَفْراءَ دقِيقةً ثم تَتورَّمُ ويتَزايدُ جِرْمُها حَتى تَصِيرَ ثُعبَانًا، فَأُرِيدَ بالجَانِّ أوَّلُ حالها وبالثُّعبان مآلُها.

والثاني: أنَّها كانت في شخْصِ الثُّعبانِ وسُرعَةِ حَركة الجَانِّ، والدَّليلُ عليه قوله: ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ [النمل ٢٧/١٠].

وقيل: كانَ لها عُرفٌ كعُرف الفَرَسِ.

وقيل: كان بين لحيَيْها أربعُون ذراعًا.

﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾

لمَّا رأى ذلك الأمرَ العجيبَ الهائل مَلَكه من الفَزع والنِّفارِ ما يَملِكُ البَشَرَ عِند الأَهْوال والمخَاوِف، وعن ابن عباس رضي الله عنه: انقلَبت ثعبَانًا ذَكرًا يَبْتلِعُ الصَّخر والشَّجَر فلمَّا رآهُ يَبتلِعُ كلَّ شيء خاف ونفَر.

وعن بعضهم: إنَّما خافَها؛ لأنه عَرفَ ما لَقِيَ آدمُ منها.

قوله: **(فإن قلت: كيف ذُكِرت؟)** أي: العصا. وقوله: **(وفي ذلك وجهان)** أي: في كون الحيّة ثعبانًا وجَانًّا، أي: في كونها متّصِفة بهما.[1]

[١٢١ظ] / قوله: **(بالحيّة)** بدل مِن "بألفاظ".

قوله: **(تنقلب)** خبر "كانت".

قوله: **(عُرْف)** عُرْف الفرس: شعر عنقه.

قوله: **(وعن بعضهم: إنّما خافها)**[2] أي: الحيّة. وقوله: **(مِنها)** أي: مِن الحيّة؛

---

[1] ن - قوله: (فإن قلت: كيف ذُكِرت؟) أي: العصا. وقوله: (وفي ذلك وجهان) أي: في كون الحيّة ثعبانًا وجَانًّا، أي: في كونها متّصِفة بهما.

[2] ن: أضافها.

وقيل: لمَّا قال له ربُّه: ﴿لا تَخَفْ﴾ بَلغَ من ذهَاب خَوفه وطُمأنينةِ نفسهِ أن أَدخل يَده في فمها وأَخَذ بلحْييها.

"السِّيرةُ" من السَّير كالرِّكبَة من الرُّكوب؛ يقال: "سَار فلانٌ سِيرةً حَسنةً" ثم اتُّسِعَ فيها فنُقِلتْ إلى معنى المذهب والطريقة وقيل: سِيَرُ الأوَّلينَ، فيَجوز أن ينتصبَ على الظرف؛ أي: سَنُعِيدُهَا في طَريقتها الأُولى؛ أي: في حالِ ما كانَت عصًا، وأَن يكون "أَعَادَ" منقولًا من "عَادَه" بمعنى "عَادَ إليه"، ومنه بيتُ زهَيْر:

وعَـــادَكَ أَن تُلاقِيَهـــا عَـــدَاءُ

فيتَعَدَّى إلى مفعُولين.

لأنّه دخل إبليس في فيها فوسوس إلى آدم؛ لأنّها كانت مِن الشجرة التي أكل مِنها آدم عليه السلام،[1] والصحيح أنّ عصا موسى مِن آس الجنّة، والشجرة التي أكل مِنها آدم هي الكرْمة أو الحِنطة على اختلاف الروايات. هذه الحاشية لا تتعلّق بهذا الموضع.[2]

قوله: (**فيجوز أن ينصَب**) يعني أنّ "السيرة"[3] بمعناها الأصلي لا تصحّ أن تُنصب على الظرف؛ لأنّ معناها لا يساعد على ذلك؛ لكن لمّا نُقلَت إلى معنى المذهب والطريقة جاز انتصابها على الظرفيّة.

قوله: (**في حال ما كانت**) "ما" مصدرية.

قوله:

(وعَـــادَكَ أن تلاقِيَهـــا عَـــداءُ)

أوّله:

فـــصَـــرِّم حَـبـلَـهـا إذ صـرَّمَـتْـهُ[4]

---

[1] ن: أكل آدم منها.

[2] لعلّ مراده بما لا يتعلّق بهذا الموضع قوله: "لأنّها كانت مِن الشجرة"... إلخ، فهو لا يصحّ علّة لخوف موسى مِن الحيّة، كما لا يصحّ علّة لدخول إبليس في الحيّة، وليس موضوع الحاشية جنس عصا موسى، لذلك استدرك بهذه العبارة.

[3] ف: السترة.

[4] لزهير بن أبي سلمى. انظر: شرح شعر زهير لثعلب، ص ٥٧، وفيه: "العَداءُ" بالألف واللام.

ووجهٌ ثالثٌ حَسنٌ: وهو أَن يكون ﴿سَنُعِيدُهَا﴾ مُستَقِلًّا بنَفسِه غيرَ متعلِّقٍ بـ﴿سِيرَتَهَا﴾، بمَعنى: أنَّها أُنشِئَتْ أولَ ما أُنشئَتْ عصًا، ثم ذهبَتْ وبطَلَتْ بالقَلبِ حيَّةً، فسَنُعيدُهَا بعدَ الذَّهاب كما أنشأناها أولًا، ونُصِبَ ﴿سِيرَتَهَا﴾ بفعلٍ مُضمَرٍ؛ أي: تَسير سيرتَها الأُولى، يعني: سَنُعيدها سائرةً سيرتَها الأولى حيث كُنتَ تتَوكَّأُ عَليها ولكَ فيها المآرب التي عرفتَها.

قال أبو عمرو: بمعنى: شغَلك، وقال الأصمعي: صرَفك. والعَداء: البعد والشغل، وقال الأصمعي: الجَور، أي: وشغَلك أو صرَفك العَداء مِن ملاقاتها. واعلم أنّ المعنى الذي أراد المصنِّف ههنا في "عادَ" غير هذين المعنيين، وهو أن يكون "عادك" بمعنى: عاد إليك، فقوله: "وعادَك" عطف على قوله: "صرَّمَتْه" أي: اقطع حبلَها إذ قطعته هي، وعاد إليك جَور أو شُغْل أو بُعْد، وإذا ثبَت أنّ "عادَ" يتعدّى إلى مفعول واحد بنفسه، فيتعدّى بسبب زيادة الهمزة إلى المفعولين: **الأوّل:**[١] الضمير المتّصل. **والثاني:** ﴿سِيرَتَهَا﴾، فكأنّه قيل: سنعيد إليها سيرَتها الأولى. وأمّا قوله: "عداءُ" في البيت فهو فاعل عادَك.[٢] وقوله: "أن تلاقيها" حال مِنه قدّم عليه، أي: مانعًا عن[٣] ملاقاتها.

قوله: **(ووجه ثالث)** أي: هنا وجه ثالث.

قوله: **(بالقلب حيّةً)** أي: بسبب قلبها حيّة.

قوله: **(حيث كنتَ)**... إلخ في محلّ الحال مِن الضمير المضاف إليه[٤] في "سيرتها"، كأنّه قال: سيرة العصا حاصلةً حيث كنتَ، أي: حاصلةً[٥] في ذلك الزمان. ثمّ إنّ قوله: ﴿سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ -أي: تسير سيرتها- جملة مستأنفة، لا حال كما يُشعِر به قوله: **(سائرةً سيرتها)**؛ لأنّها حال قلبها عصا، لا "تسير سيرتها الأولى"، اللّٰهم إلّا أن يجعل حالًا مقدّرة.

---

١ ف: الأوّلين.

٢ من قوله: "قال أبو عمرو" إلى هنا في **شرح شواهد الكشّاف** لمحبّ الدين أفندي، ص ٩.

٣ ن: من.

٤ ف ن - إليه.

٥ ف - حيث كنت، أي: حاصلة.

﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾﴾

قيل لكلِّ ناحيتين: جَناحان؛ كجناحَي العسكر لمُجنَّبَتَيهِ، وجَناحَا الإنسان: جَنْبَاه، والأصل المستعارُ منه جَناحَا الطَّائر، سُمِّيا جَناحَينِ؛ لأنه يُجْنِحُهما عند الطيران.

والمراد: إلى جَنبك تحتَ العَضُد، دلَّ على ذلك قوله: ﴿تَخْرُجْ﴾.

"السوء": الرَّداءة والقُبح في كلِّ شيء، فكُنِيَ به عن البَرصِ كما كُنِيَ عن العَورَة بالسَّوأةِ، وكان جَذِيمةُ صاحبُ الزَّبَّاء أبرصَ فكَنَوا عنه بالأَبرش.

والبَرَصُ أبغضُ شيءٍ إلى العَربِ، وبهم عنه نفرةٌ عظيمةٌ، وأَسماعُهم لاسْمِه مَجَّاجَةٌ، فكان جديرًا بأَن يُكنَى عنه، ولا نرَى أحسَنَ ولا ألطَفَ ولا أَحزَّ للمفاصِل من كناياتِ القرآنِ وآدَابه.

قوله: (**كجناحَي العسكر**) المَيمنة والمَيسرة. ويقال: جنَّب الرجلُ إذا أخذ جانب الطريق.

قوله: (**لِجَنَبتيه**) أي: لناحيتيه، وفي بعض النسخ: "لمُجنَّبتيه"، قال في **الصِّحاح**: «الجانب والجنَبَة:[1] الناحية، وجنبتُ الدابة إذا قُدتَها إلى جنبك، وخيلٌ مُجنَّبة، شُدِّد للكثرة».[2] وأنا أقول: فالنسخة الأُولى أَولى وأنسب معنًى هنا مِن النسخة الثانية.

قوله: (**يُجنِحُهما**) أي: يميلهما، ومِنه قوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال ٨/٦١].

قوله: (**بالأبرش**) الأبرش في الأصل: حيوان يخالط سوادَه بياضٌ، ومِنه البُرشة؛ وهي اختلاط السواد بالبياض.

قوله: (**إلى العرب**) لا حاجة إلى التقييد بالعرب، فإنّ ذلك مبغوض إلى غيرهم أيضًا. وقوله: (**ولا أحزَّ**) أي: أقطع. وقوله: (**للمفاصل**) أي: المقاطع.

---

[1] ن - والجنبة.

[2] **الصحاح** للجوهري، «جنب».

يُروى: أنه كان آدمَ، فأخرَج يدَهُ من مِدرَعتِه بيضَاءَ لهَا شعاعٌ كشعاعِ الشمسِ تُغشِي البَصَر.

﴿بَيۡضَآءَ﴾ و﴿ءَايَةً﴾ حالانِ معًا، و﴿مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ﴾ مِن صلةِ البيضاء؛ كما تقول: ابيضَّتْ من غيرِ سُوء.

وفي نصبِ ﴿ءَايَةً﴾ وجهٌ آخرُ، وهو أن يكونَ بإضمارِ نحوِ: "خُذْ" و"دُونك" ومَا أشبَهَ ذلك، حُذف لدلالةِ الكلام وقد تعلَّقَ بهذا المحذوف.

﴿لِنُرِيَكَ﴾؛ أي: خُذْ هذه الآيةَ أيضًا بعدَ قلبِ العَصا حيَّةً لنُريَكَ بهاتَين الآيَتينِ بعضَ آياتِنا الكُبرى.

أو: لِنُريكَ بهما الكبرى من آياتنا.

أو: لِنُرِيَكَ من آياتنا الكبرى فعَلْنَا ذلك.

﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٢٤ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةً مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨﴾

لمَّا أمَره بالذهاب إلى فرعَونَ الطاغي -لعنه الله- عَرف أنه كُلِّف أمرًا عظيمًا وخَطْبًا جسيمًا يَحتاجُ معه إلى احتِمالِ ما لا يَحتمِلُهُ إلَّا ذُو جأشٍ رابطٍ

قوله: (**يُروى أنّه**) أي: موسى. وقوله: (**مِن مِدرَعته**) المِدرعة: القميص.

/ قوله: (**يُعشي**[1] **البصر**) أي: يجعل البصر ضعيفًا. [١٢٢و]

قوله: (**بعض آياتنا الكبرى**) يعني: يكون ﴿ٱلۡكُبۡرَى﴾ صفة لـ﴿ءَايَٰتِنَا﴾، ويكون ﴿مِنۡ ءَايَٰتِنَا﴾ مفعول "نُري"، وعلى الوجه الثاني: يكون ﴿ٱلۡكُبۡرَى﴾ مفعول "نُري"، و﴿مِنۡ ءَايَٰتِنَا﴾ حالًا مِن ﴿ٱلۡكُبۡرَى﴾. وقوله: (**فعلنا ذلك**) كقوله تعالى: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام ٦/٧٥] أي: لتكون مِن الموقنين فعلنا ذلك.

قوله: (**ذو جأش**) الجأش: القلب.

---

[1] ن: يغشي.

وصَدرٍ فَسيحٍ، فاستَوهَبَ ربَّه أن يشرَحَ صدره ويُفسِّحَ قَلبَه، ويجعَلَه حَليمًا حَمولًا يَستقبِلُ ما عسَى يَرِدُ عَليه من الشَّدائد -التي يَذهَبُ معها صبرُ الصَّابر- بجَميلِ الصَّبرِ وحُسنِ الثبَات، وأَن يُسَهِّل عَليه في الجُملة أَمْرَهُ الذي هو خلافةُ الله في أَرضِه وما يَصحبُهَا من مُزَاولة مَعَاظِم الشُّؤُونِ ومُقَاسَاةِ جَلائلِ الخُطُوب.

فإن قلتَ: ﴿لِى﴾ في قوله: ﴿أَشْرَحْ لِى صَدْرِى ۝ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى﴾ ما جَدْوَاهُ والكَلامُ بدُونه مُستَتِبٌّ؟

قلتُ: قَد أُبهِمَ الكلامُ أوَّلًا فقيل: ﴿أَشْرَحْ لِى﴾ ﴿وَيَسِّرْ لِىٓ﴾ فعُلم أنَّ ثَمَّ مشرُوحًا ومُيسَّرًا، ثم بُيِّنَ ورُفِع الإبهامُ بذِكْرهما فكان آكَدَ لِطَلَب الشرح والتَّيسِير لصَدره وأَمْرِه من أنْ يقول: "اشرَح صَدري ويسِّر أمري" على الإيضاح السَّاذج؛ لأنه تكريرٌ للمعنى الواحد من طريقي الإجمال والتفصيل.

عن ابن عباس رضي الله عنه: كان في لسَانه رُتَّةٌ؛ لِمَا رُوي من حديث الجَمرة.

قوله: (**مُستَتِبٌّ**) استتبَّ له الأمر، أي: تهيَّأ واستقام.

قوله:[1] (**بذكرهما**) أي: بذكر المشروح والميسَّر، وهما الصدر والأمر في قوله: ﴿صَدْرِى﴾ و﴿أَمْرِى﴾.

قوله: (**فكان آكد**) أي: كان الرفع بعد الإبهام، وكذلك الضمير في قوله: (**لأنّه تكرير**) يعود إلى "الرفع بعد الإبهام". و"مِن" في قوله: (**مِن طريقَي الإجمال**) للابتداء، متعلِّق بقوله: (**تكرير**).

قوله: (**الساذَج**) الساذَج: تعريب "ساده"، وإنّما وصَف "الإيضاح" به؛ لأنّ الإيضاح في الأوّل كان بعد الإبهام، فلم يكن ساذَجًا.

قوله: (**في لسانه رُتَّةٌ**)[2] أي: لُكْنة.[3]

---

[1] ن - قوله.

[2] ن: رتّته. | "الرُّتَّة" بالضم: عجَلة في الكلام، وقلّة أناة. وقيل: هو أن يقلب اللام ياء، وقد رتَّ رُتَّة، وهو أرتّ. قال أبو عمرو: الرُّتة: ردّة قبيحة في اللسان من العيب؛ وقيل: هي العُجمة في الكلام. **لسان العرب** لابن منظور، «رتت».

[3] اللُّكنة: عُجمة في اللسان وعي. يقال: رجل ألكَن بين اللُّكَن. **لسان العرب** لابن منظور، «رتت».

ويُروَى: أَنَّ يَده احترقَتْ، وأنَّ فرعَونَ اجتَهَد في عِلاجهَا فلَم تبْرَأ، ولمَّا دعَاه قال: إلى أيِّ رَبٍّ تدعُوني؟ قال: إلى الذي أبرأ يدِي وقد عجزْتَ عنها.

وعن بعضهم: إنما لم تبْرَأ يدهُ لئَلَّا يُدخلها مع فرعونَ في قَصعةٍ واحِدةٍ فتَنعقِدَ بَينَهما حُرمَةُ المُواكلة.

واختُلفَ في زوالِ العُقدة بكمَالِهَا؛ فقِيل: بقي بَعضُها لِقوله: ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَأَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ [القصص ٣٤/٢٨]، وقوله: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف ٥٢/٤٣]، وكان في لسان الحسين بن علي رضي الله عنهما رُتَّةٌ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ورثَها من عَمِّهِ مُوسى».

وقيل: زالت؛ لقوله تعالى: ﴿قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه ٣٦/٢٠].

وفي تنكير العُقدة وأَنْ لم يَقُل: "واحْلُلْ عُقدَةَ لسَاني": أنَّه طَلَب حَلَّ بَعضِها إرادةَ أن يُفهَم عنه فهمًا جيّدًا، ولم يَطلُب الفصاحَة الكاملة.

و﴿مِن لِّسَانِي﴾ صفةٌ للعُقدَة؛ كأنه قيل: عُقدةٌ من عُقَدِ لساني.

قوله: (**وكان في لسان الحسين بن عليّ رضي الله عنه**[1] **رُتَّةٌ**)[2] رجل أرتّ: في لسانه رُتّة؛ وهي عجَلة في الكلام، وهي كالريح[3] تمنع[4] الكلام، فإذا جاء مِنه شيء اتّصل، وهي غريزة تَكثُر في الأشراف.[5]

قوله: (**وفي تنكير "العُقدة"**) جواب عن التمسك بقوله تعالى: ﴿أُوتِيتَ﴾، وقوله تعالى: ﴿عُقۡدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ كقوله تعالى: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم ٣٧/١٤]، قال عليه الصلاة والسلام: «لو قال: أفئدةَ النّاس؛ لزحَمتكم الفرس والروم».[6]

قوله: (**كأنّه قيل: عقدةٌ مِن عُقَد لساني**) بحذف المضاف.

---

١ ف: عنهما.

٢ قال الزيلعي: «غريب جدًّا». **تخريج أحاديث الكشّاف** للزيلعي؛ ٣٥٢/٢.

٣ كذا في الأصول الخطّيّة وأكثر المصادر اللغويّة، وفي المطبوع من **المُغرب**: "كالرَّتج".

٤ ن: يمنع.

٥ انظر: **المُغرب** للمطرّزي، «رتت».

٦ لم أجده مرفوعًا، وأخرجه الطبراني موقوفًا على مجاهد، وأخرج البيهقي نحوه موقوفًا على ابن عبّاس. انظر: **المعجم الكبير** للطبراني، ٣٤٢/١٣ (١٤١٥٦)؛ **شعب الإيمان** للبيهقي، ٤٥٥/٥ (٣٧٠٨).

الوزيرُ من الوِزْر؛ لأنّه يتحمَّلُ عن المَلِك أَوزارَهُ ومُؤنَهُ، أو مِن الوَزَرِ؛ لأن المَلِك يَعتصِمُ برَأيه ويُلْجِئُ إليه أمُورَه، أو من المُؤازَرةِ وهي المعاوَنةُ.

عن الأصمعيّ قال: وكان القياسُ: "أَزِير" فقُلِبت الهمزةُ إلى الواو.

ووجهُ قلبِها: أنَّ "فَعيلًا" جاء في معنى "مُفاعِلٍ" مَجيئًا صالحًا؛ كقولهم: عشيرٌ وجليسٌ وقعيدٌ وخلِيلٌ وصديقٌ ونديمٌ، فلمّا قُلبَت في أخيه قلِبَت فيه، وحَملُ الشيء على نظيره ليس بعَزيزٍ، ونظرًا إلى يُوازِر وَأَخواتِه وإلى المُوازَرة.

﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ۝٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ۝٣٠ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ۝٣١ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ۝٣٢ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۝٣٣ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ۝٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ۝٣٥﴾

﴿وَزِيرًا﴾ و﴿هَٰرُونَ﴾ مفعُولا قوله: ﴿اجْعَلْ﴾ قُدِّم ثانيهما على أوّلهما عِنايةً بأمر الوِزارة.

أو ﴿لِي وَزِيرًا﴾ مفعولاهُ و﴿هَٰرُونَ﴾ عطفُ بيَان لـ"الوزير".

و﴿أَخِي﴾ في الوجهين بَدلٌ من ﴿هَٰرُونَ﴾، وإن جُعل عَطْفَ بيانٍ آخرَ جَاز وحَسُنَ.

قَرأوا جَميعًا: ﴿ٱشْدُدْ﴾ ﴿وَأَشْرِكْهُ﴾ ....

قوله: (**مِن الوِزْر**) الوِزْر: الثِقل والإثم، والوَزَر: الملجأ، وأصل الوَزَر: الجبل.

قوله: (**عن الأصمعي قال: وكان القياس: أزير**)، قال في **الحُجّة**: «قال أبو عبيدة: ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي﴾ أي: ظهري، قال يقولون: آزَرَني، أي: صار ظهرًا، ويشبه أن يكون آزَر لغة مِن وازر».[1]

قوله: (**في أخيه**) المراد بقوله: "أخيه": المؤازر؛ لأنّه بمعناه.

قوله: (**مجيئًا صالحًا**) أي: كثيرًا.

قوله: (**﴿وَزِيرًا﴾ و﴿هَٰرُونَ﴾**) أي: كلاهما.

قوله: (**جاز وحَسُنَ**) لتأكيد[2] طلبه لهارون أخيه.

---

[1] **الحجّة** لأبي عليّ الفارسي، ٣/٥١٧.

[2] ف: لتأكيده.

على الدُّعَاءِ، وابنُ عَامرٍ وَحْدَهُ ﴿أَشْدُدْ﴾ و﴿أُشْرِكْه﴾ على الجَواب.

وفي مصحف ابن مَسعُود: "أخي واشْدُدْ"، وعن أُبيّ بن كعْبٍ: "أَشرِكْه في أَمري واشْدُدْ به أَزري".

ويجوز فيمَن قرأ عَلى لَفْظ الأَمر أن يُجعَل ﴿أَخِى﴾ مرفوعًا على الابتداء و﴿ٱشْدُدْ بِهِۦ﴾ خبَرَهُ ويُوقَف عَلى ﴿هَٰرُونَ﴾.

"الأزرُ": القوَّةُ، وآزَره: قوَّاهُ؛ أي: اجعَله شَريكي في الرسالة حتى نتَعاونَ على عبادتكَ وذِكرك؛ فإنَّ التعاوُنَ -لأنَّه مهيّجُ الرغَباتِ- يتَزايدُ به الخَيرُ ويَتكاثرُ.

﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾؛ أي: عالِمًا بأَحوالِنا وبأَنَّ التَّعاضُد ممَّا يُصلِحُنا، وأَنَّ هَارُونَ نِعْمَ المعينُ والشَّادُّ لعضُدِي بأنه أكبَرَ مِنِّي سِنًّا وأَفصحُ لسَانًا.

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾﴾

السُّؤل: الطَّلِبةُ، فُعْلٌ بمعنى مَفعولٍ؛ كقولك: "خُبزٌ" بمعنى "مخبُوزٍ"، و"أُكْلٌ" بمعنًى "مأكُول".

قوله: (**على الدعاء**) قال أبو عليّ: «والدعاء أظهر؛ لأنّ كلّ ما تقدَّمه دعاء، فكذا ما عُطف عليه، فأمّا الإشراك فيبعُد فيه الحمل على غير الدُّعاء؛ لأنّ الإشراك في النبوّة لا يكون إلّا مِن الله سبحانه، اللّهم إلّا أن يجعله أمره وشأنه[1] الذي هو غير[2] النبوّة، فأمَّا ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى﴾ فحَمْله على الإخبار وغير[3] الدعاء أسهل؛ لأنّ الشدّ يكون مِن هارون لموسى».[4]

قوله: (**يتزايد**) خبر "إنّ" قدّم عليه العلّة.

قوله: (**كقولك**: **خبز؛ بمعنى مَخبوز، وأكل؛ بمعنى مَأكول**) بالفتح فيهما بمعنى المصدر، وبالضمّ بمعنى المفعول.

---

١ العبارة في **الحجّة**: "إلّا أن يُجعل أمره شأنه".

٢ ف: غر.

٣ ف: غر.

٤ **الحجّة** لأبي عليّ الفارسي، ٥١٧/٣.

الوَحي إلى أُمِّ موسى: إمَّا أن يكون على لسان نَبيٍّ في وَقتها كقوله: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ﴾ [المائدة ١١١/٥]، أو يَبعثُ إليها مَلَكًا لا على وَجهِ النُّبوَّة كما إلى مَريمَ، أو يُرِيَها ذلك في المَنام فتتَنبهَ عليه، أو يُلهِمَها كقوله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل ٦٨/١٦]؛ أي: أَوحينا إليها أمرًا لا سبيلَ إلى التوصُّل إليه ولا إلى العِلم به إلا بالوحي، وفيه مصلحةٌ دينيَّةٌ فوَجَب أن يُوحَى ولا يُخَلَّ به؛ أي: هو ممَّا يُوحَى لا مَحالة، وهو أمرٌ عظيمٌ مِثلُه يحقُّ بأنْ يُوحَى.

﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾

﴿أَنِ﴾ هي المفسِّرةُ؛ لأن الوَحيَ بمعنى القول.

"القذفُ" مستعمَلٌ في معنى الإلقاء والوضع، ومنه قولُه تعالى: ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ [الأحزاب ٢٦/٣٣]، وكذلك الرَّميُ؛ قال:

غُـــلامٌ رمـــاهُ اللهُ بـالـحُـسـن يَـافِـعًـا

قوله: **(لا سبيل إلى التوصّل)** المراد بـ"التوصّل إليه" هو فعله، فإنّ أحدًا لا يفعل هذا الفعل بابنه الذي يحبّه إلّا بعد أن يوحى إليه فعل ذلك. وقوله: **(ولا إلى العلم به)** أي: لا يعلم أنّ هذا الفعل مصلحة وأنّه مما ينبغي أن يُفعل إلّا بالوَحي، ويجوز أن يقال: "ولا إلى العلم به" عطف على قوله: "إلى التوصّل" بطريق البيان، ولفظة "لا" زيادة[١] مَحضة، فكأنّه قيل: لا سبيل إلى العلم به إلّا بالوحي، ثمّ إنّ المصنِّف أدخل الباء في قوله: **(بالوحي)** نظرًا إلى المعنى؛ لأنّ معنى قوله: "لا سبيل"... إلخ: لا يُتوصّل إليه إلّا بالوحي، ولا يُعلم إلّا بالوحي.

[١٢٢ظ] قوله: **(وفيه مصلحة دينيّة)** / تتمة لقوله: "لا سبيل"... إلخ. وقوله: **(فوجب)** نتيجة الكلامين. وقوله: **(أي: هو ممّا يوحى إليه)** زيادة تبيين وتفسير للكلام المتقدِّم.

قوله:

(غـــلامٌ رمـــاه الله بالحُســـن يافعًـــا)

---

[١] ن: زائدة.

أي: حَصَّلَ فيه الحُسْنَ ووضَعَهُ فيه، والضمائرُ كلُّها راجعةٌ إلى مُوسى عليه السلام.

ورجوعُ بعضِها إليه وبَعضِها إلى التَّابوت فيه هُجنةٌ؛ لِمَا يُؤدِّي إليه من تَنافُرِ النَّظم.

فإن قلتَ: المقذوفُ في البحر هو التابوتُ وكذلك المُلقَى إلى السَّاحل.

قلتُ: ما ضَرَّك لو قلتَ: المقذوفُ والمُلْقَى هُو مُوسَى عليه السلام في جَوف التابوت حتَّى لا تُفرَّقَ الضمائر فيَتَنافَرَ عليك النَّظمُ الذي هو أُمُّ إعجَازِ القرآن، والقَانُون الذي وقع عليه التَّحدِّي، ومُراعَاتُه أَهمُّ ما يجِب على المُفسِّر.

تمامه:[١]

لـه سيـمـياءُ لا[٢] يَـشُـقُّ عـلـى البـصـرْ[٣]

"غلام" أي: هو غلام. و"رماه الله" صفة "غلامٌ". و"يافعًا" أي: شابًّا، اليافع مِن اليَفاع؛[٤] وهو ما ارتفع مِن الأرض، وأيفع الغلام، أي: ارتفع، فهو يافِع، ولا يقال: مُوفِع، وهو مِن النوادر. و"السيماء"[٥] و"السيمياء": العلامة، والمراد هنا: الحُسن. قوله: "لا يَشُقّ على البصر" أي: لا يُكره النظر إليه، يعني:[٦] كلّما يُنظر إليه لا يَمَلّ الناظر مِن النظر إليه ومِن تكرار النظر إليه، يريد:[٧] أنّه في غاية الحسن، قال في **الصِّحاح**: «أي: يفرح به مَن ينظر إليه».[٨]

قوله: **(فيه هُجْنة)** أي: قبح، واستعمال هذا في الكلام مجاز في المرتبة الثانية، قال في **المُغرب**: «الهَجين: الذي ولدته أمة أو غير عربيّة، وقد هَجُنَ هَجانة وهُجْنةً، ومِنها قولهم: الصبيّ[٩] يُمنع عما يُورِث الهُجنة والوقاحة، يعني: العيب».[١٠]

---

١ ف: تماته.
٢ ن - لا.
٣ لأسيد بن عنقاء الفزاري كما في **لسان العرب** لابن منظور، «سوم».
٤ ن: اليقاع.
٥ ن - والسيماء.
٦ ف: بمعنى.
٧ ف: يزيد.
٨ **الصحاح** للجوهري، «سوم».
٩ ن: الصي.
١٠ **المُغرب** للمطرّزي، «هجن».

لمّا كانت مشيئةُ الله وإرادتُه أن لا تخْطِئ جَرْيةُ ماء اليَمّ الوصُولَ به إلى السَّاحِل وإلقَاءَهُ إلَيه سُلِك في ذلك سبيلُ المجَاز، وجُعِل اليمُّ كأنه ذو تمييزٍ أُمر بذلك ليُطيعَ الآمِرَ ويَمتَثِلَ رسْمَهُ، فقيل: ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾.

روي: أنَّها جَعَلت في التابوت قُطْنًا مَحلوجًا، فوضَعته فيه وجَصَّصته وقيَّرته ثم ألقَتْهُ في اليمّ، وكان يَشرَعُ منه إلى بُستانِ فرعون نهرٌ كبيرٌ، فبَيْنَا هو جَالسٌ على رأس بِركةٍ مع آسيَةَ إذا بالتّابُوت، ....

وإنّما يلزم الهُجنة أن لو كانت الضمائر جميعًا مذكورةً بعد ما يرجع إليها، وأمّا إذا ذكر ضمير بعد ظاهر ثمّ ضمير آخر بعد ظاهر آخر فلا هُجْنة، كما في قولك: زيد ضربته، وعمرو أكرمته، وفيما نحن فيه كذلك؛[١] لأنّه بعد ذكر الضمير العائد إلى موسى ذكر التابوت؛ لكن نظر المصنِّف إلى أنّ الضمير في ﴿يَأْخُذْهُ﴾ ﴿وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ راجع إلى موسى قطعًا، إذ ليس عدوَّ تابوت، والضمير في ﴿ٱقْذِفِيهِ﴾ أيضًا يعود إلى موسى، فلو رجع الضميران المتوسّطان إلى ﴿ٱلتَّابُوتِ﴾ لزم الهُجْنة التي ذكرها.

قوله: (**لمّا كانت مشيئة الله**)... إلخ، شُبِّه اليَمُّ بمأمور مُطاع أريد مِنه الإلقاء، ثمّ أطلق اليَمُّ وأريد المأمور، فيكون استعارة بالكناية، وقرينته استناد لـ"يُلقِ" إليه. وقوله: (**أن لا تُخطئ**) خبر "كان". وقوله: (**الوصول به**) مفعول "تخطئ"، و"به" أي: بموسى. وقوله: (**وإلقاءه**)[٢] أي: إلقاء موسى. وقوله: (**إليه**) إلى الساحل. وقوله: (**أُمِرَ بذلك**) صفة (**ذو**)، وقوله:[٣] (**رَسْمَه**) يقال: رسمْت له كذا فارتسمه، أي: امتثله. وقوله: (**وكان**) أي: الشأن. وقوله: (**يَشرَع**) أي: يسيل. وقوله: (**مِنه**) أي: اليَمُّ. وقوله: (**فبينا**) أي: فبين أوقات جلوسه فأجاء زمان ملابسته بالتابوت. (**فبينا**) ظرف. و(**إذا**) مفعول به للفعل المقدَّر، وهو "فاجَأ". وقوله: (**بِرْكة**) برَك البعير يَبرُك بُروكًا: استناخ، وأبركتُه أنا، وكلّ شيء ثبتَ واستناخ: برَك، والبِرْكة: كالحوض، والجمع: بِرَك، يقال: سُمّيت به لإقامة الماء فيها. وقوله: (**آسية**) بنت مزاحم.

---

١ ن: لذلك.
٢ ن: وإلقاؤه.
٣ ن: قوله.

فأمَرَ به فأُخرِج ففُتح فإذا صَبيٌّ أَصْبَحُ النَّاسِ وَجْهًا، فأحبَّه عَدوُّ الله حُبًّا شديدًا لا يَتَمالك أن يصبر عنه.

وظاهِرُ اللفظ على أن البحر ....

قوله: (**فأمر به**) يجوز أن يكون المضاف محذوفًا، أي: أمر بإخراجه فأُخرج، ويجوز أن يكون التقدير فأمر بسببه، ولا يقدّر للأمر مفعول، كأنّه مِن جنس الأفعال الغير المتعدِّية، أي: أَوجد الأمر بسببه. وقوله: (**ففُتح**) والفاتحة كانت آسية. وقوله: (**أصبَحُ**) أي: أحسن. وقوله: (**لا يتمالك أن يصبر / عنه**) [١٢٣و] وأصل تركيب "م ل ك" يدلّ على قوّة في الشيء وصحّةٍ مِنه، قولهم: مَلَكتُ العجين إذا شددتَ عجنَه وبالغتَ فيه، وقال عمر رضي الله عنه:[١] «إذا أوصى الرجل بوَصيَّتين[٢] فآخِرهما أملَك»،[٣] أي: أضبط لصاحبها وأقوى، كأنّها تملِكه وتُمسِكه ولا تُخلّيه إلى الأولى، ومِنه المَثل: "الشرط أملَك"،[٤] ويقال: فلان ما تمالك أن قال ذلك[٥] وما تماسك، أي: لم يستطع أن يَحبس نفسَه، فمعنى قول المصنِّف: "لا يتمالك": لا يقدر على الصبر عنه.

قوله: (**وظاهر اللفظ**) عطف على قوله: (**روي**)... إلخ، يعني: ظاهر لفظ **القرآن**، بخلاف الرواية التي ذكرنا؛ لأنّ الرواية على أنّه دخل التابوتُ البِرْكة، فأُخذ مِن البِرْكة، ولفظ **القرآن** يدل على أنّ اليمّ ألقاه بالساحل، فأُخذ مِن الساحل. وقوله: (**إلّا أن يكون**) متعلِّق مِن حيث المعنى بمحذوف، فكأنّه قال: وإذا كان ظاهر اللفظ مخالفًا لهذه الرواية فتكون الرواية غير ثابتة، إلّا أن يحمَل لفظ **القرآن** على أنّ معناه: ألقاه اليمّ بساحل فيه فُوَّهة نهر فرعون، فجرى مِنه إلى البِرْكة، فأخِذ مِن البِرْكة، فحينئذٍ تستقيم[٦] الرواية ولا يخالفها لفظ **القرآن**، إذ لم يقل فيه: يأخذه مِن الساحل؛ بل الأخذ مطلق يحتمل الأخذ مِن الساحل وغيره،

---

١ د - رضي الله عنه.

٢ ن: بوصتين.

٣ **الأصل** لمحمّد الشيباني، ٥/٤٢٦.

٤ يضرب في حفظ الشرط يجري بين الإخوان. **مجمع الأمثال** للميداني، ١/٣٦٧.

٥ ف: ذاك.

٦ د: يستقيم.

ألقاه بسَاحِلِه -وهو شاطِئُه؛ لأن الماء يَسحَلُه؛ أي: يَقشِرُه- وقَذف به ثَمَّةَ فالتُقِط من السَّاحِل، إلَّا أن يكون قد ألقَاه اليمُّ بموضعٍ من السَّاحل فيه فُوَّهةُ نهْرِ فرعَون ثمَّ أدَّاهُ النَّهر إلى حَيثُ البِرْكَةُ.

﴿مِنِّي﴾ لا يخلو: إمَّا أن يتعلَّق بـ﴿أَلْقَيْتُ﴾ فيكونَ المعنَى على: إنِّي أحبَبتُك، ومَن أحبَّه اللهُ أَحبَّتْهُ القلوبُ.

وإمَّا أن يتعلَّقَ بمحذوفٍ هو صِفةٌ لـ﴿مَحَبَّةً﴾؛ أي: محبَّةً حاصلةً أو واقعةً منِّي قد ركَزْتُها أنا في القلوب وزرعتُها فيها، فلذلك أَحبَّك فِرعَونُ وكُلُّ مَن أَبْصَرك.

يُروى: أنه كانت على وَجهه مَسْحَةُ جمالٍ وفي عَينَيه مَلاحَةٌ لا يَكاد يَصْبِرُ عَنه مَن رَآه.

﴿عَلَىٰ عَيْنِي﴾: لِتُرَبَّى ويُحسَنَ إليك وأنا مُراعِيكَ ورَاقِبُكَ ....

فلا مخالفة بين ما في هذه الرواية وما هو مذكور في **القرآن**. وقوله:[١] **(لأنّ الماء)** تعليل لما دلّ عليه المعنى، فكأنّه قال: سمّي الشاطئ ساحلًا لأنّ... وقوله: **(يَسحَلُه)** سَحَله مئة شوط، أي: ضربه، وأصل السَّحل: القَشْر، كأنّه قشر جلده. وقوله: **(وقذف به ثَمّة)** كالبيان لقوله: **(ألقاه بساحله)**،[٢] فهو مِن العطف الذي يكون للبيان. وقوله: **(ثمّة)** أي: ساحل. وقوله: **(فُوَّهة)** مدخل[٣] نهر، أفواهُ الأزِقّة والأنهار، واحدتها: فُوَّهة بتشديد الواو، ويقال: أقعد على فوَّهة الطريق، والجمع: أفواه على غير القياس. ويقال أيضًا: إنّ ردَّ الفوَّهة لَشديد، أي: القالة، وهو مِن فُهْتُ بالكلام.

قوله: **(على وجهه مَسْحة جمالٍ)** أي: كأنّ الجمال مسَح وجهه.

قوله: **(لِتُربَّى)** هو معنى:[٤] ﴿لِتُصْنَعَ﴾.

قوله: **(وراقبُك)** وفي بعض النسخ: "ورافيك"، مِن: رفوتُه إذا سكَّنته مِن الرعب.

---

١ ن: قوله.

٢ ف: بساحلة.

٣ ن: مُدْخل.

٤ ف: بمعنى.

كما يُراعي الرجُل الشيءَ بعَيْنَيهِ إذا اعتَنَى به، وتقول للصَّانع: "اصْنَعْ هذا على عَيني أنظُرُ إليْكَ؛ لئلا تُخالِفَ به عن مُرادي وبِغْيَتي".

و﴿لِتُصْنَعَ﴾: مَعطوفٌ على عِلَّةٍ مضمَرةٍ مثلَ: "لِيَتعَطَّفَ عليْك وتُرَأمَ" ونحوهِ، أو حُذِفَ مُعلِّلُهُ؛ أي: ولتُصنعَ فعَلتُ ذلك.

وقرئ: "ولِتُصْنَعْ" ﴿ولْتُصْنَعْ﴾ بكسر اللام وسُكونها، والجَزمِ على أنَّه أمرٌ.

وقرئ: "ولِتَصْنَعَ" بفتح التاء والنصب؛ أي: وليكون عملُك وتصرُّفُك على عَيْنٍ منِّي.

﴿إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًاۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾

العاملُ في ﴿إِذْ تَمْشِيٓ﴾: "أَلقيتُ" أو "تُصْنَعَ"، ويجوزُ أن يكون بدلًا من ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ﴾.

قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ في محلّ الحال، أي: مستقرًّا[١] على عيني؛ وذلك لأنّ الرؤية إنّما تحصل بارتسام صورة المرئيّ في العين، فكأنّ المرئيّ مستقرّ ثابت على العين.

قوله: (﴿لِتُصْنَعَ﴾ معطوف) وإذا كان ﴿لِتُصْنَعَ﴾ عطف على علّة مضمرة يكون متعلّقهما قوله تعالى:[٢] ﴿وَأَلْقَيْتُ﴾.

قوله: (وتُرْأم) أي: تُرْحم.

قوله: (﴿وَلْتُصْنَعْ﴾) شاذّ.[٣]

قوله: (وقرئ: ﴿وَلِتَصْنَعَ﴾) شاذّ.[٤]

---

١ ن: مستوًا.

٢ ف - تعالى.

٣ منسوبة إلى أبي جعفر المدني. انظر: المحتسب لابن جنّي، ٥١/٢.

٤ نسبها ابن جنّي إلى أبي نُهيك. انظر: المحتسب لابن جنّي، ٥١/٢.

فإن قلتَ: كيف يَصحُّ البَدَلُ والوقتان مختلِفان مُتباعِدان؟

قلتُ: كما يصحُّ وإن اتَّسَعَ الوقتُ وتبَاعَدَ طرفَاه أن يقُولَ لك الرَّجلُ: "لقِيتُ فُلانًا سَنةَ كَذا"، فتقُولَ: "وأنا لقِيتُه إذ ذاك"، وربَّما لَقيَهُ هو في أوَّلها وأنتَ في آخِرها.

يروى: أنَّ أختَه -واسْمُهَا مريَمُ- جاءتْ مُتعرِّفةً خَبرَه، فصَادفتْهُم يَطْلبُونَ له مُرضِعةً يَقبَلُ ثدْيَها، وذلك أنه كان لا يَقبَلُ ثَدْيَ امرأةٍ، فقالَت: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ فجَاءت بالأُمِّ فقبِل ثديَها.

ويُروى: أن آسيَةَ استَوهَبتْه من فرعونَ وتَبنَّتْهُ، وهي التي أشفقَتْ عليه وطلبتْ له المراضعَ.

﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ هي نفسُ القِبْطيِّ الذي استغَاثه عليه الإسرائيليُّ، قتلَهُ وهو ابن اثنتي عشرةَ سَنةً، اغتمَّ بسبب القَتل خوفًا من عقاب الله ومن اقتصاصِ فِرعونَ، فغَفر له الله باستغفَاره حين قال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي﴾ [القصص ١٦/٢٨]؛ ونجَّاه من فرعون أن يُنشِبَ فيه أظفَارَه ....

قوله: (**قلت: كما يصِحّ**) الكاف في قوله: "كما يصحّ" متعلِّق بمحذوف دلَّ عليه قوله: (**كيف يصحّ؟**) أي: يصحّ كما يصحّ. وقوله: (**أن يقول**) فاعل "يصحّ" هو "أن يقول".

قوله: (**أشفقتْ**) أي: خافَتْ عليه الهلاك لو لم يقبل الثديَ.

قوله: (**وذلك أنّه كان**) أي: سبب ذلك، أي: سبب طلبهم.

[١٢٣ظ] قوله: (**قتله / وهو ابن اثنتي عشرة سنة**) ابتداء كلام.

قوله: (**أن يُنشِبَ**) بدل مِن (**فرعون**) بدل اشتمال، أي: نجّاه مِن أن يُنشب فرعون فيه أظفاره؛ شبَّه فرعون بذئب أو كلب، ثمّ ذكر فرعون وأراد الذئب أو الكلب، فهو مِن الاستعارة بالكناية، وقرينته نسبة الإنشاب إليه، وهذا كقوله:

حينَ هاجَر به إلى مَدْينَ.

﴿فُتُونًا﴾ يجوز أن يكون مصدرًا على فُعُولٍ في المتَعدِّي كالثُّبورِ والشُّكور والكُفُور.

وجَمْعَ فَتْنٍ أو فِتنةٍ على تَرك الاعتداد بتاءِ التأنيث كحُجُوزٍ وبدُور في حُجزَةٍ وبَدْرةٍ؛ أي: فتنَّاك ضرُوبًا من الفِتَن.

سَأل سَعيدُ بن جُبَيْر ابنَ عبَّاس رضي الله عنه، فقال: خَلَّصناك من محنَةٍ بعد محنَةٍ: ولدَ في عامٍ كانَ يُقتَل فيه الوِلدانُ فهذه فِتنةٌ يا ابنَ جُبَير، وألقتهُ أمُّه في البَحر، وهمَّ فرعونُ بقَتله، وقتلَ قِبْطيًا، وآجَرَ نفسَه عشر سِنين، وضل الطَّريقَ وتفرَّقت غنمُه في ليلةٍ مُظلمةٍ، وكان يقول عند كلِّ واحدةٍ: فهذه فتنةٌ يا ابنَ جُبَير.

والفِتنةُ: المحنَةُ، وكلُّ ما يَشُقُّ على الإنسانِ، وكلُّ ما يَبتلي به اللهُ عبَادَهُ: فِتنةٌ، قال: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء ٢١/٣٥].

وإذا المنيّة أنشبتْ أظفارَها ألفيتَ كلّ تميمةٍ لا تنفعُ[١]

قوله: **(هاجر به)** الباء في "به" للتعدية، أي: جعله الله تعالى مهاجرًا إلى مَدين، فإنّه تعالى لمّا ألهمه المهاجرة ووفّقه للمهاجرة كان ذلك بمثابة أن جعله مهاجرًا، والمهاجرة مِن أرض إلى أرض ترك الأولى للثانية.

قوله: **(على "فُعول" في المتعدّي)** إشارة إلى أنّ ذلك قليل، وهو مع قِلّته جاء كالأمثلة المذكورة، فهو مِنه.

قوله: **(خلّصناك)** مِن قولهم: فتن الذهب بالنّار إذا خلّصه[٢] بها، وعليه يُحمل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾ [ص ٣٨/٣٤] على أصحّ الأقاويل.

قوله: **(وهمَّ فرعون بقتله)** بقوله: ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ [غافر ٤٠/٢٦].

قوله: **(وكان يقول)** أي: كان ابن عبّاس.

---

١ لأبي ذؤيب الهذلي. انظر: خزانة الأدب للبغدادي، ١/٤٢٠.

٢ في الأصول الخطّيّة: "لخّصه".

﴿مَدْيَنَ﴾ على ثمانِ مَراحلَ من مصْرَ، وعن وهبٍ: أنَّه لَبِثَ عند شعَيْبٍ ثمانيًا وعشرين سَنةً منها مهرُ ابنتهِ، وقَضَى أَوْفَى الأجَلَين.

﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَـٰمُوسَىٰ﴾؛ أي: سَبَق في قضَائي وقَدَري أن أُكَلِّمَك وأستَنبِئَكَ في وقتٍ بعَينهِ قد وَقَّتُهُ لِذلك، فمَا جِئتَ إلَّا عَلى ذلك القَدَر غيْرَ مُستَقْدِمٍ ولا مُستَأخِرٍ.

وقيل: على مقدارٍ من الزمان يُوحَى فيه إلى الأنبياء عليهم السلام وهو رأسُ أربعين سَنةً.

﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾

هذا تمثيلٌ لمَا خوَّله من منزلةِ التَّقرِيب والتَّكرِيم وَالتَّكليم، ....

قوله: (**على ثمانِ مراحل**) في بعض النسخ: "على ثلاث مراحل"، إلّا أنّ الصحيح: "على ثمانِ مراحل"، وفي **العرائس**: «على ثمانِ مراحل»[١] أيضًا.

قوله: (**وعن وهب: أنّه لبث عند شعيب ثمانيًا وعشرين سنة**)...[٢] إلخ كان له وقتَ مجيئه على قدْرِ أربعين سنة؛ لأنّه قتل القبطيَّ وهو ابن اثنتي عشرة سنة، ومكث عند شعيب عليهما السلام ثمانيًا وعشرين سنة، مهر ابنته مِنها عشر سنين؛ لأنّه قضى أوفى الأجلَين.

قوله: (**لذلك**) أي: للتكليم والاستنباء.

قوله: (**أربعين سنة**) قال عليه الصلاة والسلام: «ما بعث الله نبيًّا إلّا[٣] على رأس أربعينَ سنة».[٤]

قوله: (**هذا تمثيل**) أي: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾. وقوله: (**لِما خوَّله**) إن قرئ "لِما" بكسر اللام وتخفيف الميم يكون اللام متعلِّقًا بـ"التمثيل"، و"مِن" بيان "ما"،

---

١ **عرائس المجالس** للثعلبي، ص ١٧٤.

٢ **الكشف والبيان** للثعلبي، ٥٣٣/١٧ (طه، ٤٠/٢٠)، بغير سند.

٣ د ف: إلى.

٤ قال الزيلعي: «غريب»، وقال ابن حجر: «لم أجده». **تخريج أحاديث الكشّاف** للزيلعي، ٢٧/٣؛ **الكافي الشاف** لابن حجر، ص ١٢٦.

مَثَّل حالَه بحالِ مَن يَراه بعضُ الملوك لجوَامع خصَالٍ فيه وخصَائص أَهْلًا لِئَلا يكونَ أَقربُ مَنزلةً منه إليه ولا ألطفُ محلًّا، فيَصْطَنِعُهُ بالكرامة والأثَرة ويَستخلصُهُ لنفسه، ولا يُبصِرُ ولا يَسمعُ إلَّا بعَينه وأُذنهِ، ولا يأتَمِن عَلى مكْنُونِ سرِّه إلَّا سَواءَ ضَمِيرِه.

﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾﴾

"الوَنْيُ": الفتُورُ والتَّقْصيرُ، وقرئ: "تِنِيَا" بكسر حَرْف المضارعة للإتْباعِ.

وقوله: "مثّل" ابتداء كلام؛ لبيان التمثيل. وإن قرئ "لَمَّا" بالفتح والتشديد يكون "مثّل" جواب "لمّا" ويكون "مِن منزلة" في محل المفعول الثاني لـ"خوّله"، والأوّل أصوَب.

قوله: **(لئلّا يكون)** اللام مِن "لئلّا" متعلِّق بقوله: **(أهلًا)**؛ لأنّ فيه معنى الفعل، كأنّه قيل: صالح أو مستحِقّ، قال في **الصِّحاح**: «تقول: فلان أهلٌ لكذا، ولا تقل: مستأهِل، والعامّة تقول».[1] وقوله: **(يكون)** أي: يوجد، فهي تامّة. وقوله: **(إليه)** مِن صلة **(أقرب)**، قال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق ١٦/٥٠].

قوله: **(ولا يبصر ولا يسمع)** الضمير مِن "يُبصر" و"يسمع" يعود إلى "مَن يراه"، والضمير مِن "عينه" و"أذنه" يعود إلى "بعض"، ويحتمل عكس ذلك، والأوّل أظهر لموافقته لما ورد في الحديث مِن قوله عليه الصلاة والسلام حكايةً عن الله تعالى: «بي يَسمع، وبي يُبصِر»،[2] وأيضًا يكون اللفّ والنشر في كلام المصنِّف على الترتيب غيرَ مشوَّشٍ.

قوله: **(إلّا سواء ضميره)** سواءُ الشيء: وسَطه؛ لاستواء ما بين طرفيه، قال الله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [القصص ٢٢/٢٨].

قوله: **(الوَنْي)** الوَنْيُ والوُنِيُّ: الفُتور.

---

١ **الصحاح** للجوهري، «أهل».

٢ **نوادر الأصول** للحكيم الترمذي، ٢٦٥/١، وهو في **صحيح البخاري**، ١٠٥/٨ (٦٥٠٢)، بلفظ: «فإذا أحببته كنت سمعَه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يبصر به».

أي: لا تَنْسَياني، ولا أَزَلْ مِنكُمَا عَلى ذُكْرٍ حَيثُمَا تَقَلَّبْتُما، واتَّخِذا ذكري جَنَاحًا تَطِيرَانِ به مُستَمِدَّينِ بذلك العَونَ والتَّأييدَ مني، مُعْتقدَيْنِ أن أمرًا من الأمور لا يَتمشَّى لأحدٍ إلَّا بذِكْرِي.

ويجوز أن يريدَ بالذِّكر تَبليغَ الرسالة، فإن الذِّكر يقعُ على سائرِ العبَادات، وتَبليغُ الرِّسالة من أجَلِّها وأعظَمها، فكانَ جديرًا بأنْ يُطلَق عليه اسمُ الذكر.

رُوي: أن الله تعالى أوحى إلى هَارُون عليه السلام وهو بمصرَ أَنْ يَتلقَّى موسى عليه السلام.

وقيل: سَمع بمَقبَلِه، وقيل: أُلهِمَ ذلك.

﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾

قرئ: "لَيْنًا" بالتَّخفيف. والقولُ اللَّيِّنُ نحوُ قوله تعالى: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ﴾ [النازعات ١٨/٧٩]؛ لأن ظَاهِرهُ الاستفهامُ والمشورَةُ وعَرْضُ ما فيه الفَوزُ العظيمُ.

وقيل: عِدَاهُ شبَابًا لا يهرَمُ بَعْدَهُ، ومُلكًا لا يُنزَعُ منه إلَّا بالمَوت، وأَن تَبقى له لذَّةُ المَطعَم والمَشرب والمنكَح إلى حينِ مَوته.

[١٢٤و] قوله: (بمَقبَلِه) أي: / بإقباله.

قوله: (﴿إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ [النازعات ١٨/٧٩]) مِن صلة المعنى؛ لأنّ المعنى: أترغب إلى هذا.

قوله: (والمَشُورة)[١] المَشْوَرة: الشورَى، وكذلك المَشُورة بضمّ الشين.[٢]

قوله: (وقيل: عِداه) أمرٌ مِن الوعد.[٣]

---

١ ف: والمشوزة.

٢ ف + إلى.

٣ ف + إلى.

وقيل: لا تَجْبَهَاهُ بما يَكرَهُ، وأَلْطِفَا له في القول لِمَا له من حقِّ تَربية موسى عليه السلام، ولِمَا ثَبت له من مِثل حقِّ الأبُوةِ.

وقيل: كَنِّيَاهُ، وهُو من ذوي الكُنى الثلاث: أبو العبَّاس، وأبُو الوليد، وأبُو مُرَّة.

والترجِّي لهُمَا؛ أي: اذهبَا على رَجَائكُما وطمعِكُما، وباشِرَا الأمرَ مُبَاشرةَ مَن يَرْجو ويَطمعُ أَن يُثمِرَ عَملُهُ ولا يَخِيبَ سَعيُهُ، فهو يَجتَهِدُ بطَوقه ويحتَشِدُ بأقصَى وُسْعه.

وجَدْوَى إرسَالهما إليه مع العلم بأنَّه لَن يُؤْمِنَ: إلزامُ الحجَّة وقَطعُ المَعذرة ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ [طه ١٣٤/٢٠].

أي: يَتذكَّرُ ويتَأمَّلُ فيبْذُلُ النِّصَفَةَ من نَفسهِ والإذعانَ للحق ﴿أَوْ يَخْشَىٰ﴾ أن يكون الأمرُ كما تَصِفانِ فيَجرَّهُ إنكارُه إلى الهَلكة.

قوله: (**وقيل: لا تجبَهاه**) جَبَهه عن الأمر: زجره، كأنّه ضرب جبْهتَه، جَبَهْتُه[1] بالمَكروه إذا استقبلته[2] به.

قوله: (**ويَحتَشد**) حشَد، أي: جمَع، وجاء فلان حاشِدًا، أي: مستعِدًّا مُتأهِّبًا.

قوله: (**وجدوى**) مبتدأ، وقوله: (**إلزام الحُجّة**) خبره. وقوله: (**﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم﴾... إلخ** [طه ١٣٤/٢٠]) استشهد بهذه الآية، و﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾ أي: مِن قَبل إرسال الرسل.

قوله: (**ويتأمل**) مِن العطف الذي يكون للبيان؛ لأنّ المراد بالتذكّر هو أن يتأمَّل فيعلم فيُنصف بعد العلم ويُذعِن للحقّ، يعني: لا يُعاند بعد أن علم، فالمراد بتذكّره هو علمه الحاصل مِن التأمّل؛ لكن سمّاه تعالى تذكّرًا؛ لأنّ فرعون إذا علم الحقّ بعد التنكّر فكأنّه تذكّر ما أقرّ به حين قال تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف ١٧٢/٧].

---

[1] ف - جَبَهْتُهُ.

[2] ن: استقبله.

﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ٤٥﴾

"فَـرَطَ": سَبق وتَقدَّم، ومنه الفارطُ: الذي يتقَدم الوارِدة، وفَرسٌ فُرُطٌ: يَسبِقُ الخيل.

أي: نخَاف أَن يَعْجَلَ عَلينا بالعُقوبة ويُبادِرَنَا بها.

وقرئ: "يُفْرَطَ" من أَفرَطه غيْرُه: إذا حَمله عَلى العجلة، خافا أَن يَحملَه حامِلٌ على المعَاجلة بالعقَاب؛ من شيطانٍ، أو من جبَرُوته واستكباره وادِّعائه الرُّبوبيَّة، أو من حُبِّه الرِّياسَةَ، أو من قَومه القِبطِ المتمرِّدين الذين حَكَى عنهم ربُّ العزَّة: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ﴾ [الأعراف ٦٠/٧]؛ ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ﴾ [الأعراف ١٢٧/٧].

وقرئ: "يُفْرِطَ" من الإفراط في الأَذِيَّة؛ أي: نخافُ أن يَحُول بَيننا وبَين تَبليغ الرسالة بالمعَاجَلة، أو يُجَاوِزَ الحدَّ في مُعَاقبتِنا إن لم يعَاجل بنا، على مَا عرَفَا وجَرَّبا من شَرارَته وعُتوِّه.

قوله: (**ومِنه الفارط**) فرَطتُ القوم أفرِطهم فَرْطًا، أي: سبقتُهم إلى الماء، فأنا فارط، والقوم فُرَّاط، والوارِدة الذين يَرِدون الماء، وكذلك الوُرّاد، قال القُطامي:

فاستعجَلونا وكانوا مِن صَحابتِنا كما تعجّل فُرّاطٌ لِوُرّادِ[1]

قوله تعالى:[2] ﴿أَن يَفۡرُطَ﴾ في مقابلة ﴿يَتَذَكَّرُ﴾، و﴿أَن يَطۡغَىٰ﴾ في مقابلة ﴿يَخۡشَىٰ﴾، تأمّل فإنّه لطيف، يظهر لك لطفه إذا تأمّلت في الحاشية التي كتبنا آنفًا لقوله: ﴿يَتَذَكَّرُ﴾.

قوله: (**مِن شيطان**) بيان "الحامل".

قوله: (**أي: نخاف أن يَحول بيننا**) هذا على تقدير القراءة بفتح الياء وضمّ الراء مِن ﴿يَفۡرُطَ﴾،[3] وكذا على القراءة الثانية، وأمّا قوله: (**أو يجاوزَ الحَدَّ**) فعلى القراءة الثالثة، وأما تفسير قوله: ﴿أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ﴾ فسيجيء.

---

١ ف: لوزاد. | **ديوان القطامي**، ص ٢١٣.

٢ ن: يقال.

٣ وهي القراءة الصحيحة، وما عداها شاذّ. انظر: **المحتسب** لابن جنّي، ٥٢/٢؛ **الكامل** للهذلي، ص ٥٩٧.

﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ بالتخطِّي إلى أن يقول فِيكَ ما لا يَنبغي لجُرأتهِ عَليك وقَسوة قلبهِ، وفي المجيء به هكذا على الإطْلاق وعلى سبيل الرَّمز بابٌ من حُسن الأدَب وتحَاشٍ عن التَّفوُّه بالعَظِيمة.

﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾

﴿مَعَكُمَا﴾؛ أي: حافظُكما وناصرُكُما.

﴿أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ ما يَجْري بَينكما وبَينه من قولٍ وفعلٍ، فأَفعَلُ ما يُوجِبُه حِفْظي ونُصْرتِي لكُما، فجَائزٌ أن يُقدَّرَ "أقوالَكُم وأفعَالَكم" وجَائزٌ أن لا يُقدَّر شيءٌ، وكأنه قيل: أنا حافظٌ لكما وناصرٌ سامعٌ مُبْصِرٌ، وإذا كان الحَافظُ والناصرُ كذلك تـمَّ الحفظُ وصَحَّت النُّصرةُ وذهَبت المُبَالاةُ بالعَدوّ.

﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾

كانت بنو إسرائيل في مَلَكَة فرعونَ والقِبْطِ يُعَذِّبونهم بتَكليف الأعمال الصعبة: من الحَفر والبناء ونَقل الحجَارة، ....

قوله: (وفي المجيء به) أي: بـ﴿يَطْغَىٰ﴾.

قوله: (بالعظيمة) أي: بالكلمة العظيمة.

قوله: (مِن قول[1] وفعل) فيه لفّ ونشر.

قوله: (فجائز أن يُقدَّر "أقوالكم" و"أفعالكم") أي: أسمع أقوالكم، وأرى أفعالكم.

قوله: (وجائز أن لا يُقدَّر شيء) فيجعل كالفعل اللازم، كقولهم: فلان يعطي ويمنع.

قوله: (والقِبْط) القِبط: أهل مصر.

---

[1] ن: فعل.

والسُّخْرةِ في كلِّ شيء، مَع قَتل الوِلْدانِ واستخْدامِ النِّساء.

﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ جُملةٌ جاريةٌ من الجُملة الأُولى -وهي: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾- مَجرى البيان والتفسير؛ لأن دعوى الرِّسالة لا تَثبُتُ إلَّا بِبَيِّنتِها التي هي المجيءُ بالآية.

إنما وُحِّد قَولُه: ﴿بِـَٔايَةٍ﴾ ولم يُثَنَّ -ومعهُ آيتَانِ- لأنَّ المراد في هذا الموضِع تَثبيتُ الدعوى ببُرهانها، فكأنَّه قال: قد جئناك بمُعجزةٍ وبُرهانٍ وحُجَّةٍ على ما ادَّعَيناه من الرسالة، وكذلك: ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف ١٠٥/٧] ﴿فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الشعراء ١٥٤/٢٦]، ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء ٣٠/٢٦].

﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ۝ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ يريد: وسلامُ الملائكة الذين هم خَزَنةُ الجنَّة على المُهتدين، وتوبيخُ خَزنة النَّار والعذابُ على المكذِّبين.

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۝٤٩﴾

خاطب الاثنيْنِ ووَجَّهَ النداءَ إلى أحدهما وهو موسى؛ لأنَّه الأصْلُ في النبوَّة، وهارون وزيرُه وتابِعُه.

قوله: (والسُّخْرة في[1] كلّ شيء) السُّخرة: الاستعمال بغير أُجرة، والسُّخرة: مَن يُتسخَّرُ في العمل، يقال: سخَّره تسخيرًا؛ كلّفه عملًا بلا أجرة، وكذلك تسخَّر، وفلان سُخرة يُتسخَّرُ في العمل، يقال: خادمُه سُخرة.

قوله: (مِن الرسالة) بيان "ما". وقوله: (وكذلك ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ﴾ [آل عمران ٤٩/٣])... إلخ المراد في جميع هذه المواضع هو المعجزة المبيّنة للنبوّة مِن غير النظر إلى وحدتها وتعدّدها.

قوله: (وسلام الملائكة) ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾ [الزمر ٧٣/٣٩].

---

[1] ن - في.

ويحتمِلُ أن يَحمِلَه خُبثُه ودعَارتُه عَلى استِدْعاء كلام مُوسى دون كلام أَخيه، لِمَا عَرَف من فصاحة هارون والرُّتَّة في لِسَان موسى، ويَدُلُّ عليه قولُه: ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف ٥٢/٤٣].

﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾

﴿خَلْقَهُۥ﴾ أولُ مفعُولي ﴿أَعْطَىٰ﴾؛ أي: أعطى خليقتَه كلَّ شيءٍ يَحْتاجُون إليه ويَرتَفِقُون به، أو ثانيهما؛ أي: أعطَى كُلَّ شيءٍ صورَتَه وشكْلَه الذي يُطابق المنفعَةَ المنُوطةَ به؛ كما أَعْطى العينَ الهيئةَ التي تُطابِق الإِبْصَار؛ والأُذُنَ الشكلَ الذي يُوافق الاستماع، وكذلك الأنفُ واليدُ والرِّجل واللسانُ: كلُّ واحدٍ منها مُطابقٌ لِمَا عُلِّق به من المنفَعة غيرَ نابٍ عنه.

قوله: (**ودَعارتَه**) الدَّعَر -بالتحريك-: الفساد، والدَّعَر أيضًا مصدر قولك: دَعِرَ العود -بالكسر- يَدعَر[١] دَعرًا، فهو عود دَعِرٌ، أي: رديّ كثير الدخان، ومِنه أُخِذت الدعارة؛ وهو الفسق والخُبث.

قوله: (**أوّل مفعولَي**) على هذا الوجه يكون "الخلق" بمعنى المخلوق، ويرجع الضمير / مِن ﴿خَلْقَهُ﴾ إلى ﴿ٱلَّذِى﴾، وهو الربّ تعالى، وإنّما قدّم المفعول الثاني على الأوّل؛ لأنّ الغرض مَنوط بذِكر إعطاء كلّ شيء؛ فلهذا العارض صار المفعول الثاني أهمَّ فقدِّم. وعلى الوجه الثاني أيضًا "الخلق" بمعنى المخلوق، ويعود الضمير مِن ﴿خَلْقَهُ﴾ إلى ﴿كُلَّ شَىْءٍ﴾، والمراد بمخلوق كلّ شيء: المخلوق الذي يختصّ بذلك الشيء، بمعنى: أنّه يوافقه ويناسبه ويَليق به ويتمّ به الغرض الذي خُلق لأجله. والوجه الثالث قريب مِن الوجه الثاني إلّا أنّ ﴿كُلَّ شَىْءٍ﴾ في الوجه الثالث يراد به الحيوان، و﴿خَلْقَهُ﴾ هو زوجه. [١٢٤ظ]

وقوله: (**أي: أعطى خليقتَه**) أي: أعطى الخلائق ما يحتاجون إليه، أي: أعطى مخلوقاته. وقوله: (**يَرتفقون**) أي: ينتفعون.

---

١ ن: تدعر.

أو أعطى كُلَّ حَيوانٍ نظيرَهُ في الخَلق والصُّورة، حيث جعَل الحِصَان والحِجْرَ زَوْجَين، والبَعير والناقة والرَّجُل والمرأةَ، فلم يُزاوِجْ منهما شيءٌ غيرَ جنسه، وما هو على خلاف خَلْقِه.

وقُرئ: "خَلَقَه" صفةً للمضاف أو للمضاف إليه؛ أي: كلَّ شيءٍ خَلَقَه الله، لم يُخْله من عطائه وإنعامه.

﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾؛ أي: عَرَّف كيف يُرتَفَقُ بما أعطَى وكيف يُتَوَصَّلُ إليه.

ولله دَرُّ هذا الجواب ما أخصَره وما أجمَعَه وما أَبينَهُ لمن أَلقَى الذهنَ ونظرَ بعين الإنصاف وكان طالبًا للحقِّ!

وقوله: (**الحصان والحجر**) فرسٌ حِصان -بالكسر- بَيّن التحصين والتحصّن، ويقال: سمّي حِصانًا؛ لأنّه ضُنّ بمائه،[١] فلم يُنْزَ إلّا على كريمةٍ، ثمّ كَثُر ذلك حتّى سَمَّوا كلّ ذكَر مِن الخيل حِصانًا. والحِجْرُ: الأنثى مِن الخيل. وقوله: (**والبعير والناقة**) ولو قال: الجَمل والناقة لكان أَولى؛ لأنّ البعير يتناول الأنثى لا الجمل، قال في **الصّحاح**: «البعير مِن الإبل بمنزلة الإنسان مِن النّاس، يقال للجمل: بعير، وللناقة: بعير، وحكي عن بعض العرب: صَرَعَتْني بعيري،[٢] أي: ناقتي، وشربتُ مِن لبن بعيري».[٣] وقال: «الجمل مِن الإبل، قال الفرّاء: الجمل زوج الناقة».[٤]

قوله: (**فلم يُزاوِج**) المزاوجة والإزدواج بمعنًى.

قوله: (**وقرئ: ﴿خَلَقَهُ﴾[٥] صفةً**)... إلخ ولم يذكر المفعول الثاني على هذا القراءة لإفادة العموم، أو بمعنى: يفعل معهم الإعطاء.

قوله: (**ما أخصره!**)[٦] للتعجّب.

---

١ ن: بماء به.

٢ ن: يَعرى.

٣ **الصحاح** للجوهري، «بعر».

٤ **الصحاح** للجوهري، «جمل».

٥ هي قراءة شاذّة. انظر: **الكامل** للهذلي، ص ٥٩٧.

٦ ن: ما أحضره.

﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾

سأله عن حالِ مَن تقدَّم وخَلا من القرُون، وعن شقاءِ مَن شقيَ منهم وسَعادةِ مَن سَعِد، فأجابه بأن هذا سُؤالٌ عن الغَيْب وقد استأثر اللهُ به لا يَعلمُه إلّا هو، وما أنا إلّا عَبْدٌ مِثلُك لا أَعلمُ منه إلا ما أخبَرني به عَلّامُ الغُيُوب، وعِلْمُ أحوالِ القرون مكتوبٌ عند الله في اللَّوح المحفوظ، لا يجوز على الله أن يُخطئ شيئًا أو يَنسَاهُ.

يقال: ضَلِلْتُ الشيء: إذا أَخطَأتَه في مكانِه فَلم تَهْتَدِ له؛ كقولك: ضلِلْتُ الطريقَ والمنزل، وقرئ: "يُضِلُّ" من أضَلَّه: إذا ضَيَّعَه.

وعن ابن عَبّاس: لا يَترك مَن كفَر به حتى ينتَقِمَ منه، ولا يَترك مَن وَحَّدَه حتَّى يُجَازِيَهُ.

ويجوز أن يكون فرعونُ قد نازعَه في إحاطةِ الله بكلِّ شيء وتَبيُّنِه لكلِّ معلوم، فتعنَّتَ وقال: ....

قوله: **(سأله)** أي: سأل فرعون موسى. وقوله: **(وخلا)** أي: مضى.

قوله: **(ضلَلتُ الشيء إذا أخطأته)** يقال: ضلَلتُ -بالفتح- أضِلُّ، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي﴾ [سبأ ٣٤/٥٠]، ومِنه المَثل: "ضلَّ دُرَيْصٌ نَفَقَه".[١]

قوله: **(وعن ابن عبّاس رضي الله عنه:[٢] لا يترك)**... إلخ ما رواه عن ابن عبّاس يؤيّد التفسير الذي ذكَره المصنِّف لقوله تعالى: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾، وهو قوله: **(لا يجوز على الله تعالى)**... إلخ، وهو يدلّ على أنّه مَجاز، فإنّ الضلال مستلزم للترك، فأُطلق المَلزوم وأريد اللازم.

قوله: **(فتعنَّت)** العنَت: المشقّة، وتعنَّته في السؤال إذا سأله على جهة التلبيس.

---

١ الدِّرْصُ: ولد الفأرة واليربوع والهرة وأشباه ذلك. ونَفَقُه: حجْره. يُضرب لمن يُعنَى بأمره ويُعِدُّ حُجَّة لخصمه فينسى عند الحاجة. مجمع **الأمثال** للميداني، ١/٤١٩.

٢ د - رضي الله عنه.

ما تقولُ في سَوالف القُرون وتمادي كثرتهم وتبَاعُدِ أطرافِ عَدَدهم، كيف أحاط بهم وبأجزائهم وجواهِرهم؟

فأجابَ: بأن كلَّ كائنٍ مُحيطٌ به عِلمُه، وهو مُثْبَتٌ عنده في كتابٍ، ولا يجوزُ عليه الخطأُ والنِّسيَانُ كما يَجُوزان عليكَ أيُّها العبْدُ الذَّليلُ والبَشرُ الضَّئِيلُ؛ أي: لا يَضلُّ كما تَضِلُّ أنت، ولا يَنسَى كما تَنسَى يا مُدَّعِيَ الربوبيَّة بالجَهلِ والوقَاحَة.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾﴾

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ﴾ مرفوعٌ صفةٌ لـ﴿رَبِّى﴾، أو خبرُ مُبتدأ محذوف، أو منصوبٌ على المَدح، وهذا مِن مَظانِّه ومَحَازِّه.

وقوله: (**كيف**)... إلخ بدل مِن قوله: (**ما تقول**)... إلخ أو بيان له، إذ المراد بقوله: (**ما تقول**) هو قوله: (**كيف أحاط؟**).

قوله: (**كما يجوزان عليك**)... إلخ مستفاد مِن قوله: ﴿رَبِّى﴾ بالإضافة.

قوله: (**الضئيل**) رجل ضئيل الجسم، أي: صغير الجسم نحيف، وقد ضَؤُل ضآلة، أبو زيد: «ضَؤل رأيه ضآلةً»...[1]

قوله: (**والوقاحة**) وقح الرجل إذا صار قليل الحياء، فهو وَقِحٌ ووَقاحٌ بيّن القِحة والقَحة والوقاحة.

قوله: (**وهذا مِن مظانّه**)[2] أي: هذا الموضع مِن مظانّ[3] النصب على المدح، والمَظانّ:[4] جمع المَظِنّة، ومَظِنّة الشيء: موضع يُظَنّ كونه فيه، أي: هذا الموضع جدير بأن يكون الاسم فيه منصوبًا على المدح.

---

[1] **الصحاح** للجوهري، «ضأل». والعبارة فيه: «أبو زيد: ضَؤُلَ رأيه ضآلة إذا صغر وقال رأيه».

[2] ن: مضانّه.

[3] ن: مضان.

[4] ن: والمضان.

﴿مَهْدًا﴾ قراءةُ أهْلِ الكوفة؛ أي: مَهَدها مَهْدًا، أو يَتَمَهَّدُونَها فهي لَهُم كالمَهْد، وهو ما يُمْهَد للصَّبيِّ.

﴿سَلَك﴾ من قوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ [المدثر ٤٢/٧٤]؛ ﴿سَلَكْنَاهُ﴾ [الشعراء ٢٠٠/٢٦]؛ ﴿نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الحجر ١٢/١٥]؛ أي: حَصَّل لكم فيها سُبلًا وَوَسَّطها بين الجبال والأَوْدِيَة والبَرَاري.

﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ انتُقِلَ فيه من لفظِ الغَيبة ....

قوله: (أي: مَهَدها مَهْدًا) يشير به إلى أنّه يجوز أن / يكون ﴿مَهْدًا﴾ مصدر [١٢٥و] مَهَدتُ الفراش مَهدًا؛ بَسطته ووطَّأته، ويكون فعله محذوفًا، ويكون ﴿جَعَلَ﴾ بمعنى: خلق، فالمعنى: أنّه قال: خلق لكم الأرض ثمّ قال: مَهَدَها مَهدًا. وقوله: (أو يتمهَّدونها) يشير به إلى أنّه يكون "المهد" بالمعنى[١] المعروف؛ وهو مهْد الصبيّ، فيكون حالًا مقدّرة، والتمهّد: التمكّن، وتمهيد الأمور: تسويتُها وإصلاحها. والأَولى أن يكون ﴿مَهْدًا﴾ مفعول ﴿جَعَلَ﴾[٢] إن كان "المهد" مصدرًا، فيكون ﴿جَعَلَ﴾ متعدّيًا إلى مفعول واحد، فـ﴿مَهْدًا﴾ مفعول مطلق؛ لأنّ معنى ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾: فرش لكم الأرض ومهَدها، قال الله[٣] تعالى:[٤] ﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ ٱلْمَاهِدُونَ﴾ [الذاريات ٤٨/٥١]، وإن كان "المَهد" بمعنى: المهد الذي يكون للصبيّ، فـ﴿جَعَلَ﴾ متعدٍّ إلى مفعولين: أوّلهما: الأرض، والثاني: المَهد، وإمّا أن يكون حالًا مقدّرة كما كتبناه قبل، وفيه نظر؛ إذ لا يستقيم أن يقال: خلقنا الأرض حال تقديركم أن تتمهّدوها.

قوله تعالى: ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ أي: سلك سبلًا فيها لكم، فقدّم الظرف الملغى؛ لشدّة العناية به؛ لأنّ الغرض الامتنان عليهم بأنّ السُّبل إنّما هي لهم لا لغيرهم.

قوله: (والبراري) البرّيّة: الصحراء، والجمع: البراري.

---

١ ن: بالمعرو.
٢ ن: مفعولًا لجعل.
٣ د ف - الله.
٤ ن: تعلى.

إلى لَفظِ المُتكلِّم المطَاع؛ لِمَا ذكرتُ من الافتنان والإيذانِ بأنه مُطَاعٌ تُنقادُ الأشياءُ المختلِفةُ لأَمرِه، وتُذعِنُ الأَجناسُ المتفاوتَة لمشيئَتِهِ، لا يَمتنِعُ شيءٌ على إرادته.

ومِثلُه قولُه تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام ٦/٩٩]؛ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾ [فاطر ٣٥/٢٧]؛ ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ [النمل ٢٧/٦٠]، وفيه تخصيصٌ أيضًا بأنَّا نحنُ نقْدرُ على مثلِ هذا ولا يَدْخُل تحت قُدْرةِ أحدٍ.

﴿أَزْوَٰجًا﴾: أصنافًا؛ سُمِّيَت بذلك لأنها مُزدَوِجَةٌ مُقترِنةٌ بعْضُها مع بعضٍ.

﴿شَتَّىٰ﴾ صفةٌ للأزواج جمعُ شَتِيتٍ كمَرِيضٍ ومَرضَى، ويجوز أن يكون صفةً للنَّبَات، والنَّباتُ مصدر سمِّي به النَّابِتُ كما سمِّي بالنَّبتِ، فاستَوى فيه الواحِد والجمع، يعني: ....

قوله: (**إلى لفظ المتكلّم المطاع**) إشارة إلى فائدة قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ دون "أخرجتُ"؛ فإنّ المتكلّم إنّما يخبر عن نفسه بلفظ الجمع إذا كان ملِكًا مطاعًا يوافقه فيما قال وفعل جمع كثير وجمّ غفير. ثمّ إنّ قوله: (**لِما فيه مِن الافتنان**) إشارة إلى فائدة أصل الالتفات في ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾. وقوله: (**والإيذان بأنّه مطاع**)... إلخ إشارة إلى إيراد لفظ الجمع دون لفظ المفرد، أي: لا أحد يخالفنا فيما نريد، ولا ينازعنا فيما نفعله.

شكر الله تعالى[1] سعيَ المصنِّف فيما يُودعه في كتابه هذا مِن لطائف المعاني وينوّر به القلوب، والحمد لله الذي يوفقنا لتقرير هذه المعاني وتبيينه بفضله وإحسانه وإكرامه وإنعامه.

قوله: (**شتّى**) قال رحمه الله:[2] ليس في اللغة على هذا الوزن إلّا "حتّى" و"مَتّى"، ومَتّى: اسم أبي يونس.

---

[1] ن: تعلى.

[2] ف ن: رضي الله عنه.

أنها شتَّى مختلفةُ النَّفْع والطَّعْم واللون والرائحة والشَّكل، بعضُها يَصْلُح للنَّاس وبَعْضُها للبهَائم.

قالوا: من نعمته عزَّ وعلا أنَّ أرزَاق العبادِ إنما تحصُل بعمل الأنعام، وقد جعَل الله عَلفَها ممَّا يَفضُل عن حاجتهم ولا يقدرُون على أكله.

﴿كُلُواْ وَٱرْعَوْاْ أَنْعَٰمَكُمْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ٥٤﴾

أي: قائِلين: ﴿كُلُواْ وَٱرْعَوْاْ﴾ حَالٌ من الضمير في ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ المعنى: أخرَجنا أَصنَاف النباتِ آذِنِينَ في الانتِفاع بها مُبيحينَ أَن تأكلُوا بعضَها وتَعْلِفوا بعْضَها.

﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ٥٥﴾

أراد بخَلقِهم من الأرض: خَلْقَ أَصْلِهم -وهو آدمُ عليه السلام- منها.

وقيل: إن الملَكَ ليَنطلِقُ فيأخذُ من تُربة المكان الذي يُدفَنُ فيه فيُبَدِّدهَا على النُّطفة، فيُخلَقُ من التُّراب والنطفة معًا.

وأراد بإخراجهم منها: أنه يُؤلِّف أَجزاءهم المتفرِّقةَ المُختلطةَ بالتراب، ويَردُّهُم كما كانوا أحيَاء، ويُخرجُهم إلى المَحشر: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ [المعارج ٧٠/٤٣].

قوله تعالى: ﴿وَٱرْعَوْاْ﴾ يقال: رعت الماشية الكلأ رعيًا، ورعاها صاحبها إذا سَرّحَها في المرعى[١] رعيًا أيضًا، والمعنى: أسيموا[٢] مواشيكم فيما أنبتناه بالمطر، وأمّا "رعَى الأمير رعيته" فمصدره الرِّعاية.

قوله: (**أراد بخلقهم مِن الأرض**) إشارة إلى أنّ الضمير في ﴿مِنْهَا﴾ يعود إلى ﴿ٱلْأَرْضَ﴾. قال في **الوسيط**: «﴿مِنْهَا﴾ أي: مِن الأرض، وجرى ذكرها في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾».[٣]

قوله تعالى: (﴿سِرَاعًا﴾ [المعارج ٧٠/٤٣]) جمع سريع، ككِرام جمع كريم.[٤]

---

١ ن: الرعي.
٢ ن: أسيمو.
٣ **التفسير الوسيط** للواحدي، ٣/٢١٠ (طه، ٢٠/٥٥).
٤ ف ن - ككرام جمع كريم.

عَدَّد الله عليهم ما عَلَّق بالأرض من مَرافقهم، حيث جعلها لهم فِراشًا ومهَادًا يَتقلَّبون عَليها، وسَوَّى لهم فيها مسالكَ يتَردَّدُون فيها كيف شاؤُوا، وأَنبَتَ فيها أصنافَ النَّبات التي منها أَقواتُهم وعُلوفاتُ بهَائمهم، وهي أَصْلُهم الذي منه تفرَّعُوا، وأُمُّهم التي منها وُلِدُوا، ثُمَّ هي كِفَاتُهم إذا ماتوا، ومِن ثَمَّ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تمسَّحُوا بالأرض فإنَّها بكُم بَرَّةٌ».

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ۝٥٦﴾

﴿أَرَيْنَـٰهُ﴾: بَصَّرناه، أو: عرَّفنَاه صحَّتَها ويَقَّنَّاهُ بهَا، وإنما كذَّبَ لِظُلْمه؛ كقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل ١٤/٢٧] وقوله: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء ١٠٢/١٧].

قوله: (**مِن مرافقهم**) المَرافق: جمع المِرفق، والمِرفق مِن الأمر: ما ارتفعت به وانتفعت، ومِنه قوله تعالى: ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ [الكهف ١٦/١٨].

قوله: (**كفاتهم**) الكِفات: الذي يُكفت فيه شيء، أي: يُضمُّ، ومِنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ [المرسلات ٢٥/٧٧].

قوله: («**تمسَّحوا**»)[١] أي: ارقدوا عليها واسجدوا عليها.

قوله: (﴿**أَرَيْنَـٰهُ**﴾: **بصَّرناه**)...[٢] إلخ، يعني: يجوز أن يكون مِن الرؤية بمعنى الإبصار، وأن يكون / مِن الرؤية بمعنى المعرفة، وعلى التقديرين: إذا نقل إلى[٣] باب الإفعال يتعدّى إلى مفعولين؛ لكن على الوجه الثاني يكون المضاف محذوفًا كما ذكره، ولا يجوز أن يكون مِن الرؤية بمعنى العلم، وإلّا لزم حذف المفعول الثالث مِن الإعلام، وهو غير جائز. [١٢٥ظ]

قوله: (**ويقَّنّاه**)[٤] يقال: يَقِنتُ الأمر -بالكسر- يَقَنًا -بفتحتين- وأيقَنته واستيقَنته وتيقَّنته كلّه بمعنًى، وأنا على يقين مِنه، واليقين هو العلم وزوال الشكّ،

---

[١] **المعجم الصغير** للطبراني، ٢٥٤/١ (٤١٦)؛ **المصنَّف** لابن أبي شيبة، ١٤٩/١ (١٧٠٧).

[٢] ن - بصرناه.

[٣] ف ن - إلى.

[٤] ف: يقنّاه.

وفي قوله: ﴿ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا﴾ وجْهَان:

أَحَدُهما: أَنْ يُحْذَى بهذا التَّعريفِ الإضافيِّ حَذوَ التَّعريف باللام لو قيل: "الآياتِ كلَّها" أَعْني: أَنَّها كانت لا تُعطي إلَّا تَعريفَ العهد، والإشارةَ إلى الآيات المعلومة التي هي تسعُ الآياتِ المختصَّةُ بمُوسَى عليه السلام: العصَا، واليدُ، وفَلْقُ البَحر، والحَجرُ، والجَراد، والقُمَّل، والضفادع، والدَّمُ، ونَتقُ الجبَل.

والثاني: أن يكون موسى قد أرَاه آياتِه وعَدَّد عليه ما أُوتِيَه غيرُه من الأنبياء من آياتِهم ومُعجزَاتهم، وهو نبيٌّ صَادقٌ لا فرقَ بين ما يخبِرُ عنه وبَين ما يُشَاهِدُ به.

فاليقين كما ذكرنا متعدّ إلى مفعول واحد، نقَله المصنِّف بتضعيف العين إلى مفعولين في قوله:[1] "يقَّنّاه"، فظهر أنّ اليَقَن والإيقان والتيقّن والاستيقان كلّه بمعنًى، وأمّا التيقّن فمتعدٍّ إلى مفعولين، فعلى هذا يكون الباء في "بها" زائدة، ويجوز أن يقال: عدّاه بالباء إلى المفعول الثاني لا بالنقل إلى التفعيل، على أنّ التيقّن بمعنى اليَقَن وأخواته، ولا يبعد أن يقرأ لفظ الكتاب "يَقِنّاه" بكسر القاف مع التخفيف، فيكون عدّى "يَقِن" إلى الثاني بالباء.

قوله: **(والحَجَر)** هو الحَجَر الذي وضع موسى عليه ثوبه حين اغتسل، وفرَّ[2] الحَجَر بثوبه.

قوله: **(ونَتْقُ الجبل)** قيل: الآية التاسعة: الطَّمْسة، لا نَتْق الجبل؛ لأنّ نتقَ الجبل لم يكن مِن الآيات التي جاء بها إلى فرعون، وكذا الحَجَر لم يكن مِن ذلك، فالأَولى بدله: الطوفان. قيل: الدليل على أنّ الآية التاسعة الطَّمْسةُ: قوله تعالى:[3] ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [يونس ١٠/٨٨].

قوله: **(قد أراه)** أي: أرى موسى فرعون. وقوله: **(مِن الأنبياء)** بيان "غير".

قوله: **(وبين ما يشاهِد به)** يجوز في "يشاهِد" كسر الهاء، فيكون الباء في "به" للتعدية، أي: ما يظهره ويريه، وقوله: "به" أي: بسبب موسى.

---

[1] ن – قوله.
[2] ف ن: ومرّ.
[3] ن – تعالى.

﴿فَكَذَّبَ﴾: فكذَّبها جميعًا ﴿وَأَبَىٰ﴾ أن يَقبلَ شيئًا منها.

وقيل: ﴿فَكَذَّبَ﴾ الآيات ﴿وَأَبَىٰ﴾ قبولَ الحقِّ.

﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾﴾

يَلوح مِن جَيْبِ قوله: ﴿أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ أنَّ فرائصَهُ كانت تُرعَدُ خوفًا مما جاء به موسى عليه السلام؛ لعِلمه وإيقانِه أنَّه على الحق وأنَّ المُحِقَّ لو أراد قَوْدَ الجبال لانقَادَتْ له، وأَنَّ مِثْلَه لا يُخذَلُ ولا يَقِلُّ ناصرُه، وأنه غَالِبُه على مُلكه لا محَالة.

وقوله: ﴿بِسِحْرِكَ﴾ تعَلُّلٌ وتحَيُّرٌ، وإلَّا فكيف يَخفى عَليه أن ساحرًا لا يَقدر أن يُخرِج مَلِكًا مثلَه من أرضه ويَغلبَه على مُلكِه بالسِّحر؟

﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾﴾

لا يخلو المَوعد في قوله: ﴿فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ مِن أن يُجعَل زمَانًا أو مَكانًا أو مصدرًا:

فإن جَعلتَه زمانًا نظرًا في أَنَّ قوله: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ مُطَابِقٌ لهُ،

قوله: (**وقيل:**[١] **فكذّب الآيات**)... إلخ على التفسير الأوّل لـ"أبَى" يكون قوله: ﴿وَأَبَىٰ﴾ كالتأكيد والبيان لقوله: ﴿فَكَذَّبَ﴾، وأما على التفسير الثاني فهما معنيان، أي: كذّب معجزته، ولم يقبل شريعته أو نبوّته.

قوله: (**فرائصه**)[٢] الفريصة:[٣] اللحم بين الجَنب والكَتِف.

قوله: (**وإلّا فكيف**) أي: وإن لم يُحمَل كلامه هذا على[٤] التعلّل والتحيّر لا يستقيم، فإنّه لا يخفى عليه.

---

[١] ن – وقيل.
[٢] ف ن: فرائضه.
[٣] ن: الفريضة.
[٤] ف: على هذا.

لزمكَ شيئانِ: أن تَجعلَ الزمان مُخْلَفًا، وأن يُعضِل عليك ناصِبُ ﴿مَكَانًا﴾.

وإن جعَلْتَهُ مكانًا -لقوله: ﴿مَكَانًا سُوًى﴾- لزمَكَ أيضًا أن تُوقِعَ الإِخْلافَ على المكان، وأن لا يُطابقَ قولَه: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾، وقراءةُ الحسنِ غيرُ مُطابقةٍ له مكانًا وزمانًا جميعًا؛ لأنَّه قرأ: "يومَ الزينة" بالنَّصب.

فبَقِيَ أَن يُجعَلَ مصْدرًا بمعنى الوعْد، ويُقَدَّرَ مضَافٌ محذُوفٌ؛ أي: مكانَ مَوعدٍ، ويُجعَلَ الضَّمير في ﴿نُخْلِفُهُۥ﴾ للمَوعد و﴿مَكَانًا﴾ بَدلٌ من المكان المحذوف.

قوله: **(أن تَجعل)** "أن تَجعل" و"أن يُعضِل" بدل مِن "شيئان".

قوله: **(مُخْلَفًا)** أي: وذلك لا يجوز؛ لأنّ الزمان لا يكون مُخْلَفًا، وإنّما يكون المُخْلَف الميعاد، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران ٣/٩] أي: الوعد. وقوله: **(وأن يُعضِل)** يقال: أعضل الأمر، أي: اشتدَّ واستغلق، وأمرٌ مُعضِل: لا يُهتدَى لوجهه.

قوله: **(ناصب مكانًا)**؛ لأنّه لا يمكن أن يكون معمولًا لقوله: ﴿مَوْعِدًا﴾؛ لأنّ اسم الزمان لا يعمل، ولا أن يكون بدلًا مِنه، وهو ظاهر، ولا يَحسُن تقدير شيء آخر.

قوله: **(غير مطابِقةٍ له)** أي: للمَوعد. وقوله: **(مكانًا)** حال مِن الضمير في "له". وقوله: **(لأنّه قرأ)**[1] بيان عدم المطابقة؛ وذلك لأنّه لا يصحّ أن يقال: زمانُ وعدكم أو مكانُه حاصل أو واقع يوم الزينة.

[١٢٦و] قوله: **(فبقي أن يُجعل مصدرًا)** مسبَّب عما ذكر مِن / الأبحاث؛ لأنّه لمّا ذكَر أنّ ﴿مَوْعِدًا﴾ لا يخلو إمّا أن يكون زمانًا أو مكانًا أو مصدرًا وأبطل القسمين الأوّلين تعيَّن أن يكون مصدرًا، فقال: "فبقي"...

قوله: **(ويُقدَّر مضاف)** وإذا جعل مصدرًا وقدّر المضاف استقام على القراءتين، كما بيّنه بقوله: **(ويُقدَّر)**... إلخ، وبالسؤال والجواب.

قوله: **(ويُجعل الضمير في ﴿نُخْلِفُهُۥ﴾)**... إلخ، فيه اعتبارٌ للمذكور بجعل الضمير له،

---

١ انظر: **المحتسب** لابن جنّي، ٥٣/٢.

فإن قلتَ: فكيف طابقَه قولُه: ﴿مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ﴾ **ولا بُدَّ من أن تَجعَله** زمانًا، والسُّؤالُ واقعٌ عن المكان لا عن الزَّمان.

قلتُ: هو مطابقٌ معنًى وإن لم يُطابِق لفظًا؛ **لأنَّه لا بدَّ لهم من أن يَجتمِعُوا** يومَ الزينة في مكانٍ بعَينه مُشتَهِرٍ باجتماعِهم فيه في ذلك اليوم، **فبذِكْرِ الزَّمان** عُلِم المكان.

وأما قراءةُ الحَسن ....

واعتبارٌ للمحذوف بجعل ﴿مَكَانًا﴾ بدلًا منه، فهو قريب مِن قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ﴾ [الأعراف ٧/٤].

قوله: (**فإن قلتَ: كيف طابقه؟**) معنى هذا السؤال: أنّ **المراد بالمَوعد في** قوله: ﴿مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ﴾: الزمان؛ ليصحّ الإخبار عنه بقوله: ﴿يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ﴾، وإذا كان كذلك[1] فكيف يطابق هذا الجواب مِن موسى سؤال فرعون: ﴿فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدًا﴾، فإنّ هذا السؤال سؤال عن المكان كما ذكرت، فأجاب: بأنّه "طابقه معنًى"، وقوله: (**ولا بدّ**) حال. وقوله: (**مِن أن تَجعله**[2] **زمانًا**)؛ ليصحّ الإخبار بقوله: ﴿يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ﴾، وقوله: (**عن المكان**) كما ذكر.

قوله: (**قلت: هو مطابق معنًى**) يعني على قراءة العامّة، وأمّا على قراءة الحسَن فسيجيء في قوله: (**وأمّا على قراءة الحسَن**). وقوله: (**عُلم المكان**) وإذا عُلم المكان منه تحصُل المطابقة والزيادة على ذلك، وهذا كما قال ابن الحاجب في أصوله في مثل هذا الجواب: «طابق وزاد»،[3] فكأنّه قال: نحن نخرج يوم العيد للفائدة فيه، فلا حاجة بنا إلى تعيين المكان؛ لأنّه معلوم أو غير مهمّ، فيكون مِن أسلوب الحكيم، فتأمّل.

قوله: (**وأمّا قراءة الحسَن**) عطف على محذوف، إذ التقدير: هو مطابق معنًى على قراءة العامة، وأمّا على قراءة الحسَن...، لمّا فرغ مِن بيان وجه العامّة

[1] ن: لذلك.
[2] ن: يجعل.
[3] مختصر ابن الحاجب، ص ٧٣٤.

فالمَوعدُ فيها مصدرٌ لا غيرُ، والمَعنى: إنجَازُ وعْدكم يومَ الزّينة، وطِباقُ هذا أيضًا من طريق المعنى.

ويجوز أن لا يُقدَّرَ مُضافٌ محذوفٌ ويكونَ المعنى: اجعَلْ بينَنا وبَينَك وَعْدًا لا نُخلِفُه.

فإن قلتَ: فَبِمَ يُنصبُ ﴿مَكَانًا﴾؟

شرَع في بيان قراءة الحسَن بقوله: **(وأمّا قراءة الحسَن)** يعني: يكون "الموعد" في ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ في قراءة الحسَن مصدرًا، ولا يحتاج معه إلى تقدير المضاف هنا، وإليه أشار بقوله: **(لا غير)**؛ ولكن يكون المضاف محذوفًا في قوله: ﴿مَوْعِدُكُمْ﴾، أي: إنجاز وعدكم حاصلٌ يومَ الزينة، ولم يكن المضاف محذوفًا[1] هنا على قراءة العامة. وقوله:[2] **(مصدر[3] لا غير)** إنّما قيّد بقوله: "لا غير"؛ لأنّ "الموعد" على ما ذكر مصدر في المقام الأوّل، زمان في المقام الثاني، وأمّا على قراءة الحسَن فمصدر في المقامين.

قوله: **(ويجوز أن لا يقدَّر)** وهو أيضًا على القراءتين. اعلم أنّ الكلام المتقدّم دلّ على أنّه لا بدّ مِن تقدير مضاف محذوف، فأشار هنا إلى أنّه يجوز أن لا يقدّر مضاف محذوف، لا على قراءة العامّة، ولا على قراءة الحسَن، فقوله: **(ويجوز)** عطف على جملة قوله: **(ويُقدّر)**... إلخ، وقوله: **(وأمّا قراءة الحسَن)** عطف مِن حيث المعنى على قوله: **(أي: مكان موعدٍ)** والحاصل مِن هذا التقرير: أنّه إمّا أن يقدَّر مضاف محذوف أو لا، فإن قُدِّر فإمّا قبلَ ﴿مَوْعِدًا﴾، وهو على قراءة العامّة؛ وإمّا قبل ﴿مَوْعِدُكُمْ﴾، / وهو على قراءة الحسَن، وإمّا أن لا يقدَّر مضاف، وهو الذي أشار إليه بقوله: **(ويجوز أن لا يُقدَّر)**... إلخ. [١٢٦ظ]

قوله: **(فإن قلت: فبمَ ينتصب ﴿مَكَانًا﴾؟)** هذا السؤال على هذا الوجه الثاني يجيء على القراءتين، يعني إذا قدّر المضاف كان ﴿مَكَانًا﴾ بدلًا، فبأيّ شيء ينتصب

---

[1] ن + في قوله: ﴿مَوْعِدُكُمْ﴾، أي: إنجاز وعدكم حاصلٌ يومَ الزينة، ولم يكن المضاف محذوفًا.

[2] ن: قوله.

[3] ن: مصدرًا.

قلتُ: بالمصدر، أو بفعلٍ يَدلُّ عليه المصدرُ.

فإن قلتَ: فكيف يطابقُه الجوابُ؟

قلتُ: أمَّا على قراءةِ الحسن فظاهرٌ، وأمَّا على قراءةِ العَامَّة فعَلى تَقدير: وَعدُكم وَعْدُ يومِ الزِّينةِ.

ويجوز على قراءةِ الحسن أن يكون ﴿مَوْعِدُكُمْ﴾ مبتدأً بمعنَى **الوقتِ**،

إذا لم يُقدّر المضاف؟ فأجاب بوجهين: **الأوّل**: أن يكون منصوبًا بـ﴿مَوْعِدًا﴾، **أي**: اجعل بيننا وبينك وعدًا مكانًا، أي: أن تَعِد مكانًا. **الثاني**: أن ينتصب بفعل مقدَّر دلّ عليه ﴿مَوْعِدًا﴾، فكأنّه قال: اجعل بيننا وعدًا، ثمّ قال: عِدْ مكانًا.

قوله: (**فإن قلت: فكيف يطابقه الجواب؟**) أي:[١] على القراءتين، فلذلك قال في الجواب: (**أمّا**)، (**وأمّا**)، أي: إذا لم يُقدَّر المضاف في ﴿مَوْعِدًا﴾ فكيف يطابق السؤالَ -وهو: "اجعل بيننا وعدًا"- جوابُه، وهو قوله: "وعدكم يوم الزينة"؟ فأجاب: بأنّ المطابقة على قراءة الحسَن ظاهرة، إذ المعنى: وعدكم يتنجّزُ يومَ الزينة، فقوله: "يتنجّز" متعلَّق الظرف، حذِف لدلالة القرينة، فإنّ متعلَّق الظرف إذا كان خاصًّا يجوز حذفُه عند دلالة القرينة، وأمّا على قراءة العامّة فيجعل ﴿مَوْعِدُكُمْ﴾ أيضًا مصدرًا لا زمانًا، ويقدَّر مضاف، أي: وعدكم وَعد يومِ الزينة، أي: وَعدُكم هذا الوعدُ المَخصوص.

قوله: (**فعلى تقدير: وعدُكم**) أي: يجعل ﴿مَوْعِدُكُمْ﴾ مصدرًا أيضًا، ويقدر مضاف في ﴿يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾.

قوله: (**ويجوز على قراءة الحسَن**) جواب آخر عن هذا السؤال، وهذا الجواب مختصّ بقراءة الحسَن. واعلم أنّ هذه الحاشية فاسدة، "ويجوز" -أي: قوله: "ويجوز"-[٢] عطف مِن حيث المعنى على "يكون المعنى"، والحاصل أنّه إذا لم يُقدَّر المضاف فإمّا أن يكون مصدرًا كما ذكر على القراءتين، وإمّا أن يكون وقتًا، وهو يتمشّى على قراءة الحسَن.

---

[١] ن - أي.

[٢] ن - أي: قوله: (ويجوز).

و﴿ضُحًى﴾ خبرَه على نيةِ التعريفِ فيه؛ لأنه ضحَى ذلك اليَوم بعَيْنه.

وقيلَ في "يوم الزينة": يومُ عَاشُوراء، ويومُ النَّيروز، ويومُ عيدٍ كان لهم في كلِّ عام، ويَومٌ كانوا يتَّخِذُون فيه سُوقًا ويتَزيَّنُون ذلك اليومَ.

قرئ ﴿نُخْلِفُهُۥ﴾ بالرفع عَلى الوصف للمَوعد، وبالجزم على جواب الأمر.

وقرئ ﴿سِوًى﴾ و﴿سُوًى﴾ بالكسر والضَّم، ومُنوَّنًا وغيرَ منوَّنٍ.

ومعناه: مَنْصَفًا بينَنَا وبينَك، عن مجاهدٍ.

وهو من الاستوَاء؛ لأنَّ المسَافة من الوسط إلى الطَّرفين مُستَويةٌ لا تَفاوُتَ فيها، ومَن لم يُنَوِّن فوَجْهُه أن يُجْرِيَ الوصْل مُجْرى الوقف.

قرئ: "وأنْ تَحْشُرَ الناسَ" بالتاء والياء، يُريد: "وأن تَحشُر يا فرعونُ"، "وأَن يَحشُرَ اليومُ"، ويجوز أن يكون فيه ضميرُ فرعون، ذَكَرهُ بلَفْظ الغَيْبةِ: إمَّا على العادة التي يُخاطَبُ بها المُلوكُ، أو خاطبَ القومَ بقوله: ﴿مَوْعِدُكُمْ﴾ وجعل "يَحْشُرَ" لفرعَون.

قوله: (**ضُحَى ذلك اليوم**) أي: ضحَى يومِ الزينة، فيكون ﴿يَوْمَ ٱلزِّينَةِ﴾ حالًا مِن ضحًى؛ لأنّه مِن حيث المعنى مفعول، كأنّه قيل: جعلتُ الموعد ضحًى، ويكون ﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ﴾ عطفًا على ﴿ٱلزِّينَةِ﴾، أي: يومَ حشرِ الناس.[1]

قوله: (**مَنْصَفًا**) أي: وسط المسافة. المَنصَف: الموضع الذي يتنصّف فيه المسافة، وهي[2] مَفْعَلة مِن السَّوف، وهو الشَّمُّ؛ لأنّ عارفَ الطريق كان يَشُمُّ التراب حين يسلك بالقوم فيَعرف به الطريق.

قوله: (**وأن يَحشُر اليومُ**)[3] كأنّ اليوم يحشرهم.

قوله: (**أو خاطب القومَ**) أي: خاطب موسى.

---

١ ن: الزينة.

٢ أي: المسافة.

٣ القراءة على تسمية الفاعل في "يحشر" مع نصب "الناس" شاذّة، فسّرها ابن جنّي بقوله: «أي: وأن يحشر الله الناس». انظر: **المحتسب** لابن جنّي، ٢/٥٤.

ومحلُّ ﴿أَنْ يُحْشَرَ﴾ الرفعُ أو الجرُّ؛ **عطفًا على اليَوم أو الزِّينةِ.**

وإنما واعَدَهم **ذلك اليومَ** ليكون عُلُوُّ كلِمةِ الله **وظهورُ دينه وكَبْتُ الكافِر وزُهوقُ الباطل** على رُؤوسِ **الأشهاد** وفي المَجْمَعِ **الغاصِّ؛ لتَقْوى رغبَةُ مَن رَغِبَ في اتِّباع الحقِّ ويَكِلَّ** حَدُّ المُبطِلين وأشياعِهم، **ويَكثُرَ المُحدِّثُ بذلك الأَمرِ العلَمِ في كلِّ** بَدْوٍ وحَضَر، **ويشِيعَ في جَميع أهْلِ الوَبَر والمَدَر.**

قوله: (**ومحل ﴿وَأَن يُحْشَرَ﴾ الرفع أو الجرّ**) أمّا الجرّ فعلى أن يكون "الموعد" اسم الزمان، أي: زمان وعدكم يومُ الزينة ويومُ حشرِ الناس، وأمّا الرفع فعلى أن يكون "الموعد" بمعنى الوعد، ويكون المضاف محذوفًا مِن "يوم"، ويكون "أن يُحشَر" عطفًا على "يوم"، أي: وعدُكم وعدُ يومِ الزينة ووعدُ حشرِ الناس.

قوله: (**وإنّما واعدهم**) أي: موسى.

قوله: (**ليكون علوُّ كلمة الله**) اللام في "ليكون"[1] متعلِّق بـ"واعَدَ".

قوله: (**وكَبْتُ**) كُبِت فلان على وجهه: صُرِعَ، وقيل: التاء بدل مِن الدال، أي: كُبِدَ؛ / أصيب كَبِده، كَرُئيَ؛ أصيب رِئتُه. **[١٢٧و]**

قوله: (**لتقوى**) اللام متعلِّق بقوله: (**على رءوس**)، أو بقوله: (**في المجمع**)[2] وهو مِن التنازع.

قوله: (**العلَم**) أي: المشهور، يقال: فلان عَلَمٌ في الخير والشر، إذا كان مشهورًا.

اعلم أنّ المصنِّف لم يذكر تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾ إلى قوله: ﴿مُوسَىٰ﴾، قال في **الوسيط**: «قال مقاتل: أعرَض عن الحقّ وعمّا يلزمه مِن الطاعة، ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ مكرَه وحيلتَه، وذلك جمعه السحَرة، ﴿ثُمَّ أَتَىٰ﴾ حضر الموعد، ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ﴾ أي: للسحرة الذين جمعهم فرعون، ﴿وَيْلَكُمْ﴾ ألزمكم الله الويلَ».[3] هذا كلام صاحب **الوسيط**.

---

١ ن: لتكون.

٢ ن: الجمع.

٣ **التفسير الوسيط** للواحدي، ٣/٢١١ (طه، ٦١/٢٠).

﴿فَتَوَلَّىٰ فِرۡعَوۡنُ فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ ﴿٦١﴾﴾

﴿لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾؛ أي: لا تَدْعُو آيَاتِه ومُعجزاتِهِ سحْرًا.

قرئ: ﴿فَيُسۡحِتَكُم﴾، والسَّحْتُ لغةُ أهْلِ الحجاز، والإسْحَاتُ: لغةُ أهلِ نَجْدٍ وبني تميمٍ، ومنه قولُ الفرزدق:

إلَّا مُسْحَتًا أو مُجَلَّفُ

في بيت لا تَزالُ الرُّكَب تَصْطَكُّ في تَسويةِ إعرابه.

وأظنّ أنّ الأَولى أن يقال: معنى "تولّى فرعون": أعرض عن مقاولة موسى، وتوجّه إلى جمع السحرة، ﴿فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ﴾ أي: السحرة، فيكون مطابقًا لقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ [الشعراء ٣٦/٢٦].

قوله: **(أي: لا تدعوا آياته)** فسّر قوله تعالى: ﴿لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾ بقوله: "لا تدعوا"، وهو مِن: دعوتُه، أو[1] سمَّيتُه المتعدّي إلى مفعولين، أي: لا تُسمُّوا آياته ومعجزاته سِحرًا، ووجه هذا التفسير: أنّ الله تعالى أظهر هذه الآيات والمعجزات، فإذا سمَّوها سحرًا فقد جعلوا الله تعالى ساحرًا، فيكون هذا افتراء على الله تعالى[2] بأنّه يفعل السحر، وأنّه ساحر. تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

قوله:

(إلّا مُسحَتًا أو مجلَّفُ)

أوّله:

وعَضُّ زمانٍ يا ابنَ مروان لم يَدَعْ مِن المالِ...[3]

اعلم أنّه راعى الفرزدق صورة "لم يَدَع" -حيث نصب به "مُسْحَتًا"- ومعناه -وهو: لم يبق- حيث رفع به "مجلَّفُ" جمعًا بين اعتباري اللفظ والمعنى، عطف "مُجَلَّفُ" على "مُسحَتًا"، على أنّ معنى "لم يدَع": لم يبق، ونظيره:

---

[1] كذا في الأصول الخطّية: "أو"، ولعلّ الصواب: "أي".

[2] ن: تعلى.

[3] ديوان الفرزدق، ٥٥٦/٢، ووقع فيه: "مجرَّفُ" بدل "مجلَّفُ".

﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ۝٦٢ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ۝٦٣﴾

عن ابن عبّاس: أنَّ نجواهُم: إن غَلَبَنا مُوسَى اتَّبعْناهُ.

وعن قتادة: إن كان سَاحِرًا فسَنغْلِبُه، وإن كان من السماء فلَه أَمرٌ.

وعن وهْبٍ: لمّا قال: ﴿وَيۡلَكُمۡ﴾ الآيةَ قالوا: ما هذا بقولِ ساحرٍ.

والظَّاهرُ: أنهم تَشاوَروا في السِّرِ وتجَاذَبُوا أَهْدَابَ القول ثمّ قالوا: ﴿إِنَّ هذان لسَاحران﴾، فكانت نَجوَاهُم في تَلفِيق هذا الكلام وتَزْوِيزِه خوفًا من غَلَبتِهما وتَثْبيطًا للناسِ عن اتّباعهما.

قرأ أبو عمرٍو: ﴿إِنَّ هذَيْنِ لساحِرانِ﴾ على الجهَة الظاهِرة المَكشُوفة، وابنُ كثير وحفصٌ: ﴿إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ على قولك: إنْ زَيدٌ لَمنطلقٌ، واللَّامُ هي الفارقة بين "إنْ" النافيةِ والمخفَّفةِ من الثَّقيلة.

وقرأ أبيٌّ: "إنْ ذانِ إلا ساحرانِ"، وابن مسعود: "أنَّ هذان ساحرانِ" بفتح "أنَّ" وبغير لامٍ، بَدلٌ من ﴿ٱلنَّجۡوَىٰ﴾.

زُرني فأَزورك، ومعناه: ليجتمع الزيارتان. قال بعضهم: "مُجَلَّفُ" معطوف على المستكِنّ في "مُسحَتًا"، أي: مُسحَتًا هو أو مجلّف. وقال بعضهم: هو معطوف عليه مِن حيث المعنى. والمعنى: لم يبقَ مُسحَت أو مجلّف.[1] و"مُسْحَتًا"، أي: مستأصَلًا. و"مُجلَّف"، أي: مقطوع. وجَلَفْتُ الشيء، أي: قطعته واستأصلته، والمجلّف: الذي أُخِذ مِن جوانبه.

قوله: (وعن وهْب)[2] أي: في معنى النجوى.

قوله: (وتزويزه) هو من الزَّوْز،[3] وهو الامتحان. زازَ[4] العِدلَ إذا حرّكه: هل يقدر على حمله أم لا؟[5] وفي بعض النسخ: "وتزويره".

---

١ ف: [illegible] ٣ ف: الزوز.
٢ [illegible] ٤ ف: زاز.
٥ [illegible]

وقيل في القراءة المشهورة: ﴿إِنَّ هذانِ لساحرانِ﴾: هي لغةُ بلْحَارِثِ بن كعب، جعلوا الاسمَ المثنّى نحوَ الأسماء التي آخِرُهَا أَلِفٌ كعصًا وسُعدَى، فلم يَقْلِبُوها يَاءً في الجرِّ والنَّصب.

وقال بعضهم: ﴿إِنْ﴾ بمعنى: نعَم، و"ساحران" خبرُ مبتدأ محذوفٍ، وَاللَّامُ داخلةٌ على الجملة، تقديرُه: لَهُمَا سَاحران، وقد أُعجبَ به أبو إسحاقَ.

سَمَّوا مذهبَهُم: الطريقةَ المُثْلى والسُّنَّةَ الفُضْلى، وكُلُّ حِزْبٍ بما لَدَيهم فرحُون.

وقيل: أرادُوا: أَهْلَ طريقتِهِم المُثلى وهُم بنو إسرائيل؛ لقولِ مُوسى: ﴿أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء ٢٦/١٧].

قوله: (لغة بَلحارث) أي: بني الحارث.[١]

قوله: (واللام داخلةٌ على الجملة) هذا القول مردود مِن قِبَل أنّ اللام للتأكيد، وهما مؤكّدٌ به، ومحال إسقاط المؤكَّد وإبقاء التأكيد. اعلم أنّ هذا الردّ ضعيف؛ لأنّ اللام ليس لتأكيدهما؛ بل هو لتأكيد مضمون الجملة، ولذلك تَدخل تارة على الاسم، وتارةً على الخبر، وتارة على ما يتوسَّط بينهما.

قوله: (وقد أُعجب به أبو إسحاق) يعني استحسنه أبو إسحاق.

قوله: (والسُنَّة الفُضْلى) هذا كالتفسير للطريقة المُثلى، أتى المصنِّف بطريقة العطف للبيان.

قوله تعالى: / (﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون ٢٣/٥٣]) أي: باعتقادهم راضون. وقوله: ﴿ٱلْمُثْلَىٰ﴾ المُثلى: هم الجماعة الأفضلون، تأنيث الأمثل؛ وهو الأفضل، كالفُضلى في تأنيث الأفضل. [١٢٧ظ]

قوله: (لِقول موسى) اللام في "لقول" متعلِّق بـ"أرادوا"، كأنّه قال: إنّما قالوا:

---

[١] قال ابن منظور: «وقولهم: بلحارث، لبني الحارث بن كعب، من شواذ الإدغام؛ لأن النون واللام قريبا المخرج، فلما لم يمكنهم الإدغام بسكون اللام، حذفوا النون». **لسان العرب** لابن منظور، «حرث».

وقيل: الطريقةُ اسمٌ لوُجوه الناس وأشرافِهم الذين هُم قدوةٌ لِغَيْرهم، يُقَال: هم طريقةُ قَومِهم، ويُقَال للواحِد أيضًا: هو طريقةُ قومِهِ.

﴿فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفًّاۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ٦٤﴾

﴿فاجْمَعُوا كَيْدَكُم﴾ يَعضُدهُ قوله: ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ [طه ٦٠/٢٠] وقُرِئَ ﴿فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ﴾؛ أي: أَزْمِعُوهُ واجْعَلوه مُجْمَعًا عَليه حَتَّى لا تَختلِفوا ولا يتَخلَّفَ عنه واحدٌ مِنكم كالمسألة المُجمَع عَليها، أُمِرُوا بأَن يَأتُوا صَفًّا؛ لأنه أَهْيَبُ في صُدور الرَّائينَ.

ورُوي: أنهم كانوا سبعين ألفًا مع كلِّ واحدٍ منهم حبْلٌ وعَصًا وقد أَقبلُوا إِقبَالةً واحدةً.

وعن أبي عبيدةَ: أنَّه فسَّر الصَّف بالمُصَلَّى؛ لأن النَّاس يجتمِعُون فيه لعيدهم وصلاتهم مُصْطفِّينَ، ووجهُ صحَّتِه: أن يَقع عَلَمًا لمُصَلًّى بعَينه فأُمِروا بأنْ يأتُوه، أو يُرادَ: ائتُوا مُصَلًّى مِنَ المصَلَّياتِ.

ويذهبا بطريقتكم،[1] أي: بأهل طريقتكم؛ لأنّ موسى كان قد سأل ذلك مِن فرعون حيث قال: "أَرسِل".

قوله: (**وقيل**: "**الطريقة**" **اسم**) فلا يحتاج إلى تقدير المضاف.

قوله: (**يَعضُده**)... إلخ إشارة إلى أنّ وصل الهمزة هنا أولى مِن القطع، قال أبو عليّ في **الحجّة**: «زعم أبو الحسن: أنّ وصْل الألف في ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ [يونس ٧١/١٠] أكثر في كلام العرب، قال: وإنّما يقطعون الألف إذا قالوا: أَجمِعوا على كذا وكذا»،[2] أي: اتّفِقوا.

قوله: (**لأنّ الناس**) متعلِّق بقوله: (**فسَّر**)، وحاصله: إطلاق اسم الحالّ على المَحلّ.

قوله: (**أو يُراد**) عطف على قوله: (**أن يقع**).

---

[1] ن + المثلى.

[2] **الحجّة** لأبي عليّ الفارسي، ٢٠٠/٣.

﴿وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ﴾ اعتراضٌ، يعني: وقد فَاز مَن غلَبَ.

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ٦٥﴾

﴿أَن﴾ مع ما بَعدَه: إمَّا منصُوبٌ بفعْلٍ مُضمرٍ، أو مَرفوعٌ بأنه خبرُ مبتدأ محذوف، معناه: "اخْتَرْ أحَدَ الأَمْرَين"، أَو: "الأمْرُ إلقَاؤُكَ أو إلقاؤُنا".

وهذا التخييرُ منهم استعمالُ أدَبٍ حَسَنٍ معه وتَواضعٌ له وخفضُ جَناحٍ، وتَنبيهٌ على إعطائِهم النَّصَفةَ من أنفسهم، وكأنَّ الله عزَّ وَجلَّ أَلهَمهُم ذلك وعَلَّم موسى عليه السلام اختيارَ إلْقَائِهم أوَّلًا -معَ ما فيه من مُقابلةِ أدَبٍ بأدبٍ- حتَّى يُبْرِزُوا ما معهُم مِن مكائدِ السِّحْر، ويَستَنْفِدُوا أقصَى طَوقِهم ومَجهُودَهم، فإذا فعَلوا أظهَر الله سُلطانه وقَذف بالحقِّ على الباطل فدَمَغهُ، وسَلَّط المُعجزةَ عَلى السحر فمحقَتْهُ،

قوله: ("أن" مع ما بعدَه إمّا منصوب أو مرفوع) اعلم أنّ الأَولى أن يكون منصوبًا، والتقدير: اختر إمّا إلقاءك أولًا وإمّا كوننا أوّل مَن ألقى، وحذف "أوّلًا" مِن الأوّل لدلالة ﴿أَوَّلَ﴾ عليه، وإنّما قلنا: النصب أَولى ليطابقه ﴿بَلۡ أَلۡقُواْ﴾، وهذا عطف على نهي محذوف، أي: لا أخترِ الإلقاءَ أوّلًا، أو لا[1] أُلْقِ أنا؛ بل ألقوا. والفاء في ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمۡ﴾ فاء فصيحة، أي: فألقَوا فإذا حِبالهم.

قوله: (اختَر أحد الأمرين)... إلخ فيه لفّ ونشر.

قوله: (أَلهَمهم ذلك) أي: ألهَم السحرة ذلك، أي: التخيير أو استعمال الأدب.

قوله: (اختيار إلقائهم) مضاف إلى المفعول، أي: اختيارَه إلقاءَهم أوّلًا.

قوله: (حتّى يُبْرزوا) غاية لقوله: (ألهمهم) و(علّم)، وفيه إشارة إلى جواب سؤال أورده بعضهم ههنا، وقالوا: لِم أجاز لهم موسى السِحر؟ فأجاب: بأنّ في ذلك بيان معجزة وظهورها.

قوله: (وقذف)، قوله: (قذف بالحق) الباء إمّا مُقحَمة أو للآلة، كقولك: كتبت بالقلم.

[1] ف - أو لا.

وكانت آيةً نيّرةً للنَّاظِرين وعِبْرةً بيّنةً للمُعتَبِرين.

﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾

يقَال في "إذا" هذِه: إذا المُفاجأةِ، والتحقيقُ فيها: أنها "إذا" الكائنةُ بمعنى الوقتِ، الطالبةُ ناصبًا لها وجُملةً تُضَاف إليها، خُصَّت في بَعض المواضع بأنْ يكونَ ناصبُها فِعْلًا مخصُوصًا وهو فعل المُفَاجَأة والجملةُ ابتدائيَّةً لا غيْرُ، فتقديرُ قوله تعَالى: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ﴾: ....

قوله: **(وعبرةً)** العبرة: المنزلة يُعبر بها مِن منزل الجهل إلى منزل العلم.

قوله: **(يقال[1] في "إذا" هذه: "إذا" المفاجأة)** تضيف "إذا" إلى المفاجأة، كما تقول: زيد يقال له: غلام عمرو، فالإضافة للملابسة بينها وبين المفاجأة. ثمّ بيّن بقوله: **(الطالبة)** إلى قوله: **(إليها)** كونَها بمعنى الوقت، أي: ظرفيّة، ثمّ ذكر ما خُصّت به حتّى سمِّيت باسم آخر، فقوله: **(ناصبُها فعلًا مخصوصًا، وهو فعل المفاجأة)** في مقابلة قوله: **(الطالبة ناصبًا لها)**، وقوله: **(والجملة ابتدائيّة)** عطف على قوله: **(ناصبُها فعلًا مخصوصًا)**، فقوله: **(ابتدائيةً)** منصوب؛ لأنّه خبر "يكون"، وقوله: **(والتحقيق)** يعني: أنّها "إذا" الظرفيّة بعينها؛ لكن لمّا اختصّ في بعض المواضع بما ذكر سمّي باسم آخر، وهذا كما قيل: إنّ "كان" التي فيها ضمير الشأن هي "كان" الناقصة؛ لكن لمّا اختصت في بعض المواضع بأنّ اسمها ضمير الشأن وخبرها جملة ليس فيها ضمير لاسمه[2] خُصّ باسمٍ خاصٍّ. وقوله: **(وجملةً تضاف)** أي: "إذا". وقوله: **(والجملة ابتدائيّة)** أي: الجملة التي أضيف إليها "إذا".

قوله: **(فتقدير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ﴾)**... إلخ؛ وذلك لأنّه لا بد مِن تقدير "فاجأ" / قبل "إذا"، وضميره يعود إلى "موسى"، فيكون تقدير قوله: ﴿فَإِذَا﴾: ففاجأ موسى وقت...، ثمّ "إذا" مضاف إلى الجملة، وهي ﴿حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ﴾، [١٢٨و]

---

[1] ف: تعالى.

[2] ن: الشأن.

ففَاجَأ مُوسَى وقتَ تخييلِ سَعي حبَالِهم وعصيِّهم، وهذا تمثيلٌ، والمعنى على مُفاجأته حبَالَهم وعصيَّهُم مُخيّلةً إليه السَّعي.

فيكون هذه الجملة في حكم المفرد، وهو تخييل حبالهم وعِصيّهم، وقوله: ﴿أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ في معنى: سعيها، وهو مفعول ﴿يُخَيَّلُ﴾، فيصير[١] التقدير: ففاجأ موسى وقت تخييل حبالهم وعِصيّهم سعيَها؛ بإضافة "تخييل" إلى الفاعل[٢] ونصب المفعول. ثمّ إنّ المصنّف حذف فاعل "تخييل"، وأضافه إلى المفعول، فوضع الظاهر موضع الضمير، فصار: ففاجأ موسى وقت تخييل سَعي حبالهم وعصيّهم. والحمد لله تعالى على التوفيق والإعانة، والمسئول منه سبحانه الإنعام بالزيادة. فقوله: **(فتقدير قوله تعالى)** مبتدأ، وقوله: **(ففاجأ)** خبره.

قوله: **(وهذا تمثيل)**[٣] يعني: المعنى على تعليق مفاجأة موسى بالحبال مُخيّلةً؛ لأنّ المراد أنّه رأى الحبال في ذلك الوقت مخيّلةً، فتعليق المفاجأة إلى الوقت بطريق التمثيل، كما إذا قلت: خرجت فإذا السبُع، فإنّ المراد: فاجأت السبُع في ذلك الوقت، وإن كان ظاهر اللفظ على أنّه فاجأ ذلك الوقت، وإنّما قلنا ذلك لأنّ أجزاء الزمان لمّا كانت متساوية لم يكن في الإخبار عن مفاجأة جزء مِن الزمان معنًى يُعتدّ به؛ لكن لمّا حصل في ذلك الزمان أمر غريب صار كأنّ ذلك الزمان شيء غريب فاجأه، فلذلك ذكر الزمان على هذا الوجه، وحاصله: أنّه استعارة بالكناية؛ لأنّه شُبّه ذلك الجزء مِن الزمان بشخص عجيب[٤] بديع الشأن يفاجئه الإنسان، ثمّ ذُكِر الزمان وأريد ذلك الشخص، فيكون استعارة بالكناية، وقرينتها "فاجأ".

---

١ ف: فنصير.

٢ ن: الفاعلي.

٣ ف هامش د + أي: استعارة تمثيلية، شبّه حاله عليه السلام بحال مَن هو مُفاجأ لأمر غريب في تأثر نفسه عن مشاهدة ذلك الأمر على سبيل المُغافصة؛ لِما أنّه عليه السلام لمّا شاهد ذلك الأمر تأثّر عنه حتّى قيل له: ﴿لَا تَخَفْ﴾، فكان حاله كحال شخص رأى ذلك على سبيل الغفلة، فيكون قوله تعالى: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ﴾... إلخ استعارة تمثيلية كما كتبنا، لا كما قال صاحب **الحاشية**. | غافصَ الرجل مُغافصة وغِفاصًا: أخذه على غِرّة. **لسان العرب** لابن منظور، «غفص».

٤ ف: غريب.

وقرئ: "وعُصِيُّهم" بالضَّمِّ، وهو الأصْلُ والكسْرُ إتْباعٌ، ونحوُه: دُلِيٌّ ودِلِيٌّ، وقُسِيٌّ وقِسِيٌّ.

وقُرئ: ﴿تُخَيَّلُ﴾ على إسناده إلى ضمير الحبَال والعِصيّ، وإبدالِ قوله: ﴿أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ من الضَّمير بدَلَ الاشْتِمال؛ كقولك: "أعجبني زيدٌ كرمُه".

و: "تُخَيِّلُ" على كون الحبال والعِصيّ مُخيِّلةً سعيَها.

و: "تَخَيَّلُ" بمَعنى: تتَخيَّل، وطريقهُ طريقُ ﴿تُخَيَّلُ﴾.

و: "نُخيِّل" عَلى أن الله تعالى ....

قوله: (بالضمّ)[١] أي: بضمّ العين. وقوله: (وهو الأصل)؛ لأنّ أصل "عصى" أن يُجمع على فعول، نحو: أسد وأسود، فأصل الجمع: عُصُوي، قلبت الواو ياء وأدغمت، فصار: عُصُيًّا بضمّتين، ثمّ قلبت ضمة الصاد كسرة لتناسب الياء، ثمّ قلبت العين كسرة للإتباع، وشبّهه بـ"دُلِيّ" في القلب والإدّغام والإتباع،[٢] وإن كان "عصا"[٣] متحرِّك العين، و"دَلْوًا" ساكن العين.

قوله: (وإبدال قوله: ﴿أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ مِن الضمير) أي: مِن الضمير[٤] في ﴿تُخَيَّلُ﴾،[٥] قال الشيخ الإمام الأستاذ[٦] رحمه الله: ويقول أضعف عباد الله تعالى أحمد بن الحسن الجاربردي:[٧] لا يبعد أن يقال: ﴿تُخَيَّلُ﴾ مسند إلى قوله: ﴿أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾، أي: تخيل سعيها، وإنّما أُنِث ﴿تُخَيَّلُ﴾ لاكتساب السعي التأنيث بالإضافة إلى المؤنّث؛ ولكن فيه تعسّف وتكلّف، فالقول ما قاله المصنِّف.

قوله: (طريق ﴿تُخَيَّلُ﴾) يعني في الإسناد إلى الضمير والإبدال.

قوله: (و﴿نُخَيِّلُ﴾) بالنون المضمومة والياء المكسورة.

---

١ انظر: **الكامل** للهذلي، ص ٥٩٨.

٢ ف: والارتباع.

٣ ن: عصى.

٤ ف: الضمر.

٥ ﴿تُخَيَّلُ﴾ بالتاء هي رواية ابن ذكوان عن ابن عامر، ورواية رَوح عن يعقوب. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٢/٣٢١.

٦ د ن: الأستاد.

٧ د: الجابيردي؛ ف: الجاربيردي.

هو المخيِّلُ للمحنة والابتلاء.

يروى: أنهم لطَّخوها بالزِّئبق، فلمَّا ضرَبت عليها الشمس اضطرَبت واهتزَّتْ، فخيَّلت ذلك.

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ۝٦٧﴾

"إيجَاسُ الخوفِ": إضمَارُ شيءٍ منه، وكذلك توَجُّسُ الصَّوت: تَسمُّعُ نَبْأَةٍ يَسِيرةٍ منه، ....

قوله: (للمِحْنة) أي: لأجل الامتحانة، قال في الكواشي: «القراءة ﴿تُخَيَّلُ﴾ بتاء مضمومةٍ وفتح الياء لتأنيث الحبال، وبالياء مذكّرًا،[1] وقرئ[2] بفتح التاء، أي: تتخيّل، فحُذفت التاء، وبضمّها وكسر الياء، وبالنون إخبارًا عن الله تعالى».[3]

قوله: (فلمّا ضربت / عليها الشمس) أي: لمّا وقع عليها شعاع الشمس، وحقيقته: فلمّا ضَربت عليها الشمس شعاعَها، مِن قولهم: ضرب الشبكة على الطائر؛ ألقاها عليه، فحذف المفعول، وهو "شعاعها"، ومِن هذا قول القائل: «نهى عن ضربة القانص»،[4] وهو الصائد، وهو أن يقول القانص لغيره: أضرِب لك الشبكة على الصيد، فما وقع فيها مِن الصيد فهو لك، وذلك يكون على أجرةٍ أو ثمَن يعطيه، وإنّما نهى عنها لجهالة العِوض، وفي تهذيب الأزهري: «'عن ضربة الغائص'،[5] -وهو الغوّاص على اللآلئ- وذلك أن يقول[6] للتاجر: أغوص لك غَوصةً، فما أخرجتُ هو لك بكذا».[7] [١٢٨ظ]

قوله: (نَبْأَةٍ) النَّبأة: الصوت الخفيّ.

---

١ ف: مذكر.

٢ ف: أو قرئ.

٣ تفسير الكواشي، ٣١٧و. وغير القراءتين الأوليين شاذّ. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٢١/٢؛ المحتسب لابن جنّي، ٥٥/٢؛ الكامل للهذلي، ص ٥٩٨.

٤ لم أجده مرفوعًا بهذا اللفظ، وفي المصنّف لابن أبي شيبة، ٤٥٣/٤ (٢٢٠٥٢)، عن إبراهيم النخعي: «أنه كره ضربة القانص».

٥ سنن ابن ماجه، ٣١٥/٣ (٢١٩٦)، عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا.

٦ ن: يكون.

٧ انظر: تهذيب اللغة للأزهري، «ضرب» ٢٣/١٢.

وكان ذلك لطَبع الجِبِلَّة البَشريَّة، وأنَّه لا يَكادُ يُمْكِنُ الخُلوُّ من مِثله.

وقيل: خاف أن يُخالجَ الناسَ شكٌّ فلا يَتَّبِعُوه.

﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ فيه تقريرٌ لغَلَبته وقَهْره، وتوكيدٌ بالاستِئناف، وبكلمة التَّشديد، وبتكرير الضمير، وبلامِ التَّعريف، وبلَفظ العُلوّ -وهو الغَلبة الظاهِرَةُ-، وبالتَّفضيل.

وقوله: ﴿مَا فِى يَمِينِكَ﴾ ولم يقُل: "عصَاك" جائزٌ أَنْ يكون تصغِيرًا لها؛ أي: لا تُبَالِ بكثرة حبَالِهم وعِصيِّهم وأَلْقِ العُويْدَ الفردَ الصَّغِيرَ الجِرْمِ الذي في يَمينك، فإنه بقُدرة الله يتَلقَّفُها، على وَحْدته وَكثرتها، وصغرِه وعظَمِها.

قوله: (وكان ذلك) أي: إيجاس الخيفة.

قوله: (الجِبلّة) الجِبلّة: الخِلقة، يقال: جبَلَه الله، أي: خلقه الله. والطبْع: ابتداء صنعة الشي، يقال: طبَع اللبن والسيف، فمعنى "طبْع الجِبلّة": ابتداءُ صنع الخِلقة البشريّة، ومنه الطبيعة؛ لأنّها الهيئة أو الحالة المخلوقة ابتداء.

قوله: (أن يُخالج الناس) أي: يَجذِبُهم الشكّ، ويمنعهم عن متابعته، يقال: خلَجه خَلْجًا، أي: جذَبه وانتزعه، قال العجّاج:

فإن يكن هذا الزمانُ خَلَجا فقد لبسنا عَيشه المُخَرْفَجا[١]

ويقال: عيش مُخَرْفَج، أي: واسع. أي: خَلَج حالًا وانتزعه وبدّله بغيره.

قوله: (وبكلمة التشديد) أي: التأكيد.

قوله: (وقوله: ﴿مَا فِى يَمِينِكَ﴾) مبتدأ، وقوله: (جائز) خبره.

---

[١] كذا في الصحاح للجوهري، «خلج»، وفي ديوان العجاج، ٣٩/٢:

فإن يكن هذا الزمان خَلَجا
حالٍ لحالٍ تصرف الموشَّجا
غـرّاءُ سوّى خَلْقها الخَبَرْنَجا
مَأدُ الشبابِ عيشُها المُخَرفَجا

وجائز أن يكون تعظيمًا لها؛ أي: لا تَحتفِلْ بهذه الأجرام الكبيرة الكثيرة فإن في يَمينك شيئًا أَعظمَ منها كلِّها، وهذه على كثرتها أقلُّ شيءٍ وأَنزَرُهُ عندَها، فألقِهِ يتَلقَّفْهَا بإذن الله ويمحَقْهَا.

وقرئ: ﴿تَلْقَفُ﴾ بالرَّفع عَلى الاستئناف أو على الحَال؛ أي: أَلْقِهَا مُتلقِّفَةً.

وقرئ: ﴿تَلْقَفْ﴾ بالتخفيف.

﴿صَنَعُواْ﴾ هاهُنا بمعنى: زوَّرُوا وافتعَلوا؛ كقوله تعالى: ﴿تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الأعراف ١١٧/٧].

قرئ ﴿كَيْدُ سَاحِرٍ﴾ بالرفع وَالنصب، فمَن رفَع فعَلى أَنَّ "ما" مَوصُولةٌ، ومَن نصَب فعَلى أنَّها كافَّةٌ.

وقرئ: ﴿كيدُ سِحرٍ﴾ بمعنى: ذي سحْرٍ، أو ذَوِي سحْرٍ، أو هُم لِتَوغُّلِهم في سِحْرهم كأنَّهم السِّحرُ بعَينه وبذاتِهِ، أو بُيِّنَ الكيدُ؛ لأنَّه يكُون سحرًا وغيرَ سحرٍ كما تُبيَّنُ المئةُ بدرهمٍ، ونحوُه: "عِلمُ فقهٍ" و"علمُ نحوٍ".

قوله: (**لا تحتفل**)[1] أي: لا تُبالِ به.

قوله: (**وأنزره**) النَّزْر: القليل التافه، وقد نَزُر الشيء -بالضم- يَنزُر نزارةً.

قوله: (**أو على الحال**) أي: المقدَّرة.

قوله: (**كقوله تعالى: ﴿تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الأعراف ١١٧/٧]**) أي: يَصرِفون عن وجهه، والأَفك بفتح الهمزة: الصَّرف، يقال: أفكه، أي: قلَبه وصرَفه، ومنه "الإفك" بكسر الهمزة؛ وهو الكذب. واستشهد المصنِّف بهذه الآية على أنَّ المراد بـ﴿صَنَعُواْ﴾: ازوَرُّوا، أي: حرّفوا وصرفوا مِن الحق إلى الباطل، فإنّ التزوير معناه ذلك، فهو بمعنى الإفك.

قوله: (**أو بُيِّن الكيد**)[2] فيكون مِن باب إضافة العامّ إلى الخاصّ للبيان،

---

١ ف + به.

٢ قرأ: ﴿كَيْدُ سِحْرٍ﴾ بكسر السين وإسكان الحاء من غير ألف حمزة والكسائي وخلف. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٣٢١/٢.

فإن قلتَ: لِمَ وُحِّد ﴿سَٰحِرٍ﴾ ولم يُجمع؟

قلتُ: لأنَّ القصد في هذا الكلام إلى معنى الجِنسيَّةِ لا إلى معنى العَدد، فلو جُمع لخُيِّل أنَّ المقصُود هو العدَدُ، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ﴾؛ أي: هذا الجنسُ.

فإن قلتَ: فلِم نُكِّر أوَّلًا وعُرِّف ثانيًا؟

قلتُ: إنما نُكِّرَ من أَجْل تنكيرِ المضافِ لا من أجل تَنكيره في نفسِه؛ كقول العجَّاج:

فـي سَعـي دُنـيَـا طَـالَـما قـد مُــدَّتِ

نحو: شجر أراك،[١] فكأنّه قيل: هو سِحْرٌ.

قوله:

(فـي سَعـي دنيـا طـالَـما قـد مُــدَّتِ)

قبله:

يــومَ تــرى الـنـفـوسُ مـا أعــدَّتِ مِــن نُــزُلٍ إذا الأمــور غَــبَّـتِ[٢]

"ما" في "طالما" كافّة أو[٣] مصدريّة، فإن كانت كافّة فتُكتب "ما" متّصلة بـ"طال"، وإن كانت مصدريّة تكتب منفصلة عنه. وقوله: "في سعي" متعلّق بـ"طال" إن كان "ما" مصدريّة، أي: طال مَدّه في سعيٍ دنيويّ، وإن كانت[٤] كافّة فهو متعلّق بـ"مُدّت"، أي: مُدَّتْ مدًّا طويلًا في سعيٍ دنيويّ، وهو مِن: مَدّ الدواة؛ زادَها ما يصلحها، ومدّ الجيش؛ زاده، وألحق به ما يُقوّيه، ومثله قوله تعالى: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾ [البقرة ٢/١٥]. و"يوم ترى النفوسُ"... إلخ، أي: يوم القيامة ترى النفوسُ ما أعدّته، أي: جعلته مُعدًّا. وغبّت الأمورُ إذا صارت إلى أواخرها، وغِبُّ كلِّ شيء: عاقبته، وقوله: "في سعي دنيا" يعني: ترى النفوسُ ما أعدَّته مِن نُزُل / يوم القيامة حين بلغت الأمور أواخرها، و"قد مدَّت" أي: [١٢٩و]

---

١ ن: أرك.

٢ ديوان العجّاج، ١/٤١٠.

٣ ن: أي.

٤ ن – كانت.

وفي حديث عمر رضي الله عنه: لا في أَمر دُنيَا ولا في أَمر آخرةٍ.

المرادُ تنكيرُ الأَمر؛ كأنَّه قيل: إنَّ ما صَنعُوا كيْدٌ سِحريٌّ، و: في سَعْيٍ دُنيويٍّ، و: أمرٍ دُنيويٍّ وآخِريٍّ.

﴿حَيْثُ أَتَىٰ﴾ كقولهم: حَيْث سَيَّرَ، وأيَّةً سلكَ، وأَينما كان.

﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ۝٧٠﴾

سبحان اللهِ مَا أعجَب أمرَهم، قد ألقَوا حبَالَهُم وعِصِيَّهم للكُفر والجحُود، ثم ألقَوا رُؤوسَهم بَعْد سَاعةٍ للشُّكر والسُّجود، فما أعظم الفرقَ بَين الإِلقَاءَين!

وروي: أنهم لم يرفعُوا رؤوسَهم حتَّى رَأوا الجنَّةَ والنَّارَ ورَأَوا ثوابَ أَهْلها.

أمهلت في جمعها وتهيئة أسبابها، وإنّما نكّر "دنيا" لتنكير المضاف، لا لتنكيره في نفسه، والمراد تنكير[١] "السعي"، أي: في سعيٍ دنيويّ.

قوله: (**وفي حديث عمر رضي الله عنه**):[٢] «إنّ الله تعالى لا يحبُّ رجلًا فارغًا سَبَهْللًا، لا في أمر دنيا ولا في أمر آخرة».[٣] يقال: جاء رجل يمشي سَبَهللًا، أي: ليس معه شيء. وقوله: (**كأنّه قيل: إنّما صنعوا كيدٌ سحريٌّ**) أي: في الآية. وقوله: (**في سعيٍ دنيويّ**) أي: في قول العجّاج. وقوله: (**في أمر دينيّ**)[٤] أي: في حديث عمر رضي الله عنه.

قوله: (**سبحان الله، ما أعجَب!**) تعجّب المصنِّف بقوله: "سبحان الله" عن حال سحرة فرعون، ثمّ بيّن ذلك بقوله: "ما أعجَب"... إلخ.

قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾ قال في **الصّحاح**: «صلَبه صَلْبًا، وصلَّبه أيضًا، شدّد للكثرة».[٥]

---

١ ف: بتنكير.

٢ د - رضي الله عنه.

٣ قال الزيلعي: «لم أجده إلّا مِن قول ابن مسعود هكذا، رواه ابن أبي شيبة في مصنّفه، والطبراني في **معجمه**، وأبو نعيم في **الحلية**، وابن المبارك في كتاب الزهد». **تخريج أحاديث الكشّاف** للزيلعي، ٣٥٣/٢.

٤ في مطبوع **الكشّاف**: "دنيوي".

٥ **الصحاح** للجوهري، «صلب».

وعن عكرمةَ: لمَّا خرُّوا سُجَّدًا أراهم اللهُ في سُجودهم مَنازلَهم التي يَصِيرون إليها في الجنَّة.

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾﴾

﴿لَكَبِيرُكُمُ﴾: لعَظيمُكُم، يُريد: أنه أسحَرُهم وأعلاهم درجَةً في صِناعتِهم.

أو: لَمُعلِّمُكم، من قول أهْلِ مكَّة للمُعلِّم: أمَرَني كَبيرِي، وقال لي كَبيري كذَا، يُريدُون: مُعَلِّمَهم وأستاذَهُم في القرآن وفي كُلِّ شيءٍ.

قرئ: "لأَقْطَعَنَّ... ولأَصْلِبَنَّ" بالتخفيف.

و"القطعُ من خلافٍ": أن تُقطعَ اليَدُ اليُمنى والرجلُ اليُسرى؛ لأنَّ كلَّ واحد من العُضوين خالَفَ الآخر بأنَّ هذا يَدٌ وذاك رِجلٌ وهذا يمين وذاك شمالٌ.

و﴿مِنْ﴾ لابتداء الغاية؛ لأن القطع مُبتَدِئٌ وناشِئٌ من مخالفةِ العُضو العُضوَ لا مِن وفَاقه إياه.

ومحَلُّ الجارِّ والمجرُور النصبُ على الحَال؛ أي: لأقطِّعنَّها مُختلِفَاتٍ؛ لأنَّها إذا خالفَ بَعضُهَا بَعضًا فقَد اتَّصفت بالاختلافِ.

شُبِّه تمكُّنُ المصلُوب في الجِذع بتمكُّن الشيء المُوعَى في وعائه؛ فلذلك قيل: ﴿فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾.

﴿أَيُّنَا﴾ يُريدُ نفسَه -لعَنهُ اللهُ- وموسَى صلوات الله عليه، بدليل قوله:

قوله: **(فلذلك قيل)** أي: فلأجل[١] هذا التشبيه لم يقل: على جذوع النخل، وقيل: ﴿فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾؛ لكونه أبلغ. وعن بعض المفسرين أنّ كلمة ﴿فِى﴾ بمعنى "على"، وهذا عمل على الظاهر.

---

١ ن: لأجل.

﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾ واللَّامُ مع الإيمان في كتاب اللهِ لِغَير الله؛ كقوله: ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة ٩/٦١].

وفيه نفَاجَةٌ باقتِدارِه وقَهره وما أَلِفَه وضَرِيَ به من تَعذيب الناس بأنواع العذاب، وتوضيعٌ لموسى عليه السلام واستِضعَافٌ له مع الهُزْء به؛ لأنَّ مُوسى لم يَكن قطُّ من التعذيب في شيءٍ.

﴿قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾

﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾ عطفٌ على ﴿مَا جَآءَنَا﴾ أو قَسَمٌ.

قرئَ: "تُقْضَى هذه الحياةُ الدنيا" ووَجْهُها: أن ﴿ٱلْحَيَوٰةَ﴾ في القراءةِ المشهورةِ مُنتَصِبةٌ على الظَّرف، فاتُّسِعَ في الظَّرف بإجْرائه مُجْرَى المفعول به؛ كقولك في "صُمتُ يَومَ الجُمعة": صِيمَ يومُ الجُمعة.

رُوي: أن السَّحرة -يَعني: رُؤوسَهم- كانوا اثنَين وسَبْعينَ: الاثنانِ من القِبْط والسَّائرُ من بني إسرائيل، وكانَ فرعون أكرههُم على تعَلُّم السِّحر.

قوله: (**وفيه نُفاجة**) النُّفاجة: الافتخار. والنفّاج: المفتخِر بما ليس عنده، مِن قولهم: نَفِج الأرنب إذا ثار، ونفَجَت[1] الفرُّوجة مِن بيضها: خرَجتْ، ونفَجَ ثديُ المرأة قميصَها: رفعه.[2] وقوله: (**وتوضيعٌ**)[3] أي: نسبة[4] له إلى الحقارة والدناءة، والوضيع: الدنيّ مِن الناس، يقال: في حسبه ضَعة وضِعة، والهاء عِوض مِن الواو.

قوله: (**يعني رءوسَهم**) أي: كبارهم.

---

[1] ن - ونفجت.

[2] ن: زفعه.

[3] ف: وتوضعٌ.

[4] ف: نسبه.

وروي: أنهم قالوا لِفرعون: أرِنَا مُوسى نائمًا، ففَعَل، فوَجَدُوه تحرُسه عَصَاه، فقالوا: ما هذا بسِحْرٍ، السَّاحرُ إذا نام بَطلَ سحرُه، فَأَبَى إلَّا أن يُعَارِضوه.

﴿تَزَكَّىٰ﴾: تطَهَّر من أَدناسِ الذنوب، وعن ابن عبَّاس: قال: لا إلهَ إلَّا اللهُ.

قيل في هذه الآيات الثلاث: هي حكايةُ قولهم، وقيل: خَبرٌ من الله تعالى لا على وجه الحكاية.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾

﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا﴾: فاجْعَلْ لهم، مِنْ قَولهم: ضَرَب له في ماله سَهمًا، وضربَ اللَّبِنَ: عَمِلهُ.

"اليَبَسُ": مَصْدَرٌ وُصِفَ به، يقال: يَبِسَ يُبْسًا ويَبَسًا، ونحوُهما: العُدْم والعَدَمُ. ومِن ثَمَّ وُصِف به المُؤنَّثُ فقيل: "شاتُنَا يَبَسٌ" و"ناقتُنَا يَبَسٌ": إذا جَفَّ لَبَنُها.

وقرئ: "يَبْسًا" و: "يابسًا" ولا يخلو اليَبْسُ من أن يكون مُخفَّفًا عن اليَبَسِ، أو صِفةً على فَعْلٍ، أو جَمعَ يَابِسٍ -كصَاحبٍ وصَحْبٍ- وُصِف به الواحد تَأكيدًا؛ ....

قوله: (وروي: أنّهم قالوا) فيكون الإكراه على هذا السحر، لا على تعلّمه.

قوله: (فأبى) أي: فرعون.

قوله: (﴿تَزَكَّىٰ﴾ تطهّر) كقوله تعالى: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ [النازعات ١٨/٧٩]، أي: تطهّر بكلمة "لا إله إلّا الله".

قوله: (ضرَب له في ماله سهمًا) ضرَب زيدٌ في ماله لعمرو سهمًا.

قوله: (أو صفةً) أي: صفة مشبّهة، كضخْمٍ وعَبْلٍ.[1]

قوله: (تأكيدًا) أي: لفرط يُبسه جعله طُرُقًا يابسة، كما في البيت.

---

[1] ن: وعيل.

كقَوله:

وَمِـــــعًـــــى جـيَـــاعًـــا

جَعَله لفَرْط جُوعه كجمَاعةٍ جِيَاعٍ.

﴿لَّا تَخَٰفُ﴾ حالٌ من الضمير في ﴿فَٱضۡرِبۡ﴾ وقرئ: ﴿لا تَخَفْ﴾ على الجواب.

وقرأ أبو حَيْوةَ: "دَرْكًا" بالسكون، والدَّرَكُ والدَّرْكُ: اسمَانِ من الإدراك؛ أي: لا يُدرِكُكَ فِرعونُ وجُنُودُه ولا يَلحقُونك.

في ﴿وَلَا تَخۡشَىٰ﴾ إذا قُرِئَ: ﴿لا تَخَفْ﴾ ثلاثةُ أَوجُه:

أن يُستأنَفَ؛ كأنَّه قيل: وأنت لا تَخْشى؛ أي: ومِن شَأنِك أنَّكَ آمِنٌ لا تَخشَى.

وأَن لا تكون الألِفُ المُنقلبَةُ عن الياءِ هي لامَ الفعل؛ ولكنْ زائدةً للإطلاق من أجل الفَاصِلة؛ كقوله: ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب ٦٧/٣٣] ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب ١٠/٣٣].

وأَن يكون مثلَ قوله:

قوله: **(كقوله)** أي: القُطامي. **(ومِعًى جِياعًا)** أوّله:

كـأنَّ قُـتُـودَ رَحْـلِـي حين ضَـمَّـتْ　　حَـوالِـبَ غُـــرَّزًا ومِـعًـى جِـيـاعًـا[1]

القتاد:[2] خشب الرَّحْل،[3] والجمع: أقتاد وقُتود. والحالبان: عِرقان مكتنفان بالسُرَّة، يقال: غَزُرت الناقة -بتقديم الزاي على الراء- إذا كثُر لبنها، فهي غزيرة، وغرُزت -بتقديم الراء على الزاي-[4] إذا قلَّ لبنُها، فهي غارزة. وخبر "كأنّ" في البيت الذي بعد هذا البيت، و"حوالب" مفعول "ضمَّتْ"، و"مِعًى" عطفٌ عليها. وقوله: "غُرَّزًا وجياعًا" صفتان. ثمّ اعلم أنّ "غُرَّزًا" في هذا البيت بتقديم الراء المهملة على الزاي المعجمة.

---

[1] **ديوان القُطامي**، ص ٢٧١، بلفظ:
كأَنَّ نُسُوعَ رَحْلي، حِينَ ضَمَّتْ...

[2] ن: العتاد.

[3] ن: الرجل.

[4] ف: الزا.

كــأَنْ لـم تــرَى قبْـلي أسـيـرًا يـمـانِـيًا

﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾

﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ من باب الاختصار، ومِن جوامع الكلِم التي تَستقِلُّ مع قلّتها بالمعَاني الكثيرة؛ أي: غشيَهم ما لا يَعلمُ كُنْهَهُ إلا اللهُ.

وقرئ: "فغشَّاهم من اليَمِّ ما غشَّاهم".

قوله:

(كــأَنْ[1] لـم تــرَى قبـلي أسـيـرًا يمانيًا)

أوّله:

وتـضـحـك مـنّـي شيـخـةٌ عَـبْـشَـمـيّـةٌ[2]

القائل كان أسيرًا محبوسًا، فمرَّتْ به عجوز عَبشَميّةٌ، أي: منسوبة إلى عبد شمس، كعبدري منسوب إلى عبد الدار. والشاهد أنّه أثبت الألف مع الجازم في "لم ترَى"، كأنّه جاء على الأصل "ترَى"، ثمّ سكّنه بالجازم.

قوله: (تستقلّ) يقال: استقلَّه، أي: حمله،[3] أي: مع قِلّة ألفاظه فيه معان / كثيرة، وقال بعض أهل التحقيق: أي: يكفيهم قَدْرُ ما يُهلكهم، وإلّا فالماء كثيرٌ، والبحر عميق،[4] فكلمة ﴿مَا﴾ على هذا التقدير للتقليل دون التفخيم، كما في قوله: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ [طه ٦٩/٢٠]، قال المطرّزي في **المُغرب**: «الغِشيان بالكسر: الإتيان، يقال: غَشيَه إذا أتاه، ثمّ كُنِي به عن الجماع كما بالإتيان، ومَن فسَّره بالتغطية فقد سهَا»،[5] وهذا المذكور في **المُغرب** يبيّن لك أنّ قول المصنِّف: (﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ مِن باب الاختصار)... إلخ هو الصواب، وأمّا ما ذكر في بعض التفاسير [١٢٩ظ]

---

١ ن: كأنّ.

٢ لعبد يغوث بن وقاص الحارثي. انظر: **لسان العرب** لابن منظور، «شمس».

٣ ف: جمله.

٤ ن: غميق.

٥ **المُغرب** للمطرّزي، «غشي».

والتَّغشِيَةُ: التَّغطية، وفاعِلُ "غَشَّاهم": إمَّا اللهُ سبحانه وتعالى، أو "ما غشَّاهم"، أو فرعونُ؛ لأنه الذي وَرَّط جُنودَه وتَسبَّبَ لهلاكِهم.

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾ تهكُّمٌ به في قوله: ﴿وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر ٢٩/٤٠].

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ٨٠ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ٨١﴾

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ خطابٌ لهم بعد إنجائِهم من البَحر وإهلاكِ آل فرعون.

وقيل: هو لِلَّذين كانوا منهم في عهْدِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، مَنَّ اللهُ عليهم بما فعَل بآبائِهم، والوجهُ هو الأول؛ أي: قلنا: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ وحذفُ القول في القرآن كثيرٌ.

وقرئ: ﴿أَنْجَيْتُكم﴾ إلى ﴿رَزَقْتُكم﴾، وعلى لفظ الوَعْدِ والمُواعَدة.

ونقل إلى حواشي **الكشّاف** أيضًا مِن أنّ ﴿مَا غَشِيَهُمۡ﴾ للتقليل دون التفخيم فمبنيّ على تفسير مَن فسَّر ﴿غَشِيَهُمۡ﴾ بالتغطية والستر، فتأمّل.

قوله: **(ورَّط)** الورطة: الهلاك، قيل: أصل الوَرْطة أرض مطمئنّ لا طريق فيها، وأورَطه وورَّطه توريطًا؛ أوقعه في الوَرْطة.

قوله: **(مَنّ الله بما فعل بآبائهم)**؛ لأنّ نعمة الأسلاف نعمة على الأخلاف، وهذا على التفسير الثاني.

قوله: **(أي: قلنا)** يعني على الوجه الأوّل، وأمّا على الوجه الثاني فلا يُقدّر: قلنا.

قوله: **(وعلى لفظ الوعد والمواعدة)** يعني قرئ: ﴿وَعَدۡنَٰكُمۡ﴾ و﴿وَٰعَدۡنَٰكُمۡ﴾.[1]

---

[1] قرأ أبو عمرو ويعقوب وأبو جعفر: ﴿وَعَدۡنَٰكُمۡ﴾ بقصر الألف مِن الوعد، وقرأ نافع والمكّي وابن عامر وعاصم: ﴿وَٰعَدۡنَٰكُمۡ﴾ بالألف مِن المواعدة، وقرأ حمزة والكسائي وخلَف: ﴿وَٰعَدتُّكُمۡ﴾ بالتاء مضمومة على لفظ الواحد. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٢١/٢.

وقُرئ: "الأيمنِ" بالجرّ على الجوارِ نحو: "جُحر ضَبٍّ خَرِبٍ".

ذكَّرهم النعمةَ في نجاتِهم وهلاكِ عَدوِّهم، وفيما واعَدَ موسى صلواتُ الله عليه من المناجاة بجانبِ الطُّور وكَتْبِ التَّوراة في الألواح.

وإنما عَدَّى المُواعَدةَ إليهم لأنَّها لابَسَتْهُم واتَّصَلَتْ بهم حَيْث كانَتْ لنبيّهم ونُقبَائهم، وإليهم رجعَتْ مَنافِعُهَا التي قام بها دِينُهم وشَرْعُهُم، وفيما أفاض عليهم من سائرِ نِعَمِه وأرزاقِه.

طغيَانُهم في النِّعمة: أن يتعدَّوا حُدودَ الله فيها؛ بأن يَكفرُوهَا ويَشغَلَهُم اللَّهوُ وَالتنعُّم عن القيام بشُكرها، وأن يُنفِقُوها في المعَاصي، وأنْ يَزْوُوا حُقوقَ الفقراء فيها، وأن يُسرِفُوا في إنفاقها، وأن يَبْطَرُوا فيها ويَأْشَرُوا ويَتكبَّرُوا.

قرئ: ﴿فيَحُلَّ﴾، وعن عبد الله: "لا يَحُلَّنَّ".

و﴿مَن يَحْلِلْ﴾ المَكسورُ في مَعنى الوجوب من حَلَّ الدَّينُ يَحِلُّ: ....

قوله: (وقرئ: ﴿ٱلْأَيْمَنِ﴾ بالجرِّ) شاذّ.[1]

قوله: (مِن المناجاة) بيان "ما".

قوله: (ونُقبائهم) أي: أشرافهم، وهم اثنا عشر الذين بعثهم إلى البلقاء مِن كل سِبْط نقيبًا؛ ليتعرَّفوا أخبار الكنعانيّين، منهم كالِبٌ ويُوشع، وهما اللذان[2] أنعم الله عليهما.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ﴾ أي: فيما أنعمت عليكم، قاله[3] في **الوسيط**،[4] وقال في **الكواشي**: «أي: في إحساني إليكم».[5]

قوله: (وأن يَزْوُوا) زَوَى زَيًّا -مثل: طَوَى طَيًّا-: صرَف ومنَع.

قوله: (وأن يَبطَروا)... إلخ، البَطَر والأَشَر: شدّة المَرح مِن أجل النعمة، وحاصله: الطغيان مِن النعمة.[6]

---

[1] انظر: **مختصر شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ٩١.
[2] ن: الله.
[3] ن: قال.
[4] **التفسير الوسيط** للواحدي، ٢١٦/٣ (طه، ٨١/٢٠).
[5] **تفسير الكواشي**، ٣١٨ظ.
[6] ن – من النعمة.

إذا وَجَبَ أداؤهُ، ومنه قولُه تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ﴾ [البقرة ٢/١٩٦]، والمضمومُ في معنى النُّزولِ.

وغضَبُ الله: عقُوباتُه، ولذلك وُصف بالنُّزول.

﴿هَوَىٰ﴾: هَلك، وأَصْله: أَن يسقطَ من جَبلٍ فيَهلِكَ، قالت:

هَــــوى مـــــن رأسِ مَرقَبـــــةٍ فَــفُــتَّــتْ تـحـتَـهَـا كَـبِـدُهْ

ويقولُون: هَوتْ أُمُّهُ، ....

قوله:

(هـــــوَى مِـــــن رأس مَرقَبـــــة فــفُــتَّــتْ تــحــتَــهــا كــبــدُه)

بعدَه:

أُلام علـــــــى تَبكّيــــــــهِ[1] وأَلـــمــسُـــه فـــلا أجــدُه

وكـــيـــف يُـــلام مَـــحـــزونٌ كـــبـــيـــرٌ فـــاتـــه ولـــــدُه[2]

المرقَبة: مكان الدَّيذبان،[3] مفعَلة[4] مِن: رقَب إذا نظَر.

قوله: (**ويقولون: هوتْ أمّه**) قال الشاعر:

هـوَت أمُّـه ما يَبعث الصبْحُ غاديًا ومــاذا يَـــرُدُّ الـلـيـل حيـن يَـئـوبُ[5]

أي: أيَّ رجل يَبعث الصبح؟ وأيَّ رجل يَرُدُّ الليل؟ على أنّ "ما" إبهاميّة للتفخيم والتعظيم، أي: حُسِدتْ أمّه، وعلى هذا مَدح، قال في **الصِّحاح**: «يقال: لا أمَّ لك، وهو ذمٌّ، وربّما وُضع موضع المدح» واستشهد بهذا البيت.[6]

---

١ ف ن: تبكيه.

٢ سقط ابن لأعرابي من جبل فمات فرثاه أبوه بهذه الأبيات. انظر: **شرح شواهد الكشّاف** لمحبّ الدين أفندي، ص ٩١؛ **شرح ديوان الحماسة** للتبريزي، ١/٣٧١.

٣ الديذبان اسم حيوان، قال الأصمعي: الديذبان يقال له: الوعوع. وقال ابن دريد: الوعوع: ابن آوى. انظر: **التكملة والذيل** للصغاني، «وعع». وقال محبّ الدين: «مرقبة: ثنيّة مرتفعة يرقب عليها». **شرح شواهد الكشّاف** لمحبّ الدين أفندي، ص ٩١.

٤ ن: مفعلة.

٥ لكعب بن سعد الغنوي يرثي أخاه. انظر: **خزانة الأدب** للبغدادي، ١٠/٤٣٤.

٦ **الصحاح** للجوهري، «أمم».

أو سَقط سُقُوطًا لا نُهوضَ بَعْده.

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾

"الاهتداء": هو الاستِقَامةُ والثباتُ على الهُدى المذكورِ، وهو التوبةُ والإيمانُ والعملُ الصالح، ونحوُه قولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت ٣٠/٤١]، وكلمةُ التَّراخي دلَّتْ على تَبَايُنِ المَنزلتين دلالتَهَا على تبَايُنِ الوقتين في: "جاءني زيدٌ ثم عمرٌو"، أعني: أنَّ مَنْزلة الاستِقامة على الخير مُبايِنةٌ لمنزلَةِ الخيرِ نفسِه؛ لأنها أعلى منها وأفضلُ.

﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾

قوله: (**أو سقط**)... إلخ عطف على قوله: (**هلَك**)، يعني:[١] يجوز أن يكون ﴿هَوَىٰ﴾ بمعنى: هلَك مجازًا؛ لأنّ حقيقته السقوط، ويجوز أن يكون بمعناه الحقيقي، فيُراد به السقوط المخصوص.

قوله: (**والثبات**) قال الشاعر:

لكلٍّ إلى شأوِ[٢] العُلَى[٣] حركاتٌ ... ولكن عزيزٌ في الرجال ثباتُ[٤]

قوله: (**على تباين الوقتين**) قال سيبويه في قولهم: مررت بزيد[٥] ثمّ عمرو: «المرور هنا مروران»،[٦] فهذا تباين الوقتين، وأمّا تباين المنزلتين فقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البلد ١٧/٩٠] بعد قوله: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ أَوْ إِطْعَٰمٌ﴾ الآية [البلد ١٣/٩٠-١٤]. / وقوله:[٧] (**لأنّها**) أي: لأنّ منزلة الاستقامة. وقوله: (**أعلى منها**) أي: مِن منزلة الخير. [١٣٠و]

---

[١] ف: بمعنى.

[٢] ن: شأهٌ.

[٣] ن: والعلى.

[٤] البيت من قصيدة لأبي القاسم عبد الواحد بن محمد بن علي بن الحريش الأصبهاني. انظر: **يتيمة الدهر** للثعالبي، ١٣٦/٥.

[٥] ف: يزيد.

[٦] **الكتاب** لسيبويه، ٤٣٨/١.

[٧] ن: قوله.

﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ﴾: أيُّ شيءٍ عجِلَ بك عنهم؟ على سبيل الإنكار، وكان قد مَضَى مع النُّقبَاء إلى الطُّور على المَوعِد المضروبِ، ثم تَقدَّمهُم شَوقًا إلى كلام ربّه وتَنجُّزِ ما وُعِد به بِنَاءً على اجتهادِه وظنِّه أن ذلك أَقربُ إلى رضا الله، وزَلَّ عنه أنَّه عَزَّ وَجل ما وقَّت أفعَاله إلّا نظرًا إلى دَواعي الحكمةِ وعِلْمًا بالمصالح المتَعلِّقة بكُلِّ وقتٍ.

فالمرادُ بالقَوم: النُّقبَاء، وليس لقولِ مَن جوَّز أن يُرادَ جميعُ قَومه، وأن يكون قد فَارَقهم قَبل الميعَاد، وَجهٌ صحيحٌ، يأبَاهُ قَولُه: ﴿هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي﴾.

وعن أبي عمرٍو ويعقوبَ: ﴿إثرى﴾ بالكسر.

قوله: (﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ﴾ **أيُّ شيء عَجِل بك؟**) يقال: أعجله؛ حمله على أن يَعجَل،[1] وقولهم: أعجلته عن استلال سيفه؛ معناه: عجِلت به وأزعجته، فلم يقدر على أن يَستلَّ سيفه، هكذا ذكر في **المُغرب**.[2] وأنا أقول: فعلى هذا معنى ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ﴾: ما عَجِل بك؟ وما أزعجك عن مصاحبتهم ومرافقتهم حتّى لم تقدِر على مقارنتهم[3] في الإتيان، وتَقدَّمتهم وجاوزتهم وتركتهم؟ فيكون هذا الكلام مبالغةً في الردع عن العجلة وتقدّمهم[4] ومجاوزتهم.[5] وقوله:[6] (**على سبيل الإنكار**) متعلِّق بمحذوف، أي: قال تعالى ذلك على سبيل الإنكار على موسى عجَلَتَه.

قوله: (**شوقًا**) مفعول له.

قوله: (**بناءً على اجتهاده**) أي: بنى[7] ذلك بناءً.

قوله: (**أفعاله**) أي: مفعولاته.

قوله: (**النقباء**) النقباء: هم السبعون الذين اختارهم موسى.

قوله: (**يأباه**) جملة مبيّنة لقوله: (**ليس**)... إلخ.

---

١ ن: تعجل.

٢ **المُغرب** للمطرّزي، «عجل».

٣ ف: مفارقتهم.

٤ ف: وتقدّمتهم.

٥ ن – وتركتهم فيكون هذا الكلام مبالغةً في الردع عن العجلة وتقدّمهم ومجاوزتهم.

٦ ن: قوله.

٧ ن: بنا.

وعن عيسى بن عمرَ: "أُثْري" بالضم، وعنه أيضًا: "أُولا" بالقصر.

والأثَرُ أفْصحُ من الإثرِ، وأمَّا الأُثْرُ فمَسمُوعٌ في فِرِندِ السَّيف مُدَوَّنٌ في الأصُولِ؛ يقال: أُثْرُ السَّيفِ وأُثُره، وهو بمعنى الأثَر غريبٌ.

فإن قلتَ: ﴿مَآأَعۡجَلَكَ﴾ سؤالٌ عن سبب العَجَلة، فكان الذي ينطبِق عليه من الجواب أن يُقال: طَلَبُ زيادةِ رِضَاك، أو: الشَّوقُ إلى كلامك وتنجُزِ مَوْعِدِك، وقولُه: ﴿هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي﴾ كما تَرى غيرُ مُنطبِقٍ عليه.

قلتُ: قد تَضمَّن ما واجَههُ به ربُّ العزة شيئَين:

أحدهُما: إنكارُ العَجَلة في نفْسِهَا.

والثاني: السؤالُ عن سببِ المُستَنكَر والحامِلِ عليه، فكان أهمَّ الأَمرين إلى موسى بَسطُ العُذْر وتَمهيدُ العلَّةِ في نفسِ ما أُنكِرَ عَليه، فاعتَلَّ بأنَّه لم يُوجَدْ منِّي إلَّا تقدُّمٌ يَسيرٌ مثْلُه لا يُعتَدُّ به في العادة ولا يُحتَفَلُ به، وليس بيني وبَيْنَ مَن سبَقْتُهُ إلَّا مسَافةٌ قريبةٌ يَتقَدَّم بمِثلِهَا الوَفْدَ رَأسُهم ومُقَدَّمُهم.

ثم عقَّبه بجواب السؤال عن السَّبب فقال: ﴿وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾.

ولقائل أن يقول: حارَ لِمَا وَرَدَ عليه من التَّهيُّب لعِتَاب الله، فأَذهَلهُ ذلك عن الجَواب المُنطبق المُرتَّبِ على حدود الكلام.

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ۝٨٥﴾

قوله: (**أفصح**) المراد بالأفصح: أنّ ذلك أجرى على ألسنة الفصحاء مِن ذلك؛ لشيوع استعمالهم إياه دون ذاك.[١]

قوله: (**مِن الجواب**) بيان "الذي".

قوله: (**الوفد**) الوَفْد: قوم يفِدون على السلطان، أي: يَقدَمون عليه، جمع وافد، كرَكْب في جمع راكب.

---

[١] ف: ذلك.

أرَادَ بالقوم المفتُونِين: الَّذين خَلَّفهُم مَع هارون عليه السلام، وكانوا ستَّ مئة ألفٍ ما نَجا من عبَادةِ العِجْل منهم إلَّا اثنَا عشَر ألفًا.

فإن قلتَ: في القصة أنَّهم أقامُوا بَعد مُفَارقته عشرِينَ ليلةً وحَسَبُوهَا أَربعين مَع أيَّامها، وقالوا: قد أكمَلْنا العِدَّة، ثم كان أَمرُ العجْل بعد ذلك، فكيف التَّوفيقُ بين هذا وبين قوله تعالى لمُوسى عند مَقْدَمِهِ: ﴿إِنَّا قد فَتَنَّا قومَك﴾؟

قلتُ: قد أَخبر الله تعالى عن الفِتنة المُترقَّبة بلفظِ الموجُودة الكائنةِ على عادته، أو افْتَرَصَ السَّامريُّ غَيبَته فعزَم على إضلالِهم غِبَّ انطِلاقه وأخَذ في تدْبير ذلك، فكانَ بَدءُ الفِتنةِ مَوْجودًا.

قرئَ: "وأضلُّهم السامريُّ"؛ أي: وهو أشَدُّهم ضَلالًا؛ لأنَّه ضالٌّ مُضِلٌّ.

وهو منسوبٌ إلى قبيلةٍ من بني إسرائيل يُقالُ لها: السَّامِرةُ، وقيل: السَّامرةُ قومٌ من اليهود يُخالفونهم في بعض دينهم.

قوله: (**عند مَقدَمه**)[١] قال الشيخ العلّامة: يقول أضعف العباد أحمد بن الحسن الجاربردي:[٢] ويحتمل أنّ الله تعالى قال لموسى هذا الكلام وقت مراجعته لا عند مَقدَمه، يؤيّده قوله تعالى بعده: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ﴾ بالفاء، والله أعلم بالحقيقة.

قوله: (**بلفظ الموجودة**) أي: بلفظ الفتنة الموجودة، فعلى هذا الوجه يكون مِن قبيل استعارة الموجود[٣] للمعدوم بجامع التحقّق، وعلى الوجه الثاني حقيقة، تأمّل.

قوله: (**وقيل: السامرة قوم مِن اليهود**) وقيل: السامرة اسم قرية، يؤيّده البيت المنقول عن المصنّف:

قد جئتُ مِن بلدة تَقليبُها أسدٌ   على ضَوامرَ في تَقليبِها صفتي[٤]

---

١ ن: مقدمة.

٢ د ف: الجاربيردي.

٣ ف: الموجوده.

٤ لم أجد من ذكره غير الجاربردي، وكذا قصة ملاقاته الحريري.

وقيل كان من أهل باجَرْمَا.

وقيل: كان عِلْجًا من كِرمَانَ، واسمه مُوسَى بنُ ظَفَرٍ، وكان مُنافقًا قَد أظهر الإسلامَ، وكان من قوم يَعبُدون البقر.

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾﴾

"الأَسِفُ": الشَّديدُ الغضَبِ، ومنه قولُه عليه السَّلام في موت الفجأةِ: «رَحمةٌ للمؤمِن وأخذةُ أسَفٍ للكافر».

وقيل: الحزين.

قيل: قال هذا البيت وقت ملاقاته الحريري[١] صاحب **المقامة**، وقيل: كان مكفوفًا حينئذٍ، فسأل عن حاله، فقال[٢] هذا البيت. وأراد بتقليب البلدة: هِرماس؛ وهو الأسد،[٣] وبالصفة: اللَّاغب، قَلْبه: بِغال،[٤] وقال الطبري: «السامري كان مِن عظماء بني إسرائيل».[٥]

قوله: (**باجرما**) صحَّ بالقصر، وهو موضع قريب مِن المَوصل.

قوله: (**عِلْجًا**) أي: كافرًا.

قوله: (**واسمه: موسى بن ظفَر**) قال رحمه الله:[٦] قلتُ في مُسمَّيين بموسى بمكّة حرَسها الله تعالى:

سُئلتُ عن موسى وموسى: ما الخَبرْ؟ فقلتُ: شيخان كَقِسْمَي القَدَرْ
والفرقُ بين موسَيَين قد ظهَرْ موسَى بنِ عِمران وموسَى بن ظَفَرْ

قوله: (**وقيل: الحزين**) ومنه: قول عائشة رضي الله عنها حين قال النبيّ

---

١ د: الحريزي.

٢ ف: فقيل.

٣ انظر: **لسان العرب** لابن منظور، «هرمس».

٤ ن: يقال. | لغَبَ يلغُب -بالضمّ- لُغوبًا ولغْبًا: أعيا أشدّ الإعياء. ومنه قيل: فلان ساغِب لاغِب، أي: مُعيٍ. **لسان العرب** لابن منظور، «لغب».

٥ **جامع البيان** للطبري، ١٥٢/١٦ (طه، ٩٧/٢٠)، عن قتادة.

٦ ف ن: رضي الله عنه.

فإنْ قلتَ: متى رجعَ إلى قومه؟

قلتُ: بعدما استَوفى الأربعين: ذا القعدة وعشرَ ذي الحجة، وعَدَهُم اللهُ سُبحَانه أن يُعطيَهُم التَّوراة التي فيها هُدًى ونُورٌ، ولا وَعدَ أحسَنُ من ذاك وأَجملُ، حُكيَ لنَا أنَّها كانت ألفَ سُورةٍ، كلُّ سُورةٍ ألفُ آيةٍ يَحمل أسفَارَها سَبعُون جَمَلًا.

﴿ٱلۡعَهۡدُ﴾: الزمانُ، يُريد: مدَّة مُفارقَتِه لهم، يقال: طال عهدي بك؛ أي: طال زماني بسَبب مفارَقتك.

وعَدُوه أن يُقيمُوا على أمْره وما تَركهم عليه من الإيمان، فأخلفُوا مَوعِدَه بعبَادتهم العجلَ.

﴿قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ٨٧﴾

﴿بِمَلۡكِنَا﴾ قرئ بالحَركات الثلاث؛ ....

عليه الصلاة والسلام في مرضه: «مُروا أبا بكر فليُصلِّ بالناس»: «إنّ أبا بكر رجل أَسِيف، ومتى يقُم مقامك لا يقدِر على القراءة».[1] قوله: "أَسِيف" أي: شديد الحزن.

قوله: (**أي: طال زماني بسبب مفارقتك**) ومنه قولهم: سِنة الهَجر / سَنة،[2] وسَنة الوَصل سِنة. وقوله: (**وما تركهم**) أي: الذي. [١٣٠ظ]

قوله: (**فأخلفوا مَوعده**) أي: ما وعدوه، قال الله تعالى: ﴿فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي﴾، فهو مِن باب إضافة المصدر إلى المفعول.

قوله: (**بالحركات الثلاث**) سبعة.[3]

---

١ **صحيح البخاري**، ١٣٣/١ (٦٦٤)؛ **صحيح مسلم**، ٣١٣/١ (٤١٨).

٢ ف ن: سَنة.

٣ قرأ المدنيّان وعاصم بفتح الميم، وقرأ حمزة والكسائي وخلف بضمّها، وقرأ الباقون بكسرها. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٣٢١/٢.

أي: ما أَخلَفْنا مَوْعِدَكَ بأن مَلَكْنا أَمْرنا؛ أي: لَو ملَكْنا أَمْرَنا وخُلِّينَا ورَأَيْنَا لَمَا أخلفنَاه؛ ولكن غُلِبنَا من جهة السَّامريّ وكَيْدِه.

﴿ولكنَّا حَمَلْنا أَوْزارًا مِن زِينَةِ القومِ﴾؛ أي: حَملنا أَحمَالًا من حُليِّ القِبْط التي استَعرناهَا منهم، أو أرَادُوا بالأوزار: أنَّها آثامٌ وتبِعَاتٌ؛ لأنَّهُم كانوا معهم في حُكم المُستأمِنينَ في دار الحَرْب، وليس للمستأمِن أن يأخذَ مالَ الحَربيِّ، على أنَّ الغَنائم لم تكن تَحِلُّ حينئذ.

﴿فَقَذَفْنَاهَا﴾ في نار السامريِّ التي أوقدَهَا في الحُفرَة وأمَرَنا أن نَطرَح فيها الحُليَّ. وقُرئ: ﴿حُمِّلْنَا﴾.

قوله:[١] (**أي: حملنا أحمالًا**) قال في **الصِّحاح**: «الوِزْر: الإثم، والثِقل، والكارة، والسلاح، قال الشاعر:

وأعـــددتُ لـلـحَـربِ أوزارَهـــا رمـاحًـا طِـوالًا وخـيـلًا ذُكُـــورَا»[٢]

والكارة: ما يُحمل على الظَّهر مِن الثياب.

قوله: (**لأنّهم كانوا معهم في حكم المستأمَنين**) أي: كان بنو إسرائيل مع القِبط في حكم المسلمين الذين كانوا في دار الحرب، وقد طلبوا الأمان مِن الكفار في دار الحرب، ومَن طلب الأمان مِن الكفار في دار الحرب وآمنوه لم يَجُزْ له أخذ أموالهم.

قوله: (**وليس للمستأمَن**)... إلخ، أي: ليس للمستأمَن أن يأخذ مال الحربيّ إلّا بإذنه، حتّى لو أخذ ماله بطريق الربا حلّ عند أبي حنيفة رحمه الله،[٣] وإن جرى بينه وبين مسلم أسلم هناك، كما يجوز أخذه مِن الحربيّ برضاه للمسلم المستأمِن.

قوله: (**وقرئ: ﴿حُمِّلْنَا﴾**)[٤] قال في **الكواشي**: «القراءة ﴿حُمِّلْنَا﴾ بضمّ الحاء

---

١ ن – قوله.

٢ **الصحاح** للجوهري، «وزر». والبيت للأعشى في **ديوانه**، ص ٩٩.

٣ د – رحمه الله.

٤ قرأ بفتح الحاء والميم مخفّفة أبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف وأبو بكر ورَوح، وقرأ الباقون بضمّ الحاء وكسر الميم مشدّدة. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٣٢٢/٢.

﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾ أراهُم أنَّه يُلقِي حُليًا في يده مثلَ ما ألقَوْا، وإنَّما ألقَى التُّربَة التي أخذَها من مَوْطِئِ حَيْزُومَ فَرسِ جبريلَ عليه السلام، أَوْحَى إليه وَليُّه الشيطانُ أنَّها إذا خالَطتْ مَواتًا صارَ حيوانًا.

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ﴾ السَّامريُّ من الحُفرَة ﴿عِجْلًا﴾ خَلقَه الله من الحُليِّ التي سبَكتْها النارُ يَخُورُ كما تَخُورُ العَجاجيلُ.

وكسر الميم مشدّدًا مجهولًا، أي: حَمَلَنا غيرُنا، وبفتحهما مخففًا، أي: حمَلْنا نحن».[1]

قوله: **(مِن مَوطِئِ)** المَوطئ: موضع القدَم، مِن: وطِئتُ الشيءَ برجلي. وقوله: **(حَيزوم)** اسم فرس جبرئيل، وكانت رَمَكة؛ لأنّه جاء في الخبر: «أنّ جبرئيل عليه السلام[2] نزل راكبَ الماذيانة».[3] في حديث إغراق فرعون: «أنّ جبرئيل تراءى على فرس وَدِيق، فتشَمَّمتِ[4] الخيل ريح الأنثى، فأقحمت أنفسها في الماء».[5] فرَس وَدُوق ووَدِيق إذا أرادت الفحل. والرَّمَكة: الأنثى مِن البراذين،[6] والجمع: رِماك ورَمَكات وأرْماك أيضًا عن الفرّاء، مثل: ثِمار وأثْمار.[7] ويقال لفرس جبرئيل: فرس الحياة.

قوله: **(أوحى إليه)** أي: وسوس، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ [الأنعام ١٢١/٦].

قولـه: **(عِجـلًا خلقـه الله)** العِجـل: مِـن أولاد البقـر حيـن تضعـه أمّـه إلـى شـهر، والأنثى: عِجلةٌ، والجمع: عَجاجيل، وأمّا العِجال في جمعه فلم أسمَعه، والعِجَّـول مِثلـه.[8]

---

١ **تفسير الكواشي**، ٣١٩و.
٢ ن – عليه السلام.
٣ انظر: **جامع البيان للطبري**، ٦٦٠/١ (البقرة، ٥٠/٢)؛ **وتفسير ابن أبي حاتم**، ٢٧٧٥/٨ (الشعراء، ٦٦/٢٦)، عن السدّي.
٤ ن: فتشممت.
٥ انظر: **جامع البيان للطبري**، ٦٦٠/١ (البقرة، ٥١/٢)، من قول ابن عبّاس؛ **والمصنَّف** لابن أبي شيبة، ٣٣٣/٦ (٣١٨٣٩)، من قول قيس بن عباد.
٦ قال المطرّزي: «البِرذون: التركي من الخيل، والجمع: البراذين، وخلافها: العِراب، والأنثى: بِرذونة». **المُغرب** للمطرّزي، «بردن».
٧ **الصحاح** للجوهري، «رمك».
٨ أي: مثل العجل.

فإن قلتَ: كيف أَثَّرتْ تلك التُّربةُ في إحياء المَوات؟

قلتُ: أَمَا يَصِحُ أنْ يُؤْثِر اللهُ سبحانه رُوحَ القُدُسِ بهذه الكرامة الخاصَّة كما آثَرَهُ بغَيْرِها من الكرَامات؟ وهي: أن يُبَاشِرَ فرسُه بحَافِره تُربةً إذا لاقَتْ تلك التُّربةُ جَمادًا أنشَأهُ اللهُ إن شاء عند مُبَاشرته حيوانًا، ألا ترى كيف أنشأ المسيحَ من غير أَبٍ عند نفخِه في الدِّرع؟

فإن قلتَ: فلِمَ خلقَ اللهُ العجلَ من الحُليِّ حتَّى صار فِتنةً لبني إسرائيل وضَلَالًا؟

قلتُ: ليس بأَوَّلِ محنَةٍ مَحنَ اللهُ بهَا عبادَهُ ليُثَبِّتَ اللهُ الذين آمنوا بالقَول الثَّابتِ في الحيَاة الدنيا وفي الآخرة ويُضِلَّ اللهُ الظالِمين، ومَن عجِبَ مِن خَلْقِ العجل فليَكُن من خَلْقِ إبليس أعجَبَ.

والمرادُ بقوله: ﴿إِنَّا قدفَتَنَّا قومَك﴾هو خلقُ العِجْل للامتِحان؛ أيْ: امتحنَّاهُم بخلقِ العِجل، وحَملَهُم السَّامريُّ عَلى الضَّلال وأَوقَعهُم فيه حينَ قال لهم: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾؛ أي: فنسيَ موسى أَنْ يَطْلُبَه هاهنا وذهبَ يَطْلُبه عند الطُّور.

أو: فنَسيَ السَّامريُّ؛ أي: تركَ ما كان عليه من الإيمان الظَّاهِر.

قوله: (**قلت: أما يصحَ أن يُؤثر الله**) مِن الإيثار؛ وهو الاختيار،[١] وقوله: (**كيف أنشأ**)[٢] أي: الله تعالى. وقوله: (**عند نفخه**) أي: نفخ جبرئيل. وقوله: (**في الدرع**) درع المرأة: قميصها.

قوله تعالى: ﴿فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ﴾ الضمير في قوله تعالى:﴿فَقَالُواْ﴾ للسامري وأتباعه، أي: قال السامري وأتباعُه.

قوله: (**أي: فنسي موسى**)... إلخ يشير إلى أنّ قوله: ﴿فَنَسِيَ﴾ يجوز أن يكون مِن كلام السامري، فيرجع الضمير إلى موسى عليه السلام،[٣] ويجوز أن يكون مِن كلام الله تعالى، والضمير للسامري.

---

١ ن: الاختبار.
٢ د ن: أنساء.
٣ د ف – عليه السلام.

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾

﴿يَرْجِعُ﴾ مَن رَفعَهُ فعَلى أنَّ "أنْ" مخفَّفةٌ من الثقيلة، ومَن نصَب فعَلى أنَّها النَّاصبةُ للأفعال.

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾﴾

﴿مِن قَبْلُ﴾: من قبلِ أن يَقولَ لهم السامريُّ ما قال؛ كَأنَّهم أوَّلَ ما وقَعت عليه أَبْصَارُهم حِين طَلع من الحُفرة افتتَنُوا به واستَحسَنُوهُ، فقَبْل أن ينطِقَ السَّامريُّ بادرَهُم هارونُ عليه السلام بقوله: ﴿إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾.

﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾﴾

"لا" مزِيدةٌ، والمَعنى: ما منعَك أن تَتَّبعَني في الغضَب لله وشِدَّةِ الزَّجرِ على الكفر والمعاصي، وهَلَّا قاتَلْتَ مَن كفرَ بمَن آمنَ، وما لكَ لم تُباشِرِ الأمرَ كما كُنتُ أباشِرُه أنا لو كُنتُ شَاهدًا؟ أو: مَا لك لم تَلحَقْني.

قوله: (﴿مِن قَبْلُ﴾ مِن قبلِ أن يقول)... إلخ، قال الواحدي رحمه الله[١] في **الوسيط**: «﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ﴾ أي: مِن قبل أن يأتي موسى لمَّا رأى ما وقعوا فيه: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ﴾ أي: ابتليتم به، ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ لا العجل، ﴿فَٱتَّبِعُونِى﴾ في عبادته ﴿وَأَطِيعُوٓا۟/ أَمْرِى﴾ لا أمرَ السامري».[٢] وأنا أقول: [١٣١و]
هذا الذي ذكره الواحدي -مِن أنّ معنى قوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: مِن قبل أن يأتي موسى- أظهَر ممّا ذكره المصنِّف؛ لأنّه شديد الملاءمة مع قوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾.

قوله: (**"لا" مزيدةٌ**) هذا كقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف ١٢/٧] على أحد القولين، أمّا إذا كان محمولًا على الضدّ -أي: ما حملك- فـ"لا" أصليّة.

قوله: (**مَن كفَر بمَن آمَن**) مَن آمَن اثنا عشر ألفًا، الذين نجَوا مِن عبادة العِجل.

---

[١] د - رحمه الله.

[٢] **التفسير الوسيط** للواحدي، ٢١٩/٣ (طه، ٩٠/٢٠).

﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾﴾

قرئ: "بلَحيتي" بفتح اللام، وهي لغةُ أهل الحجاز.

كان موسى عليه السلام رجلًا حَديدًا مجبولًا على الحدَّة والخُشونة والتَّصلُّب في كلِّ شيء، شديدَ الغضَب لله ولدينه، فلم يتمالَكْ حين رَأى قومَه يعبُدون عجْلًا من دون الله بعدَ ما رأوا من الآيات العِظام أن ألقَى ألْواحَ التَّوارةِ لما غلَب ذهنَه من الدَّهشة العظيمة غضبًا لله واستنكافًا وحَميَّةً، وعنَّف بأخيه وخليفته على قومه، فأقبَل عليه إقبالَ العدُوِّ المكاشِف قابضًا على شَعْر رأسه -وكان أفرع- وعَلى شَعْر وَجْهه يَجُرُّه إلَيه.

قوله: (قرئ: ﴿بِلَحْيَتِي﴾) شاذ.[1]

قوله: (أن ألقى) متعلِّق بقوله: (فلم يتمالك)، قال في الصِّحاح: «فلان [illegible] تمالك بالفتح، أي: تَماسُك، وما تمالَك أن قال ذلك، أي: ما[2] تَماسَك».[3] [illegible] في المُغرب: «قال عمر رضي الله عنه:[4] 'إذا أوصى الرجل بوصيتين [illegible] تملك'[5] أي: أضبَط لصاحبها وأقوى، "أفعَل" مِن المِلك، كأنَّها تَملِكه [illegible] ولا تُخليه إلى الأولى، ونظيره: 'الشرط أمْلَك'[6] في المثَل السائر».[7] [illegible] «هذا التركيب -أي: تركيب م ل ك- يدلّ على قوّة في الشيء [illegible] ملكتُ العجين إذا شددتَ عجنَه وبالغتَ».[8]

قوله: (المكاشف) كاشفه وكاشره: جاهره بالعداوة، كاشفه بالعداوة، [illegible]

قوله: (وكان أفرع)[9] الأفرع: الرجل التمام الشعر، رجل أفرع بضدّ أصلع.

---

[1] وهي [illegible] عيسى بن سليمان [illegible] لابن خالويه، ص [illegible]

[2] ن: [illegible]

[3] الصحاح [illegible]

[4] د - رضي الله عنه.

[5] الأصل لمحمّد الشيباني، ٤٢٦/٥.

[6] يضرب في حفظ الشرط يجري بين الإخوان. مجمع الأمثال للميداني، ٣٦٧/١.

[7] المُغرب للمطرّزي، «ملك».

[8] مقاييس اللغة لابن فارس، «ملك».

[9] ف: الأفرع.

﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾؛ أي: لو قاتلتُ بَعضَهم ببعضٍ لتفرَّقوا وتَفانَوا، فَاستَأنَيتُكَ أن تكون أَنت المُتَدارِكَ بنفسك المُتَلافيَ برأيكَ، وخشِيتُ عِتَابَكَ على اطِّراح ما وصَّيتَني به من ضمِّ النَّشر

قوله: (**فاستأنيتُكَ**) صوابه: استأنيتُ بك، فكأنّه حذف حرف الجر، وأوصل الفعل، قال في **الصِّحاح**: «يقال: استأنى به».[١] وقال المطرّزي في **المُغرب**: «استأنيتُ به، أي: انتظرتُه، ومنه: يُستأنَى بالجِراحات، أي: يُنتظر مآلُ أمرها، وأمّا حديث الأسود: 'ويُستأنَى الصِّغار حتّى يُدرِكوا'،[٢] فالصواب: بالصِّغار».[٣]

قوله: (**أن تكون**) يجوز أن يكون التقدير: لأن تكون، فحذف الجار؛ لأنّ حذف حرف الجر مع "أنْ" و"أنّ" قياس مستمرّ، فالتقدير: انتظرتك لتكون أنت المتدارك، ويجوز أن يكون بدلًا مِن كاف الضمير، أي: انتظرت تداركك، ويدلّ على ما ذكرنا -مِن الأصل أن يقال: استأنيت بك- الحديث الذي رواه الواحدي رحمه الله[٤] في **الوسيط**، وهو قوله: «سأل أهل مكّة النبيّ عليه الصلاة والسلام أن يجعل لهم الصفا ذهَبًا، وأن يُنحّي الجبال عنهم فيَزدرِعوا،[٥] فأتاه جبرئيل عليه السلام،[٦] فقال: إن شئت كان ما سأل قومُك؛ ولكنهم إن لم يؤمنوا لم يُمهَلوا، وإن شئت استأنَيتُ بهم، قال: لا بل استأنِ بهم، فأنزل الله هذه الآية، وهي: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْآيَٰتِ﴾ [الإسراء ٥٩/١٧]».[٧] وأقول: هو مِن أنَى يَأنِي أنًا، أي: حانَ، وأناهُ يُؤنيه إيناءً: أخّره وحبَسه وأبطأه.

قوله: (**مِن ضمّ النَّشر**) في **الصِّحاح**:

النَّشْر: الرائحة الطيّبة، قال الشاعر:

وريـــحَ الـخُـزامـى ونـشـر الـقُـطُـرْ[٨]

---

١ **الصحاح** للجوهري، «أنى».

٢ ذكره السرخسي في **المبسوط**، ١٠٥/٧.

٣ **المُغرب** للمطرّزي، «أنى».

٤ د – رحمه الله؛ ف: رحمة الله عليه.

٥ في **الوسيط**: "فيزرعوا.

٦ ف ن – عليه السلام.

٧ **التفسير الوسيط** للواحدي، ١١٣/٣ (الإسراء، ٥٩/١٧).

٨ لامرئ القيس في **ديوانه**، ص ١٥٧، وصدره: كـأنّ الـمُـدام وصَـوب الـغـمام

وحِفظِ الدَّهماء، ولم يكن لي بدٌّ من رِقْبَةِ وصيَّتك والعملِ على مُوجَبها.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ۝﴾

"الخَطْبُ": مصدَرُ خطَبَ الأَمرَ: إذا طلَبه، فإذا قيل لمن يفعَلُ شيئًا: ما خطبُك؟ فمَعناه: ما طَلَبُك له؟

﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ۝ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ۝﴾

﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ تَبْصُرُوا بِهِ﴾ قرئ: "بَصِرْتُ بما لَمْ تَبْصَروا به" بالكَسْر، والمَعنى: عَلِمت ما لم تَعلمُوه، وفَطِنْتُ لِمَا لم تَفْطُنُوا له.

والنشر: الكلأ أيضًا إذا يَبِس ثمّ أصابه مطرٌ في دُبُر الصيف فاخضرّ، وهو رديء للراعية، يهرب الناس منه بأموالهم، والنَّشَر -بالتحريك-: [١٣١ظ] / المنتشر، وفي الحديث: 'أتملك نشرَ الماء'،[١] ونشَر المتاعَ وغيرَه ينشره نَشْرًا: بسَطَهُ، ومنه: ريحٌ نشورٌ، ورياح نشُر.[٢]

قوله: (**وحفظ الدَّهْماء**) الدَّهْماء: الجماعة الكثيرة، مِن الأدهم.

قوله تعالى: ﴿فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ﴾ أي: فما أمرُك وشأنك؟ وما الذي حمَلك على ما صنعت؟[٣]

قوله: (**ما طلبك له**) أي: أيُّ شيء طلبك له؟ فهو استفهام إنكار، والمعنى على إنكار الطلب واستقباحه. قال في **الكواشي**: «القراءة -أي: في ﴿يَبْصُرُواْ﴾-[٤] بالتاء والياء،[٥] أي: علمتُ بما لم يعلموا، قال الزجّاج: بَصُرَ يَبْصُرُ: صار عالمًا بالشيء،

---

١ مِن قول الحسن البصري. انظر: **المجالسة وجواهر العلم** للدينوري، ٢٧٤/٣.

٢ **الصحاح** للجوهري، «نشر».

٣ ن - قوله تعالى: ﴿فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ﴾ أي: فما أمرك وشأنك؟ وما الذي حمَلك على ما صنعت؟ | ووقعت هذه العبارة في د في الهامش.

٤ ن - أي: في ﴿يَبْصُرُواْ﴾. | ووقعت هذه العبارة في د في الهامش.

٥ قرأ حمزة والكسائي وخلف بتاء الخطاب، وقرأ الباقون بياء الغيب. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٣٢٢/٢.

قرأ الحسنُ: "قُبْضةً" بضمِّ القاف، وهي اسمُ المقبُوض كالغُرفة والمُضْغَة، وأما القَبْضةُ: فالمرَّةُ من القَبْضِ، وإطْلاقُها على المقبُوض من تسميَةِ المَفعول بالمصدر؛ كضَرْب الأمير.

وقرأ أيضًا: "فقَبَصْتُ قبصةً" بالصَّاد، الضَّادُ: بجميع الكفِّ، والصَّادُ: بأطراف الأصابع.

ونحوُهما: الخَضْمُ والقضْمُ: الخاء بجميع الفم والقافُ بمُقَدَّمه.

وأبصر يُبصِرُ نظر، وقرئ بكسر صاد: ﴿بَصِرْتُ﴾، وفتح صاد 'يَبصَرُ'،[1] قال له: فما رأيتَ؟ قال: رأيت جبرئيل على فرسه، وألقيَ إليّ بأنّ تراب حافر فرسه إذا أُلقي على شيء غيّره».[2]

قوله: (**وقرأ أيضًا**) أي: الحسن.[3]

قوله: (**ونحوهما: الخَضْم والقَضْم**)[4] القضم:[5] الأكل بأطراف الأسنان، والخَضم: الأكل بجميع الفم، وقولهم: "يُبلَغ الخَضْمُ بالقَضْم"،[6] أي: إنّ الشَبعة قد تبلغ بالأكل بأطراف الفم، ومعناه: أنّ الغاية البعيدة قد تُدرَك بالرِفق. الأصمعي: أخبرنا ابن أبي طَرَفة قال: قدم أعرابيّ على ابنِ عمّ[7] له بمكّة، فقال: "إنّ هذه بلاد مَقْضَمٍ، وليست ببلاد مَخْضَمٍ"،[8] قال الشاعر:

تُبلِّغْ بأخلاقِ الثياب جَديدها وبالقَضْمِ حتّى تُدرِك الخَضْمَ بالقَضمِ[9]

أي: تُبَلِّغِ الخضْمَ بالقضم حتّى تدركه به. وقوله: "تُبلِّغ" أي: لتُبلّغ، فهو جُزِم باللام المضمرة، كما في قوله:

---

[1] شاذّة، عن الأعمش وأبي السمال. انظر: **مختصر شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ٩٢.

[2] **تفسير الكواشي**، ٣١٩ظ. وانظر: **التفسير الوسيط** للواحدي، ٢٢٠/٣ (طه، ٩٦/٢٠).

[3] كلّ من القراءتين عنه شاذّ. انظر: **مختصر شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ٩٢.

[4] ن: والقظم.

[5] ن – القضم.

[6] ن: بالقظم. | انظر: **مجمع الأمثال** للميداني، ٩٣/٢.

[7] د: غمّ.

[8] ن: مخظم. | انظر: **الصحاح** للجوهري، «قضم».

[9] **الصحاح** للجوهري، «قضم»، بغير نسبة.

قرأ ابن مسعود رضي الله عنه: "من أَثَرِ فَرسِ الرَّسول".

فإن قلتَ: لِم سمَّاهُ ﴿الرَّسول﴾ دون "جبريل" و"روح القُدْسِ"؟

قلتُ: حين حَلَّ مِيعَادُ الذَّهاب إلى الطُّور أرسَل اللهُ إلى مُوسى جبريلَ عليه السلام راكبَ حَيزُومَ فرسِ الحَياة ليَذهب به، فَأبصَرهُ السَّامري فقال: إنَّ لهذا لَشأنًا، فقبضَ القَبْضَة من تُربة مَوْطئِهِ، فلمَّا سأله موسى عن قصَّتهِ قال: قَبضتُ من أثر فَرس المُرسَل إليك يومَ حُلول الميعاد، ولعَلَّه لم يَعرف أَنَّه جبريلُ.

عُوقِبَ في الدنيا بعُقوبةٍ لا شيءَ أطَمُّ منها وأوحَشُ، وذلك أنَّه مُنِعَ من مُخالَطةِ الناس مَنعًا كلِّيًا، وحُرِّم عليهم ملاقاتُه ومُكَالمتُه ومُبَايَعتُهُ ومُواجَهتُه، وكُلُّ ما يُعَايِشُ به الناسُ بَعضُهم بَعضًا، وإذا اتَّفقَ أَنْ يُماسَّ أحَدًا رَجُلًا أو امرأة ....

محمدٌ تَفْدِ نفسَك كلُّ نفسٍ إذا ما خِفْتَ مِن أمرٍ تَبالا[١]

أي: حصِّل بأخلاق الثياب ما هو المقصود مِن الثياب الجديدة، وهو الاكتساء ودفع[٢] الحرِّ والبرد، وأدرِك الشِّبَع بالقَضْم كما يدركه غيرك بالخَضْم، ومقصود الشاعر البعث على الرِّضى بالقليل في المطعومات والملبوسات.[٣]

قوله: (**راكبَ حيزومَ**) حال، وهو نكرة؛ لأنّ المراد حكاية الحال الماضية. وقوله: (**فرس الحياة**) سُمّي فرس الحياة؛ لأنّ مَن باشَر أثرَه حيِيَ.

قوله: (**أطَمُّ**) أي: أشدُّ وأصعب، يقال: جاء السيل فطَمَّ الرَّكيّة، أي: البئر، يعني: دفنها وسوَّاها، وكلّ شيء كثُر حتّى علا[٤] وغلب فقد طَمَّ يَطُمُّ، ويقال: فوق كلّ طامّةٍ طامّةٌ، ومنه سمّيت القيامة: طامّة.[٥] وقوله: (**وأوحش**) الوَحشة: الهمُّ، وقد أوحشتُ الرجل فاستوحش، أي: جعلتُه مَهمومًا مَغمومًا فاهتمَّ واغتمَّ،[٦] فقوله: "وأوحَشُ" أي: أهمُّ.

---

١ ن: تبلاه. | **الكتاب** لسيبوَيه، ٣/٨، بغير نسبة.
٢ ن: ومنع.
٣ ف: والملموسات.
٤ ف: غلا.
٥ انظر: **الصحاح** للجوهري، «طمم».
٦ ف ن: واهتم فاغتم.

حُمَّ الماسُّ والممسُوسُ، فتحَامَى النَّاسَ وتَحامَوهُ، وكان يَصيحُ: ﴿لَا مِسَاسَ﴾، وعَاد في النَّاس أَوحشَ من القاتِل اللَّاجِئ إلى الحرَم، ومن الوَحشِيّ النَّافِر في البَريَّة.

ويُقَال: إنَّ قَومَهُ باقٍ فيهم ذلك إلى اليَوم.

قوله: (**حُمّ**) يقال: حُمّ الرجل مِن الحمّى.

قوله: (**وعاد في الناس**) عاد أي:[1] صار، كقوله -شعر-:[2]

وقـــد عـــاد مـــاءُ الأرض بحـــرًا[3]

قوله: (**باق فيهم ذلك إلى اليوم**) الصواب بالنصب، روى[4] سيبويه عن ناسٍ مِن العرب: اليومَ يومُ الجمعة،[5] وعلى ذلك -شعر-:[6]

الـيـومَ يـومٌ بـاردٌ سَـمُـومُـهْ   مَـن جَـزِعَ الـيـومَ فـلا[7] نـلـومـه[8]

واعلم أنّ في هذه الحاشية نظرًا؛ لأنّ نصب "اليوم" في الأمثلة المذكورة في الحاشية يوجب أن يكون للزمان ظرف، وهو باطل، ولذلك أوّلوا قولهم: اليومَ[9] الجمعةُ واليومَ السبتُ[10] على / التجمّع والتسبّت؛ مِن السبت مصدر سَبَتَتِ اليهود، أي: قامت بأمر سَبْتِها وعظَّمته، وقالوا: ومِن ثَـمّ لم يَجُز في سائر الأيام، فلا يقال: اليومَ الأحد أو الخميس، وتأوّلوا قولهم: اليومَ يومُك على غلبتك، ومثل هذه التأويلات يَبعُد في المثالين المذكورين في الحاشية، يُعرف بالتأمّل، وأيضًا فلا يُتجاوز به ما ورد، وعلى تقدير اعتبار أمثال هذه الأمثلة فلا يتأتّى في قوله في المتن: "إلى اليوم" فإنّه اسم مُعرَب[11] دخل فيه حرف الجر فلا وجه لفتحه. [١٣٢و]

---

١ ن – أي.

٢ ن – شعر.

٣ لنُصيب، وتمامه:

وقد عاد ماء الأرض بحرًا فزادَني
إلى مرَضي أن أبحَرَ المَشربُ العذبُ

انظر: **الصحاح** للجوهري، «بحر».

٤ ف + عن.

٥ انظر: **الكتاب** لسيبويه، ١/٤١٨.

٦ ن – شعر.

٧ ف – فلا.

٨ **الصحاح** للجوهري، «برد»، قال: وأنشد أبو عبيدة، فذكره.

٩ ف + يوم.

١٠ ف: السبتِ.

١١ ف: مُعرّب.

وقرئ: "لا مَسَاسِ" بوزن فَجَارِ، ونحوُه قولُهم في الظِّبَاء: "إنْ ورَدَتِ الماءَ فلا عَبَابِ، وإنْ فقَدَتْه فلا أَبابِ"، وهي أعْلامٌ لِلمَسَّة، والعَبَّة، والأَبَّة: وهي المرةُ من الأَبِّ وهو الطلب.

﴿لَن تُخْلَفَهُۥ﴾؛ أي: لَن يُخلِفَك اللهُ مَوعِدَه الذي وعَدك على الشِّرك والفسادِ في الأرض يُنجِزُهُ لك في الآخرة بَعد ما عاقبك بذلك في الدُّنيَا فأنتَ ممَّن خسِرَ الدنيا والآخرةَ ذلك هو الخُسْرَانُ المبين.

وقرئ: ﴿لن تُخْلِفَه﴾، وهذا من أَخْلَفْتُ المَوعِدَ: إذا وَجَدْتَه خُلْفًا، قال الأعشى:

أَثْـــوَى وقَـصَّـر لـيْـلَـهُ لِـيُـزَوَّدَا   فمضَى وأَخْـلـفَ من قُـتَـيلَـةَ مَـوْعِـدًا

قوله: (وهي أعلام)... إلخ، "عَبابِ": علَم للعَبَّة، مِن: عبَّ الماء؛ شرِبه مِن غير مصّ، وفي الحديث: «الكباد مِن العَبِّ»،[1] والحَمام يشرب الماء عبًّا، كما تَعُبُّ الدوابُّ. و"أبابِ": علَم للأَبَّة، مِن الأبِّ؛ وهو الطلب، يَصِفون الظِّباء بالصبر عن[2] الماء، أي: إذا وردت الماء فلا تفعل الأبَّ، وإذا لم تردْ فلا تفعل الأبَّ، فعلى هذا يكون قوله: (إذا وردت)... إلخ مقولًا للقَول، وأمّا إن جعلت معنى التركيب: يقولون وقت ورود الظِّباء: لا عَبابِ، ووقت عدم ورُوده: لا أبابِ؛ يكون هذا دعاء على الظِّباء، ويكون "إذا وردت" و"إذا لم ترد" ظرفًا لـ"يقولون"، والمَقول هو "فلا عَباب" و"لا أباب".

قوله: (﴿لَن تُخْلَفَهُۥ﴾) سبعة.[3]

قوله: (يُنجزه) بيان "لن يُخْلِفكَ".

قوله: (وقرئ: ﴿لَن تُخْلِفَهُۥ﴾) سبعة.

قوله:

(أَثْـــوَى وقصَّـــر ليلَـــه ليُـــزَوَّدَا   فمضـى وأخلَـف مِـن قُتَيْلـةَ موعـدا)[4]

---

[1] سنن البيهقي، ٧/٤٦٤ (١٤٦٥٩). الكُبادُ: دَاءٌ يعْرِض للكَبِد. النهاية لابن الأثير، «عبب».

[2] ن: على.

[3] قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بكسر اللام، وقرأ الباقون بفتحها. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٣٢٢.

[4] للأعشى في ديوانه، ص ٢٢٧، بلفظ "ليلة" بدل "ليله".

وعن ابن مسْعُود رضي الله عنه: "نُخْلِفَه" بالنُّون؛ أي: لَن يُخلِفَه الله؛ كأنَّه حَكَى قوله عزَّ وجلَّ كما مرَّ في ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾ [مريم ١٩/١٩].

﴿ظَلْتَ﴾ و: "ظِلْتَ" و: "ظَلِلْتَ"، والأصْلُ: ظَلِلْتَ، فحَذفوا اللامَ الأولى ونَقلُوا حرَكتها إلى الظَّاء، ومنهم مَن لم يَنقُل.

﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾ و﴿لَنُحْرِقَنَّهُ﴾ و﴿لَنَحْرِقَنَّهُ﴾، وفي حَرف ابن مسعود: "لَنَذْبَحنَّه".

و﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾ و﴿لَنُحْرِقَنَّه﴾ القراءتان من الإحراقِ، ....

"أثوَى"، أي: أقام، قال في **الصِّحاح**: «ثوَى بالمكان يَثوي ثَواءً وثُوِيًّا -مثل: مضَى مَضاء ومُضِيًّا-: أقام به، يقال ثَوَيْتُ البَصرةَ وبالبصرةِ، وأثويتُ بالمكان لغة في ثويتُ، وأثويتُ غيري، يتعدّى ولا يتعدّى».[١] أي: أثوى ليُزَوَّدا، معناه: قصَّر ليلَه لأجل طمع التزويد، فالرّجاء هو الذي قصَّر ليلتَه،[٢] الثويُّ:[٣] الضيف، وتَثَوَّيْتُهُ، أي: تَضيَّفْتُه، فقوله: "أثوى" أي: صار ضَيفًا، هكذا ذكر بعض شارحي الأبيات. و"قصَّر ليله": صيَّره قصيرًا، و"أخلف مَوعدًا" مِن: أخلفتُ الموعد إذا وجدتَه خُلْفًا. يقول: صار العاشق ضَيفًا في الحيّ ليُزَوَّد مِن معشوقه، وقصَّر ليله برجاء الوصال، فمضى عند النهار ووجد المَوعد مِن قُتَيْلَة محبوبته خُلْفًا، ولم يتمتَّع بوصالها.[٤]

قوله: **(وعن ابن مسعود ﴿نُخْلِفَهُ﴾)** شاذٌ.[٥]

قوله: **(﴿ظَلْتَ﴾)** سبعة. وقوله: **(و﴿ظِلْتَ﴾)** شاذٌ. وقوله: **(و﴿ظَلِلْتَ﴾)** شاذٌ.[٦]

قوله: **(القراءتان)** يريد ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾ و﴿لَنُحْرِقَنَّهُ﴾.[٧]

---

١ **الصحاح** للجوهري، «ثوى».

٢ ن: ليله.

٣ ن: والثويّ.

٤ انظر: **شرح شواهد الكشّاف** لمحبّ الدين أفندي، ص ٩٢.

٥ نسبها ابن جنّي إلى الحسن البصري. انظر: **المحتسب** لابن جنّي، ٢/٥٧.

٦ ن - وقوله: (و﴿ظَلِلْتَ﴾) شاذٌ. | انظر: **مختصر شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ٩٢.

٧ قرأ أبو جعفر ﴿لَنُحْرِقَنَّهُ﴾ بإسكان الحاء وتخفيف الراء، وقرأ الباقون ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾ بفتح الحاء وتشديد الراء. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٢/٣٢٢.

وذكر أبُو علي الفارسي في ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ أنّه يجُوز أن يكون "حَرَّقَ" مبَالغةً في "حَرَق" إذا برَد بالمِبْرَدِ، وعليه القراءةُ الثالثة، وهي قراءةُ عليِّ بنِ أبي طالب رضي الله عنه.

﴿لَنَنسِفَنَّهُۥ﴾ بكسر السين وضمِّها، وهذه عقُوبةٌ ثالثةٌ، وهي إبطالُ ما افتَتَن به وفَتَن، وإهْدارُ سعْيِهِ وهَدمُ مكرِهِ ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران ٣/٥٤].

﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا ٩٨﴾

قرأ طلحةُ: "اللهُ الذي لا إلهَ إلَّا هو الرحمنُ ربُّ العرش".

﴿وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا﴾ وعن مجاهدٍ وقتادة: "وَسَّعَ"، ووَجهُه: أن وسِعَ متعدٍّ إلى مفعُولٍ واحدٍ وهو ﴿كُلَّ شَيۡءٍ﴾، وأمَّا ﴿عِلۡمٗا﴾ فانتصَابُه على التمييز، وهو في المعنى فاعل، فلمَّا ثُقِّلَ نُقِلَ إلى التَّعدية إلى مَفعولين فنصَبهما معًا على المفعولية؛ لأن المميّز فاعلٌ في المعنى؛ كما تقول في "خاف زيدٌ عَمرًا":

قوله: (وعليه القراءة الثالثة) وهي ﴿لَنَحْرُقَنَّهُ﴾.[1]

قوله: (﴿لَنَنسِفَنَّهُ﴾ بكسر السين وضمّها)[2] أي: لَنَذْرينّه، مِن: نسفْتُ التراب.

قوله: (وهدمُ مكرِه) كما أقحَط الله باهلةَ حتّى أكلَتْ إلهَها مِن حَيْسٍ.[3]

قوله: (قرأ طلحة)[4] هو طلحة بن مُصرِّف.

قوله: (على التمييز) أي: مِن نسبة ﴿وَسِعَ﴾ إلى الضمير المستتر.

قوله: (لأنّ[5] المميّز فاعل) إنّما قال ذلك؛ لأنّ شأن التعدية أن تُصيِّر الفاعل مفعولًا، فأشار إلى أنّ التميز لمَا كان فاعلًا في المعنَى كان تصييره مفعولًا بمنزلة تصيير الفاعل مفعولًا.

---

[1] هي رواية ابن وردان عن أبي جعفر المدني. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٣٢٢.

[2] بكسر السين القراءة الصحيحة، وبضمّها شاذّة. انظر: مختصر شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ٩٢.

[3] الحيس: هو تمرٌ يخلط بسمنٍ وأقط. الصحاح للجوهري، «حيس».

[4] قراءة شاذّة، ولم أجدها في ما بين يدي من كتب القراءات.

[5] ن: لا.

خَوَّفْتُ زَيْدًا عَمْرًا، فَتَرُدُّ بالنَّقل ما كان فاعلًا مَفْعولًا.

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾﴾

الكافُ في ﴿كَذَٰلِكَ﴾ منصوبَةُ المحَل، وهذا موعِدٌ من الله عزَّ وجلَّ لرسوله؛ أي: مثلَ ذلك الاقتصاصِ ونحوَ ما اقتصَصنا عليك قصَّةَ مُوسى وفرعون نقصُّ عليك من سائر أخبار الأُمم وقِصَصِهم وأحوالهم؛ تكثِيرًا لبَيِّنَاتِك وزيَادةً في مُعجزاتِك، وليَعتَبِر السَّامعُ ويَزدَادَ المُستَبْصِرُ في دِينهِ بَصِيرةً، وتتَأكَّدَ الحُجَّةُ على مَن عَانَد وكابرَ، وإنَّ هذا الذِّكر الذي آتينَاكَ -يعني: القرآنَ- مُشتمِلًا على هذه الأقَاصِيص والأخبار الحقيقةِ بالتَّفكُّر والاعتِبار لَذِكرٌ عظيمٌ وقرآنٌ كريمٌ فيه النجاةُ والسَّعَادةُ لمن أقْبلَ عليه، ومَن أعرَض عنه فقَد هَلك وشَقِيَ.

﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾﴾

يريد بـ"الوِزْر": العقُوبَةَ الثقِيلةَ ....

قوله: **(فَتَرُدّه)** أي: تُصيّره.[1]

قوله: **(بالنقل)** أي: إلى باب التفعيل.

قوله: **(تكثيرًا)**... إلخ حذف اللام مِن "تكثيرًا" / و"زيادةً"؛ لأنّهما فِعلًا لِفاعل الفِعل المعلَّل، ولم يحذف مِن "ليَعتبر"؛ لأنّه ليس كذلك. [١٣٢ظ]

قوله: **(مشتملًا)** حال. وقوله: **(الحقيقة)** أي: الجديرة. وقوله: **(لَذِكر)** خبر "إنّ".

قوله: **(يريد بالوِزر: العقوبة)** يعني أنّ الوزر في اللغة يُطلق على معنيين: على الحِمْل الثقيل، وعلى الإثم، فيجوز في قوله تعالى: ﴿يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا﴾ أن يقال: شبَّه العقوبة بالوزر، أي: بالحمل الثقيل، ثمّ ذكَر الوِزر وأراد العقوبة، فيكون مِن الاستعارة المصرّح بها، وقرينتها ذكر يوم القيامة. ويجوز أن يكون الوزر بمعنى الإثم، والمضاف محذوفًا، وعلى هذا الوجه شبَّه عقوبة الإثم

---

١ ن - أي تصيره.

البَاهِظةَ، سمَّاهَا وِزْرًا تشبيهًا في ثِقَلها عَلى المُعاقَب وصعوبةِ احتِمالها بالحِمْل الذي يَفدَحُ الحَامِلَ ويُنقِضُ ظَهْرَهُ ويُلقي عليه بُهْرَهُ، أو لِأنَّهَا جَزاءُ الوِزر وهو الإثمُ.

وقرئ: "يُحَمَّلُ".

﴿خَٰلِدِينَ فِيهِۖ وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا ١٠١﴾

جَمَع ﴿خَٰلِدِينَ﴾ على المَعنى؛ لأن ﴿مَنۡ﴾ مُطلقٌ مُتناوِلٌ لغيرِ مُعْرِضٍ واحدٍ، وتوحيدُ الضمير في ﴿أَعۡرَضَ﴾ وما بعدَه للحَملِ على اللفظ، ونحوُه قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [الجن ٢٣/٧٢].

﴿فِيهِ﴾؛ أي: في ذلك الوزر، ....

بالحِمل الفادح، ثمّ ذكَر عقوبة الإثم المرادة بالوزر، وأراد الحِمل الفادح، وقرينته ﴿يَحۡمِلُ﴾ فيكون استعارة بالكناية، ومِن هذا التقرير[1] يتبيّن لك حسن قوله تعالى: ﴿وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا﴾ على الوجهين.

قوله: (**الباهظة**) أي: المثقِلة.

قوله: (**يَفدَح**) فَدَحه كذا: أثقله، والبلايا تسمَّى الفوادح.

قوله: (**ويُنقض ظهره**) أنقض الحِمل ظهره، أي: أثقله، وأصله الصوت، ومنه قوله تعالى: ﴿أَنقَضَ ظَهۡرَكَ﴾ [الشرح ٣/٩٤]، والنقيض: صوت المحامل والرحال،[2] والإنقاض: صُوَيْتٌ مثل النَّقر. وقوله: (**بُهره**)[3] البُهْر: اسم مِن الانبهار، أي: انقطاع النفَس.

قوله: (**وقُرئ**:[4] ﴿**يُحَمَّلُ**﴾) شاذّ.[5]

قوله: (**على المعنى**) أي: للحَمل على المعنى، حذف قوله: "للحَمل"؛ لدلالة قوله: (**للحَمل على اللفظ**) عليه.

قوله: (**أي: في ذلك الوِزر**)... إلخ يعني: يجوز أن يرجع الضمير إلى "الوِزر"

---

[1] ن: التقدير.
[2] ن: والرجال.
[3] د: بُهْرة.
[4] ن – وقرئ.
[5] انظر: **مختصر شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ٩٢.

أو في احتماله.

﴿ساء﴾ في حُكم "بِئسَ"، والضميرُ الذي فيه يجبُ أن يكون مُبْهَمًا يُفسِّره ﴿حِمْلًا﴾، والمخصوصُ بالذمِّ مَحْذوفٌ لدلالةِ الوِزر السَّابق عليه، تقديرهُ: سَاء حِملًا وِزرُهم، كما حُذِف في قوله تعالى: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص ٣٨/٣٠] أَيُّوبُ الذي هو المخصُوصُ بالمَدح، ومنه قوله تعالى: ﴿وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء ٤/٩٧]؛ أي: وسَاءت مَصِيرًا جَهنمُ.

فإن قلتَ: اللام في ﴿لَهُمْ﴾ ما هي وبِمَ تتعَلَّقُ؟

قلتُ: هي للبيان كما في ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف ١٢/٢٣].

فإن قلتَ: ما أنكرْتَ أَن يكون في ﴿سَاء﴾ ضميرُ الوزر؟

قلتُ: لا يصحُّ أَنْ يكون في ﴿سَاء﴾ -وحكمُه حكمُ "بئسَ"- ضميرُ شيءٍ بعَيْنِه غيرُ مُبْهَمٍ.

فإن قلتَ: فلا يكُنْ "ساء" الذي حُكْمُه حُكْمُ "بِئسَ"، وليَكُنْ "ساء" الذي منه قولُه تعالى: ﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الملك ٦٧/٢٧] بمعنى: أَهَمَّ وأَحْزَنَ؟

بمعنى العقوبة على الوجهين المذكورين، فإنّ الكافر مُخلّد في تلك العقوبة. وقوله: (**أو في احتماله**) يعني: يجوز أن يرجع الضمير إلى الاحتمال المفهوم مِن قوله: ﴿يَحْمِلُ﴾، فإنّ الكافر خالد في احتمال الوِزر، فإنّ المراد باحتمال الوزر -أي: العقوبة- بالوجهين المذكورين هو مقاساة شدائد العقوبة.

قوله: (**و"أَيُّوب"**[١] **الذي هو المخصوص**) أيوب: فَيْعول مِن آبَ، كقيُّوم مِن قام.

قوله: (﴿**هَيْتَ لَكَ**﴾ [يوسف ١٢/٢٣]) أي: هَلُمَّ.

قوله: (**فإن قلت: ما أنكرت؟**) أي: أيَّ إنكار أنكرت؟ فكأنّه قال: أهو إنكار صحيح أو فاسد، وهذا كما يقال: ما هذا الإنكار؟ والمراد بالإنكار: قوله: (**يجب أن يكون مُبهمًا**)، فإنّ الحكم بوجوب[٢] كونِه مبهمًا[٣] إنكار لكونه ضمير الوزر.

---

١ ف ن: أيوب.
٢ ن: يوجب.
٣ ف - فإن الحكم بوجوب كونه مبهمًا.

قلتُ: كفاكَ صَادًّا عنه أن يَؤُولَ كلامُ الله إلى قولك: وأَحزَنَ الوِزرُ لهم يومَ القيامة حِملًا، وذلك بعد أن تخرُجَ من عُهدةِ هذه اللّام وعُهدةِ هذا المنصُوب.

﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا ١٠٢﴾

أُسند النفخُ إلى الآمِر به فيمَن قرَأ: ﴿نَنفُخُ﴾ بالنون؛ ولأن الملائكةَ المقرَّبين

قوله: (**قلت: كفاك صادًّا**)؛ وذلك لأنّه لا يفهم مِن هذا التركيب معنى يصحّ التعبير عنه؛ لأنّ ﴿حِمۡلًا﴾ يصير مفعولًا آخر، ولا وجه لهذا مع أنّ اللام لا وجه له في هذا الموضع،[1] إذ لا يقال: أحزن لهم؛ بل أحزَنَهم، والمنصوب لا يصحّ أن يكون تمييزًا؛ لأنّ الضمير إذا كان عائدًا إلى الوِزر لا يصحّ أن يُمَيَّز بالوزر، وغير التمييز لا وجه له. وقوله: (**وذلك بعد أن**) أي: ذلك الصَدُّ. وقوله: (**وعُهدةِ**[2] **هذا المنصوب**) إذ لا يصحّ أن يكون تمييزًا.

قوله: (**بعد أن تخرج**) يعني: صحّة المعنى بعد صحّة اللفظ، وهنا[3] لو[4] تصحّح اللفظ ما يَنصحّ المعنى، فيكون فاسدًا مِن جهة اللفظ ومِن جهة المعنى.[5]

قوله: (**فيمن قرأ ﴿نَنفُخُ﴾ بالنون**) وهو مِن السبعة.[6]

قوله: (**ولأنّ الملائكة المقرَّبين**) هذا عطف مِن حيث المعنى على قوله: (**إلى الآمر به**)، فكأنّه قيل: أُسنِد النفخ إلى الله تعالى مع أنّ النفخ مِن إسرافيل إسنادًا مجازيًّا؛ إمّا لأنّ الله تعالى هو الآمر / به، فجعل فعل المأمور به كفعله تعالى، [١٣٣و]
وإمّا لقربه وكرامته، فجعل فعله كفعله تعالى. ويجوز أن يقال: اللام متعلّق بقوله: (**صحّ**)[7] مع تخلّل الفاء للسببيّة كما في قوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ... فَلۡيَعۡبُدُواْ﴾ [قريش ١٠٦/١-٣]، فتكون هذه الجملة معطوفة على ظاهر قوله: (**أسند**)... إلخ،

---

[1] وفي هامش د ف: في ﴿سَآءَ لَهُمۡ﴾.

[2] ن: وعهدت.

[3] ف: ههنا.

[4] ن: لو.

[5] وقعت هذه الحاشية في هامش د ف.

[6] قرأ أبو عمرو بالنون وفتحها وضم الفاء، وقرأ الباقون بالياء وضمها وفتح الفاء. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٢٢/٢.

[7] ف هامش د + المأمور به.

-وإسرافيلُ منهم- بالمَنزلةِ التي هم بها من ربِّ العزَّة، فصَحَّ لكرامتِهم عليه وقُربهم منه أن يُسنِد ما يتولَّونَه إلى ذاتِه.

وقرئ: ﴿يُنفَخُ﴾ بلفظِ ما لم يُسمَّ فاعله، و"يَنفُخُ" و: "يَحشُرُ" بالياء المفتُوحة على الغيبَة، والضميرُ للهِ تعالى أو لإسْرافِيلَ عليه السلام.

وأمَّا "يُحشَرُ المُجرمُون" فلم يَقرأ به إلَّا الحسنُ.

وقرئ: "في الصُّوَر" بفتح الواو جمعُ صُورة، وفي ﴿ٱلصُّورِ﴾ قولانِ؛ أحدهُما: أنَّه بمعنى الصُّوَر، وهذه القراءة تدُل عَليه، والثاني: أنَّه القَرْنُ.

أي: أسند إلى الآمر تعالى، أو صحّ إسناد فعلهم إليه لقربهم منه تعالى. ثمّ إنّ قوله: **(لكرامتهم عليه)** بدل مِن قوله: **(لأنّ الملائكة المقرَّبين... بالمنزلة)**؛ إذ المراد بكونهم بتلك المنزلة هو قربهم منه. وقوله: **(وإسرافيل منهم)** اعتراض. وقوله: **(بالمنزلة)** خبر "أنّ". وقوله: **(هم بها)** أي: "الملائكة المقربون بالمنزلة التي هم بتلك المنزلة"، وهذا للتعظيم والتفخيم.

قوله: **(إلى ذاته)** كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ [الزخرف ٤٣/٥٥]، أي: أغضبوا أنبياءنا.

قوله: **(وقرئ ﴿يُنفَخُ﴾ بلفظ)** في السبعة. وقوله: **(و﴿يَنفُخُ﴾)** شاذّ.[١] وقوله: **(و﴿يَحْشُرُ﴾)** شاذّ.[٢]

قوله: **(وأمّا ﴿يُحْشَرُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾)** شاذّ.[٣]

قوله: **(وقرئ ﴿فِى ٱلصُّوَرِ﴾)** شاذّ،[٤] أي: يُنفخ الأرواح في الصُّوَر، أي: في أجساد بني آدم.

قوله: **(والثاني: أنّه القَرْن)** أي: القَرْن الذي التقَمه إسرافيل، وقال عليه الصلاة والسلام: «كيف أفرَح وصاحبُ القَرْن قد التقم قَرْنه ينتظر النفخ؟!».[٥]

---

١ انظر: **الكامل** للهذلي، ص ٥٩٩.

٢ ن – وقوله: (و﴿يَحْشُرُ﴾) شاذّ. | كذا في **البحر المحيط** لأبي حيان، ٣٨٢/٧ (طه، ١٠٢/٢٠)، ولم أجده في كتب القراءات.

٣ ن – قوله: (وأمّا ﴿يُحْشَرُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾) شاذّ. | انظر: **الكامل** للهذلي، ص ٥٩٩.

٤ انظر: **المحتسب** لابن جنّي، ٥٩/٢.

٥ **سنن الترمذي**، ١٩٨/٤ (٢٤٣١)، بلفظ: «كيف أنعَم»...

قيل في "الزُّرق" قولَان:

أَحدُهما: أن الزُّرقَة أبغَض شيءٍ مِن أَلوان العيُون إلى العَربِ؛ لأَنَّ الرُّوم أَعْدَاؤهُم وهُم زُرقُ العيُون، ولذلك قالوا في صِفة العَدُوّ: أَسوَدُ الكَبدِ، أَصهَبُ السِّبَال، أزرقُ العَين.

والثاني: أن المراد: العُميُ؛ لأن حَدَقة مَن يَذهبُ نورُ بصَرهِ تَزْرَاقُّ.

﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا ١٠٣ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذۡ يَقُولُ أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا يَوۡمٗا ١٠٤﴾

تَخَافُتُهُم لِمَا يَملأُ صُدُورَهُم من الرُّعْب والهَول، يَستقصِرُون مدَّةَ لَبثهم في الدُّنيا: إما لِمَا يُعَاينُون من الشَّدائد التي تُذكِّرُهم أيَّامَ النعمة والسُّرور فيَتَأسَّفُون عَلَيها ويصِفُونَها بالقِصر؛ لأنَّ أيام السُّرور قِصَارٌ؛ وَإِما لأَنَّها ذهَبتْ عنهم وتَقضَّت، والذاهِبُ وإن طَالت مدَّتُه قصيرٌ بالانتهاء، ومنه توقيعُ عبد الله بن المُعتَزِّ تَحتَ "أَطالَ الله بقاءك": "كَفى بالانتهاء قِصَرًا"، وإمَّا لاستطَالتِهم الآخرةَ

قوله: (**قيل في "الزُرْق" قولان**)... إلخ، على الوجه **الأوّل**: يكون مجازًا؛ لأنّ الهيئة المذكورة مستلزمة لكون صورتهم مُنكَرة، فأطلق الملزوم وأريد اللازم، فكأنّه قيل: نحشرهم على أقبح صورة. وعلى الوجه **الثاني**: كناية؛ لأنّ الزُرقة مِن لوازم العُمي. وقوله: (**أصهَب**) الصُهْبة والصُهوبة: الشُقرة في الشَّعر واللِّحية، والرجل أصْهب، والمرأة صَهباء، ويقال: زَرِقت عينُه -بالكسر- وازْرقّت ازرقاقًا، وازراقّت ازْريقاقًا.

قوله: (**تخافُتُهم لِما يملأ**) التخافُت مِن: خفَت صوتَه إذا خفَضه.

قوله: (**لأنّ أيام السرور قصار**) قال الشاعر:

تمتَّعْ بأيّام السرور فإنّها ... قِصارٌ وأيام الهمومِ طِوالُ[١]

قوله: (**بالانتهاء**) أي: بسبب الانتهاء.

---

١ لم أجد قائله، وذكره الطيبي في **حاشيته على الكشّاف**، ١٠/٢٤٢.

وأنها أَبدٌ سَرمدٌ يُستقصَرُ إليها عُمر الدُّنيا، ويُتقَالُّ لَبثُ أَهلها فيها بالقياس إلى لَبْثهم في الآخِرة.

وقد استرجَحَ اللهُ قولَ مَن يَكُون أشَدَّ تقالًا منهم في قوله: ﴿إِذۡ يَقُولُ أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا يَوۡمٗا﴾ ونحوهُ قوله عزَّ وجل: ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ۝ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ﴾ [المؤمنون ٢٣/١١٢-١١٣].

وقيل: المراد لَبْثُهم في القبور، ويعضُده قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤۡفَكُونَ ۝ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِ﴾ [الروم ٣٠/٥٥-٥٦].

﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ۝١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا ۝١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا ۝١٠٧﴾

﴿يَنسِفُهَا﴾: يَجعَلُها كالرَّمْل ثم يُرسِلُ عليها الرِّياحَ فتُفرِّقُها ....

قوله: (**سَرمدٌ**) السَّرمد: الدائم المتصل، مِن السَّرد؛ وهو المتابعة، والميم زائدة، ووزنه: فَعْمَل. وقوله: (**يُستقصرُ**) قال تعالى: ﴿كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ [يونس ١٠/٤٥]. وقوله: (**يُتقالّ**) أي: يُستقَلُّ، وهي لغة رسول الله عليه الصلاة والسلام ولغة أهل الحجاز.

قوله: (**ويَعضُده قوله عزَّ وجلّ: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾** [الروم ٣٠/٥٥]) استدلّ بقوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾... إلخ [الروم ٣٠/٥٥] على أنّ المراد اللَّبْثَ في القبور، فإنّ قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِ﴾ [الروم ٣٠/٥٦] يدلّ على ذلك. والأفك بفتح الهمزة: الصَّرف عن الشيء، قال:[1]

إن تـكُ عـن أحسَـن الصنيعة مَـأ   فـوكًـا فـفـي آخَـريـن قـد أُفِـكـوا[2]

يقول: إن لم توفَّق للإحسان فأنت في جملة قَوم قد صُرِفوا مِن ذلك أيضًا.

قوله: (﴿**يَنسِفُهَا**﴾ **يجعلها**) نَسَف الحَبَّ بالمِنسَفِ نَسْفًا، ومنه: نَسَفت الريح

---

[1] ف + شعر.

[2] لعروة بن أُذينة كما في الصحاح للجوهري، «أفك».

كما يُذَرَّى الطعامُ ﴿فَيَذَرُهَا﴾؛ أي: فيَذرُ مَقارَّهَا ومراكزَهَا، أو يُجعَلُ الضميرُ للأرض وإن لم يَجرِ لهَا ذِكرٌ؛ كقوله: ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر ٣٥/٤٥].

فإن قلتَ: قد فَرَّقُوا بين العِوَجِ والعَوَجِ فقالوا: العِوَج بالكسر في المعاني، والعَوَجُ بالفتح في الأعيَان، والأرضُ عَينٌ فكيف صَحَّ فيهَا المكسُورُ العَينِ؟

قلتُ: اختيارُ هذا اللَّفظ له مَوقعٌ حَسَنٌ بديعٌ في وصفِ الأرض بالاستواء والمَلَاسَة ونَفيِ الاعْوِجَاج عنها على أبلغ ما يكون، وذلك أنك لو عَمَدْتَ إلى قِطعةِ أَرضٍ فسوَّيتَها وبالغتَ في التَّسوية على عَيْنِكَ وعُيونِ البُصَراء من الفلاحةِ واتَّفقتُم على أنْ لَم يَبْقَ فيها اعوجاجٌ قَطُّ، ثمَّ استَطْلَعْتَ رأيَ المُهندِسِ فيها

التراب إذا ذَرَتْه، قال بعض أهل التفسير: ﴿يَنسِفُهَا﴾: يقلَعُها عن مركزها فيجعلها هباء منثورًا،[١] فهو عندهم مِن قول العرب: نَسَفت البناء نسْفًا؛ قلَعته، ونسَفَ البعير الكلأ يَنسِفه بالكسر إذا اقتلَعه.

قوله: (**أي: فيذَرُ مقارَّها**) يعني يكون المضاف محذوفًا.

[١٣٣ظ] قوله: (**مِن الفلَّاحة**) الفَلَّاحة كالبغَّالة / والنسّابة، في أنّ المراد: الجماعة البغّالة، والجماعة النسّابة، وأصل الفَلْح: الشَّقُّ، وفَلحتُ الأرضَ، أي: شققتُها للحَرث، ومنه سُمّي الأكّار: فلّاحًا، والفَلاحة: الحِراثة، وقولهم: الحديد بالحديد يُفلَح، أي: يُشَقّ ويُقطَع. قال المصنِّف في **المفصّل**: «قولهم: جَمّالة في جمع جَمّال بمعنى: جماعة جمّالة، وكذلك[٢] بَغّالة وحَمّارة[٣] وشاربه وواردة وسابلة»،[٤] ثمّ قال المصنّف في فصل آخر: «التاء يكون للمبالغة في الوصف، كعلّامة ونسّابة».[٥] ويظهر لك مِن هذا أنّ ما ذكر[٦] في الحاشية مِن أنّ الفلّاحة كالبغّالة صحيح، وأمّا ما ذُكر مِن أنّها كالنسّابة فغير صحيح؛ لأنّ التاء في النسّابة للمبالغة، لا للدلالة على معنى الجمع، يدل عليه ما ذكر في **الصِّحاح**،

---

١ انظر: معالم التنزيل للبغوي، ٥/٢٩٤ (طه، ٢٠/١٠٥).
٢ ن: ولذلك.
٣ ن: وحمّاله.
٤ ف: وسابله. | **المفصّل** للزمخشري، ص ٢٤٩.
٥ **المفصّل** للزمخشري، ص ٢٤٩.
٦ ن: ما ذكره.

وأمرتَه أَن يَعرِضَ استواءهَا على المقاييس الهَندسيَّة، لعَثَرَ فيها على عِوَجٍ في غيْرِ مَوضعٍ لا يُدرَكُ ذلك بحَاسَّةِ البَصر؛ ولكنْ بالقياسِ الهندسيّ، فنَفَى اللهُ عزَّ وعلا ذلك العِوَجَ الذي دَقَّ ولَطُف عن الإدراك اللّٰهم إلَّا بالقياس الذي يَعرفُه صاحبُ التَّقدير والهَندسة، وذلك الاعوجَاجُ لمَا لم يُدرَكْ إلا بالقياس دون الإحساسِ لَحِقَ بالمعاني فقيل فيه: "عِوَجٌ" بالكسر.

"الأَمْتُ": النُّتُوءُ اليَسِير؛ يُقَال: مَدَّ حَبْله حَتَّى ما فيه أَمْتٌ.

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ١٠٨﴾

أضاف اليومَ إلى وقت نَسْفِ الجبال في قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يومَ إذ نُسِفَتْ، ويجوز أن يكون بدلًا بعدَ بدلٍ من ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [طه ٢٠/١٠٠].

وهو قوله: «رجل نسّابة: عالم بالأنساب، والهاء للمُبالغة في المدح، كأنّهم يريدون به داهية أو غاية أو نهاية، وتقول: عندي ثلاثة نسّابات وعلّامات؛ تريد: ثلاثة رجال، ثمّ جئتَ بنسّابات نعتًا لهم».[١]

قوله: (**الهندسيّة**) الهندسة: هو العلم بمقادير الأشياء، وكمّيّة كلّ واحد منها مِن الآخر، وخاصيّة الصوَر والأشكال التي هي في الجسم.

قوله: (**فنفى الله عز وجل ذلك العِوج**) أي: نفى الله[٢] عنه ما لا يُدرَك عنه إلّا بالمقاييس. فقوله:[٣] (**لطُف**) في معنى: لا يُدرَك؛ لأنّ كون الشيء لطيفًا مانع مِن الإدراك. وقوله: (**عن الإدراك**) فيه معنى المجاوزة، فكأنّه جاوز الإدراك لكونه لطيفًا. وقوله: (**إلّا بالقياس**) متعلّق بالإدراك، أي: لا يمكن أن يُدرَك بوجه مِن الوجوه إلّا بالقياس المذكور. وأمّا قوله: (**اللّٰهم**) فإشارة إلى بُعد المستثنى بحيث يحتاج في تحقّقه إلى مشيئة الله تعالى، أي: إلى الاستعانة بمشيئة الله تعالى.

قوله: (**ويجوز أن يكون بدلًا بعدَ بدل مِن ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾**) أي: في قوله تعالى:

---

١ **الصحاح** للجوهري، «نسب».
٢ د ن - الله.
٣ ن: قوله.

كما يُذَرَّى الطعامُ ﴿فَيَذَرُهَا﴾؛ أي: فيَذرُ مَقَارَّهَا ومراكزَها، أو يُجعَلُ الضميرُ للأرض وإن لم يَجرِ لهَا ذِكرٌ؛ كقوله: ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر ٤٥/٣٥].

فإن قلتَ: قد فَرَّقُوا بين العِوَجِ والعَوَجِ فقالوا: العِوَج بالكسر في المعاني، والعَوَجُ بالفتح في الأعيَان، والأرضُ عَينٌ فكيف صَحَّ فيهَا المكسُورُ العَينِ؟

قلتُ: اختيارُ هذا اللَّفظ له مَوقعٌ حَسَنٌ بديعٌ في وصفِ الأرض بالاستواء والمَلَاسَة ونَفيِ الاعْوِجَاج عنها على أبلغ ما يكون، وذلك أنك لو عَمَدْت إلى قِطعةِ أرضٍ فسوَّيتَها وبالغتَ في التَّسوية على عَيْنِك وعُيونِ البُصَراء من الفلاحةِ واتَّفقتُم على أنْ لَم يَبْقَ فيها اعوجاجٌ قَطُّ، ثمَّ استَطْلَعْتَ رأيَ المُهندسِ فيها

التراب إذا ذَرَتْه، قال بعض أهل التفسير: ﴿يَنسِفُهَا﴾: يقلَعُها عن مركزها فيجعلها هباء منثورًا،[١] فهو عندهم مِن قول العرب: نَسَفت البناء نسْفًا؛ قلَعته، ونسَفَ البعير الكلأ يَنسِفه بالكسر إذا اقتلَعه.

قوله: (**أي: فيذَرُ مقارَّها**) يعني يكون المضاف محذوفًا.

[١٣٣ظ] قوله: (**مِن الفلَّاحة**) الفَلَّاحة كالبغَّالة / والنسّابة، في أنّ المراد: الجماعة البغّالة، والجماعة النسّابة، وأصل الفَلْح: الشَّقُّ، وفَلحتُ الأرضَ، أي: شققتُها للحَرث، ومنه سُمّي الأكّار: فلّاحًا، والفَلاحة: الحِراثة، وقولهم: الحديد بالحديد يُفلَح، أي: يُشَقّ ويُقطَع. قال المصنِّف في **المفصّل**: «قولهم: جَمّالة في جمع جَمّال بمعنى: جماعة جمّالة، وكذلك[٢] بَغّالة وحَمّارة[٣] وشاربه وواردة وسابلة»،[٤] ثمّ قال المصنِّف في فصل آخر: «التاء يكون للمبالغة في الوصف، كعلّامة ونسّابة».[٥] ويظهر لك مِن هذا أنّ ما ذكر[٦] في الحاشية مِن أنّ الفلّاحة كالبغّالة صحيح، وأمّا ما ذُكر مِن أنّها كالنسّابة فغير صحيح؛ لأنّ التاء في النسّابة للمبالغة، لا للدلالة على معنى الجمع، يدل عليه ما ذكر في **الصِّحاح**،

---

١ انظر: **معالم التنزيل** للبغوي، ٢٩٤/٥ (طه، ١٠٥/٢٠).
٢ ن: ولذلك.
٣ ن: وحمّاله.
٤ ف: وسابله. | **المفصّل** للزمخشري، ص ٢٤٩.
٥ **المفصّل** للزمخشري، ص ٢٤٩.
٦ ن: ما ذكره.

وأمرتَه أَن يَعرِضَ استواءهَا على المقاييس الهَندسيَّة، لعَثَرَ فيها على عِوَجٍ في غيْرِ مَوضعٍ لا يُدرَكُ ذلك بحَاسَّةِ البَصر؛ ولكنْ بالقياسِ الهندسيِّ، فنَفَى اللهُ عزَّ وعلا ذلك العِوَجَ الذي دَقَّ ولَطُف عن الإدراك اللّٰهم إلَّا بالقياس الذي يَعرفُه صاحبُ التَّقدير والهَندسة، وذلك الاعوجَاجُ لمَا لم يُدرَكْ إلا بالقياس دون الإحساسِ لَحِقَ بالمعاني فقيل فيه: "عِوَجٌ" بالكسر.

"الأَمْتُ": النُّتُوءُ اليَسِير؛ يُقَال: مَدَّ حَبْله حَتَّى ما فيه أَمْتٌ.

﴿يَوۡمَئِذٖ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا ١٠٨﴾

أضاف اليومَ إلى وقت نَسْفِ الجبال في قوله: ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ أي: يومَ إذ نُسِفَتْ، ويجوز أن يكون بدلًا بعدَ بدلٍ من ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [طه ٢٠/١٠٠].

وهو قوله: «رجل نسّابة: عالم بالأنساب، والهاء للمُبالغة في المدح، كأنّهم يريدون به داهية أو غاية أو نهاية، وتقول: عندي ثلاثة نسّابات وعلّامات؛ تريد: ثلاثة رجال، ثمّ جئتَ بنسّابات نعتًا لهم».[١]

قوله: (**الهندسيّة**) الهندسة: هو العلم بمقادير الأشياء، وكمّيّة كلّ واحد منها مِن الآخر، وخاصيّة الصوَر والأشكال التي هي في الجسم.

قوله: (**فنفى الله عز وجل ذلك العِوج**) أي: نفى الله[٢] عنه ما لا يُدرَك عنه إلّا بالمقاييس. فقوله:[٣] (**لطُف**) في معنى: لا يُدرَك؛ لأنّ كون الشيء لطيفًا مانع مِن الإدراك. وقوله: (**عن الإدراك**) فيه معنى المجاوزة، فكأنّه جاوز الإدراك لكونه لطيفًا. وقوله: (**إلّا بالقياس**) متعلّق بالإدراك، أي: لا يمكن أن يُدرَك بوجه مِن الوجوه إلّا بالقياس المذكور. وأمّا قوله: (**اللّٰهم**) فإشارة إلى بُعد المستثنى بحيث يحتاج في تحقّقه إلى مشيئة الله تعالى، أي: إلى الاستعانة بمشيئة الله تعالى.

قوله: (**ويجوز أن يكون بدلًا بعدَ بدل مِن ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾**) أي: في قوله تعالى:

---

١ **الصحاح** للجوهري، «نسب».

٢ د ن – الله.

٣ ن: قوله.

والمرادُ: الدَّاعي إلى المحشرِ.

قالوا: هو إسرافيل عليه السلام قائمًا على صخرةِ بيتِ المقدِسِ يَدعُو الناس فيُقْبِلُون من كُلِّ أوْبٍ إلى صَوته لا يَعدِلُون.

﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾؛ أي: لا يَعْوَجُ لَهُ مَدْعُوٌّ؛ بل يستَوون إليه من غيْر انحرافٍ مُتَّبِعِين لصَوته؛ أي: خُفِضتِ الأصوات من شدَّة الفزع وخَفَتَتْ.

﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ وهو الرِّكزُ الخفيُّ، ومنه الحرُوفُ المَهموسَةُ.

وقيل: هو من همِيسِ الإبل، وهو صوتُ أخفَافها إذا مشَتْ؛ أي: لا تَسمعُ إلَّا خَفقَ الأَقدام ونقْلَهَا إلى المحشِر.

﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾

﴿مَنْ﴾ يَصْلُحُ أن يكون مَرفوعًا ومنصوبًا: فالرَّفعُ على البدل من ﴿ٱلشَّفَٰعَةُ﴾ بتقدير حَذف المضاف؛ أي: لا تنفعُ الشَّفاعَةُ إلَّا شفَاعةُ مَن ﴿أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾.

﴿وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا﴾، البدل **الأوّل**: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ﴾. **والثاني**: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾. فإذا كان بدلًا يكون العامل فيه ﴿سَآءَ﴾، وإذا لم يكن بدلًا يكون العامل فيه ﴿يَتَّبِعُونَ﴾.

قوله: **(مِن كلّ أوْبٍ)** قولهم: جاءوا مِن كلّ أوْبٍ، أي: مِن كلّ ناحية.

قوله: **(﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ أي: لا يَعوَجّ)** كما يقال: فلان لا عصيان له، أي: لا يُعصى، ولا ظُلم له، وأصله: أنّ المصدر تارة يضاف إلى الفاعل، وتارة يضاف إلى المفعول.

قوله: **(وقيل: هو مِن هميس الإبل)** قال الراجز:

وهــــنَّ يـمـشـيـن بـنـا هـمـيـسًـا[1]

أراد: الإبلَ وصوت أخفافها.

---

[1] من بيت أنشده ابن عباس وكان محرمًا. انظر: **المستدرك** للحاكم، ٢/٣٠٣ (٣٠٩٣)؛ **المصنَّف** لابن أبي شيبة، ٣/٣٢٠ (١٤٤٩٢).

والنصبُ على المفعولية.

ومَعنى ﴿أَذِنَ لَهُ... وَرَضِيَ لَهُۥ﴾: لأجلِهِ؛ أي: أذنَ للشَّافِع ورَضي قولَه لأجلِه، ونحوُ هذه اللَّامِ اللامُ في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف ٤٦/١١].

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾

أي: يَعْلَمُ ما تقَدَّمَهم من الأَحْوال وما يَستقبِلُونه، ولا يُحِيطُون بمعلوماته علمًا.

﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾

المراد بـ"الوجُوه": وجُوه العُصَاة، وأَنَّهم إذا عَاينُوا يومَ القيامة الخَيْبةَ والشِّقوةَ وسُوءَ الحساب صارت وجوهُهم عَانِيةً؛ أي: ذَليلةً خاشِعةً مثلَ وجُوه العُناةِ

قولـه: **(والنصب على المفعوليّة)** فعلى هذا يكون الاستثناء مفرّغًا، أي: لا تنفع الشفاعة أحدًا إلّا مَن...

قولـه: **(ومعنى: ﴿أَذِنَ لَهُ﴾ ﴿وَرَضِيَ لَهُۥ﴾)** حال على الوجهين، وفي الأصل صفة، أو قولًا كائنًا لأجله، أو قولًا كائنًا له مختصًا به،[١] هذا بيان معنى اللام على الوجه الثاني، وأشار إلى أنّ معنى ﴿لَهُ﴾ في الموضعين: "لأجله"، وأمّا على الوجه الأول فظاهر، فلذلك لم يتعرض له، أي: ومعنى ﴿أَذِنَ لَهُ﴾ ﴿وَرَضِيَ لَهُۥ﴾: أذِن لأجله، / ورضيَ لأجله، وفي الكلام حذف، أي: أذِن للشافع لأجله، ورضي قول الشافع لأجله. [١٣٤و]

قولـه: **(ولا يحيطون بمعلوماته)** يعني أنّ الضمير في قوله تعالى: ﴿بِهِۦ﴾ يعود إلى ما في قوله تعالى: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، أي: يعلم ذلك وهم لا يعلمونه.

قوله: **(والشِّقْوة)** يقال: هو شقِيّ بيّن الشِّقْوة، والفتح لغة.

---

١ ف – حال على الوجهين، وفي الأصل صفة أو قولًا كائنًا لأجله أو قولًا كائنًا له مختصًا به.

وهُم الأُسارى، ونحوُه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الملك ٢٧/٦٧] ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ﴾ [القيامة ٢٤/٧٥].

وقوله: ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ وما بعدَه اعتراضٌ؛ كقولك: خابُوا وخسِرُوا، وكلُّ مَن ظَلَم فهو خائبٌ خاسِرٌ.

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾

"الظُّلمُ": أَنْ يأخُذَ من صاحبِهِ فوقَ حقِّه، و"الهضمُ": أَن يكسر مِن حقِّ أخيه فلا يُوفِّيَه له؛ كصفة المُطَفِّفِين الذين إذا اكتالوا على الناس يَستوْفون ويَسترجِحُونَ وإذا كالُوا يُخسِرُون.

أي: فلا يَخاف جَزاءَ ظُلمٍ ولا هَضْمٍ؛ لأنَّه لم يَظلِم ولم يَهضِم.

وقرئ: ﴿فلا يَخَفْ﴾ على النَّهي.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ عطفٌ على ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ﴾؛ ....

قوله تعالى: (﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ [الملك ٢٧/٦٧]) الضمير للوعد، والزُّلفة: القرب، أي: لما رأوه ذا زُلفة ساءت رؤية الوعد وجوههم، بأنّ علَتها الكآبة، وغشيَها الكسوف. قال في **الوسيط**: «يقال: ساء الشيء يسوء فهو سَيّء إذا قَبُح».[١] وسِيء يُساء إذا قُبّح.

قوله تعالى: (﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ﴾ [القيامة ٢٤/٧٥]) الباسر: الشديد العُبوس.

قوله: (**وكلّ مَن ظَلَم فهو خائب خاسر**) هذه جملة معترضة.

قوله: (**كصفة المطففين**)... إلخ متعلّق بالمعنيَين المذكورين للظُّلم والهَضْم.

---

[١] التفسير الوسيط للواحدي، ٤٢٨/٢ (الأعراف، ١٧٧/٧).

أي: ومِثْلَ ذلك الإنزالِ وكما أنزلنا عليك هؤلاء الآيَاتِ المُضمَّنَةَ لِلوَعيد أنزلنا القرآن كُلَّه على هذه الوتِيرَة مكرِّرِينَ فيه آياتِ الوعيد؛ لِيَكونوا بحيث يُراد منهم تركُ المعاصي أو فعلُ الخَير والطاعة، والذِّكرُ -كما ذكَرنا- يُطلَقُ على الطَّاعة والعبَادة.

قرئ: "نُحدِث" و: "تُحدِثُ" بالنون والتَّاء؛ أي: تُحدِثُ أنتَ، وسَكَّن بعضهم الثاء للتَّخفيف كما في:

فـاليَـوم أَشـــرَبْ غـيْـرَ مُسـتَحْـقِـبٍ

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ استعظامٌ له ولِمَا يُصرِّف عليه عبَادَه من أوامره ونواهيهِ ووعدِه ووعِيده، والإدارَةِ بين ثوابهِ وعِقابه على حسَب أعمالهم، وغيرِ ذلك ممَّا يُجرِي عليه أمْرَ ملكوتهِ.

ولَمَّا ذكرَ القُرآنَ وإنزالَه قال على سبيل الاستطراد: وإذا لَقَّنك جبريلُ ما يُوحَى إليك من القرآن فَتأَنَّ عليك رَيثَما يُسمِعُك ويُفهِمُك ثم أَقبِلْ عليه بالتَّحفُّظ بعدَ ذلك، ولا تكُنْ قراءتُكَ مُسَاوِقَةً لقراءته، ونحوُه قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة ١٦/٧٥].

وقيل: معناه: لا تُبلِّغ ما كان منه مُجمَلًا حتى يأتيَكَ البيانُ.

قوله: **(وكما أنزلنا عليك هؤلاء الآيات)** عطف على قوله: **(ومثل ذلك الإنزال)** بطريق البيان.

قوله: **(ليكونوا)**... إلخ يعني: أنّ "لعلّ" مستعار لمعنى الإرادة.

قوله: **(وقرئ: ﴿نُحْدِثُ﴾)** في الشاذّ.[١]

قوله: **(وسَكَّن)** شاذّ.[٢]

---

١ انظر: **الكامل** للهذلي، ص ٦٠٠.

٢ انظر: **المحتسب** لابن جنّي، ٥٩/٢.

وقرئ: "حتى نَقضِي إليك وَحْيَه".

وقولُه: ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ متضمِّنٌ للتَّواضُع لله تعالى والشُّكرِ له عند ما عُلِّم مِن ترتيبِ التَّعلُّم؛ أي: عَلَّمْتَني يا رَبِّ لطِيفةً في باب التَّعلُّم وأَدبًا جميلًا ما كان عِندي، فزِدْني عِلْمًا إلى عِلمٍ فإنَّ لك في كلِّ شيءٍ حكمةً وعِلمًا.

وقيل: ما أمر الله رسولَهُ بِطلبِ الزيادة في شيءٍ إلا في العِلم.

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾

يقال في أوامر المُلوك ووصَاياهم: تَقَدَّمَ الملِكُ إلى فلان، وأوعَزَ إليه،

قوله:

(فاليــومَ أشــربْ غيــرَ مســتحْقِبٍ)

تمامه:

إثمًــــا مِـــــنَ الله ولا واغِــــلِ[1]

"مُستحقِب"، أي: محتمل، يقال: استحقَب الإثمَ واحتقَبه إذا احتَمَله واكتَسَبه. و"الواغل": الداخل على الشرب مِن غير أن يُدعى، كالوارش في الطعام، وهو الذي يَدخل مِن غير أن يُدعى. قيل: نذَر امرؤ القيس أن لا يشرب حتّى يَقتُل قَتَلة أبيه، فلمّا قتلهم قال: فاليومَ أشرب...

في هذه الحاشية نظر؛ لأنّ امرأ القيس ما قتل قتَلة أبيه؛ بل جاء إلى قيصر يستجيشه فما أجابه، ورجع ومات[2] في الطريق بسبب لبْس القميص المسموم.

قوله: (وقرئ: "حتّى نقضيَ") في الشاذّ.[3]

قوله: (ما كان عندي) نافية.

---

١ لامرئ القيس في ديوانه، ص ١٢٢، لكن بلفظ: اليوم أُسقَى غيرَ...

٢ ن: فرجع فمات.

٣ ذكر الهذلي القراءة بالنون في "نقضي" ونصب "وحيَه" ولم يذكر فيها "حتى"، ونسبها إلى أبي حنيفة والزعفراني وابن مقسم ويعقوب وسلام والحسن والجحدري وأبي حَيوة. انظر: الكامل للهذلي، ص ٦٠٠.

وعَزَم عليه، وعَهِد إليه، عطَف الله سبحانه قصَّة آدم على قوله: ﴿وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ والمعنى: وأُقسِمُ قَسَمًا لقَد أَمرنا أبَاهُم آدمَ ووصَّيْنَاه أن لا يَقْرَبَ الشَّجرةَ وتوعَّدْنَاه بالدُّخُول في جُملة الظَّالمين إن قَرِبَها، وذلك من قَبْلِ وجُودهم ومن قَبْلِ أن نَتوعَّدَهُم، فخالَفَ إلى ما نُهي عنه وتُوُعِّدَ في ارتِكابه مُخالفتَهم، ولم يَلتفت إلى الوعيد كما لا يلتفِتُونَ؛ كأنَّه يقول: إن أساس أَمْر بني آدَم على ذلك وعِرقُهُم راسِخٌ فيه.

فإن قلتَ: ما المراد بالنسيان؟

قلتُ: يجوز أن يُراد النِّسيانُ الذي هو نقيضُ الذُّكرِ، ....

قوله: (**والمعنى: وأقسِم**)... إلخ يعني: أنّ هذا مرتبط بقوله: ﴿وَصَرَّفۡنَا فِيهِ﴾... إلخ، فكأنّه قيل: أنزلنا القرآن مَشحونًا بذكر الوعيد لعلهم يتقون فلم يتّقوا، وكذلك فعل أبوهم آدم، فما قبل المعطوف والمعطوف عليه للاستطراد وتأدية الكلام إليه.

قوله: (**فخالف إلى ما نُهي عنه**) أي: خالف ما أمرناه ذاهبًا إلى ما نُهي عنه.

قوله: (**قلت: يجوز أن يراد النسيان**)... إلخ، فعلى **الأوّل**: حقيقة. وعلى **الثاني**: مِن قبيل ذكر الملزوم وإرادة اللازم؛ لأنّ النسيان مستلزم للترك مِن غير عكس، فإنّه قد يُترك الشيء ولا يُنسى.[1]

قوله: (**نقيض الذِّكر**) قال في **الصِّحاح**: «الذِّكر والذِّكرى: نقيض النسيان، وقولهم: اجعله منك على ذُكر وذِكر بمعنًى. والذِّكر: الصِّيت والثناء، وقوله تعالى: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ [ص ١/٣٨]، أي: ذي الشرف».[2] قال في **التهذيب**: «عن أبي عبيدة: ما زلتَ منّي على ذِكر وذُكر. وقال الفرّاء:[3] الذِّكر باللسان إذا أُظهِر، والذُّكر بالقلب».[4] فعلى قول صاحب **الصِّحاح** لا فرق بين الذِّكر[5] والذُّكر،

١ هذه الحاشية وقعت في هامش د ف، ووقعت في ن بعد التالية، وقدّمتها موافقةً لترتيب ورودها في متن **الكشّاف**.

٢ **الصحاح** للجوهري، «ذكر».

٣ ن: الفاء.

٤ **تهذيب اللغة** للأزهري، «ذكر» ١٦٢/١٠.

٥ ن: الذلر.

وأنَّه لـم يُعْنَ بالوصيَّة العنَايةَ الصَّادقَة ولم يَستوثِق منها بعَقْد القَلب عليها وَضَبْطِ النفسِ حتَّى تَولَّدَ من ذلك النسيانُ، وأن يُرَاد التَّرك، وأنه تَرك ما وُصِّي به من الاحتراسِ عن الشَّجَرة وأَكلِ ثَمرَتها.

وقرئ: "فَنُسِّيَ"؛ أي: نسَّاه الشَّيطَانُ.

و"العزمُ": التصميمُ والمُضِيُّ على تَركِ الأَكل، وأن يتصَلَّبَ في ذلك تصَلُّبًا يُؤْيِسُ الشَّيطانَ من التَّسوِيل له.

وعلى قول صاحب **التهذيب** المناسب[١] هنا الذُّكر لا الذِّكر.[٢]

قوله: (**وأنّه لم يُعنَ**) يقال: عُنيتُ بحاجتك أُعْنَى بها عناية، وأنا مَعنيّ؛ على مفعول، وإذا أمرتَ به قلت: لِتُعنَ بحاجتي. وقوله: (**حتّى تولّد**[٣] **من ذلك**) "حتّى"[٤] غاية لِما تضمَّنه قوله: "لم تُعنَ"،[٥] كأنّه قال: توانَى أو تساهَل حتّى تَولّد منه النسيان، وليس غاية لقوله: "يُعْنَ"، وإلّا لفسد المعنى. أُخِذَ هذا مِن ابن الحاجب في **شرح المفصّل** في خطبته في قوله: «لا يَعدون عن الشُّعوبية منابذةً للحقِّ الأبلَج».[٦]

قوله: (**وأن يُراد الترك**)[٧] وهو قول الحسَن رحمه الله،[٨] واستدلّ بقوله تعالى: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف ٢٢/٧]، والناسي لا يُسمَّى مغرورًا، قال قتادة: «إذا أريد به الترك فمعنى ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ أي: حفظًا[٩] لما عهدنا إليه».[١٠]

قوله: (**مِن الاحتراس عن الشجرة**) احترست منه، أي: تحفّظت منه.

قوله: (**التصميم**) التصميم على الأمر: المضيّ فيه.[١١]

---

١ ن: التناسب.

٢ هذه الحاشية وقعت في هامش د ف.

٣ ف: توكّد.

٤ ف ن - حتّى.

٥ ن + بحاجتي.

٦ قوله: "أخذ هذا"... إلخ وقع في هامش د ف. | انظر: **الإيضاح** لابن الحاجب، ١٧/١.

٧ ن + به.

٨ د - رحمه الله.

٩ ن + أي: حفظًا.

١٠ أخرجه الطبري عن ابن عبّاس وعطيّة، وأخرج عن قتادة: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ قال: صبرًا. **جامع البيان** للطبري، ١٨٣/١٦ (طه، ١١٥/٢٠).

١١ ن: عليه.

و"الوجودُ": يجوز أن يَكون بمعنى العِلم ومَفعولاه ﴿لَهُۥ عَزۡمٗا﴾، وأن يكون نقيضَ العَدَم؛ كأنَّه قال: وعَدِمْنَا له عَزمًا.

﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ ١١٦﴾

﴿إذ﴾ منصوبٌ بمُضمَرٍ؛ أي: واذكُر وقتَ ما جَرى عليه من مُعَاداةِ إبليسَ ووسْوَستِه إليه، وتَزيينِه له الأكلَ من الشجَرة، وطاعَتِه له بَعد ما تقَدَّمت معه النَّصيحَةُ والمَوعِظةُ البَليغة والتَّحْذِيرُ من كَيْده، حَتَّى يَتبيَّنَ لك أنه لم يكُن من أُولي العَزم والثَّبَاتِ.

فإن قلتَ: إبليسُ كان جِنيًّا بدليلِ قوله تعالى: ﴿كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف ١٨/٥٠]، فَمِن أَين تَناوَلَهُ الأَمرُ وهو للملائكة خاصَّة؟

قلتُ: كان في صُحبَتِهم، وكان يَعبُدُ الله تعالى عبادَتَهم، فلمَّا أُمِرُوا بالسُّجود لآدمَ والتواضُعِ له كرامةً له كان الجِنِّي الذي معهم أَجْدَرَ بأَنْ يَتَواضع؛ ....

قوله: / (**مفعولاه**[1] ﴿**لَهُۥ عَزۡمٗا**﴾) فإنك لو قلت: له عَزمٌ، كان كلامًا. [١٣٤ظ]

قوله: (**وعَدِمنا**) يقال: عَدِمْتُ الشيء -بالكسر- أعدَمه عَدَمًا، بالتحريك على غير قياس.

قوله: (**بعد ما تقدَّمتْ**)، والظاهر أنّ قوله: (**بعد**) متعلِّق بقوله: (**طاعته**)، لا بما تقدَّمه.

قوله: (**حتّى يتبيّن**) يشير بذلك[2] إلى أنّ قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا﴾... إلخ تقرير وتحقيق لقوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا﴾، تأمّل في ذلك وفي قوله: (**عطف الله سبحانه قصة آدم على** ﴿**وَصَرَّفۡنَا**﴾)؛ ليتبيّن لك المعنى بتوفيق الله تعالى.

قوله: (**والتواضع له**) إشارة إلى أنّ هذا السجود كان للتواضع لا للعبادة.

---

[1] ن: مفعولًا.

[2] ن - بذلك.

كما لو قام لمُقبِلٍ على المجلس عِلْيَةُ أَهْلِهِ وسَراتُهم كان القيام على واحدٍ بَينهُم هو دونهُم في المَنزلة أوجبَ، حتّى إنْ لم يَقُم عُنِّفَ، وقيل له: قَد قام فُلان وَفُلان فمَن أنتَ حَتَّى تَتَرَفعَ عَن القيَامِ؟!

فإن قلتَ: فكيف صَحَّ استثناؤه -وهو جِنِّيٌّ- عن الملائكة؟

قلتُ: عَمل على حُكم التغليب في إطلاق اسم الملائكة عليهم وعليه فأُخرِج الاستثناءُ على ذلك؛ كقولك: "خرَجُوا إلَّا فُلانَة" لامْرَأةٍ بين الرِّجالِ.

﴿أَبَىٰ﴾ جملةٌ مُستَأنفةٌ؛ كأنَّه جوابُ قَائلٍ قال: لمَ لمْ يَسجُدْ؟ والوَجْهُ أن لا يُقدَّر له مفعولٌ -وهو "السُّجود" المدْلولُ عليه بقوله: ﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾- وأن يكون معناه: أَظْهَر الإِبَاء وتَوقَّف وتَثَبَّط.

﴿فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ١١٧﴾

﴿فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا﴾ فلا يَكُوننَّ سببًا لإخراجِكُما.

وإنما أُسند إلى آدم وَحْده فعلُ الشَّقاء دُون حوَّاء بَعد اشتراكهمَا في الخرُوج؛ لأنَّ في ضمن شقاءِ الرجل وهو قَيِّمُ أَهْلِهِ وأميرُهم شَقَاءهُم؛ كما أَنَّ في ضِمن سَعادتهِ سَعادَتَهم، فاختُصر الكلام بإسناده إليه دُونَها، مع المحَافظة على الفاصِلة.

قوله: (**عِلْيَة أهله**) رجل عليٌّ، أي: شريف رفيع، والجمع: العِلْيَة، مثل: صَبيّ وصِبْية، فمعنى (**لو قام**)... إلخ كما إذا أقبل شخص على مجلس فيه الأكابر والأعاظم وأوساط الناس وأراذلهم فقام لإكرام هذا الشخص المُقبلِ على المجلس أكابرُهم كان القيام على مَن دونهم أولى وأوجَب.

قوله: (**وتوقف وتثبّط**) أي: تحبّس، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ﴾[1] أي: إذا أثبتَّ النظر.

قوله: (**على الفاصلة**) جمع الفاصلة: الفواصل؛ وهي: أواخر الآي.

---

[1] ن + نعيمًا.

أو أريدَ بالشَّقَاء التَّعَبُ في طَلب القُوت، وذلك مَعْصُوبٌ برأس الرَّجل وهو راجعٌ إلَيه.

ورُوي: أنه أُهْبِطَ إلى آدم ثورٌ أحمرُ فكان يَحرُثُ عَليه ويمسحُ العَرقَ من جبينِه.

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ۝١١٩﴾

قرئ: ﴿وإنك﴾ بالكسر والفتح، ووَجهُ الفتح العطفُ على ﴿أَلَّا تَجُوعَ﴾.

فإن قلتَ: "إِنَّ" لا تَدْخُل على "أَنَّ"، فلا يقالُ: إنَّ أَنَّ زيدًا مُنطلِقٌ، والواوُ نائبةٌ عن "إِنَّ" وقائمةٌ مقامهَا، فلم أُدخِلَتْ علَيْها؟

قلتُ: الواوُ لم تُوضَعْ لتكون أَبدًا نائبةً عن "إِنَّ"، إنَّما هي نائبةٌ عن كلِّ عاملٍ، فلَمَّا لم تكن حَرفًا مَوضُوعًا للتَّحقيق خاصَّةً كـ"إِنَّ" لم يَمتنِع اجْتمَاعُهما كما امتنَع اجْتماعُ "إِنَّ" و"أَنَّ".

الشِّبَعُ والرِّيُّ والكسوةُ ....

قوله: **(وذلك مَعصوب)** أي: طلب القوت مشدود برأس الرجل، أي: يتعلَّق به. وقوله: **(وهو راجع إليه)** أي: طلب القوت راجع إلى الرجل.[1] قوله: "مَعصوب"[2] أي: مشدود.

قوله: **(وروي)**... إلخ بيان أنّ تعَب طلب القُوت كان على آدم.

قوله: **(بالفتح والكسر)** كلا القراءتين مِن السبعة.[3]

قوله: **(فإن قلت: "إنّ" لا تدخل على "أنّ")** إلّا إذا فُصِل بينهما، كقولك: إنّ عندنا أنّ زيدًا منطلق. هذه الحاشية فاسدة؛ لأنّ الكلام في دخولها عليه بمعنى اجتماعهما مِن غير فاصلة، فلا وجه للاستثناء المذكور في الحاشية.

[1] هذه الحاشية وقعت في هامش د ف.

[2] ن: مغصوب.

[3] قرأ نافع وشعبة بكسر الهمزة، وقرأ الباقون بفتحها. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٣٢٢.

والكِنُّ: هي الأَقطابُ التي يَدور عليها كَفافُ الإنسان، فذكَّرهُ استِجماعها له في الجنة، وأنَّه مكفيٌّ لا يَحتاج إلى كِفَايةِ كافٍ ولا إلى كَسْبِ كاسبٍ كما يَحتاج إلى ذلك أهلُ الدنيا، وذكرها بلَفظ النَّفْي لنقَائضِها التي هي الجُوعُ والعُرْيُ والظَّمأُ والضَّحْوُ لِيَطْرُقَ سمعَهُ بأسامي أَصْنَاف الشِّقوَة التي حَذَّره منهَا حتى يَتحامَى السَّبَب المُوقِعَ فيهَا كراهةً لها.

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾

فإنْ قلتَ: كيف عُدِّيَ "وَسوَس" تارةً باللَّام في قَوله: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الأعراف ٢٠/٧] وأخرى بـ"إلى"؟

قلتُ: وَسوسةُ الشيطانِ كوَلوَلة الثَّكلَى وَوَعْوعَة الذِّئب ووَقوَقة الدَّجَاجة

قوله: **(والكِنّ)** الكِنُّ: السُّتْرة، والجمع: أكنان، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾ [النحل ٨١/١٦].

قوله: **(الأقطاب)** القَطبُ: كوكب بين[١] الجَدْي والفَرقَدين[٢] يدور عليه الفلك، يقال: فلان قُطب القوم، أي: رئيسهم الذي يدور عليه أمرهم.

قوله: **(وذكرَها)** أي: الشِّبَع والرِّيَّ والكِسوة والكِنّ.

قوله: **(لنقائضها)** متعلِّق بقوله: **(النفي)**. وقوله: **(يَتحامى)** التحامي: التوقِّي والاجتناب، يقال: تحاماه الناس، أي: توقُّوه واجتنبوه.

قوله: **(المُوقِعَ فيها)** أي: في النقائض. وقوله: **(كراهة)** علّة لقوله: **(يتحامى)**، أي: يجتنب كراهةً لنقائضها، والحاصل: أنّ قوله: ﴿إِنَّ لَكَ﴾ تعريض بما يلحقه في الدنيا لو[٣] أُخرج مِن الجنة وأُهبط إلى الأرض.

قوله: **(كوَلوَلة الثكلَى)** وَلْوَلَت المرأة وَلْوَلةً ووَلْوَالًا إذا أعولَتْ. والثُّكْلُ والثَكَلُ: فقدان المرأة ولدها، وكذلك الثَكَل بالتحريك، وامرأة ثاكِل وثَكْلى،

---

١ د ن: مِن.

٢ الفَرْقدان: نَجمانِ في السماء لا يغرُبان. **لسان العرب** لابن منظور، «فرقد».

٣ ف ن: أو.

في أنَّها حكَاياتٌ للأَصوَاتِ، وحكمُها حكمُ صَوَّتَ وأَجْرَسَ، ومنه: "وَسْوسَ المُبَرْسَمُ" و"هو مُوَسوِسٌ" بالكسر، والفتحُ لَحنٌ، وأنشَد ابن الأعرابيّ:

وَســـوَسَ يدعُـــو مُخلِصًـــا ربَّ الفَلَـــق

فإذا قلتَ: "وَسْوسَ له" فمَعناه: لأَجْله؛ كقوله:

وثكِلَتْه ثُكْلًا، وأثكَلَه الله أمَّه، ويقال: الحرب للوالدات مَثْكَلَة، كما يقال: "الولد مَبخَلةٌ مَجْبَنَةٌ".[١] والوَعوَعة: صوت الذئب.

قوله: (وأجرَسَ) والجرْسُ: الصوت الخفيّ، وأجرَس الطائر إذا سمعتَ صوتَ مَرِّهِ.

قوله: (المُبَرْسَم) البِرسام: عِلّة معروفة،[٢] وقد بُرسِمَ الرجل، فهو مُبَرْسَم.

قوله:

(وَســوَس يدعــو مُخلِصًــا ربَّ الفلــقْ)

تمامه:

سِـــرًّا وقـــد أوَّن تأويـــنَ العُقُـــقْ[٣]

أَوَّنَ البعير إذا عَظُم بطنه مِن شرب الماء. و"العُقُق": جمع عَقوق، / وهي [١٣٥و]
الحامل، وفي المَثل: "أعزُّ مِن الأبلَق العَقوق".[٤] قيل: في هذا البيت سِناد[٥] لرؤبة بن العجّاج، وقولهم: "طلَبَ الأبلَقَ العَقوق"[٦] مَثَل لِما لا يكون، وذلك أنّ الأبلَق ذكَر، ولا يكون الذكر[٧] حاملًا.

---

١ حديث عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. مسند **الإمام أحمد**، ١٠٤/٢٩ (١٧٥٦٢)؛ **سنن ابن ماجه**، ٦٣٣/٤ (٣٦٦٦).

٢ ورم حارّ يعرض للحجاب الذِي بَين الكبد والأمعاء، ثمَّ يتَّصل إِلى الدِّمَاغ. **تاج العروس** للزبيدي، «برسم».

٣ **ديوان رؤبة بن العجّاج**، ص ١٠٨.

٤ يضرب لمن يعزُّ وجودُه؛ وذلك لأن العَقُوقَ في الإناث، ولا تكون في الذكور. **مجمع الأمثال** للميداني، ٤٣/٢.

٥ السِّناد: من عيوب القوافي الشعرية، وهو اختلاف حركة ما قبل حرف الرَّويّ، ففي بيت رؤبة جاء ما قبل الرَّويّ مَضمومًا بينما كان في معظم القصيدة مفتوحًا. انظر: **تاج العروس** للزبيدي، «وجه».

٦ انظر: **مجمع الأمثال** للميداني، ٤٣١/١.

٧ ف: والذكر لا يكون.

أَجْـــرِسْ لـهـا يــا ابـــنَ أبــي كِـبَـاشِ

ومعنَـى "وَسْـوَسَ إليْـه": أَنْهَـى إلَيـه الوَسْوَسَـة؛ كقولـك: "حَـدَّثَ إليـه" و"أسرَّ إليه".

أضاف الشجرَة إلى ﴿ٱلْخُلْدِ﴾ -وهو الخُلود- لأنَّ مَن أكَل منها خَلَدَ بزَعْمِهِ؛ كما قِيل لحَيْزُومَ: "فَرسُ الحَياة"؛ لأنَّ مَن باشَر أثَره حَيِيَ.

قوله:

(أجـــرِسْ لـهـا يـا ابـنَ أبـي كِـبـاشِ)

تمامه:

فـمـا لـهـا الـلـيـلـةَ مِـــن إنــفــاشِ[1]

النفَش: الانتشار بالليل، قاله المصنِّف في تفسير[2] قوله تعالى: ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾ [الأنبياء ٢١/٧٨]. قوله: أنفشَ الغنم، أي: رعاها ليلًا. قال في **الصِّحاح**: «نفشتِ الغنم، أي: رَعَت ليلًا بلا راعٍ. قال:

فـمـا لـهـا الـلـيـلـةَ مِـــن إنــفــاشِ

وهي إبلٌ نَفَشٌ، بالتحريك، ولا يكون النفَش إلّا بالليل، والهَمَل يكون ليلًا ونهارًا».[3]

قوله: "أجرِسْ" بالسين غير المعجمة وبقطع[4] الألِف؛ مِن قولك: أجرَسَ للإبل إذا تحدَّى له، ومعنى "أجرِسْ": أَحْدُ لها لِتسمع الحُداء فتسير، وهو مأخوذ مِن الجَرْس؛ وهو الصوت، وجَرْس الطير: صوت مناقيرها على شيء تأكله.

قوله: "لها" أي: لأجلها. وقوله: "فما لها" أي: لا تترك الليلة لترعى، يقال: نفَشتْ بالليل، إذا تردَّدت ترعى بلا راعٍ.

قوله: **(أضاف الشجرة)** أي: أضاف إبليس.

قوله: **(كما قيل لِحيزوم)**[5] يجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف، أي:

---

[1] **الصحاح** للجوهري، «نجش»، بغير نسبة.

[2] ف - تفسير.

[3] **الصحاح** للجوهري، «نفش».

[4] ف: ويقطع.

[5] حيزوم: اسم فرس جبريل عليه السلام.

﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ دليلٌ على قراءة الحَسن بن علي وابن عبَّاس رضي الله عنهم: "إلا أن تكونا مَلِكَينِ" بالكسر.

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾

"طَفِقَ يَفعل كذا" مثل: جَعل يَفعل، وأَخذ، وأنشَأ. وحكمُها حكمُ "كاد" في وقُوع الخبَر فِعْلًا مضارعًا، وبَيْنَها وبينَهُ مسَافةٌ قصِيرةٌ: هي لِلشُّرُوع في أوَّل الأَمر، و"كاد" لمُشَارفتهِ والدُّنُوِّ مِنه.

قرئ: "يُخصِّفان" للتكثير والتكرير، من "خَصَفَ النعلَ" وهو أن يَخْرِز عليها الخِصَافَ.

أي: يُلزقَانِ الورَق بسَوآتِهما للتَّسَتُّر، وهو ورَق التِّين.

هذا كما قيل، ويجوز أن يكون صفة مصدر محذوف، أي: أضاف إضافةً مثل إضافة حيزوم إلى الحياة، فإنّ قول المصنِّف: "كما قيل"... إلخ في معنى قولك: كما أضيف حيزوم إلى الحياة.

قوله: (﴿مَلِكَيْنِ﴾ بالكسر)[١] لأنّ "المَلِك" بغير الألف مِن المُلك بضم الميم، و"المالِك" مِن المِلك بكَسرها.

قوله: (**وبينها**) الضمير يعود إلى "طَفِق وجعل وأخذ وأنشأ". وقوله: (**وبينه**) أي: "كاد". وقوله: (**هي للشروع**) جملة مبيّنة لِقِصرِ المسافة. وقوله: (**وكاد لمشارفته**) تقول: كادَت الشمس تغرب، تريد: أنّ قربها مِن الغروب قد حصَل.

قوله: (**مِن خَصْف النعل**) الخَصْف: مصدر خَصَفْتُ النَّعل خَرزتُها، والخَصْف أيضًا: النعل ذات الطِراق،[٢] وكل طِراق منها خَصْفة، والجمع: خِصاف، نحو: قَصْعة وقِصاع.

---

١ القراءة بالكسر شاذّة. انظر: الكامل للهذلي، ص ٥٥١.

٢ طراق النعل: ما أطبقت عليه فخرزت به. لسان العرب لابن منظور، «طرق».

وقيل: كان مُدَوَّرًا فصار على هذا الشكل من تحتِ أصَابعهمَا.

وقيل: كان لبَاسُهما الظُّفرَ، فلمَّا أصَابا الخَطيئة نُزِع عَنهما وتُرِكَتْ هذه البقَايا في أطرَاف الأصَابع، عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما.

﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ لا شبهةَ في أنَّ آدَم عليه السلام لم يَمتثِل ما رَسم اللهُ له وتخطَّى فيه سَاحةَ الطَّاعة، وذلك هو العصيانُ، ولمَّا عصَى خرَج فِعلهُ من أن يكون رُشدًا وخيْرًا فكان غَيًّا لا مَحالةَ؛ لأن الغيَّ خلافُ الرُّشد؛ ولكنَّ قوله: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ بهذا الإطلاق وبهذا التَّصريح -وحَيثُ لم يَقل: "وزَلَّ آدمُ وأخْطأ"، وما أشبَه ذلك مما يُعبَّرُ به عن الزَّلاتِ والفَرطات- فيه لُطفٌ بالمُكلَّفينِ ومَزْجَرةٌ بليغةٌ وموعظَةٌ كافَّةٌ، وكأنَّه قيل لهم: انظُروا واعتبِرُوا كيفَ نُعِيَتْ عَلى النَّبي المعْصُوم حَبيبِ الله -الذي لا يجوز عليه إلَّا اقترافُ الصغيرةِ غيرِ المُنفِّرةِ- زَلَّتُه بهَذه الغِلظةِ وبهذا اللفظِ الشَّنيع، فلا تَتَهاوَنُوا بما يَفْرُط مِنكم من السَّيئات والصَّغائر فضْلًا أن تَجْسُرُوا على التَّورُّط في الكبائر.

قوله: **(لا شُبهة)**... إلخ ابتداء كلام. وقوله: **(ما رسم الله له)** يجوز أن يكون "ما" موصوفة أو موصولة، ويكون مفعول "يمتثل"، ويكون العائد محذوفًا، أي: ما رسمه، ويجوز أن يكون مصدريّة، والثاني أصوَب؛ لأنّ حاصل المعنى على الوجه الأوّل: لم يمتثل ما أمره الله به، وعلى الوجه الثاني: لم يمتثل أمر الله، والامتثال يتعلّق بالأمر لا بالمأمور به. رسم الأمير لفلان كذا، أي: أمره فامتثل. وقوله: **(وتخطَّى)** يقال: تخطَّيتُه أي: تجاوزته. وقوله: **(ولكنّ قولَه)** استدراك مِن قوله: "لا شُبهة"... إلخ. وقوله: **(مما يُعبَّر به)** بيان "ما أشبه". وقوله: **(فيه لطف)** أي: في قوله: **(بهذا الإطلاق)**. وقوله: **(غير المنفِّرة)** إشارة إلى أنّ الصغيرة المنفِّرة لا تجوز على الأنبياء، وتكون قادحًا في العدالة، وهي مثل: التطفيف بحبّة، وسَرِقة لقمة. وقوله: **(فلا تتهاونوا)** يجوز أن يكون الفاء للعطف على "انظروا"، و"لا" للنهي، ويجوز أن يكون الفاء للسببيّة، ونصبه؛ / لأنّه جواب الأمر بالفاء. وقوله: **(بما يَفرُط منكم)** يقال: فرَط منه كذا، أي: سبَق. وقوله: **(على التورّط)** الوَرْطة: الهلاك، قال أبو عُبيد: «أصل الوَرْطة: أرض مطمئنةٌ [١٣٥ظ]

وعن بعضهم: ﴿فَغَوَىٰ﴾: فبَشِمَ من كثرةِ الأَكْل، وهذا وإن صَحَّ على لغَةِ مَن يَقلِب اليَاء المكسُورَ ما قبلَها ألفًا فيقول في "فني وبقي": فَنَا وبَقَا -وهُم بنُو طيِّئ- تَفسيرٌ خبيثٌ.

﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ۝١٢٢﴾

فإن قلتَ: ما معنى ﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ﴾؟

قلتُ: ثم قَبِلَهُ بَعدَ التوبةِ وقرَّبه إليه، مِن جُبِيَ إليَّ كذَا فاجتبَيْتُه، ونظيرُه: جُلِيَتْ عَليَّ العروسُ فاجتَلَيْتُها، ومنه قولُه عز وجل: ﴿وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَا﴾ [الأعراف ٢٠٣/٧]؛ أي: هَلَّا جُبِيتْ إليك فاجتبَيْتَها، وأصْلُ الكلمة الجمعُ. ويقُولون: اجْتَبَت الفَرسُ نفسَها: إذا اجتمَعت نفسَها راجعةً بعد النِّفار.

لا طريق فيها»،[١] وأورطه وورَّطه تَوريطًا، أي: أوقعه في الوَرْطة، وتورَّط هو فيها.[٢] ويظهر لك مِن هذا أنّ في قوله: **(التورّط في الكبائر)** استعارةً.

قوله: **(فغوَى فبَشِم)** غَوِيَ السخلةُ والفَصيل -بفتح الغين وكسر الواو وفتح الياء- يغوَى غوًى؛ هو أن يشرب اللبن حتّى يَتّخِم ويفسُد جوفُه، وأمّا غوَى -بفتح الواو- فبمعنى: ضلَّ، فلذلك[٣] قال المصنِّف: **(وهذا وإن صح)**... إلخ.

قوله: **(مِن جُبِيَ[٤] إليَّ)** أي: جُمِع، وقوله:[٥] **(فاجتبيتُه)** أي: اخترتُه.

قوله: **(فاجتليتُها)** أي: نظرت إليها مجلوّة.[٦]

قوله: **(اجتَبَت الفرسُ)** الفرس مِن المؤنَّثات السماعيّة. وقوله: **(إذا اجتمعت نفسَها)** ينبغي أن يكون نصب "نفسها" على التمييز؛ لأنّ "اجتمع" لم يجئ إلّا لازمًا، وهي مِن التمييزات التي جاءت معرفةً، مثل: ﴿سَفِهَ نَفۡسَهُۥ﴾ [البقرة ١٣٠/٢]، وغَبِن رأيَه، وأمثالهما مما كتبناها في أوائل الكتاب.

---

١ **الصحاح** للجوهري، «ورط».

٢ ن - وأورطه وورَّطه تَوريطًا، أي: أوقعه في الوَرْطة، وتورَّط هو فيها. | **الصحاح** للجوهري، «ورط».

٣ ن: فكذلك.

٤ ف: جُبي؛ ن: حبّي.

٥ د - وقوله.

٦ ن: مجلوّةً.

﴿وَهَدَىٰ﴾؛ أي: وفَّقه لحِفظ التوبة وغيْرِه من أسبَاب العِصْمة والتَّقوى.

﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾

لمَّا كان آدم وحواء عليهما السَّلام أَصْلَي البشر والسَّببين اللَّذيـنِ منهما نشَؤُوا وتَفرَّعُوا جُعِلَا كأنهما البَشرُ في أنفُسهما فخوطبَا مخَاطبتَهم، فقيل: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾ على لفظ الجماعة، ونظيرُه: إسنادُهم الفعلَ إلى السَّبَب وهو في الحقيقة للمُسبِّبِ.

﴿هُدًى﴾: كتابٌ وشريعةٌ، وعن ابن عباس: ضمِن اللهُ لمَن اتَّبع القرآنَ أَنْ لا يَضِلَّ في الدُّنيا ولا يشقَى في الآخرة، ثم تلا قوله: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾.

والمعنى: أن الشقاء في الآخرة هو عقابُ مَن ضَلَّ في الدنيا عن طَريق الدِّين، فمَن اتَّبعَ كتابَ الله وامتَثَلَ أوامره وانتهَى عن نواهيهِ نجَا مِن الضَّلال ومن عقابهِ.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾

"الضنكُ": مصدرٌ يَستوي في الوَصف به المذكَّرُ والمؤنَّث، وقرئ: "ضَنْكَى" على فَعْلَى.

قوله: (**فخُوطِبا**)... إلخ، خُوطِب بلفظة "كُمْ" إلى السبب؛[١] وهو آدم وحوّاء، وفي الحقيقة للمسبّب؛ وهو البشر.[٢]

قوله: (**والمعنى**) أي: معنى قول ابن عبّاس رضي الله عنهما.[٣]

---

١ ن: السبت.

٢ هذه الحاشية وقعت في هامش د ف، ووقعت في ن بعد التالية، وأثبتُّها في هذا الموضع تبعًا لمحلّ تعلُّقها مِن الكشّاف.

٣ د - رضي الله عنهما. | قول ابن عبّاس رضي الله عنهما أخرجه الطبري في **جامع البيان**، ١٩١/١٦ (طه، ١٢٣/٢٠).

ومعنى ذلك: أن مع الدِّين التَّسليمَ والقناعَةَ والتوكُّلَ على الله وعلى قسمته، فصاحبُهُ يُنفِق ما رُزقه بسَماحٍ وسُهولةٍ فيَعيش عيشًا رافعًا؛ كما قال عز وجل: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل ٩٧/١٦] والمُعرِضُ عن الدِّين مُستَولٍ عَليهِ الحرصُ الذي لا يَزال يَطمحُ به إلى الازدياد من الدُّنيا، مُسَلَّطٌ عَليه الشُّحُ الذي يقبضُ يدَه عن الإنفاق، فعَيشُهُ ضنكٌ وحَالُه مُظلِمةٌ؛ كمَا قال بعضُ المتصوِّفة: لا يُعْرِضُ أَحدٌ عن ذكرِ ربِّه إلَّا أَظلَم عليه وقتُه وتَشوَّش عليه رزقُه.

ومِن الكفرة مَن ضَرب الله عليه الذلَّة والمسكنةَ لكفره؛ قال الله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة ٦١/٢] وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة ٦٦/٥] وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف ٩٦/٧] وقال: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۞ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ [نوح ٧١/١٠-١١] وقال: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [الجن ١٦/٧٢].

وعن الحسن: هو الضَّريعُ والزَّقُّوم في النَّار.

قوله: (**ومِن عقابه**) أي: ونجا مِن عقاب الضلال؛ وهو الشقاء في الآخرة.

قوله: (**رافِغًا**) الرَّفاغة: سَعة العَيش، يقال: عيشٌ رافِغٌ رافِهٌ.[1]

قوله: (**والمُعرِضَ**) بالنصب عطف مع خبره على اسم "أنَّ" مع خبرها.

قوله: (**يطمح به**) الضمير في "يَطمح" للحِرص، وفي "به" للمُعرِض، والباء للتعدية.

قوله: (**إلّا أظلَم**) أي: صار مظلِمًا.

قوله: (**ومِن الكفَرة**)... إلخ إشارة إلى وجه آخر في تفسير الآية.

قوله: (**وعن الحسن رحمه الله:**[2] **هو الضريع**)...[3] إلخ إشارة إلى وجه ثالث،

---

[1] ف: رافةٌ.

[2] د - رحمه الله.

[3] انظر: جامع البيان للطبري، ١٩٤/١٦ (طه، ١٢٤/٢٠).

وعن أبي سعيد الخدريّ: عذاب القبر.

قرئ: "ونَحْشُرْه" بالجزم عطفًا على محلِّ ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾؛ لأنّه جوابُ الشرط.

وقُرئ: "ونَحْشُرهْ" بسُكون الهاء على لفظ الوقف.

وهذا مِثْلُ قوله: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء ٩٧/١٧]، وكما فُسِّر الزُّرقُ بالعُمي.

﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾

﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: مثلَ ذلك فَعلتَ أنت، ثم فَسَّر بأنَّ آياتِنا أتتك واضحةً مُستَنيرَةً فلم تَنظر إليهَا بعين المعتبِرِ ولم تَتبَصَّر، وتركتَها وعَمِيتَ عنها، فكذلك اليومَ نَتركُكَ على عَمَاك ولا نُزِيلُ غِطَاءَهُ عن عَينَيك.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾

وقوله: "هو" أي: الضَنْك، وقوله: "الضريع": يَبِيس الشِبْرِق،[١] وهو نَبْتٌ.

قوله: (وقرئ: ﴿وَنَحْشُرْهُ﴾ بالجزم)[٢] في الشاذّ.[٣]

قوله: (وقرئ: ﴿وَنَحْشُرُهْ﴾ بسكون الهاء) في الشاذّ.[٤]

قوله: (وهذا مثل قوله) يعني: معنى الآية.

قوله: (أي: مثل ذلك فعلتَ) أي: مثل هذا الإعماء[٥] الذي فعلنا بك فعلتَ أنتَ بنفسك، فيكون ﴿كَذَٰلِكَ﴾ نصب على المصدر، وعامله محذوف.[٦]

---

١ قال ابن منظور: «إذا يبس الضريع فهو الشِّبرق، وهو نبت كأظفارِ الهرّ». لسان العرب لابن منظور، «شبرق».

٢ ن: بالحزم.

٣ عن أبان بن تغلب. انظر: المحتسب لابن جنّي، ٦٠/٢.

٤ قال ابن خالويه: «بجزم الراء والهاء أبان ابن تغلب». مختصر شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ٩٣.

٥ ف: الإغماء.

٦ ن – وعامله محذوف.

لمَّا تَوَعَّد المُعرِضَ عَن ذكره بعُقوبتين: المعيشةِ الضنكِ في الدنيا، وحَشرِه أَعمى في الآخرة، ختَم آيات الوَعيدِ بقوله: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ كأنَّه قال: ولَلْحَشْرُ على العَمى الَّذي لا يزُولُ أبدًا أشَدُّ من ضِيقِ العيش المُنقَضِي، أو أراد: ولتَركُنا إيَّاهُ في العَمى أشدُّ وأبقَى مِن تركِه لآياتنا.

﴿أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ١٢٨﴾

فاعل ﴿لَمۡ يَهۡدِ﴾ الجملةُ بعده، يريد: ألَمْ يَهْدِ لهم هذا بِمَعناه ومضمونه، ونظيرُه قوله: ﴿وتَرَكْنا عليه في الآخِرين: سلامٌ على نوحٍ في العالَمِين﴾ [الصافات ٣٧/٧٩]؛ أي: تركنَا عليه هذا الكلامَ.

ويجُوز أن يكون فيه ضميرُ الله أو الرسول، ويدلُّ عليه القراءة بالنّون.

وقُرِئ: "يُمشَّوْنَ" يُريد أنَّ قرَيشًا يَتَقلَّبُونَ في بلادِ عَادٍ وثمودَ ويمشُونَ ﴿فِي مَسَٰكِنِهِمۡ﴾ ويعَايِنُون آثارَ هَلاكهم.

﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامٗا وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى ١٢٩﴾

"الكلمةُ السَّابقةُ": هي العِدَةُ بتَأخِير جزائهم إلى الآخِرة، يقول: لولا هذِهِ العِدَةُ لكان مثلُ إهْلاكنا عادًا وثمودًا لازمًا لهؤلاء الكَفرة.

و"اللِّزامُ": إمَّا مَصْدَرُ "لازَمَ" وُصِفَ به، وإمَّا فِعَالٌ بمعنى مِفْعَلٍ؛ أي: مِلزَم؛ كأنَّه آلةُ اللُّزُومِ لفَرْطِ لزُومه؛ كما قالُوا: لِزَازُ خَصْمٍ.

﴿وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى﴾ لا يخلُو من أن يكون مَعطوفًا على ﴿كَلِمَةٞ﴾، ....

قوله: (**هذا بمعناه**) أي: هذا الكلام.

قوله: (**لكان مثل إهلاكنا**) إشارة إلى أنّ الضمير مِن "كان" يعود إلى ما دلّ عليه قوله: ﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا﴾... إلخ.

قوله: (**أي: مِلْزَم**) يعني: آلة اللَّزِّ، واللَّزّ: الاضطرار والإلجاء، واللَّزّ: الضمُّ.

أو عَلى الضَّمير في "كان"؛ أي: لكان الأخذُ العاجلُ وأجلٌ مسمًّى لازمَيْن له كما كانا لازمَين لعادٍ وثمودَ ولم ينفردِ الأجلُ المُسمَّى دون الأَخذِ العاجل.

﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾

﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ في مَوضع الحال؛ أي: وأنت حامدٌ لربِّك على أَنْ وفَّقَك للتَّسبيح وأعَانك عليه.

المرادُ بالتَّسبيح الصَّلاةُ، أَو على ظَاهِره، قَدَّمَ الفِعلَ عَلى الأوقاتِ أوَّلًا والأوقاتِ على الفعل آخِرًا؛ فكَأنَّه قال: صَلِّ لِلهِ قبل طُلوع الشمس -يَعني: الفجر- وقبلَ غُروبها، يعني: الظُّهرَ والعَصْرَ؛ لأَنهما واقِعَتانِ في النصف الأَخِير من النهار بين زوال الشمس وغروبها، وتعَمَّدْ آناءَ الليلِ وأطرَافَ النهارِ مُختصًّا لهما بصَلاتِك، وذلك أنَّ أفضَلَ الذِّكر ما كان باللَّيلِ؛ لاجتماع القَلْب وهُدُوء الزَّجَل والخُلوِّ بالربِّ.

وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل ٦/٧٣] وقال: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ [الزمر ٩/٣٩].

ولأنَّ اللَّيلَ وقتُ السكون والراحة، فإذا صُرِف إلى العِبَادَة كانت على النفسِ أشَدَّ وأشَقَّ وللبَدن أنصَبَ وأتعبَ، فكانت أدخَلَ في معنى التكليفِ وأفضلَ عند الله.

قوله: (**وتعمَّدْ**)... إلخ إشارة إلى فائدة تقديم الأوقات على التسبيح ههنا.

قوله: (**وذلك أنّ أفضل**) أي: الأمر بالتعمُّد، وهو متعلِّق بـ"قال"، أي: إنّما قال: تعمَّدْ وصلِّ لأنّ أفضل...، يعني: إنّما أشار إلى تخصيص آناء الليل وأطراف النهار.

قوله: (**وهدوء**[١] **الزَّجْل**)[٢] هُدْءة الأصوات: سكونها، وكذلك هدوء الأقدام.

---

[١] ن: وهذوء.

[٢] في مطبوع **الكشّاف**: "الزجل".

وقد تنَاوَلَ التَّسبيحُ في آناء الليل صلاةَ العَتمة وفي أطراف النهار صلاةَ المغرب وصلاةَ الفجر على التكرار إرادةَ الاختصاصِ؛ كما اختصَّتْ في قوله: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة ٢/٢٣٨] عند بعض المفسِّرين.

فإن قلتَ: ما وجهُ قوله: ﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ على الجمع، وإنَّما هُما طَرفَانِ؛ كما قال: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ [هود ١١/١١٤]؟

قلت: الوجهُ أَمنُ الإلباس، وفي التثنية زيادةُ بيانٍ.

ونظيرُ مجيء الأَمرين في الآيتَينِ: مجيئُهُما في قوله:

ظَـهـرَاهُـمـا مـثـلُ ظـهُـورِ الـتُّـرسَـيْـنِ

قوله: **(على التكرار إرادة الاختصاص)** هو لصلاة الفجر.

قوله: **(كما اختُصّت)** أي: صلاة الفجر.

قوله: **(ونظير مجيء الأمرين في الآيتين)** الأمران: التثنية والجمع، والآيتان قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ [هود ١١/١١٤]، وقوله: ﴿وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ [طه ٢٠/١٣٠].

قوله:

(ظَهْراهُمـــا مثـــلُ ظُهـــور التُّرْسَـــينْ)

أوّله:

ومَـهْـمَـهَـينِ فَـدْفَـدَيْـن / مَـرْتَـيـنْ جُبتُهمـــا بالنَّعـــتِ لا بالنَّعتَيـــنْ[١] [١٣٦و]

الفَدْفَد: الأرض المستوية. وفرسٌ نعتٌ: متناهٍ في الجري، النعْتُ: وصفك الشيء بما فيه مِن حُسن، هكذا ذكر الخليل، وقال: «إلّا أن يتكلَّف متكلِّف

---

[١] لخطام المجاشعي. وذكره البغدادي وغيره بلفظ: "قذفين" بدل "فدفدين"، وقال: «والقَذْف بفتح القاف والذال المعجمة بعدها فاء: البعيد مِن الأرض، وقال العيني: هو المكان المرتفع الصلب. قال: ويروى: فَدفَدين، والفَدفَد: الأرض المستوية». انظر: **خزانة الأدب** للبغدادي، ٧/٥٤٨.

وقرئ: "وأطرافِ النَّهارِ" عطفًا على ﴿ءَانَآيِ ٱلَّيۡلِ﴾.

و"لَعلَّ" لِلمخاطَب؛ أي: أُذكُرِ اللهَ في هذه الأَوقاتِ طمعًا ورَجَاءَ أَن تنَال عندَ اللهِ ما به تَرضَى نفسُكَ ويُسَرُّ قَلبُك.

وقرئ: ﴿تُرۡضَىٰ﴾؛ أي: يرضِيكَ ربُّك.

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ١٣١﴾

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ﴾؛ أي: نَظَرَ عَينَيك، وَمدُّ النظر: تطويلُه، وأنْ لا يكادَ يَرُدُّه استحسَانًا للمنظُورِ إليه وإعجَابًا بهِ، وتمنِّيًا أَن يكون له؛ كما فَعل نظَّارةُ قارُونَ حين قالوا: ﴿يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾ [القصص ٧٩/٢٨] .....

فيقول: ذا نعت سوء»،[١] قال: «وكلُّ شيء جيِّد بالغ فهو نعت».[٢] والمَهمَه:[٣] الأرض المستوية البعيدة الأطراف؛ لأنّ السالك فيها يقول لصاحبه: مَهْ مَهْ. والمَرْتُ: المفازة التي لا نبْت فيها.

قوله: (**وقرئ**: ﴿وَأَطۡرَافِ ٱلنَّهَارِ﴾) شاذٌّ.[٤]

قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَانَآيِ ٱلَّيۡلِ﴾ معناه: بعض آناء الليل؛ لأنّه لا يلزم الفعل في جميع آناء الليل.

قوله: (**و"لعل" للمخاطب**) أي: الترجّي راجع إلى المخاطَب.

قوله: (**وقرئ**: ﴿تَرۡضَىٰ﴾) هو مِن السبعة، وكذا بفتح التاء مِن السبعة أيضًا.[٥]

قوله: (**كما فعل نَظّارة قارون**) التاء في "نظّارة" للدلالة على معنى الجمع، كما في جَمّالة وبَغّالة، قال في **الصِّحاح**: «النظّارة: القوم ينظرون إلى شيء».[٦]

---

[١] في الأصول الخطّيّة: "وسوء"، وصححته من المصدر.

[٢] انظر: **العين** للخليل، «نعت»، ٧٢/٢.

[٣] ن: والمهمة.

[٤] انظر: **مختصر شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ٩٣.

[٥] قرأ الكسائي شعبة عن عاصم بضمّ التاء، وقرأ الباقون بفتحها. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٣٢٢/٢.

[٦] **الصحاح** للجوهري، «نظر».

حتى واجَهَهُم أولُو العلم والإيمان بـ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [القصص ٢٨/٨٠].

وفيه: أنَّ النظر غَيرَ الممدُود مَعفوٌّ عنه، وذلك مثلُ نَظرِ مَن بادَهَ الشَّيءَ بالنَّظرِ ثم غضَّ الطَّرْفَ.

ولمَّا كان النَّظرُ إلى الزَّخارف كالمرْكوز في الطِّباع، وأنَّ مَن أَبْصَر منها شيئًا أحَبَّ أَن يَمُدَّ إليه نَظرهُ ويَمْلأَ مِنه عَينَيْه، قيل: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾؛ أي: لا تفعَل ما أنتَ مُعتادٌ له وَضَارٍ به.

ولقَد شدَّد العلماءُ من أَهل التَّقوى في وجوب غضِّ البصر عن أبنيةِ الظَّلَمة وعُدَدِ الفَسَقة في اللِّباس والمراكِب وغيرِ ذلك؛ لأنهم إنما اتَّخذوا هذه الأشياءَ لعيُون النَّظارة، فالناظرُ إليها مُحصِّلٌ لغَرَضِهم وكالمُغرِي لهُم على اتِّخاذها.

﴿أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾: أصنافًا من الكَفرة، ويجوز أَن ينتصِبَ حالًا من هاء الضمير والفعلُ واقعٌ على ﴿مِنْهُمْ﴾ كأنَّه قال: إلى الَّذي مَتَّعْنَا به -وهو أصنافٌ- بَعضَهم وناسًا مِنهم.

فإن قلتَ: عَلَامَ انْتَصَب ﴿زَهْرَةَ﴾؟

قلتُ: على أحَد أَرْبَعةِ أَوجُهٍ:

قوله: (**مَن بادَه[1] الشيءَ**) بادهه: فاجأه، والاسم: البَداهة والبَديهة.

قوله: (**ولمّا كان النظر**)... إلخ يعني: لمّا كان النظر ممّا كانت النفس راغبةً فيه ومائلةً إليه استُحسن المبالغة في الردع منه والزجر عنه، فلذلك أكّد بالنون الثقيلة.

قوله: (**وضارٍ به**) مِن قولهم: ضَرِيَ بالشيء.

قوله: (**إلى الذي متّعْنا به، وهو[2] أصناف**) الواو في "وهو أصناف" للحال، والضمير في "به" و"هو" يعود إلى "الذي".

---

[1] ن: بادتِ.

[2] ن + أي الذي.

على الذَّم، وهو النصبُ على الاختصاص.

وعلى تَضمينِ ﴿مَتَّعْنَا﴾ معنَى: أعطَينَا وخوَّلْنَا، وكونهِ مفعُولًا ثانيًا له.

وعلى إبداله من محلِّ الجَارِّ والمجرُور.

وعلى إبداله من ﴿أَزْوَاجًا﴾ على تقدير: ذوي زَهْرةٍ.

فإن قلتَ: ما معنى "الزَّهَرَة" فيمَن حرَّكَ؟

قلتُ: معنى "الزَّهْرة" بعَينه، وهو الزِّينةُ والبهجةُ؛ كما جَاء في الجَهْرة: الجَهَرة، وقرئ: "أَرِنا اللهَ جَهَرةً".

قوله: (**أو على تضمين**) فعلى هذا يكون ﴿أَزْوَاجًا﴾ هو المفعول الأوّل، و﴿زَهْرَةَ﴾ هو الثاني، و﴿بِهِ﴾ متعلِّقًا بـ"أعطينا"، أي: إلى الشيء الذي أعطينا بسببه أصناف الكفرة زهرة الحياة الدنيا، والمراد بـ"الذي أعطينا" هو أموال الدنيا وزخارفها التي هي الزهرة، لا شيء آخر. وقوله:[١] (**خوَّلْنا**) أي: ملّكنا، يقال: هو خائل مال، أي: مالكه.

قوله: (**الجارّ**[٢] **والمجرور**) الجارّ والمجرور هو قوله: ﴿بِهِ﴾، ومحلُّه نصب، كقولنا: مررت بزيد، أي: جُزتُه أو جعلته على طريقي أو تركته.

قوله: (**على تقدير: ذوي زهرةٍ**) يشير به إلى أنّ ذلك[٣] إنّما يكون إذا جُعل ﴿أَزْوَاجًا﴾ بمعنى: أصنافًا مِن الكفرة، فيكون مفعول ﴿مَتَّعْنَا﴾، وأمّا إذا جُعل بمعنى أصنافًا مِن النعمة ليكون حالًا، فلا يجوز أن يكون ﴿زَهْرَةَ﴾ بدلًا منه؛ لئلا يلزم الفصل بين البدل والمبدَل منه بالأجنبيّ؛ ولأنّه إذا كان بدلًا منه وهو حال كان حالًا وهو معرفة، وذلك لا يجوز.

قوله تعالى: (﴿جَهَرَةً﴾[٤] [النساء ١٥٣/٤]) قال بعض أهل التفسير: ﴿جَهَرَةً﴾ جمع جاهر،[٥] كعَبَدَة جمع عابد.

---

١ ف + أي.

٢ ن: والجار.

٣ ن: بذلك.

٤ ن: رجهرة. | والقراءة بالفتح في ﴿جَهَرَةً﴾ شاذّة نسبها ابن جنّي إلى سهل بن شعيب النهمي. انظر: **المحتسب** لابن جنّي، ٨٤/١. وأمّا فتح الهاء من ﴿زَهَرَةَ﴾ فهي قراءة صحيحة، وهي قراءة يعقوب أحد القرّاء العشر. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٣٢٢/٢.

٥ انظره مِن **تفسير الزمخشري**، في تفسير سورة البقرة، ٥٥/٢.

وأن تكُونَ جَمعَ زاهرٍ؛ وَصْفًا لهم بأنَّهُم زاهِروا هَذه الدُّنيَا؛ لِصَفَاء أَلْوانهم مِمَّا يَلْهُونَ ويَتنعَّمونَ، وتَهلُّلِ وجُوههم وبهَاءِ زِيِّهم وشارَتهم، بخلافِ ما عليه المؤمنون والصُّلحاء: من شحُوب الألوَان والتَّقشُّفِ في الثِّياب.

﴿لِنَفْتِنَهُمْ﴾: لنَبلوَهم حتى يستَوجِبُوا العذابَ لوجُود الكفران منهم، أو: لنعذِّبهم في الآخرة بسبَبه.

﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾: هو ما ادَّخَرَ له من ثواب الآخرة الذي هو خيرٌ منه في نفسِه وأدوَمُ، أو ما رَزقه من نعمة الإسلام والنبوة؛ أو لأن أموالهم الغالبُ عليها الغصْبُ والسَّرقةُ والحُرمة من بعض الوجوه، ....

قوله: (زاهَروا هذه الدنيا) زَهَرَتِ النار زُهورًا: أضاءت. وقوله: (مما يَلهون) "ما" مصدرية، و"مِن" متعلَّقه "بصفاء"،[١] لهوتُ بالشيء ألهو[٢] لهوًا إذا لعبتَ به. وقوله: (زِيِّهم وشارتِهم)[٣] الزِّيّ: الهيئة واللباس، وكذا الشارة والشوار. وقوله: (والتقشّفِ) قشِف -بالكسر- قشفًا إذا لوَّحَتْه[٤] الشمس أو الفقر فتغيّر، يقال: أصابهم مِن العيش قَشَفٌ، والمتقشِّفُ:[٥] الذي يتبلّغ بالقوت وبالمُرقَّع.

قوله: (هو ما ادّخر له) أي: ما ادخر الله تعالى للنبيّ عليه الصلاة والسلام؛ لأنّ الخِطاب في قوله تعالى: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾ مع النبيّ عليه الصلاة والسلام. وقوله: (مِن ثواب) بيان / "ما". [١٣٦ظ]

قوله: (خيرٌ منه) أي: مما مُتِّع به الكافر. وقوله: (أو ما رزقه)[٦] أي: رزق الله تعالى النبيّ عليه الصلاة والسلام.

قوله:[٧] (أو لأنّ) عطف على قوله: (ما رزقه)، وفي الكلام حذف، أي: أو مالُه؛ وجعله خيرًا لأنّ أموالهم... إلخ، أو هو عطف على قوله: (مِن نعمة الإسلام)، كأنّه قال: مِن نعمة الإسلام أو مِن نعمة الدنيا، وجعله خيرًا لأنّ أموالهم.

---

١ في مطبوع الكشّاف: "لصفاء".
٢ ن: ألهوا.
٣ ن: وشاربهم.
٤ ن: لوجته.
٥ ن: والمقشّف.
٦ ف + الله.
٧ ن - قوله.

والحلالُ ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾؛ لأنَّ اللهَ لا يَنسُبُ إلى نفسهِ إلَّا ما حَلَّ وطابَ دون مَا حَرُمَ وَخبُثَ، والحرامُ لا يسمَّى رزقًا.

وعن عبد الله بن قُسَيطٍ عن رافعٍ قال: بَعثَني رسُول الله صلى الله عليه وسلم إلى يَهوديٍّ وقال: «قُلْ لهُ: يقولُ لكَ رسول الله: أقرِضنِي إلى رَجبٍ» فقال: "واللهِ لا أَقرِضْتُه إلا برَهنٍ"، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنِّي لأَمينٌ في السماء وإنِّي لأمينٌ في الأرض، احمِلْ إليهِ دِرعي الحديدَ» فنزلت: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾.

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾؛ أي: وأقبِل أنتَ مَع أهلك على عبادة الله والصلاة واستعينُوا بها على خصَاصتكم، ولا تَهْتَمَّ بأَمْرِ الرِّزقِ والمعيشة فإنَّ رِزْقكَ

قوله: (**لأنّ الله لا يَنسِب**) هذا تعليل محذوف، فكأنّه قال: والمراد بـ﴿رِزْقُ رَبِّكَ﴾ الحلال؛ لأنّ الله تعالى لا ينسِب... إلخ. وقوله: (**والحرام**) مع خبره عطف على لفظة[١] "الله" مع خبره، أي: ولأنّ الحرام لا يسمَّى[٢] رزقًا كما سيَجيء مِن بعدُ تحقيقُه، وهو في سورة الزخرف.

قوله: (**وعن عبد الله**)... إلخ سبب النزول.[٣]

قوله: (**لا أقرضتُه**) هو على سبيل الدعاء منه، كأنّه قال: لا كان إقراضي إيّاه إلّا برَهنٍ، كما تقول: لا رحِمك الله، وأوجه مِن هذا أن يكون حاكيًا لما يقوله بعد إقراضه برهنٍ؛ للمبالغة بخطّه.[٤]

قوله: (**على خَصاصَتكم**) الخَصاصة:[٥] الفقر الذي يوجب الانفراد عن المال.

---

١ ن: لفظ.

٢ ن: يسمي.

٣ انظر: **أسباب النزول** للواحدي، ص ٣١٣.

٤ كذا في الأصول الخطّية، ولم يظهر لي المراد مِن قوله: "بخَطّه"، إلّا أن يكون المراد: كتبه صاحب الحاشية بخطّه.

٥ ن - الخصاصة.

مَكْفِيٌّ من عندنا، ونحنُ رازقوك ولا نَسألك أن تَرزُقَ نفسَكَ ولا أهلَك ففرِّغْ بالَكَ لِأمْر الآخرة.

وفي معناه قولُ الناس: مَن كان في عَمَلِ الله كان اللهُ في عَمَلِه.

وعن عروةَ بن الزُّبير: أنه كان إذا رأى ما عند السلاطينِ قرأَ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ الآيةَ، ثم يُنادِي: الصَّلاةَ الصَّلاةَ رحمكم الله.

وعن بكر بن عبد الله المزني: كان إذا أصاب أهلَه خصاصةٌ قال: قوموا فصَلُّوا، بهذا أمَر اللهُ ورسُولهُ، ثم يتلو هذه الآية.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾﴾

اقترَحُوا على عادتهم في التَّعنُّت آيةً على النبوة، فقيل لهم: أو لم تَأتِكم آيةٌ هي أُمُّ الآيات وأَعظمُهَا في باب الإعجاز؟ يعني: القرآنَ، من قِبَلِ أن القرآن برهانُ ما في سائر الكتب المنزلة ودليلُ صحَّته؛ لأنه معجزةٌ وتلك ليست بمعجزات، فهي مُفتقرةٌ إلى شهَادته على صحةِ ما فيها افتقارَ المُحتجِّ عليه إلى شهادة الحُجَّة.

وقرئ: "الصُّحْف" بالتَّخفيف، ذُكِّرَ الضميرُ الراجعُ إلى البَيِّنة؛ لأنها في معنى البرهان والدَّليلِ.

﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾﴾

قرئ: "نُذَلَّ ونُخْزَى" على لفظِ ما لم يُسمَّ فاعله.

قوله: (**بالك**) البال: الحال، وقيل: القلب، يقال: فلان في بالي، أي: في قلبي.

قوله: (**كان الله في عمله**) أي: كان ملائكة الله الموكّلون بكفاية الأعمال في تحقيق عمله، كقوله عليه الصلاة والسلام: «مسَح الله ظهرَ آدم بيمينه»[١] في أحد القولين، وقال بعضهم: أي: بأمينه.

---

[١] **سنن أبي داود**، ٧/٨٩ (٤٧٠٣)؛ **سنن الترمذي**، ٥/١١٦ (٣٠٧٥).

﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾﴾

﴿كُلٌّ﴾؛ أي: كلُّ واحدٍ منَّا ومنكم ﴿مُتَرَبِّصٌ﴾ للعاقبة، ولمَا يؤُولُ إليه أمرُنا وأمرُكم.

وقرئ: "السَّواءِ" بمعنى: الوسَط والجيِّدِ، أو المستَوي، و: "السَّوءِ" و: "السُّوأى" و: "السُّوَيِّ" تَصغيرُ السَّوءِ.

وقرئ: "فتمتَّعوا فسوف تَعْلَمون" قال أبو رَافع: حَفِظتُه من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورَة طَهَ أُعطي يومَ القيامة ثوابَ المهاجرين والأنصَار».

قوله: (والسَّوء) بفتح السين، بمعنى: الشرّ. وقوله: (والسُّوأى)[1] بوزن حُبْلى، فـ﴿الصِّرَاطِ﴾ بمعنى: الطريقة.

قوله: (مِن رسول الله عليه الصلاة والسلام)[2] "مِن" صلة (حفِظتُه)، والضمير مِن "حفظته" يعود إلى قوله: ﴿فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.[3]

قوله: (عن رسول الله عليه الصلاة والسلام: «مَن قرأ») أي: روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قرأ»... إلخ.[4]

---

١ القراءة الصحيحة بضمّ السين وكسر الواو وتشديد الياء، وما عداها شاذّ. انظر: **مختصر شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ٩٣؛ **الكامل** للهذلي، ص ٦٠٠.

٢ **مسند الروياني**، ٤٦٠/١.

٣ وهي قراءة شاذّة، والظاهر مِن إيراد الزمخشري هذه القراءة في هذا الموضع أنّ أبا رافع قرأ: ﴿فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ موضع ﴿فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ﴾، ووجدت هذا مصرَّحًا به في بعض الحواشي على **الكشّاف**، ويؤيّده إيراد ابن خالويه هذه القراءة وكذا الرواية عن أبي رافع في هذا الموضع، أمّا ابن جنّي فأورد هذه القراءة والرواية عن أبي رافع عند آية النحل (٥٥/١٦) بلفظ: ﴿فَيُمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ بالياء، وكذا فعل كثير من المفسّرين منهم أبو حيّان في **البحر**، وضبطها بقوله: «﴿فَيُمَتَّعُوا﴾ بالياء باثنتين مِن تحتها مضمومة مبنيًا للمفعول، ساكن الميم، وهو مضارع متع مخفّفًا». انظر: **المحتسب** لابن جنّي، ١١/٢؛ **مختصر شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ٩٣؛ **البحر المحيط** لأبي حيّان، ٥٤٧/٦ (النحل، ٥٥/١٦).

٤ قال الزيلعي: «ذكره ابن غنائم التنيسي في كتاب **الفائق في اللفظ الرايق**، ورواه ابن مردويه في تفسيره بسنديه». **تخريج أحاديث الكشّاف** للزيلعي، ٣٥٦/٢.

وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يَقرأُ أهلُ الجنةِ من القرآن إلا طه ويس».

تمّت السورة بحمد الله.[١]

١ ف ن – تمّت السورة بحمد الله.

سورة الأنبياء

مكيّة وهي مئة وإحدى عشرة آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝﴾

هذه اللّامُ لا تخلو من أن تكون صلةً لـ﴿ٱقترب﴾، أو تأكيدًا لإضافة الحساب إليهم؛ كقولك: "أزف للحيّ رحيلُهم"، الأصلُ: "أزف رحيلُ الحيّ" ثم:

سورة الأنبياء عليهم السلام[1]

بسم الله الرحمن الرحيم، ربّ تمّم بالخير[2]

قوله: (من أن تكون صلةً لـ﴿ٱقْتَرَبَ﴾...)[3] إلخ، فإذا كان صلةً لـ﴿ٱقْتَرَبَ﴾ كان المقترب له -أي: المدنوّ منه- مذكورًا، فكان المعنى: دنا من الناس حسابهم، وإذا كان تأكيدًا للإضافة لم يكن المقترب له -أي: المدنوّ منه- مذكورًا، فيصير المعنى كما لو قيل: اقترب حسابُ الناس، الحسابُ الذي للناس، ثمّ شبّهه بقوله: (أزف للحيّ رحيلُهم)، وهو يشابهه على كلا الوجهين؛ أمّا على الوجه الأوّل فظاهر، ولذلك لم يبيّنه، فكأنّه قيل: أزف من الناس رحيلهم، وأمّا على الوجه الثاني فأشار إلى بيانه وقال: (الأصل: أزف رحيل الحيّ)؛ لأنّ الغرض بيان دنوّ رحيلهم، وهو يحصل من هذا التركيب، وهو تركيب أوساط الناس، ثمّ لطلب نوع من الإجمال والتفصيل[4] تُركت الإضافة، وأدخلت اللام المضيفة في "الحيّ"، وأُدخلت اللام المعرّفة في "الرحيل"، فصار: أزف الرحيل للحيّ.

[1] و ف - عليهم السلام

[2] ن - ربّ تمّم بالخير

[3] ن: لأقرب

[4] ن: والتفصيل

"أَزِف للحيِّ الرحيلُ" ثم: "أزَفِ للحَيِّ رحيلُهم".

ونحوُه ما أورَده سيبويه في "باب ما يُثنَّى فيه المُستقِرُّ ....

ثمّ لشدَّة الاعتناء بذكر الحيّ وأنّ الرحيل لهم لا لغيرهم قدّم وأخّر فصار: أزف للحيّ الرحيل. فقوله: "للحيّ" حال مقدّم للتوضيح والتصريح بأنّ الرحيل رحيلهم، ترك التعريف باللام إلى التعريف بالإضافة / في "الرحيل"، فصار: [١٣٧و] "أزَف للحيّ رحيلهم" كما ترى، وكذلك تقول[١] في قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾؛ أصله: اقترب حساب الناس، ثمّ: اقترب الحساب للناس، ثمّ: اقترب للناس الحساب، ثمّ: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ بعين البيان الذي مرّ.

اعلم أنّ اللام إذا كان صلة لـ﴿ٱقْتَرَبَ﴾ كان الأصل: اقترب حساب الناس لهم، ثمّ لشدّة الاعتناء بذكر المقتَرَب لهم -وهم الناس- قدم المفعول على الفاعل، فصار: اقترب لهم حساب الناس، ولمّا كان الضمير عائدًا إلى الناس -وهو متأخر لفظًا- وضع الظاهر موضع الضمير والضمير موضع الظاهر؛ دَفعًا للالتباس، فصار: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾. وقوله: **(أزِف)** أزِف الرجل يأزَف أزفًا، أي: دنا. وقوله: **(رحيلهم)** يقال: رحَلتُ البعير، أي: شددتُ عليه رَحله، والاسم: الرحيل.

قوله: **(ما يثنَّى)** هو مِن قولهم: ثنَّيتُ الشيء تثنيةً؛ جعلته اثنين. وقوله: **(المستقَرُّ)** إنّما قال: "المستقَرّ"؛ لأنّ الظرف يقدّر فيه "استقرّ".

واعلم أنّ الظرف على اصطلاح النحاة قسمان: مستقَرّ بفتح القاف ومُلغًى. والمراد بالمُستقَرّ: ما كان خبَرًا محتاجًا إليه، ويسمّى[٢] مستقَرًّا؛ لأنّه يتعلّق بالاستقرار، فهو مستقَرّ فيه، فحذف "فيه" اختصارًا. والمراد باللغو: ما كان فَضلة،[٣] سُمّي لغوًا -أي: فَضْلةً-[٤] لأنّه لو حذف لكان الكلام مستقيمًا. ثمّ إنّ الظرف في المثال المذكور في الكتاب مُلغًى؛ لكنه[٥] سمّاه مستقَرًّا؛ لأنّه ظرفٌ متعلّق العامِل،

---

[١] د ف: يقول.

[٢] ف ن: وسمي.

[٣] ف ن: فضله.

[٤] ن: فضله.

[٥] ن: لكونه.

توكيدًا": "عليك زيدٌ حرِيصٌ عليك"، و: "فِيكَ زيدٌ راغبٌ فيك"، ومنه قولُهم: "لا أبا لك"؛ لأن اللامَ مُؤكِّدةٌ لمعنى الإضافة، وهذا الوجهُ أَغربُ من الأوَّل.

فهو مِن الخاصّ الذي جعله عامًّا، واستعمله في موضع العامّ، نحو: تعالَ[1] وأشباهه، أو نقول: معنى كلام المصنِّف: أنّ هذا المثال أورده سيبويه في باب الظرف المستقَرّ، لا أنّه سمّاه مستقَرًّا.

وقوله: **(توكيدًا)** يقال: وكّدته توكيدًا وأكّدته تأكيدًا بمعنًى، وبالواو أفصَح، وكذا: أكّدته إيكادًا وأوكدته إيكادًا، أي: شدّةً. وقوله: **(عليك زيد حريص عليك)** أصله: زيد حريص عليك، فقدّم "عليك" وهو متعلِّق بـ"حريص"، كما كان قبل التقديم، ثمّ كرّر للتأكيد، فهو نحو ما نحن فيه في الزيادة للتأكيد، مع ما فيه مِن التقديم والتأخير. وأمّا "لا أبا لك" فأصله: لا أباك، وهو مفيد للإضافة باللام المقدّرة، ثمّ زيدت فيه لام أخرى لتوكيد معنى الإضافة، فهو ممّا نحن فيه في الزيادة للتأكيد، فهو على مذهب سيبويه مِن الإضافة باللام المقدّرة، نحو: غلام زيد، واللام زائد للتأكيد، وعند بعضهم مثل: غلام لزيد، ولا أبَ لزيد، وقد سمِّي[2] هذا إضافةً لكن لا بالمعنى الأوّل؛ بل كما في: مررت بزيد.[3]

قوله: **(وهذا الوجه أغرب)** أي: أحسن وألطف؛ وذلك لأنّ الغريب هو الذي بَعُد عن وطنه، ثمّ يطلق على من فاقَ أقرانه وعلا على أبناء جنسه؛ لأنّ مَن فاق أقرانه كأنّه خرج عن مكانه ووطنه الذي كان مِن حقّه أن يكون فيه، كالغريب الذي خرج[4] مِن وطنه وبَعُد عنه، قال:

فإن تفُقِ الأنامَ وأنتَ منهم ... فإنّ المِسك بعضُ دَم الغزالِ[5]

وكذا يطلق لذا على المعاني الرقيقة والتركيبات المستحسَنَة المستبْدَعَة، فيقال: هذا معنًى / غريب، وتركيب غريب.[6] [١٣٧ظ]

---

١ ن: تعالى.

٢ د ف: سيجيء.

٣ انظر: **شرح التسهيل** لابن مالك، ٢/٦٠.

٤ ن - عن مكانه ووطنه الذي كان من حقه أن يكون فيه، كالغريب الذي خرج.

٥ للمتنبي في **ديوانه**، ص ٢٨٠.

٦ ن - وتركيب غريب.

والمرادُ: اقترابُ السَّاعة، وإذا اقتربتِ الساعةُ فقَد اقتربَ ما يكون فيها من الحساب والثَّواب والعِقاب وغيرِ ذلك، ونحوُه: ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ﴾ [الأنبياء ٩٧/٢١].

فإن قلتَ: كيف وُصف بالاقتراب وقد عُدَّتْ دون هذا القولِ أكثرُ من خَمْس مئة عامٍ؟

قلتُ: هو مُقترِبٌ عند الله، والدَّليلُ عليه قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥۚ وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج ٤٧/٢٢]؛

وقوله: (**والمراد: اقتراب الساعة**) يريد: أنّ هذا مِن قَبيل الكنايات؛ لأنّ اقتراب الحساب مِن لوازم اقتراب الساعة، فأُطلق اللازم وأريد المَلزوم، فيكون كنايةً. وقوله: (**ونحوه: ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ﴾**) أي: نحوه في كونه كنايةً، و﴿ٱلۡوَعۡدُ﴾ أي: القيامة، الموعود هو الثواب والعقاب، واقترابه مِن لوازم اقتراب القيامة.

قوله: (**وقد عُدَّت**) أَلحَقَ التاء به؛ لأنّ التقدير: عُدَّت سنون أكثر مِن خمس مئة. وقوله: (**دون هذا القول**) اعلم[1] أنّ معنى "دُون": أدنى مكانٍ مِن الشيء، ومنه: الشيء الدون؛ وهو الدنيُّ الحقير، واستعير في الأحوال والرتب، واتسِع فيه فاستعمل في كلّ تجاوز حدٍّ إلى حدٍّ وتخطّي حكمٍ إلى حكمٍ، فيكون "دون" في هذا التركيب حالًا، إمّا مِن الفاعل المحذوف الذي أقيم المفعول مقامه، فكأنّه قيل: عدّ العادّون أكثر مِن خمس مئة عام مجاوِزِين[2] هذا القول، أو مِن المفعول القائم مقام الفاعل، أي: عَدُّوا أكثر مِن خمس مئة عام مجاوَزةً، وهذا الثاني هو الوجه. ثمّ اعلم أنّه إذا جعِل حالًا مِن المفعول القائم مقام الفاعل فالعامل فيه مذكور، وهو العامل في ذي الحال، وإن جعِل حالًا مِن المحذوف فالعامل فيه أيضًا محذوف، كما قدّرنا وبيّنا آنفًا.

قوله: (**قلت: هو مقترِب عند الله**) كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ۝ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا﴾ [المعارج ٦/٧٠].

---

[1] ن: واعلم.

[2] ن: متجاوزين.

ولأنَّ كلَّ آتٍ -وإن طَالت أوقَاتُ استقبالِه وترقُّبِه- قريبٌ، وإنَّما البعيدُ هو الَّذي وُجِد وانقَرضَ؛ ولأنَّ ما بقيَ من الدنيا أقصرُ وأقَلُّ ممَّا سَلف منها بدليل ابتعَاثِ خاتم النبيّين الموعودِ مَبعثُه في آخرِ الزمان.

وقال عليه السلام: «بُعِثتُ في نَسَم السَّاعةِ».

وفي خُطبَة بعض المتقدِّمين: ....

قوله: (**وقال عليه الصلاة والسلام: «بُعثتُ في نَسَم الساعة»**)[١] النَّسَم: جمع النَّسَمة، والنَّسَمة: النفَس -بفتح الفاء- مِن نسيم الريح، ثمّ سمِّيت بها النفْس بسكون الفاء، ومنها: عِتق النَّسَمة، وكلا المَعنيَين محتَمِل هنا، أمّا على **الأوّل** فالمراد قُربُها، أي: بعثتُ حين تنفَّست، وتنفُّسُها ظهور أشراطها،[٢] وقيل: أي: في[٣] وقتٍ[٤] أُحِسَّ بنَفَسها وقربها كما يُحَسُّ بنفَس الإنسان إذا قَرُبتَ منه، وهذا راجع إلى الذي مرّ. وأمّا على **الثاني** فالمعنى: بُعثت في ذوي الأرواح الذين خلَقهم الله قبل اقتراب الساعة، كأنّه قال: في آخر البشر مِن بني آدم، والوجه الأوّل أظهر لما ورَد في الرواية الأخرى: «بُعثتُ في نَفَس الساعة»[٥] بفتح الفاء لا غير، شبَّه عليه الصلاة والسلام قربَه مِن الساعة بقرب مَن يكون بين يدي الشخص بحيث يصل إليه نَفَسُه إذا تنفّس. النَّسَمة: النَّفَس مِن نسيم الريح، ثمّ سمِّيت بها النفْس، ومنها: أعتَق النَّسَمة.

قوله: (**بعض المتقدِّمين**) هو عُتبة بن غزوان صاحب رسول الله عليه الصلاة والسلام، وخُطبته: روي عن رسول الله عليه الصلاة والسلام: «ألَا إنّ الدنيا قد آذنتْ بصَرْم، وولَّتْ حَذَّاء، لم يبقَ منها إلّا صُبابةٌ كصُبابةِ الإناء، وإنّ الآخرة أقبلَت، ولكلّ واحد منهما بَنونَ، فكونوا مِن أبناء الآخرة،

---

١ كشف الأستار للهيثمي، ٦٨/٤ (٣٢١٥)، وانظر الرواية التالية.

٢ ن: ظهورها.

٣ ف + أي.

٤ ن: وقعتِ.

٥ سنن الترمذي، ٦٦/٤ (٢٢١٣).

وَلَّت الدُّنيا حَذَّاءَ ولم تَبقَ إلَّا صُبَابةٌ كصُبَابة الإناءِ.

وإذا كانت بقيَّةُ الشَّيء -وإن كثُرت في نفسِها- قليلةً بالإضافة إلى مُعظَمهِ كانَتْ خلِيقةً بأن توصَفَ بالقِلَّة وقِصَر الذَّرع.

وعن ابن عبَّاس: أنَّ المراد بـ"الناس": المشركونَ، وهذا من إطلاق اسم الجنسِ على بعضه للدَّليل القائم، وهو ما يَتلوهُ من صفات المشركين.

وصَفَهُم بالغفلة مع الإعراض على معنى: أنَّهم غافِلون عن حسابهم سَاهُونَ لا يتفكَّرون في عاقبتهم، ولا يَتفَطَّنُون لِمَا تَرجعُ إليه خاتِمةُ أَمْرهم، مع اقتضَاءِ عقولهم أنَّه لا بدَّ من جزاءٍ للمُحسن والمُسيءِ، وإذا قُرِعَتْ لهم العَصَا ونُبِّهُوا عن سِنَة الغَفلة وفُطِّنُوا لذلك بما يُتلى عليهم من الآيات والنُّذُر أَعرضُوا وسَدُّوا أَسماعَهم ونَفرُوا.

ولا تكونوا مِن أبناء الدنيا، فإنّ الولد يَلحَق بأمّه».[١] وقوله: («حذَّاء») الحَذّاء: تأنيث الأحذّ، ويقال: رجل أحذّ بيّن الحذَذ، أي: خفيف اليد، كأنّه قال: ولّتْ الدنيا مسرعةً. وقوله: («إلّا صُبابة») الصُّبابة: بقيّة الماء في الإناء بعدَ الصبّ.

قوله: (**وقِصَرِ الذَّرْع**) المراد بِقِصَر الذَّرع: القلّة والقصور، يقال: ضِقتُ به ذرعًا إذا لم تُطقْه / ولم تقوَ عليه، وأصل الذَرْع إنّما هو بَسط اليد، فكأنّك تريد: [١٣٨و] مَددْتُ يديّ إليه فلم تَنَلْه.

قوله: (**وإذا قُرِعَت لهم العصا**) قرع العصا عبارة عن التنبيه.

قوله: (**وفُطِّنوا لذلك**) أي: لِما ذكر مِن الحساب وما يرجع إليه عاقبة أمرهم.

---

[١] ملفّق من عدّة أحاديث: **الأوّل**: إلى قوله: «إلّا صبابة كصبابة الإناء» في **صحيح مسلم**، ٢٢٧٨/٤ (٢٩٦٧)، من خطبة عتبة بن غزوان موقوفًا عليه. **والثاني**: -وهو قوله: «وإنّ الآخرة أقبلَت، ولكلّ واحد منهما بَنونَ، فكونوا مِن أبناء الآخرة، ولا تكونوا مِن أبناء الدنيا»- في **الزهد** لأبي داود، ص ١١٦، من قول عليّ رضي الله عنه موقوفًا عليه، وهو في **صحيح البخاري**، ٨٩/٨، كذلك معلّقًا. **والثالث**: وهو: «أيّها الناس كونوا أبناء الآخرة، ولا تكونوا أبناء الدنيا، فإنّ كلّ أمّ يتبعها ولدها»، في **المعجم الكبير** للطبراني، ٢٨٨/٧، (٧١٥٨) مرفوعًا.

﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ٢ لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ٣﴾

وقرّرَ إعرَاضَهم عن تنبيهِ المُنبِّهِ وايقاظِ المُوقِظ: بأنَّ الله يُجَدِّدُ لهم الذِّكر وَقتًا فوقتًا، ويُحدِثُ لهم الآيةَ بَعْد الآيَةِ والسُّورةَ بَعْد السُّورة ليُكرِّر على أَسَماعهم التَّنبيهَ والمَوعظةَ لعلَّهُم يتَّعِظُون، فما يزيدُهم استماعُ الآيِ والسُّوَر وما فيها من فُنون المواعظ والبصائر -التي هي أحَقُّ الحقِّ وأجَدُّ الجِدِّ- إلا لعبًا وتَلَهِّيًا واستِسْخَارًا.

والذِّكرُ: هو الطَّائفةُ النَّازلة من القرآن.

وقرأ ابن أبي عَبْلَة: "مُحْدَثٌ" بالرَّفع صِفةً على المحَلِّ.

قوله: ﴿وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ۞ لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡ﴾ حالانِ مُتَرادِفتَان أو متَداخِلتان، ومَن قرَأ: "لاهيةٌ" بالرفع فالحالُ واحدةٌ؛ لأنَّ "لاهيةٌ قلوبُهم" خبرٌ بَعد خبَرٍ لقوله: ﴿وَهُمۡ﴾.

واللاهيَةُ مِن لَهِيَ عنه: إذا ذهَلَ وغفَلَ، يعني: أنَّهُم ....

قوله: (وقُرِّر إعراضهم) عطف على قوله: (وصَفهم)، فلو قُرِئ بفتح القاف والراء كان أحسن طِباقًا له؛ لكنّ قول المصنِّف: (بأنّ الله)... إلخ يؤيّد رواية الضمّ، إلّا أن يكون مِن وَضع الظاهر موضع الضمير.

قوله: (إلّا لَعبًا) استثناء مفرّغ، أي: ما[1] يزيدهم الاستماع شيئًا إلّا لعبًا.

قوله: (مترادفتان أو متداخلتان) مترادفتان بأن تجعلهما حالين مِن الضمير في ﴿ٱسۡتَمَعُوهُ﴾، والمتداخلتان بأن تجعل ﴿وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ حالًا مِن الضمير في ﴿ٱسۡتَمَعُوهُ﴾، و﴿لَاهِيَةٗ﴾ حالًا مِن الضمير في ﴿يَلۡعَبُونَ﴾.

قوله: (يعني: أنّهم)... إلخ هذا إشارة إلى تفسير ﴿مَا يَأۡتِيهِم﴾ إلى ﴿يَلۡعَبُونَ﴾، فإنّ إنزال الآية بعد الآية والسورة بعد السورة تفطين لهم وتنبيهٌ، وهم يتفطّنون ويتنبّهون بهذا التفطين والتنبيه؛ لأنّهم عقلاء متميّزون؛ لكن لا ينتفعون بتفطُّنهم وتنبُّههم لعنادهم[2] واستكبارهم، فجُعلوا كأنّهم لم يُفَطَّنوا،

---

[1] ن – ما.

[2] ن: لعبادهم.

وإنْ فُطِّنُوا فَهُم في قِلَّةِ جَدْوَى فِطْنتِهِم كأنَّهم لم يُفَطَّنُوا أَصْلًا، وثَبَتُوا على رأس غَفلَتِهم وذهُولِهِم عن التَّأمُّلِ والتَّبصُّرِ بقُلوبِهم.

فإن قلتَ: النَّجوَى -وهي اسمٌ من التَّناجي- لا تكُون إلَّا خفيَّةً فما مَعنى قوله: ﴿وَأَسَرُّواْ﴾؟

قلتُ: معناه: وبالغُوا في إخفائها، أو جَعَلُوها بحيث لا يَفطُنُ أحَدٌ لِتَنَاجيهم ولا يُعلم أنَّهم مُتَناجُونَ.

أُبدِل ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ مِن واوِ ﴿أَسَرُّوا﴾ إشعَارًا بأنَّهم المَوسُومُونَ بالظُّلْم الفَاحش فيما أَسَرُّوا به.

أو جاء على لُغةِ مَن قال: "أكلوني البراغيثُ".

وكأنّهم ثبتوا على رأس غفلتهم، يعني ليسوا غافلين؛ بل يعاندون. وقوله: (**وذُهولِهم**) أي: وكأنّهم ثبتوا على ذهولهم، يعني: ليسوا ذاهلين عن وجوب التأمّل والتبصُّر، لكن لا يتأمّلون ولا يتبصّرون؛ لقِلّة مبالاتهم. ويجوز أن يُقرأ قوله: (**وإن فَطِنوا**) بفتح الفاء وتخفيف الطاء مِن الفِطنة، ويجوز الضمّ والتشديد، وفي (**لم يُفَطَّنوا**) أيضًا وجهان.

قوله: (**أُبدل ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾**) فإذا كان ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدلًا فلا بدّ أن يكون الواو اسمًا مضمَرًا عائدًا إلى ما عاد إليه سائر الضمائر المذكورة قبله. وقوله: (**إشعارًا**) أي: أُبدل ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ مِن الواو للإعلام بأنّهم المتبالغون في الظلم؛ وذلك لأنّه جعل ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ مفسّرًا لهم بهذا الإبدال، فكان مثل قولك: مررتُ بالرّجل الكريم زيد.

قوله: (**أو جاء على لغة: "أكلوني البراغيث"**)[1] الضمير مِن "جاء" يعود إلى قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾، واعلم أنّ الواو على هذا الوجه حرف جيء به للدلالة على أنّ الفاعل جمع، كما يؤتى بالتاء للدلالة على أنّ الفاعل مؤنث.

---

[1] وهي لغة طيء. انظر: **لسان العرب** لابن منظور، «عمد»؛ و**شرح شذور الذهب** لابن هشام، ص ٢٢٨.

أو هو منصوبُ المحلِّ على الذَّم.

أو هو مبتدأٌ خبرُه ﴿أسروا النجوى﴾ قُدِّم عَليه، والمَعنى: وهؤلاء أَسرُّوا النجوَى، فوُضِعَ المُظهَر مَوضعَ المُضمَرِ تَسجيلًا على فِعلهم بأنَّه ظُلمٌ.

﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ هذا الكلامُ كلُّه في محلِّ النَّصب بَدلًا مِنَ ﴿ٱلنَّجْوَى﴾؛ أي: وأسرُّوا هذا الحديثَ، ويجوز أن يتعلَّق بـ"قالُوا" مُضمَرًا.

اعتقدُوا أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لا يكونُ إلَّا ملَكًا، وأَنَّ كُلَّ مَن ادَّعَى الرِّسَالةَ من البَشَر وجاءَ بالمُعجزة فهُو سَاحرٌ ومعجزتُه سِحْرٌ، فلذلك قالوا على سَبيل الإنكار: أفتحضُرونَ السِّحرَ وأَنتُم تُشاهِدُون وتُعايِنُونَ أنَّهُ سِحْرٌ.

فإن قلتَ: لمَ أسرُّوا هذا الحديثَ وبالغُوا في إخفائه؟

قلتُ: كان ذلك شِبْهَ التَّشاوُر فيما بينهم والتَّحَاوُرِ في طَلَب الطَّريق إلى هَدْم أَمْره وَعَملِ ....

قوله: (**فوضع المظهر موضع المضمِر**) إذ الأصل: وهم أسرّوا النجوى، فوضع ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ موضع "هم"، فكأنّه قيل: الذين ظلموا أسرُّوا النجوى.

قوله: (**بدلًا مِن ﴿ٱلنَّجْوَى﴾**) إن قيل: ﴿ٱلنَّجْوَى﴾ مفرد، و﴿هَلْ هَٰذَآ﴾... إلخ جملة، فكيف ساغ إبدال الجملة مِن المفرد؟ قلنا: ﴿ٱلنَّجْوَى﴾ وإن كان مفردًا فهو في معنى الجملة، أو قلنا: ﴿هَلْ هَٰذَآ﴾... إلخ وإن كان جملة فهو في محلّ المفرد، أي: القول والحديث.

قوله: (**ويجوز أن يتعلَّق بـ"قالوا" مضمَرًا**) أي: أسرُّوا النجوى قائلين: هل هذا...؟ فعلى هذا في محلِّ الحال، والأصوب أن لا يكون في محلّ الحال؛ بل يكون مستأنَفًا جوابًا لسؤال مَن يقول: كيف أسرُّوا؟ / فقيل: قالوا: ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ﴾، وبه يُشعر كلام المصنِّف. [١٣٨ظ]

المَنصُوبة في التَّثبيط عَنه، وعَادةُ المُتَشاورِينَ في خَطْبٍ أن لا يُشرِكُوا أعداءهم في شُورَاهُم، ويتجَاهَدوا في طَيِّ سِرِّهم عنهم مَا أمْكَن واستُطِيعَ، ومنه قولُ النَّاس: «استَعِينوا على حوائجِكم بالكتمان» ويُرفَعُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ويجوز أن يُسِرُّوا نجوَاهُم بذلك ثم يقُولوا لِرسُول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين: إن كان ما تدَّعُونه حَقًّا فأَخبِرُونا بما أَسْرَرناه.

﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٤﴾

فإن قلتَ: هلَّا قيل: يَعلمُ السِّرَّ؛ لقوله: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى﴾؟

قلتُ: القولُ عَامٌّ يَشمَلُ السِّرَّ والجَهر، فكان في العلم به العِلمُ بالسِّرِّ وزيادةٌ، فكانَ آكَدَ في بيَان الاطِّلاع على نجواهُم من أن يقول: "يَعْلم السِّرَّ" كما أن قوله: "يعلم السِّرَّ" آكَدُ من أن يقول: "يَعلمُ سرَّهم".

ثم بيَّنَ ذلك بأنَّه السميعُ العَالمُ لِذاتهِ فكيْفَ تخفَى عليه خافيةٌ؟

فإن قلتَ: فلمَ تَركَ هذا الآكَدَ في سُورة الفُرقَان في قوله: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الفرقان ٢٥/٦]؟

قوله: (**المنصوبة**) المنصوبة: الحيلة، يقال: سوّى فلان منصوبةً، وهي في الأصل: صفة للشبَكة أو الحِبالة، فجَرت مَجرى الأسماء، كالدابة والعجوز، قال في **مُجمَل اللغة**: «النصْبُ: نصْبُك الرمح وغيره».[1]

قوله: (**عنه**) أي: عن أمره.

قوله: (**عنهم**) أي: عن أعدائهم.

قوله: (**ويُرفع**) يعني: بعضُهم يقول: هذا حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام، ويَرفع إسنادَه إليه.[2]

---

[1] **مُجمل اللغة** لابن فارس، «نصب».

[2] **المعجم الكبير** للطبراني، ٩٤/٢٠ (١٨٣).

قلتُ: ليس بواجبٍ أَن يجيءَ بالآكَدِ في كُلِّ مَوْضِع؛ ولكنْ يجيءُ بالوَكيد تارةً وبالآكَدِ أُخرى كما يَجيء بالحَسن في مَوضع وبالأَحسن في غيره لِيَفتنَّ الكلامُ افتنَانًا، ويجمعُ الغايةَ وما دُونَها، على أَنَّ أُسْلُوبَ تلك الآية خِلافُ أُسْلوب هذه من قِبَلِ أَنَّه قدَّم هاهنا أَنَّهم أَسَرُّوا النجوَى، فكأَنَّه أراد أن يقول: "إنَّ ربِّي يَعلم ما أسرُّوهُ" فوُضع القَولُ مَوضِعَ ذاكَ للمبَالغَة، وثَمَّ قصدَ وَصْفَ ذاتِه بأَنْ أَنزَله الذي يَعلم السرَّ في السَّماوات والأرض، فهو كقوله: ﴿عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [المائدة ١٠٩/٥]، ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ﴾ [سبأ ٣/٣٤].

وقرئ: ﴿قَالَ رَبِّي﴾ حكايةً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم.

﴿بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ ۝٥﴾

أضربوا عن قولهم: "هو سِحرٌ"، إلى أنه تخَاليطُ أَحْلامٍ، ثُمَّ إِلى أَنَّه كلامٌ مُفْتَرًى من عنده، ثم إلى أَنَّه قولُ شاعر، وهكذا الباطلُ لَجْلَجٌ والمُبطِلُ مُتحيِّرٌ رَجَّاعٌ غيرُ ثابتٍ على قَولٍ واحدٍ.

ويجوز أن يكون تَنزِيلًا من الله تعالى لِأقوالهم في دَرَج الفساد: وأنَّ قَولَهم الثانيَ أَفسَدُ من الأوَّلِ، والثالثَ أَفسدُ من الثاني، وكذلك الرابعُ من الثالث.

قوله: (**أنّهم أسرُّوا النجوى**) وذلك النجوى هو قولهم: ﴿هَلۡ هَٰذَآ﴾... إلخ.

قوله: (**فوُضِع القول**)؛ لأنّ ذلك السرّ كان قولًا.

قوله: (**أضربوا**) أي: أعرضوا. وقوله: (**لجْلجٌ**) أي: مضطرب. وقوله: (**رَجّاع**) أي: متردّد.

قوله: (**ويجوز أن يكون تنزيلًا**) عطف على قوله: "أضربوا"، ومعنى الوجه **الأوّل**: أن يكون الإضرابات في كلامهم حكاها الله تعالى عنهم، وهذا مُشكل؛ لأنّه إنّما كانَ يصحّ هذا المعنى ويصحّ أن لو كان ﴿قَالُوٓاْ﴾ مقدّمًا على ﴿بَلۡ﴾؛ ليفيد حكاية إضرابهم، وأمّا بتقديم ﴿بَلۡ﴾ على ﴿قَالُوٓاْ﴾ فلا يفيد إلّا الإضراب عن قولهم دون عن إضرابهم، ويمكن على ما ذكره أن يكون مِن قَبيل القَلب،

صحَّةُ التَّشبيه في قوله: ﴿كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ من حَيْثُ إنَّه في معنى: "كما أَتى الأوَّلُونَ بالآياتِ" لأن إرسال الرُّسُل متضمِّنٌ للإتيان بالآيات، ألَا ترى أنَّه لا فَرق بين أن تَقُول: "أُرْسِل مُحمَّدٌ" وبَينَ قولك: "أَتى محمدٌ بالمُعجزة".

﴿مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ ۝٦﴾

﴿أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ﴾ فيه أنَّهم أَعْتَى من الَّذِين اقْتَرحُوا على أنبيائهم الآيات

فكأنّه قيل -والله أعلم-: قالوا:[١] بل أضغاث أحلام. ومعنى الوجه الثاني: أن يكون الإضرابان مِن كلام الله تعالى لا على طريق الحكاية؛ ليفيد أنّ قولهم الثاني أفسد مِن الأوّل، والثالث مِن الثاني، والرابع مِن الثالث، ووجه إفادة ﴿بَلۡ﴾ هذا المعنى أنّه قد يجيء لترك الأوّل والأخذ فيما هو أهمّ، وإنّما كان هنا أهمّ لكونه أفسَد، فإنّه إذا كان أفسَد كان النظر فيه وذكره أهمّ عند إرادة بيان بطلان قولهم.

قوله: (مِن حيث إنّه في معنى كما أتى) ويمكن أن يقال: التقدير: إتيانًا كإتيان الأوّلين بالآية وقت إرسالهم، فحذف المضاف والمضاف إليه، وقوله: "ما أُرسِل" في تأويل المصدَر، والوقت مقدَّر. وقوله: (متضمّن للإتيان) وإذا كان متضمِّنًا له كان الإرسال مَلزومًا، فأُطلق على اللازم، فيكون مجازًا.

قوله: (ألا يُرى[٢] أنّه لا فرق)... إلخ، قيل عليه: "أُرسِل محمّد" إثبات للرسالة؛ لأنّها تثبت بإرسال الملَك، و"أتى بالمعجزة" إظهار للرسالة، وما يثبت به النبوّة غير ما تظهر به الرسالة، وهذا الاعتراض على المصنّف ضعيفٌ؛ لأنّ مقصودَه أنّ معناهما يئول إلى شيء واحد، وهو التعبير عن نبوّته عليه الصلاة والسلام.

قوله تعالى: (﴿أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ﴾) في لفظ الكشّاف، ﴿أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ﴾ مبتدأ، ما بعده خبره.

---

١ ف - قالوا.
٢ ف ن: ترى.

وعَهِدُوا أنَّهم يؤمنُون عندَهَا، فلمَّا جاءتهم نكثُوا وخالفُوا فأهْلكهم اللهُ، فلو أعْطَيناهُم ما يَقترِحُونَ لكانوا أنكَثَ وَأنكَث.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٧﴾

أَمَرهم أن يَستَعلِمُوا أَهْلَ الذكر -وهُم أهلُ الكتاب- حتى يُعْلِمُوهم أنَّ رُسُلَ الله المُوحَى إلَيْهم كانوا بَشرًا ولم يكونوا ملائكةً كما اعتقدُوا، وإنمَّا أحَالهم على أولئك؛ لأنهم كانوا يُشَايِعُون المشركين في مُعَاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗا﴾ [آل عمران ١٨٦/٣] فلا يُكاذِبُونَهُم فيما هُم فيه رِدْءٌ لرسُول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ۝٨﴾

﴿لَا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ صفةٌ لـ﴿جَسَدٗا﴾ والمعنَى: وما جَعلنا الأنبياء قَبْلَهُ ذَوي جَسَدٍ غيرَ طاعِمِين، ووَحَّدَ الجَسد لإرادة الجِنس؛ كأنَّه قال: ذَوي ضرْبٍ من الأجسَاد، وهذا رَدٌّ لِقولهم: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ [الفرقان ٧/٢٥].

قوله: **(أنكَثَ وأنكَث)** لكونهم أعتَى وأعتَى.

قوله: **(لأنّهم كانوا يشايعون)** شايع فلان فلانًا: خالطه في الاتّباع، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الصافات ٨٣/٣٧]، والمُشايع: اللاحِق.

قوله: **(فلا يُكاذبونهم)** أي: فلا يُكاذب أهلُ الكتاب الكفارَ في قولهم: إنَّ الأنبياء كانوا رجالًا لا ملائكة؛ لأنّهم لو كانوا فعلوا ذلك لكانوا عَونًا لرسول الله عليه الصلاة والسلام، وهم كانوا أعداءَه، فكيف كانوا[١] يُعينونه؟ وقوله: **(رِدْءٌ)** أردَءتُه: أعَنتُه، والرِّدء: العون.

---

[١] ن - كانوا.

فإن قلتَ: نَعمْ قد رُدَّ إنكارُهم أَن يكون الرَّسولُ بَشرًا يأكُل ويَشربُ بما ذَكرْتَ، فماذا رُدَّ من قولهم بقوله: ﴿وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ﴾.

قلتُ: يَحتمِلُ أَن يقولوا: إنَّه بَشرٌ مثلُنا يَعِيش كما نَعِيش ويَموت كما نمُوت، أو يَقُولوا: هَلَّا كان مَلَكًا لا يَطْعَمُ ويَخلُدُ، إمَّا مُعتقِدِين أَنَّ الملائكة لا يمُوتون، أو مُسَمِّين حياتَهُم المُتطاوِلةَ وبَقاءَهم المُمتدَّ خلُودًا.

﴿ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٩﴾

﴿صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ﴾ مِثلُ: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ﴾ [الأعراف ٧/١٥٥]، والأَصْلُ: "في الوَعْد" و: "مِن قَومه"، ومنهُ: صَدَقُوهم القتالَ، و: صَدَقني سِنَّ بَكرِه.

﴿وَمَن نَّشَآءُ﴾ هُم المُؤمِنُون ومَن في بقائه مَصْلحةٌ.

﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠﴾

﴿ذِكۡرُكُمۡ﴾ شَرفُكُم وَصِيتُكُم؛ كما قال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَ﴾ [الزخرف ٤٣/٤٤]، أو: مَوعِظتُكم.

أو: فيه مكارمُ الأخلاق التي كنتُم تَطلُبُون بها الثَّناءَ وحُسنَ الذِّكر؛

قوله: (**مِن قولهم**) "مِن" للتبعيض، وهي حال مِن الضمير في "رُدّ".

قوله: (**ومنه: صَدَقُوهم القتالَ**) يقال: رجل صَدْقُ القتالِ؛ على الإضافة بمعنَى "في"، قال تعالى: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ﴾ [البقرة ٢/٢٠٤]. وقوله: / (**"سِنَّ بَكْرِه"**) [١٣٩و]
يروى: "سِنُّ بَكْرِه" بالرفع على الإسناد المجازيّ، والبَكر: الفَتِيّ مِن الإبل، وأصله: أنّ رجلًا سامَ رجلًا في بعير، فادّعى البائع أنّه صغير، وكذّبه المشتري، فأرسله البائع فنفَر، فقال: هِدَعْ هِدَعْ، وهو صوت يسكّن به صغار الإبل، فقال المشتري: "صَدَقَني سِنَّ بَكْرِه"، فصار مَثلًا.[1]

قوله: (**مصلحة**) قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الرعد ١٣/١٧].

---

[1] انظر: **مجمع الأمثال** للميداني، ٣٩٢/١.

كحُسنِ الجِوَار، والوَفاءِ بالعهْد، وصِدقِ الحدِيث، وأداءِ الأمانةِ، والسخاءِ، وما أشبَه ذلك.

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾﴾

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ واردةٌ عن غَضَبٍ شديدٍ، ومُنَاديةٌ على سَخَطٍ عظيم؛ لأنَّ القَصْم أَفظَعُ الكَسرِ، وهو الكَسرُ الذي يُبِينُ تَلاؤُمَ الأَجزاء، بخلافِ الفَصْمِ.

وأراد بالقَرية: أَهْلَها، ولذلك وصَفها بالظُّلم وقال: ﴿قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾؛ لأن المَعنى: أَهلَكْنا قومًا وأنشَأنا قومًا آخرين.

وعن ابن عباس: أَنَّها حَضُورُ، وهي وسحولُ قريَتَان باليَمن تُنسَبُ إليهما الثِّيَابُ.

وفي الحديث: كُفِّنَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في ثَوبين سَحُولِيَّينِ. وروي: حَضُورِيَّينِ.

بَعثَ اللهُ إليهم نبيًّا فقَتلوه، فسَلَّطَ اللهُ عَليهم بُختَ نَصَّرَ كما سَلَّطه على أَهل بيت المقدس فاستَأصَلهم.

ورُوي: أنَّه لما أَخذَتْهمُ السُّيُوفُ ونادَى مُنادٍ من السماءِ: يا لَثَاراتِ الأنبياءِ، نَدِمُوا واعتَرفُوا بالخطَأ، وذلك حين لم يَنفعْهم النَّدمُ.

قوله: (**لأنَّ القصْمَ**)... إلخ "القَصْم" بالقاف الذي يكون حرف شديد: لكسر الشيء حتّى يَبين،[١] و"الفَصْم" بالفاء الذي هو حرف رِخْو: لكسر الشيء مِن غير أن يَبين.

قوله: (**يا لَثاراتِ**[٢] **الأنبياء**) ينادي الثارات[٣] على وجه الاستغاثة، فيقول: هذا وقتكُنّ فتعالَين، أي: وجب طلبهنّ الثأر، والثُؤرة: الذَحْل،[٤] يقال: ثأرتُ القتيل[٥] وبالقتيل ثأرًا وثُؤرة، أي: قتلت قاتله، والثائر: الذي لا يُبقي على شيء

١ ن: تبين.
٢ ن: يا لثار. | وفي هامش د ف: لام الاستغاثة.
٣ ن: بالثارات.
٤ ن: الدخل. | الذحل: الحقد والعداوة. يقال: طلب بذَحْلِه، أي بثأره. **الصحاح** للجوهري، «ذحل».
٥ ن: القتل.

وظاهرُ الآية يدُلُّ على الكَثرة، ولَعَلَّ ابنَ عبَّاسٍ ذكرَ "حضور" بأنَّها إِحْدى القُرَى التي أرادهَا اللهُ بهذه الآية.

﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾﴾

فلمَّا عَلِمُوا شِدَّةَ عَذابنا وبَطشتِنَا عِلْمَ حِسٍّ ومشَاهَدةٍ لَم يشُكُّوا فيها، رَكضُوا من دِيَارهم، والركضُ: ضرْبُ الدَّابةِ بالرِّجل، ومنه قولُه تعالى: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ [ص ٤٢/٣٨]، فيَجُوز أن يركبُوا دَوابَّهم يركُضُونَها هاربين مُنهزِمينَ من قَريتِهم لمَّا أَدْرَكَتْهم مقدِّمةُ العذاب، ويجوز أَنْ يُشبَّهُوا في سُرْعَةِ عَدْوِهم عَلى أَرْجُلهم بالرَّاكبِينَ الرَّاكضِين لدَوابِّهم.

فقيل لهُم: ﴿لَا تَرْكُضُواْ﴾ والقولُ محذوفٌ.

فإن قلتَ: مَن القائلُ؟

قلتُ: يَحتمِلُ أن يكونَ بعضَ الملائكة، أو مَن ثَمَّ مِن المؤمنين، أو يُجْعَلُون خُلقاءَ بأن يُقال لهم ذلك وإنْ لم يُقَلْ.

أو يَقُولُه رَبُّ العِزَّة ويُسْمِعُهُ ملائكتَهُ لينفَعَهُم في دِينِهم، ....

حتَّى يُدرك ثأره، ويقال[١] أيضًا: هو ثأره، أي: قاتل حميمه، وقولهم: يا ثارات فلان، أي: يا قَتَلَةَ فلان.

قوله: (**بأنّها إحدى القرى**) أي: بسبب أنّها.

قوله: (**لم يَشكّوا**) أي: غير شاكّين. وقوله: (**ضربُ الدابة**) إضافة المصدر إلى المفعول.

قوله: (**أو مَن ثَمّ مِن المؤمنين**) يجوز أن يكون "مَن" منصوب المحلّ أو مخفوضه[٢] عطفًا على "بعض" أو "الملائكة".

---

[١] ف + هو.

[٢] ف: محفوظه؛ ن: مخفوظةً.

أو يُلْهِمَهم ذلك فيُحدِّثوا به نفوسَهم.

﴿وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾ من العَيشِ الرَّافِهِ والحالِ الناعمةِ، والإتراف: إِبْطَارُ النِّعمة وهي التُّرْفةُ.

﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ تَهَكُّمٌ بهم وتوبيخٌ؛ أي: ارجِعُوا إلى نَعيمِكُم ومساكنكم لعلكم تُسألُونَ غدًا عمَّا جَرى علِيكم ونزَلَ بأموالكم ومساكنكم، فتُجيبُوا السَّائلَ عن علْمٍ ومُشاهدةٍ.

أو: ارجِعُوا وَاجْلِسُوا كما كنتُم في مجالسكُم، وتَرتَّبُوا في مَراتِبِكُم، حتَّى يَسْأَلَكُم

قوله: (**أو يُلهمهم ذلك**) أي: يُلهم الله تعالى الملائكة، فيُحدِّث الملائكة بهذا الكلام نفوسهم، أي: نفوس الملائكة، والمراد بتحديث الملائكة نفوس الملائكة: أن يتردّد هذا الكلام في نفس الملائكة، ولا يكون ذلك كلامًا لفظيًا؛ بل كلامًا نفسيًّا مِن الملائكة، كأنّهم يخاطبون الكفّار الراكضين بهذا الكلام، وليس هناك مخاطبة، وإنّما هو شيء يفيد الملائكة في دينهم وازدياد مراتبهم. وقوله: "ذلك" أي: ذلك القول.

قوله: (**مِن العيش الرافِه**) يقال: رجل رافِهٌ، أي: وادِع، أي: في دَعةٍ وخَفض مِن العيش، فوَصف العيش بالرافه[1] يكون مجازًا؛ لأنّ الرافه[2] بالحقيقة صاحب العيش، أو هو مثل: "عيشة راضية"، وكذا قوله: (**الحال الناعِمة**). وقوله: (**إبطار النعمة**) مصدر مضاف إلى الفاعل، يقال: أبطره المال، والبَطَر: شدّة المرَح. وقوله: (**التُّرْفة**) التُّرْفة بالضمّ: النعمة، والمُتْرف: هو الذي أبطرَته النعمة وسَعة العيش.

قوله: (**أو يسألكم الناس**) الرفع في "يسألكم" هو الوجه؛ لقوله بعده: "يستشيرون" "ويستشفعون"،[3] أي: لعلّكم يسألكم الناس، فإنّ قوله: (**ارجعوا واجلِسوا... حتّى يسألكم**) في معنى: لعلّكم يسألكم، فهو عطف عليه مِن حيث المعنى.

---

[1] ن: بالرافة.
[2] ن: الرافة.
[3] ف: أو يستشفعون.

عَبيدُكُم وحَشَمُكم ومَن تَملكُون أَمرَهُ ويَنفُذُ فيه أَمرُكم ونَهيُكم ويقُولُوا لكُم: بِمَ تأمُرُونَ؟ وماذا تَرسُمونَ؟ وكيف نأتي ونَذرُ؟ كعَادة المُنعَّمِين المُخدَّمِينَ، أو يَسأَلكُم النَّاسُ في أَنديتِكم المَعَاوِنَ في نَوازل الخُطُوبِ، ويَستشيرونكُم في المُهمَّاتِ والعَوارض، ويَسْتَشْفُونَ بتَدابيرِكم ويَستَضِيئون بآرَائِكُم، أو يسأَلكُم الوافدُونَ عليكم والطُّمَّاعُ، ويَستمْطِرُونَ سحابَ أكُفِّكُم، ويَمتَرُونَ أَخْلافَ مَعْرُوفِكُم وأَيادِيكُم: إمَّا لأَنَّهم كانُوا أسخيَاءَ يُنفِقون أَموالَهم رئاءَ الناسِ وطَلَبَ الثنَاء، أو كانوا بُخَلاءَ فقيل لهم ذلك تَهكُّمًا إلى تهكُّمٍ وتوبيخًا إلى توبيخ.

﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝١٤ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ۝١٥﴾

﴿تِلْكَ﴾ إشارةٌ إلى ﴿يَٰوَيْلَنَا﴾؛ لأنَّها دعْوَى؛ كأنَّه قيل: فما زالت تلك الدَّعوَى ﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾.

والدَّعوَى بمعنى الدَّعوَة، قال الله تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس ١٠/١٠].

فإن قلتَ: لمَ سمِّيتْ دعوَى؟

قلتُ: لأن المُوَلْوِلَ كأنَّه يدعو الوَيلَ فيقول: تعالَ يا وَيْلُ فهَذا وقتُك.

و﴿تِلْكَ﴾ مَرفوعٌ أو منصُوبٌ اسمًا أو خبرًا، وكذلك ﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾.

قوله: (**أو يسألكم الوافدون**) والوجه في "يسألكم" هنا أيضًا الرفع كما مرّ، وَفَد فلان على الأمير، أي: ورَد رسولًا، فهو وافدٌ، والجمع: وَفْدٌ.

قوله: (**أخلاف**)[١] الخِلْف بالكسر: حَلَمة ضَرْعِ الناقة القادِمان والآخِران.

قوله: (**إمّا لأنّهم**) متعلّق بمحذوف، أي: قيل لهم ذلك القول إمّا لأنّهم... إلخ.

قوله: (**إلى تهكّم**) صفة تهكّم، أي: تهكُّمًا منضمًّا إلى تهكّم، أو منتهيًا إلى تهكّمٍ.

قوله: (**و﴿تِلْكَ﴾ مرفوع**)... إلخ، أظنّ أنّه يتعيّن أن يكون ﴿تِلْكَ﴾ مرفوعًا؛

---

[١] ف: إخلاف.

"الحِصيدُ": الزرعُ المحصُود؛ أي: جعلناهم مثلَ الحصيد، شبَّهَهُم به في استئصالهم واصطلامِهم؛ كما تقول: جَعلناهم رمادًا؛ أي: مِثْلَ الرَّماد.

والضميرُ المنصوبُ هو الذي كان مبتدأً، والمنصوبان بعده كانا خبرين له، فلمَّا دَخل عليها "جَعَل" نَصبَهَا جميعًا على المفعولية.

فإن قلتَ: كيف يَنصب ﴿جعل﴾ ثلاثةَ مفاعيلَ؟

قلتُ: حكمُ الاثنَين الأَخِيرين حكمُ الواحدِ؛ لأن معنى قولك: "جعَلْتُه حُلوًا حَامضًا": جَعلتُه جَامعًا للطَّعمين، وكذلك معنى ذلك: جَعلناهُم جَامِعِينَ لمُمَاثلةِ الحَصِيدِ والخمُودِ.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ١٦﴾

أي: وما سوَّينا هذا السَّقفَ المرفوعَ وهذا المِهادَ الموضوعَ وما بينهما من أصناف الخلائق مشحونةً بضرُوب البَدائع والعجَائب كما تُسوِّي الجبَابرةُ سُقوفَهُم وفُرشَهُم وسائرَ زخارفهم لِلَّهو واللعب، وإنَّما سَوَّيناها للفوائد الدِّينية والحِكَم الرَّبَّانية؛ لتكونَ مَطارحَ افتكارٍ واعتِبَارٍ وَاستدلالٍ ونظرٍ لعِبَادنا، مع ما يتعلَّق لهم بها من المنافع التي لا تُعَدُّ وَالمرافِق التي لا تُحصَى.

ليكون[١] اسمًا، / و﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾ منصوبًا؛ ليكون خبرًا؛ لانتفاء الإعراب فيهما والقرينة. [١٣٩ظ]

قوله: (**واصطلامهم**) الاصطلام: الاقتطاع، يقال: اصطلم الزَّرع آفةٌ.

قوله: (**نصبها جميعًا**) أي: نصب الضمير المنصوب والمنصوبَين بعده.

قوله: (**قلت: حكم الاثنين**)...[٢] إلخ، والتحقيق أنّه له مفعولان؛ لكن كرّر المفعول الثاني، كما يتعدّد الخبر في مثل: زيد عالم عاقل.

قوله: (**لمماثلة الحصيد والخُمود**) "الخُمود" هنا: جمع خامد؛ لتوافق قوله: "الحصيد"، وإنّما لم يجمع "الحصيد"؛ لكونه فعيلًا يطلق على الواحد والكثير.

قوله: (**المِهاد**) أي: الفِراش. وقوله: (**مشحونةً**) أي: مملوءةً.

---

[١] ف + تلك.

[٢] ف: الآيتين.

﴿لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ۝١٧﴾

ثم بيَّن أن السَّبب في ترك اتخاذِ اللَّهو واللَّعِب وانتِفَائه عن أَفْعَالي: هو أَنَّ الحكمةَ صارفةٌ عنه، وإلّا فأنا قادرٌ على اتّخاذه إن كنتُ فاعلًا؛ لأنِّي على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

وقوله: ﴿لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ كقوله: ﴿رِزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا﴾ [القصص ٥٧/٢٨]؛ أي: من جهة قُدرَتنا.

وقيل: اللهو: الولدُ بلغةِ اليَمن، وقيل: المرأة.

قوله: (واللعب) عطف على (اللهو) بطريق البيان، ويشير به إلى أنّ المراد بـ"اللهو" هو اللعب في قوله: ﴿لَٰعِبِينَ﴾، فذكر تعالى أنّ ما نفاه مِن اللعب إنّما هو لعدم إرادته، لا لعدم القدرة.[١] وأمّا قول المصنِّف: (وإلّا) فهو "إن" الشرطية أدغمت نونه في اللام، أي: إن لا يكن الحكمة صارفة عن اتّخاذه اتّخذتُه؛ لأنّي قادر على اتّخاذه. ثم قال المصنِّف مؤكِّدًا لهذا المعنى: (إن كنتُ فاعلًا) أي: إن كنتُ مريدًا فعلَه فعلته؛ لأنّي قادر على جميع الأشياء، وهو تفسير قوله[٢] تعالى: ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾، ثم فسّر قوله تعالى: ﴿لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ على هذا الوجه، وهو أن يكون المراد باللهو: اللعب والعيب. ثم شرع المصنِّف في تفسير آخر لقوله: ﴿لَهۡوٗا﴾، ولقوله: ﴿مِن لَّدُنَّآ﴾ بقوله: (وقيل: اللهو) إلى قوله: (وعُزَيرٍ). وقوله: (هو أنّ الحكمة)... إلخ؛ لأنّه تعالى لمّا قال: ﴿لَوۡ أَرَدۡنَآ﴾... إلخ عُلِم أنّ المانع عدم الإرادة، فينبغي أن يكون مقدورًا؛ لأنّه لا يقال فيما لا يكون مقدورًا: لو أردتُ فعلتُه. وقوله: (فأنا قادر) بناء على أنّ الله تعالى قادر على السَّفه عند المعتزلة؛ ولكن لا يفعله، وعند أهل السنة أنّ الله تعالى لا يوصف بالمحال أصلًا؛ لأنّ القدرة مصحِّحة للإمكان، والمحال لا يدخل تحت الإمكان.

واعلم أنّ هذا الكلام موضع نظر؛ لأنّ قوله: "الله[٣] تعالى لا يوصف بالمُحال"

---

١ ن: القرة.
٢ ف: لقوله.
٣ ن - الله.

وقيل: ﴿مِن لَّدُنَّا﴾؛ أي: من الملائكة لا مِن الإنس؛ رَدًّا لِولادة المسيحِ وعُزير.

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿بَلْ﴾ إضرابٌ عن اتِّخاذ اللهو واللَّعب وتَنزيهٌ منه لذاته؛ كأنه قال: سُبْحانَنا أن نتَّخذ اللَّهوَ واللَّعبَ؛ بل من عادتنا ومُوجَبِ حكمتنا واستِغنائنا عن القبيح أن نَغْلِبَ اللَّعِبَ بالجِدِّ، ونُدحِضَ الباطل بالحقِّ.

واستعَارَ لذلك القذفَ والدَّمغ تصويرًا لإبطالِهِ به وإهداره ومَحْقِه، ....

-أي: لا يقدر على المُحال- لا ينافي قوله: "هو قادر على فعل السَّفَه"، فإنّه غير مُحال، وقوله: "القدرة مصحِّحة للإمكان" ليس بشيء؛ لأنّ الإمكان للممكن ضروريٌّ وذاتيٌّ، فلا يكون بالغير.

قوله: (وقيل: ﴿مِن لَّدُنَّا﴾) متعلّق بهذا الوجه الأخير، يعني: فإذا فسّر "اللهو" بالولد أو المرأة لا يمكن أن يفسر قوله: ﴿مِن لَّدُنَّا﴾ بالقدرة؛ لأنّ اتّخاذ الولد غير مقدور؛ بل هو مستحيل عليه تعالى كما ذكره المصنِّف في غير هذا الموضع. وقيل: ﴿مِن لَّدُنَّا﴾ أي: عندنا على سبيل الخُفية، فلا تعرفونه ولا تسمعون اسمه، ليَعُمَّ ردَّ المسيح والعُزير والملائكة، ويطابق المعنى.

قوله: (بالجِدّ) الباء للتعدية، أي: نُصيّر الجِدَّ غالبًا اللعبَ. وقوله: (بالحقّ) الباء في "بالحق" كما في قولك: كتبت بالقلم، ونجرتُ بالقدّوم. يقال: دحضت حجّته، أي: بطلت، وأدحَضه الله تعالى، ويجوز أن تكون هذه الباء مثل الباء في "بالجدّ"، أي: نُصيّر الحقَّ مدحِضًا الباطل.

قوله: (استعار لذلك القذف)... إلخ، اعلم أنّ هذا استعارة مَحسوس لمعقول، فإنّ أصل استعمال القذف والدمغ في الأجسام، ثم استُعير القذفُ لإيراد الحقّ على الباطل، والدمغُ لإذهاب / الباطل، فالمستعار منه حسِّيّ، [١٤٠و]
والمستعار له حسِّيّ،[١] واختار الدمغ؛ لأنّ الدماغ مَقتَل، وهو مَجمع الحواس.

---

١ كذا في الأصول الخطّيّة، والصواب -والله أعلم-: "والمستعار له غير حسّيّ".

فجَعله كأنه جِرْمٌ صلبٌ كالصَّخرة مثلًا قُذِف به على جِرمٍ رخوٍ أَجْوفَ فدمَغه، ثـم قال: ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا﴾ تصفونه به ممَّا لا يجُوز عَلَيْهِ وعلى حكمته.

وقرئ: "فيدمَغَه" بالنَّصب، وهو في ضَعْفِ قَولِهِ:

سَـأتـركُ مَـنْـزلـي لـبَـنـي تـميمٍ وأَلْـحـقُ بـالـحـجَـازِ فـأَسْـتَـرِيـحَـا

وقرئ: "فيَدمُغُه".

﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾

"مَن عنده" هم الملائكة، والمراد: أنهم مُكْرَمُون منزَّلُون -لكرامتهم عليه- منزلةَ المقرَّبين عند الملوك على طريق التمثيل والبيان لشَرفهم وفضلهم على جميع خلقه.

فإن قلتَ: الاستحسارُ ....

وقوله: **(كأنّه)** أي: الحقّ. وقوله: **(فدمَغه)** دمَغه دَمْغًا، أي: شجَّه حتّى بلغتِ الشجّة الدماغ، وهذا معنى قولهم: يَكسِر غِشاوةَ دِماغه.

قوله: **(ممّا لا يجوز عليه)** بيان "ما تصفونه"، وأشار بهذا إلى أنّ ﴿مِمَّا تَصِفُونَ﴾ عامّ، والمراد به الخاصّ؛ لأنّهم يصفونه بما يجوز عليه مِن الإلهيّة وخلق السموات والأرض والإرادة والقدرة، ويصفونه أيضًا بما لا يجوز عليه مِن الشريك والولد، والويل إنّما لحقهم مِن وصفهم بما لا يجوز عليه دون ما يجوز عليه.

قوله: **(وقرئ: ﴿فَيَدْمُغَهُ﴾ بالنصب)** في الشاذّ،[١] و﴿فَيَدْمُغَهُ﴾ بضمّ الميم ونصب الغين. وقوله: **(وهو في ضعف قوله)** ووجه ضعفه: أنّه نصبَه مع أنّه ليس في جواب الأشياء الستة: الأمر، والنهي، والنفي، والاستفهام، والتمنّي، والعرْض. وقوله: **(وقرئ: ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾)** سبعة.[٢]

---

[١] انظر: مختصر شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ٩٤. [٢] لا خلاف فيه بين القرّاء العشر.

مبالغةٌ في الحُسُور، وكان الأَبلغَ في وصفهم أن يَنفيَ عنهم أَدْنى الحُسُورِ.

قلتُ: في الاستحسَارِ بيانُ أنَّ ما هم فيه يوجِبُ غايةَ الحسُور وأقصَاه، وأَنَّهم أَحقَّاء لتلك العبَادات البَاهِظة بأن يَسْتَحْسِرُوا فيما يفعلون.

﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ۝٢٠﴾

أي: تَسبِيحُهُم متَّصلٌ دائمٌ في جميع أوقاتِهم، لا يَتخَلَّلُه فَتْرةٌ بفراغٍ أو بشُغلٍ آخَرَ.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ۝٢١﴾

هذه ﴿أَمِ﴾ المنقطعةُ الكائنةُ بمَعنى "بل" والهمزةِ، قَد آذَنتْ بالإضراب عمَّا قبلها والإنكارِ لِمَا بعدها، والمنكَرُ: هو اتِّخاذُهم آلهةً من الأرض يُنْشِرُون المَوتَى، ولعَمري إنَّ من أَعظم المنكَرات أن يُنشِرَ الموتَى بعضُ الموات!

قوله: (**مبالغة في الحُسور**) الحُسور: الإعياء، وهو الكَلال والتعب الحاصل مِن كثرة العمل.

قوله: (**الباهظة**) بهَظه الأمر يبهَظه بَهْظًا، أي: أثقَله وعجز عنه، **فهو مبهوظ**، وهذا أمر باهظ، أي: شاقّ.

قوله: (**فيما يفعلون**) أي: فيما يفعلون[١] الاستحسار. المصدَر لا يصلح أن يكون مفعولًا في المعنى. وفيما ذكر المصنِّف إشارة إلى مذهبه، وهو أنَّ التكوين عندهم عين المكوَّن. في هذه الحاشية نظر، وفي بعض النسخ: "فما" بدل "فيما".

قوله: (**والإنكار لما بعدها**) واعلم أنَّ الإنكار قد يكون بمعنى: "لِمَ كان"، وقد يكون بمعنى: "لم يكن"، وهنا الإنكار بمعنى الأوَّل، لا بالمعنى الثاني، فتدبَّر.

قوله: (**الموتى**) جمع: الميّت، فالمراد به: الذي زال حياته، والمَوات بفتح الميم: ما لا روح فيه كالجمادات، فيه بحث يُعلم ممّا ذُكر في قوله: ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا﴾ [البقرة ٢/٢٨].

---

١ ن - فيما يفعلون.

فإن قلتَ: كيف أُنكِر عليهم اتِّخاذُ آلهةٍ تُنشِرُ، وما كانوا يدَّعونَ ذلك لآلهتهم؟ وكيف وهم أبعدُ شيء عن هذه الدَّعوى؟ وذلك أنهم كانوا -مع إقرارهم لله عز وجل بأنه خالقُ السماوات والأرض ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [لقمان ٣١/٢٥]، وبأنَّه القادر على المقدورات كلِّها وعلى النشأة الأُولى- مُنكِرِينَ البعثَ، ويقولون: ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس ٣٦/٧٨]، وكان عندهُم مِن قَبيلِ المُحالِ الخارجِ عن قُدْرة القادرِ كثاني القديم، فكيْف يَدَّعُونه للجماد الَّذي لا يُوصف بالقدرة رأسًا؟

قلتُ: الأمْرُ كما ذكرتَ؛ ولكنَّهم بادِّعائهم لها الإلهيَّة يلزَمُهم أَن يَدَّعو لها الإنشارَ؛ لأنه لا يستحقُّ هذا الاسمَ إلَّا القَادرُ على كلِّ مَقْدُور، والإِنشَارُ من جُملة المقدورات.

وفيه بَابٌ من التَّهكُّم بهِمْ والتَّوبيخِ والتَّجهيل، وإشعَارٌ بأنَّ ما استَبْعَدُوه من الله لا يصحُّ استبعَادُه؛ لأنَّ الإلهيَّة لمَّا صحَّت صَحَّ معها الاقتدارُ على الإبدَاء والإعادة.

ونحوُ قوله: ﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ قولُكَ: "فُلَانٌ من مَكة" أو "من المَدينة" تريد: مكيٌّ أو مدنيٌّ، ومعنى نِسبَتِها إلى الأرض: الإيذانُ بأنها الأصنامُ التي تُعبَدُ في الأَرض؛ لأنَّ الآلهة على ضربين: أرضيَّة وسماويَّة.

قوله: (**وكيف وهم أبعد شيء؟**) أي: وكيف يَدَّعونه لآلهتهم...؟

قوله: (﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُم**﴾ [الزمر ٣٩/٣٨]) استشهاد.

قوله: (**منكرين البعث**) خبر "كانوا".

قوله: (**لأنّ الآلهة على ضَربين**) أي: لأنّ الآلهة على زعمهم على ضَربين: أرضيّة وسماويّة، ومرادهم[١] بالأرضيّة: ما يكون مِن أجزاء الأرض، أو يكون شكله في الأرض، ومثاله فيها، فإنهم كانوا يجعلون تماثيل وصورًا ويدَّعون أنّها صور الملائكة. ومرادهم بالسماويّة: ما لا يكون في الأرض هو ولا شكلها وشِبهها؛ بل هو خالق السموات والأرض، وإنّما قالوا: السماويّة بناء على شِركهم.

---

١ ن: والمراد.

ومن ذلك حديثُ الأمَةِ التي قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَين ربُّكِ؟» فأشارت إلى السماء، فقال: «إنها مُؤْمِنةٌ»؛ لأنه فَهِم منها أَنَّ مرادهَا نفيُ الآلهة الأرضية التي هي الأصنام، لا إثباتُ السماء مكانًا لله عز وجل.

ويجوز أن يُرَاد: آلهةٌ من جنس الأرض؛ لأنها إما أن تُنحَت من بعض الحجارة أو تُعملَ من بعض جواهر الأرض.

فإن قلتَ: لا بد من نكتةٍ في قوله: ﴿هُمْ﴾؟

قلتُ: النكتةُ فيه إفادةُ معنى الخصوصِيَّة؛ كأنه قيل: أم اتخذوا آلهةً لا يقدر على الإنشار إلَّا هُم وحدَهم.

وقرأ الحسن: "يَنْشُرون"، وهُما لغتان: أنشَر اللهُ المَوتى ونَشَرَها.

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾

وُصِفت ﴿ءَالِهَةٌ﴾ بـ﴿إِلَّا﴾ كمَا توصَفُ بـ"غير" لو قيل: "آلهةٌ غيرُ الله".

فإن قلتَ: ما مَنَعَك من الرفع على البدل؟

قلتُ: لأن ﴿لَوْ﴾ بمنزلةِ "إنْ" في أنَّ الكلام معه موجَبٌ، والبدلُ لا يَسُوغُ إلَّا في الكلام غير الموجَب؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ [هود ٨١/١١]؛ وذلك لأن أعمَّ العامِّ يصحُّ نفيُه ولا يصحُّ إيجابه.

قوله: (**مِن بعض جواهر الأرض**) كالشَّبَه والصُّفْر.[١]

قوله: (**قلت: النكتة**)... إلخ قال رحمه الله:[٢] فيه رمز إلى أنّ المختصّ بالإنشار هو وحده، مع التهكُّم بآلهتهم.

قوله: (**وذلك لأنّ أعمّ العامّ**) هذا إشارة إلى تعليل أنّ البدَل لا يَسوغ إلّا في الكلام غير الموجَب، وتقريره: أنّه لو صحّ حمْل هذا على البدل لرَجع المعنى إلى قولنا: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾، إذ المبدَل منه في حكم الطرح،

---

١ الشَّبه: ضرب مِن النحاس. والصُفْر بالضمّ: الذي تُعمَل منه الأواني. **الصحاح** للجوهري، «شبه» «صفر».

٢ ف ن: رضي الله عنه.

والمعنى: لو كان يتولّاهما ويُدبِّر أمرَهما آلهةٌ شتَّى غيرُ الواحد الذي هو فاطرُهما لفسَدتا، وفيه دلالةٌ على أمرين:

أحدهما: وجوبُ أنْ لا يكون مدبِّرُهما إلَّا واحدًا.

والثاني: أنْ لا يكون ذلك الواحدُ إلَّا إياه وحدَه؛ لقوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

فإن قلتَ: لِمَ وجَب الأمران؟

قلتُ: لعِلْمِنا أنَّ الرَّعيَّة تَفسُدُ بتَدبير المَلِكيْنِ؛ لِمَا يَحدُث بَينهما من التغَالُب والتناكُر والاختلاف.

وعن عبد الملك بن مَرْوان حين قتَل عَمرَو بن سَعيد الأَشْدَق: "كان واللهِ أعَزَّ عَليَّ من دَمِ نَاظِرِيَّ؛ ولكنْ لا يَجتمعُ فحْلانِ في شَولٍ"، وهذا ظاهِرٌ.

[١٤٠ظ] وأمّا في النفي فلا بأس، إذ يكون معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ﴾... / إلخ: ولا يلتفت منكم إلّا امرأتَك، ولا فساد فيه. والحاصل: أنّ الاستثناء مِن أعمّ العامّ، في طرف الإثبات ممتَنع، وفي طرف النفي غير ممتنع، نحو[١] أن تقول: ما في الدار إلّا زيد، ولا يصحّ أن تقول: كان في الدار إلّا زيد، أي: في الدار جميع الأشياء إلّا زيد، وهو ممتنع.

قوله: **(والثاني: أن لا يكون)**... إلخ؛ وذلك لأنّه تعالى لمّا قال: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ولم يقل: إلّا واحد؛ فُهِم منه ذلك المعنى.

قوله: **(إلّا إيّاه وحده)** "وحدَه" هنا بمنزلة قولك: تعالى، وعزّ وجلّ. وقوله: **(لقوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾)** حيث لم يقل: إلّا واحد.

قوله: **(قلت:[٢] لِعلمنا)** بيان الأوّل. وقوله: **(الأشدَق)** أي: الواسع الفَم.

قوله: **(في شَوْل)** الشَول: النُوق التي جفَّ لبنها، وارتفع ضَرعها، ومضى عليها مِن نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية، الواحدة: شائلة، وهو جمع على غير القياس.

---

[١] ن: يجوز.

[٢] ن - قلت.

وأما طريقةُ التمانُع فللمتكلِّمين فيها تجَاوُلٌ وطِرادٌ؛ ولأن هذه الأفعالَ محتاجةٌ إلى تلك الذات المتميّزة بتلك الصِّفات حتى تَثْبُتَ وتَستقرَّ.

﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾

إذا كانت عَادةُ الملوك والجبابرة أن لا يَسألَهُم مَن في مَلَكَتهم عن أفعَالِهِم وعمَّا يُورِدون ويُصْدِرون مِنْ تَدْبير مُلكِهم ....

قوله: (ولأنّ بيان هذه الأفعال) بيان الثاني.

قوله: (بتلك الصفات) متعلق بقوله: (المتميّزة)، وهذا إشارة إلى ما ذهب إليه المعتزلة؛ وهو أنّ ذاته تعالى يساوي[١] سائر[٢] الذوات[٣] في كونه ذاتًا، إذ المعنى بالذات ما يصحّ أن يُعلم ويُخبَر عنه، وهو مشترَك،[٤] ويخالفه بالأحوال الأربعة: الموجوديّة، والحييّة،[٥] والعالِميّة، والقادريّة، وهذا قول أكثرهم، وأثبت أبو هاشم حالةً خامسةً، قال: وهي الألوهيّة؛ علّة للأحوال الأربعة مميّزة للذات، وأمّا أهل السنة والجماعة فيقولون: ذاته تعالى يخالف سائرَ الذوات في كونه ذاتًا، أي: حقيقته لا تماثل غيره، ويمنعون أنّ معنى الذات ما يصح أن يُعلم ويُخبر عنه؛ لجواز أن يكون هذا المفهوم أمرًا عارضًا لما صدَق عليه، واشتراك العوارض لا يستلزم اشتراك المعروضات وتماثلها، وتحقيق هذه المسألة مذكورة في الكتب الكلاميّة.

قوله: (تَثْبُت وتستقرُّ) يجوز أن يكونا بمعنى واحد، ويجوز أن يكون الثبات بمعنى الوجود، والاستقرار بمعنى الاستمرار.

قوله: (مَلَكَتِهم) المَلَكَة بالتحريك: المِلك، يقال: فلان حسنُ المَلَكة، إذا كان حسَنَ الصُنع إلى مماليكه، وفلان سيء الملَكَة، على ضدّ ذلك، وفي الحديث: «لا يدخل الجنّة سيّء المَلَكة».[٦]

---

١ ف: تساوي.
٢ ن - سائر.
٣ ن: الذواب.
٤ ن: مشكل.
٥ ن: حبيّة.
٦ **سنن الترمذي**، ٣/٣٩٨ (١٩٤٦).

والمعنى: لو كان يتولّاهما ويُدبّر أمرَهما آلهةٌ شتّى غيرُ الواحد الذي هو فاطرُهما لفسَدتا، وفيه دلالةٌ على أمرين:

أحدهما: وجوبُ أنْ لا يكون مدبّرُهما إلّا واحدًا.

والثاني: أنْ لا يكون ذلك الواحدُ إلّا إياه وحدَه؛ لقوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

فإن قلتَ: لمَ وجَب الأمران؟

قلتُ: لعِلْمِنا أنَّ الرَّعيَّة تَفسُدُ بتَدبير المَلِكيْنِ؛ لِمَا يَحدُث بَينهما من التغالُب والتناكُر والاختلاف.

وعن عبد الملك بن مَرْوان حين قتَل عَمرَو بن سَعيد الأَشْدَق: "كان واللهِ أعَزَّ عَليَّ من دَمِ نَاظِريَّ؛ ولكنْ لا يَجتمعُ فحْلانِ في شَولٍ"، وهذا ظاهِرٌ.

[١٤٠ظ] وأمّا في النفي فلا بأس، إذ يكون معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ﴾... / إلخ: ولا يلتفت منكم إلّا امرأتَك، ولا فساد فيه. والحاصل: أنّ الاستثناء مِن أعمّ العامّ، في طرف الإثبات ممتَنع، وفي طرف النفي غير ممتنع، نحو[١] أن تقول: ما في الدار إلّا زيد، ولا يصحّ أن تقول: كان في الدار إلّا زيد، أي: في الدار جميع الأشياء إلّا زيد، وهو ممتنع.

قوله: (**والثاني: أن لا يكون**)... إلخ؛ وذلك لأنّه تعالى لمّا قال: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ولم يقل: إلّا واحد؛ فُهِم منه ذلك المعنى.

قوله: (**إلّا إيّاه وحده**) "وحدَه" هنا بمنزلة قولك: تعالى، وعزّ وجلّ. وقوله: (**لقوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾**) حيث لم يقل: إلّا واحد.

قوله: (**قلت:**[٢] **لِعلمنا**) بيان الأوّل. وقوله: (**الأشدَق**) أي: الواسع الفَم.

قوله: (**في شَوْل**) الشَولُ: النُّوق التي جفَّ لبنها، وارتفع ضَرعها، ومضى عليها مِن نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية، الواحدة: شائلة، وهو جمع على غير القياس.

---

[١] ن: يجوز.

[٢] ن - قلت.

وأما طريقةُ التمانُع فللمتكلِّمين فيها تجَاوُلٌ وطِرادٌ؛ ولأن هذه الأفعالَ محتاجةٌ إلى تلك الذات المتميِّزة بتلك الصِّفات حتى تَثبُتَ وتَستقرَّ.

﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ۝٢٣﴾

إذا كانت عَادةُ الملوك والجبابرة أن لا يَسألَهُم مَن في مَلَكَتهم عن أَفعَالِهِم وعمَّا يُورِدون ويُصْدِرون مِنْ تَدْبير مُلكِهم ....

قوله: (ولأنّ بيان هذه الأفعال) بيان الثاني.

قوله: (بتلك الصفات) متعلق بقوله: (المتميّزة)، وهذا إشارة إلى ما ذهب إليه المعتزلة؛ وهو أنّ ذاته تعالى يساوي[١] سائر[٢] الذوات[٣] في كونه ذاتًا، إذ المعنى بالذات ما يصحّ أن يُعلم ويُخبَر عنه، وهو مشترَك،[٤] ويخالفه بالأحوال الأربعة: الموجوديّة، والحيَيّة،[٥] والعالِميّة، والقادريّة، وهذا قول أكثرهم، وأثبت أبو هاشم حالةً خامسةً، قال: وهي الألوهيّة؛ علّة للأحوال الأربعة مميّزة للذات، وأمّا أهل السنة والجماعة فيقولون: ذاته تعالى يخالف سائرَ الذوات في كونه ذاتًا، أي: حقيقته لا تماثل غيره، ويمنعون أنّ معنى الذات ما يصح أن يُعلم ويُخبر عنه؛ لجواز أن يكون هذا المفهوم أمرًا عارضًا لما صدَق عليه، واشتراك العوارض لا يستلزم اشتراك المعروضات وتماثلها، وتحقيق هذه المسألة مذكورة في الكتب الكلاميّة.

قوله: (تَثبُت وتستقرُّ) يجوز أن يكونا بمعنى واحد، ويجوز أن يكون الثبات بمعنى الوجود، والاستقرار بمعنى الاستمرار.

قوله: (مَلَكَتِهم) المَلَكَة بالتحريك: المِلك، يقال: فلان حسنُ المَلَكة، إذا كان حسَنَ الصُنع إلى مماليكه، وفلان سيء الملَكَة، على ضدّ ذلك، وفي الحديث: «لا يدخل الجنّة سيّء المَلَكة».[٦]

---

١ ف: تساوي.
٢ ن - سائر.
٣ ن: الذواب.
٤ ن: مشكل.
٥ ن: حيبّة.
٦ سنن الترمذي، ٣/٣٩٨ (١٩٤٦).

تَهيُّبًا وإجْلالًا مع جَواز الخطأ والزَّللِ وأنواع الفسَاد عليهم= كان مَلِكُ المُلوك ورَبُّ الأَرباب خالقُهُم ورَازقُهُم أَولى بأنْ لا يُسأَلَ عن أفعاله مع ما عُلِمَ واستقرَّ في العُقول من أنَّ ما يَفعَلُه كلَّهُ مفعُولٌ بدوَاعي الحكمة، ولا يجوز عليه الخطأُ ولا فِعلُ القبَائح.

﴿وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾؛ أي: هم مَملُوكونَ مُتعَبَّدُون خَطَّاؤُون، فما أخلقَهُم بأَن يُقَال لهُم: لِمَ فعَلتم؟ في كُلِّ شيء فعَلوهُ.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِيۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾

كرَّر ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ استِفظاعًا لشَأنِهم واستعظامًا لِكفرهم؛ أي: وصَفتُم اللهَ تعالى بأَن له شريكًا فهَاتُوا بُرهَانكم على ذلك: إمَّا من جهَةِ العَقْل وإمَّا من جهة الوحي، فإنكم لا تجِدُون كتابًا من كتب الأوَّلين إلَّا وتَوحيدُ الله وتَنزيهُه عن الأَنداد مدعوٌّ إليه، والإشراكُ به منهيٌّ عنه مُتوعَّدٌ عليه.

﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي﴾؛ ....

قوله: (تهيّبًا) مفعول له مِن فعل دلّ عليه "لا يسألهم"، كأنّه قيل: يَمنعون عن سؤالهم تهيّبًا، ولا يجوز أن يتعلّق بقوله: (يسألهم)؛ لفساد المعنى، فتأمّل.

قوله: (وربُّ الأرباب) الملائكة عند الحكماء يُسمَّون الأرباب؛ لفيضان أنوارهم إلى أرواح عالَم الخلق مِن الثقلَين، والله تعالى يُسمَّى ربَّ الأرباب؛ لاقتباس الملائكة أنوار الملكوت مِن قدس اللاهوت. وقوله: (خالقهم) بدل.

قوله: (فما أخلَقَهم!) للتعجّب.

قوله: (متوعَّد عليه فيه)[١] قوله: "فيه" ينازع[٢] فيه "مدعوّ" "منهيّ" "متوعَّد"، أي: لا تجد كتابًا إلّا وتوحيد الله مدعوّ إليه في ذلك الكتاب، وكذا تنزيهه، والإشراك به منهيّ عنه فيه، وكذا متوعَّد عليه فيه، ولا ضمير في "متوعَّد"

---

[١] سقط مِن مطبوع **الكشّاف** كلمة "فيه".
[٢] ن: تنازع.

أي: ﴿هَٰذَا﴾ الوحيُ الواردُ في معنى تَوحيدِ الله ونفيِ الشركاء عنه كما وَرَدَ عَلَيَّ فقَد وَرَدَ على جميع الأنبياء، فهو ذِكرٌ -أي: عِظَةٌ- للَّذين معي، يَعني: أُمتَهُ، وذِكرٌ لِلَّذين قبلي، يُرِيدُ أُمَمَ الأنبياء.

وقرئ: "ذكرٌ مَن معي وذكرٌ مَن قبلي" بالتَّنوين، و"مَن" مفعُولٌ مَنصُوبٌ بالذِّكر كقوله: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝ يَتِيمًا﴾ [البلد ٩٠/١٤-١٥] وهو الأصل، والإضافةُ من إضافةِ المَصدر إلى المفعول كقوله: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [الروم ٣٠/٢-٣].

ورُوي: "مِن مَعِي" و"مِن قَبْلي" على "مِن" الإضافيَّةِ في هذه القراءةِ، وإدخالُ الجارِّ على "مع" غريبٌ، والعُذرُ فيه: أنَّه اسمٌ هو ظرفٌ نحو: قبلُ وبعدُ وعندَ ولَدُنْ وما أشبَه ذلك، فدَخل عليه "مِن" كما يَدخل على أخواته.

و"مدعوّ" و"منهيّ"، بل هي مستندة إلى الظروف التي بعدها. وقوله: (**فهو ذكر**) أي: "الوحي الوارد"... إلخ ذكر.

قوله: (**وقرئ: ﴿ذِكْرٌ مَن مَّعِىَ﴾**) في الشاذّ.[1]

قوله: / (**وروي: ﴿مِن مَّعِىَ﴾**) هذه القراءة شاذّة أيضًا،[2] وهي بتنوين ﴿ذِكْرٌ﴾ [١٤١و]
وكسر ﴿مِن﴾ فيهما، قال أبو الفضل المَيدانيّ: «'مَعَ' بالتحريك اسم، يقال: جئتُ مِن مَعِه، أي: مِن عنده، و'معْ' بالسكون حرف».[3]

قوله: (**أنّه اسم**) أي: أنّ "معَ" اسم.

قوله: (**نحو: قبل وبعد**)... إلخ هذه الظروف بالسكون على وجه التعديد أفصح.

---

١ لم أجدها كذلك في ما وقفت عليه من كتب القراءات.

٢ انظر: **المحتسب** لابن جنّي، ٦١/٢.

٣ قال ابن هشام: «'مع' اسم، بدليل التنوين في قولك: "معًا"، ودخول الجارّ في حكاية سيبويه: ذهبت مِن معه، وقراءة بعضهم: ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مِن مَّعِىَ﴾، وتسكين عينه لغة غنم وربيعة، لا ضرورة، خلافًا لسيبويه، واسميّتها حينئذٍ باقية، وقول النحاس: 'إنّها حينئذ حرف بالإجماع' مردود». **مغني اللبيب** لابن هشام، ص ٤٣٩.

وقرئ: "ذكرٌ معي وذكرٌ قبلي"؛ كأنَّه قيل: بل عندهم ما هو أصلُ الشَّرِّ والفسَاد كلِّه، وهو الجهلُ وفقدُ العِلم، وعدَمُ التَّمييز بين الحقِّ والباطل، فمِن ثَمَّ جاء هذا الإعراضُ ومِن هُناك ورَد هذا الإنكارُ.

وقرئ: "الحقُّ" بالرفع على تَوسيط التوكيد بين السبب والمسبَّب، والمَعنى: أنَّ إعْراضَهم بسَبب الجَهل هو الحقُّ لا الباطلُ.

ويجوز أن يكون المنصوبُ أيضًا على هذا المعنى؛ كما تقول: هذا عَبْدُ الله الحقَّ لا الباطلَ.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾

﴿يُوْحَى﴾ و﴿نُوحِي﴾: مشهورَتان، وهذه الآيةُ مُقرِّرَةٌ لِمَا سَبقها من آيِ التَّوحيد.

قوله: (وقرئ: "ذكرٌ[1] مَعي") شاذّة.[2]

قوله: (بين السبَب والمسبَّب) السبب:[3] ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾، والمسبّب: ﴿فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾، و﴿ٱلْحَقُّ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي: هو الحقّ.[4] وقوله: (بسبب الجهل) خبر "أنّ". وقوله: (هو الحقّ) جملة مؤكِّدة كما ذكر، كما تقول: زيد قائم هو الحقُّ. ويظهر لك مِن هذا أنّ مَن كتب في الحاشية: «أي: الحكم بأنّ إعراضَهم بسبب الجهل حقٌّ» لم يتحقَّق معنى كلام المصنِّف، فإنّه ظنّ أنّ[5] "بسبب" متعلِّق بـ"إعراضهم"، فلم يستقم له المعنى، فقدَّر ما قدَّر،[6] فكأنّه قال: إعراضهم بسبب الجهل، ثم قال: هذا الكلام حقّ لا باطل.

قوله: (على هذا المعنى) أي: جملة مؤكِّدة.

---

[1] ف + مَن.

[2] انظر: **مختصر شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ٩٤.

[3] ف + فهم.

[4] قراءة الرفع شاذّة. انظر: **المحتسب** لابن جنّي، ٦١/٢.

[5] ن: أنه.

[6] قال الطيبي: «وقول من قال: الحكم بأن إعراضهم بسبب الجهل حقٌّ، يُحملُ على تلخيص المعنى كما مرّ آنفًا أن قوله: هو الحق معترضٌ لتأكيد الحكم، لا أنّه عمد به إلى أن يبيّن تعلّق قوله: "بسبب الجهل" بقوله: "بإعراضهم" كما توهم». **حاشية الطيبي على الكشّاف**، ٣٢٩/١٠.

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾

نزلت في خزاعةَ حيث قالوا: الملائكةُ بناتُ الله.

نزَّه ذاتَه عن ذلك ثم أخبَر عَنْهُم بأنَّهم عبَادٌ والعبُوديَّةُ تُنافِي الولادةَ، إلَّا أنَّهم ﴿مُكْرَمُونَ﴾: مقرَّبُون عندي مُفضَّلون على سائر العبَاد؛ لِمَا هُم عليه من أحوالٍ وصفاتٍ ليست لغيرهم، فذلك هو الَّذي غرَّ منهم مَن زَعم أنَّهم أوْلادِي تعَالَيتُ عن ذلكِ عُلوًّا كبيرًا.

وقرئ: "مُكرَّمون" و: "لا يَسْبُقونه" بالضَّم من: سابَقْتُه فسبَقْتُه أَسبُقهُ.

﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾

والمعنى: أنَّهم يَتَّبعُون قولَه ولا يقولون شيئًا حتَّى يقولَه، فلا يَسبقُ قولُهم قولَهُ. والمراد: "بقَولهم"، فأُنِيبَ اللامُ منابَ الإضافة؛ أي: لا يتقَدَّمون قولَهُ بقولهم؛

قوله: (قالوا: الملائكة بنات الله) عن بعض الكفرة: صاهَرَ الله تعالى[١] سَروَات الجنّ فولدَتْ له الملائكة.

قوله: (غرَّ منهم) "مِن" بيان "مَن زعم"، أو للتبعيض، و"مَن زَعَم" مفعول "غَرَّ".

قوله: (قرئ: ﴿مُكَرَّمُونَ﴾ و﴿لَا يَسْبِقُونَهُ﴾) هما مِن الشواذّ.[٢]

قوله: (فلا يسبق قولهم) إشارة إلى أنّ الباء في ﴿بِٱلْقَوْلِ﴾ للتعدية، فيكون المعنى: يُصيّرون قولهم سابقًا قولَهُ، فيكون الفاعل في المعنى مفعولًا للتصيير، فاعلًا لأصل الفعل.

قوله: (مناب الإضافة) كقوله: ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ [ص ٣٨/٥٠]، أي: أبوابها. وقوله: ﴿وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [الحج ٢٢/٣٥]، أي: مقيمي صلاتهم.

قوله: (أي: لا يتقدّمون قولَه) جعل "تقدّم" متعدّيًا إلى واحد، وعدّاه بالباء إلى اثنين، ولم نجد في كتب اللغة؛ لكنّا نجعل تركيبَه بمنزلة نقله.

---

[١] ن - تعالى.

[٢] انظر: **مختصر شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ٩٤.

كما تَقُول: سبَقْتُ بفرَسي فرسَهُ.

وكما أنَّ قولهم تابعٌ لقَوله فعمَلُهم أيضًا كذلك مَبنيٌّ على أمره: لا يَعملون عملًا ما لم يُؤمَرُوا به.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾

وجميعُ ما يأتُونَ ويَذَرُون ممَّا قدَّمُوا وأَخَّروا بعَين الله وهو مُجازيهِم عليه، فلإحاطتهم بذلك يَضبطُون أنفسَهُم ويُراعُونَ أحَوالَهم ويَعْمُرون أَوقاتهم.

ومِن تحَفُّظِهم: أنهم لا يَجسُرونَ أن يَشفَعُوا إلَّا لمَن ارتضَاه الله وأهَّله للشَّفاعة في ازديَاد الثواب والتَّعظيم، ثم إنَّهم مع هذا كلِّه من خشيَةِ الله ﴿مُشْفِقُونَ﴾؛ أي: مُتوقِّعُون من أمَارةٍ ضعيفة، كائنُون على حَذَرٍ ورِقْبةٍ لا يأمنُون مكرَ الله تعالى.

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنَّه رأى جبريلَ ليلةَ المعراج ساقِطًا كالحِلْس من خشيَة الله.

قوله: (**سبقتُ بفرسي فرسَه**) أي: جعلت فرسي سابقًا فرسَه.

قوله: (**بعين الله**) أي: مُلتبس برؤية الله تعالى.

قوله: (**في ازدياد الثواب**) أجراه على مذهبه؛ لأنَّ مِن[١] مذهبه أنَّه لا شفاعة لأهل الكبائر؛ بل إنَّما تكون الشفاعة لازدياد ثواب المحسنين، وأمّا نحن أهلَ السنة فنجوّز الشفاعة لأهل الكبائر؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «شفاعتي لأهل الكبائر مِن أمّتي».[٢]

قوله: (**ورِقبة**) الرِّقْبة: الخوف.

قوله: (**كالحِلس**) الحِلس: كساء رقيق يكون تحت البِرذَعة،[٣] وهي كساء يلقى تحت الرَحْل.[٤]

---

١ ن – من.

٢ سنن أبي داود، ١٩/٧ (٤٧٣٩)؛ سنن الترمذي، ٢٠٣/٤ (٢٤٣٥).

٣ ن: البردعة.

٤ هذه الحاشية وقعت في د في الهامش.

﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

وبعد أن وصَفَ كرامَتهم عليه وقُرْبَ منزلتهم عندَهُ وأثنى عليهم وأضاف إليهم تلك الأفعالَ السَّنيَّةَ والأعمالَ المرضيَّة، فاجَأَ بالوَعيدِ الشَّديد وأَنذرَ بعَذاب جهنَّم مَن أشرَكَ منهم إن كان ذلك على سبيل الفَرْض والتَّمثيل مع إحاطة عِلْمهِ بأنَّه لا يكون؛ كما قال: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام ٦/٨٨]، قصَد بذلك تفظيعَ أمرِ الشِّرك وتعظيمَ شأن التَّوحيد.

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾

قرئ: ﴿أَلَمْ يَرَ﴾ بغيرِ وَاوٍ، و: "رَتَقًا" بفتحِ التَّاء، وكلاهما في مَعنى المفعول كالخَلْقِ والنَّفَضِ؛ أي: كانَتا مَرتوقَتين.

فإن قلتَ: الرَّتْقُ صالحٌ أَنْ يقع مَوقعَ مَرتُوقَتَين؛ لأنَّه مصْدَرٌ، فما بالُ الرَّتَق؟

قلتُ: هو على تقدير موصوفٍ؛ أي: كانتَا شيئًا رَتَقًا، ومعنى ذلك: أَنَّ السَّماء كانت لاصقَةً بالأرض لا فَضَاءَ بينَهما.

قوله: (**قرئ: ﴿أَلَمْ يَرَ﴾ بغير واو**) ﴿أَلَمْ يَرَ﴾ بغير الواو مِن السبعة، كما بالواو.[١]

قوله: (**والنَّفَض**) النَّفَض: ما يسقط عن الشجر عند النَّفْض.

قوله تعالى: ﴿رَتْقًا﴾ الرَّتْق: السدّ مِن حدّ "دخل"، رتقتُ الشيء فارتتَقَ، أي: تلاءم. والفَتْق: الشقُّ مِن حدِّ "دخل".

قوله: (**لا فضاءَ بينهما**) عن الحسَن: «خلق الله الأرض في موضع بيتِ المقدس على هيئة الفِهْر، عليها دخان لازق بها، فأصعد الدخان وخلق منه السماوات، وأمسك الفِهر في موضعها وخلق منه الأرض وبسطها، فذلك قوله تعالى: ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾».[٢]

---

[١] ف + ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾. | قرأ ابن كثير بغير واو، وقرأ باقي العشرة بالواو. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٣٢٣.

[٢] لم أجد مَن أسنده، وذكره الزمخشري في تفسير سورة البقرة، ٢/٢٩.

أو كانت السماواتُ مُتَلاصِقَاتٍ وكذلك الأَرضونَ لا فُرَجَ بَينها، ففتَقَها اللهُ وفَرَّجَ بينَها.

وقيل: فَفَتَقناهُما بالمَطرِ والنباتِ بَعْدَما كانت مُصْمَتةً، وإنَّما قيل: ﴿كَانَتَا﴾ دُون "كُنَّ"؛ لأنَّ المراد جماعةُ السماوات وجماعةُ الأرض، ونحوُه قولُهم: "لِقَاحَانِ سَوْداوَان"؛ أي: جماعتان، فُعِل في المُضمَر نحوُ ما فُعِل في المُظهَر.

فإن قلتَ: متى رَأَوْهُما رَتْقًا حتَّى جَاء تقريرُهُم بذلك؟

قلتُ: فيه وجهان:

أحدُهما: أنهُ واردٌ في القرآن الذي هو معجزةٌ في نفسه، فقام مَقام المرئيّ المُشَاهَدِ.

والثاني: أَنَّ تلاصُقَ الأرض والسَّماء وتَبَايُنَهما كلاهُما جَائزٌ في العَقل، فلا بدَّ للتَّبايُن دون التلاصُق من مُخصِّصٍ، وهو القديمُ سبحانه وتعالى.

﴿وَجَعَلْنَا﴾ لا يخلو أَنْ يَتَعدَّى إلى واحِدٍ أو اثنين: فإنْ تعدَّى إلى واحِدٍ فالمعنى: خَلَقْنَا من الماء كُلَّ حَيوان؛ كقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النور ٤٥/٢٤]،

قوله: **(مُصْمَتةً)** أي: مُطبقة لا فُرَجَ بينها ولا خلَل.

[١٤١ظ] قوله: **(ونحوه قولهم: لِقاحان سوداوان)** اللِّقاح بالكسر: / الإبل بأعيانها، الواحدة: لَقوح؛ وهي الحَلوب، مثل: قَلُوص وقِلاص، قال: إذا نُتِجت فهو لَقُوح شهرين أو ثلاثةً، ثم هي لَبُون بعد ذلك، وقولهم: لِقاحان سوداوان كما قالوا: قطيعان؛ لأنّهم يقولون: لِقاح واحدة، كما يقولون: قطيع واحد.

قوله: **(كقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ [النور ٤٥/٢٤])** وفي بعض النسخ: "﴿وَٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ [النور ٤٥/٢٤]"،[1] وهي قراءة حمزة والكسائيّ.[2]

---

[1] ن: دبة.

[2] ومعهما خلَف العاشر. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٢٩٨/٢.

أو كأنَّما خلقناه من الماء لِفَرْط احتِيَاجِه إليه وحُبِّهِ له وقِلةِ صَبْره عنه؛ كقوله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖ﴾ [الأنبياء ٣٧/٢١]، وإن تعدَّى إلى اثنين فالمعنى: صيَّرنا كلَّ شيءٍ حيّ بسَببٍ من الماء لا بُدَّ له منه.

و﴿مِنَ﴾ هذا نحوُ "من" في قوله عليه السلام: «ما أنا من دَدٍ ولا الدَّدُ مني».

قوله: **(أو كأنّما خلقناه)**... إلخ اعلم أنّ الكلام على هذا الوجه يكون مشتمِلًا على الاستعارة؛ شُبِّه جعل الله تعالى كلَّ شيء حيّ مُفرطَ الاحتياج إلى الماء مُحبًّا له قليلَ الصبر عنه بخلقه تعالى إيّاه مِن الماء، ثم قيل: ﴿جَعَلۡنَا﴾ أي: خلقنا، بمعنى: احتجناه إليه، فيكون استعارة مصرّحة تبعيّة؛ هذا إذا كان ﴿جَعَلۡنَا﴾ متعدّيًا إلى واحد، وأمّا إذا كان متعدّيًا إلى اثنين فالمعنى قريب مِن هذا المعنى الثاني، غير أنّه بطريق الحقيقة، فتأمّل.

قوله: **(بسببٍ مِن الماء)** يقال: هذا بسبب منه، أي: ملابسه ومخالطه[1] لا ينفكّ عنه، فوضع المصنِّف قوله: "بسببٍ مِن الماء" موضع قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلۡمَآءِ﴾ فـ"مِن" في قوله ليس بمعنى ﴿مِن﴾ في الآية؛ بل قوله: "بسببٍ مِن" بمثابة ﴿مِن﴾ في الآية، ويكون المعنى أنّه مُلابس لسببه، وإذا كان ملابسًا لسببه كان متّصلًا به لا محالة.

قوله: **(و"مِن" هذا نحو "مِن" في قوله عليه الصلاة والسلام)** "مِن" في محلّ المبتدأ، و"هذا" صفته، و"نحو" خبره، وقوله: (**«ما أنا مِن دَدٍ، ولا[2] الدَّدُ منّي»**)[3] أي: ما أنا مِن رجال دَدٍ، ولا الدَّدُ مِن أفعالي، أي: ما أنا لعبيٌّ، ولا الدَّدُ -أي: اللعِب- نبويّ، كقوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنبياء ٢١/٢١]، أي: آلهة أرضيّة، أي: جعلنا كلّ شيء رَطبًا مائيًا، قال في **الصِّحاح**: «جاء دَدًى، مثل: عصًا،[4] ودَدٌ مثل: دمٌ، ودَدَن مثل: حَزَن، والكلّ بمعنى: اللهو واللعِب».[5]

---

١ ن: ملابسة ومخالطة.
٢ ن - لا.
٣ **مسند البزّار**، ٣٤٥/١٢ (٦٢٣١)؛ **الأدب المفرد** للبخاري، ص ٢٧٤ (٧٨٥).
٤ ن: عصى.
٥ **الصحاح** للجوهري، «ددا».

....

قال أبو عليّ الفارسيّ رحمه الله[١] في **الحجّة**:

وممّا يجوز أن يكون "لا" فيه زائدة قول الشاعر:

ولا ينطِقُ الفحشاءَ مَن كان منهمُ إذا جلسوا منّا ولا مِن سَوائنا[٢]

فأمّا القول في "منّا" فإنّه يجوز أن يتعلّق بشيئين:

أحدهما: أن يكون: إذا جلسوا مخالطين لنا؛ لأنّ "منّا" قد استُعمل في هذا المعنى، ألا ترى[٣] أنّه قد قال: وتقول: أنت منّي فرسخين، والمعنى: أنت مُخالطي في هذه المسافة وملابسي، فيكون التقدير: إذا جلسوا مخالطين لنا ومخالطين سوانا، و"لا" زائدة.

والوجه الآخر: أن يكون "منّا" متعلّقًا بما قبله، كأنّه قال: مَن كان مِنهم منّا، فإن قيل: كيف يصحّ أن يكون: مَن كان منهم منّا؟ قيل:[٤] هذا يكون على وجهين:

أحدهما: أن يكون في معنى المخالطة والملابسة كما تقدّم، فيكون "منهم" مستقَرًّا، و"منّا" في موضع حال، ولا يكون "منّا" مستقرًّا ويكون "منهم" حالًا مِن قوله: "منّا"؛ لأنّ الحال لا يتقدّم على العامل إذا كان معنًى، فإن جعلتَ العامل في الحال كان جاز ذلك.

ويجوز أيضًا في قوله: "كان منهم منّا" أن يكون بينهم محالفة،[٥] فيجوز للحَلِف أن يقول: مَن كان منهم منّا؛ لأنّه يجوز -وإن كان من معنيّين[٦] آخرين- أن يقول:[٧] منّا للحَلِف، أي:[٨] للوَلاء، وقد جاء: «مَوالي القوم / منهم»،[٩] وعلى هذا قوله عليه الصلاة والسلام: «الأُذُنانِ مِن الرأس»،[١٠] [١٤٢و]

---

١ د - رحمه الله.

٢ للمرار بن سلامة العجلي في **خزانة الأدب** للبغدادي، ٤٣٨/٣.

٣ د: يرى.

٤ ف ن: قبل.

٥ في الأصول الخطّيّة: "مخالفة"، وصحّحته من الأصل.

٦ في **الحجّة**: "من معشر".

٧ ف - مَن كان منهم منّا؛ لأنّه يجوز -وإن كان من معنيّين آخرين- أن يقول.

٨ ف ن: أو.

٩ **سنن الترمذي**، ٣٩/٢ (٦٥٧).

١٠ **سنن أبي داود**، ٩٤/١ (١٣٤)؛ **سنن الترمذي**، ٩٣/١ (٣٧).

وقرئ: "حيًّا" وهو المفعولُ الثاني والظرفُ لغوٌ.

﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾﴾

أي: كراهةَ ﴿أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ وتَضطربَ، أو: لِأَنْ لا تميدَ بهم فحُذِفَ "لا" واللامُ، وإنما جاز حذف "لا" لِعدَم الإلباس كما تُزادُ لذلك في نحو قوله تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الحديد ٢٩/٥٧]، وهذا مذهب الكوفيّين.

وقال عزّ وجلّ: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [التوبة ٦٧/٩]، أي: بعضهم يُلابس بعضًا ويوالي بعضًا، وليس المعنى على النسل والولادة؛ لأنّه قد يكون مِن نَسل المنافق مؤمن، ومِن نَسل المؤمن منافق، كقوله[1] تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة ٧١/٩]، قال:

إذا حاولْتَ في أسَدٍ فُجورًا فإنّي لستُ منكَ ولستَ منّي[2]

وقال جَرير:

عَرينٌ مِن عُرَينةَ ليس منّي بَرِئْتُ إلى عُرَينةَ مِن عَرينِ[3]

هذا هو المذكور في **الحجّة**،[4] عرين: بطن مِن بني تميم، وعُرينة: بطن مِن بجيلة، وبجيلة: حيّ من اليمن.

قوله: (**والظرف لغو**) أراد الجارّ والمجرور، والجارّ والمجرور في حكم الظرف؛ لأنّه يُقدَّر معهما الفعل كما يقدَّر في الظرف، وعلى هذا يكون "مِن" متعلِّقًا بقوله: "حيًّا"، فلذلك جعله لغوًا، أي: جعلنا كلّ شيء حيًّا مِن الماء، أي: يحيَى به ويعيش به.

قوله: (**كراهةَ أن تميدَ بهم**) مادَ الشيء يَميدُ مَيدًا: تحرّك، ومادت الأغصان: تمايلتْ.

قوله: (**كما تزاد لذلك**) أي: لعدَم الإلباس.

---

١ ف: لقوله.

٢ للنابغة الذبياني في ديوانه، ص ١٢٧.

٣ **ديوان جرير**، ٤٢٩/١.

٤ **الحجّة** لأبي عليّ الفارسي، ٢٣٢/١-٢٣٤.

"الفجُّ": الطَّريقُ الواسعُ.

فإن قلتَ: في الفِجَاج معنى الوصفِ، فما لها قُدِّمتْ على السُّبل ولم تُؤخَّر كما في قوله تعالى: ﴿لِتَسْلُكُواْمِنْهَاسُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح ٧١/٢٠].

قلتُ: لَم تُقدَّمْ وهي صفةٌ؛ ولكِنْ جُعلت حالًا كقوله:

لـــعـــزَّةَ مُـــوحِـــشًـــا طـــلَـــلٌ قـــديـــمٌ

فإن قلتَ: ما الفرقُ بينهما من جهةِ المعنى؟

قلتُ: **أحدهما**: إعلامٌ بأنَّه جَعل فيها طُرُقًا واسعةً.

والثاني: بأنه حين خلقَها خَلقَها على تلك الصفة، فهو بيانٌ لِمَا أُبهم ثمَّةَ.

قوله: (**فإن قلت: في الفِجاج معنى الوصف**) الفَجُّ: الطريق الواسع، والجمع: فِجاج، وإنّما قال: "في الفِجاج معنى الوصف"، ولم يقل: هو وصف؛ لأنّه ليس مشتقًّا مِن الفعل.

قوله:

(**لــعَــزَّةَ مــوحــشًــا طَــلَــلٌ قَــديــمُ**)

تمامه:

عَــفــاه كــلُّ أسْــحَــمَ مُــســتــديــمُ[١]

العفاء: الدروس والهلاك. والأسحم:[٢] الغيم الأسود لكثرة مائه. مذهب الكوفيّين والأخفش: أنّ "طَلَل" فاعل "لَعزَّةَ"؛ فإذن يكون الحال مقدّمة على ذي الحال النكرة. ومذهب سيبويه: أنّ ذا الحال هو الضمير المستتر في "لعَزّةَ"، و"طلل" مبتدأ، وتقديره: طلل قديم حاصل لعزّة مُوحشًا، فلا يكون الحال مقدَّمة على ذي الحال النكرة، فثبت أنّ التمثيل به لا يصحّ إلّا على مذهب الكوفيين والأخفش.

قوله: (**فهو بيان لما أُبهم ثمّة**) أي: قوله: ﴿فِجَاجًاسُبُلًا﴾ بيان لما أُبهِم في قوله: ﴿سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح ٧١/٢٠]؛ لأنّ ﴿سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح ٧١/٢٠] يحتمل أن يكون

---

١ لكُثيِّر عزّة، ومنهم من يرويه لذي الرُّمّة بلفظ: "لميّة موحشًا"... انظر: **ديوان كثيِّر عزّة**، ص ٥٣٦.

٢ ن: الأشحم.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿مَّحْفُوظًا﴾ حَفِظَهُ بالإمساك بقدرته من أن يقعَ على الأرض ويتزلزلَ، أو بالشُّهْب عن تَسَمُّع الشَّياطينِ على سُكَّانِه من الملائكة.

﴿عَنْ ءَايَٰتِهَا﴾؛ أي: عمَّا وَضَع اللهُ فيها من الأدلَّة والعِبَر بالشَّمس والقَمر وسائر النَّيِّراتِ، ومسائرِها وطلُوعِها وغروبها على الحساب القويم والترتيبِ العجيب الدَّالِّ على الحكمة البالغة والقدرةِ الباهرة، وأيُّ جهلٍ أعظَمُ مِن جَهْلِ مَن أَعْرضَ عنها ولم يذهَبْ به وهمُه إلى تدبُّرها والاعتبارِ بها، والاستدلالِ على عظمة شأنِ مَن أوجَدها عن عدَمٍ ودَبَّرها، ونصَبَها هذه النِّصبَةَ، وأودَعَها ما أَوْدَعَها ممَّا لا يَعرفُ كُنْهَه إلَّا هو عَزَّت قُدرتُه ولَطُف عِلْمُه.

وقرئ: "عن آيَتِها" على التَّوحِيدِ؛ اكتفاءً بالواحدة في الدلالة على الجنس.

أي: هم مُتَفَطِّنونَ لِمَا يَرِدُ عليهم من السماءِ من المنافِع الدُّنيوية كالاستضاءة بقمرَيهَا والاهتداء بكواكبها وحياةِ الأرضِ والحيوانِ بأمطارها، وهُم عن كونها آيةً بيِّنةً على الخالق ﴿مُعْرِضُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿كُلٌّ﴾ التَّنوينُ فيه عوضٌ من المضاف إليه؛ أي: كلُّهم ﴿فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾

حين خلقها خلقها فِجاجًا، وأن لا يكون كذلك، وقوله: ﴿فِجَاجًا سُبُلًا﴾ يدلّ -لِتقدّم ﴿فِجَاجًا﴾- على أنّه حين خلقها خلقها فجاجًا؛ وذلك لأنّ الحال يدلّ على تقيّد[١] الفعل المذكور بالحال، فيدلّ على أنّه تعالى حين خلقها خلقها فجاجًا.

قوله: **(أو بالشُّهْبِ)** الشُهْب: كرُسْل ورُسُل.

قوله: **(هذه النِصْبة)** أي: نوعًا مِن النَصْب، أي: نوع منه عجيب كالرِّكْبة والجِلْسة.

---

[١] ن: تقييد.

والضميرُ للشمسِ والقَمر، والمرادُ بهما جنسُ الطَّوالِع كُلَّ يومٍ وليلةٍ، جَعلوها متكاثرةً لتكَاثُر مَطَالِعِها، وهو السبب في جَمعهما بالشموس والأقمار، وإلَّا فالشمسُ واحدةٌ والقمرُ واحدٌ، وإنما جُعل الضَّمير واوَ العقلاء للوَصْفِ بفعلهم وهو السِّبَاحةُ.

فإن قلتَ: الجملةُ ما محلُّها؟

قلتُ: محلُّها النصبُ على الحالِ من "الشمس والقمر".

فإن قلتَ: كيف استُبِدَّ بهما دون "اللَّيل والنهار" بنَصب الحال عنهما؟

قلتُ: كما تقول: "رأيتُ زيدًا وهندًا مُتَبَرِّجَةً" ....

قوله: **(والضمير للشمس)**... إلخ لمّا ذكر أنّ التقدير: كلّهم، أشار إلى أنّه إنّما جمع الشمس والقمر باعتبار المطالع، فكأنّ الشمس الطالعة كلَّ يوم غير الشمس الطالعة في يوم آخر، ولذلك قال: **(جنس الطوالع[١] كلّ يوم)**، وكذا القمر الطالع في كلّ ليلة غير القمر الطالع في ليلة أخرى، ثم بيَّن ذلك بقوله: **(جعلوها)**... إلخ.

قوله: **(وهو السبب)** أي: جعْلُها متكاثِرة لتكاثر مطالِعِها هو السبب في جمع الشمس بالشموس والقمر بالأقمار، وإلّا[٢] وإن لم يعتبر هذا السبب لم يصحّ جمع الشمس ولا جمع القمر؛ لأنّ الشمس واحدة والقمر واحد.

قوله: **(للوصف)** أي: لوصف الشمس والقمر.

[١٤٢ظ] قوله: / **(فإن قلت: كيف استُبدّ بهما؟)** أي: بالشمس والقمر، الباء في "بهما" للتعدية، تقول: استبدَّ زيد بهذا الأمر، ثم تُدخل باء التعدية، وتقول: استبدَدتُ بزيد بهذا الأمر، وإن شئتَ بَنَيْتَه للمفعول[٣] وقلت: استُبدّ بزيد بهذا الأمر، وكذا تقول[٤] فيما نحن فيه؛ الأصل: استبدّ الشمس والقمر بنصب الحال عنهما، ثم أُدخل فيهما باءُ التعدية، فصار كما ترى.

---

١ ن: المطالع.
٢ ف ن + أي.
٣ ن: للمعول.
٤ ف: نقول.

ونحوُ ذلك، إذا جِئتَ بصفَةٍ يختصُّ بها بعضُ ما تعَلَّق به العاملُ، ومنه قولُه تعالى في هذه السورة: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ [الأنبياء ٢١/٧٢].

أو لا محلَّ لها لاستئنافها.

فإن قلتَ: لكلِّ واحدٍ من القمرين فَلَكٌ على حِدَةٍ، فكيفَ قيل: جميعُهم يَسبحُون في فَلَكٍ؟

قلتُ: هذا كقولهم: "كساهُمُ الأميرُ حُلَّةً وقلَّدَهم سيفًا"؛ أي: كلَّ واحد منهم، أو: كَسَاهم وقَلَّدهم هذين الجِنسَين، فاكتُفي بما يدلُّ على الجنس اختصارًا؛ ولأنَّ الغرض الدَّلالةُ على الجنس.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾

كانوا يُقَدِّرون أنه سيموتُ فيشمَتُونَ بموته، فنفَى اللهُ عنه الشَّمَاتةَ بهذا؛ أي: قضَى اللهُ أن لا يخلِّدَ في الدنيا بشرًا، فلا أنت ولا هم إلَّا عرضةٌ للمَوت، فإذا كان الأمر كذلك فإن مِتَّ أنت أَيبقَى هؤلاء؟ وفي مَعناه قولُ الفرزدق:

قوله: **(ويجوز ذلك)**[1] يعني: إنّما يجوز اختصاص المعطوف دون المعطوف عليه مثلًا بالحال إذا جئت في الحال بصفة يختصّ بذلك المعطوف، مثل: ﴿يَسْبَحُونَ﴾؛ إذ مِن الظاهر المعلوم أنّ السباحة في الفلك إنّما تكون للشمس والقمر دون الليل والنهار، ومثل: ﴿نَافِلَةً﴾ [الأنبياء ٢١/٧٢]؛ لأنّ إسحاق[2] ليس نافلة. وقوله: **(بعضُ ما تعلّق به العامل)** إشارة إلى أنّه لمّا تعلّق العامل بجميع المعمولات لا يجوز أن يقيّد العامل بالحال باعتبار بعض المعمولات دون بعض مِن غير قرينة.

قوله: **(يُقدِّرون أنّه)** أي: أنّ النبيّ عليه الصلاة والسلام. وقوله: **(فيَشمَتون)** يقال: شَمِت -بالكسر- يَشمَتُ شماتةً.

---

[1] في مطبوع الكشّاف: "ونحو ذلك".

[2] ف: استحق.

فـقُـلْ لـلـشَّـامِـتـيـنَ بـنـا أَفِـيـقُـوا   سَـيَـلـقـى الـشَّـامـتُـون كـمـا لَـقِـيـنَـا

أي: نختَبِرُكم بما يَجب فيه الصَّبرُ من البلايا، وبما يجبُ فيه الشكرُ من النِّعَم، وإلينا مرجعُكم فنجازيكم على حسَب ما يُوجد منكم من الصبر أو الشكر، وإنما سمَّى ذلك ابتلاءً وهو عالِمٌ بما سيكون من أعمالِ العاملين قَبل وجودهم؛ لأنه في صورة الاختبار.

و﴿فِتْنَةً﴾ مَصْدرٌ مؤكِّدٌ لـ"نَبلوكم" من غير لفظه.

﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾

الذِّكرُ يكونُ بخيرٍ وبخلافِه، فإذا دَلَّت الحالُ على أحدهما أُطلِقَ ولَم يقيَّد؛ كقولك للرجل: "سمعتُ فلانًا يَذكُرُكَ"، فإنْ كان الذَّاكِرُ صَديقًا فهو ثناءٌ وإن كان عَدوًّا فَذمٌّ.

ومنه قولُه تعالى: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ [الأنبياء ٦٠/٢١]، وقولُه: ﴿أَهَـٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ [الأنبياء ٣٦/٢١].

والمعنى: أنهم عاكفون بهمَمِهم على ذكرِ آلهتِهم وما يجبُ أنْ لا تُذْكَرَ به من كونهم شُفعَاء وشُهدَاء، ويَسُوؤهم أَن يَذكُرهَا ذاكرٌ بخلافِ ذلك، ....

قوله:

(فـقُـلْ لـلـشَّـامِـتـيـن)... الـبـيـتَ

قبله:

إذا مـا الـدَّهـر جـرَّ عـلـى أُنـاسٍ   كَـلاكِـلَـهُ أنـاخَ بـآخَـريـنـا[١]

قوله: (و﴿فِتْنَةً﴾ مصدر مؤكّد)... إلخ كأنّه قيل: نَبلوكم بَلوًا أو نفتنُكم فتنةً.

قوله: (بِهِمَمِهم) الباء للتعدية. وقوله: (مِن كونهم) بيان "ما".

[١] للفرزدق كما في عيون الأخبار لابن قتيبة، ١٣١/٣، ولم أجده في ديوانه.

وأمَّا ذكرُ الله وما يجب أن يُذكَرَ به من الوحدانيَّة فهُم به كافرُون لا يُصَدِّقُونَ به أَصْلًا، فَهُم أحَقُّ بأن يَتَّخذُوا هُزوًا منك، فإنَّك مُحقٌّ وهم مُبطلُون.

وقيل: مَعنى ﴿بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ قولُهم: ما نعرفُ الرحمنَ إلَّا مُسيْلمةَ، وقولُهم: ﴿وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا﴾ [الفرقان ٢٥/٦٠].

وقيل: ﴿بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾: بما أُنزل عليك من القرآن.

والجملةُ في مَوضع الحال؛ أي: يَتَّخِذُونكَ هُزُوًا وهُم عَلى حالٍ هي أصْلُ الهُزو والسُّخريَة وهي الكفر بالله.

﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ٣٧ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣٨﴾

كانوا يَستعجلون عذابَ الله وآياتِه المُلجئةَ إلى العِلم والإقرار ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ﴾ فأراد نهيَهم عن الاستعجال وزَجْرَهُم فقدَّمَ أوَّلًا ذمَّ الإنسان على إفراط العَجلة وأنَّهُ مَطبُوعٌ عَليها، ثم نهَاهُم وزَجرَهم؛ كأنَّه قال: ليس ببِدْعٍ منكم أن تستعجلُوا فإنكم مَجبُولُون على ذلك وهو طبعُكم وسَجيَّتُكم.

قوله: (وقيل: معنى ﴿بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾) فالمعنى: بذكرهم الرحمن، أو بذكركم[1] الرحمن، يعني: إذا ذكرتم الرحمن يكفرون به، ويقولون: ما نعرف الرحمن. وقوله: (إلا مسيلِمةَ) كانوا يقولون لمسيلِمة الكذّاب: رحمن اليمامة.

قوله: (﴿وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ﴾ [الفرقان ٢٥/٦٠]) قال تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا﴾ [الفرقان ٢٥/٦٠].

قوله: (مطبوعٌ عليها) الطبع: السجيَة التي جُبِل عليها الإنسان، وهو في الأصل مصدر، والطبيعة مثله، قاله في الصِّحاح.[2] وقال في المُغرب: «الطبع: ابتداء صنعة الشيء، يقال: طبَعَ اللبِنَ والسيفَ إذا عملهما، وطبَع الدرهم ضَربها،

---

١ ف: بذكر.

٢ الصحاح للجوهري، «طبع».

وعن ابن عباس: أنه أرادَ بالإنسان آدمَ، وأنَّه حينَ بلغَ الرُّوحُ صَدْرَهُ ولم يَتَبالَغ فيه أراد أن يَقُومَ.

ورُوِيَ: لمَّا دَخلَ الرُّوحُ في عَيْنه نظَر إلى ثِمار الجنَّة ولمَّا دَخل جَوفَه اشتهَى الطَّعامَ.

وقيل: خَلقَه الله تعالى في آخر النهار يومَ الجُمعة قبلَ غرُوب الشَّمس، فأَسْرَع في خَلقه قَبل مَغيبها.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: أنَّه النَّضر بن الحَارث. والظَّاهر أن المراد الجنسُ.

وقيل: العَجَل: الطِّينُ بلُغة حِمْيَرَ، وقال شاعرُهم:

والنَّخلُ تَنْبُتُ بَين الماء والعَجَل

والله أعلم بصحَّته.

وقول مَن قال:[1] ما يذوب وينطبع، أي: يقبل الطبْع، وهذا جائز قياسًا، وإن لم نسمَعْه».[2]

قوله: (ولم يتبالغ) أي: لم يتمكن مِن البلوغ فيه.[3]

قوله: (وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما[4] أنّه النَّضر) أي: المستَعجِل بعذاب الله.

قوله:

(والنخلُ ينبُتُ بين الماءِ والعَجَلِ)

أوّله:

والنَّبعُ في الصخْرة الصمّاء مَنْبِتُهُ[5]

"النبع": شجرٌ يُتخذُ منه القَسيّ.

---

[1] في المُغرب: "وقول شمس الأئمّة السرخسي"...

[2] المُغرب للمطرّزي، «طبع».

[3] ن: به.

[4] د - رضي الله عنهما.

[5] لسان العرب لابن منظور، «عجل»، بغير نسبة.

فإن قلتَ: لِمَ نهاهم عن الاستعجال مع قوله: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ وقولِه: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء ١٧/١١] أليس هذا مِن تكليفِ ما لا يُطاقُ؟

قلتُ: هذا كَما رَكَّبَ فيه الشَّهوةَ وأمرَهُ أَنْ يَغلبَها؛ لأنَّه أعطاه القدرةَ التي يَستَطيعُ بها قَمْعَ الشَّهْوة وتَركَ العَجلَة.

وقرئ: "خَلَق الإنسانَ".

﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾﴾

جوابُ ﴿لَوْ﴾ محذوفٌ، و﴿حِينَ﴾ مفعولٌ به لـ﴿يَعْلَمُ﴾؛ أي: لو يَعلمون الوقتَ الذي يَسْتَعلِمونَ عنه بقولهم: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ وهو وقتٌ صعبٌ شديدٌ تُحِيطُ بهم فيه النارُ من ورَاءُ وقدَّامُ فلا يقدِرُون عَلى دَفعها ومَنْعِهَا مِن أنفُسهم ولا يَجِدُون ناصِرًا ينصُرهُم= لَمَا كانوا بتلك الصِّفة منَ الكُفر والاستهزاء والاستِعجال؛ ولكنْ جَهْلُهُم به هو الذي هَوَّنه عِنْدَهُم.

ويجوز أن يكون ﴿يَعْلَمُ﴾ مَتْرُوكًا بلا تَعْديةٍ، بمعنى: لو كان معَهُم عِلمٌ ولم يكُونوا جاهلين لَمَا كانوا مُستعجلين، و﴿حِينَ﴾ منصوبٌ بمضمَرٍ؛ أي: حين ﴿لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ﴾ يَعلمون أنَّهم كانوا على الباطل ويَنتفي عَنهم هذا الجَهْلُ العظيم؛ أي: لا يكفُّونَها؛ بل تفجَؤهُم فتَغلِبُهم، ....

قوله: (**مفعول به لـ﴿يَعْلَمُ﴾**) أي: للفظ ﴿يَعْلَمُ﴾.

قوله: (**لَما كانوا بتلك الصفة**) جواب "لو".

قوله: (**و﴿حِينَ﴾ منصوب بمضمَر**) أي: على هذا الوجه الثاني.

قوله: (**بل تَفْجؤهم**) فيه إشارة إلى أنّ الضمير المؤنث في ﴿تَأْتِيهِم﴾ للنار، ذكر الله تعالى أنّهم يستعجلون بطريق الاستهزاء؛ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾، فردَعهم عن ذلك بقوله تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ﴾ إلى ﴿يُنصَرُونَ﴾،[١] وجواب ﴿لَوْ﴾ محذوف كما ذكر،

---

[١] ن: يبصرون.

يقال للمغلُوب في المحاجَّة: مَبهوتٌ، ومنه: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ [البقرة ٢/٢٥٨]؛ أي: غَلَبَ إبراهيمُ الكافِرَ.

وقرأ الأعمش: "يأتِيهم... فيَبهَتُهم" على التَّذكير، والضميرُ للوَعْد أو لِلحينِ.

فإن قلتَ: فإلامَ يرجعُ الضَّميرُ المؤنَّثُ في هذه القراءة؟

قلتُ: إلى النار، أو إلى الوعد؛ لأنه في معنى النار، وهي التي وُعِدوها، أو على تأويل العِدَة والمَوعِدة، أو إلى الحين؛ لأنه في معنى السَّاعة، أو إلى البَغتَةِ.

وقيل في القراءة الأولى: الضميرُ للسَّاعة.

وقرأ الأعمش: "بَغَتَةً" بفتح الغَين.

﴿وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾ تذكيرٌ بإنظاره إياهم وإمهالِه، وتَفْسيحِ وَقتِ التَّذكُّر عليهم؛ أي: لا يُمهَلُون بعد طُولِ الإمهال.

﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٤١﴾﴾

سَلَّى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به بأنَّ له في الأنبياء عليهم السلام إسوةً، وأَنَّ ما يَفعلُونه به يَحيقُ بهم كما حَاق بالمستهزِئين بالأنبياء ما فَعَلوا.

ثم أضرب عما هو جواب هذا الاستعجال بقوله تعالى: ﴿بَلۡ تَأۡتِيهِم بَغۡتَةٗ﴾، فكأنّه قيل: لا نُبيّنُ لهم وقت هذا العذاب الموعود قبل وقوعه؛ بل تأتيهم
[١٤٣و] / بغتةً فتجعلهم متحيّرين. ولمّا كان استعجالهم ذلك بطريق الاستهزاء وذلك كان مما يصعب على النبيّ عليه الصلاة والسلام سَلّى النبيّ عليه الصلاة والسلام بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ﴾، فكأنّه قيل: سيصيبُهم جزاء استهزائِهم كما أصاب غيرَهم جزاء استهزائهم بأنبيائهم، فلا تُبال باستهزائهم، وكن متسلّيًا فارغ البال. يقال: بغَتَه: فاجأه، ولقيته[١] بغتةً. مفعول مطلق[٢] منصوب بـ﴿تَأۡتِيهِم﴾ مِن غير لفظه.

---

[١] ن: ولغيته.

[٢] أي: ﴿بَغۡتَةٗ﴾ في الآية.

﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾؛ أي: من بأسِهِ وعذابه؛ بل ﴿هُمْ...مُّعْرِضُونَ﴾ عن ذكره لا يُخطِرُونَه ببالِهم فَضْلًا أَن يَخافُوا بَأسه حَتَّى ....

قوله: (**فإن قلت: فإلامَ يرجع الضمير المؤنّث؟**) أي: مِن قوله: ﴿رَدَّهَا﴾.

قوله: (**أن يخافوا**) أي: أن لا يخافوا، فحذف "لا" لِما ذكر مرارًا، يعني: ليس لهم خوف عذاب الله تعالى، وزاد على هذا شيءٌ آخر؛ وهو أنّهم لا يُخطِرون الله ببالهم. ثمّ إنّ قوله: (**حتّى**) يجوز أن يتعلق بـ(**يخافوا**)، أي: ليس لهم خوف العذاب حتّى يؤدي ذلك إلى معرفة الحافظ مِن العذاب إذا رُزقوا الحفظ من العذاب. والأَولى أن نقول:[١] هو متعلِّق بقوله: (**يُخطِرونه**)، أي: لا يُخطِرون الله تعالى ببالِهم ليؤدّي إخطار الله تعالى ببالهم إلى أن يعلموا عند كونهم محفوظًا مِن العذاب أنّ الحافظ هو الله تعالى لا غير، فيَصلحوا لأن يُسألوا أنّ الحافظ من العذاب مَن هو؟ ثم أضرب عن هذا السؤال عن أنّه هل يمنعهم من العذاب[٢] غير الله تعالى، وبيّن أن ليس لهم مانع مِن العذاب غيره تعالى، فكان مِن حقّهم أن يَعلموا أنّ المانع هو الله تعالى، ثم أضرَب إلى ما هو أهمّ، وهو أنّ سبب غفلتهم وإعراضهم عن ذكر الله تعالى هو تمتيع الله تعالى[٣] إيّاهم مدّة، فحسبوا تلك المدّة القصيرة طويلة، ثم قال لِمَ اغترُّوا بذلك الإمهال أفلا يرون حال غيرهم وأنّا نُميتُهم ونخلِّي البلاد عنهم، ثم ذكر أنّه كلما تكرّر الموعظة عليهم لم يتّعظوا فكأنّهم صمٌّ، ثم أشار إلى أنّهم إذا أصابهم بعض ما يُنذَرون به لَوَلْوَلُوا واعترفوا بظلمهم حين لا ينفعهم الوَلْوَلة[٤] ولا الاعتراف، ثم أشار إلى أنّ هذا الذي ذكر

---

١ ف: يقول.

٢ ن – مَن هو؟ ثمّ أضرب عن هذا السؤال عن أنّه هل يمنعهم من العذاب.

٣ ن – تعالى.

٤ ف: الولولة.

إذا رُزِقُوا الكِلاءَةَ منه عَرفُوا مَن الكَالِئُ وصَلَحُوا للسُّؤال عنه.

والمراد: أنَّه أمَرَ رسُولَه بسُؤالِهم عن الكالئ، ثمَّ بيَّن أنَّهم لا يَصْلُحون لذلك لإعراضهم عن ذكر مَن يَكلؤهم، ثم أضرَب عن ذلك بما في ﴿أَمْ﴾ من معنى "بل" وقال: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم﴾ من العَذاب تتجَاوزُ مَنْعَنَا وحِفْظَنا، ثم استأنف فبيَّن أن ما ليس بقادرٍ عَلى نصر نفسه ومَنْعِها ولا بمَصحُوبٍ من الله بالنَّصر والتَّأييد كيف يَمنع غيرَهُ ويَنصرُه.

ثم قال: بل ما هم فيه من الحفظ والكِلاءة إنما هو منَّا لا مِن مانعٍ يَمنعُهم من إهْلاكِنَا، وما كلأناهم وآباءَهُم الماضين إلا تمتيعًا لهُم بالحَياة الدنيا وإمهالًا كما متَّعنا غيرَهُم من الكفَّار وأَمهلناهم ﴿حَتَّىٰ طَالَ عَلَيۡهِمُ﴾ الأمدُ وامتدَّت أيَّامُ الرَّوْحِ والطُّمأنينة، فحسبوا أنْ لا يزالُوا على ذلك لا يُغلَبون ولا يُنزَعُ عنهم ثوبُ أَمَنَتِهم واستمتاعهم، وذلك طمعٌ فارغٌ وأمل كاذبٌ ﴿أَفَلَا يَرَوۡنَ أَنَّا﴾ نَنْقُصُ أرضَ الكُفر ودارَ الحرب، ونحذفُ أطرافها بتسليط المسلمين عليها وإظهارهم عَلَى أَهْلِهَا ورَدِّها دارَ إِسْلامٍ.

فإن قلتَ: أيُّ فائدةٍ في قوله: ﴿نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ﴾؟

حال عذاب الدنيا ولَعذاب الآخرة أشدّ وأشدّ، فلا بدّ أن يصيبهم ذلك ويُجازَوْنَ بما عملوا حين يضع الموازين ويُجازيهم بالنقير والقِطمير.

قوله: (**الكِلاءة**) كلأ الله تعالى كِلاءة بالكسر: حَفِظه وحرَسه، يقال: اذهبْ في كِلاءة[1] الله تعالى.

قوله: (**لذلك**) أي: للسؤال.

قوله: (**وقال: أَلَهُم[2] آلهة**) عطف على قوله: (**ثم أضرب**)؛ لأنّ المصنِّف أشار إلى معنى ﴿بَلۡ﴾ بقوله: (**أضرب**)، وإلى معنى الهمزة بقوله: (**وقال: لهم**).

قوله: (**فإن قلت: أيُّ فائدة في قوله: ﴿نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ﴾؟**) أي: لِمَ لمْ يُكتَفَ بقوله تعالى: إنّا ننقص مِن أطراف الأرض؟

---

١ د: كلاءه.

٢ ف ن: لهم. | وفي مطبوع الكشّاف: "أم لهم". والمثبت هو الموافق لكلام الجارَبَردي.

قلتُ: الفائدةُ فيه تصويرُ ما كان الله يُجْريه على أَيدي المسلمين، وأن عسَاكرهم وسَراياهم كانت تَغزُو أَرض المشركين وتأتيها غالبةً عليها ناقصَةً مِن أطرافها.

﴿قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِۚ وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ۝٤٥﴾

قرئ: ﴿وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ﴾ ﴿ولا تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ بالياء والتاء؛ أي: لا تُسمِعُ أنت أو لا يُسمِعُ رسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، و: "ولا يُسمَعُ الصُّمُّ" مِن أُسْمِعَ.

فإن قلتَ: الصمُّ لا يَسمَعُون دعاء المبشِّرِ كما لا يَسمعون دُعاء المُنذر، فكيفَ قيل: ﴿إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾؟

قلتُ: اللام في ﴿ٱلصُّمُّ﴾ إشارةٌ إلى هؤلاء المنذَرين كائنةٌ للعَهد لا للجنس، والأصلُ: ولا يَسمعُون إذا ما يُنذَرونَ فوُضع الظاهرُ موضع المضمَر للدَّلالة على تصَامِّهم وسدِّهم أَسماعَهم إذا أُنذروا؛ أي: هم على هذه الصفة من الجُرأة والجسَارة على التَّصامِّ من آيات الإنذار.

قوله: (**ناقصةً مِن أطرافها**) مُتعدّ.

قوله: (**قرئ: ﴿وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ﴾**) سبعة.[١]

قوله: (**بالتاء**) سبعة. وقوله: (**بالياء**) شاذّ.[٢] وقوله: (**﴿وَلَا يُسۡمَعُ﴾**) شاذّ.[٣] وقوله: (**مِن أُسْمِعَ**) يعني: مجهولًا، وإنّما قَيّد بذلك؛[٤] لأنّ ما عداه مبنيّ للفاعل.

قوله: (**أي: هم على هذه الصِّفة**) استئناف كلام للشروع في تفسير قوله تعالى:

---

١ قرأ ابن عامر بتاء مَضمومة وكسر الميم، ونصب ﴿ٱلصُّمَّ﴾، وقرأ الباقون بالياء غيبًا وفتحها وفتح الميم. **النشر** لابن الجزري، ٢/٣٢٣.

٢ إذا كان يعني بالياء مفتوحة -وهو ما يفيده ظاهر عبارة **الكشّاف**- فهو ليس بشاذ؛ بل هي قراءة جمهور القرّاء عدا ابن عامر كما أسلفنا. وإذا كان يعني بالياء مضمومة مع فتح الميم فهو عين ما ذكره بعدُ بقوله: ﴿وَلَا يُسۡمَعُ﴾، بقي أن يريد بالياء مضمومة مع كسر الميم فهي شاذّة ذكرها الهذلي عن ابن الصلت عن حفص. انظر: **الكامل** للهذلي، ص ٦٠١.

٣ انظر: **مختصر شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ٩٤.

٤ ن: ذلك.

﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٤٦﴾

﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ﴾ من هذا الذي يُنذَرُون به أدنى شَيءٍ لَأذعَنُوا وذَلُّوا وَأَقَرُّوا بأنهم ظَلَمُوا أنفسَهم حين تَصَامُّوا وأعرَضُوا، وفي المسّ والنفحة ثلاثُ مُبالغات؛ لأن النفح في معنى القِلة والنَّزارة، يقال: نَفَحتْه الدَّابةُ، وهو رَمْحٌ يسيرٌ، ونَفَحَهُ بعَطيَّةٍ: رضخَهُ، ولبنَاء المرةِ.

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ٤٧﴾

وصِفَتْ ﴿ٱلْمَوَٰزِينَ﴾ بالقسط -وهو العَدلُ- مبَالغةً كأنَّها في أنفُسها قِسطٌ، أو على حذف المضاف؛ أي: ذَواتِ القسط.

واللام في ﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ مثلُها في قولك: جئتُهُ لخَمس ليَالٍ خَلَوْنَ من الشهر، ومنه بيت النابغة:

﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ﴾، فقوله: "أي: هم" مرتبط بقوله: **(ولئن مَسَّتهم مِن هذا)**.

قوله: **(ثلاث مبالغات) الأُولى**: في لفظ المسّ. **والثاني**: في النفخ. **والثالث**: في[1] بناء المَرّة.

قوله: **(وهو رَمْح)** أي: النفخ رَمْحٌ،[2] أي: ضَرْبٌ[3] بالرِّجْل.

[١٤٣ظ] / قوله: **(جئتُه لِخمسِ ليالٍ خلَوْنَ)** أي: جعلت المجيء مختصًّا بخُلوّ[4] خمس ليالٍ. وهذه اللام كما في قوله: ﴿يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر ٢٤/٨٩]، ومنه قوله تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق ١/٦٥]. وأمّا قول الفقهاء: "هذه اللام لام الوقت" فليس بسديد، وتحقيقه: أنّه لام الاختصاص، والمعنى في الآية: اختصاص وضع الميزان بيوم القيامة، وفي المثال: اختصاص المجيء بذلك الزمان. وقوله: "خَلَوْنَ" أي: مَضَيْنَ، يقال: خَلا، أي: مضى، ومنه: القرون الخالية، أي: الماضية.

---

[1] ف ن - في.
[2] ن: رَمَح.
[3] ن: ضرَب.
[4] ن: لخلو.

تـوسَّـمـتُ آيــاتٍ لـهَـا فعَـرفتُـها   لـستَّـةِ أعــوام وذا الـعَـامُ سَـابِـعُ

وقيل: لأَهْل يَوم القيامةِ؛ أي: لأجلهم.

فإن قلتَ: ما المرادُ بوضع المَوازين؟

قلتُ: فيه قولان:

أحدهما: إرصَادُ الحسابِ السَّويِّ والجزاءِ على حَسب الأعمَال بالعَدل والنصَفة من غير أن يَظلِم عبَادَهُ مثقالَ ذرَّة، فمُثِّل ذلك بوضع الموازين لتوزَنَ بها الموزوناتُ.

والثاني: أنَّه يَضعُ الموازين الحَقِيقيَّة ويَزِنُ بها الأعمالَ، عن الحسن: هو ميزان له كِفَّتَان ولسَانٌ.

ويُروى: أن داود عليه السلام سأل ربَّه أن يُريَهُ الميزان، فلما رآه غُشِيَ عَليه، ثم أَفاق فقال: يا إلهي، مَن الذي يقدرُ أَن يملأ كفَّتَه حَسناتٍ، فقال: يا داودُ، إني إذا رَضيتُ عن عَبْدِي ملَأتُها بتَمرةٍ.

قوله: **(ترَسَّمْتُ)**... البيتَ.[1] ترسّمت الدار: تأمّلت رسمَها، ورسم الدار ما كان مِن آثارها لاصقًا مِن الأرض، وفي بعض الروايات: "توسّمت"، وفي بعضها: "توهّمت". والمعنى: دَرَسَ آثار المحبوب فتوسّمتها[2] وعرفتها بالوَهم؛ لشدّة تبدّلها وتغيّرها بعد سبعةِ[3] أعوام، والترسُّم في رسم الشيء كالتوسُّم؛ التطلُّب في وَسْمِه.

قوله: **(أحدهما: إرصاد الحساب)** الإرصاد: الإعداد، يقال: أرصدتُ له: أي: أعددتُ له، والإرصاد: الإعداد، وفي الحديث: «إلّا أنْ أُرْصِدَه[4] لدَيْنٍ عليَّ».[5]

قوله: **(كِفّتان)** جاء "كِفّة المِيزان" بكسر الكاف وفتحها.

---

١ للنابغة الذبياني في ديوانه، ص ٣٠، بلفظ: "توهّمْتُ آيات"

٢ ن: فتوهمتها.

٣ ن: سبعة.

٤ ف: أَرْصِده.

٥ **صحيح البخاري**، ١١٦/٣ (٢٣٨٩)؛ **صحيح مسلم**، ٦٨٧/٢ (٩٩١).

فإن قلتَ: كيف تُوزَنُ الأعمالُ وإنما هي أَعراضٌ؟

قلتُ: فيه قولان:

أحدُهما: تُوزَنُ صحَائفُ الأعمال.

والثاني: تُجعل في كفَّة الحسنات جَواهرُ بِيضٌ مُشرِقةٌ، وفي كفَّة السيِّئات جواهر سُودٌ مُظلِمةٌ.

وقرئ: ﴿مثقالُ حَبَّةٍ﴾ على ﴿كَانَ﴾ التَّامَّةِ كقَوله: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾ [البقرة ٢/٢٨٠].

وقرأ ابن عباس ومُجاهدٌ: "آتينا بها"، وهي مُفاعَلَةُ من الإتيان بمعنَى المجَازاة والمكافأة؛ لأَنَّهم أَتوه بالأعمال وأَتَاهُم بالجزاء.

وقرأ حُمَيدٌ: "أَثَبْنا بها" مِن الثَّواب، وفي حرف أُبَيٍّ: "جئنا بها".

وأُنِّث ضَميرُ المثقال لإضافته إلى الحبَّة؛ كقولهم: ذهبتْ بعضُ أصابعِه.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ۝٤٨﴾

أي: آتيناهما ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾ -وهو التوراةُ- ....

قوله: **(جواهر)** يريد بالجواهر: الموجود المُمكن الذي لا يكون في موضوع،[١] وهو الذي يقابل العَرَض. ذكر المصنِّف في السؤال أنّ الأعراض لا يمكن وَزنها، أجاب: بأنّ الله تعالى يعطيها صوَر الجواهر.

قوله: **(وهي مفاعلة)** وإذا كان "مفاعلة" فيكون وزن ﴿آتَيْنَا﴾ "فاعلنا"، لا "أفعلنا"، فتكون[٢] الباء للتعدية، كما في القراءة الأخرى.[٣] والحاصل: أنّ النقل إلى المفاعلة أفاد أن صار ﴿آتَيْنَا بِهَا﴾ بمعنى مجموع التركيبَين، أعني: قوله: **(أتوه بالأعمال، وأتاهم بالجزاء)**، والباء للتعدية كما كان. وقوله: **(لأنهم[٤] أتوه)** بيان المفاعلة للمجازاة.

---

[١] انظر: **التعريفات** للجرجاني، ص ٧٩.

[٢] ن: فيكون.

[٣] يعني: القراءة الصحيحة بالقصر ﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾. وقراءة المدّ "آتَيْنَا بها" شاذّة. انظر: **المحتسب** لابن جنّي، ٢/٦٣.

[٤] ن - (أتوه بالأعمال وأتاهم بالجزاء) والباء للتعدية كما كان، وقوله: (لأنّهم).

وأَتَينا به ﴿ضياءً وذكرًا للمتقين﴾، والمعنى: أنه في نفسه ضيَاءٌ وذكرٌ، أو: وأتَيناهُما بمَا فيهِ من الشرائع والمواعظ ﴿ضيَاءً وذكرًا﴾.

وعن ابن عبَّاس: الفُرقان: الفتح؛ كقوله: ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾.

وعن الضحاك: فَلْقُ البَحر.

وعن محمَّد بن كعب: المَخرجُ من الشُّبُهاتِ.

وقرأ ابن عبَّاس: "ضياءً" بغيْر واوٍ، وهُو حال عن ﴿ٱلْفُرْقَانِ﴾ والذِّكرُ: الموعظة، أو ذِكرُ ما يَحتاجُون إليهِ في دينهم ومصالحهم، أو الشرفُ.

﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾

محل ﴿ٱلَّذِينَ﴾ جَرٌّ عَلَى الوَصْفيَّة، أو نَصْبٌ على المَدْح، أو رفعٌ عليه.

﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾ هو القرآن، وبركتُه: كثرةُ منافعِه وغزارةُ خَيرِه.

قوله: (وآتينا به ضياءً وذكرًا) أي: آتيناهما الذي هو الجامع لهذه الصفات الثلاثة، وهو أنّه: فرقان، وضياء، وذِكر.

قوله: (وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما:[1] ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾: الفتح)[2] سمّى الفتحَ فرقانًا؛ لأنّ فيه فرقًا بين الوليّ والعدوّ، وهو مصدر كالغفران والسُّلوان.

قوله: (أو الشَّرف) قوله: ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ [ص ١/٣٨] أي: الصِّيت والنباهة والشَّرف.

قوله: (أو رَفْعٌ عليه) أي: على المدح.[3] أورد الزجّاج الرفع على المَدح[4] في مواضع مِن تفسيره.[5]

---

[1] د - رضي الله عنهما؛ ف: رضي الله عنه.
[2] انظر: **الكشف والبيان** للثعلبي، ٣٠٦/٣ (البقرة، ٥٣/٢).
[3] ن: المرح.
[4] ن - أورد الزجّاج الرفع على المدح.
[5] **معاني القرآن وإعرابه** للزجّاج. فانظر على سبيل المثال: ٧٠/١ (البقرة، ٣/٢).

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾

"الرشدُ": الاهتداءُ لِوجُوه الصلاح؛ قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النساء ٦/٤].

وَقُرِئ: "رَشَدَه"، والرُّشد والرَّشَد كالعُدْم والعَدَم.

ومَعْنى إضافته إليه: أنَّه رُشْدُ مثلِه، وأنَّه رُشْدٌ له شَأنٌ.

﴿مِن قَبْلُ﴾: من قبلِ موسى وهارُونَ.

ومَعْنى علمِهِ به: أنه عَلِم منه أحوالًا بديعةً وأسرارًا عجيبةً وصفاتٍ قد رضيَها وأحمَدَهَا حتى أَهَّله لمُخالَّته ومخالَصَته، وهذا كقولك في خَيِّرٍ من الناسِ: "أنا عالمٌ بفلان" فكلامُك هذا من الاحتواءِ على محاسن الأوصاف بمنزلٍ.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿إِذْ﴾ إمَّا أن يتعلَّق بـ﴿ءَاتَيْنَا﴾، أو بـ﴿رُشْدَهُۥ﴾، أو بمحذوفٍ؛ أي: اذكُر من أَوقاتِ رُشده هذا الوقتَ.

قوله: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ تَجاهلٌ لهُم وتَغابٍ؛ ليُحقِّر آلهتهم ويُصغِّر شأنَها مع علمه بتَعظيمهم وإجْلَالهم لها.

لَم يَنو لـ"العاكِفين" مفعولًا وأجراه مُجرَى ما لا يتعَدَّى؛ كقولك: فاعلون العُكُوفَ لها، أو: واقِفُون لها.

قوله: (**فكلامك هذا مِن الاحتواء**)... إلخ الاحتواء على الشيء: هو الاشتمال عليه، و"مِن" فيه للابتداء، وهو في محلّ الحال مِن "هذا"، و"كلامك" مبتدأ، "هذا" صفته، و"بمنزل" الخبر، أي: هذا الكلام بالنظر إلى اشتماله على محاسن الأوصاف في منزل عظيم.

قوله: (**وتغابٍ**) التغابي مِن أوصاف الكرام، قال الشاعر:

لـيس الـغـبـيُّ بسـيّد فـي قـومـهِ ... لـكـنّ سـيّـدَ قـومـه الـمُـتـغـابـي[1]

[1] لأبي تمّام في ديوانه، ٨٧/١.

فإن قلتَ: هلَّا قيل: عليها عَاكِفون؛ كقوله: ﴿يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡ﴾ [الأعراف ١٣٨/٧]؟

قلتُ: لو قصَدَ التَّعديَة لعَدَّاهُ بصِلتهِ التي هي "على".

﴿قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ٥٣﴾

ما أقبحَ التقليدَ والقَولَ المُتقبَّلَ بغير بُرهَانٍ! وما أعظمَ كيْدَ الشيطان للمقُلِّدِين حين استَدرَجَهُم إلى أنْ قلَّدوا آباءهُم في عبادةِ التَّماثيل وعفَّرُوا لها جِبَاهَهُم، وهُم معتقِدُون أنَّهم على شيء، وجَادُّونَ في نُصْرة مَذهبهم، ومُجادلُون لأهل الحقِّ عن باطلهم! وكفَى أهلَ التقليد سُبَّةً أنَّ عَبدةَ الأصنام منهم.

﴿قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٥٤﴾

﴿أَنتُمۡ﴾ من التأكيد الذي لا يصحُّ الكلام مع الإخلال به؛ لأنَّ العَطْفَ على ضَمِيرٍ هو في حُكْمِ بَعْض الفعل ممتنِعٌ، ونحوُه: ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [البقرة ٣٥/٢].

أراد أن المقلِّدين والمقلَّدين جميعًا مُنخرِطُون في سِلك ضلالٍ لا يَخفَى على مَن به أدنى مُسْكةٍ؛ لاستنادِ الفريقين إلى غيرِ دليلٍ؛ بل إلى هَوًى متَّبَعٍ وشَيطانٍ مُطَاعٍ؛ لاستبعادهم أن يكون ما هم عليه ضلالًا.

قوله: **(ما أقبحَ التقليد!)** للتعجب.

قوله: **(والقولَ المُتقبَّل)** كالبيان للتقليد.

قوله: **(وعَفَّروا)** العَفَر بالتحريك: التراب، وعَفَره بالتراب عَفْرًا، وعفَّره تعفيرًا، أي: مرَّغه ومَعَّكه.

قوله: **(لا يخفى)** إشارة إلى أنّ ﴿مُبِينٖ﴾ مِن: أبانَ، بمعنى: ظهر.

قوله: **(مُسْكةٍ)**[١] / أي: عقل. [١٤٤و]

---

[١] وفي هامش د ف + بقيّةٌ مِن خير.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ٥٥﴾

بَقُوا متعجِّبينَ من تضليله إيَّاهُم، وَحَسِبُوا أنَّ ما قَاله إنما قالهُ على وَجْهِ المِزَاحِ والمُدَاعبَة لا على طريق الجِدِّ، فقالوا له: هذا الذي جِئتَنَا به أهو جِدٌّ وحَقٌّ أَمْ لعِبٌ وهَزْلٌ؟!

﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٦﴾

الضَّمير في ﴿فَطَرَهُنَّ﴾ لِلسَّماوات والأرض، أو للتَّماثيل، وكونُه للتَّماثِيل أَدخلُ في تَضليلِهم وأَثبتُ للاحتجاج عليهم.

وشهَادتُه على ذلك: إِدْلاؤه بالحجَّة عليه، وتصحيحُه بها كما تُصحَّحُ الدَّعوى بالشهادة؛ كأنه قال: وأنا أُبيِّنُ ذلك وأُبرهِنُ عَليه كمَا تُبيَّنُ الدَّعاوَى بالبيِّنَات؛ لأني لَسْتُ مِثلَكُم فأقولَ ما لا أقدرُ على إثباته بالحجَّة؛ كما لم تَقدِرُوا على الاحتِجاجِ لمَذهَبِكُم ولَم تَزيدوا على أنَّكُم وَجَدتُم عليه آباءكم.

﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ٥٧﴾

قَرأ مُعَاذ بن جبلٍ رضي الله عنه: "باللهِ".

وقرئ: "تَوَلَّوا" بمَعنى: تتولَّوا، ويُقوّيها قَولُه: ﴿فَتَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ مُدۡبِرِينَ﴾ [الصافات ٣٧/٩٠].

فإن قلتَ: ما الفرقُ بين الباء والتاء؟

قلتُ: أَنَّ الباء هي الأَصل والتَّاءَ بَدلٌ من الواو المُبدلةِ منها، ....

قوله: **(المِزاح)** المُزاح والمُزاحة بالضمّ الاسم، وبالكسر المصدر، وبالكسر ههنا أليق.

قوله: **(وأُبَرهِن عليه)** قال في **الصِّحاح**: «البرهان: الحجّة، وقد برهن عليه إذا أقام عليه الحجّة».[١]

قوله: **(قلتُ: إن الباء)** أي: الفرق أنّ الباء. وقوله: **(منها)** أي: من الباء.

---

[١] **الصحاح** للجوهري، «برهن».

وأَنَّ التاء فيها زيَادةُ مَعنًى وهو التعجُب؛ كأنَّه تعجَّب من تسهُّلِ الكَيْدِ على يدهِ وتأتِّيه؛ لأنَّ ذلك كان أمْرًا مَقنُوطًا منه لصعُوبَته وتعَذُّره. ولعَمري إنَّ مِثْلَه صَعبٌ متَعذِّر في كلِّ زمانٍ، خُصُوصًا في زَمن نمرُوذَ مع عُتوِّه واستكباره وقوَّةِ سُلطانه، وتهالُكِه على نصرةِ دينهِ؛ ولكنْ:

إذا اللهُ سَنَّى عَقْدَ شيءٍ تيسَّرا

روي: أن آزر خرَج به في يَوم عيْدٍ لَهُم، فبَدَؤوا ببَيتِ الأصنام فدخلوه وسجدُوا لها ووضعُوا بينها طعامًا ....

قوله: (وتأتِّيه) أي: تسهُّل الكيد،[١] يقال: تأتَّى له الأمر، أي: تسهّل، ومنه قولهم: هذا مما يتأتّى فيه المَضغ،[٢] أي: يمكن ويَسهُل. وقوله: (لأنَّ ذلك) متعلِّق بقوله: (تعجَّب).

قوله: (مقنوطًا منه) عدّى[٣] قوله: "مَقنوطًا" بـ"مِن" فليس فيه ضمير، والضمير في "منه" يعود إلى "أمرًا".

قوله:

(إذا الله سنّى عَقْدَ شيءٍ تَيسَّرا)

أوّله:

وأَعلَمُ عِلمًا ليس بالظنِّ أنّهُ إذا الله...

وقيل: أوّله:

فلا تَيْأسا واستَغْوِنا الله إنّهُ[٤] إذا الله...[٥]

سنّى الأمر إذا سهَّله، وسنَّى العُقدة: حلّها، والضمير في "إنّه" ضمير الشأن.

قوله: (خرج به) أي: بإبراهيم عليه السلام.

---

١ ف: الكبد.

٢ ن: الموضع.

٣ ن: عدّي.

٤ ف + ضمير الشأن.

٥ **لسان العرب** لابن منظور، «سنو»، ذكر الروايتين؛ لكن قال: "واستَغْوِرا الله" بدل "واستَغْونا الله"، وقال: «معنى قوله: استغورا الله: اطلبا منه الغِيرة».

خرجُوا به معهم، وقالوا: إلى أن نَرجعَ بَرَّكتِ الآلهةُ عَلى طعامِنا، فذهَبُوا وَبقيَ إبراهيم، فنظرَ إلى الأصنام وكانت سبعين صنمًا مصطفَّةً وثَمَّ صَنَمٌ عَظيمٌ مُستقْبِلُ البَابِ وكان من ذهبٍ، وفي عَينَيه جوهَرَتَانِ تُضِيئان بالليل، فكسَرهَا كلَّها بفأسٍ في يده حتى لم يَبق إلَّا الكبيرُ، ثم عَلَّق الفأس في عُنقه.

عن قتادةَ: قال ذلك سرًّا من قومه.

ورُوي: سمعَهُ رجُلٌ واحِدٌ.

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۝٥٨﴾

﴿جُذَاذًا﴾ قُطَاعًا، من الجَذِّ وهو القَطعُ، وقرئ بالفتح والكسر.

وقرئ: "جُذُذًا" جمع جَذيذٍ، و: "جُذَذًا" جمع جُذَّةً.

وإنما استَبقى الكبيرَ؛ لأنه غلَب في ظَنِّه أنَّهم لا يَرجعُون إلَّا إليه؛ لِمَا تَسَامَعُوه

قوله: (خرجوا به) صفة[1] طعامًا، أي: خرجوا به مِن منزلهم.

قوله: (بَرَّكتْ) أي: ألقت عليها البرَكة. وقوله: (إلى أن نرجع) متعلِّق بقوله: "برَّكتْ".

قوله: (عن قتادة: قال ذلك سرًّا)[2] "ذلك" أي: قوله: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم﴾.

قوله: (﴿جُذَاذًا﴾ قِطاعًا) القِطاع جمع قطعةٍ، كلِقاح في جمع لِقْحةٍ. وقوله: (قرئ[3] بالكسر)[4] أي: بكسر الجيم، مِن الجُذاذ.

قوله: (وقرئ: ﴿جُذُذًا﴾) كرَغيف ورُغُفٍ. وقوله: (و﴿جُذَذًا﴾)[5] كبُرْقةٍ وبُرَقٍ.[6] وقوله: (لأنه) إبراهيم. وقوله: (في ظنه) إبراهيم. وقوله: (إلّا إليه) إبراهيم. وقوله: (لِما تسامعوه) متعلِّق بقوله: (غلَبَ)، أو بقوله: (لا يرجعون)

---

[1] ن - صفة.
[2] جامع البيان للطبري، ٢٩٣/١٦ (الأنبياء، ٥٧/٢١).
[3] ف: وقرئ.
[4] قرأ الكسائي بكسر الجيم، وقرأ الباقون بضمّها. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٢٤/٢.
[5] انظر: مختصر شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ٩٤.
[6] ن: وبُرَق.

من إنكاره لدِينهم وسبّهِ لآلهتِهم، فيُبَكِّتُهم بما أجابَ به من قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ﴾ [الأنبياء ٢١/٦٣].

وعن الكلبي: ﴿إِلَيْهِ﴾: إلى كبيرهم، ومعنى هذا: لعلَّهُمْ يَرجعُونَ إليه كما يُرجَعُ إلى العَالمِ في حَلِّ المشكلاتِ، فيقُولون له: ما لِهؤلاء مكسُورةً وما لكَ صحيحًا والفأسُ على عَاتقِكَ؟ قال هذا بناءً على ظَنِّه بهم؛ لِمَا جرَّب وذَاقَ من مكَابَرتهم لعقُولهم واعتِقادهم في آلهتهم وتَعظيمِهم لها.

أو قاله مع علمه أنهم لا يَرجعون إليه؛ استهزاءً بهم واستِجهَالًا، وأنَّ قياسَ حالِ مَن يَسجُد له ويُؤهِّلُه للعبَادة أن يَرجع إليه في حَلِّ المشكِل.

فإن قلتَ: فإذا رَجعُوا إلى الصنم بمُكابرتهم لعُقولِهم ورُسُوخ الإشراك في أَعرَاقهم، فأيُّ فَائدةٍ دِينيَّةٍ في رُجُوعهم إليه حتى يجعَلَه إبراهيم صلواتُ الله عليه غرَضًا؟

مِن حيث المعنى. وقوله: (**مِن إنكاره**) بيان "ما". وقوله: (**فيُبَكِّتهم**) عطف على قوله: (**لا يرجعون إلّا إليه**) مِن حيث المعنى، فكأنّه قال: يرجعون إليه فيُبَكِّتُهم، والتبكيت: كالتقريع والتعنيف، ويقال: بكّته بالحجّة، أي: ألزمه.

قوله: (**ومعنى هذا**) أي: قول الكلبيّ. وقوله: (**قال: هذا بناءً**) أي: قال الكلبيّ: هذا الذي فعل إبراهيم -وهو إبقاء كبيرهم لرجوعهم[١] إلى كبيرهم- بناءً على ظنّ إبراهيم بهم[٢] أنّهم يرجعون إلى الكبير لمّا جرّبهم إبراهيم، ويجوز أنّ يكون الضمير في "قال" لإبراهيم، ويكون "هذا" إشارة إلى ما قاله إبراهيم هناك في نفسه، وهو: ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾، فالمعنى: قال إبراهيم وقت إبقاء الكبير هذا[٣] القول -وهو: ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾- بناء على ظنّه، ويؤيّد هذا الوجه قوله بعد ذلك: (**أو قاله مع**[٤] **علمه**). وقوله: (**على ظنّه بهم**) أي: ظنّ إبراهيم بالكفّار. وقوله: (**أو قاله**) أي: قال إبراهيم هذا. وقوله: (**له**) أي: كبيرهم. وقوله: (**ويؤهّله**) أي: كبيرهم. وقوله: (**إليه**) أي: كبيرهم.

---

[١] ن: لرجعوهم.
[٢] ن - بهم.
[٣] ف: وهذا.
[٤] ن: بعد.

قلتُ: إذا رجعُوا إليه تبَيَّن أنه عَاجزٌ لا يَنفَعُ ولا يضُرُّ، وظَهَر أنَّهم في عبَادتهِ على جَهْلٍ عَظيم.

﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٩ قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتًى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ۝٦٠﴾

أي: إنَّ مَن فعَلَ هذا الكسرَ والحَطْمَ لشَديدُ الظُّلم مَعْدُودٌ في الظَّلَمة: إمَّا لجُرأته على الآلهة الحقيقةِ عندهم بالتوقير والإعظام؛ وإمَّا لأنَّهم رَأوا إفراطًا في حَطْمِهَا وتمادِيًا في الاستِهَانة بها.

فإن قلتَ: ما حُكمُ الفِعلين بَعد ﴿سَمِعۡنَا فَتًى﴾ وأيُّ فرقٍ بينَهما؟

قلتُ: هما صفتان لِـ﴿فَتًى﴾، إلَّا أنَّ الأوَّلَ وهو ﴿يَذۡكُرُهُمۡ﴾ لا بُدَّ منه لِسَمِعَ؛ لأنك لا تقُولُ: "سَمِعتُ زيدًا" وتَسْكُتُ، حَتَّى تَذكُرَ شيئًا ممَّا يُسمَعُ، وأمَّا الثاني فليس كذلك.

قوله: (**تبيّن أنّه عاجز**) أي:[1] تبيّن لهم أنّه. وقوله: (**وظهَر**) أي: ظهَر لهم.

قوله: (**أي: إنّ مَن فعل هذا**) إدخال المصنِّف "إنّ" على "مَن فعل" إشارة إلى أنّ ﴿مَن﴾ موصولة لا استفهاميّة،[2] و﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ خبره. وأظنّ -والله أعلم- أنّ الأَولى أن يقال: ﴿مَن﴾ استفهاميّة مبتدأ، ﴿فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا﴾ خبره، والاستفهام لمعنى الإنكار على مَن فعله واستعظامًا لفعله، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ تقرير لاستعظام / فعل مَن فعَله، وإنّما ظننت هذا؛ لأنّ قولهم بعد ذلك: ﴿سَمِعۡنَا فَتًى يَذۡكُرُهُمۡ﴾ يحسُن مطابقته لِما تقدّمه على تقدير الأوّل استفهامًا، فتأمّل. [١٤٤ظ]

قوله: (**الحقيقة**) أي: الجديرة، يقال: حُقَّ لك أن تفعل كذا، وهو حقيق به ومحقوق به، أي: خليق، والجمع: أحِقّاء ومحقوقون.

قوله: (**وتسكت**) عطف على (**تقول**)، كأنّه قال: لا تسكت بعد قولك: "سمعتُ زيدًا" حتّى تذكُرَ شيئًا.

---

[1] ن: أن.

[2] ن: الاستفهاميّة.

فإن قلتَ: ﴿إِبْرَٰهِيمُ﴾ ما هو؟

قلتُ: قيل: هو خبَرُ مبتدأ مَحذُوف، أَوْ مُنَادًى، والصحيحُ أنَّه فاعِلُ ﴿يُقَالُ﴾؛ لأنَّ المُراد الاسمُ لا المُسمَّى.

﴿قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ٦١﴾

﴿عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ في محلِّ الحال، بمَعنى: مُعَايَنًا مُشَاهَدًا؛ أي: بمَرأًى منهُم ومَنظرٍ.

فإن قلتَ: ما معنى الاستعلاءِ في ﴿عَلَىٰٓ﴾؟

قلتُ: هو واردٌ على طريق المثَل؛ أي: يَثبُتُ إتيَانُه في الأعيُنِ ويتمَكَّنُ ثبَاتَ الراكب على المرَكُوبِ وتمَكُّنِه منه.

﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ عليه بما سُمِعَ منه، وبما فعَلَه، أو: يَحضُرون عُقُوبتَنا له، رُوي أن الخبر بَلغ نمرُوذَ وأَشرافَ قومِه فَأَمرُوا بإحضَاره.

قوله: (**والصحيح أنّه فاعل ﴿يُقَالُ﴾**) أي: يقال له هذا اللفظ، فهو فاعلٌ إذن. وقوله: (**لأنّ المراد**) يعني: المراد بقوله: ﴿إِبْرَٰهِيمُ﴾ لفظةُ[1] ﴿إِبْرَٰهِيمُ﴾، ولو كان المعنى لم يصحّ قيامه مقام فاعل ﴿يُقَالُ﴾؛ لأنّ مقول القول لا يكون إلّا جملة، وأمّا إذا أريد به اللفظ فهو في حكم الجملة.

قوله: (**على طريق المَثل**) أي: التشبيه.

قوله: (**أي: يثبُت إتيانه**) كأنّه أراد بـ"إتيانه": ذا إتيانه، يعني به: مثاله المنطَبع، وتحقيق هذا أن نقول: المعنى: فأتوا به مستقرًا على أعين الناس مستعليًا عليها؛ وذلك لأنّه شبه انطباع صورة المرئيّ في القوة الباصرة باستعلاء الراكب على المَركب، ثم ذكر ﴿عَلَىٰٓ﴾ وأريد الاستعلاء، فهو استعارة تبعيّة، وقرينتها أعين الناس، فالمراد بالإتيان: الآتي، وهو مثاله.

---

١ ن: لفظة.

﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝٦٢ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ۝٦٣﴾

هذا من مَعَاريض الكلام، ولطَائفُ هذا النوع لا يَتغَلغَلُ فيها إلَّا أذهَانُ الرَّاضةِ من عُلماء المعَاني، والقولُ فيه: أَنَّ قصْدَ إبراهيم عليه السَّلام لم يكن إلى أن يَنسُبَ الفعلَ الصَّادرَ عنه إلى الصَّنم، وإنما قَصَد تقريرَه لنَفسِه وإثباتَه لها على أسلُوبٍ تَعريضيٍّ يَبلغُ فيه غَرضَه من إلزامِهم الحجَّةَ وتَبكيتِهم، وهذا كما لو قال لك صاحبُك وقد كَتَبتَ كتابًا بخطٍّ رَشِيقٍ وأنتَ شَهيرٌ بحُسْنِ الخَطِّ: "أأَنت كتَبتَ هذا؟" وصَاحِبُك أُمِّيٌّ لا يُحسِنُ الخَطَّ أو لا يقدِرُ إلَّا عَلى خَرْمَشَةٍ فاسِدةٍ، فقُلتَ له: "بل كتَبَه أنتَ"، كان قصدُكَ بهذا الجواب تقريرَه لك مع الاستهزاء به لا نفيَهُ عنك وإثباتَه للأُمِّي أو المُخَرمِشِ؛ لأن إثباتَه -والأمرُ دائرٌ بينكمَا- للعاجز منكما استهزاءٌ به وإثباتٌ للقادر.

ولقَائلٍ أن يَقُول: غاظَتْه تلك الأصنامُ حين أبصَرهَا مُصْطفَّةً مرتَّبةً، وكان غيظُ كبيرها أكبرَ وأشدَّ لِمَا رَأى من زيَادة تعظِيمهم له، فأسنَد الفِعلَ إليه؛

قوله: **(لا يتغلغل)** يقال: تغلغل الماء في الشجر. وقوله: **(الراضةِ)** جمع: الرائض، يقال: رُضتُ المُهْرَ أروضه رياضًا ورياضةً، فهو مَروض، وناقة مَروضة، وكذلك: روَّضته، شُدّد للمبالغة، وقوم رُوَّاضٌ وراضة، هكذا ذكر في **الصِّحاح**،[١] وأقول: فعلى هذا معنى "الراضة": العلماء الذين راضوا أنفسهم وأذهانهم لإدراك المعاني والاطلاع عليها واستحضارها.

قوله: **(رشيق)** يقال: رجل[٢] رشيق،[٣] أي: حسن القَدِّ لطيفه، وقد رشُقَ -بالضمّ- رَشاقةً.

قوله: **(لا يُحسِن الخطَّ)** أي: لا يعلم الخطَّ.

قوله: **(ولقائل)** عطف على قوله: **(مِن معاريض[٤] الكلام)**.

---

١ **الصحاح** للجوهري، «روض».

٢ ف - رجل.

٣ ف + القدّ.

٤ ف: مقاريض.

لأنَّه هو الذي تسبَّبَ لاستهانتِهِ بها وحَطْمِه لها، والفِعلُ كما يُسنَدُ إلى مُباشِرِه يُسند إلى الحَامِل عليه.

ويجوز أن يكون حكايةً لِمَا يَقُود إلى تجويزه مذهبُهم؛ كأنَّه قال لهم: ما تُنكِرون أنْ يَفعَلَه كبيرُهم فإنَّ مِن حقّ مَن يُعبدُ ويُدعَى إلهًا أن يَقدِر عَلى هذا وأشدَّ منه.

ويُحكَى أنه قال: ﴿فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾، غَضِبَ أنْ تُعبَدَ معه هذه الصِّغارُ وهو أكبرُ منها.

وقرأ محمد بن السُّمَيْفَعِ: "فَعَلَّه كبيرُهم" يعني: فلعَلَّه؛ أي: فلَعلَّ الفاعلَ كبيرُهم.

﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾

فلمَّا أَلقمَهم الحجَرَ وأَخَذ بمخَانِقهم ﴿رَجَعُوا إلى أَنْفُسِهم فقالُوا﴾: ....

قوله: **(ما تنكرون؟)** أي: أيّ إنكار تنكرون؟ وقوله: **(وأشدَّ منه)** بأنْ يُعدِمَها.

قوله: **(ويُحكى)** لتقرير الوجه الأخير، والأولى أن يقال: هذا وجه آخر. وقوله: **(غضب)** جملة مستأنفة لبيان سبب فعل كبيرهم هذا، فكأنّه عليه السلام قال: إنما فعل كبيرهم هذا؛ لأنّه غضب.

قوله تعالى: ﴿كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ يجوز أن يكون صفة ﴿كَبِيرُهُمْ﴾، ويجوز أن يكون بدلًا من الضمير المنصوب أي: في ﴿فَعَلَهُۥ﴾، والأوّل أحسن.

قوله: **(﴿فَعَلَّهُ﴾)**[1] قال المبرّد: «'لعلّ' أصله 'علَّ'، فزيدت لام الابتداء عليها».[2] وقوله: **(أَلقمَهم الحجَر)** أَلْقَمَه الحجَر: أسكته. وقوله: **(بمخانقهم)** المِخْنَقة -بالكسر-: القلادة، الخَنِق بكسر النون مصدر خنَقه إذا عصَر حلْقه، ولا يقال بالسكون، والخَنّاق -بالفتح والتشديد- فاعله، والخِناق -بكسر الخاء وتخفيف النون-: ما يُخنَق به مِن حبْل أو وَتَرٍ ونحوه، ومنه قولهم: خنَق رَجُلًا بخِناق، ويروى: بمِخنقةِ خنّاق، وهي / في الأصل: هذه القلادة [١٤٥و]

---

[1] انظر: **مختصر شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ٩٤. [2] انظر: **الجنى الداني** للمرادي، ص ٤٦٧.

﴿أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ على الحقيقة، لا مَن ظَلَمْتُموهُ حينَ قُلتُم: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾﴾

"نَكَسْتُه": قَلَبْتُه فجَعلْتُ أَسفَلَهُ أَعْلاهُ، وانتَكَسَ: انقَلبَ؛ أي: استقَامُوا حين رَجعُوا إلى أَنفُسِهم وجاؤوا بالفِكرة الصَّالحة، ثمَّ انتَكسُوا وانقَلَبُوا عن تلك الحالة فأَخَذُوا في المُجادَلة بالباطل والمكابرة وأنَّ هؤلاء -مع تقاصُرِ حالها عن حال الحَيوان الناطق- آلِهَةٌ معبُودةٌ؛ مُضَارَّةً منهم.

التي تُطيف بالعنق، فاستُعير للخِناق. وقوله: (**ظلَّمْتُموه**)[١] بتشديد اللام، أي: نسبتموه إلى الظلم.

قوله: (**أي: استقاموا**)... إلخ إشارة إلى أنّ قوله تعالى إلى ﴿يَنطِقُونَ﴾ عطف على ﴿فَرَجَعُوٓاْ﴾ إلى ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، فقوله: ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ في مقابلة قوله: ﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾، وكذا قوله: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ في مقابلة ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾؛ لأنّ التقدير: فقالوا: لقد علمتَ ما هؤلاء ينطِقون. وقوله: (**بالفكرة الصالحة**) حيث قالوا: ﴿إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾. وقوله: (**عن تلك الحالة**) وهي الفكرة الصالحة.

قوله: (**وأنّ هؤلاء**) عطف على (**المجادَلة**)[٢] بطريق البيان، أي: أخذوا في ذِكْر أنّ هؤلاء، أو تقرير[٣] أنّ هؤلاء، فإنّ ذِكْر أنّ هؤلاء مجادلة بالباطل.

قوله: (**مضارّةً**) مصدر مِن قوله: (**أخذوا في المجادَلة**) مِن غير لفظه؛ لأنّ الأخذ في المجادَلة[٤] مضارّة، فكأنّه قال: ضارّوا مضارّةً أو جادلوا مجادَلة، ويجوز أن يكون حالًا مِن فاعل "أخذوا" أي: أخذوا في المجادَلة[٥] مضارّين.

---

[١] د ن: ظلَمتوه.
[٢] ن: المجادة.
[٣] د: أو تقدير؛ ن: وتقرير.
[٤] ن: المجاذلة.
[٥] ن: المجاذلة.

أو: انْتَكَسُوا عن كونهم مجادِلِين لإبراهيم مُجَادِلِين عنه حينَ نَفَوا عنها القُدرة على النُّطْق.

أو: قُلِبُوا عَلى رُؤُوسِهم حقِيقَةً لفَرْطِ إطراقِهم خجلًا وانكسارًا وانخِزالًا مِمَّا بهَتَهُم به إبراهيمُ، فما أَحارُوا جوابًا إلَّا ما هو حُجَّةٌ عليهم.

وقرئ: "نكِّسوا" بالتَّشديد، و: "نَكَسُوا" على لفظ ما سُمِّيَ فاعِلُه؛ أي: نَكَسُوا أَنفسَهُم على رُؤوسِهم، قَرَأ به رضوانُ بن عَبد المعبُود.

﴿قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ۝٦٦ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝٦٧﴾

﴿أُفّٖ﴾ صَوْتٌ إذا صُوِّتَ به عُلِم أنَّ صَاحبه مُتَضجِّرٌ؛ أَضجَرهُ ما رَأى من ثبَاتِهم على عبَادتها بَعْدَ انقطَاعِ عُذرهم وبَعْد وضُوحِ الحقِّ وزُهُوقِ الباطل فتَأَفَّفَ بهم.

واللَّامُ لبيَان المتأفَّفِ به؛ أي: لكم ولآلهَتِكُم هذا التأفُّفُ.

قوله: (أو انتكسوا عن كونهم) فكأنّه قال: صاروا مجادلين عن إبراهيم، منتكسين عن كونهم مجادلين لإبراهيم، أعني: لمّا ضمّن "انتكسوا" معنى "صاروا" وقع "مجادلين" في مقام خبر "صاروا"، ووقع "انتكسوا"[١] كأنّه حال، فإنّهم كانوا مجادلين لإبراهيم بالخصومة، فلمّا قالوا: ما هؤلاء ينطقون؛ جادلوا عن إبراهيم؛ لأنّ ذلك الكلام بالحقيقة نافع لإبراهيم ونُصْرةٌ لإبراهيم على ما كان إبراهيم يقوله؛[٢] مِن أنّ هؤلاء الأصنام عاجزون لا يصلحون أن يكونوا معبودين.

قوله: (بهَتَهم) أي: غلبهم به، يقال للمغلوب في المحاجّة: مبهوتٌ، ومنه ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة ٢/٢٥٨]، أي: فغَلَب إبراهيم الكافر.

قوله: (أضجَره) ابتداء كلام، أي: أضجَر إبراهيم.

---

١ ف - معنى "صاروا" وقع "مجادلين" في مقام خبر "صاروا"، ووقع "انتكسوا".

٢ د ن: يقوله.

﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٦٨﴾

أجمَعوا رَأيَهم -لمَّا غُلِبوا- بإهْلاكه، وهكذا المُبطِلُ إذا قُرِعَتْ شُبهَتُه بالحجَّة وافتَضَحَ لم يكن أحَدٌ أبغَضَ إليه من المُحِقِّ، ولم يَبقَ له مَفزَعٌ إلَّا مُناصَبتُهُ؛ كما فعَلَتْ قريشٌ برسول الله صلى الله عليه وسلم حينَ عجزُوا عن المعَارَضة.

والَّذي أشار بإحراقِهِ نُمروذُ.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: رجلٌ من أَعْرَاب العجم. يُريدُ الأَكْرادَ.

ورُوِيَ: أنَّهم حينَ هَمُّوا بإحراقِهِ حبَسُوه ....

قوله: (أجمَعوا رأيهم)[١] الإجماع: الإزماع والاتفاق،[٢] وهنا بمعنى: الإزماع، أي: العزم، والباء زائدة، أي: فعزموا إهلاكه، قال تعالى: ﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ﴾ [يونس ٧١/١٠]، أي: اعزموه، وقوله: "رأيهم" في معنى الظرف، أي: في رأيهم، والأصوب في مثله: جمعوا رأيهم، كأنّه قيل: اجتمع رأيهم، والباء متعلّق بالرأي حال منه، قال أبو[٣] عليّ في **الحجّة**: «زعَم أبو الحسين[٤] أنّ وصل الألف في ﴿فَاجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ﴾[٥] [يونس ٧١/١٠] أكثر في كلام العرب، وإنّما يقطعون الألف إذا قالوا:[٦] أجمَعوا على كذا وكذا؛ أزمَعوا».[٧] وقال المطرّزي في **المُغرب**: «أجمع المسير وعلى المسير: عزم عليه، وحقيقته:[٨] جمَع رأيه عليه».[٩]

قوله: (إلّا مناصبتَه) نصبتُ لفلان نصبًا إذا عاديتَه، وناصبته الحربَ مناصبةً.

قوله: (مِن أعراب العجَم) الأعراب: جمع أعرابيّ، وهو البدويّ عربيًّا كان أو عجميًّا، وليست الأعراب جمع عَرب، والعرَب هم أولاد إسماعيل.

---

١ ن: جمعوا رحلهم.
٢ ن: الاتفاق.
٣ ن: أبوا.
٤ في مطبوع **الحجّة**: "أبو الحسن".
٥ وهي رواية لرُويس عن يعقوب. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٢/٢٨٥.
٦ ن: قالو.
٧ **الحجّة** لأبي عليّ الفارسي، ٣/٢٠٠.
٨ ن: وحقيقة.
٩ **المُغرب** للمطرّزي، «جمع».

ثمَّ بَنَوا بَيتًا كالحَظيرَة بكُوثَى، وجَمعُوا شهرًا أصنَافَ الخَشَبِ الصِّلَاب حَتَّى إن كانت المرأةُ لتَمرَضُ فتقول: إن عَافَانِيَ اللهُ لأَجْمَعَنَّ حَطبًا لإبراهيم، ثمَّ أشعَلُوا نارًا عظيمة كادت الطَّير تحتَرِقُ في الجوِّ من وَهْجِهَا، ثمَّ وَضعُوهُ في المنجنيق مُقيَّدًا مَغلُولًا فرَمَوا به فيها، فنَاداها جبريلُ عليه السلام: ﴿يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾.

ويُحكى: ما أَحرقَتْ منه إلَّا وَثَاقَهُ.

وقال له جبريل حين رُميَ به: هَل لك حاجَةٌ؟ فقال: أمَّا إِلَيْكَ فلَا، قال: فسَل ربَّكَ، قال: حَسْبي مِن سُؤالي عِلمُه بحالي.

وعن ابن عبَّاسٍ: إنَّما نجَا بقَوله: حَسْبيَ الله ونعم الوكيل.

وأَطَلَّ عَليه نمرُوذُ من الصَّرح فإذا هو في رَوضةٍ ومعه جَليسٌ له من المَلائكة،

قوله: (**كالحظيرة**) الحَظْر: الحَجْر، والحظيرة: تُعمل للإبل مِن شجر لتَقيها البرد والريح. وقوله: (**بكوثى**)[١] قرية.

قوله: (**حتى إن كانت**) "إن" في "إن كانت" مخفَّفة مِن الثقيلة، واللام هي الفارقة بينها وبين / "إن"[٢] النافية. [١٤٥ظ]

قوله: (**مِن وهَجها**) الوهَج -بالتحريك-: حرّ النار، والوَهْج: مصدر وهَجَت النار تهِج وهجًا ووهجانًا.

قوله: (**فناداها جبرئيل عليه السلام**) أسند فعل جبرئيل إلى ذاته تعالى في قوله: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى﴾[٣] [الأنبياء ٢١/٦٩] تشريفًا وتكريمًا، كقوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة ٧٥/١٨]؛ أو[٤] لأنّ جبرئيل إنّما قاله تبليغًا مِن الله تعالى.

قوله: (**وَثاقه**) أوثقه: أحكمه، وشدَّه بالوَثاق، أي: بالقيد، وكسر الواو لغة.

قوله: (**وأطلّ عليه**) أي: أشرف.

قوله: (**مِن الصَّرْح**) الصَّرح: القصر، وكلّ بناءٍ عالٍ، والجمع: الصُّروح.

---

١ ن: بكرثى.
٢ ف: أن.
٣ ن - في قوله: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى﴾ [الأنبياء ٢١/٦٩].
٤ ف ن: و.

فقال: إنّي مُقَرِّبٌ إلى إلهِكَ، فذبحَ أربعة آلاف بقرَةٍ وكفَّ عن إبراهيم، وكان إبراهيمُ إذ ذاك ابنَ ستَّ عشرَة سنةً.

واختارُوا المعَاقبةَ بالنار؛ لأنَّها أهوَلُ ما يُعَاقَبُ به وأَفظَعُهُ؛ ولذلك جاء: «لا يُعَذِّبُ بالنَّارِ إلَّا خالِقُها»، ومِن ثَمَّ قالوا: ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾؛ أي: إن كنتُم ناصرينَ آلِهتَكم نصرًا مُؤزَّرًا فاختارُوا له أهْوَلَ المعاقَباتِ وهي الإحراقُ بالنَّارِ وإلَّا فرَّطتُم في نُصرَتها؛ ولهذا عَظَّمُوا النَّارَ وتكلَّفُوا في تَشْهِيرِ أَمْرِها وتَفخِيمِ شَأنِها ولَم يألُوا جُهدًا في ذلكَ.

﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾

جُعِلتِ النَّارُ لمُطَاوَعتِهَا فِعْلَ اللهِ وإرادتَه كمَأمُورٍ أُمرَ بشيءٍ فامتَثلَهُ، والمَعنى: ذاتَ بَرْدٍ وسَلامٍ، فَبُولغَ في ذلك كأنَّ ذاتَها بَردٌ وسَلامٌ، والمراد: ابرُدِي فيَسْلَمَ منكِ إبراهيم، أو ابرُدِي بَرْدًا غيرَ ضَارٍّ.

وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنه: لو لم يقُلْ ذلك لأَهْلكتْهُ ببَرْدِها.

قوله: **(فقال: إني مقرّب)** قال: عظيم ربُّك يا إبراهيم، ثم قال: إني مقرِّبٌ إلى إلهك،[١] أي: أَجعَل قربانًا.

قوله: **(وإلّا فرّطتم)** أي: وإن لم تحرّقوا.

قوله: **(كأنّ ذاتها بردٌ وسلام)** تسمية بالمصدر، كقولك: رجل عدل، أي: ذو عدل، كقول الخنساء:

فـإنّـمـا هــي[٢] إقـبــالٌ وإدبـــارُ[٣]

قوله: **(والمراد ابرُدي)**... إلخ فعلى الوجه **الأوّل**: يكون ﴿وَسَلَٰمًا﴾ تقريرًا لمعنى ﴿بَرْدًا﴾. وعلى **الثاني**: معنى آخر مغايرًا له. وقوله: **(وعن ابن عبّاس)**... إلخ[٤] يريد التفسير الثاني.

---

١ **الكشف والبيان للثعلبي**، ١٥٥/١٨ (الأنبياء، ٦٩/٢١).

٢ ن - تسمية بالمصدر، كقولك: رجل عدل، أي: ذو عدل، كقول الخنساء: فإنما هي.

٣ صدره:
ترتَع ما رتَعَت حتّى إذا ادّكرت
ديوان الخنساء، ص ٣٨٣.

٤ انظر: **جامع البيان للطبري**، ٣٠٦/١٦ (الأنبياء، ٦٩/٢١).

فإن قلتَ: كيف بَردتِ النَّارُ وهي نارٌ؟

قلتُ: نزَعَ الله عنها طَبْعَها الَّذي طَبَعهَا عَليه من الحَرِّ والإحراق وأَبقاها على الإضاءةِ والإشراق والاشتعال كما كانت، واللهُ على كلِّ شيءٍ قَديرٌ.

ويجوز أن يَدْفع بقُدرتهِ عن جِسْم إبراهيم أَذَى حرِّهَا ويُذيقَهُ فيها عَكسَ ذلك كما يَفعلُ بخَزنةِ جَهنَّم، ويَدُلُّ عَليهِ قولُه: ﴿عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾.

﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠﴾

وأرادُوا أن يَكيدُوه ويَمكُروا به فما كانوا إلَّا مَغْلوبِين مَقْهُورِين؛ غالَبُوه بالجِدَال فغَلَّبه اللهُ ولقَّنه المُبَكِّتَ، وفَزِعُوا إلى القُوَّة والجَبروت فَنصَره وقَوَّاهُ.

﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ٧١﴾

نُجِّيا من العِراق إلى الشَّامِ، وبَركاتُه الواصلةُ إلى العالَمِين: أَنَّ أكثرَ الأنبياءِ بُعِثُوا فيه، فَانتشَرت في العالَمِينَ شَرَائعُهم وآثارُهم الدِّينيَّةُ وهي البركاتُ الحقيقيَّةُ.

وقيلَ: بارَكَ اللهُ فيه بكثرةِ الماء والشَّجرِ والثَّمرِ والخِصْبِ، وطيبِ عَيْش الغنيِّ والفقير.

وعن سفيان: أنَّه خرجَ إلى الشَّام، فقيل له: إلى أَيْنَ؟ فقالَ: إلى بلَدٍ يُملَأُ فيه الجِرابُ بدرْهمٍ.

وقيل: ما من ماءٍ عَذْبٍ إلَّا وَينبُعُ أَصْلُه مِن تحت الصَّخرة التي ببَيتِ المَقدِس.

قوله: (**كما كانت**) أي: كما كانت مضيئة مشرقة قبل[1] كونها بردًا.

قوله: (**ويذيقَه**) أي: إبراهيم. وقوله: (**فيها**) أي: في النار، وهو ظرف أو حال. وقوله: (**عكسَ ذلك**) أي: عكس أذى الحَرِّ، وهو لذّة النسيم. وقوله: (**ويدلّ عليه**) أي: على الوجه الثاني.

قوله: (**غالبوه بالجدال**) جملة مبيّنة لقوله: (**أرادوا أن يكيدوه**)... إلخ.

---

[1] ن: قيل.

روي: أنه نزَلَ بفِلَسْطِينَ ولُوطٌ بالمؤتفِكة، وبَينهما مَسيرةُ يومٍ ولَيْلة.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ۝٧٢﴾

"النَّافلةُ": وَلدُ الوَلدِ، وقيل: سَألَ إسحاقَ فأعطِيَه، وأُعطيَ يعقوبَ نافلةً؛ أي: زِيادةً وفضلًا مِن غَيْرِ سُؤَال.

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ۝٧٣﴾

﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ فيه: أَنَّ من صَلح ليكونَ قِدوةً في دِين الله فالهدَايةُ مَحتُومةٌ عليه مأمورٌ هو بها من جهَةِ الله، ليس له أن يُخِلَّ بها ويَتَاقَلَ عنها، وأوَّلُ ذلك أن يَهتَديَ بنفسِه؛ لأنَّ الانتفَاعَ بهُدَاهُ أَعَمُّ، والنُّفُوسَ إلى الاقتداء بالمَهْدي أَمْيَلُ.

﴿فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ أَصْلُه: أَن تُفعَل الخَيراتُ، ثمَّ: فِعلًا الخَيْراتُ، ثم: فِعْلَ الخَيْراتِ، وكذلك ﴿إِقَامَ الصَّلاةِ وإيتاءَ الزَّكاةِ﴾.

﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ۝٧٤﴾

﴿حُكْمًا﴾: حكمةً، وهو ما يجبُ فعْلُه. أَو: فصْلًا بَين الخُصُوم، وقيل: هُو النُّبوَّةُ.

قوله: (أي: زيادةً) وقوله: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء ٧٩/١٧]، أي: زيادةً على الفرائض؛ لأنّ التهجّد كان فرضًا عليه كرامةً، والنوافل: العطايا.

قوله: (﴿بِأَمْرِنَا﴾ فيه) أي: في قوله تعالى: ﴿يَهْدُونَ﴾ إشارة إلى أنّ مَن[١] صَلَح؛ وذلك لأنّ قوله: ﴿يَهْدُونَ﴾ كالبيان لقوله[٢] ﴿أَئِمَّةً﴾، فبيّن أنّ الأئمّة هم الذين يهدون.

---

[١] ن – من.
[٢] ن: كقوله.

والقريةُ: سَدُومُ.

﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِي رَحْمَتِنَآۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٧٥﴾

أي: في أَهل رَحمتِنَا، أو: في الجَنَّة، ومنه الحديثُ: «هذه رَحْمتي أَرْحَمُ بها مَن أشاءُ».

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ٧٦ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ٧٧﴾

﴿مِن قَبْلُ﴾: مِن قَبْلِ هؤلاء المَذكُورين.

هو "نصَرَ" الَّذي مُطاوعُه: انتَصَر، وسَمِعتُ هُذَلِيًّا يَدعُو عَلى سَارِقٍ: اللّٰهم انصُرْهُم منه؛ أي: اجعَلهم مُنتصِرين منه.

و"الكَرْبُ": الطُّوفانُ، وما كان فيه من تكذيبِ قومه.

قوله: (سَدوم) سَذوم: أعظم القرى بالمؤتفكة، وهي: عامورا وآذوما[١] وصَبْوائم وصُعَر، وهي تسمّى بالمؤتفكات والمؤتفكة.

قوله: (**هو "نصر" الذي مُطاوعه**) "نصَر": منَع، و"انتصر": امتنع، قال تعالى: ﴿هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾ [الشعراء ٩٣/٢٦]، أي: هل يمنعونكم أو يمتنعون؟ وههنا "نصَر" بمعنى: منَع، لا بمعنى: أعان.

قوله تعالى: ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾ أي: جعلناه منتصرًا،[٢] هذا هو المعنى، لا المكتوب مِن الجانب الآخر، فقد ذكر المصنِّف في هذا الكتاب أنّ الانتصار قد يكون بمعنى: الانتقام، وقد يكون بمعنى: الامتناع، فالمعنى: جعلناه منتقِمًا مِن الذين كذّبوا. وقوله:[٣] (**هُذَليًا**) القياس: هُذَيلي. وقوله: (**انصرهم منه**) أي: مِن السارق. وقوله: (**منتصرين**) أي: منتقمين.

قوله: (**وما كان فيه مِن تكذيب قومه**) أي: وما كان نوح فيه، و"من" بيان "ما".

---

١ ف: وذوما.

٢ ن: منتصرًا.

٣ ن - وقوله.

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨﴾

أي: واذكرهُما، و﴿إِذۡ﴾ بدَلٌ منهما، و"النَّفْشُ": الانتشارُ باللَّيل.

﴿وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ﴾ وجَمَعَ الضميرَ؛ لأنه أرادَهُما والمتحَاكِمَيْنِ إليهما، وقرئ: "لحُكْمهما".

﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ٧٩﴾

والضَّميرُ في ﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا﴾ للحكومة أو الفَتْوى، وقرئ: "فأَفْهَمْناها".

حَكَمَ داوُدُ بالغَنم لصَاحِب الحَرْث، فقال سليمان عليه السلام وهو ابنُ إحدَى عَشْرةَ سنةً: غَيرُ هذا أرفَقُ بالفَريقينِ، فَعَزم عَليه ليَحْكُمَنَّ، فقَال: أرَى أَنْ تُدفَع الغَنمُ إلى أَهل الحَرْثِ يَنتفعُونَ بألبَانِهَا وأولادها وأصوَافِها، والحَرْثُ إلى أرباب الشَّاء يَقومُون عليه حتَّى يَعود كهيئَتِه يَوم أُفسِدَ ثمَّ يتَرادَّانِ، فقال: القضَاءُ ما قضيتَ، ....

قوله: (والنَّفْشُ: الانتشار) نفَشَت الغنم والإبل تنفُش وتنفِش نُفُوشًا إذا رعَت بلا راع، ولا يكون النَّفْش إلّا بالليل، واسمها: النَّفَش.

قوله: (وجمع الضمير) يعني: في ﴿لِحُكۡمِهِمۡ﴾، لأنَّه تعالى أراد داود وسليمان واللذين / تحاكما إلى داود وسليمان عليهما السلام. [١٤٦و]

قوله: (أو الفتوى) الفتوى مِن الفتَى؛ لأنّها جواب حادثة.

قوله: (أرفَقُ بالفريقين) الرِّفق: خلاف الخُرْقِ والعُنف، يقال: ترفَّق به، أي: تلطّف به.

قوله: (فعزَم عليه) أي: عزَم داود على سليمان، يقال: عَزَمتُ عليك، أي: أقسمت عليك. وقوله: (ليَحْكُمَنَّ) أي: سليمان. وقوله: (فقال: أرى) أي: سليمان. وقوله: (فقال: القضاء) أي: قال داود. وقوله: (ما قضيتَ) أي: يا سليمان.

وأَمضَى الحُكمَ بذلك.

فإن قلتَ: أَحَكَمَا بوحْيٍ أمْ باجتهادٍ؟

قلتُ: قيل: حَكمَا جميعًا بالوَحي، إلَّا أن حكومةَ داودَ نُسخَت بحكومة سُليمان.

وقيل: اجتهدَا جميعًا، فجاء اجتهادُ سليمانَ أشبَهَ بالصَّواب.

فإن قلتَ: ما وَجهُ كُلِّ واحدةٍ مِن الحُكومَتين؟

قلتُ: أمَّا وَجهُ حكومةِ داوُدَ عليه السلام: فلأنَّ الضَّرر وَقعَ بالغَنم فسُلِّمتْ بجِنَايَتِها إلى المَجنيّ عليه؛ كما قال أبو حنيفةَ رحمه الله في العَبد إذا جَنى على النَّفس: يَدفعُه المولى بذلك أو يَفدِيهِ، وعند الشافعي رحمه الله: يَبيعُه في ذلك أو يَفديه.

وقوله: **(وأمضَى)** أي: داود.

قوله: **(قلتُ: قيل**: "**حَكَما جميعًا بالوحي**") والظاهر أنّ ذلك بالاجتهاد لا بالوحي؛ لأنّهما لو قالا: بالوحي؛ لَما اختصّ سليمان بقوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾، وأمّا إذا كان ذلك بالاجتهاد وكان اجتهاد سليمان صوابًا أو أصوب قيل في حقّه: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾، ولمّا كان الاجتهاد في نفسه مفتقِرًا إلى العِلم ولا يصحّ بدون العِلم قيل: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾.

قوله: **(بالغنم)** أي: بسبب الغنم.

قوله: **(سُلِّمت بجنايتها)** مقدّم على "فلأنّ الضَّرر"؛ لأنّ تسليم الغنم حكم، وكون الضرر واقعًا بسبب الغنم علّة، والعلّة يجب تأخرها عن الحكم. واعلم أنّ هذه الحاشية غير منقّحة؛ لأنّ العلّة تكون مقدّمة على الحكم، وحاصل المعنى: أنّ الضرر وقع على صاحب الحَرْث مِن الغنم بسبب تقصير صاحب الغنم، فسُلّمت الغنم إلى صاحب الحَرْث، والظاهر أنّ هنا لفظة سقطت في الكتابة، وهي: إمّا "لمّا" أو فاء السببيّة، فكان إمّا هكذا: فلأنّ الضرر لمّا وقع بالغنم سُلّمت، أو هكذا: فلأنّ الضرر وقع بالغنم فسُلِّمت، ولمّا لم يكن في اللفظة شيء منهما كُتِب ما في الحاشية ما كُتِب.

ولعَلَّ قيمةَ الغَنم كانت على قَدْر النقصان في الحرث.

ووجهُ حكومة سليمانَ: أنه جعَل الانتفاع بالغنم بإزاءِ ما فَات من الانتِفاع بالحَرثِ من غَير أن يَزولَ مِلكُ المالك عن الغَنم، وأَوجب على صاحِبِ الغَنم أَنْ يَعمل في الحَرث حتى يَزُولَ الضَّررُ والنقصَانُ، مثالُه: ما قال أصحاب الشَّافعي رضي الله عنه فيمَن غصَبَ عَبْدًا فَأبَقَ من يَدِه: أَنَّه يضمَن القيمةَ فيَنتفِعُ بها المغصوبُ منه بإزاء ما فَوَّته الغَاصبُ من مَنافع العَبد، فإذا ظَهَر ترَادَّا.

فإن قلتَ: فلو وقَعت هذه الواقعةُ في شريعتنا ما حُكمُهَا؟

قلتُ: أبو حنيفة رضي الله عنه وأَصحابُه رحمهم الله لا يَروْن فيه ضَمانًا باللَّيل أَو بالنَّهَار إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَعَ البَهيمة سائقٌ أو قائدٌ، والشَّافعيُّ رحمه الله يُوجب الضَّمان باللَّيل.

وفي قوله: ﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَ﴾ دليلٌ على أنَّ الأصوَبَ كان مع سليمان عليه السلام.

وفي قوله: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا﴾ دليلٌ على أنَّهُما جَميعًا كانَا على الصَّواب.

قوله: **(مِن غير أن يزول)** متعلِّق بـ"الانتفاع" في قوله: **(جعل الانتفاع)**. وقوله: **(بإزاء)** مفعول ثانٍ لـ"جعل"، ويلزم منه الفصل بين المصدر ومعموله بأجنبيّ، فالأَولى أن نقول: "بالإزاء" متعلِّق بـ"الانتفاع"، وقوله: "مِن غير" هو المفعول الثاني لـ"جعل".

قوله: **(أنّه يضمَن القيمة)** أمّا الفتح فعلى كونه بدلًا مِن ما قال أصحاب الشافعيّ، وأما الكسر فحكاية بعد "قال". وقوله: **(فإذا ظهَر)** أي: العبد.

قوله: **(كانا على الصواب)** هذا إن قلنا: إنّ كلّ مجتهدٍ مصيب، وأمّا إن قلنا: المجتهد يخطئ ويصيب؛ فقوله تعالى: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا﴾ لا ينافيه؛ لأنّ خطأ المجتهد لا يوجب أن لا يكون له عِلم وحكم؛ بل كل مجتهد لا بدّ أن يكون عالِمًا، إذ لو لم يكن عالمًا بالغًا إلى مرتبة الاجتهاد لا يجوز له الاجتهاد.

﴿يُسَبِّحۡنَ﴾ حالٌ بمعنى: مُسَبِّحَاتٍ، أو اسْتِئناف كأنَّ قائلًا قال: كيفَ سَخَّرهُنَّ؟ فقال: يُسبِّحنَ.

﴿وَٱلطَّيۡرَ﴾ إمَّا مَعْطوف على ﴿ٱلۡجِبَالَ﴾ وإما مفعولٌ معَهُ.

فإن قلتَ: لم قُدِّمت الجبَالُ على الطير؟

قلتُ: لأن تَسخيرَها وتسبيحَها أَعجبُ وأدَلُّ عَلى القُدرة وأَدخلُ في الإعجاز؛ لأنَّها جَمادٌ والطَّيرُ حَيوانٌ ناطِقٌ.

رُوي: أنَّه كان يَمرُّ بالجبَالِ مُسبِّحًا وهي تُجاوبُه.

وقيل: كانَت تسيرُ معهُ حَيْثُ سَار.

فإن قلتَ: كيف تَنْطِقُ الجبالُ وتُسبِّحُ؟

قلتُ: بأَن يَخلُقَ اللهُ فيها الكلامَ كمَا خَلقه في الشَّجرة حِينَ كَلَّم مُوسى.

وجَوَابٌ آخَرُ: وهوَ أَنْ يُسَبِّحَ مَن رَآها تَسيرُ بتَسْيير اللهِ، فلمَّا حَمَلَتْ عَلى التَّسبيح وُصِفَتْ به.

﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾؛ أي: قَادِرين على أَن نَفعَلَ هذا وإن كانَ عَجبًا عِنْدَكُم.

وقيل: وكُنَّا نَفعلُ مثلَ ذلك بالأنبياء.

﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ ٨٠﴾

"اللَّبُوس": اللِّباسُ، قال:

قوله تعالى: ﴿مَعَ دَاوُۥدَ﴾ حال مِن ﴿ٱلۡجِبَالَ﴾، أي: سخرنا الجبال كائنةً مع داود، والمراد بكونها معه: إمّا سيرها مع سيره، وإمّا تسبيحها مع تسبيحه.

قوله: **(والطير حيوان ناطق)** مِن قوله تعالى: ﴿عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ﴾ [النمل ١٦/٢٧]. وقوله: **(فلمّا حملت)** أي: الجبال مَن يُسبِّح. قوله: **(وُصِفت به) أي**: الجبال بالتسبيح.

قوله:

اِلْـبَـسْ لِـكُـلِّ حَـالَـةٍ لَـبُـوسَـهَـا

والمرادُ: الدِّرع، قال قتادةُ: كانت صَفَائحَ، فَأَوَّلُ مَن سَرَدهَا وحَلَّقَها داوُدُ. فجمعَتِ الخِفَّةَ والتَّحْصِينَ.

﴿لِتُحْصِنَكُم﴾ قرئ بالنون والتاء والياء، وتخفيفِ الصاد وتشديدها، فالنونُ لله عزَّ وجلَّ، والتاءُ للصَّنعة أو لِلَّبوسِ على تأويل الدِّرع، والياءُ لِدَاوُدَ أو للَّبُوس.

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾﴾

قرئ: ﴿الرِّيْح﴾ و﴿الرِّيَاح﴾ بالرَّفع والنَّصْب فيهما، فالرَّفعُ على الابتداء والنصبُ للعطفِ على الجبال.

(الـبَـسْ لـكـلِّ حـالـة لَـبـوسَـهـا)

تمامه:

إمّـا نـعـيـمـهـا وإمّـا بـوسـهـا[1]

أي: البَس لكلِّ حالةٍ ما يصلح لها، وليس المراد به: لُبس الثياب، يعني: أعِدَّ لكلِّ زمان ما يُشاكله ويلائمه.

[١٤٦ظ] قولـه: / (والمـراد: الـدِّرع) كانـت الـدِّرع قبـل داود صفائـح، أي: قطـع حديد عِراضًا.

قوله: (وتشديدها) شاذّ.[2]

قوله: (بالرفع) شاذّ.[3] وقوله: (والنصب) سبعة.[4]

---

١ لبَيهس الفزاري في لسان العرب لابن منظور، «لبس».

٢ انظر: الكامل للهذلي، ص ٦٠١. أما مذاهبهم في الصحيح فقرأ أبو جعفر وابن عامر وحفص بالتاء على التأنيث، ورواه أبو بكر شعبة ورُويس بالنون، وقرأ باقي العشرة بالياء على التذكير. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٣٢٤.

٣ انظر: مختصر شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ٩٥.

٤ لا خلاف فيه بين القرّاء العشر.

فإن قلتَ: وُصِفت هذه الرياحُ بالعَصْف تارةً وبالرَّخاوة أُخرى، فما التوفيقُ بينهما؟

قلتُ: كانت في نفسها رخيَّةً طيِّبةً كالنَّسيم، فإذا مَرَّت بكرسيِّهِ أبعَدَتْ به في مُدَّةٍ يَسيرةٍ، على ما قال: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سبأ ١٢/٣٤]، فكان جَمعُها بينَ الأَمرين: أَنْ تكونَ رُخاءً في نفسها وعَاصِفةً في عَملِها، مع طَاعَتها لسُليمانَ وهبُوبِها على حَسَب ما يُريدُ ويَحْتكِمُ، آيَةً إلى آيةٍ ومُعجزةً مع معجزةٍ.

وقيل: كانت في وقتٍ رُخاءً وفي وقتٍ عاصِفًا؛ لِهُبوبها على حُكْم إرادتهِ.

قوله: **(بكرسيّه)**[1] الباء للتعدية.

قوله: **(رُخاءً في نفسها)** الرُخاء -بالضمّ-: الريح[2] الليّنة.[3] وقوله: **(مع طاعتها)** متعلِّق بقوله: **(عاصفةً)**؛ لأنَّ عصْفها كان[4] يشتدّ ويضعف على حسب إرادة سليمان، وكانت رُخاءً في أحوال عصفها، وبهذا يظهر لك الفرق بين هذا الوجه والوجه الثاني الذي أشار إليه بقوله: **(وقيل: كانت)**...[5] إلخ، وهو[6] عطف على قوله: **(كانت)**... إلخ. وقوله: **(ويَحتكِم)** أي: يَحكم، يقال:[7] حَكّمتُه في مالي إذا جعلتَ إليه الحكم فيه، فاحتكم عليَّ في ذلك.

قوله: **(آيةً إلى آيةٍ)** اعلم أنّ قوله: "آيةً"[8] خبر بعد خبر لـ"تكون"؛ لأنّ قوله: **(رُخاءً)** و**(عاصفةً)** في حكم خبر واحد، وقوله: "آيةً" خبر ثانٍ، وقوله: "إلى آيةٍ" صفة "آيةً"، أي: آيةً منضمّةً إلى آية، فتسخيرها آيةٌ، وكونها ليّنةً في نفسها عاصفةً في عملها[9] آيةٌ أخرى. ويجوز أن يكون قوله: "آيةً إلى آيةٍ" صفة لقوله: "رُخاءً" و"عاصفةً"، ويجوز أن يقال: قوله: "أن تكون" مع ما في حيّزه[10] إلى قوله:

---

١ ن: بكرسيّة.
٢ ن: ريح.
٣ ن: ليّنه.
٤ ن: كان.
٥ د ف: وكانت.
٦ ف: هو.
٧ ن - يقال.
٨ ن + لا.
٩ ن: علمها.
١٠ ن: خبره.

﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾: وقد أحاط عِلمُنا بكلِّ شيءٍ، فنُجرِي الأشياء كلَّها على ما يَقتضيه عِلمُنا وحكمتُنا.

﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾

أي: يغوصُون له في البحارِ فيَستخرِجُون الجواهرَ، ويتَجاوزون ذلك إلى الأعمال والمِهَنِ وبناءِ المَدائن والقصُور، واختراعِ الصنائع العَجيبة؛ كما قال: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ﴾ [سبأ ١٣/٣٤] واللهُ حافظُهم أن يَزيغُوا عَن أَمره أَوْ يبَدِّلُوا أو يُغَيِّرُوا، أو يُوجَدَ منهم فسَادٌ في الجُملة فيما هم مُسَخَّرون فيه.

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ ۖ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾

أي: ناداه بـ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ﴾.

وقرئ: "إنِّي" بالكسر على إضمارِ القول، ....

"ويَحتكم" بدل من قوله: "الأمرين"، وقوله: "أيةً إلى آيةٍ" خبر "كان" في قوله: "فكان"، ويجوز أن يكون حالًا مِن الضمير المستتر في "رُخاءً" و"عاصفةً".[١]

واعلم أنّ ضرب الخطّ على بعض الحاشية ليس بجيّد، إذ كلّه صواب، لكن الأظهر أن تقول:[٢] أجاب عن السؤال بقوله:[٣] "كانت" إلى "شهرٌ"، ثم ذكر فائدةً آخرى لزم مِن هذا الجمع: وهو أنّ الجمع بين كونه رُخاءً وعاصفًا على الوجه المذكور اقتضى تعدّد المعجزة، فقوله: "أن تكون" بدل مِن الأمرين، و"آيةً" خبر "كان".

قوله: **(يَغوصون له)** أي: لسليمان. وقوله: **(ويتجاوزون)** إشارة بقوله: "يتجاوزون" إلى أنّ قوله: ﴿دُونَ﴾ حال مِن واو ﴿يَعْمَلُونَ﴾. وقوله: **(والمِهن)** المهنة: الخدمة.

قوله: **(ناداه بـ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ﴾)** فتح أنّ في السبعة. وقوله: **(وقرئ: ﴿إِنِّي﴾ بالكسر)** شاذّ.[٤]

---

[١] ف – خبر بعد خبر... في "رُخاءً" و"عاصفةً"؛ وفي هامش د: من هنا [يعني قوله: خبر بعد خبر] إلى هنا [يعني قوله: في "رُخاءً" و"عاصفةً"] مضروبٌ عليه.

[٢] د ن: يقول.

[٣] ف + عن السؤال بقوله.

[٤] عن عيسى بن عمر. انظر: **تفسير القرطبي**، ٢٠٧/١٥ (الأنبياء، ٨٣/٢١).

أو لِتَضمُّن النداءِ معْنَاه.

و"الضَّرُّ" -بالفتح-: الضَّررُ في كلِّ شيءٍ، وبالضمِّ: الضَّررُ في النفس من مرَضٍ وهُزال، فُرِّقَ بين البناءَين لافتراقِ المَعنَيين.

ألطَفَ في السؤالِ حيث ذكَر نفسَه بما يُوجِبُ الرَّحمةَ، وذَكرَ ربَّهُ بغاية الرَّحمةِ، ولم يُصَرِّحْ بالمطلوب.

ويُحكَى: أنَّ عَجُوزًا تَعرَّضَتْ لسُليمان بن عبد الملك فقالت: يا أميرَ المؤمنين، مَشَتْ جِرْذَانُ بَيْتي عَلى العِصيِّ! فقال لها: ألطَفْتِ في السؤال، لا جرَمَ لأَرُدَّنَّها تَثِبُ وَثْبَ الفُهود. ومَلأَ بَيْتَها حَبًّا.

كان أيُّوبُ عليه السَّلامُ رُوميًّا من ولد إسحاق بن يَعْقُوبَ بن إبراهيم عليه السلام، وقد استنبَأه اللهُ وبَسَط عليه الدُّنيا وكثَّر أَهلَه ومالَهُ: كان له سَبعةُ بنينَ وسبعُ بناتٍ، وله أصنافُ البهائم وخمسُ مئةِ فدَّانٍ يَتْبعُها خمسُ مئةِ عبْدٍ،

قوله: **(أو لتضمّن النداء)**؛ لأنّ النداء ضرب مِن القول.

قوله: **(عجوزًا)** هي ليلى الأخيلية. وقوله: **(جِرْذان بيتي)** يقولون في الدعاء للإنسان بالخِصْب: كثّر الله جِرذان بيتِك، جمع: جُرَذ، وهو الكبير مِن الفأر، كصِرْدانٍ في جمع صُرَدٍ. وقوله: **(على العِصيّ)** أي: متّكئةً على العصيّ، فـ"على العصيّ" حال، لا مفعول به ولا ظرف؛ لفساد المعنى.

قوله: **(من ولد إسحاق بن إبراهيم)** وقع في بعض النسخ: "إسحاق بن يعقوب" وهو سهوٌ مِن القلم، والصواب كما لا يخفى: إسحاق بن إبراهيم، أو يعقوب بن إسحاق. وَهْب: «هو أيّوب بن أموص بن رازح بن روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم».[١]

قوله: **(فدّانٍ)** الفدّان: آلة الثور للحَرث، وهو "فعّال" بالتشديد، قال أبو[٢] عمرو: «هي البقرة التي تحرُث»،[٣] والجمع: الفدادين مخفّفًا.

---

١ **الكشف والبيان** للثعلبي، ١٧٦/١٨ (الأنبياء، ٨٣/٢١). ٣ **الصحاح** للجوهري، «فدن».

٢ ن: بن.

لكلِّ عَبْدٍ امرأةٌ وَولدٌ ونخيلٌ، فابتلاهُ اللهُ بذهَاب وَلده -انهدَم عليهم البيْت فَهلكوا- وبذهاب مالهِ وبالمَرض في بَدنهِ ثماني عشرةَ سنةً.

وعن قتادة: ثلاثَ عشرةَ. وعن مقاتل: سَبْعًا وسبْعةَ أَشهُر وسَبْعَ سَاعَات.

وقالت له امرأتُه يومًا: لَو دَعوْتَ اللهَ؟ فقال لها: كَم كانَتْ مُدَّةُ الرَّخاء؟ فقالت: ثمانين سنةً، فقال: أَنا أَستحي من الله أن أدعُوَهُ ومَا بلغَتْ مدَّةُ بلائي مُدَّةَ رَخائي.

فلمَّا كشَف الله عنه أَحْيَا ولدَه ورَزقَه مِثلَهُم ونوافِلَ منهم.

وروي: أنَّ امرأتَهُ وَلدَتْ بَعْدُ سِتَّةً وعشرين ابنًا.

﴿رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ﴾؛ أي: لرحمتِنا العابدينَ وأَنَّا نَذكُرُهُم بالإحسان لا نَنسَاهُمْ، أو: رَحْمةً مِنَّا لأيُّوبَ وتَذْكرةً لغَيره من العابدين ليَصْبِرُوا كما صَبر حتَّى يُثابُوا كما أُثِيبَ في الدُّنيا والآخرة.

﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٨٥ وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٨٦﴾

قيل في ذي الكِفْل: هو إليَاسُ، وقيل: زكريَّا، وقيل: يُوشعُ بن نُونٍ.

وكأنه سُمِّي بذلك لأنه ذُو الحظِّ من الله ....

قوله: (**امرأته**) هي رحمة بنت يوسف.

قوله: (**لو دعَوْتَ الله**) "لو" هذه محتملة أن يكون للتمنّي بمعنى: ليت، وأن يكون للشرط.

قوله: (**ونوافل**) النافلة: ولد الولد.

قوله: (**أي: لرحمتنا العابدين**) أي: يكون ﴿رَحۡمَةٗ﴾ ﴿وَذِكۡرَىٰ﴾ متنازعين في ﴿لِلۡعَٰبِدِينَ﴾. وقوله: (**أو رحمةً منا**) / وعلى هذا لا يكونان[1] متنازعين فيه. [١٤٧و]

[1] ن – متنازعين في ﴿لِلۡعَٰبِدِينَ﴾. وقوله: (أو رحمةً منا) وعلى هذا لا يكونان.

والمَجدُودُ عَلى الحقيقة.

وقيل: كان له ضِعْفُ عمل الأنبياء في زمانه وضِعْفُ ثوابهم.

وقيل: خمسةٌ من الأنبياء ذوُو اسمَيْن: إسرائيل ويعقُوب، إلياسُ وذُو الكِفل، عيسى والمسيح، يونس وذُو النُّون، محمَّدٌ وأَحمدُ، صلوات الله عليهم أجمعين.

قوله: **(والمَجدود)** الجَدّ: الحظّ، والإقبال في الدنيا، ومنه: «ولا ينفع ذا الجَدِّ منك الجَدُّ»،[١] أي: لا ينفع المحظوظَ حظُّه بدَلَك،[٢] أي: بدَلَ طاعتك، يقال: جُدَّ -بالضمّ- فهو مَجدود، قاله في **المُغرب**.[٣] وقال في **الصِّحاح**: «الجَدُّ: الحَظّ والبَختُ، والجمع: جدود، تقول: جُدِدتَ يا فلان، أي: صِرتَ ذا جَدّ، فأنت جديد: حظيظ، ومجدود: محظوظٌ، وفي الدعاء: 'ولا[٤] ينفع ذا الجَدِّ منك الجَدُّ'، أي: لا ينفع ذا الغِنى عندك غِناه، وإنّما ينفعه العمل بطاعتك، و"منك" معناه: عندك».[٥] وقال في **المُجمل**: «الجَدُّ: الحظُّ والغِنى، قال رسول الله عليه الصلاة والسلام في دعائه: 'ولا ينفع ذا الجَدِّ منك الجَدُّ'، أي: لا ينفع ذا الغنى منك غِناه، إنّما ينفعُه العمل بطاعتك».[٦] ثمّ إنّي نَقلتُ هنا ما كتب أئمّة اللغة في معنى "المَجدود"؛ ليتبيّن أنّه لم يجِئ منه فعل متعدّ ولا مصدر بمعنى التعدّي، وإنّما جاء اسم المفعول والفعل المبنيّ للمفعول، وقد ذكر في **مصادر الزَوزنيّ** ما يدلّ على أنّ الفعل منه جاء لازمًا، فقال: «الجَدُّ: خُداوند بخت وبُزرگ وتوانگر شُدن».[٧]

قوله: **(إسرائيل)** اسم. وقوله: **(ويعقوب)** لقب. وقوله: **(إلياس)** اسم. وقوله: **(وذو الكِفْل)** لقب. وقوله: **(عيسى)** اسم. وقوله: **(والمسيح)** لقب. وقوله: **(يونس)** اسم. وقوله: **(وذو النون)** لقب.

---

١ مِن ثنائه صلّى الله عليه وسلّم دبر الصلاة، وكذا في الصلاة عند الرفع مِن الركوع. انظر: **صحيح البخاري**، ١٦٨/١ (٨٤٤)؛ **وصحيح مسلم**، ٣٤٧/١ (٤٧٧).

٢ ن: بذلك.

٣ **المُغرب** للمطرّزي، «جدد».

٤ ف: لا.

٥ **الصحاح** للجوهري، «جدد».

٦ **مُجمل اللغة** لابن فارس، «جدد».

٧ **المصادر** للحسين الزوزني، مخطوط.

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾

﴿ٱلنُّونِ﴾: الحُوتُ، فأُضِيف إليه.

بَرِمَ بقومِه لطُول ما ذَكَّرَهُم فلم يَذَّكَّرُوا وأقامُوا عَلى كُفرهم، فراغَمهَم وظنَّ أنَّ ذلك يَسُوغ حيثُ لم يفعَلْهُ إلَّا غَضبًا لله وأنَفةً لِدينه وبُغضًا للكُفر وأهْلِهِ، وكان عليه أن يُصابِرَ ويَنتظِرَ الإذنَ من الله في المُهاجَرَة عنهم، فَابتُلي ببَطنِ الحُوتِ.

ومعنَى مُغاضَبتِه لقومه: أنَّه أغْضَبَهم بمُفارقته؛ لخَوفِهم حُلولَ العِقاب عليهم عندها.

وقرأ أبُو شَرفٍ: "مُغْضَبًا".

قرئ: ﴿نَّقۡدِرَ﴾ و: "نُقدِّرَ" بالنُّون مخفَّفًا ومثقَّلًا، و: "يَقْدِرَ" بالياء بالتخفيف، و: ﴿يُقَدَرَ﴾، و: "يُقَدَّرُ" على البناء للمفعُول مُخفَّفًا ومثقَّلًا.

وفُسِّرت بالتَّضييق عليه وبتقدير الله عليه عقوبةً.

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنه: أنَّه دَخل على مُعاويةَ، فقال: لقَد ضَربتْني أَمواجُ القرآن البَارحَة فغَرِقتُ فيها، فلم أَجِدْ لنَفسي خَلاصًا إِلَّا بِكَ، ....

قوله: (فأضيف إليه) أي: أضيف يونس إلى النون في قوله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾. وقوله: (بَرِمَ) أي: مَلَّ وضَجِرَ، جملة مستأنفة، البَرَم: الملال والضجَر، يقال: "فلان بَرَمٌ، ما فيه كَرَمٌ".[1]

قوله: (ما ذَكّرَهُم) "ما" مصدريّة، و"ذكَّرهم" مِن التذكير. وقوله: (فلم يذّكّروا) مِن التذكر. وقوله: (فراغَمهم) أي: فارقهم مُرغمًا لهم.

قوله: (قرئ: ﴿نَّقۡدِرَ﴾)... إلخ ﴿نَّقۡدِرَ﴾ سبعة، بخلاف البواقي.[2]

---

[1] انظر: **أساس البلاغة** للزمخشري، ٥٧/١.

[2] قرأ يعقوب -أحد العشرة- بالياء مضمومة وفتح الدال، وقرأ باقي العشرة بالنون مفتوحة وكسر الدال. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٣٢٤/٢. أما قراءة النون مضمومة مع تشديد الدال فشاذّة، ونسبها الهذلي إلى الزعفراني وابن مقسم. انظر: **الكامل** للهذلي، ص ٦٠١.

قال: وما هيَ يا مُعَاويةُ؟ فَقَرأ هذهِ الآيَةَ وقال: أَوَ يَظُنُّ نبيُّ الله أَنْ لا يُقدَرَ عَليه، قال: هذا مِن القَدْر لا مِنَ القُدرة.

والمخَفَّفُ يَصحُّ أن يُفسَّر بالقُدرَة على معنى: أنْ لن نُعمِلَ فيه قُدرَتَنا، وأن يكون من باب التمثيل بمعنى: فكانَت حَالُه ممثَّلةً بحالِ مَن ظنَّ أن لَن نَقدر عليه في مُراغمتِه قومَه من غير انتظارٍ لأمر الله.

ويجوز أن يَسبقَ ذلك إلى وَهمه بوسوَسة الشَّيطانِ ثم يَرْدَعَهُ ويَرُدَّهُ بالبُرهان كما يفعل المؤمن المحقِّقُ بنَزَغات الشَّيطان وما يُوسوِسُ إليه في كلِّ وقت، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب ١٠/٣٣]، والخطابُ للمؤمنين.

قوله: **(قال: وما هي؟)** "ما" استفهاميّة، أي: أيّ آية تلك الآية؟ وقوله: **(فقرأ)** أي: معاوية.[١] وقوله: **(وقال: أوَ يظنُّ)** أي: قال معاوية.[٢]

قوله: **(قال: هذا)** أي: قال ابن عبّاس. قال رضي الله عنه: تفسير ابن عبّاس رضي الله عنه[٣] قولَه تعالى:[٤] ﴿أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ بمعنى: القَدْر؛ معناه: أن لا نوردَ عليه تقديرًا يضرُّه؛ لكونه مبتلًى[٥] به. تقول: قدّر الله عليه الضرّاء، وقدّر له[٦] السرَّاء، كقولك: قضى القاضي على فلان وحكَم عليه، وإذا جُعل مِن القدرة فسبيله سبيل الاستعارة، أي: ففعل فعل مَن ظنّ أن لن نقدِرَ عليه، والاستعارة تكون في الأسماء والأفعال والحروف والجُمل، ونظيره: قولهم: سَبَعَ الرجلَ إذا ذَمَّه، وحقيقته: فَعل به فِعْلَ السَّبُع بالمَسبوع، من قولهم: شاة مَسبوعة.[٧]

قوله: **(لا مِن القدرة)** انتهى كلام ابن عبّاس بقوله: "مِن القدرة"، وأمّا قوله: **(والمُخَفَّفُ)**... إلخ كلام المصنّف غير متعلّق بتفسير ابن عبّاس.

قوله: **(في مراغَمته)** وجه التشبيه.

قوله: **(كما يفعل المؤمن المحقِّق)** ويقرُب منه قول القائل: إنّي لأجِد

---

١ ن: معوية.

٢ أخرجه الزبير بن بكّار في الموفّقيّات. انظر: الدرّ المنثور للسيوطي، ٦٦٦/٥ (الأنبياء، ٨٧/٢١).

٣ ن: عنهما.

٤ ن - قوله تعالى.

٥ ن: مبتلا.

٦ ن: الله عليه.

٧ ن: مسبوغة.

﴿فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾؛ أي: في الظُّلمة الشَّديدة المُتَكاثِفة في بطن الحُوت؛ كقوله تعالى: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ﴾ [البقرة ١٧/٢]، وقولِهِ: ﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [البقرة ٢٥٧/٢].

وقيل: ظُلماتُ بَطن الحوت والبَحر واللَّيْل.

وقيل: ابتَلعَ حُوتَهُ حُوتٌ أكبَرُ منه، فحصَل في ظُلْمَتي بَطْنَي الحُوتَين وظُلمةِ البَحر.

﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾؛ أي: بأنَّه ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾ أو بمعنى "أَيْ".

عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: «ما من مكْرُوب يَدْعُو بهذا الدُّعاءِ إلا استُجِيبَ له».

وعن الحسن: ما نجَّاهُ واللهِ إلَّا إقرارُه عَلى نفسه بالظُّلم.

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٨٨﴾

﴿نُـۨجِى﴾ و: "نُنَجِّي" و: ﴿نُجِّى﴾، والنُّونُ لا تُدغَم في الجيم، ....

في نفسِي شيئًا؛ لَأن أكون حُمَمَةً أحبُّ إليَّ مِن أن أتكلّم به، فقال عليه الصلاة والسلام: «الحمد لله الذي رَدَّ / أمرَه إلى الوَسوسة».[1] [١٤٧ظ]

قوله: (**أي**: **في الظلمة الشديدة المتكاثفة**) ومنه ما أنشده السِّيرافيّ:

وليلٍ يقولُ الناس في ظلماتِهِ   سواءٌ صحيحاتُ العيون وعُورُها[2]

قوله: (**أي**: **بأنّه لا إله إلّا أنت**) فتكون[3] مخفّفة مِن الثقيلة. وقوله: (**أو بمعنى**) أي: فتكون[4] مفسِّرة.

قوله: (**و﴿نُجِّى﴾**)[5] ذكر الفرّاء لهذه القراءة وجهًا، فقال: أُضمِر المصدر في ﴿نُجِّى﴾

---

١ **سنن أبي داود**، ٤٣٥/٧ (٥١١٢).

٢ **شرح كتاب سيبويه** للسيرافي، ٣٥٤/٢.

٣ ن: فيكون.

٤ ن: فيكون.

٥ بنون واحدة وتشديد الجيم وهي قراءة ابن عامر وأبو بكر شعبة، وقرأ باقي القرّاء العشر بنونين الثانية ساكنة مع تخفيف الميم. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٣٢٤/٢.

....

ليكون مجهولَ "نجّى" ماضيًا، لا أنّه مضارع للمتكلّم، ويكون مسندًا إلى الضمير لا إلى ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، ونصب ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ كقولك: ضُرِبَ الضربَ زيدًا، ثم نقول: ضُرِب زيدًا على إضمار المصدر، وأنشد ابن قُتيبة حجّةً لهذه القِراءة:

ولـو ولـدَت فُـقَـيـرةٌ[1] جِـروَ كـلْـبٍ لَـسُـبَّ بـذلـك[2] الـجِـرو الـكـلابا[3]

وقال أبو عليّ الفارسيّ:

هذا إنّما يجوز في ضرورة الشعر، وراوي هذه القراءة عن عاصم غالِط في الرواية، فإنّه قرأ ﴿نُـجِى﴾ بنونين كما روى حفص عنه، ولكنّ النون الثانية مِن ﴿نُـجِى﴾ تُخفى مع الجيم، ولا يجوز تبيينها، فالتبس على السامع الإخفاء بالإدّغام، فظنّ أنّه إدّغام، ويدلّ على هذا إسكانه الياء من ﴿نُـجِى﴾؛[4] لأنّ الفعل إذا كان مبنيًّا للمفعول وكان ماضيًا لم يسكّن آخره، وإسكان آخر الماضي إنّما يكون في قول مَن يقول[5] في "رَضيَ": رَضا، وليس هذا منه، وأيضًا الفعل المبنيّ للمفعول ينبغي أن يُسند إلى المفعول به، كما يُسند المبنيّ للفاعل إلى الفاعل، وإنّما يُسند إلى غيره إذا لم يُذكر المفعول به.[6]

واعلم أنّ ما ذكره المصنِّف وأبو عليّ الفارسيّ لِرَدّ هذه القراءة كلام فاسد ضعيف؛ لأنّه لا بُعدَ في تخفيف[7] الياء بالإسكان؛ لأنّ الموضع يُناسب الخِفّة بسبب التشديد قبل الياء على الحرف المكسور بعد الضمّ، ولا بُعدَ أيضًا في إقامة المصدر مُقام الفاعل؛ لأنّ الفعل يقتضي المصدر أبلغ من اقتضائه المفعول به؛ لأنّ كلّ فعل لازم ومتعدٍّ لا بدّ له مِن مصدر إلّا ما شذّ، فكان قيامه مَقام الفاعل أَولى مِن قيام المفعول به، خصوصًا في مقام يكون الغرض مَنوطًا بذكر الفعل

---

[1] في **خزانة الأدب**: "قفيرة".

[2] ن: لذلك.

[3] انظر: **تأويل مشكل القرآن** لابن قتيبة، ص ٤١. ونسبه البغدادي إلى جرير. انظر: **خزانة الأدب** للبغدادي، ٣٣٧/١. ولم أجده في **ديوان جرير**.

[4] ن: ننجّي.

[5] ن: يكون.

[6] **الحجّة** لأبي عليّ الفارسي، ٥٥٣/٣.

[7] ن: تحقيف.

....

وهو التنجية ههنا، وإذا أقيم المصدر مُقام الفاعل نصب ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالفعل؛ لأنّ المصدر قام مَقام الفاعل، فبقي ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ مفعولًا به صريحًا تقديره: نُجي النَّجاء المؤمنين، أو نقول: ﴿نُجِّى﴾ فعل مضارع أُدغم نونه في الجيم، وأصله ﴿نُنْجِى﴾، ونقول: هذه القراءة تدلّ على جواز هذا الإدغام، فإنّ العربيّة تؤخذ مِن القرآن المُعجز بفصاحته الذي لا يأتيه الباطل مِن بين يديه ولا مِن خلفه، وقولُ مَن يقول: مثله عن العرب لم يجئ؛ مشيرًا إلى أنّه أحاط بجميع كلام العرب؛ قولٌ فاسد فيه تحجُّر واسع وسهوٌ ظاهر، فكيف يُظنّ أنّه يجوز الأخذُ بأقوال وأشعار نقلَها عن العرب مَن لا يعتمد عليه؛ لجَهله،[1] أو لعَدم عدالته، أو لجَهالة[2] علمه وعدالته، وترك الأخذ والتمسك بما ثبت تواتره عمّن ثبت عصمته عن / الغلَط، وهو النبيّ عليه الصلاة والسلام مع أنّه أفصح العرب، وقد [١٤٨و]
قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر ١٥/٩]؟

فإن قلت: القراءات السبع متواترةٌ فيما ليس مِن قَبيل الأداء، بل يكون منقولًا بين دفّتي المصحف نقلًا متواترًا، ولا مجال لأحد للطّعن فيه ولا كلام في صحّته لفظًا ومعنى، وأمَا ما هو مِن قَبيل الأداء كالمدِّ والإمالة وتخفيفِ الهمزة والإدّغام والإخفاء فغَير متواتر كما ذَكره ابن الحاجب في أصوله،[3] وغيره في غيره، وما نحن فيه مِن هذا القبيل.

قلت: نعم، لكن لا يكون نقل القرّاء هذه الأشياء أقلَّ مِن نقل ناقلي العربيّة الأشعار والأقوال، فكيف يجوز الطعن فيما نقله القرّاء الثِّقات بأنّه لم يجِئ مثله؟ وكيف عُرف أنّه لم يجِئ مثله؟ ولو نقل مثله ناقلون مِن مجهول الحال لَقَبلوه، فقبول[4] هذا أولى، وأيضًا فقد ذكر المصنّف في سورة الجاثية أنّه قرئ: ﴿لِيُجْزَى قَوْمًا﴾[5]

---

١ ن: لجهلة.

٢ ن: الجهالة.

٣ مختصر ابن الحاجب، ص ٣٧٩.

٤ ن: فقنول.

٥ وهي قراءة أبي جعفر المدني أحد العشرة. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٣٧٢.

ومَن تمحَّل لصحَّته فجعَلهُ "فُعِلَ" وقال: "نُجِّي النَّجاءُ المُؤمنينَ" -فأرسَل الياءَ وَأسنَدهُ إلى مَصْدرِهِ ونصَب ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنَّجاءِ- فمتعسِّفٌ بارِدُ التَّعسُّف.

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾

سَألَ ربَّه أَنْ يَرزقه ولَدًا يَرثُه ولا يدَعَهُ وَحِيدًا بلا وَارثٍ، ثم رَدَّ أمرَهُ إلى الله مُسْتَسْلِمًا فقال: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾؛ أي: إنْ لم تَرزُقْني مَن يَرثُني فلا أُبالِي فإنَّك خيْرُ وَارثٍ.

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾

"إِصْلاحُ زَوْجِه": أَنْ جعَلهَا صَالحةً للولادَة بعدَ عُقْرِها.

وقيلَ: تحسِينُ خُلُقِها وكانت سيِّئةَ الخُلقِ.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ الضميرُ للمذكُورين من الأنبياء، يُريدُ أَنَّهم ما استَحقُّوا الإجابةَ إلى طلِبَاتِهِم إلَّا لِمُبادَرتهم أَبوابَ الخيْر ومُسَارَعتهم في تحصِيلها كما يَفْعَلُ الرَّاغبونَ في الأمُور الجَادُّون.

﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ -وقرئَ: "رَغْبًا ورَهْبًا" بالإسْكانِ- وهو كقوله: ﴿يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر ٩/٣٩].

[الجاثية ١٤/٤٥]، وقال: "معناه: ليُجزَى الجزاءَ قومًا، فوُضع[١] المصدر مقام الفاعل، ونصب المفعول به". فقد ثبت عنهم في غيره أيضًا.

قوله: (**فجعله**[٢] **"فُعِّل"**) لا نُفعِّل.[٣]

قوله: (**وقرئ: ﴿رَغْبًا وَرَهْبًا﴾**)[٤] مصدران بغير التاء، وبالتاء فيهما، أي: للرَّغبة والرَّهبة، والرَّغَب والرَّهَب بفتح العين فيهما أيضًا مصدران، أي: ذوي رَغْب[٥]

---

١ ف: موضع.

٢ ن: فجعل.

٣ ن: تُفعّل.

٤ انظر: **الكامل** للهذلي، ص ٦٠١.

٥ ن: رغبو.

﴿خَٰشِعِينَ﴾ قال الحسن: ذُلُلًا لِأَمْرِ اللهِ.

وعن مجاهد: الخُشوعُ: الخوفُ الدَّائمُ في القَلْب.

وقيل: مُتَواضِعينَ.

وسُئِل الأَعمشُ، فقال: أَمَا إِنِّي سَألتُ إبراهيم فقال: أَلَا تَدْرِي؟! قُلتُ: أَفِدْنِي. قال: بَينه وبَين الله إذا أَرخى سِتْرَه وأَغْلَق بابهُ فلْيَرَ اللهُ منه خيْرًا. لعَلَّك تُرَى أَنَّه أَنْ يَأكُل خَشِنًا ويلبَس خَشِنًا ويُطَأطِئ رأسَهُ.

﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١﴾

﴿أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا﴾ إحْصَانًا كُلِّيًّا من الحَلالِ وَالحَرام جميعًا؛ كما قالَتْ: ﴿وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا﴾ [مريم ١٩/٢٠].

فإن قلتَ: نفخُ الرُّوح فِي الجسَد عبارةٌ عن إحيَائه، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر ١٥/٢٩]؛ أي: أَحيَيْتُه، وإذا ثبتَ ذلك كان قولُه: ﴿فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ ظاهِرَ الإشكال؛ لأنَّه يدُلُّ على إحياء مريمَ.

قلتُ: معناه: نَفَخْنا الرُّوحَ في عيسى فيها؛ ....

ورَهْب، أو يرغبون رَغْبًا ويرهبون رَهْبًا، كقوله: ﴿يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗا﴾ [البقرة ٢/٢٦٠]، أي: ذوات سعي، بمعنى: ساعيًا، أو يَسْعَون سَعيًا.

قوله: **(أما إنّي)** "أَما" مِن حروف التنبيه. وقوله: **(إبراهيم)** أراد إبراهيم النخعيّ. وقوله: **(أفِدني)** مِن الإفادة.

قوله: **(لعلّك ترى)** مِن كلام إبراهيم يقول للأعمش: لعلّك تظنّ أنّ الخشوع أن تأكلَ خَشِنًا، وتطأطئ رأسك، وتلبَس خشِنًا، ليس كذلك؛ بل كل خير خشوعٌ. وقوله: **(أنّه)** أي: الخشوع.

قوله: **(قلت: معناه: نفخنا الروح في عيسى فيها)** فيكون ﴿فِيهَا﴾ حالًا مِن المفعول المحذوف، وهو "عيسى"، فإنّه مفعول مِن جهة أنّ المعنى: أحيَينا عيسى كائنًا في جوف مريم.

أي: أَحيَيناهُ في جَوفها، ونحوُ ذلك أن يقول الزَّمَّارُ: "نفَخْتُ في بيت فلانٍ"؛ أي: نفختُ في المِزمار في بَيْتِه.

ويجوز أَن يُرادَ: فعَلْنا النَّفخَ في مَريم من جهةِ رُوحنا وهوَ جبريلُ عليه السلام؛ لأنَّه نَفَخَ في جَيْب دِرْعهَا فوصَل النَّفخُ إلى جَوفهَا.

فإن قلتَ: هلَّا قيلَ: آيتيْن؛ كما قال: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ [الإسراء ١٧/١٢].

قلتُ: لأنَّ حالهما بمجمُوعهما آيةٌ واحدةٌ، وهي ولادَتُها إيَّاه من غيرِ فَحلٍ.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾

"الأمةُ": المِلَّةُ، و﴿هَٰذِهِۦٓ﴾ إشارة إلى ملَّةِ الإسلام؛ أي: إنَّ ملَّةَ الإسلام هي ملَّتُكُم التي يجبُ أن تكونوا عليها لا تَنحرفُونَ عنها يُشَارُ إليها مِلَّةً واحِدةً غيرَ مُختَلفةٍ.

﴿وَأَنَا۠﴾ إلهكُم إلَهٌ واحِدٌ ﴿فَٱعْبُدُونِ﴾.

ونَصَبَ الحسَنُ "أُمَّتَكُم" على البَدل من ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾ ورَفَع "أُمَّةٌ" خبرًا.

قوله: **(ويجوز أن يراد)** فعلى هذا لا يكون المراد بالنفخ: نفخ الروح، ولا المراد بالروح: روح الإنسان في قوله: ﴿مِن رُّوحِنَا﴾، والحاصل: أنّ المراد بالنفخ في الوجه **الأوّل**: إدخال الروح في بدن عيسى تشبيهًا لإيراد الروح في البدن بنفخ النافخ في الشيء، فيكون استعارة. وأما على الوجه **الثاني**: فالمراد بالنفخ: معناه الحقيقيّ؛ لأنّ الروح -وهو جبرئيل عليه السلام- نفخ في جيب قميص مريم[1] كما ذكر.

قوله: **(دِرعِها)** دِرْع المرأة: قميصها.

قوله: **(يُشار[2] إليها)** هذا بيان أنّ قوله: ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ نصب على الحال، والعامل فيه: معنى الإشارة الذي في ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾.

---

[1] ن: الإنسان.

[2] ف + هو معنى هذا.

وعنه: رَفْعُهما جميعًا خَبرين لـ﴿هَٰذِهِۦ﴾، أو نَوَى للثاني مُبتدَأً.

والخطابُ للناس كافَّةً.

﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾﴾

والأصلُ: وتقَطَّعتُم، إلَّا أنَّ الكلام حُرِّفَ إلى الغَيبة على طريقةِ الالتفات كأنَّه يَنعَى عليهم ما أفسَدُوه إلى آخَرين ويُقبِّحُ عِندهم فعلَهُم، ويقول لهم: أَلَا تَرون إلى عظيمِ ما ارتكبَ هؤلاء في دين الله.

والمعنى: جَعلوا أمْرَ دينهم فيما بيْنَهم قِطَعًا كمَا يَتوزَّعُ الجماعَةُ الشيءَ ويتقسَّمُونَه فيَطيرُ لهذا نصيبٌ ولذاك نصيبٌ؛ ....

قوله: **(وعنه)** أي: عن الحسَن. وقوله: **(أو نَوَى للثاني)** أي: إنّ هذه أمَّتكم هي أمةٌ واحدةٌ. وقوله: **(والخطاب)** أي: في قوله: ﴿أُمَّتُكُمۡ﴾.

[١٤٨ظ] قوله: **(إلى آخرين)** متعلِّق بقوله: / **(ينعى)**. وقوله: **(عندهم)** أي: آخرين. وقوله: **(لهم)** أي: آخرين.

قوله: **(ويتقسَّمونه)**[١] التقسّم[٢] والتوزّع[٣] متعدّيان، قال في **المُغرب**: «تقسَّموا[٤] المال بينَهم، وتقاسَموه، واقتسموه،[٥] وقاسمتُه[٦] المال».[٧] وقال أيضًا فيه: «توزّعوا المال بينهم: اقتسموه، ومنه: الميراث إنّما يتوزَّع على الأحوال؛ بضمّ الأوّل، وفي الحديث: 'فخرجت الخيل تتوزَّع[٨] كلّ وجه'، هكذا في متن أحاديث السِّيَر،[٩] أي: تفرَّقتْ في الجهات كأنّها اقتسمتها، ومَن روى: 'في كلّ وجه' فقد سَها».[١٠] وقوله: **(فيطير)** طار له سهم مِن كذا، أي: أسرع وخفّ. وقوله:

---

١ ن: ويستفسمونه.

٢ ن: التقسيم.

٣ ن: التوزع.

٤ ف ن + ينقسم.

٥ ن: واقستموه.

٦ ن: قاسمته.

٧ **المُغرب** للمطرّزي، «قسم».

٨ ف: يتوزع.

٩ انظر: **شرح السير الكبير** للشيباني، ص ٢٦٨؛ **والمغازي** للواقدي، ٢/٥٣٣.

١٠ **المُغرب** للمطرّزي، «وزع».

تمثيلًا لاختلافِهم فيه وصَيْرورتِهم فِرَقًا وأحْزابًا شَتَّى.

ثُمَّ توَعَّدهُم بأنَّ هؤلاء الفِرَقَ المختلفةَ إليه يَرجِعُون فهو مُحَاسِبُهم ومُجَازِيهم.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾﴾

"الكفرانُ": مَثَلٌ في حِرمَان الثَّواب؛ كما أن الشكر مَثَلٌ في إعطائه إذا قِيل للهِ: "شَكُورٌ".

وقد نُفِيَ نفيَ الجِنس ليكونَ أبلغَ من أَن يقولَ: "فلا نكفُرُ سَعْيَهُ".

﴿وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾؛ أي: نحنُ كاتِبُو ذلك السَّعْيِ ومُثبِتُوهُ في صَحيفةِ عملِه، وما نَحنُ مُثْبِتُوهُ فهو غيرُ ضائعٍ، ومُثَابٌ عليه صاحِبُه.

﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾

استُعير الحرامُ للممتنِع وجُودُه، ومنه قولُه عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف ٧/٥٠]؛ أي: مَنعَهما منهم وأَبَى أَنْ يكونا لهُم.

(تمثيلًا)[١] أي: تشبيهًا لاختلافهم في أمر الدين بتقسيم الجماعة الشيء. وقوله: **(تمثيلًا)** متعلِّق بقوله: **(والمعنى: جعلوا)**. وقوله: **(فيه)** أي: في أمر الدين. وقوله: **(ثم توعَّدهم)** عطف على قوله: **(والخطاب للناس)**... إلخ، فكأنَّه قيل: خاطبهم بذلك ثمّ توعَّدَهم.

قوله: **(الكُفران مَثل في حرمان الثواب)** قال تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾ [آل عمران ٣/١١٥]، أي: لن تُحرموا ثوابه، ولن تُمنعوه.

قوله: **(شكورٌ)** الشكور في صفة الله تعالى: أن يعطي الجزيل على القليل.

قوله: **(ومنه: قوله عزّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا﴾ [الأعراف ٧/٥٠])** أي: الماء وما رزق المؤمنين، قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف ٧/٥٠].

---

١ ن - تمثيلًا.

وقرئ: "وحَرْمٌ" ﴿وحِرْمٌ﴾ بالفتح والكَسْر، و: "حَرُمَ" و: "حُرِّمَ".

ومعنى: ﴿أَهْلَكْنَـٰهَآ﴾: عَزَمْنَا عَلَى إِهْلاكِهَا، أو: قَدَّرْنا إِهْلاكهَا، ومَعنى الرُّجوع: الرجوعُ من الكُفر إلى الإِسلام والإِنابةُ.

ومَجازُ الآيَة: أَنَّ قومًا عَزَم اللهُ عَلى إِهْلاكهم غيرُ متَصوَّرٍ أن يَرجعُوا ويُنِيبُوا إلى أن تَقوم القيَامة، فحينئذٍ يَرجعُون ويقولون: ﴿يَـٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا بَلْ كُنَّا ظَـٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء ٢١/٩٧] يعني: أَنَّهم مَطْبُوعٌ على قلوبهم فلا يَزالُون عَلى كفرهم ويَمُوتُونَ عليه حتى يَرَوُا العَذابَ.

وَقُرئ: "إنهم" بالكسر، وحَقُّ هذا أَنْ يَتِمَّ الكلامُ قبله، فلا بُدَّ من تقديرِ مَحْذوفٍ كأنَّه قيل: وحَرامٌ على قريةٍ أَهلكناها ذاك، وهو المَذكورُ في الآية المتقدِّمة من العمل الصَّالح والسَّعي المشكور غيرِ المَكفُور، ثُمَّ عُلِّلَ فقيل: إنهم لا يَرْجعُون عن الكُفر فكيف لا يمتنِعُ ذلك؟

والقراءةُ بالفتح يَصِحُ حَملُهَا على هذا؛ أي: لِأَنَّهُم لا يَرْجِعُونَ، و﴿لَا﴾ صِلةٌ على الوجْه الأَوَّلِ.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

فإن قلتَ: بمَ تعَلَّقت ﴿حَتَّىٰٓ﴾ واقِعةً غَايةً لهُ، وأَيَّةُ الثَّلاث هي؟

قوله: **(ومجازُ الآية)** أي: طريقة الآية، أي: والمعنى الذي يجوز، أي: يمضي عليه الآية، فهو المعنى الذي يدور ويمضي عليه الآية. وقوله: **(عزم الله)** صفة "قومًا". وقوله: **(إلى أن تقوم القيامة)** مِن قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ﴾.

قوله: **(ولا صِلة على الوجه الأوّل)** وهو الذي أشار إليه بقوله: "ومجازُ الآية"... إلخ. وقوله: "صِلة" أي: زائدة.

قوله: **(غايةً له)** الضمير في "له" يرجع إلى "ما" التي في قوله: (بِمَ؟). وقوله: **(وأيّة الثلاث؟)** فإنّ "حتّى" ثلاثة أقسام: حرف جر، وحرف عطف، وحرف يُبتدأ بعدَها الكلام.

قلت: مُتَعلِّقةٌ بـ"حَرَامٌ"، وهي غايةٌ له؛ لأنَّ امتناعَ رجوعِهم لا يزولُ حَتى تقومَ القيامةُ، وهي "حتى" الَّتي يُحكَى بَعْدَهَا الكلام، والكَلامُ المحكيُّ: الجملةُ من الشَّرط والجزاء، أَعني: ﴿إِذَا﴾ وما في حَيِّزِهَا.

حُذف المضاف إلى ﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ وهو: سَدُّها، كما حُذف المضاف إلى القَرية وهو: أَهْلُها، وقيل: ﴿فُتِحَتْ﴾ كما قِيل: ﴿أَهْلَكْنَـٰهَا﴾.

وقرئ: "آجوج".

وهُما قبيلتانِ مِن جنس الإنس، يُقالُ: الناسُ عشَرةُ أَجزاءٍ، تسعةٌ منها يأجُوجُ ومأجُوج.

﴿وَهُم﴾ راجعٌ إلى النَّاسِ المَسُوقين إلى المَحشرِ، وقيل: هُمْ يأجُوجُ ومأجُوجُ يَخرُجونَ حين يُفتحُ السَّدُّ.

"الحَدَبُ": النَّشْزُ من الأَرض.

وقرأَ ابن عباس رضي الله عنه: "من كلِّ جَدَثٍ" وهو القَبرُ، الثاء حجَازيَّةٌ والفَاء تمِيميَّة.

وقرئ: "يَنْسُلون" بضم السين، ونَسَل وعَسَل: أَسْرَعَ.

﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَـٰخِصَةٌ أَبْصَـٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا بَلْ كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾

قوله: (**هي متعلِّقة بـ﴿حَرَامٌ﴾**) هي صفة مشبَّهة، مثل: جبان. وقوله: (**أعني**) أي: بالجملة. وقوله: (**حذف المضاف**) أي: حذف الذي أضيف إلى ﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾. وقوله: (**كما حذف المضاف**) يعني في قوله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾.

قوله: (**وقيل: ﴿فُتِحَتْ﴾**) أي: أُنِّث باعتبار اللفظ المذكور.

قوله: (**النشزُ) في الصِّحاح**: «النَّشْزُ والنَشَزُ: المكان المرتفع، وجمع النَشْز: نشوز، وجمع النَشَزِ: أنشاز ونِشاز، مثل: جبل وأجبال وجبال».[1]

---

١ **الصحاح** للجوهري، «نشز».

﴿فَإِذَا﴾ هي "إذا" المفاجأة، وهي تَقعُ في المجَازاة سَادَّةً مسدَّ الفاء؛ كقوله تعالى: ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم ٣٠/٣٦] فإذا جاءتِ الفاءُ معها تعَاوَنتَا على وَصْل الجزاء بالشَّرط فيتأكَّد، ولو قيل: "إذا هي شاخصةٌ"، أَو: "فهي شاخِصةٌ"، كان سديدًا.

﴿هِيَ﴾ ضميرٌ مُبْهَمٌ تُوضِحُه الأَبْصَارُ وتُفسِّرُه كما فسَّر ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: ﴿وَأَسَرُّواْ﴾.

﴿يَٰوَيْلَنَا﴾ متعلِّقٌ بمحذوفٍ تقديرُه: "يقُولون: يا وَيلنا" و"يَقولُون" في موضع الحال من ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾.

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾

"ما تعبدونَ من دون الله" يحتمِلُ الأَصنامَ وإبليسَ وأَعوانَهُ؛ لأَنَّهم بطاعتهم لهُم واتِّباعِهم خُطواتهم في حُكم عَبَدتِهم، ويُصَدِّقُه ما رُوي: أَنَّ رسُولَ الله صلى الله عليه وسلم دَخَلَ المسْجدَ وصَنادِيدُ قريش في الحَطِيم، وحَولَ الكعبة ثلاثُ مئة وستُّونَ صَنمًا، فجَلسَ إليهم فعَرض له النَّضرُ بن الحَارثِ، ....

قوله: (**كقوله تعالى: ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾**) ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم ٣٠/٣٦].

قوله: (**فإذا جاءت الفاء معها**) يعني أنّ الفاء تجيء في جواب الشرط إذا كانت الجزاء جملة اسمية، وقد تجيء "إذا" المفاجأة مقام الفاء في جواب الشرط، وقد يجمع بينهما لتأكيد الربط كما في هذا الموضع.

قوله: (**لأنّهم**) أي: الكافرين. وقوله: (**بطاعتهم**) أي: الكافرين. وقوله: (**لهم**) أي: إبليس وأعوانه.

قوله: (**الحطيم**) جدار حِجْرِ الكعبة، والحِجر -بكسر الحاء وسكون الجيم-: [١٤٩و] ما أحاط / به الحطيم ممّا يلي الميزاب مِن الكعبة، قال في **الصِّحاح**: «قال ابن عبّاس: الحطيم: الجَدْر، يعني جدار حِجر الكعبة».[١]

---

[١] **الصحاح** للجوهري، «حطم».

فكَلَّمه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حَتَّى أَفحمَهُ، ثُمَّ تلَا عَليْهِم: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآيةَ، فأقبلَ عبدُ الله بن الزِّبَعْري فرآهُم يتَهامَسونَ، فقال: فيمَ خَوضُكم؟ فأخبرَهُ الوليدُ بن المُغيرة بقَول رسُولِ الله عليه السلام، فقال عبدُ اللهِ: أمَا واللهِ لو وجَدْتُه لخَصمْتُه، فدَعَوهُ فقال ابنُ الزِّبَعرى: أأَنت قلتَ ذلك؟ قال: "نعم"، قال: قد خَصَمْتُكَ وربِّ الكعبةِ، أَلَيس اليهُودُ عبَدُوا عُزيرَ والنصارى عَبدُوا المسيحَ وبَنُو مُلَيحٍ عبَدُوا الملائكة؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «بَلْ هُم عَبدُوا الشَّياطين التي أَمَرتْهُم بذلك»، فأنزل اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾ الآية [الأنبياء ١٠١/٢١]، يعني: عُزيرَ والمسيحَ والملائكةَ.

قوله: (**حتّى أفحَمه**) فحَم الصبيُّ -بالفتح- يَفحم فحُومًا إذا[١] بكَى حتّى ينقطع[٢] صوته، وكلّمته حتّى أفحمتُه إذا أسكتَّه[٣] في خصومة وغيرها.

قوله: (**يتهامسون**) أي: يتكلّم بعضهم بعضًا بالكلام الخفيّ، مِن الهمس، وهو الصوت الخفيّ.

قوله: (**لَخَصَمْتُه**) أي: لغلبته بالخصومة، يعني: بالحجّة.

قوله: (**فدَعَوه**) أي: فدعا صناديدُ قريش رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

قوله: (**وبنو[٤] مُلَيح**) بطن من خزاعة، قالوا: صاهر الله سَرَواتِ الجنّ فولَدتْ له الملائكة.[٥]

قوله: (**بل هم عبَدوا الشياطين**)؛ وذلك لأنّ العبادة: عبارة عن امتثال الأمر، وروي أنّه عليه الصلاة والسلام قال لابن الزِبعرى: «ما أجهلَك بلغة قومك يا غلام؟! أمَا علمتَ أنّ 'ما' لِما لا يعقل»، وفي ثبوت هذا الحديث كلام.[٦]

---

١ ف + لم.

٢ ف: انقطع.

٣ ن: سكته.

٤ ف: وبنوا.

٥ انظر: **جامع البيان** للطبري، ٦٤٥/١٩ (الصافات، ١٥٨/٣٧).

٦ قال الحافظ ابن حجر: «هذا لا آصار له مِن طريق ثابتة ولا واهية، وكأنّ المُوقع في ذلك قول ابن الحاجب: 'وأجيب بأنّ 'ما' لِما لا يَعقل' فظنّوا أنه مِن جواب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم». **موافقة الخُبر** لابن حجر، ١٧٥/٢.

فإن قلتَ: لمَ قُرِنُوا بآلهتِهم؟

قلتُ: لأنَّهم لا يَزالُون لمُقَارَنتِهم في زيادةِ غَمٍّ وحَسْرةٍ حَيْثُ أصَابَهُم ما أصَابهم بسَببِهم، والنَّظرُ إلى وَجْه العَدُوِّ بابٌ من العَذاب؛ ولأنهم قَدَّرُوا أنَّهم يستَشْفِعُونَ بهم في الآخرة ويَستشفِعونَ بشَفاعتِهم، فإذا صَادَفُوا الأَمْرَ عَلى عكس ما قَدَّرُوا لم يكن شيءٌ أَبغضَ إليْهم منهُم.

فإن قلتَ: **إذا عُنِيَتْ بـ"مَا تعبُدون" الأصنَامُ، فما معنى ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾؟**

قلتُ: إذا كانوا هُم وأصنَامُهم في قَرَنٍ وَاحِدٍ جاز أَن يُقالَ: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ وإنْ لم يكُن الزَّافِرينَ إلَّا هُم دُون الأَصنام؛ للتَّغليب ولعَدم الإلْبَاس.

و"الحَصَبُ": المحْصُوبُ به؛ أَي: يُحصَبُ بهم في النار، والحَصْبُ: الرَّميُ. وقرئ بسُكون الصَّاد وَصْفًا بالمصْدَر.

وقرئ "حَطَبُ" و: "حَضبُ" بالضَّاد مُتحرِّكًا وسَاكِنًا.

قوله: (**يستشفعون بهم**) الباء في "بهم" زيادة، قال في **الصِّحاح**: «يقال: استشفَعْتُه إلى فلان، أي: سألته أن يشفَع بي إليه».[1]

قوله: (**قلت: إذا كانوا هم**) تأكيد لاسم "كان"، ليصحّ العطف عليه. وقوله: (**في قَرَن**) القَرَن: الحبل يُقرن به بَعِيران.

قوله: (**وإن لم يكن الزافرين إلّا هم**) يفيد[2] حصر الزافرين في الضمير المذكور بعد "إلّا"، بمعنى: أن يكون صفة "الزفير" للعابدين دون المعبودين، وذلك فيما يكون يلي "إلّا"، سواء كان مقدّمًا أو مؤخّرًا، نحو، ليس زيد إلا قائمًا، وليس إلّا قائمًا زيد، ونحو: ليس إلّا زيد قائمًا.[3]

قوله: (**أي: يُحصَب بهم**) أي: يُرمى.

قوله: (**والحصْب: الرَّمي**) أي: بالحصباء.

---

١ **الصحاح** للجوهري، «شفع».
٢ ف: يقيد.
٣ ف - وليس إلّا قائمًا زيد، ونحو: ليس إلّا زيد قائمًا.

﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

وعن ابن مسْعُود رضي الله عنه: يُجعَلُونَ في تَوابيتَ من نارٍ فلا يَسمَعُونَ.

ويجوز أن يُصِمَّهُم الله كما يُعميهِم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾

﴿ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾: الخَصْلةُ المُفضَّلةُ في الحُسن تأنِيثُ الأحسن: إمَّا السَّعادةُ، وإمَّا البُشرى بالثَّوابِ، وإمَّا التوفيقُ للطَّاعَة، يُروَى أنَّ عليًّا رضي الله عنه قرأ هذِه الآية ثمَّ قال: أنَا منهُم وأبُو بَكرٍ وعمرُ وعثمانُ وطلحةُ والزبيرُ وسَعْدٌ وعبدُ الرَّحمن بنُ عَوف رضي الله عنهم، ثم أُقيمَت الصَّلاة فقَام يَجرُّ ردَاءهُ وهو يقول: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾.

و"الحَسيسُ": الصَّوتُ الذي يُحَسُّ، وَالشهوةُ: طَلب النفسِ اللَّذةَ.

﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

وقرِئ: ﴿لا يُحْزِنُهم﴾ مِن أَحْزنَ.

و﴿ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ قيل: النفخةُ الأخيرةُ؛ لقَوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل ٢٧/٨٧].

قوله: (**بالضاد**)[١] أي: المعجمة.

قوله: (**ويجوز أن يُصِمَّهم**) قال تعالى: ﴿فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ [محمد ٤٧/٢٣].

قوله: (**ثم قال: أنا**[٢] **منهم وأبو بكر**)...[٣] إلخ هؤلاء مع أبي عبيدة بن الجرّاح هم العشَرة المبشَّرة.

---

١ شاذّ. انظر: المحتسب لابن جنّي، ٢/٦٦.

٢ ن: وأنا.

٣ **الكشف والبيان للثعلبي**، ١٨/٢٦٩ (الأنبياء، ٢١/١٠١)، مسندًا.

وعن الحَسن رحمه الله: الانصرافُ إلى النَّار.

وعن الضَّحاك: حين يُطبَقُ على النَّار.

وقيل: حين يُذبَحُ المَوتُ عَلى صُورة كَبْش أَملحَ.

﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾؛ أي: تَسْتقبلهُم الملائكةُ مُهنّئين على أبواب الجنة، ويقولون: هذا وقْتُ ثوابكم الذي وعدكم ربُّكم قَدْ حَلَّ.

﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٠٤﴾

﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِ﴾ العامل في ﴿يَوۡمَ نَطۡوِي﴾: ﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ﴾، أو ﴿ٱلۡفَزَعُ﴾، أو ﴿تتلقَّاهُم﴾.

وقُرئ: ﴿تُطْوَى السماءُ﴾ على البناء للمفعُول ....

قوله: (**حين يُطبَق على النار**) حين يطبق جهنّم على أهلها، في الماورديّ حكايةً عن ابن جُرَيج.[1]

قوله: (**أملح**) المُلحة[2] مِن الألوان: بياض يخالطه سواد، يقال: كبش أملح، أي: شعره خَليس، والخليس: الأشمط.[3]

قوله: (**وقرئ: ﴿تُطۡوَى ٱلسَّمَآءُ﴾**)[4] قال الشيخ في **الكواشي**: «قرئ: ﴿تُطۡوَى﴾ بضم التاء ورفع ﴿ٱلسَّمَآءُ﴾ مجهولًا، وطيُّها: تكويرُ نجومها، ومَحْوُ رسومها، أو هو ضدّ النشر، أي: نجمعها ونطويها كطيّ السِّجل، وقرئ بضمّتين كـ"عُتُلّ"، وبكسر العين وفتحها مخففًا كـ"شَهْر" و"عِدْل"؛ لغات في الصحيفة، أو رجل كان يكتب لرسول الله عليه الصلاة والسلام».[5]

---

١ **تفسير الماوردي**، ٤٧٣/٣ (الأنبياء، ١٠٣/٢١).

٢ ن: أملحة.

٣ الشَّمَطُ: بياضُ شعَر الرأس يخالط سوادَه، والرجلُ أَشْمَطُ. **الصحاح** للجوهري، «شمط».

٤ قراءة أبي جعفر المدني أحد العشرة. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٣٢٤/٢.

٥ **تفسير الكواشي**، ٣٣٢و.

و: "السُّجُلِّ" بوزن: العُتُلّ، و: "السَّجْلِ" بلفظ الدَّلْوِ، ورُوي فيه الكسرُ.

وهو الصحيفة؛ أي: كما يُطوَى الطُّومارُ للكتابة؛ أي: ليُكتَب فيه، أو: لِمَا يُكتَبُ فيه؛ ....

قوله: (**بوزن العُتُل**)[1] أي: الغليظ الجافي.

قوله: (**وهو الصحيفة**) أي: ﴿ٱلسِّجِلِّ﴾.

قوله: (**للكتابة**) فسّر "الكتاب" بالكتابة، ثم ذكر وجهين في معناه.

قوله: (**أي: ليُكتَب فيه**) فيكون المصدر بمعناه.

قوله: (**أو لما يُكتب فيه**) فيكون المصدر بمعنى المفعول، قال في **الوسيط**: «قال مجاهد: '﴿ٱلسِّجِلِّ﴾: الصحيفة'، وهو اختيار الفرّاء،[2] وعلى هذا القول 'الكتاب' و'الكتُب' يُراد / بهما المكتوب، ولمّا كان المكتوب ينطوي بانطواء [١٤٩ظ] الصحيفة جُعل السِّجل كأنّه يَطوي الكتاب».[3] وأقول: هذا المذكور في **الوسيط** يدلّ على أنّ "الطيّ" مضاف إلى الفاعل مجازًا، وقوله: ﴿لِلْكِتَـٰبِ﴾ أو ﴿لِلْكُتُبِ﴾[4] مفعوله، واللام زيدت في المفعول كما في قولك: أعجبني ضربُ زيدٍ لعمرٍو، وهذا يناسب قول المصنِّف: (**لما يُكتب فيه**)، وأمّا قوله: (**أي: ليُكتَب فيه**) فعلى هذا يكون "الطيّ" مضافًا إلى المفعول، واللام في ﴿لِلْكُتُبِ﴾ و﴿لِلْكِتَـٰبِ﴾ على القراءتين بمعنى العلّة والغاية. ثمّ إنّ قول المصنِّف: (**يُطوَى**[5] **الطومار**) بضمّ الياء وفتح الواو مجهولًا، وهو مناسب للمعنى **الأوّل**، أي: الذي ذكره أوّلًا، أعني:[6] قوله: "ليُكتب فيه"، فيكون "طيّ السجلّ" مضافًا إلى المفعول، أي: كما يُطوى الصحيفة ليُكتب فيه، فإنّ العادة أن يُطوى[7] الطوامير ثمّ تُحفظ ليُكتب فيها،[8]

---

[1] شاذّة. انظر: **المحتسب** لابن جنّي، ٢/٦٧.

[2] ن: القرّاء.

[3] **التفسير الوسيط** للواحدي، ٣/٢٥٤ (الأنبياء، ٢١/١٠٤).

[4] قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص بضم الكاف والتاء من غير ألف على الجمع، وقرأ باقي القراء العشر بكسر الكاف وفتح التاء مع الألف على الإفراد. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٢/٣٢٤.

[5] ن: نطوى.

[6] ف ن: أغنى.

[7] ف ن: تطوى.

[8] ف: فها.

لأن "الكتاب" أَصله المصدر -كالبناء- ثـم **يُوقَعُ على المكتوب**، ومَن جَمع فمَعنَاه: للمكتوبات؛ أي: لِمَا يُكتب فيه من المعاني الكثيرة.

على حسب ما يتّفق في الأوقات. وأمّا على الوجه **الثاني** -وهو أن يكون المعنى: "لما يُكتب فيه" على ما نقلنا مِن **الوسيط**- فالوجه في قوله: "يَطوي الطومار" فتح الياء وكسر[١] الواو معلومًا، أي: كما تطوي[٢] الطومارَ المكتوب. فنقول: يجوز أن يقيّد "يطوى" في "الكتاب" بالقيدين المذكورين، ويُعلّم عليه بعلامة تُشعِر[٣] بهما، نحو: "معًا"، فيُقرأ بالوجهين ويَحصل المعنيان، ويكون "لما يكتب فيه" عطفًا على "ليكتب فيه"، ويجوز أن لا يقيّد "يطوي" بالقيدين المذكورين؛ بل يترك على ضمّ الياء وفتح الواو، ويكون قوله: "لِما يُكتب فيه"[٤] عطفًا على قوله: "يطوي الطومار"، ويكون في الكلام حذف، والتقدير: كما يُطوى الطومار ليُكتب فيه؛ بضم الياء، أو كما يَطوي[٥] الطومار لما يُكتب فيه، وهنا وجه آخر؛ وهو أن يترك "يُطوى" على ضم الياء وفتح الواو، ويكون "لما يُكتب فيه" عطفًا على "ليكتب" بحذف المضاف مِن "لِما يكتب"، فكأنّه قيل: الطيّ ما يُكتب فيه لما عرفت من أنّ المكتوب ينطوي بانطواء[٦] الصحيفة، فيكون هذا المعنى غير المعنى المنقول مِن **الوسيط**،[٧] فتأمَّل.

قوله: (**لأنّ الكتاب أصله المصدر**) لأنّه يجوز أن يكون متعلّقًا بالتفسيرين أو بالتفسير الأخير. وقوله:[٨] "المصدر" إشارة إلى المعنى الأوّل. وقوله: (**ثم يُوقع**) إشارة إلى الثاني، ففيه لفّ ونشر لطيف.

قوله: (**ومَن جمع**) ما تقدّم على تقدير إفراد "الكتاب". وقوله: (**للمكتوبات**) يعني: إذا جمع لا يجوز أن يُحمل على معنى المصدر.

---

١ ن - على ما نقلنا مِن **الوسيط**- فالوجه في قوله: "يَطوي الطومار" فتح الياء وكسر.

٢ ن: يطوي.

٣ ن: بشعر.

٤ ف - فيه.

٥ ف ن: تطوي.

٦ ن: بانطوى.

٧ ف - من **الوسيط**.

٨ ن: قوله.

وقيل: ﴿ٱلسِّجِلِّ﴾ مَلَك يَطوِي كُتب بني آدم إذا رُفعت إليه. وقيل: كاتبٌ كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم. والكتابُ على هذا اسم الصَّحيفة المكتُوبِ فيها.

﴿أَوَّلَ خَلۡقٖ﴾ مفعُول "نعيدُ" الذي يُفسِّره ﴿نُّعِيدُهُۥ﴾ والكافُ مكفوفةٌ بـ"ما"، والمعنى: نُعيد أوَّلَ الخلق كما بدأناه؛ تشبيهًا للإعادة بالإبْداء في تَناول القُدرة لهما على السَّواءِ.

فإن قلتَ: وما أوَّلُ الخَلْقِ حتَّى يُعيدَه كما بَدَأهُ؟

قلتُ: أوَّلُه إيجَادُه عن العَدم؛ فكما أوجَده أوَّلًا عن عَدمٍ يُعيده ثانيًا عن عدم.

قوله: (**قيل: كاتبٌ**) هذا القول قيل: ضعيف لم يثبت، لكنه[1] مذكور في **الكواشي**[2] أيضًا، فكأنّه ثبت عندهما.

قوله: (**﴿أَوَّلَ خَلۡقٖ﴾ مفعول "نعيد"**)، فيكون ﴿أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥ﴾ مثل قولك: زيدًا ضربتُه.

قوله: (**والكاف مكفوفة بـ"ما"**) اعلم أنّه إنّما جعل المصنِّف "ما" كافّة لا مصدريّة؛ لأنّها لو جعلت مصدريّة لكان قوله: ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ﴾ صفة مصدر محذوف، أي: نُعيد أوّل خلْقٍ إعادة مثل البَدء، وليس المراد: أنّه نعيد إعادة على صفة البَدء؛ بل المراد: أنّه نُبدئ ونُعيد، أي: كما بدأ يُعيد، يعني: هما مِثلان في[3] قدرته تعالى عليهما، لا أنّ الإعادة على صفة البدء، تأمّل فإنّه لطيف. وأمّا في الوجه الآخر / -وهو أن يكون الكاف منصوبًا بفعل مضمَر يفسّره[4] ﴿نُّعِيدُهُۥ﴾ [١٥٠و] فقد قال: "ما" موصولة، و"أوّل الخلق" مفعول "بدأنا"، إذ لا يستقيم المعنى أيضًا، إذ[5] يصير المعنى: نعيد[6] مثل بدأنا أوّل الخلق، ومثل البدء هو الإعادة، فيئول المعنى إلى قولك: نعيد الإعادة، وهو غير مستقيم.

قوله: (**أوّله إيجاده عن العدم**) يشير به إلى أنّ "الخلق" بمعنى التكوين،

---

١ ن: لكونه.

٢ **تفسير الكواشي**، ٣٣٢ظ.

٣ ن – في.

٤ ف: تفسيره.

٥ ن: أو.

٦ ف: نغيد.

فإن قلتَ: ما بالُ ﴿خَلْقٍ﴾ مُنكَّرًا؟

قلتُ: هو كقولك: "هو أوَّلُ رجلٍ جاءني" تريد: أوَّلَ الرِّجالِ؛ ولكنَّك وحَّدْتَه ونكَّرتَهُ إرادةَ تفصيلهم رجُلًا رجُلًا، فكذلك معنى ﴿أَوَّلَ خَلْقٍ﴾: أوَّلَ الخَلْق، بمعنى: أوَّلَ الخلائق؛ لأن الخلق مصْدرٌ لا يُجمع.

ووجه آخرُ: وهو أن ينتَصِب الكافُ بفعلٍ مضمَر يُفسِّره ﴿نُعِيدُهُۥ﴾ و"ما" مَوصُولة؛ أي: نعيدُ مثلَ الذي بَدأناهُ نعيدُه، و﴿أَوَّلَ خَلْقٍ﴾ ظرفٌ لـ"بَدْأناهُ"؛ أي: أوَّلَ ما خُلِقَ، أو حَالٌ من ضمير الموصُول السَّاقطِ من اللَّفظ الثابتِ في المعنى.

﴿وَعْدًا﴾ مصدرٌ مؤكِّدٌ؛ لأن قوله: ﴿نُعِيدُهُۥ﴾ عِدَةٌ للإعَادة.

وهو التعلُّق الحاليّ[١] للقدرة بالمقدور، وذلك يترتّب عليه الوجود كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل ١٦/٤٠]،[٢] و"الخلق" ههنا مصدر، لا بمعنى المخلوق.

قوله: (**فكذلك**)[٣] أي: فكما أنّ معنى "أوّل رجل أوّل رجال" بمعنى:[٤] "أوّل خلق أوّل الخلق"، وكان المناسب بحسب الظاهر أن يقول: أوّل الخلائق، لكن لمّا كان "الخلق" مصدرًا لا يحتاج إلى الجمع قال كذلك، وأشار[٥] إلى هذا المعنى بقوله: (**بمعنى**)... إلخ. وقوله: (**لأنّ الخلق**) فيه حذف، فكأنّه قال: إنّما لم أقل: أول الخلائق؛ لأنّ "الخلق" مصدر.

قوله:[٦] (**ووجه آخر**) أي: هنا وجه آخر.[٧]

قوله: (**ظرف**) وإذا كان ظرفًا يكون "الخلق" بمعنى المصدر، أي: أول زمان الخلق. و"ما" في قول المصنِّف: (**أوّلَ ما خُلِق**) مصدريّة، وإذا كان حالًا يكون "الخلق" بمعنى المخلوق.

قوله: (**مصدر مؤكّد**) وهو مِن المصدر الذي يسمّى توكيدًا لنفسه.

---

١ ن: الخالي.
٢ ن: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل ١٦/٤٠].
٣ ن: فلذلك.
٤ ف ن: معنى.
٥ ن: فأشار.
٦ ن – قوله.
٧ ف ن – آخر.

﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾؛ أي: قادرين على أن نَفعَلَ ذلك.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

عن الشعبي رحمه الله: زبورُ داود، و"الذكر": التَّورَاةُ.

وقيل: اسمٌ لجِنسِ ما أُنزل على الأنبيَاء من الكتب، والذكرُ: أمُّ الكتاب. يَعني: اللَّوحَ.

﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾؛ أي: يرثها المؤمنونَ بعدَ إجْلاء الكفَّار؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا﴾ [الأعراف ١٣٧/٧]، ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف ١٢٨/٧].

وعن ابن عباس رضي الله عنه: هي أرضُ الجنة.

قوله: (**وعن الشعبيّ: زَبور داود**) "**زَبور**" خبر مبتدأ محذوف، أي: ﴿ٱلزَّبُورِ﴾ المذكور في الآية زَبور داود.

قوله: (**و﴿ٱلذِّكْرِ﴾: التوراة**) أي: على هذا الوجه.

قوله: (**وقيل: اسم**) أي: **زَبور** اسم.

قوله: (**و﴿ٱلذِّكْرِ﴾: أمّ الكتاب**) أي: على هذا الوجه.

قوله: (**بعد إجلاء**) أي: الإخراج، الجَلاء: الخروج عن الوطن، وقد جَلَوا عن أوطانهم وجلوتُهم أنا، يتعدّى ولا يتعدّى، ويقال أيضًا: أجلَوا عن البلد، وأجلَيْتُهم أنا، كلاهما بالألف.

قوله تعالى:[1] (**﴿مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا﴾ [الأعراف ١٣٧/٧]**) أراد بـ﴿مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا﴾ [الأعراف ١٣٧/٧]: أرض الشام وجهاتها الشرقيّة والغربيّة.

قوله: (**﴿قَالَ مُوسَىٰ﴾ [الأعراف ١٢٨/٧]**) آية أخرى للاستشهاد.[2]

---

[1] ف: تعالي.

[2] للاستههاد.

وقيل: الأرضُ المقدَّسة يرثُها أمَّةُ محمَّد صلى الله عليه وسلم.

﴿إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ١٠٦﴾

الإشارةُ إلى المذكورِ في هذه السورة من الأخْبَار، والوَعْد والوعيد، والمواعِظ البَالغة.

و"البَلاغُ": الكفايةُ، وما تُبْلَغُ به البُغيةُ.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾

أُرسِل صلى الله عليه وسلم ﴿رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾؛ لأنَّه جاءَ بما يُسعِدهم إن اتَّبعُوهُ، ومَن خالَفَ ولَم يتَّبع فإنما أُتي مِن عند نفسه حيث ضيَّعَ نصيبَه منها. ومثالُه: أن يُفجِّرَ اللهُ عَينًا ....

قوله: (**الإشارة إلى المذكور**) أي: بـ﴿هَٰذَا﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا﴾.

قوله: (**أُتِيَ مِن عند نفسه**) أي: أتى عليه البلاء، يقال: أتى عليهم الدهر، أي: أهلكهم وأفناهم، وأصله مِن إتيان العدوّ، ويقال: مِن هنا أُتيت، أي: مِن هنا دخل عليك البلاء، ومنه قول الأعرابيّ: «وهل أُتيت[١] إلّا من الصوم؟».[٢] وأمّا قوله: "من عند نفسه" أي: مِن شيء حاصل عند نفسه، وهو فعله وقوله الصادران منه، فقوله: "عند" صفة موصوف محذوف كما بيّنا تقديره حيث قلنا: مِن شيء حاصل عند نفسه.

قوله: (**منها**) أي: مِن الرحمة.

قوله: (**ومثاله**) أي: مثال إرسال الله تعالى النبيّ عليه الصلاة والسلام رحمةً للعالمين أن يُفجّرَ.

---

[١] ن: أوتيتُ.

[٢] قال ابن الملقّن: «هذه الرواية غريبة لا أعرفها في هذا الحديث، وكذا قال ابن الصلاح في كلامه على **الوسيط**: إنها لا تعرف. قال: والمذكور بدلها في الروايات المعروفة: أنه لا يستطيع ذلك. قلت: لكن في **سنن أبي داود**... أنه عليه السلام قال للمظاهر مِن زوجته حتّى ينسلخ رمضان، ثم وطئ في أثنائه: 'صم شهرين متتابعين' قال: 'وهل أصبت الذي أصبت إلّا مِن الصيام؟'». **البدر المنير** لابن الملقّن، ٥/٧٢٨.

غَدِيقةً فيَسقيَ ناسٌ زروعَهم ومَواشيَهم بمائها فيُفلحُوا، ويبقى ناسٌ مُفرِطون عن السَّقي فيَضيعُوا، فالعين المُفجَّرةُ في نفسها نِعمةٌ من الله ورحمةٌ للفريقين؛ ولكنَّ الكَسْلانَ مِحْنةٌ على نفسِه حيث حَرَمَها ما ينفعُها.

وقيل: كونُه رحمةً للفجَّار من حيث إن عقوبتَهم أُخِّرت بسَببِه، وأَمِنوا به عذابَ الاستئصال.

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٨﴾

"إنما" لِقَصْرِ الحُكم على شيءٍ أو لِقصرِ الشيء على حُكمٍ؛ كقولك: إنَّما زيدٌ قائم، و: إنما يقوم زيد.

وقد اجتمع المثالان في هذه الآية؛ لأنَّ ﴿إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ مع فاعِله بمنزلةِ: إنما يقوم زيد، و﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ بمنزلة: إنَّما زيدٌ قائم.

قوله: (**غَديقةً**) غَدِقت العين -بالكسر- أي: غَزُرَتْ، والغَدَق -بالفتح-: السَعة والخِصْب.

قوله: (**محنةٌ على نفسه**) إنّما قال: "محنة" ليكون طِباقًا لقول الله عزّ وجلّ: ﴿رَحْمَةً﴾ في قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

قوله: (**وقيل: كونه**) "كونه" مبتدأ، قوله: (**من حيث**) خبره، (**"إنّما" لِقَصر الحكم على شيء**) نحو: إنّما يقوم / زيد. وقوله: (**أو لِقَصر الشيء على حكم**) نحو:[١] إنّما زيد قائم. [١٥٠ظ]

قوله: (**كقولك: إنّما زيد**)... إلخ لم يذكر المثالين على الترتيب؛ بل قدّم وأخّر، فهو مِن اللفّ والنشر المُشوَّش.

قوله: (**مع فاعله**) يريد بـ"فاعله" قوله تعالى: ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾؛ لأنّه قائم مقام فاعل ﴿يُوحَىٰٓ﴾.

---

[١] ف: كونه.

وفائدةُ اجتماعهما: الدلالةُ على أن الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقصورٌ على استئثار الله بالوحدانية، وفي قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ أنَّ الوحيَ الوارد على هذا السَّنَنِ مُوجبٌ أن تُخلِصُوا التوحيدَ لله وأن تخلعُوا الأَنداد.

وفيه: أن صفة الوحدانية يصحُّ أن يكون طريقُها السمعَ.

ويجوز أن يكون المعنى: أَن الذي يوحَى إليَّ، فتكون "ما" مَوصولةً.

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍۖ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾﴾

"آذَنَ" منقولٌ من "أَذِنَ": إذا عَلِم، ولكنه كثُر استعمالُه في الجَرْيِ مَجْرى الإِنْذار، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة ٢/٢٧٩] وقولُ ابنِ حِلِّزَةَ:

آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا أَسْمَاءُ

قوله: (وفيه أنّ صِفة الوحدانيّة)؛ وذلك لأنّه لمّا قال تعالى: ﴿يُوحَىٰ﴾... إلخ قال: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾، فدلّ على أنّ الوحي كافٍ في ذلك، ووجهه أنّ صحّة الدلائل النقليّة لا تتوقّف[1] على الوحدانيّة بها، بخِلاف إثبات الصانع، فإنّه لا يمكن بالدلائل النقليّة؛ لتوقّفها عليه.

قوله: **(ويجوز أن يكون المعنى)** عطف على قوله: **(وقد اجتمع المثالان)** فلا يكون في ﴿إِنَّمَا يُوحَىٰ﴾ قصر؛ بل القصر[2] مقصور على ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ فيه نظر؛ لأنّ فيه قَصرًا أيضًا، لكن مِن وجه آخر.

قوله: **(حِلِّزَة)** هو الحارث بن حِلِّزة اليَشكريّ. وقوله:[3]

(آذنَتْنا ببَينِها أسماءُ)

آخره:

رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثَّواءُ[4]

---

[1] ن: يتوقف.
[2] ن: الصر.
[3] ن: قوله.
[4] انظر: **لسان العرب** لابن منظور، «قوي».

والمعنى: إنّي بَعد تولّيكُم وإعراضِكم عن قبول ما عُرِض عليكم من وجوب تَوحيد الله وتنزيهه عن الأَنداد والشركاء كرجُلٍ بينَه وبين أعدائه هُدْنةٌ، فأحَسَّ منهم بغَدْرةٍ فنبَذ إليهم العَهد وشَهَّر النَّبْذَ وأَشَاعَهُ وآذنَهم جميعًا بذلك. ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾؛ أي: مُستَوين في الإعلام به لم يَطْوِه عن أحَد مِنهم، ....

الإيذان: الإعلام، والمراد هنا: التخويف والإنذار. والبَين: الفِراق. وأسماء: اسم امرأة. والثَّواء والثُّوِيُّ:[١] الإقامة، والفعل منه: ثوَى يَثوي، يقول الشاعر: أعلمَتْنا وأنذرَتْنا أسماء بفِراقها[٢] إيّانا، أي: بعزْمِها على فِراقنا، ثمّ قال: رُبَّ مقيم تُمَلُّ إقامته، يشير بذلك إلى أنّ فِراق سلمَى لا يضرُّه، ولا يمَلّ هو مِن فِراقها، بل يَمَلُّ مِن إقامتها ويريد فِراقها، ويحتمل أن يكون المعنى: أنّ فراقها يؤذي ويُمِلُّ، وليست هي كغيرها ممّن يُمَلُّ ثَواؤه، وأصل "أسماء": وَسْماء،[٣] مِن الوَسامة، وهي الحُسن والجمال، والهمزة بدل[٤] مِن الواو، كما في "أحد".[٥]

قوله: **(هُدنةٌ)** قال في **المُغرب**: «هادَنَه: صالَحه، مهادنةً، وتهادنوا: تصالحوا، والهُدْنة الاسم، ومنها: "هُدنةٌ على دَخَنٍ"،[٦] أي: صُلح على فساد، وأصلها مِن: هَدَن إذا سكن هُدُونًا».[٧] وقال في **الصِّحاح**: «هدَن يَهدُن هُدُونًا: سكن، يتعدّى ولا يتعدّى، وهادنه: صالحه، والاسم منه: الهُدْنة، ومنه: "هُدنة على دَخَنٍ"، أي: سكون على غِلّ، الهُدْنة: فُعلة مِن المهادنة؛ وهي المصالحة، وأصلها مِن الهدون، وهو السكون، وهدنتِ المرأة ولدها: سكّنتْه».[٨]

قوله: **(أي: مستوين)** إشارة إلى أنّ قوله: ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ حال مِن الضمير المنصوب في ﴿ءَاذَنتُكُمْ﴾، وهنا وجه، وهو أن يكون حالًا مِن الفاعل والمفعول، أي: مستوين نحن وأنتم في هذا العِلم، وهو العِلم بنَبذِ العهد.

---

١ ن - امرأة، والثَّواء والثويُّ.
٢ ن - منه: ثوَى يَثوي، يقول الشاعر: أعلمَتْنا وأنذرَتْنا أسماء بفِراقها.
٣ ن: واسماءُ.
٤ ن: بل.
٥ ن: أخذ.
٦ انظر: **مجمع الأمثال** للميداني، ٢/٣٨٢.
٧ **المُغرب** للمطرّزي، «هدن».
٨ **الصحاح** للجوهري، «هدن».

وكاشَفَ كُلَّهُم وقشَرَ العصَا عن لحائهَا.

﴿وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾: وما تُوعَدونه من غَلبَة المُسلمين عَليكم كائنٌ لا محَالة، ولا بدَّ من أن يَلحقكُم بذلك الذِّلَّةُ والصَّغار، وإن كنتُ لا أَدري متى يكون ذلك لأنَّ الله لم يُعْلِمْني عِلمَهُ وَلَم يُطْلِعْني عَليه.

﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾﴾

والله عليم لا يَخفَى عَليهِ ما تُجاهِرون به من كلام الطَّعَّانين في الإسلام وما تكتمونه في صُدُوركم مِن الإحَنِ والأحقاد للمُسلمين، وهو مُجازِيكم عليه، وما أَدري لعَلَّ تأخيرَ هذا المَوعِد امتحانٌ لكم ليُنظَرَ كَيفَ تعمَلُونَ، أو تَمتِيعٌ لكم إلى حينٍ ليكُونَ ذلك حجةً عَليكم، وليقَعَ الموعِدُ في وقتٍ هو فيه حِكمةٌ.

﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾

قرئ: ﴿قل﴾ و﴿قَٰلَ﴾ على حكايةِ قول رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قوله: (وقَشَر العصا) "قَشْر العصا عن لحائها" عبارة عن كشف الأمر وإظهاره، والمخالفة، كقولهم: شقّ العصا، أي: خالف؛ لأنّ الأصل في الاجتماع[١] والائتلاف، فإذا شقّها فكأنّه فرَّقها.

قوله: (وما توعَدونه) مبتدأ، و(كائن) خبره.

قوله: (عِلمَه) نصب على المصدر، وأصله: لم يُعْلِمْنيه عِلمًا، ثم قدّم المصدر وأضيف، فصار: لم يُعلِمني عِلْمَه، وهو قريب من قوله تعالى: ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [محمد ٤٧/٤].

قوله: (مِن الإحَنِ)[٢] يقال: في صدره عليّ إحْنة،[٣] أي: حِقد، والجمع: إحَنٌ.[٤]

---

[١] ن: الاشتماع.
[٢] ن: الإجن.
[٣] ن: إجنّة.
[٤] ن: أحنّ.

و﴿رَبِّ ٱحْكُم﴾ على الاكتفاء بالكسرة، و: ﴿ربُّ احْكُمْ﴾ على الضم، و: "ربِّي أَحْكَمُ" على أفعَل التفضيل، و: "ربِّي أَحْكَمَ" من الإحكام.

أُمِر باستعجال العذاب لقومه فعُذِّبُوا ببَدْرٍ، ومعنى ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: لا تُحَابِهم وشَدِّدْ عليهم كما هو حَقُّهم؛ كما قال: "اشدُد وطْأتَكَ على مُضَرَ".

قرئ ﴿تَصِفُونَ﴾ بالتَّاء والياء.

قوله: (و﴿رَبُّ ٱحْكُم﴾ على الضمّ)[1] قال الشيخ في الكواشي: «قرئ: ﴿رَبُّ﴾ بضم الباء؛[2] إتْباعًا / لضمّة الكاف في ﴿ٱحْكُم﴾ بعد حذف الياء، ثمّ الكسرة [١٥١و] تخفيفًا، ثم حذفت الهمزة للوصل، ولم يمنع الحاء الإتْباع لسكونها».[3]

قوله: (و"ربِّي أَحْكَم")[4] يحتمل أن يكون "أَحْكَم" مِن: حَكَمَ وحَكُم، بمعنى: أعلم وأعدل.

قوله: (أُمِرَ باستعجال العذاب) هذا على القراءة بلفظ الأمر في ﴿قُلَ﴾،[5] أي: أُمر النبيّ عليه الصلاة والسلام بأن يطلُبَ العذاب لقومه عاجلًا.

قوله: (لا تُحابهم)[6] لا تُدارِهم ولا تُسهِّل عليهم الأمر؛ بل اشدُد عليهم، وهو مِن المُحاباة، يقال: حابيتُه في البيع مُحاباةً، وهو مِن: حَبَاه حَبْوةً إذا أعطاه، والحِباء: العطاء.

قوله: (كما قال) أي: النبيّ عليه الصلاة والسلام. وقوله: («اشدُد وطْأتَك على مُضَرَ») في الحديث: «اللّٰهم اشددْ وطأتَكَ على مضرَ، واجعل سِنيهم كسِنِي يوسف»،[7] فمُنوا بالجَدْب حتى أكلوا العِلْهز، والعِلْهز -بالكسر-: طعام كانوا يتّخذونه مِن الدم ووبَر البعير في سِنِي المجاعة، والله أعلم.[8]

---

[1] وهي قراءة أبي جعفر المدني أحد العشرة. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٢٥/٢.

[2] ن: الياء.

[3] تفسير الكواشي، ٣٣٣و.

[4] وهي قراءة شاذّة. انظر: المحتسب لابن جنّي، ٧١/٢.

[5] وهي قراءة الجمهور غير حفص. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٢٥/٢.

[6] ف ن + أي.

[7] صحيح البخاري، ١٦٠/١ (٨٠٤)؛ صحيح مسلم، ٤٦٦/١ (٦٧٥).

[8] ف ن – والله أعلم.

كانوا يَصِفون الحال على خلافِ ما جَرَتْ عليه وكانُوا يَطمعُونَ أن تكونَ لهم الشوكةُ والغَلبة فكَذَّب الله ظنُونهم وخيَّب آمالَهُم ونصَر رسولَ الله والمؤمنينَ وخَذَلهُم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قَرَأ ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ حَاسَبَه اللهُ حِسَابًا يَسيرًا وصافحه وسَلَّم عليه كُلُّ نبيٍّ ذُكِرَ اسْمُه في القُرآنِ».

تمّت السورة.[١]

---

١ ف ن - تمّت السورة.

سورة الحجّ

مكيةٌ غيرَ ستِّ آياتٍ وهي: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ﴾ [الحج ١٩/٢٢]
إلى: ﴿صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [الحج ٢٤/٢٢]، وهي ثمانٍ وسبعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١﴾

"الزَّلزلةُ": شدَّةُ التحريك والإزعَاجُ، وأن يُضاعفَ زليلُ الأشياء عن مقارِّها ومرَاكزها.

ولا تَخْلو ﴿ٱلسَّاعَةِ﴾ من أن تكونَ عَلى تَقْدِير الفاعِلةِ لها كأنها هي التي تُزلزِلُ الأشياء على المجَاز الحُكميّ، فتكونَ "الزَّلزلةُ" مَصْدَرًا مضافًا إلى فاعلِهِ، أو على تقدير المفعول فيها على طريقة الاتِّسَاع في الظَّرف وإجرائه مُجْرَى المفعول به؛ كقوله تعالى: ﴿بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ ٣٣/٣٤].

وهي الزَّلزلةُ المذكُورةُ في قوله: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا﴾ [الزلزلة ١/٩٩].

واختُلِفَ في وقتها:

فَعن الحَسنِ: أنَّها تكُون يومَ القيامة.

سورة الحجّ

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله: (**زَليلُ الأشياء**) الزليل: مصدر كالصَّرير.[1]

قوله: (**على تقدير[2] الفاعلةِ لها**) أي: للزَّلزلة.

---

[1] ن: كالضرير.

[2] ن: تقدم.

وعن علقمةَ والشَّعبيِّ: عند طُلُوع الشَّمس من مَغْرِبها.

أمَر بني آدمَ بالتَّقوى ثم عَلَّل وجُوبها عليهم بذكرِ السَّاعة ووَصْفِها بأهوَلِ صفةٍ؛ ليَنظُروا إلى تلك الصفة ببصَائرِهم ويتصوَّرُوهَا بعقُولهم حتَّى يُبْقُوا على أنفُسِهم ويَرحَمُوها من شدائد ذلك اليومِ بامتِثالِ ما أمَرهم به رَبُّهم من التَّردِّي بلباس التَّقوَى الذي لا يُؤْمِنهم من تلك الأَفزَاع إلَّا أنْ يترَدَّوا به.

ورُوي: أن هاتين الآيتين نَزلتَا لَيْلًا في غَزوة بني المُصطَلِقِ، فقَرأهُما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يُرَ أكثرَ باكيًا من تلك اللَّيلة، فلمَّا أصبَحُوا لم يحطُّوا السروجَ عن الدَّوابِّ، ولم يَضربُوا الخِيام وقت النُّزول، ولم يَطبُخوا قِدرًا، وكانوا من بين حَزينٍ وباكٍ ومُفكِّرٍ.

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ منصُوبٌ بـ﴿تَذْهَلُ﴾، والضميرُ للزَّلزَلةِ.

وقرئ: "تُذْهَلُ كلُّ مُرْضِعةٍ" على البناء للمفعُول، و: "تُذهِلُ كُلَّ مرضعةٍ"؛ أي: تُذهِلُها الزلزلةُ.

والذُّهول: الذَّهاب عن الأمر مع دَهشةٍ.

قوله: (**حتَّى يُبْقوا على أنفسهم**) أبقيتُ على فلان، أي: أرعيتُ عليه ورحِمْتُه.

قوله: (**مِن شدائد ذلك اليوم**) ضمّن قوله: "يُبقوا" و"يرحموا" معنى: يحفظوا، فكأنّه قال: يحفظوها مِن شدائد ذلك اليوم راحمين عليها.

قوله: (**مِن التردّي**) بيان "ما أمر"، و"التردِّي": الارتداء.

قوله: (**مِن تلك الليلة**) أي: مِن بُكاةِ تلك الليلة، أو مِن أناسٍ أو جماعةِ تلك الليلة؛ وذلك لأنّ قوله: (**أكثر**) صفة موصوف محذوف كالأناس والجماعة وغير ذلك، وهو مُسند إلى الضمير العائد إلى ذلك الموصوف، و(**باكيًا**) تمييز مِن تلك النسبة، فيجوز اعتبار أيّهما شئت، فيقال: مِن بُكاة أو أناسٍ.

فإن قلتَ: لِمَ قيل: ﴿مُرْضِعَةٍ﴾ دون: مُرضِعٍ.

قلتُ: المرضعةُ: التي هي في حال الإرضاع مُلقِمةٌ ثديَها الصَّبيَّ. والمُرضعُ: التي شَأنُها أن تُرضِعَ وإن لم تُباشرِ الإرضاع في حالِ وَصْفِها به، فقيل: ﴿مُرْضِعَةٍ﴾ ليُدَلَّ على أنَّ ذلك الهَول إذا فُوجِئَتْ به هذه وقد ألقَمتِ الرَّضِيعَ ثَدْيَها نزعَتْه عن فيه لِمَا يَلحَقُها من الدَّهشَةِ.

﴿عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾: عن إرْضاعِهَا، أو: عن الذي أَرضَعتْه وهو الطِّفلُ.

وعن الحسن: تَذهَلُ المُرضعةُ عن وَلدها لغير فِطَامٍ، وَتَضَعُ الحامِلُ ما في بَطْنها لغَير تَمامٍ.

قُرِئ: "وتُرَى" بالضَّم من "أُرِيتُكَ قائمًا"، أو "رُؤِيتُكَ قائمًا"، و"الناس" منصوبٌ ومرفوعٌ، والنَّصب ظاهرٌ، ....

قوله: **(لغير فِطام)**... إلخ، اللام في قوله: "لغير فطام" و"لغير تمام" يجوز أن يكون للتعليل، أي: لا يكون الذهول لأجل الفِطام بل لأمرٍ غير الفطام، وهو الدهشة والحَيرة، وكذا الوضع لا يكون لأجل التمام؛ بل لأمرٍ غيره، وهو الذي يلحقها مِن المكاره والشدائد، ويجوز أن يكون لام الوقت، كما في قولهم: كُتب لِخمسٍ مضت مِن الشهر.

قوله: **(مِن: أُريتُك[١] قائمًا)**[٢] إن كان مِن "أُرِيتُكَ" فمعناه: تظنُّ أنت الناسَ سُكارى، أقيم الضمير مُقام الفاعل، ونُصب ﴿ٱلنَّاسَ﴾ و﴿سُكَٰرَىٰ﴾ على أنّهما مفعولان؛ لأنّ "أُريتُ" متعدٍّ إلى ثلاثة،[٣] وإن كان مِن "رأيتُ" فالمعنى: يُظنُّ الناسُ سُكارى، أقيم ﴿ٱلنَّاسَ﴾ مُقام الفاعل، ونصب ﴿سُكَٰرَىٰ﴾ على المفعوليّة؛ لأنّ "رأيت" متعدّ إلى اثنين.

قوله: **(منصوب ومرفوع)** منصوب على أن يكون مِن "أُريتُك"، ومرفوع على أن يكون مِن "رأيت"، ففي هذا الكلام لفّ ونشر.

---

[١] ف + أي: ظننتك.

[٢] وهي قراءة شاذّة. انظر: الكامل للهذلي، ص ٦٠٢.

[٣] ن: ما يليه.

ومَن رَفع جَعلَ "الناسَ" اسمَ "تُرَى" وأَنَّثهُ عَلى تأويل الجَماعة.

وقُرِئَ ﴿سَكْرَى﴾ و﴿بِسَكْرَى﴾، وهو نظيرُ: جَوْعَى وعَطْشَى في جَوعَانَ وعَطْشَانَ، و: ﴿سُكَرَىٰ﴾ و﴿سُكَرَىٰ﴾ نحو كُسَالى وعُجَالى.

وعن الأَعمش: "سُكرى" و"بسُكْرى" بالضمِّ، وهو غريبٌ.

والمَعنى: وتَراهُم سُكارَى على التَّشبيه، وما هُم بسُكارَى على التَّحقِيق؛ ولكنْ ما رَهِقَهُم من خَوفِ عذابِ الله هو الذي أَذهَب عُقُولَهم وطَيَّر تمَييزَهُم ورَدَّهُم في نحوِ حالِ مَن يَذهبُ السُّكْرُ بعَقْلِه وتَمييزه.

وقيل: وتَراهُم سُكارَى من الخَوف وما هم بسُكارَى من الشَّراب.

فإن قلتَ: لِمَ قيل أوَّلًا: "ترونَ"، ثم قيل: "تَرى" على الإفراد؟

قلتُ: لأن الرُّؤيةُ أوَّلًا عُلِّقَت بالزَّلزلة فجُعِل النَّاسُ جميعًا رائِينَ لها، وهي مُعَلَّقةٌ أخيرًا بكون النَّاس على حالِ السُّكر، فلا بدَّ أَنْ يُجعَل كُلُّ واحِدٍ منهم رَائيًا لِسَائِرهم.

قوله: (**وقرئ: ﴿سَكْرَىٰ﴾**) سبعة، (**و﴿بِسَكْرَىٰ﴾**) سبعة. وقوله: (**و﴿سُكَرَىٰ﴾**) سبعة.[1] وقوله: (**وعن/ الأعمش "سُكْرَى"**) بالضمّ شاذّ، وقوله: (**و"بِسُكْرَى"[2] بالضمّ**).[3] [١٥١ظ]

قوله: (**ما رهِقهم**) يقال: رَهِقه، أي: غشِيَه.

قوله: (**فإن قلت: لمَ قيل أوّلًا: "ترون"؟**) أي: على الجمع.

قوله: (**فلا بدّ أن يُجعل**) وهذا يشير إلى أنّه ليس الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى﴾ لواحدٍ معيّن؛ بل كلّ مَن يصلح أن يكون مخاطَبًا فهو داخل في هذا الخطاب، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ﴾ [السجدة ١٢/٣٢]،

---

[1] قرأ حمزة والكسائي وخلف: ﴿سَكْرَىٰ﴾ و﴿بِسَكْرَىٰ﴾ بفتح السين وإسكان الكاف مِن غير ألف فيهما، وقرأ الباقون: ﴿سُكَرَىٰ﴾ ﴿بِسُكَرَىٰ﴾ بضمّ السين وفتح الكاف وألف بعدها. وهم في الإمالة على أصولهم. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٣٢٥/٢.

[2] ن: وبالسكرى.

[3] ورواها ابن جنّي عن أبي زُرعة، وقال: كما رواه ابن مجاهد عن الحسَن والأعرج. انظر: **المحتسب** لابن جنّي، ٧٢/٢.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤﴾

قيل: نزلت في النَّضْر بن الحارث، وكان جَدِلًا يقول: الملائكةُ بناتُ الله، والقرآنُ أساطيرُ الأوَّلين، واللهُ غَيْرُ قَادر على إحْيَاء مَن بَلِيَ وصار تُرابًا.

وهي عَامَّةٌ في كلِّ مَن تعاطَى الجدالَ فيما يجُوز على الله وما لا يجوز من الصِّفات والأَفعال، ولا يَرجعُ إلى عِلمٍ، ولا يَعَضُّ فيه بضِرْسٍ قاطعٍ، وليس فيه اتِّبَاعٌ لِلبُرهانِ ولا نزُولٌ على النَّصَفَة، فهو يَخبطُ خبْطَ عشواءَ غيرَ فارقٍ بين الحقِّ والباطلِ.

﴿وَيَتَّبِعُ﴾ في ذلك خُطُواتِ كلِّ ﴿شَيۡطَٰنٍ﴾ عاتٍ عُلِم من حاله وظَهر ....

﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ﴾ [سبأ ٣١/٣٤] ونظائرهما، وكقوله[1] عليه الصلاة والسلام: «بشِّر المَشَّائين[2] في الظُّلَم إلى المساجد بالنور التامّ يوم القيامة».[3]

قوله: (وليس فيه اتّباع) الضمير مِن "فيه" إلى "كلّ مَن تعاطى"، يعني: لا يتّبع ذلك الشخص البرهان، وهو مِن قَبيل الكناية، فإنّه إذا لم يتّبع البرهان لا يكون فيه اتّباع البرهان، ولو اتّبعه لكان فيه اتّباعه، فهو مِثل:

إنّ السماحة والمُروّة والندى   في قُبّة ضُربت على ابنِ الحَشرجِ[4]

قوله: (ولا نُزُولٌ) عطف على "اتّباعٌ"، أي: ليس فيه نزول على النَّصفة، وإنّه أيضًا مِن قَبيل الكناية؛ لأنّه لو أنصف لكان فيه إنصاف، فهو مثل قول الشاعر:

إنّ السماحة والمُروّة والنَدَى   في قُبّة ضُربت على ابنِ الحَشرجِ

وقوله: (على النَّصَفة) مِن الإنصاف.

قوله: (عُلِم مِن حاله وظهر) تفسير لقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡهِ﴾... إلخ، وذلك بطريق التشبيه، كما أشار إليه بقوله: (والكِتْبَةُ عليه مَثَلٌ).

---

١ ن: وقوله.

٢ ن: الماشائين.

٣ سنن أبي داود، ٤٢١/١ (٥٦١)؛ سنن الترمذي، ٢٩٩/١ (٢٢٣).

٤ ن - في قُبَّةٍ ضُربت على ابن الحَشرجِ. | لزياد الأعجم. انظر: ربيع الأبرار للزمخشري، ٣٨٦/٤.

وتَبيَّن أنَّه مَن جَعلَهُ وليًّا لهُ لم تُثمِر له ولَايتُهُ إلَّا الإضلالَ عن طريق الجنَّة والهدايَةَ إلى النَّار.

وما أَرَى رؤسَاءَ أهلِ الأهواء والبِدَع والحَشْويَّةِ المُتلَقِّبين بالإمامةِ في دِين الله إلَّا داخِلين تحتَ كُلِّ هذا دُخولًا أوّليًّا، بل هُم أَشدُّ الشَّياطِين إضلالًا وأَقطعُهم لطريق الحقِّ، حيث دَوَّنُوا الضَّلالَ تَدْوينًا، ولقَّنُوهُ أشياعهُم تلقينًا، وكأنَّهم سَاطُوه بلحُومهم ودمائهم، وإيَّاهُم عَنَى مَن قال:

ويا رُبَّ مُقفُوِّ الخُطَا بينَ قَومه   طَرِيقٌ نَحاهُ عندَهُم مُستَوٍ نَهجُ
ولو قرؤُوا في اللَّوحِ ما خُطَّ فيه مِن   بيَانِ اعوجاجٍ في طريقَتِه عَجُّوا

قوله: **(حيث دوَّنوا)** تعليل متعلِّق بقوله: **(داخلين)**، أو بقوله: **(أُرى)**، وهذا أصوب، فكأنَّه قال: أظنّ دخولهم؛ لأنَّهم دوَّنوا. والضمير مِن **(ساطوه)**[١] يعود إلى **(الرؤساء)**، ومِن **(لحومهم)** إلى **(أشياعهم)**. ويقال: دوَّن الكتب إذا جمعها، ومنه الديوان؛ الجريدة؛ لأنَّها قِطَع مِن القراطيس مجموعة. ويروى: أنّ عمر رضي الله عنه[٢] أوّل مَن دوّن الدواوين،[٣] أي: رتّب الجرائد للولاة والقضاة. وقوله: "ساطوه" السَّوط: خلط الشيء بعضه ببعض.

قوله: **(عنى)** أي: أراد.

قوله:

(ويا رُبَّ مَقفُوِّ الخُطَى بين قَومه   طريق نجاةٍ[٤] عندَهم مُسْتَوٍ نَهَجُ
ولو قرءوا في اللوح ما خُطَّ فيه مِن   بيان اعوجاجٍ في طريقته عَجُّوا)[٥]

"مَقفوّ": اسم مفعول، مِن: قفوتُ الرجل إذا اتّبعتَه. والنهج والمَنهج[٦] والمنهاج:

---

١ ف: ساطو؛ ن: ساطى.
٢ د - رضي الله عنه.
٣ انظر: **السنن الكبرى** للبيهقي، ٤٠٨/١٦ (١٦٤٦٣).
٤ كذا في الأصول الخطّيّة، وهو في مطبوع **الكشّاف**: "طريق نحاه" بالحاء المهملة، وبذلك ضبطه الطيبي. انظر: **فتوح الغيب** للطيبي، ٤٣٥/١٠.
٥ ن: غجّوا. | ذكره محبّ الدين أفندي ولم ينسبه إلى قائل أو يعزه إلى كتاب. انظر: **شرح شواهد الكشّاف** لمحبّ الدين أفندي، ص ٥٧.
٦ ن: والنهج.

اللّٰهم ثبِّتنَا على المعتَقَد الصحيح الذي رَضِيتَه لملائكتك في سماواتك وأنبيائك في أرضك، وأَدْخِلنا برحمتكَ في عبادك الصالحين.

والكِتبةُ عليه مَثَلٌ؛ أي: كأنما كُتِبَ إضلالُ مَن يتولّاه عليه ورُقِمَ به؛ لظُهُور ذلك في حالِه.

وقرئ: ﴿أَنَّهُۥ﴾ ﴿فَأَنَّهُۥ﴾ بالفتح والكسر، ....

الطريق الواضح. و"عَجُّوا"، أي: صاحوا، تقول:[١] عجَّ القوم في الدعاء إلى الله تعالى يَعِجُّون عَجًّا وعَجيجًا، يقول: رُبّ رجل مقتدًى في قومه، متبوعٍ في حِزبه، عندهم أنّه على صراط مستقيم ونهجٍ واضحٍ، ولو قرءوا ما خُطَّ في اللوح المحفوظ مِن ضَلالة ذلك الرجل المَقفوّ وغوايتِه في معتقده وطريقته عَجُّوا وضجُّوا متضرّعين إلى الله مِن أن يكونوا ممّن قال الله فيهم: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر ٣٩/٤٧].[٢]

قوله: (والكِتْبة عليه مثلٌ) الضمير مِن قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ﴾ يجوز أن[٣] يعود إلى "الشيطان"،[٤] ويجوز أن يعود إلى ﴿مَن يُجَٰدِلُ﴾، وكذا الضمير في ﴿أَنَّهُۥ﴾. وقوله: ﴿مَن﴾ يجوز أن يكون عبارةً عن "الشيطان" وعن ﴿مَن يُجَٰدِلُ﴾، ويجوز أن يعود الضمير المستتر إلى ﴿مَن﴾ والبارز إلى ﴿شَيْطَٰنٍ﴾، ويجوز العكس. و﴿مَن﴾ موصول خبر "أنّ". وحاصل المعنى: كُتِب على الشيطان أنّه مَن تولّى ذلك الشخص، أو كُتب على الشيطان / أنّ ذلك الشخص مَن تولّى الشيطان، [١٥٢و]
أو كتب[٥] على ذلك الشخص أنّه مَن تولّى الشيطان، أو أنّ الشيطان مَن تولّاه وكُتب عليه أنّ الشيطان يُضِلُّه.

قوله: (بالفتح والكسر) الفتح مشهور، والكسر شاذّ.[٦] وقال في **الكواشي**: «القراءة بفتح ﴿أَنَّهُۥ﴾ فاعل ﴿كُتِبَ﴾، وبفتح ﴿فَأَنَّهُۥ﴾ عطف على ﴿أَنَّهُۥ﴾، وقرئ:[٧]

---

١ ف: يقول.

٢ كذا في **شرح شواهد الكشّاف** لمحبّ الدين أفندي، ص ٥٧.

٣ ن – يجوز أن.

٤ ف: الشطن.

٥ ن: لبت.

٦ انظر: **الكامل** للهذلي، ص ٣٩٣.

٧ ن: قرئ.

فمَن فَتَح فلِأنَّ الأوَّلَ فاعلُ ﴿كُتِبَ﴾ والثاني عطفٌ عليه، ومَن كَسَرَ فعلى حكايةِ المكتوب كما هو كأنما كُتِبَ عليه هذا الكلامُ؛ كما تقول: "كتَبتُ: إنَّ اللهَ هو الغنيُّ الحميدُ"، أو على تَقدير: «قيل»، أو على أنَّ ﴿كُتِبَ﴾ فيه معنى القَول.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥﴾

قَرأ الحسنُ: "من البَعَث" بالتَّحريك، ونظيرُه: الجَلَبُ والطَّرَدُ في الجَلْبِ والطَّرْدِ.

كأنه قيل: إن ارتَبْتُم في البَعْث فمُزيلُ رَيبِكُم أَن تَنظُرُوا في بَدْءِ خلقِكُم.

و"العَلَقَةُ": قِطعةُ الدَّم الجَامدَةُ.

و"المضغَةُ": اللحمةُ الصغيرةُ قَدْرُ ما يُمضَغُ.

و"المخلَّقةُ": المُسَوَّاةُ الملسَاءُ من النقصان والعَيبِ، يُقَال: "خَلَّقَ السِّوَاكَ والعودَ": إذا سوَّاهُ ومَلَّسَه، من قولهم: "صخرةٌ خَلْقاءُ": إذا كانت مَلسَاءَ، كأنَّ اللهَ تعالى يَخلُق المُضَغَ متفَاوتةً: منها ما هو كاملُ الخِلقة أَملَسُ من العيُوب،

'إِنَّهُ' 'فَإِنَّهُ' بكسرهما، وقرئ 'كَتَبَ' معلومًا، الفاعل الله تعالى، ومحلّ ﴿أَنَّهُ﴾ والمتصل بها نصب. تلخيصه: حُكم على الشيطان أنّه يُضِلّ[1] مَن اتّبعه»).[2]

قوله: (الحسَن) أي: قرأ الحسَن.[3]

قوله: (المَلساء) "المَلساء": تأنيث الأملَس، مِن المَلاسة، وهي ضِدُّ الخشونة، وشيء أملَس. فكأنّ المصنِّف جعل "الأملس" و"الملساء" بمعنى: الصحيح والسالم؛ فلذلك علّق به "مِن" في الموضعين، وجاء في المَثَل:

---

١ ن: يضله.

٢ تفسير الكواشي، ٣٣٤و.

٣ والظاهر أنّ "قرأ" سقطت من نسخة الجاربردي. | وهي قراءة شاذّة. انظر: الكامل للهذلي، ص ٦٠٣.

ومنها ما هو على عَكس ذلك، فيَتْبَعُ ذلك التَّفاوُتَ تفَاوتُ النَّاس في خِلَقِهم وصُوَرِهم، وطُولهم وقِصَرهم، وتمامِهم ونُقصَانهم.

وإنما نقَلناكم منْ حَالٍ إلى حالٍ ومن خِلقةٍ إلى خِلقةٍ ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ بهذا التَّدريج قُدرَتنَا وحِكمتَنا، وأنَّ مَن قدَر على خلق البَشر من ترابٍ أوَّلًا ثـمَّ مِن نُطفةٍ ثانيًا ولا تَناسُبَ بين التُّراب والماء، وقدَر عَلى أَن يَجعَل النُّطفة علَقةً وبينهما تبَايُنٌ ظاهرٌ، ثـمَّ يَجعَلَ العَلَقةَ مُضغَةً والمُضغَةَ عِظامًا= قَدرَ على إعادة ما أبدَأَهُ، بل هذا أَدْخَلُ في القُدرة من تلك وأَهْونُ في القِياس.

وورُودُ الفِعل غيْرَ مُعَدًّى إلى المُبَيَّنِ إعلامٌ بأنَّ أفعَالَه هذه يَتَبَيَّنُ بها من قُدرته وعِلْمهِ ما لا يَكتَنِهُهُ الذِّكرُ ولا يُحيط به الوصفُ.

وقرأ ابنُ أبي عَبْلة: "لِيُبيِّنَ لكُم ويُقِرُّ" بالياء، وقُرِئ: "ونُقِرَّ" و"نُخرجَكم" بالنُّون والنَّصب، "ويَقِرَّ" و"يُخرجَكم"، "ويَقِرُّ" و"يُخرجُكم": بالنَّصب والرَّفعِ. وعن يعقوب: "نَقُرُّ" بالنُّون وضمِّ القافِ، من قَرَّ الماءَ: إذا صَبَّه.

فالقراءةُ بالرَّفع إخبَارٌ بأنه يُقِرُّ في الأرحام ما يشاء أن يُقِرَّه من ذلك ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو وقتُ الوضع آخِرَ ستَّةِ أشْهُرٍ أو تسعةٍ أو سَنتَينِ أو أَربعٍ، أَو كما شَاء وقَدَّرَ، ....

"هان على الأملَس ما لاقى الدَبِر"،[1] والأملس ههنا: الصحيح الظهر، والدَّبِر: الذي قد دَبِرَ ظهره.

قوله: (**بأنّ أفعاله هذه**) "هذه" صفة "أفعاله". وقوله: (**مِن قدرته**) بيان "ما" في (**ما لا يَكتَنهُه**).

قوله: (**وقرأ ابن أبي عبْلة: "ليُبيّن"**) بالنون مِن السبعة. وبالياء شاذّ.[2]

قوله: (**وقرئ: "وَنُقِرَّ"**) "نُقِرُّ" و"نخرجُ" بالنون والرفع مِن القراءات السبعة، والبواقي شاذّة.[3]

---

١ يُضرب في سوء اهتمام الرجل بشأن صاحبه.
انظر: **مجمع الأمثال** للميداني، ٢/٣٩٣.

٢ انظر: **الكامل** للهذلي، ص ٦٠٣.

٣ انظر: **الكامل** للهذلي، ص ٦٠٣.

وما لم يشَأ إقرارَهُ مَجَّتْه الأَرحامُ أو أسقطَتْه.

والقراءةُ بالنصب تعليلٌ معطوفٌ على تعليلٍ، ومعناه: خلقناكُم مُدَرِّجِينَ هذا التَّدريجَ لغرضين:

أحَدُهُمَا: أَن نُبيِّنَ قدرتَنا.

والثاني: أَن نُقِرَّ في الأرحام مَن نُقِرُّ حتى يُولَدُوا ويُنشَؤوا ويَبْلغُوا حَدَّ التكليف فأُكلِّفَهم.

ويَعضُد هذه القراءةَ قولُه: ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ﴾ وَحَّدهُ لأنَّ الغرضَ الدلالةُ على الجِنسِ.

ويَحتمِل: نُخرِجُ كُلَّ واحِدٍ مِنكم طِفْلًا.

"الأشُدُّ": كمَالُ القُوَّةِ والعقلِ والتَّمييز، وهو من ألفاظِ الجُموعِ التي لم يُستَعمل لها واحِدٌ ....

قوله: (مَجَّتْه) وهي نطفة. وقوله: (أو أسقطَتْه) وهي مُضغة.

قوله: (**ويَعضد هذه القراءة**) يعني: يؤيد القراءة بنصب "وَنُقِرَّ" و"نُخرِجَكُم" قولُه: ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ﴾ بلام التعليل، فإنّ ذلك يدلّ على أنّ المراد بالأوّل: التعليل أيضًا، قال رحمه الله:[1] فإن قلت: كيف صحّ عطف ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ﴾ على ﴿لِّنُبَيِّنَ﴾ ولا طباق؟ قلت: بل الطباق حاصل؛ لأنّ قوله: "وَنُقِرَّ" قرين للتعليل، ومقارنتُه والتباسه به ينزلانه منزلة نفسه، فهو راجع مِن هذه الجهة إلى مثابة القراءة بالنصب، فكأنّه[2] هو التعليل نفسه. اعلم أن هذه الحاشية ليست منقّحة، ووجه السؤال أن يقال: كيف صحّ عطف ﴿لِتَبْلُغُوٓاْ﴾ على ﴿لِّنُبَيِّنَ﴾ في القراءة برفع[3] "نقرُّ" و"نخرجُ"، فإنّهما مستأنفان متخللان بينهما؟ والجواب: أنّهما وإن قرئا بالرفع فهو في المعنى تعليل.

قوله: (وحَّده) أي: وحَّد ﴿طِفْلًا﴾.

---

[1] ف ن: رضي الله عنه.
[2] ن: وكأنه.
[3] ن: يرفع.

كالأَسِدَّةِ والقُتُود وغيْرِ ذلك، وكأنَّها شِدَّةٌ في غيْرِ شيءٍ واحدٍ فبُنِيَتْ لذلك على لَفظ الجَمع.

قوله: **(كالأسِدّة)** وهي عيب[1] مثل: الصمَم والبكَم،[2] قال الكُمَيت:

ومـا بـجنـبَـيَّ مِـن صفـحٍ وعـائـدةٍ[3] عند الأسِـدّة إنّ الـعِـيَّ[4] كالعَضْبِ[5]

يقول: ليس بي عِيّ[6] ولا بَكَم عن جواب الكاشِح؛[7] ولكنّي أصفَح عنه؛ لأنّ العِيَّ عن الجواب كالعَضْب؛ وهو قطع يد أو ذهاب عضو. والعائدة: العطف والمنفعة.[8] قال في **الصِّحاح**: «السَّدُّ -بالفتح-: واحدة الأسِدَّة؛ وهي العيوب مثل: العمَى والصمَم والبكَم،[9] جمع على غير قياس، وكان قياسه: سدود، ومنه قولهم: "لا تجعَلَنَّ بجَنبك الأسِدَّة"،[10] أي: لا يَضيقَنَّ صدرُك فتسكت عن الجواب كمَن به صَمَمٌ وبكَمٌ».[11] أظنّ أنّ معنى البيت أن يقال: ليس لي صَفحٌ ومنفعة بالنسبة إلى الكاشح ليكون الأسِدّة[12] -أي: السكوت عن الجواب- لأجله؛ بل سكوتي عن جوابه؛ لأنّ العِيَّ كالعَضْبِ أي: كقطع العضو مِن الكاشح.

قوله: **(والقُتود)** قال الجوهري: «القَتَد: خشب الرَّحْل، وجمعه:[13] أقتاد وقتود».[14] وفي بعض النسخ: "والعَتود"، / العَتود: مِن أولاد المَعز كالبَذَج مِن أولاد الضأن؛ وهو ما قوي ورعى وأتى عليه حولٌ. و"العَتود" قيل: يطلق على الجمع والواحد، كالهِجان. أي: لفظ "الأشدّ" جاء على صيغة الجمع وليس له واحد، كما جاء "الأسِدَّة"[15] جمعًا وليس لها واحد قياسيّ. [١٥٢ظ]

---

١ ن: غيب.
٢ ن: الكم.
٣ ن: وعائد.
٤ ن: الغي.
٥ انظر: **الصحاح** للجوهري، «سدد».
٦ ن: عميّ.
٧ الكاشح: العدوّ الذي يضمر عداوته ويطوي عليها كشحه، أي: باطنه. **لسان العرب** لابن منظور، «كشح».
٨ ن: والمنقعة.
٩ ن: والكم.
١٠ انظر: **مجمع الأمثال** للميداني، ٢/٢٣٣.
١١ **الصحاح** للجوهري، «سدد».
١٢ ن: الأشدة.
١٣ ن: وجهعه.
١٤ **الصحاح** للجوهري، «قتد».
١٥ ن: الأشدة.

وقُرئ: "ومنكم مَن يَتَوَفَّى"؛ أي: يَتَوَفَّاهُ اللهُ.

"أرذلُ العمر": الهَرَمُ والخَرَفُ حَتَّى يعُود كهَيْئَتِه الأُولى في أوان طُفُولَتِه: ضعيفَ البِنْيَة، سخِيفَ العَقل، قليلَ الفَهم، بَيَّنَ أنه كما قَدرَ على أن يُرقِّيَهُ في درجات الزِّيادة حَتَّى يُبَلِّغَه حدَّ التَّمَام فهو قادرٌ على أن يَحُطَّهُ حتى يَنتهيَ به إلى الحالة السُّفلَى.

﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾؛ أي: ليصيرَ نَسَّاءً بحيثُ إذا كَسَب عِلمًا في شيءٍ لم يَنشَبْ أَن يَنسَاه ويَزِلَّ عنه عِلمُه، حتى يَسأَلُ عنه من سَاعتِهِ يَقولُ لك: مَن هذا؟ فتقول: فلانٌ، فما يَلبَثُ لحظةً إلَّا سَألكَ عَنه.

وقرأ أبو عمرو: "العُمْرِ" بسُكون الميم.

﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ "الهَامِدةُ": المَيِّتةُ اليَابسةُ. وهذه دلالةٌ ثانيةٌ على البَعث، ولِظُهُورها وكونِها مُشَاهَدةً معَايَنةً كرَّرهَا الله تعالى في كتَابه.

﴿ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾: تحرَّكَتْ بالنَّبات وانتفخَتْ. وقرئ: ﴿ورَبَأَتْ﴾؛ أي: ارتَفَعتْ.

و"البَهيجُ": الحَسنُ السَّارُّ للنَّاظِر إليه.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ۝٧﴾

قوله:[١] (لم يَنشَب) قولهم: ما نَشِب أن[٢] فعل كذا، ولم يَنشَب أن قال ذاك،[٣] أي: لم يلبَث، وهو مِثل قولهم: ما لَبث أن فعل كذا، ومثله قوله تعالى: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود ٦٩/١١]، وأصله مِن: نَشِب العظم في الحلْق،[٤] والصيد في الحِبالة،[٥] أي: علِق.

قوله: (السارُّ) اسم فاعل، مِن سَرَّه يَسرّه سَرًّا، أي: أفرحَه.

---

١ ن: قول.
٢ ن: أي.
٣ ن: ذلك.
٤ ن: الخلق.
٥ ن: الحبالة.

أي: ذلك الذي ذكَرْنا مِن خَلْق بني آدمَ وإحياءِ الأرض -مع ما في تَضاعِيفِ ذلك من أصنافِ الحِكَم واللَّطائف- حاصلٌ بهذا، وهو السَّببُ في حُصوله ولولاه لم يُتصَوَّرْ كونُه، وهو أنَّ اللهَ هو الحقُّ -أي: الثابتُ الموجُود- وأنَّه قادرٌ على إحياء المَوتى وعلى كلِّ مقدُور.

وأنَّه حكيمٌ لا يُخْلِفُ ميعَادَه، وقد وعَد البَعثَ والسَّاعة فلا بدَّ أَنْ يَفِيَ بما وعَد.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٨ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٩﴾

عن ابن عباس: أنه أبو جهل بن هشام.

وقيلَ: كُرِّرَ كما كُرِّرتْ سائرُ الأَقاصيص.

وقيل: الأولُ في المقلِّدين وهذا في المُقَلَّدين.

والمراد بالعِلم: العِلمُ الضَّروريُّ، وبالهُدَى: الاستدلالُ والنظرُ؛ لأنَّه يَهْدِي إلى المَعرفة، وبالكتاب المنيرِ: الوَحيُ؛ أي: يُجَادلُ بظَنٍّ وتخمينٍ لا بأحدِ هذه الثَّلاثة.

و"ثَنْيُ العِطْفِ": عبَارةٌ عن الكِبْر والخُيَلاء؛ كتَصْعير الخَدِّ وَلَيِّ الجِيدِ.

وقيل: عن الإعراض عن الذكر.

قوله: **(عن ابن عبّاس: أنّه[1] أبو جَهل)**[2] والأوّل كان[3] النَّضْرَ بن الحارث.[4]

قوله: **(وقيل: كُرِّر)** فيكون في[5] النَّضْر أيضًا.

قوله: **(كتصعير[6] الخدِّ)** الصَعَر: المَيل في الخدّ[7] خاصّة، وقد صعَّرَ خَدَّه وصاعر، أي: أمالَه مِن الكِبْر، ومِنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان ١٨/٣١]، قال الشاعر:[8]

١ ف + ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ﴾.
٢ ن + به.
٣ ف ن + في.
٤ انظر: **جامع البيان** للطبري، ٤٥٩/١٦ (الحج، ٣/٢٢).
٥ ف: من.
٦ د: كتصغير؛ ن: كتصقير.
٧ ن - الخدّ.
٨ ن - الشاعر.

وعن الحسَن: "ثَانيَ عَطْفِه" بفتح العين؛ أي: مانِعَ تَعطُّفِه.

﴿لِيُضِلَّ﴾ تعليلٌ للمُجادلة، قرئ بضم الياء وفَتحِها.

فإن قلتَ: ما كان غَرضُه في جِدَالهِ الضَّلالَ عن سبيل الله فكيف عُلِّل به؟ وما كانَ أيضًا مُهتَدِيًا حتى إذا جَادَل خرجَ بالجِدال من الهدى إلى الضَّلال.

قلتُ: لمَّا أدَّى جِدالُه إلى الضَّلال جُعِل كأنَّه غَرضُه، ولمَّا كان الهُدَى مُعَرَّضًا له فترَكَهُ وأَعرَضَ عنه وأقبل على الجدال بالباطِل، جُعِل كالخارج من الهُدَى إلى الضَّلال.

و"خِزيُهُ": ما أصَابَه يومَ بدْرٍ من الصَّغَار والقَتل.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ١٠﴾

والسَّببُ فيما مُنِيَ به من خِزيِ الدُّنيا وعذابِ الآخرة هو ما قَدَّمَتْ يداه، وعَدلُ الله في مُعَاقَبَتِه الفجَّارَ وإثابَتِه الصَّالحين.

وكـنّـا إذا الـجـبّـار صـعَّـر خـدَّه   أقـمْـنـا لـه مِـن دَرْئِـــه فـتَـقـوَّمـا[1]

قوله: (وعن الحسَن) أي: الحسَن[2] البصريّ رضي الله عنه.[3]

قوله: (فإن قلت: ما كان[4] غرضه؟) معنى السؤال: أنّ اللام ليس للتعليل، كما في: جئتك[5] لتكرمَني،[6] ولا للعاقبة، كما في: ﴿فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًا﴾ [القصص ٨/٢٨]، فما معناه ههنا؟ فأجاب: بجواز كلٍّ واحد من المَعنَيين.

قوله: (مُعرَّضًا) أي: ميسَّرًا، يعني: مقابلًا له متمكّنًا مِن العُرْض؛ وهو الجانب، التعريض للشيء: النصب له.

---

١ للمتلمّس. انظر: **لسان العرب** لابن منظور، «درء».

٢ ن - الحسن. | انظر: **إتحاف فضلاء البشر** للدمياطي، ص ٣٩٧.

٣ د - رضي الله عنه؛ ف: رحمة الله عليه.

٤ ن - كان.

٥ ن: جتك.

٦ ن: لتكرمتي.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١١ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٢ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ١٣﴾

﴿عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾: على طَرَفٍ من الدِّين لا في وَسَطِهِ وقَلبِهِ، وهذا مَثَلٌ لكونهم على قَلَقٍ واضطرابٍ في دِينهم لا على سُكُونٍ وطُمأنينةٍ؛ كالذي يكونُ على طَرَفٍ من العَسْكر فإن أحسَّ بظَفرٍ وغَنيمةٍ قَرَّ واطمأنَّ وإلَّا فَرَّ وطار على وجهِهِ.

قالُوا: نزلَتْ في أعَاريبَ قَدِمُوا المَدينة، وكان أحدُهم إذا صحَّ بَدنُه ونُتِجَتْ فَرسُه مُهْرًا سَرِيًّا وولدتْ امرأتُه غلامًا سَوِيًّا وكثُر مالُه ومَاشِيَتُه قال: "ما أَصَبْتُ منذُ دَخلتُ في دِيني هذا إلَّا خيْرًا" واطمَأنَّ، وإن كان الأَمْرُ بخلافه قَال: "ما أَصَبْتُ إلَّا شَرًّا" وانقَلَبَ.

قوله: (ونُتِجَت[1] فرسُه) نَتَجَ[2] الناقةَ يَنتِجها نَتْجًا إذا وَلِيَ نِتاجها حتى وضعت، فهو ناتج، وهو للبهائم كالقابلة للنساء، والأصل: نتَجَها ولدًا؛ مُعدًّى[3] إلى مفعولين، وعليه بيت **الحماسة**:

هُمُ نَتَجوكَ تحتَ الليلِ سَقْبا[4]

فإذا بني للمفعول الأوّل قيل: نُتِجَت ولدًا إذا وضعَته؛ وعليه حديث الحارث: كنا إذا نُتِجتْ فرسُ أحدنا فَلوًّا -أي: مُهْرًا- ذبحناه، وقلنا: الأمر قريب، فبلغ ذلك عمر فقال: «لا تفعلوا فإنّ في الأمر تراخيًا»،[5] يعني: أمر الساعة، والتراخي: البعد، ثم إذا بُني للمفعول الثاني قيل: نُتِج الولدُ، وعليه قول أبي الطيّب:

فكأنّها نُتِجَتْ قيامًا تحتَهم وكأنّهم وُلِدوا على صَهَواتها[6]

---

١ ن: ونتجب.
٢ ن: تنح.
٣ د: معدًا.
٤ ن: سقيا. | لأبي صعترة البولاني، وتمامه:
خبيثَ الريحِ من خمرٍ وماءِ
انظر: **شرح ديوان الحماسة** للتبريزي، ٢/٢٠٩.
٥ ن: تواخيا.
٦ **ديوان المتنبّي**، ص ١٧٢.

وعن أبي سعيدٍ الخُدريّ رضي الله عنه: أنَّ رَجُلًا من اليهود أَسْلَم فأصَابته مصَائبُ فتَشاءمَ بالإسلام، فأتى النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال: أَقِلْني، فقال: «إنَّ الإسلامَ لا يُقَالُ»، فنَزلت.

المصَابُ بالمحنةِ بتَرك التَّسليم لِقضَاء الله والخرُوجِ إلى ما يُسخِطُ الله جَامعٌ على نفْسهِ مِحْنَتَيْنِ:

إحداهما: ذهابُ ما أُصيبَ به.

والثانيةُ: ذهَابُ ثواب الصَّابرين، فهو خُسْرانُ الدَّارَيْنِ.

وقرئ: "خاسر الدنيا والآخرةِ" بالنَّصب والرفع، فالنصبُ على الحَال، والرَّفعُ على الفاعليَّة ووَضْعِ الظاهِر مَوضعَ الضمير وهو وَجهٌ حسَنٌ، أو عَلى أنَّه خَبَرُ مُبتدأ مَحذوف.

استُعير ﴿ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ﴾ مِن ضَلالِ مَن أَبعَد في التِّيهِ ضَالًّا، فطَالَتْ وبَعُدَتْ مسَافةُ ضَلالِه.

فإن قلتَ: الضَّررُ والنفعُ مَنفيَّان عن الأَصنام مُثبَتَان لها في الآيتَيْن وهذا تناقضٌ!

والسَّقْبُ: ولد الناقة. والمُهر: ولد الفرس. والصَّهْوة: موضع اللَّبِدِ مِن ظهر الفرَس.

قوله: (**ووضعِ الظاهر**) في ﴿ٱنقَلَبَ﴾ ضمير، فإذا قرئ: "خاسِرُ" بالرفع[1] وُضع هذا الظاهر موضع الضمير في ﴿ٱنقَلَبَ﴾.[2]

قوله: (**استُعير**)...[3] إلخ، لا بدّ مع اعتبار هذه الاستعارة تقدير مضاف في[4] ﴿ٱلۡبَعِيدُ﴾، أي: البعيد مسافته. ثمّ إنّ إضافة المسافة إلى الضلالة لأدنى الملابسة، فإنّ الضلالة تعلّقت بتلك المسافة، إذ الضلالة وقعت في تلك المسافة.

---

[1] لم أجده بالرفع فيما اطلعت عليه مِن كتب القراءات، وإنّما ذكروه بالنصب عن مجاهد وحميد بن قيس. انظر: **المحتسب** لابن جنّي، ٢/٧٥.

[2] ن - ﴿ٱنقَلَبَ﴾.

[3] ف: استعر.

[4] ن - في.

قلتُ: إذا حُصِّل المعنى ذهبَ هذا الوهمُ، وذلك أنَّ الله تعالى سَفَّه الكافرَ بأنَّه يَعبُد جَمادًا لا يَملك ضَرًّا ولا نفعًا، وهو يَعتقِدُ فيه بجَهْلِهِ وضلاله أنه يَستنفِعُ به حينَ يَستَشْفِعُ به، ثُمَّ قال: يومَ القيامةِ يقُول هذا الكافرُ بدُعَاءٍ وصُرَاخٍ حين يَرى استضرَارَهُ بالأصنام ودخولَه النارَ بعبَادتها ولا يرَى أثَر الشفاعة التي ادَّعاهَا لها: ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ﴾.

أو كرَّر ﴿يَدۡعُواْ﴾ كأنَّه قال: يَدْعُو يدعو من دون الله ما لا يَضُرُّه وما لا يَنفعُه، ثمَّ قال: ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ﴾ بكونه مَعْبُودًا ﴿أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦ﴾ بكونه شفِيعًا ﴿لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ﴾.

قوله: (**قلت**:[١] **إذا حُصِّل**)... إلخ، واعلم أنّ حاصل الجواب **الأوّل**: أنّ نفي الضرّ والنفع عن الأصنام حكم مِن الله تعالى في قوله تعالى: ﴿مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ﴾، وأنّ الحكم بأنّ ﴿ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦ﴾ كلام الكافر[٢] حكاه الله تعالى، / فاندفاع التناقض عن كلام الله تعالى على هذا ظاهر. وأمّا على الوجه **الثاني**: [١٥٣و] فكلاهما مِن كلام الله تعالى؛ لكن نفى في الأوّل كونَها ضارًّا ونافعًا، وأثبت ثانيًا أنّ الضرّ أقرب مِن النفع، ولا يلزم مِن قرب الشيء حصوله، فإنّ الأصنام لا تَضرُّ ولا تنفع أصلًا، إذ لا قدرة لها ولا حياة؛ لكن لما حصل الضرر بسبب عبادتها ولا يحصل بسببها[٣] نفع أصلًا قيل: ﴿ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦ﴾، فاندفع التناقض أيضًا.

وقوله: (**وذلك**) أي: المعنى. وقوله: (**سَفَّه**) أي: نسب إلى السفاهة. وقوله: (**يقول هذا الكافر**) قال رحمه الله:[٤] وُضع ﴿يَدۡعُواْ﴾ موضع "يقول"؛ ليدلّ على قول فيه صُراخ.[٥] وقوله: ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ﴾ ﴿لَمَن﴾ مبتدأ، ﴿لَبِئۡسَ﴾ خبره، والجملة مَقول القول. وقوله: (**أو كرَّر**)[٦] أي: الله تعالى. وقوله: (**كأنّه**) أي: الله تعالى. وقوله: (**ثمّ قال**) أي: الله تعالى. وقوله: ﴿لَبِئۡسَ﴾ اللام جواب القسم، والجملة القسميّة خبر ﴿لَمَن﴾.

---

١ ن – قلت.
٢ ن – الكافر.
٣ ن: بسببه.
٤ ف ن: رضي الله عنه.
٥ ن: صزاح.
٦ ن: أو لرر.

وفي حرف عبد الله: "مَن ضَرُّه" بغَيْر لامٍ.

"المولى": الناصرُ، و"العَشِيرُ": الصَّاحبُ؛ كقوله: ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾ [الزخرف ٣٨/٤٣].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾

هذا كلامٌ قد دَخله اختصارٌ، والمعنى: أَنَّ اللهَ ناصرُ رَسُولِه في الدُّنيا والآخرة، فمَن كان يَظُنُّ مِن حاسديه وأعَاديه أَنَّ الله يفعلُ خلافَ ذلك ويَطمعُ فيه، ويَغيظُه أنه لا يَظفر بمَطلُوبه، فلْيَستَقْصِ وُسعَهُ ولْيَستَفْرِغ مجهُودَهُ في إزالةِ ما يَغيظُه، بأَنْ يفعَل ما يفعَلُ مَن بَلغَ منهُ الغيظُ كلَّ مَبْلغٍ حتَّى مدَّ حَبْلًا إلى سَماء بَيْتِه فاختَنَق، فلْينظُرْ ولْيُصوِّر في نفسِه أنَّه إن فَعل ذلك هل يُذهِبُ نصرَ الله الذي يَغيظُه، وسُمِّي الاختِنَاقُ قَطعًا؛ لأن المُختنِقَ يَقطعُ نَفَسَهُ بحَبْسِ مجَاريه، ومنه قيل للبُهْرِ: القُطْعُ.

وسُمِّيَ فعْلُه كيْدًا؛ لأنه وَضَعَه موضعَ الكيْد حيث لم يَقْدِر على غيره، أو على سَبيلِ الاستهزاء؛ لأنه لَمْ يَكِدْ به محسُودَهُ إنَّما كاد به نفسَهُ.

والمرادُ: ليس في يده إلَّا ما ليس بمُذهِبٍ لِمَا يَغيظُ.

وقيل: فَلْيَمْدُدْ بحبْلٍ إلى السماء المُظِلَّةِ وليَصْعَد عليه فلْيَقْطعِ الوحْيَ أَنْ يُنزَل عليه.

وقيل: كان قومٌ من المُسلمين لشدَّة غيْظِهم ....

قوله: (مِن حاسديه) بيان "مَن".

قوله: (للبُهْر: القُطْعُ) البُهْر: التنفّس، يقال: أصابه قُطْعٌ، أي: بُهْرٌ، وهو النفس العالي مِن السِّمَن وغيره.

قوله: (إنّما كاد به) مِن كاد يكيدُ.[١]

---

١ ن: يليد.

وحَنَقِهم على المشركين يَسْتَبطِئون ما وعَد اللهُ رسُولَه من النَّصر، وآخرُون من المشركين يُرِيدُون اتِّبَاعَه ويَخْشَون أن لا يَثْبُت أمرُه، فنزلت.

وقَد فُسِّر النَّصرُ: بالرِّزق، وقيل: مَعناه: أنَّ الأرزاق بيَدِ الله لا تُنَال إلَّا بمشيئَتِه، ولا بُدَّ للعَبْد من الرِّضا بقسمتِه، فمَن ظنَّ أنَّ الله غيرُ رازقِهِ وليس به صَبْرٌ واستسْلامٌ فليَبْلُغ غايةَ الجَزَع وهو الاختناقُ، فإنَّ ذلك لا يَقلبُ القسمةَ ولا يَرُدُّهُ مَرزوقًا.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾

أي: ومثلَ ذلك الإنزالِ أنزلنا القرآنَ كُلَّهُ ﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾؛ ولأنَّ الله يَهدي به الذين يَعْلم أَنَّهم يُؤمنون، أَو يُثبِّتُ الَّذينَ آمنُوا ويَزيدُهُم هُدًى، أنزله كذلك مُبيَّنًا.

الفصلُ مُطلَقٌ يَحتمِلُ الفصْلَ بينهم في الأحوال والأماكِن جَميعًا، ....

قوله: (وحَنقَهم) الحَنَق:[١] لصوق الحِقد بالقلب، مِن قولهم: أحنَق البعير إذا ضمَر،[٢] فالتصق جنْبه بصُلبه.

قوله: (وقد فُسّر النَّصر بالرزق) يقال: أرض منصورة، أي: مَسقيَّةٌ.

قوله: (ولأنّ الله تعالى[٣] يهدي)... إلخ، لمّا لم يجُز إجراء[٤] قوله: ﴿يَهْدِى مَن يُرِيدُ﴾ على إطلاقه عند المعتزلة فسَّر تارة قوله:[٥] ﴿مَن يُرِيدُ﴾ بقوله: (الذين يعلم أنّهم[٦] يؤمنون)، وفسّر أخرى قوله: ﴿يَهْدِى﴾ بقوله: (يُثبّتُ) و(يزيد)، والحاصل: أنّه يجوز أن يراد بـ﴿يَهْدِى مَن يُرِيدُ﴾: إدخال بعض الكافرين في الإيمان، وتثبيت[٧] المؤمنين، وزيادة هداهم.

---

١ ف ن: الخنق.
٢ ن: ضمن.
٣ ف ن – تعالى.
٤ ن: إجزاء.
٥ ن – قوله.
٦ ن – أنّهم.
٧ ن: وتثبت.

فلا يُجازيهِم جَزاءً واحِدًا بغير تفَاوُتٍ ولا يَجمَعُهم في مَوطنٍ واحِدٍ.

وقيل: الأديان خمسةٌ: أَربعةٌ للشَّيطانِ وواحدٌ للرَّحمن، جُعِلَ الصَّابِئُونَ مع النَّصارى؛ لأنَّهم نوعٌ مِنهم.

وقيل: ﴿يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ﴾: يَقضي بينهُم؛ أي: بين المؤمنينَ والكافرينَ.

وأُدخِلَتْ ﴿إِنَّ﴾ على كُلِّ واحِدٍ مِن جُزأي الجُملة لزيادة التَّأكيد، ونحوُه قولُ جَريرٍ:

إنَّ الخَليفَـــــة إنَّ اللهَ سَـــــرْبَلَهُ   سِربَـالَ مُـلكٍ بـه تُـزْجَـى الـخَـواتيـمُ

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ١٨﴾

قوله: **(فلا يجازيهم)** كقوله تعالى: ﴿هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾، أي: متفاوتون في جزاء الأعمال، أي: ذَوو درجات.

قوله: **(جُعل الصابئون)**... إلخ كالبيان لقوله: **(قيل)**... إلخ، يعني: إنّما جعل الأديان خمسة؛ لجعل "الصابئين" مع "النصارى" كشيء واحد، أي: دينهم دين واحد. ولولا ذلك لكان الأديان ستة: خمسة للشيطان، وواحد[١] للرحمن.[٢]

قوله: **(إنّ الخليفةَ)**... البيتَ.[٣] تُزْجى: تُساق خواتيم[٤] الإمارة، وهو عبارة عن المُلك، قال في **الصّحاح**: «الخاتِم والخاتَم -بكسر التاء وفتحها- والخيتام والخاتام كلّه بمعنًى، والجمع: الخواتيم».[٥] يقال: أزجيتُ الإبل، أي: سُقتُها، قال ابن الرّقاع:

تُـزْجـي أغَـنَّ كـأنَّ إبـرة رَوقِـهِ   قلمٌ أصاب مِن الـدواة[٦] مـدادَهـا[٧]

---

١ ن: واحد.

٢ كما قال قتادة: «الأديان ستة، خمسة للشيطان، وواحد للرحمن». انظر: **تفسير عبد الرزاق**، ٣٩/٢ (الحج، ١٧/٢٢).

٣ **ديوان جرير**، ٦٧٢/٢، لكن بلفظ:

يكفي الخليفةَ أنّ الله سربله

٤ ف + خاتمة الشيء: عاقبته.

٥ **الصحاح** للجوهري، «ختم».

٦ ن: الذوات.

٧ **الصحاح** للجوهري، «زجا».

سُمّيت مُطاوَعتُها له فيما يُحْدِثُ فيها مِن أفعاله ويُجريها عليه من تدبيرِه وتسخِيرِه لها سجُودًا له؛ تشبيهًا لمُطاوَعتها بإدخَالِ أفعال المكلَّف في باب الطَّاعة والانقيَاد، وهو السُّجُودُ الذي كلُّ خضُوعٍ دُونه.

فإن قلتَ: فما تَصنعُ بقوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ وبما فيه من الاعتراضَيْن:

أَحدُهُما: أَنَّ السُّجود على المَعنى الذي فَسَّرتَهُ به لا يَسجُدُه بَعضُ النَّاس دون بَعْضٍ.

والثاني: أن السُّجود قد أُسْنِد على سبيل العُموم إلى مَن في الأَرض من الإنس والجنِّ أوَّلًا فإِسْناده إلى كثيرٍ منْهُم آخِرًا مُناقَضةٌ؟

قلتُ: لا أَنظِمُ "كثيرًا" في المُفرَدات المتناسقة الدَّاخلة تحت حُكم الفعلِ،

قوله: (**مطاوعتُها**) الضمير في قوله: "مطاوعتُها" يرجع إلى المذكورِين في قوله تعالى: ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَثِيرٌ﴾. والضمير مِن (**له**) و(**يُحدِثُ**) و(**أفعاله**) و(**تدبيره**) و(**تسخيره**) و(له) يعود إلى الله تعالى. وقوله: (**تشبيهًا**) شُبِّهت مطاوعتها بالسجود، فيكون ﴿يَسْجُدُ﴾ استعارة / تبعيّة. [١٥٣ظ]

قوله: (**وبما فيه**) عطف على قوله: (**بقوله تعالى**) وذلك بطريق البيان، كما يقال: أعجبني زيدٌ وكرمه، والمراد: أعجبني كرمه، فكذا ههنا المعنى: فما تصنع بما فيه مِن الاعتراضين؟

قوله: (**بعض الناس**) فإنّ قوله تعالى: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ بعض الناس، فإنّ الكثير مِن الشيء بعضُه.

قوله: (**مناقضةٌ**)؛ لأنّه يدلّ على أنّه لا يسجد جميعهم؛ بل بعضهم.

قوله: (**المتناسقة**) أي: المتعاطفة، ويسمّي[١] بعضهم حروفَ العطف: حروف النَّسَق.[٢]

---

[١] ن: وتسمى.

[٢] وهي عبارة الكوفيين. انظر: **شرح المفصّل** لابن يعيش، ٨/٨٨.

وإنَّما أَرْفعُه بفعلٍ مُضمَرٍ يَدُلُّ عليه قولُه: ﴿يَسْجُدُ﴾؛ أي: ويسجدُ له كثيرٌ من الناس سجودَ طاعةٍ وعبَادة، ولم أَقُلْ: أُفَسِّرُ ﴿يَسْجُدُ﴾ الذي هو ظاهرٌ بمعنى الطَّاعة والعبادة في حَقِّ هؤلاء؛ لأنَّ اللَّفْظَ الواحدَ لا يَصِحُّ استِعمالُه في حالةٍ واحدةٍ على مَعْنيين مُختلفين.

أو أرفَعُه على الابتداء والخبرُ محذوفٌ وهو: "مُثابٌ"؛ لأنَّ خبرَ مُقابِلِه يَدُلُّ عليه وهو قوله: ﴿حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾.

ويجوز أن يجعل ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ خَبرًا له؛ أي: من النَّاس الذين هم الناسُ على الحقيقة وهم الصَّالِحُونَ والمتَّقُونَ.

ويجوز أن يُبالَغَ في تكثير المَحقُوقِين بالعذاب فيُعطَفَ "كثيرٌ" على "كثيرٌ" ثم يُخبَرَ عنهم بـ﴿حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾؛ كأنَّه قيل: وكثيرٌ وكثيرٌ من النَّاسِ حَقَّ عليهم العذابُ.

وقرئ: "حُقَّ" بالضم.

وقرئ: "حقًّا"؛ أي: حَقَّ عليه العذابُ حَقًّا.

قوله: (**أو أرفَعه على الابتداء**) صفته: ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾.

قوله: (**خبرًا له**) أي: لـ﴿كَثِيرٌ﴾، وهذا مشكِلٌ؛ لأنّه يكون المبتدأ نكرة غير مَخصوصة، إلّا أن يقال: ﴿كَثِيرٌ﴾ صفة موصوف محذوف،[١] أي: جمع كثير. وقوله: (**أي: مِن الناس الذين**)...[٢] إلخ "الذين" صفة "الناس"، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة ١٣/٢]، أي: المتبالغون في وصف الإنسانية على أحد القولين.

قوله: (**وقرئ: ﴿حُقَّ﴾ بالضمّ**)[٣] فيكون ﴿حُقَّ﴾ بالضمّ مِن قولهم: حققْتُ الشيء أحُقّه،[٤] أي: أُثْبِتُه. وأمّا على الفتح فمِن: حَقَّ الشيءُ يَحِقُّ، أي: ثَبَت.

---

١ ن ÷ محذوف.

٢ ن – الذين.

٣ قراءة شاذّة. ولم أجدها في مصادر القراءات التي رجعت إليها.

٤ ن: أحقوه.

ومَن أهَانه اللهُ -بأَن كتَب عليه الشَّقاوة لِمَا سَبقَ في عِلمه من كُفْرِه أو فِسْقِه- فقد بقي مُهَانًا لن تجِدَ له مُكرِمًا، وقرئ: "مُكْرَمٍ" بفتح الرَّاء بمعنى الإكرام.

إنَّه ﴿يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ من الإِكرام والإهَانةِ، ولا يشَاءُ من ذلك إلَّا ما يَقتَضيه عملُ العاملِين واعتقادُ المُعتَقِدِين.

﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩﴾

"الخَصْمُ": صفةٌ وُصف بها الفَوجُ أو الفريقُ، فكأنَّه قيلَ: هٰذَانِ فوجَان -أو: فريقان- مُختَصِمَان، وقوله: ﴿هَٰذَانِ﴾ للَّفظ و﴿ٱخۡتَصَمُواْ﴾ للمعنى؛ كقوله: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ﴾ [محمد ١٦/٤٧] ولو قيل: "هؤلاء خَصْمَان" أو: "اخْتَصَما" جَازَ، يُراد المؤمنُونَ والكافرون.

قوله: (**ولا يشاء مِن ذلك**) أي: مِن الإكرام والإهانة. وقوله: (**عمل العاملين**) أي: مِن الطاعة والمعصية. وقوله: (**واعتقاد المعتقدين**) مِن الإيمان والكفر.

قوله: (**الخصم: صفة**) الخصم: اسم جمع، كالرَكْب، قال تعالى: ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ﴾ [ص ٢١/٣٨]، فثنّاه ههنا على تأويل الجماعتين أو الفرقتين،[١] كقوله:[٢] لنا إبلان، قال في **الصِّحاح**: «الخصم: معروف يستوي فيه الجمع والمؤنّث؛ لأنّه في الأصل مصدر، ومِن العرب مَن يُثنّيه ويجمعه، فيقول: خصمان، وخصوم».[٣] وقال في **المُغرب**: «يقال: خاصَمتُه فخصَمتُه أخصُمه -بالضمّ-: غلبته في الخصومة، ومنه: 'مَن كنتُ خَصمَه خصَمْتُه'».[٤]

قوله: (**ولو قيل: هؤلاء**)... إلخ يعني: نظر في قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ﴾ إلى اللفظ تارة وإلى المعنى أخرى، كما[٥] في الآية المُستشهَد بها،

---

١ ن: الفريقين.

٢ ف: لقولنا.

٣ **الصحاح** للجوهري، «خصم».

٤ **المُغرب** للمطرّزي، «خصم»، والحديث القدسيّ في **مسند الإمام أحمد**، ٣١٨/١٤ (٨٦٩٢).

٥ ن: لما.

قال ابن عباس رضي الله عنه: رجَع إلى أهل الأَدْيان الستَّةِ.

﴿فِي رَبِّهِمْ﴾؛ أي: في دِينه وصِفاته.

ورُوي: أنَّ أهلَ الكتاب قالوا للمُؤمنين: نحنُ أحَقُّ بالله وأَقدمُ منكم كتابًا ونبيًّا قَبْل نبيّكم. وقال المؤمنون: نحنُ أَحقُّ بالله: آمَنَّا بمحمَّدٍ وآمَنَّا بنَبيِّكُم وبما أنزَل اللهُ من كتابٍ، وأنتُم تَعْرِفُون كتابَنا ونبيَّنا ثم تَركتُمُوه وكفَرتم به حَسْدًا. فهذه خصُومتُهم في ربِّهم.

﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هو فصْلُ الخصومة المَعنيُّ بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

فلو نظر إلى المعنى فقط لقيل: هؤلاء خصمان اختصموا،[١] ولو نظر إلى اللفظ فقط لقيل: هذان خصمان اختصما.

قوله: (**إلى أهل الأديان الستة**) أي: المذكورين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾، وقول ابن عبّاس رضي الله عنه[٢] يشير إلى أنّه تعالى ذكَر[٣] أهل الأديان الستّة، ثم أشار تعالى بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾... إلخ إلى أنّه كان ينبغي أن يكون الجميع متّفقين على الإيمان، كما أنّهم مطاوِعون فيما يُحدث فيهم؛ لكنّهم ما فعلوا كذلك، ثم رجع تعالى إلى ذكرهم وإلى أنّهم مختصمون، فلا جرم أنّ الله تعالى يَفصِل بينهم في الأحوال[٤] وبيّن ههنا بقوله: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾. وقوله: (**الستّة**) بخلاف قول مَن جعل الأديان خمسةً كما عرفت، فعلى هذا لم يُجعل الصابئون والنصارى أهلَ ملّة واحدة.

قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الفاء للتفسير. وقوله: (**فصْل الخصومة**) وإذا كان قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ/ كَفَرُوا﴾[٥] فصل الخصومة يكون قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ﴾... إلخ مِن تمام فَصل الخصومة، ذكر بغير العاطف. [١٥٤و]

---

١ ن + ولو نظر إلى النفي فقط لقيل: هؤلاء خصمان اختصموا.

٢ انظر: **تفسير السمعاني**، ٤٢٩/٣ (الحج، ١٩/٢٢).

٣ ن + إلى.

٤ ن: الأصول.

٥ ن – الفاء للتفسير. وقوله: (فصْل الخصومة) وإذا كان قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

وفي روايةٍ عن الكسائيّ: "خِصْمان" بالكسر.

وقرئ: "قُطِعَتْ" بالتخفيف.

كأن اللهَ تعالى يُقَدِّرُ لهم نيرانًا على مقادير جُثَثِهم تَشتَمِل عليهم كما تُقَطَّعُ الثِّيابُ الملبُوسةُ.

ويجوز أَنْ تُظَاهَرَ على كلِّ واحدٍ منهم تلك النيرانُ كالثِّياب المُظَاهَرة على اللَّابِس بعضُها فوقَ بَعض، ونحوُه: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ [إبراهيم ١٤/٥٠].

﴿ٱلْحَمِيمُ﴾: الماءُ الحَارُّ، عن ابن عباس: «لو سقَطتْ منه نُقطةٌ على جبَال الدُّنيا لأَذابَتْهَا».

﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾﴾

﴿يُصْهَرُ﴾: يُذابُ، وعن الحسن: بتشديد الهاء للمبَالغة.

أي: إذا صُبَّ الحميمُ على رُؤوسِهمْ كان تأثيرُهُ في الباطن نحوَ تأثيرِه في الظَّاهِر، فيُذيبُ أمعَاءَهُم وأحشَاءَهُم كما يُذيبُ جُلودَهُم، وهو أبلغُ من قوله: ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد ٤٧/١٥].

و"المقَامعُ": السِّيَاطُ، في الحديث: «لو وُضِعَت مِقْمَعةٌ منها في الأَرض فاجتمع عليها الثَّقَلانِ ما أَقَلُّوهَا».

قوله: **(ويجوز أن تظاهَر)** في الحديث: «ظاهر النبيّ عليه الصلاة والسلام يوم حُنين بين الدرعين»،[1] أي: لبِس دِرعًا فوق دِرع.

قوله: **(ما أقلّوها)**[2] إنّما قال: "ما أقلُّوها"[3] ولم يقل: "ما رفعوها"؛ كأنّهم استقلّوا قُواهم لرَفعها، أو المعنى: ما عدُّوها قليلًا يمكن حملها؛ بل علموا أنّهم لم يقدروا على حملها؛ لثِقلها وكِبَرها وكثرة أجزائها.

---

[1] لم أقف على رواية فيها أنّ ذلك كان يومَ حُنين، والمعروف في كتب السنّة أنه كان يومَ أُحُد. انظر: سنن أبي داود، ٢٣٣/٤ (٢٥٩٠).

[2] ن: ما أقولها.

[3] ن: ما أقولها.

﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٢٢﴾

وقرأ الأعمشُ: "رُدُّوا فيها".

والإعادةُ والرَّدُّ لا يكونُ إلَّا بعْدَ الخرُوج، فالمعنى: كلما أرَادُوا أن يخرُجُوا منها من غَمٍّ فخَرجُوا أُعيدُوا فيها.

ومعنى الخرُوجِ: ما يُروَى عن الحسن: أَنَّ النار تضرِبُهم بِلَهيبِهَا فَترفعهُم حتى إذا كانوا في أَعْلاهَا ضُرِبُوا بالمقَامع فَهوَوْا فيها سبعينَ خَرِيفًا وقيل لهم: ﴿ذوقوا عذاب الحريق﴾.

والحريقُ: الغليظُ من النَّار، المنتشِرُ العظيمُ الإهلاكِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٢٣ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ٢٤﴾

"يَحْلَوْنَ" عن ابن عباس، من حَلِيَت المرأةُ فهي حَالٍ.

﴿وَلُؤۡلُؤٗا﴾ بالنَّصب على: ويُؤتَوْنَ لُؤلُؤًا؛ كقوله: "وحُورًا عينًا"، ....

قوله: ﴿مِنۡ غَمٍّ﴾ بدل اشتمال مِن ﴿مِنۡهَا﴾ بإعادة الجارّ، أو "مِن" الأولى ابتدائيّة، والثانية بمعنى "مِن أجل". يعني: كلَّما حاولوا الخروج مِن النار لِما يلحَقهم مِن الغمّ والكربِ الذي يأخذ بأنفاسهم حتّى ليس لها مخرج رُدُّوا إليها بالمَقامع. وقوله: **(فخرَجوا)** يريد: أنّ في الكلام حذفًا، والمحذوف: "فخرجوا".

قوله: **(سبعين)** أي: مسافة سبعين. وقوله: **(خريفًا)** أي: عامًا.

قوله: **("يَحْلَوْنَ" عن ابن عبّاس رضي الله عنه)** أي: قرأ "يَحْلَوْنَ".[١]

قوله: **(كقوله تعالى: "وَحُورًا")**[٢] يعني: في قوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ۝ بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ ۝ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۝

---

[١] شاذّة. انظر: **المحتسب** لابن جنّي، ٢/٧٧.
[٢] ن: وجورًا.

"ولؤلوًا" بقَلب الهمزة الثَّانيةِ وَاوًا، "ولُولِيًا" بقَلْبهِمَا واوَيْنِ ثم بقلبِ الثّانيةِ ياءً كـ"أَدْلٍ"، "وَلُولٍ" -كَـ"أَدْلٍ"- فيمَن جَرَّ، "ولُولُؤٍ"، "ولِيلِيًا" بقَلبِهما يَاءيْن عنِ ابن عبَّاس.

وهَدَاهُم اللهُ وألهمَهُم أن يقُولُوا: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ﴾ [الزمر ٧٤/٣٩]، وهَداهُم إلى طريق الجنة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۢ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٢٥﴾﴾

يقال: "فُلانٌ يُحسِنُ إلى الفُقَراءِ ....

وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۞ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ۞ وَحُورٌ عِينٞ﴾ [الواقعة ١٧/٥٦-٢٢]، قرئ: ﴿وَحُورٌ عِينٞ﴾ بالرفع على: وفيها حورٌ[1] عين، أو للعطف على ﴿وِلۡدَٰنٞ﴾. وبالجرّ عطفًا على ﴿جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾، كأنّه قال: هم في جنّات وفاكهة ولحم طيرٍ وحورٍ،[2] أو على "الأكواب"؛ لأنّ معنى "يطوفُ عليهم بأكْواب": يُنعَّمون بأكوابٍ. وبالنصب على: ويؤتَون حورًا.

قوله: (كأَدْلٍ)[3] فإنّ أصله: أَدْلُو،[4] قلبت الضمّة كسرة، والواو ياء؛ لأنّه ليس في كلامهم اسم متمكّن في آخره واو قبلها ضمّة، فإذا أدّى إلى ذلك قياس عمل هذا العمل. وقوله: (فيمن جرَّ) يعني: على القراءة بجرّ ﴿لُؤۡلُؤٖ﴾[5] عطفًا على ﴿أَسَاوِرَ﴾، فإنّ مَن قرأ: ﴿لُؤۡلُؤٖ﴾ بالجرّ وقلب الهمزة الثانية واوًا عمل ما ذكرنا مِن قلبِ ضمّة اللام كسرة والواو ياءً.

---

١ ف: وخور.

٢ ن: وحر.

٣ أدل: جمع دلْو. انظر: لسان العرب لابن منظور، «دلا».

٤ ن: أدلوا.

٥ أمّا مذاهب القرّاء في الصحيح فقرأ عاصم والمدنيّان ويعقوب بالنصب، وقرأ الباقون بالخفض في الموضعين. أمّا الهمز فيها فقرأ بإبدال الهمزة الأولى واوًا كلّ مِن شعبة وأبو جعفر وأبو عمرو بخلف عنه، وما ذكره الزمخشري غير ذلك مِن القراءات فهو شاذّ. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٩٢/١، ٣٢٦/٢؛ ومختصر شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ٩٧.

ويَنعَشُ المُضطَهَدِينَ" لا يُرادُ حالٌ ولا استقبالٌ، وإنما يُراد استمرارُ وجُودِ الإحسان منه والنَّعْشَةِ في جميع أزمنتِه وأوقاته، ومنه قولُه: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: الصُّدُودُ منهم مُستمِرٌّ دائمٌ.

﴿لِلنَّاسِ﴾؛ أي: لِلَّذين يقعُ عليهم اسمُ النَّاس، من غَيْرِ فَرقٍ بين حاضرٍ وبادٍ، وتانئٍ وطَارئٍ، ومَكِّيٍّ وآفاقيٍّ.

وقد استَشهَد به أصحابُ أبي حنيفة رحمه الله قائِلين: إنَّ المرادَ بالمَسجدِ الحرام: مكَّةُ، على امتِناع جواز بَيْع دُورِ مكَّة وإجَارتِهَا.

وعند الشافعي رحمه الله: لا يَمتنعُ ذلكَ. وقد حَاوَرَ إسحاقَ بنَ راهويه فاحتَجَّ بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم﴾ وقال: أَنَسَبَ الدِّيارَ إلى مالكيها أو غيرِ مالكيها؟ واشترَى عُمرُ رضيَ الله عَنْهُ دارَ السِّجْنِ من مالكِيه أو غيرِ مالكيهِ؟

قوله: (ويَنعَشُ) أي: يرفع. وقوله: (المضطهدين) أي: الممتحنين، ضَهَدْتُه[١] فهو مضْهود ومُضهَد، أي: مقهور ومُضطرّ.

قوله: (وتانئٍ) تَنَأَ بالمكان إذا أقام به.

قوله: (وآفاقيٍّ) قال رحمه الله:[٢] المسموع مِن العرب: أفقيٌّ وأَفَقيٌّ، والقياس والاستعمال الكثير النسبة إلى الواحد، والمستعمل فيما بين الفقهاء "آفاقيّ"؛ لأنّه أُريد بالآفاقيّ الخارجيّ، أي: خارج المواقيت، فكان بمنزلة الأنصاريّ حيث أريدت القبيلة.

قوله: (وقال: أَنَسبَ)... إلخ؟[٣] قيل في جوابه رحمه الله:[٤] نَسبَ إلى مالكي منفعةِ سكناها. وعمر رضي الله عنه اشترى البناء[٥] دون الأرض، وأرضى بالثمن مَن أنفق فيه مالًا لحاجة العامّة، وللإمام مِن ذلك ما ليس لغيره. والجوابان ضعيفان: أمّا الأوّل فلأنّه لو لم يكن ملكًا لهم لكانوا هم وغيرهم فيه سواء؛

---

[١] ن: مهدته.
[٢] ف ن: رضي الله عنه.
[٣] مناظرة الشافعي لإسحاق رواها الثعلبي بإسناده. انظر: نفسير الثعلبي، ١٨/٣٣٠ (الحج، ٢٢/٢٥).
[٤] ف ن: رضي الله عنه.
[٥] ن: الفنا.

﴿سَوَآءً﴾ بالنَّصْب: قراءة حَفص، والباقون على الرَّفع.

وَوَجهُ النصب: أنَّه ثاني مفعُولَي ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾؛ أي: جَعلناهُ مُستوِيًا ﴿ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾، وفي القراءة بالرفع: الجملةُ مفعولٌ ثانٍ.

"الإلحادُ": العُدول عن القَصْد، وأَصْلُه: إلحادُ الحَافِر، وقولهُ: ﴿بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ حالان مُترادفتانِ، ومفعولُ ﴿يُرِدْ﴾ مَتروكٌ ليتَناوَل كُلَّ مُتناوَلٍ؛ كأنَّه قال: ومَن يُرِدْ فيه مُرادًا مَّا عَادِلًا عن القَصْد ظالِمًا ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ يعني: أنَّ الواجبَ على مَن كان فيه أن يضبِطَ نفسَه ويَسْلُكَ طريق السَّداد والعَدلِ في جميع ما يَهُمُّ به ويقصِدهُ.

وقيل: الإلحادُ في الحَرم: منعُ النَّاس عن عمارَتهِ.

وعن سعيد بن جُبَيْر: الاحتكارُ.

وعن عطاء: قولُ الرَّجل في المبَايعة: لا واللهِ وبَلَى واللهِ.

وعن عبد الله بن عُمرَ: أنَّهُ كان له فُسطَاطانِ أَحدُهما في الحِلّ والآخر في الحَرَم، فإذا أراد أَن يُعَاتِبَ أَهله عَاتبهُم في الحلِّ، فقيل له، فقال: كُنَّا نُحدَّثُ أنَّ مِن الإلحادِ فيه أَن يقُول الرَّجل: لا واللهِ وبلَى واللهِ.

إذ لا اختصاص حينئذٍ لا بإجارة ولا بغيرها، فلا يكونوا[1] مالكي المنفعة. وأمّا الجواب **الثاني** فلأنّ المنقول أنّه اشترى الدار جميعها لا بناءها دون / أرضها [١٥٤ظ]
وعَرصتِها. وأيضًا لو لم يكن مِلكًا لهم لكان أجزاء الأبنية مِن الأحجار والتراب أيضًا كذلك، فلا يجوز لهم بيعها. ولمّا كان دليل الشافعيّ رضي الله عنه[2] على إسحاق بن راهَويه واضح[3] الصِّحّة لم يشتغل المصنِّف بأمثال هذين الجوابين، فالحقُّ حقيق بأن يُتّبع.

قوله: **(حالان مترادفتان)** أي: مُلتبِسًا بإلحادٍ ملتبسًا بظلم.

قوله: **(فُسْطاطان)** أي: خيمتان.

---

١ كذا وقعت في الأصول الخطيّة بالجزم.

٢ د ن - رضي الله عنه.

٣ ن - كان دليل الشافعي رضي الله عنه على إسحاق بن راهويه واضح.

وقرئ: "يَرِدْ" بفتح الياءِ من الورُود، ومعناه: مَن أَتى فيه بإلحَادٍ ظالِمًا.

وعن الحسن: "ومَن يُرِدْ إلحَادَهُ بظُلم"، أرادَ: إلحادًا فيه، فأضَافَهُ على الاتّساع في الظَّرف كـ﴿مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ﴾ [سبأ ٣٤/٣٣]، ومَعناهُ: ومَن يُرِدْ أَن يُلحِدَ فيه ظالمًا.

وخَبرُ ﴿إِنَّ﴾ مَحذُوفٌ لدلالة جَواب الشرط عليه، تقديرُه: إنَّ الذين كفروا ويصُدُّون عن المسجد الحرام نُذِيقُهم من عَذابٍ أليم، وكلُّ مَن ارتكَب فيه ذَنبًا فهو كذلك.

﴿وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ٢٦﴾

واذكُرْ حينَ جَعلنا ﴿لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ مَباءَةً؛ ....

قوله:[1] (مَن أتى فيه بإلحادٍ) فيكون الباء للتعدية.

قوله: (على الاتّساع) الإضافة في هذه الآية إلى ظرف المكان، وفي ﴿مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ﴾ إلى ظرف الزمان.

قوله: (ومعناه: من يُرِدْ أن يُلحد فيه ظالمًا) "ظالمًا" حال.

قوله: (جواب الشرط) أي: ﴿وَمَن يُرِدۡ﴾.

قوله: (وكل من ارتكب) تفسير ﴿وَمَن يُرِدۡ﴾ يشير به إلى أنّ الخبر[2] محذوف لدلالة هذا عليه.

قوله: (واذكر حين جعلنا)... إلخ، أشار إلى أنّ ﴿إِذۡ﴾ مفعول به لفعل مقدّر، ثم ذكر حاصل المعنى ولم يفسّره تفسيرًا شافيًا، وقد بيّنه أبو عليّ الفارسيّ بيانًا شافيًا حيث قال:

> بَوّأنا فلانًا منزلًا فتبوَّأ، والاسم: التَّبوُّء، وقوله تعالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوۡمِكُمَا بِمِصۡرَ بُيُوتٗا وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ﴾ [يونس ١٠/٨٧]، فقوله: ﴿تَبَوَّءَا﴾ فعل متعدّ إلى مفعولين، مثل "بوّأ" في قوله تعالى:

---

١ ن – قوله.

٢ ن: الخير.

أي: مَرجِعًا يَرجع إليه للعمارةِ والعبادةِ.

رُفع البيت إلى السَّماءِ أيَّامَ الطُّوفانِ وكان من ياقوتَةٍ حَمراء، ....

﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ [العنكبوت ٢٩/٥٨]، فأمّا اللام في ﴿لِقَوْمِكُمَا﴾ فكالتي في قوله تعالى: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل ٢٧/٧٢]، والمفعول الأوّل كعلامة الضمير في قوله تعالى: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾، ويُقوّي[1] ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾، فدخل اللام هنا كما دخل في قوله تعالى: ﴿أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا﴾، وأمّا قولك: بوَّأت فلانًا منزلًا؛ فكأنّه منقول مِن قولك: باء فلان منزله،[2] أي: لزمه، وإن كنّا لا ندري ذلك؛ ولكن يدلّ على ذلك قولهم: المَباءة،[3] وقالوا في المَباءة:[4] هي المَراح الذي يَبيت فيه، فالمَباءة: اسم مكان، وإذا كان المكان "مَفعلًا" فالفعل منه ثلاثيّ مجرّد، فكأنّه: باء المنزل، وبوّأته المنزل.[5]

هذا معنى كلام أبي[6] عليّ الفارسيّ[7] رحمه الله.[8] وأمّا قول المصنِّف رحمه الله:[9] (**مَرجعًا**[10] **يرجع إليه**)[11] فيدل على أنّه جعل "المَباءة"[12] مِن قولهم: باء: رجع، وقال في **الصِّحاح**: «قال الأخفش: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة ٢/٦١]: رجعوا به، أي: صار الغضب عليهم».[13] وإذا تأمّلت كلام المصنِّف وجدتَه كلامًا صحيحًا وإن كان مغايرًا للمعنى الذي ذكره أبو عليّ الفارسيّ، رحمة الله عليهما.[14]

قوله: (**رُفع البيت**)... إلخ، في قوله: "رُفِع البيت"... إلخ إشارة إلى فائدة قوله: ﴿مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾، وأن لم يقل: وإذ بوَّأنا لإبراهيم البيت؛ بدون لفظ المكان. وبه يظهر لك أنّ ما ذكره المصنِّف لبيان المعنى خير ممّا ذكره أبو عليّ الفارسيّ.

[1] ن: وتقوي.
[2] ن: منزلة.
[3] ن: الباءة.
[4] ن: الباءة.
[5] **الحجّة** لأبي عليّ الفارسي، ٣/٢١٩.
[6] ن: أتى.
[7] ن: الفاسي.
[8] د - رحمه الله.
[9] د - رحمه الله.
[10] ن: مراجعًا.
[11] ن - إليه.
[12] ن: الباه.
[13] **الصحاح** للجوهري، «بوأ».
[14] د - رحمة الله عليهما.

فأعْلَمَ اللهُ إبراهيمَ صلواتُ الرحمن عليه مَكانَه بريحٍ أرسَلها يُقال لهَا: الخَجُوجُ، كنَسَتْ ما حَوله فبنَاهُ على أُسِّهِ القَديم.

و﴿أَن﴾ هي المفسِّرةُ.

فإن قلتَ: كيف يكون النَّهيُ عن الشِّرك والأمرُ بتَطهير البَيْت تَفْسيرًا للتَّبوِئة؟

قلتُ: كانت التَّبوئةُ مقصودةً من أجل العبادة، فكأنَّه قيل: تَعبَّدْنا إبراهيمَ قُلنا له: ﴿لَا تُشْرِكْ بِي شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ من الأصنام والأوثان والأقذار أَنْ تُطرَحَ حَوْله.

وقرئ: "يُشْرِكْ" بالياء على الغَيبة.

﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ﴾: نادِ فيهم، وقرأ ابن مُحَيْصنٍ: "وآذن".

والنداء بالحج أن يقول: "حُجُّوا" أو: "عَليكم بالحجِّ".

ورُوي أنَّه صَعِدَ أبا قُبَيسٍ فقال: «يا أيُّها النَّاس حُجُّوا بيتَ ربكم».

وعن الحسن أنَّه خطابٌ لرسُول الله صلى الله عليه وسلم، أُمِر أَن يَفعل ذلك في حِجَّة الوِداع.

قوله: (**الخَجوج**) الريح الخَجوجُ: التي تلتوي في هبوبها. الأصمعيّ: «الخَجوج مِن الرياح: الشديدة».[١] يقال: كَنَستُ[٢] البيت، والمِكْنَسُ: ما يُكنَسُ به.

قوله: (**فكأنّه قيل: تعبَّدنا**) يقال: تعبَّده،[٣] أي: أمره.

قوله: (**أن تُطرح**) بدل مِن (**الأقذار**)[٤] بدل الاشتمال، وكأنّ المراد مِن

[١٥٥و] / التطهير مِن المطرح: أن يمنع مِن الطرح.

قوله: (**وعن الحسَن: أنّه خطاب لرسول الله عليه الصلاة والسلام**)[٥] على ما ذكره الحسَن يكون ﴿وَأَذِّن﴾ عطفًا على ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا﴾، أي: اذكر إذ بوّأنا وأَذِّن.

---

١ **الصحاح** للجوهري، «خجج».

٢ ن: ليست.

٣ ن - تعبّده.

٤ ن: الأقدار.

٥ **الكشف والبيان** للثعلبي، ٣٤٢/١٨ (الحج، ٢٧/٢٢).

﴿رِجَالًا﴾: مُشاةً، جمعُ رَاجلٍ؛ كقَائمٍ وقيامٍ.

وقرئ: "رُجالًا" بضم الراءِ مخفَّفَ الجيم ومُثَقَّلَه، و: "رُجَالَى" -كعُجَالى- عن ابن عبَّاس.

﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ حالٌ معطوفةٌ على حالٍ؛ كأنه قيل: رِجَالًا ورُكبانًا.

﴿يَأْتِينَ﴾ صفةٌ لـ﴿كُلِّ ضَامِرٍ﴾؛ لأنه في معنى الجَمعِ، وقرئ: "يأتون" صفةً للرِّجال والرُّكبَان.

و"العمِيقُ": البعيدُ، وقرأ ابن مسعود: "مَعِيق"، يقال: بِئْرٌ بَعيدةُ العَمْقِ والمَعْق.

﴿لِيَشْهَدُواْ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَـٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾

نكَّرَ المنافِعَ؛ لأنَّه أرَادَ مَنافعَ مُختصَّةً بهذه العبَادة دينيَّةً ودُنْيَويَّةً لا تُوجَدُ في غَيْرِها من العبَادات.

وعن أبي حنيفة رحمه الله: أنه كان يُفاضِلُ بين العبادات قَبل أن يحُجَّ، فلما حَجَّ فَضَّل الحجَّ على العبادات كلِّها؛ لِمَا شَاهَد مِن تلك الخصائصِ.

وعلى الأوّل كان عطفًا على ﴿لَا تُشْرِكْ﴾ أو على ﴿طَهِّرْ﴾.

قوله: (**و"رُجالى" كعُجالى**) "رُجالى" جمع رَجْلانَ، قال كُثَيِّر:

عـلـيَّ إذا لاقَيـتُـهـا فـي سَـلامـةٍ   زيـارةُ بيـتِ الله رَجْــلانَ حافِـيا[1]

قوله: (**نكَّر "المنافع"**) يعني: أنّ تنكيره[2] يفيد الإبهام والتعظيم؛ ولذلك قال: (**لا توجد**)... عن مشايخ الطريقة: هي السُّبُحات البادية، وزُلُفاتُها الليليّة والنهاريّة.[3]

---

١ لم أجده لكُثيّر، وهو في **ديوان قيس**، ص ٢٣٧، بلفظ:

عَـلَـيّ لئن لاقَـيـتُ لَيلى بِخَلوةٍ
زيــارةُ بيـتِ الله رَجْــلانَ حافيا

٢ ن: تنكير.

٣ قال القشيري: «أرباب الأموال منافعهم أموالهم، وأرباب الأعمال منافعهم حلاوة طاعتهم، وأصحاب الأحوال منافعهم صفاء أنفاسهم، وأهل التوحيد منافعهم رضاهم باختيار الحقّ ما يبدو مِن الغيب لهم». **لطائف الإشارات** للقشيري، ٢/٥٤٠.

وكنَى عن النَّحر والذَّبح بذكر اسم الله؛ لأن أهل الإسلام لا يَنفكُّون عن ذكرِ اسمِه إذا نَحرُوا أو ذَبحُوا، وفيه تنبيهٌ على أن الغرضَ الأصليَّ فيما يُتقرَّبُ به إلى الله أن يُذكَر اسمُه.

وقد حَسَّن الكلامَ تحسِينًا بَيِّنًا أَن جَمع بين قوله: ﴿وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾ وقوله: ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم﴾ ولو قيل: "لِيَنحرُوا في أيَّامٍ مَعْلوماتٍ بَهيمةَ الأَنعام" لم تَرَ شيئًا من ذلك الحُسْن والرَّوعةِ.

"الأيَّامُ المَعْلُوماتُ": أيَّامُ العَشر عند أبي حنيفة رحمه الله، وهو قولُ الحسن وقتادة.

وعند صاحبيه: هي أيَّام النحر.

"البَهيمةُ": مُبْهَمةٌ في كلِّ ذاتِ أَربعٍ في البرِّ والبَحر، فبُيِّنت بالأَنعام وهي: الإبلُ والبَقرُ والضَّأن والمَعزُ.

قوله: **(لأنّ أهل الإسلام)** متعلِّق بقوله: **(وكنى)**، يعني: أنّ ذكر الله تعالى مِن لوازم النحر،[1] فيكون كناية.

قوله: **(أنّ جمَع)** أي: في أنّ جمَع، أو لأنّ جمَع.

قوله: **(والرَّوعة)**[2] الرَّوعة: الحُسن الذي اهتزَّ له القلب، كأنّه أُخذ مِن الرُّوع بالضم؛ وهو القلب؛ لأنّه محلّ الرَّوع، يقال: راعني كذا، أي: وقع في قلبي الرَّوْع.

قوله: **(أيّام العشر)**[3] أي: أيّام الليالي العشر، على حذف المضاف إليه الموصوف، كقولهم: أيام البيض، أي: أيام الليالي البيض، فالمحذوف هنا المضاف إليه الموصوف.

قوله: **(وهي الإبل)**... إلخ، هي الأزواج الثمانية[4] كما ورد به النصُّ في قوله: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾... الآية [الزمر ٦/٣٩].

---

١ ن: التي.
٢ ف: الرَّوعة.
٣ ف + أي: عشر ذي الحجّة.
٤ ن: اليمانية.

الأمرُ بالأَكلِ منها أَمْرُ إباحَةٍ؛ لأن أهل الجاهلية كانوا لا يَأكلُون من نَسَائكِهم، ويجوز أن يكون نَدْبًا لِمَا فيه من مُسَاواةِ الفقَراء ومُواسَاتِهم ومِن استعمال التَّواضُع، ومِن ثَمَّ استَحَبَّ الفقهَاءُ أَنْ يأكُلَ المُوسِعُ من أُضحيَّتِه مقدارَ الثلثِ.

وعن ابن مَسعُود: أنه بَعث بهَدْيٍ وقال فيه: إذا نَحرْتَهُ فكُلْ وتصَدَّقْ وابعَثْ منه إلى عُتْبَة، يعني: ابنَه.

وفي الحدِيث: «كُلُوا وادَّخِرُوا وائتَجِرُوا».

﴿ٱلْبَآئِسَ﴾: الذي أصابه بُؤس؛ أي: شِدَّةٌ، و﴿ٱلْفَقِيرَ﴾: الَّذي أَضعَفه الإِعسَارُ.

قوله تعالى: ﴿ٱلْفَقِيرَ﴾ كأنّه أُخِذ مِن فِقار الظهر الذي هو مجمع القُوى، فكأنّه كُسِر فَقارُه، قال:[١]

هو الفقرُ مِن كَسرِ الفَقار اشتقاقُهُ[٢]

قوله: (**وعن ابن مسعود رضي الله عنه:**[٣] **أنه بعَث**)... إلخ، يعني: بعث ابن مسعود هدْيًا إلى مكّة، وقال للذي بعث الهَدْيَ على يده في شأن الهَدي: «إذا نحَرتَه فكُلْ».[٤]

قوله: (**«ائتَجروا»**)[٥] "ائتَجروا":[٦] "افتعلوا" مِن الأجر، قال: وأهل الحديث يَرْوُون: "واتّجِرُوا"، وهو لحْنٌ[٧] إن جُعل من الأجر إلّا أن يكون مِن التجارة، وهي تجارة الآخرة. وقد غُلّط مَن قرأ: "فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اتُّمِنَ أَمَانَتَهُ"،[٨] وهذا المعنى

---

١ ف: فقال.

٢ تمامه:

نِقابٌ به تخفى وجوهُ المَناقبِ

انظر: **خريدة القصر** لعماد الدين الكاتب، ٢١٣/٢، بغير نسبة.

٣ د - رضي الله عنه.

٤ **المعجم الكبير** للطبراني، ٣٤٢/٩ (٩٧٠٢).

٥ **صحيح البخاري**، ١٠٣/٧ (٥٥٦٩)؛ **صحيح مسلم**، ١٥٦٢/٣ (١٩٧٢)؛ **سنن أبي داود**، ٤٣٦/٤ (٢٨١٣)، وليس في **الصحيحين** لفظة: "وائتجروا".

٦ ن: ائتجووا.

٧ انظر: **غريب الحديث** للخطّابي، ٢٢٩/٣.

٨ في سورة البقرة، ٢٨٣/٢، بتشديد التاء في "اتُّمن" بلا همز، وهي قراءة شاذّة منسوبة إلى ابن محَيصن. انظر: **مختصر شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ٢٥.

﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾

"قضاءُ التَّفَثِ": قصُّ الشارب والأظفار، ونَتفُ الإبْط، والاستحْدَادُ.

والتَّفَثُ: الوَسخُ، فالمراد: قضاءُ إزالة التَّفث.

وقرئ: ﴿ولْيُوَفُّواْ﴾ بتَشدِيد الفاء.

﴿نُذُورَهُمْ﴾: مَواجبَ حَجِّهم، أو ما عسَى يَنذرُونَه من أعمال البر في حَجِّهم.

﴿وَلْيَطَّوَّفُواْ﴾ طوافَ الإفاضة، وهو طوافُ الزيارةِ الذي هو من أركان الحجِّ ويقعُ به تمامُ التَّحلُّلِ، وقيل: طواف الصَّدَر وهو طوافُ الوداع.

﴿ٱلْعَتِيقِ﴾: القديم؛ لأنه أولُ بيت وضع للناس، عن الحسن.

وعن قتادَةَ: أُعتِقَ من الجبَابرة، كَم مِن جَبَّار سَارَ إليه ليَهدِمَه فمنعَه اللهُ.

وعن مُجاهد: لم يُملَكْ قَطّ، وعن مُجاهد: أُعتِق من الغَرَق.

وقيل: بَيْتٌ كريمٌ، من قولهم: عتاقُ الخَيْل والطَّيْر.

فإن قلتَ: قد تسَلَّط عَليه الحجَّاجُ فَلمْ يُمنع؟

يَعضُدُه مواضع في التنزيل والأثر وكلام العرب؛[١] قال تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ﴾ [الصف ١٠/٦١]، وقال عليه السلام: «المساجد أسواق الأخرة، سُكّانها تُجّارُها».[٢]

قولـه: (**طـواف الإفاضـة**) سـمّي طوافَ الزيـارة[٣] وطـوافَ الإفاضـة؛ لأنّهـم يُفيضـون يومَي العيد مِن منى إلى مكّة لهذا الطواف، ثـم يرجعـون إلى مِنى، فكأنّهـم جـاءوا زائريـن البيـت.

قوله: (**وهو طواف الوداع**) ليس طواف الـوداع ركنًا لا مِن الحجّ ولا مِن العمرة؛ ولكنّه واجب على مَن قصد سفر القَصر مِن مكّة.

---

١ انظر: **الفائق** للزمخشري، ٢٦/١.

٢ لم أجده بهذا اللفظ، وفي **أمالي ابن الشجري**: عن جابر بن عبد الله، عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، قال: «المساجد سوق مِن أسواق الآخرة، مَن دخلها كان ضيف الله، قِراه المغفرة، وتحيّته الكرامة». انظر: **ترتيب الأمالي** للشجري، ٢٩٧/١ (١٠٣٤).

٣ ن: الزيادة.

قلتُ: ما قَصَد التَّسلُّطَ على البيت، وإنَّما تحَصَّنَ به ابنُ الزُّبيْر رحمه الله فاحتَالَ لإخْراجه ثـمَّ بنَاهُ، ولمَّا قَصَد التَّسلُّطَ عليه أبرهَةُ فُعِلَ به ما فُعِل.

﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ۝٣٠﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ خبرُ مبتَدأٍ مَحذوفٍ؛ أي: الأَمرُ والشَّأنُ ذلك، كما يُقَدِّمُ الكاتبُ جُملةً من كتابه في بَعضِ المعَاني ثم إذا أراد الخَوضَ في مَعنًى آخَرَ قال: "هذا، وقد كان كذا".

و"الحرمةُ": ما لا يحلُّ هَتْكُه، وجميعُ ما كلَّفه الله عزَّ وجل بهذه الصِّفة من مَنَاسِك الحجِّ وغَيْرِها، فيَحتمِلُ أن يَكون عَامًّا في جميع تكاليفِه، ويَحتمِل أن يكون خاصًّا فيما يَتعلَّقُ بالحجِّ.

وعن زيد بن أَسلمَ: الحُرمُاتُ خمسٌ: الكعبةُ الحرامُ، والمسجد الحرامُ، والبَلد الحَرامُ، والشهرُ الحرامُ، والمُحْرِمُ حَتَّى يَحِلَّ.

قوله: **(ابن الزبير)** أي: عبد الله بن الزبير. نصَب الحجّاج على البيت مِنجَنيقين، وكان[١] ابن الزبير[٢] يصلّي في البيت، وكانت[٣] تَمُرُّ عليه المجانيق وهو قائم كأنّه كعبٌ راتِبٌ.[٤]

قوله: **(كما يُقدِّم)** أي: هذا كما[٥] يُقدِّم.

قوله: **(هَتْكُه)** الهَتْك: مَزْق السِّتر عمّا وراءه.

قوله: **(وعن زيد بن أسلم)**[٦] ما رواه عن زيد بن أسلم يؤيّد أنّ المراد ما يكون خاصًّا بالحجّ.

---

١ ف: فكان.

٢ ن + رحمه الله.

٣ ف: وكابت.

٤ انظر: مصنَّف عبد الرزاق، ٢/٢٦٥ (٣٣٠٤)؛ وغريب الحديث لابن قتيبة، ١/٥٢٤، وفيه: "رتَب رُتوب الكَعب: انتَصب كَمَا يَنْتَصب الكَعب إذا أَلقيته".

٥ ن: لما.

٦ انظر: تفسير السمعاني، ٣/٤٣٦ (الحج، ٢٢/٣٠).

﴿فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ﴾؛ أي: فالتَّعظيمُ خَيرٌ له، ومعنى التَّعظيمِ: العِلْمُ بأنَّها واجِبَةُ المُراعاةِ والحفظِ، والقيامُ بمُراعَاتِها.

المَتْلوُّ لا يُستَثنَى من الأنعام؛ ولكنَّ المعنَى: ﴿إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ آيةُ تَحريمه، وذلك قولُه في سُورة المَائدة: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ﴾ [المائدة ٣/٥] والمَعنى: أنَّ اللهَ قد أَحلَّ لكم الأَنعامَ كُلَّها إلَّا ما استَثْناهُ في كتابه، فحافِظوا على حُدُوده وإيَّاكم أَنْ تُحرِّمُوا ممَّا أحلَّ شيئًا كتحريم عَبَدة الأَوثان البَحِيرةَ والسَّائبةَ وغَيرَ ذلك، وأنْ تُحِلُّوا مما حَرَّم اللهُ كإِحْلالِهم أَكْلَ الموقُوذَةِ والميتَةِ وغير ذلك.

لمَّا حَثَّ على تَعظيم حُرُماتِهِ وأَحْمدَ مَن يُعظِّمُها أتْبَعَه الأمْرَ باجتنابِ الأَوثان وقَولِ الزُّور؛ لأن توحيدَ الله ونَفيَ الشركاءِ عنه وصِدقَ القول أعظمُ الحُرمات وأَسْبقُها خَطْوًا.

قوله: **(العِلم)**... إلخ، قدّم المصنِّف العِلم على العمل، فالتعظيم: اعتقاد وجوب / مراعاتها، والمحافظة على مراعاتها. [١٥٥ظ]

قوله: **(ولكنّ المعنى)** يريد: أنّه حذف المضاف والمضاف إليه.

قوله: **(وذلك قوله تعالى)** أي: آية تحريمه، وذكّره باعتبار الخبر. وقوله: **(على حدوده)** أي: حدود الله تعالى.[١]

قوله: **(وإياكم أن تحرِّموا)** هو معنى قوله: ﴿وَأُحِلَّتۡ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ﴾. وقوله: **(وأنْ تُحِلُّوا)** هو معنى قوله: ﴿إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾.

قوله: **(الموقوذة)** وقَذَه يقِذُه وَقْذًا: ضرَبه حتّى استرخى وأشرف على الموت، والشاة المَوقوذة: هي التي قُتِلت بالخَشب.

قوله: **(وأحمَدَ مَن يُعظِّمُها)** قال في **الصِّحاح**: «يقال: أحمَدَ الرجلُ، أي: صار أمرُه إلى الحمد، وأحمدتُه: وجدتُه محمودًا، يقول: أتيت مَوضع كذا فأحمدته، أي: صادفته محمودًا موافقًا، وذلك إذا رضيتَ سُكناه أو مَرعاه».[٢] وأقول: قول المصنِّف: "أحمَدَ" مِن قولهم: "أحمَد الرجل، أي: صار أمره إلى الحمْد"،

---

[١] ف ن - تعالى.

[٢] **الصحاح** للجوهري، «حمد».

وجَمَعَ الشِّركَ وقولَ الزور في قِرَانٍ واحدٍ، وذلك أنَّ الشِّرك من باب الزُّورِ؛ لأن المُشرِك زاعِمٌ أن الوثنَ تَحِقُّ له العبَادةُ؛ فكأنَّه قال: فاجتَنِبُوا عبادةَ الأوثان التي هي رأسُ الزُّور واجتنِبُوا قولَ الزُّور كُلَّهُ لا تقرَبُوا شيئًا منه لتَماديه في القُبْح والسَّماجَةِ، وما ظَنُّكَ بشيءٍ من قبيلِهِ عبَادةُ الأَوثان؟

وسُمِّي الأوثانُ رجسًا وكذلك الخمرُ والميسرُ والأَزلامُ على طريق التَّشبيه،

فلا يكون في "أحمَد" ضمير؛ بل فعل ماض مستند إلى "مَن يُعظِّمها"، أي: صار أمر مَن يُعظِّم الحرمات إلى الحمْد. وإن كان مِن قولهم: "أحمدتُه: وجدتُه[١] محمودًا"،[٢] ففي "أحمَدَ" ضمير عائد إلى الله تعالى، ومفعوله "مَن يعظّمها"، والمعنى: وجد الله تعالى مَن يُعظّم الحرمات محمودًا، وإنّما يجده محمودًا[٣] إذا كان محمودًا، فيعود إلى المعنى الأوّل. وجواب "لمّا" على الوجهين: "أتبعَه"، وهو متعدّ إلى مفعولين: **الأوّل**: الضمير العائد إلى التعظيم. **والثاني**: الأمر. والمراد بـ"الحثّ على التعظيم": هو قوله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾. والحاصل:[٤] أن قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟﴾... إلخ متعلّق بقوله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾. وأمّا قوله تعالى: ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ فالجملة المعترضة. فالله تعالى لمّا حثّ على تعظيم الحرمات ذكَر ما أحلّ[٥] وما حرّم، ثم أكّد وجوب تحليل الحلال وتحريم الحرام بأن ضمّ "الأوثان" مع "قول الزور"، أو أراد[٦] بـ﴿قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾[٧] -والله أعلم- تحريم الحلال وتحليل الحرام، تأمّل فيه، وفّقنا الله وإياك لتحقيق الدقائق وتقريرها، ولفهمها وتبيينها[٨] بفضله ومَنّه.

قوله: **(وذلك أنّ الشرك)** أي: الجمع بينهما لأنّ...

قوله: **(وسمّى الأوثان)**... إلخ، أي: في سورة المائدة.[٩]

---

[١] ن - وجدته.

[٢] ن: محمود.

[٣] ن: محمود.

[٤] ن: فالحاصل.

[٥] ن + الله.

[٦] ف: وأراد.

[٧] ن - أو أراد بـ﴿قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾.

[٨] ن: وتبيينها.

[٩] يعني قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة ٥/٩٠].

يعني: أنكم كما تَنفِرُون بِطباعِكم عن الرِّجس وتَجتَنِبُونَه، فعَلَيْكم أنْ تَنفِرُوا عن هذه الأشياء مثلَ تلك النَّفْرة، ونبَّه على هذا المعنى بقوله: ﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة ٥/٩٠] جَعَل العِلَّة في اجتنابه أنَّهُ رِجسٌ والرِّجْسُ مُجتنَبٌ.

﴿مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ بيَانٌ لـ﴿ٱلرِّجْسَ﴾ وتمييزٌ له؛ كقولك: عِندي عشرُون من الدَّراهم؛ لأن الرِّجس مُبْهَمٌ يتناول غيرَ شيءٍ؛ كأنَّه قيل: فاجتَنِبُوا الرِّجسَ الذي هو الأوثانُ.

و"الزُّورُ": من الزَّوَر والازْوِرار وهو الانحرافُ؛ كما أنَّ الإفكَ من أَفَكَه: إذا صَرفه.

وقيل: ﴿قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ قولُهم: ﴿هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ [النحل ١٦/١١٦]، وما أشبَهَ ذلك من افترائهم.

وقيل: شهَادةُ الزُّور؛ عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: أنَّه صَلَّى الصُّبْحَ،

قوله: (**ونبَّه على هذا المعنى**) يعني به: قوله: (**كما تنفرون بطباعكم... فعليكم أن تنفروا**). (**بقوله تعالى: ﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾**) يعني: قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [المائدة ٥/٩٠].

قوله: (**لأنّ ﴿ٱلرِّجْسَ﴾ مُبهم**)[١] متعلِّق بقوله: (**بيانٌ**)، وهو بمعنى التبيين، فكأنّه قال: بيّن ﴿ٱلرِّجْسَ﴾؛ لأنّه مُبهَم محتاج إلى البيان. وقوله: (**غير شيء**) أي: غير شيء واحد؛ بل يتناول أشياء كثيرة.

قوله: (**كما أنّ الإفك**) بمعنى الكذب.

قوله: (**وقيل: ﴿قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾**)... إلخ كلام يلائم أوّل الكلام لِما ذكرنا في الحاشية.

---

[١] ن: مِنهم.

فلمَّا سَلَّم قام قائمًا واستَقبل الناسَ بوَجْهِه وقال: «عَدَلَتْ شهادةُ الزُّورِ الإشراكَ بالله، عَدلَتْ شهادةُ الزورِ الإشراكَ بالله، عَدلَتْ شهادةُ الزُّورِ الإشراكَ بالله»، وتلا هذه الآية.

وقيل: الكذبُ والبُهتان.

وقيل: قولُ أهل الجاهليَّة في تَلبيَتِهم: "لبَّيك لا شريكَ لكَ إلَّا شريكٌ هو لكَ تَملِكُه ومَا مَلَك".

﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ۝٣١﴾

يجوز في هذا التَّشبيه أن يكون من المركَّبِ والمفرَّقِ، فإن كان تشبيهًا مركَّبًا فكأنَّه قال: مَن أشركَ بالله فقد أهلَك نفسَه إهْلَاكًا ليس بعده، بأنْ صَوَّر حالَه بصُورةِ حالِ مَن خَرَّ مِن السَّماء فاختَطفَتْه الطَّيْرُ فتفرَّق مُزَعًا في حَواصِلها، أوْ عَصَفَت به الريحُ حَتَّى هَوت به ....

/ قوله:[١] (قائمًا)[٢] أي: قيامًا، فهو صفةٌ أقيم مُقام المصدر. [١٥٦و]

قوله: (هو لك) أي: هو مِلْكك، يبيّنه قولهم:[٣] "تملكه"، أي: أنت تملك ذلك الشريك، "وما ملك"، أي: لم يملك ذلك الشريك شيئًا، يَعنون: أنَّهم إنَّما يعبدونها ليقرّبوهم إلى الله زُلفى.

قوله: (ليس بعده) اسم "ليس" ضمير مستتر، أي: ليس إهلاك بعده.

قوله: (مُزَعًا)[٤] المُزْعة:[٥] قطعة مِن اللحم، والجمع: مُزَع. وقوله: (في حواصلها) الحَوصلة للطائر بمنزلة المعِدة للإنسان، والجمع: الحواصل. وقوله: (أو عَصَفتْ به) الباء للتعدية أو للملابسة. وقوله: (هَوت به) الباء للتعدية.

١ ن – قوله.
٢ ن: فإنّما.
٣ ن: قوله.
٤ في الأصول الخطّيّة: "مزغًا" "المزغة" "مزغ" بالغين المعجمة فيها، والصواب ما أثبتُّه بالعين المهملة. انظر: **الصحاح** للجوهري، «مزع».
٥ ن: النزغة.

في بعض المَطاوِح البعيدة.

وإن كان مُفرَّقًا فقد شبَّه الإيمانَ في عُلوِّه بالسَّماء، والذي تركَ الإيمانَ وأَشرك بالله بالساقط من السَّماء، والأَهواءَ التي تَتوَّزَعُ أَفكارَهُ بالطَّير المُختَطِفة، والشَّيطانَ الذي يُطَوِّحُ به في وادي الضَّلالة بالرِّيح التي تَهوِي بما عَصَفتْ به في بَعض المَهاوي المُتْلِفَة.

وقرئ: ﴿فتَخَطَّفُه﴾، وبكسر الخاءِ والطَّاء، وبكَسْر التاء مع كسْرهما وهي قراءة الحَسن، وأَصْلهما: تختَطِفُه. وقرئ: ﴿الرِّياحُ﴾.

قوله: (المَطاوِح)[١] أي: المقاذف، مِن طاح ويَطيح؛[٢] هلَك وسقط.

قوله: (وقرئ: ﴿فَتَخَطَّفُهُ﴾)[٣] يعني: بالفَتحات، أصله: تتخَطَّفُه؛ حذفت إحدى التاءين. وقوله: (**وبكسر الخاء والطاء**)[٤] وأصله: تختَطِفُه؛ حذفت حركة التاء، ثمّ[٥] أُدغمت في الطاء، وحرّكت الخاء بالكسر؛ لأجل[٦] التقاء الساكنين.

قوله: (**وبكسر التاء مع كسرهما**) أي: مع كسر[٧] الخاء والطاء، وجه هذا مثل الوجه الثاني، إلّا أنّه كُسِر التاء أيضًا. وأصحّ[٨] النسخ: "'فَتَخِطِّفُهُ' بكسر الخاء والطاء" مِن غير ذكر الواو قبل قوله: "بكسر الخاء". والحاصل: أنه جاء ههنا[٩] أربع قراءات: اثنتان مِن السبع المتواتر، وهما: ﴿فَتَخَطَّفُهُ﴾ بفتح الخاء مشدَّدًا، أي: تتخَطَّفُه، فحُذفت إحدى التاءين. و﴿فَتَخْطَفُهُ﴾ بإسكان الخاء مخفَّفًا، مِن خطِف يَخْطَف، ولم يذكرهما لتواترهما وشيوعهما. واثنتان مِن الشواذّ، وقد ذكرهما المصنِّف في الكتاب، فتأمّل. ثمّ إنّه لا بُعد في إثبات الواو؛ ليكون قد ذكر مِن قراءتي السبعة إحداهما المحتاجة إلى البيان بحذف إحدى التاءين،

---

١ ن: المطاوع.

٢ ن: يطيح.

٣ وهي قراءة نافع وأبي جعفر المدنيين. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٣٢٦.

٤ وسيأتي أنّها شاذّة. انظر: **إتحاف فضلاء البشر** للدمياطي، ص ٣٩٨.

٥ ن – ثمّ.

٦ ف ن: لأصل.

٧ ن – التقاء الساكنين. قوله: (وبكسر التاء مع كسرهما) أي: مع كسر.

٨ ن: واضح.

٩ ن: هاهنا.

تعظيمُ الشَّعائر -وهي الهَدايَا؛ لأنها من معَالم الحجِّ-: أن يختارَها عِظَامَ الأَجرام حسَانًا سِمَانًا غَاليةَ الأثمان، ويَترُكَ المِكاسَ في شِرائهَا، فقد كانوا يُغَالُون في ثلاثٍ ويَكرَهُونَ المِكاسَ فيهنَّ: الهَديُ والأُضحيَّة والرقَبةُ.

ورَوَى ابن عمر عن أبيه رضي الله عنهما: أَنَّه أَهْدى نَجيبةً طُلِبَت منه بثلاثِ مئةِ دينارٍ، فسأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعَها ويَشتَرِيَ بثَمنها بُدْنًا، فنهَاهُ عن ذلك وقال: «بل أَهْدِها».

وذكَر بعد ذلك الوجهين الشاذّين. قال الشيخ في **الكواشي**: «القراءة ﴿فَتَخَطَّفُهُ﴾ أي: تسلبه الطير بسرعة، بفتح الخاء مشدّدًا، أي: تتخَطَّفه، فحذفت إحدى التاءين، وبإسكانها مخفّفًا؛ مِن خَطِف يَخطَف، وقرئ بكسر الخاء والطاء، وبكسر التاء مع كسرهما».[1]

قوله: (**لأنّها مِن معالم الحجّ**) تعليلٌ مُعلّله[2] محذوف، أي: إنّما سميت الهدايا "الشعائر"؛ لأنّ "الشعائر" جمع شَعيرة؛ مِن الشعور بمعنى: العِلم، فلمّا كانت[3] الهدايا مِن معالم الحجّ، سُمّيت شعائر كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة ١٥٨/٢].

قوله: (**المِكاسَ**) مِن المَكس، بمعنى: النقص، والمراد بها: استقصاء المشتري في نقصان الثمن، والمَكس في البيع: استنقاص[4] الثمن، مِن باب "ضَرب"، والمُماكسة والمِكاس في معناه.

قوله: (**فقد كانوا**) علّة[5] ترك المِكاس.

قوله: (**الهدي**) بيان "ثلاث"،[6] هي بالكسر عطف بيان "ثلاث"، وبالرفع[7] خبر مبتدأ محذوف.

قوله: (**نَجِيبةً**) النجيبة: الناقة الكريمة.

---

١ **تفسير الكواشي**، ٣٣٧ظ.
٢ ن: معلّلة.
٣ ن: كان.
٤ ف: استقاص.
٥ ن: عليه.
٦ في الأصول الخطّيّة: "ثلث"، وكذا ما بعده.
٧ ن: وبالوفع.

وأَهْدَى رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم مئةَ بدنَةٍ فيها جَملٌ لأبي جهل في أَنفِه بُرَةٌ من ذهَب.

وكان ابنُ عُمر رضي الله عنهما يسُوقُ البُدْن مُجَلَّلةً بالقَباطيّ، فيتَصدَّقُ بلحُومهَا وبجِلالهَا.

ويَعتقِد أنَّ طاعَةَ الله في التَّقرُّبِ بها وإِهدائها إلى بيته المُعظَّمِ أمرٌ عظيمٌ لا بدَّ أن يقام به ويُسارَعَ فيه.

﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾

﴿فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾؛ أي: فإنَّ تَعظِيمهَا من أفعالِ ذوي تَقْوَى القُلوب، فحُذفت هذه المضافاتُ ....

قوله: (بُرَةٌ) البُرَة: حلقة[1] مِن صُفْرٍ تجعل في لحم أنف البعير.[2]

قوله: (بالقَباطيّ) جمع: قِبطيّة، القِبْط أهل مِصر، ورجل قِبْطِيٌّ، والقِبطيّة: ثيابٌ بيض رِقاق / مِن كَتّان[3] يُتّخذ بمِصر، وقد يضمّ؛ لأنّهم قد يُغيّرون في النسبة، كما قالوا: سُهليّ ودُهريّ، والجمع: قباطيّ.[4] [١٥٦ظ]

قوله: (ويعتقِد) عطف على (أن يختارها).

قوله: (فحُذفت هذه المضافات) الظاهر أنّه سقَط مِن القلم هنا كلام، وأنّ الأصل كان هكذا:[5] فحُذِفت هذه المضافات، وحُذِفت "مِنهم"، ولا يستقيم المعنى... إلخ، يؤيّد ما ذكرنا قول صاحب **الكواشي**: «إنّ تعظيمها مِن أفعال ذوي تقوَى القلوب مِنهم، والضمير في "مِنهم" المقدّر راجع مِن الجزاء إلى الشرط؛ ليستقيم المعنى، ثمّ حُذِفت هذه المقدَّرات تخفيفًا».[6] جميع ذلك لفظ **الكواشي**. ثمّ اعلم أنّ ما ذكرنا مِن المحذوف يجوز أن يُقدّر في الموضع الذي ذكرناه،

---

١ ف: خَلقة.
٢ **الصحاح** للجوهري، «برا».
٣ ن: لعان.
٤ **الصحاح** للجوهري، «قبط».
٥ ف ن: هكذى.
٦ **تفسير الكواشي**، ٣٣٧ظ.

ولا يستقيمُ المَعنى إلَّا بتَقديرها؛ لأنه لا بدَّ من رَاجعٍ من الجزاء إلى ﴿مِن﴾ لِيَرْتبط به، وإنَّما ذُكِرَت القلوبُ؛ لأنَّها مراكزُ التَّقوى التي إذا ثبَتَتْ فيها وتمكَّنتْ ظَهر أثرُها في سائر الأعضَاء.

﴿لَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ٣٣﴾

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾: إلى أن تُنحَر ويُتصَدَّقَ بلحُومها ويُؤكَلَ منها، و﴿ثُمَّ﴾ للتَّراخي في الوقت، فاستُعيرت للتَّراخي في الأحوال.

والمعنى: إنَّ لكم في الهدايا مَنافعَ كثيرةً في دُنيَاكُم ودينِكم وإنما يَعتدُّ اللهُ بالمَنافع الدِّينية، قال سبحانه وتعالى: ....

ويجوز أن يُقدّر بعد قوله: **(إلّا بتقديرها)** قبل قوله: **(لأنّه لا بدّ)**، فتأمَّل. وأراد بالمضافات: المضاف مِن ﴿فَإِنَّهَا﴾، والمضاف والمضاف إليه مِن ﴿تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾.

قوله: **(لا بدّ مِن راجع)** والارتباط يحصل مِن "ذوي"؛ لأنّها تتناول[1] "مَن"، فيُستَغنى عن الضمير؛ ولذلك قال المصنِّف: "مِن راجع"، ولم يقل:[2] مِن ضمير.

قوله: **(لأنّها مراكز)** قال عليه السلام: «التقوى ههنا» وأشار إلى قلبه.[3]

قوله: **(إلى أن تُنْحر)** فالمراد بـ"الأجل": الجزء[4] الأخير مِن الزمان، وهو الوقت الذي يقع فيه النحر، ففي كلام المصنِّف حذف، أي: إلى زمان أن يُنحَر، فإنّ "الأجل" لا يكون بمعنى النحر.

قوله: **(والمعنى: إن لكم في الهَدايا)** وهي الشعائر. وقوله: **(منافع كثيرة)** أشار[5] إلى أنّ قوله: ﴿مَنَٰفِعُ﴾ يشمل منافع دينيّة ودنياويّة، ثمّ عطف على هذه المنافع منفعة خاصّة، وهي المنفعة الجليلة الدينيّة؛ لفضلها وشرفها، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ﴾ [البقرة ٢/٩٨]؛ لكن عطف بـ﴿ثُمَّ﴾[6] بيانًا؛

---

١ ف: يتناول.
٢ ن – يقل.
٣ صحيح مسلم، ١٩٨٦/٤ (٢٥٦٤).
٤ ف: الجزآ.
٥ ن – أشار.
٦ ن: بتم.

﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [الأنفال ٨/٦٧]، وأعظمُ هذه المنافعِ وأبعَدُها شوْطًا في النَّفْع: ﴿مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾؛ أي: وجُوبُ نحْرِها، أو: وقتُ وجوبِ نحْرِها، مُنتهيَةً إلى البيْت؛ كقوله: ﴿هَدْيًا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ [المائدة ٥/٩٥]، والمرادُ: نحرُهَا في الحرَم الذي هو في حُكْم البيت؛ لأنَّ الحَرم هو حريم البَيت.

ومثلُ هذا في الاتِّساع قولُك: بلَغْنا البَلَد، وإنَّما شَارَفْتُمُوه واتَّصلَ مَسيرُكُم بحُدُوده.

وقيل: المراد بالشَّعائر: المناسِكُ كُلُّها، و﴿مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ يأباهُ.

لزيادة البُعد بين هذه المنفعة وسائر المنافع. وقوله: **(إلى البيت)** حال مِن المضاف إليه، وهو الضمير المجرور.

قوله: **(شَوطًا)**[١] الشَّوط:[٢] جزْئٌ مرّة إلى الغاية، والجمع: أشواط. وقوله: ﴿مَحِلُّهَا﴾ حلّ الدَّين عليه -وجَب ولزمه- حُلولًا، ومِنه الدَّين الحالّ.

قوله: **(أي: وجوب نَحْرها)**... إلخ إشارة إلى أنّ "المحلّ" يجوز أن يكون مصدرًا وأن يكون اسم زمان، وعلى التقديرين لا بدّ مِن تقدير مضاف، وهو "النحر". وقوله: ﴿إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ حال مِن المضاف إليه؛ لأنّه مفعول مِن حيث المعنى؛ لأنّ التقدير: محلّ نَحْرها منتهية إلى البيت العتيق. ثمّ يقول: لا شبهة في أنّ الفائدة التي هي أعظم المنافع نحرها؛ لكن[٣] جعل الفائدة وجوب نحرها، أو وقت وجوب نحرها، كما بيّن المصنِّف؛ وذلك لأنّ الوجوب تعريض المكلّف للثواب؛ فلذلك جعل الوجوب فائدة جليلة، وإذا كان الوجوب كذلك فوقت الوجوب أيضًا كذلك؛ لتعلُّقه بالوجوب؛ فلذلك جاز أن يكون ﴿مَحِلُّهَا﴾ بمعنى: وجوب نَحْرها، أو وقت وجوب نَحْرها.

قوله: **(لأنّ الحرَم)** متعلِّق بقوله: **(المراد)**.

قوله:[٤] **(وقيل: المراد بـ"الشعائر")** عطف مِن حيث المعنى على قوله: **(وهي الهدايا)**، ثم رَدّ المصنِّف هذا القول -وهو أن يكون المراد بـ"الشعائر":

---

١ ن: شرطًا.
٢ ن - الشَّوْط.
٣ ف ن: لك.
٤ ن: بقوله.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ٣٤﴾

شَرَعَ اللهُ تعالى لكلِّ أمَّةٍ أن يَنسُكوا له؛ أي: يَذبحُوا لوَجْهِه على وَجهِ التَّقرُّب، وجَعَل العلَّةَ في ذلك أن يُذكَرَ اسْمُه -تقدَّستْ أسماؤه- على النَّسائكِ.

وقُرئ ﴿مَنْسِكًا﴾ بفتح السين وكسْرِها، وهو مصْدرٌ بمعنى النُّسك، والمَكسُورُ يكونُ بمعنى المَوضع.

﴿فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْ﴾؛ أي: أَخلِصُوا له الذِّكر خاصَّةً، واجعَلوه لوَجهِه سالمًا؛ أي: خالصًا لا تشُوبُوهُ بإشراكٍ.

"المُخبِتُونَ": المُتَواضِعُون الخاشِعُون، من الخَبْتِ وهو المطمئِنُّ من الأرض.

وقيل: هم الذين لا يَظلِمُون، وإذا ظُلِموا لم يَنتصِرُوا.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٥ وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞۖ فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٣٦﴾

مناسك الحج كلّها- بأنّ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾ يدفع / هذا [١٥٧و]
القول؛ لأنّه لا يصحّ أن يقال: وجوب المناسك منتهية إلى البيت العتيق.

قوله: (**جَعَل العلّة في ذلك**) أي: في شرعه النسك. وقوله: (**أن يُذكر اسمه**) تنبيهًا على أنّ الغرض الأصليّ فيما يُتقرَّب به إلى الله تعالى أن يذكر اسمه.

قوله: (**وهو مصدر**) أي: أنّ "المنسك" بالفتح والكسر مصدر؛ ولكنّ المكسور يحتمل معنًى آخر، وهو أن يكون بمعنى الموضع؛ ولذلك قال: "يكون"...

قوله: (**أخلِصوا له الذِّكر**) هو معنى ﴿أَسۡلِمُواْ﴾ مع مَعموله، أعني: "له"؛ لكن مع قطع النظر عن تقديمه، وأشار إلى فائدة التقديم بقوله: (**خاصّة**). وأشار بقوله: (**الذِّكر**) إلى أنّ مفعول ﴿أَسۡلِمُواْ﴾ محذوف، أي: أسلِموا الذكر له،

وقرأ الحسن: "والمقيمي الصلاةَ" بالنَّصب على تقدير النُّون.

وقَرأ ابن مَسْعود: "والمقيمين الصلاةَ" على الأصْل.

"البدنُ": جمعُ بَدَنةٍ؛ سُمِّيتْ لعِظَم بدَنِهَا وهي الإبلُ خاصَّةً.

ولأنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أَلْحقَ البَقر بالإبل حين قال: «البَدَنَةُ عن سبعةٍ والبَقرةُ عن سَبْعةٍ» ....

والمراد بـ"الذكر" هو المشار إليه بقوله: ﴿لِيَذْكُرُواْ﴾، فمعنى "أسلِموا الذكر له": اجعلوا الذكر لوجهه سالمًا، أي: خالصًا. وأمّا فائدة تقديم "له" فقد مرّ.

قوله: (**وقرأ الحسَن**: "**وَالمُقِيمِي الصَّلَوٰةَ**")[1] نظير قراءة الحسَن في الحذف قوله:

الحافظو[2] عورةَ العَشيرة لا يأتيهمُ مِن وَرائهم نُطَفُ[3]

"النُّطف": التلطّخ بالعَيب.

قوله: (**على تقدير النون**) يعني: أن النون حذِفت؛ لطول الكلام.

قوله: (**وقرأ ابن مسعود**)...[4] إلخ، نظير قراءة ابنِ مسعود:

همُ الآمرونَ الخيرَ والفاعلونه إذا ما خَشُوا مِن مُفظِعٍ[5] الأمر جانِبا[6]

واعلم أنّ الاستشهاد في الحاشية بالبيت على قراءة ابن مسعود غير محتاج إليه؛ فإنّ الإعمال مع إبقاء النون أكثر مِن أن يُحصى[7] وأظهر مِن أن يُحتاج إلى الاستشهاد، نعم قد يستشهد العلماء بهذا البيت على إبقاء النون مع الاتصال بالضمير في "الفاعلونه"،[8] فإنّ ذلك قليل.

قوله: (**سمّيت**) أي: سمّيت البَدَنة: بَدَنةً.

---

[1] قراءة شاذّة، ونسبها ابن جنّي إلى ابن أبي إسحاق، قال: "ورويت عن أبي عمرو". انظر: **المحتسب** لابن جنّي، ٢/٨٠.

[2] في الأصول الخطّيّة: "الحافظوا" بالألف.

[3] انظر: **خزانة الأدب** للبغدادي، ٤/٢٧٢، وقد نسبه إلى عمرو بن امرئ القيس الخزرجي.

[4] وهي كذلك قراءة شاذّة. انظر: **مختصر شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ٩٧.

[5] ن: مقطع.

[6] أنشده سيبويه بلفظ:

هُمُ القائلونَ الخيرَ والآمِرونه إذا ما خَشُوا من مُحدثِ الأمْرِ مُعْظَمَا

انظر: **الكتاب** لسيبويه، ١/١٨٨.

[7] ف ن: تحصى.

[8] ن: الفاعلية.

فَجعَل البقرَ في حُكم الإبل= صارت البَدَنةُ في الشَّريعة متناوِلةً للجِنْسين عند أبي حنيفة وأصحابِه رحمهم الله، وإلّا فَالبُدْنُ هي الإبلُ وعليه تَدُلُّ الآية.

وقرأ الحَسَن: "والبُدُنَ" بضمَّتين كثُمُر في جَمع ثَمرَةٍ، وابنُ أبي إسحاق بضمَّتين وتشديدِ النونِ على لفظِ الوقف.

وقرئ بالنَّصب والرفع؛ كقوله: ﴿وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ﴾ [يس ٣٦/٣٩].

﴿مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: من أَعلام الشريعةِ التي شَرَعَها اللهُ تعالى، وإضافتُها إلى اسمه تعظيمٌ لها.

قوله: (عند أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله)[1] وهي مختصّة بالإبل عند الشافعيّ رضي الله عنه؛[2] لقوله تعالى: ﴿جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾... الآية، والإشعار بالطعن أو بالتقليد ونحرها[3] قيامًا غير متعارَف في البقر، وأيضًا فعطفه صلّى الله عليه وسلّم البقرة على البَدَنة[4] يقتضي أن لا يطلَق البدَنة على البقرة،[5] فاستدلالهم ضعيفٌ.

قوله: (وإلّا فالبُدْن) أي: وإن لم يكن النظر إلى الإلحاق المذكور لَما صحّ الإطلاق على البقر، فإنّ البُدن هي الإبل.

قوله: (وعليه تدلّ[6] الآية) أي: على أنّ البدن هي الإبل خاصّة، حيث قال تعالى:[7] ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّ﴾، فإنّ النحر على تلك الهيئة لا يكون إلّا في الإبل، وكذا قوله تعالى:[8] ﴿فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا﴾، فإنّ سقوط الجُنوب بعد النحر مختصّ بالإبل.

قوله: (أي: مِن أعلام الشريعة) يريد: أن "الشعائر": جمع الشعيرة، وهي العلامة، ولمّا كانت البدن علامةً مِن علامات الدِّين -لأنّ الله تعالى شرَع نحرَها

---

[1] انظر: الهداية للمرغيناني، ١/١٥٠.

[2] د - رضي الله عنه. | انظر: المجموع للنووي، ٨/٤٨٠.

[3] ن: ونحوها.

[4] قال فيه الزيلعي: «غريب بهذا اللفظ»، أي: مِن قوله صلى الله عليه وسلم. انظر: تخريج أحاديث الكشّاف، ٢/٣٨٧. وأخرج مسلم عن جابر ابن عبد الله، قال: «نحرنا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عام الحديبية البدَنة عن سبعة، والبقرة عن سبعة». صحيح مسلم، ٢/٩٥٥ (١٣١٨).

[5] ن - البقرة.

[6] ن: ترك.

[7] ف - تعالى.

[8] ن - تعالى.

﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ كقوله: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ [الحج ٣٣/٢٢]، ومن شأن الحَاجِّ أن يَحْرِصَ على شيءٍ فيه خيْرٌ ومَنافعُ بشهادةِ الله.

عن بعض السَّلَف: أنَّه لم يَملك إلَّا تسعةَ دنَانيرَ فاشتَرى بها بدنةً، فقيل له في ذلك؟ فقال: سمِعْتُ ربِّي يقُولُ: ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾.

وعن ابن عبَّاس: دنيا وآخرةً.

وعن إبراهيم: مَن احتاج إلى ظَهْرِها رَكِب ومَن احتاج إلى لَبَنها شَرِب.

وذكرُ اسمِ الله: أن يقول عند النحر: "الله أكبَرُ الله أكبَرُ، لا إله إلا الله والله أكْبَر، اللّٰهمَّ منك وإليك".

﴿صَوَآفَّ﴾: قائمَاتٍ قد صَففْنَ أيديَهُنَّ وأَرجُلَهنَّ.

وقرئ: "صَوَافِنَ" من صُفُون الفَرَسِ، وهو أن يقومَ على ثلاثٍ ويَنصِبَ الرَّابعةَ على طَرَفِ سُنْبُكِه؛ ....

للأضحية وغيرها- سمّى الله تعالى: "شعائر"، وإنّما أضافها[1] تعالى إلى اسمه تعظيمًا لها، كـ"بيت الله"، و"ناقة الله".

[١٥٧ظ] قوله: (**بشهادة الله**) أي: ثبت فيه / خيرٌ بشهادة الله تعالى.

قوله: (**مِنك وإليك**)[2] أي: حصل لنا هذه مِنك؛ لأنّك خلقتها وأعطيتها،[3] ونُوجّهها[4] إليك، ونصرفها[5] في سبيلك.

قوله: (**سُنبُكه**) السُنبُكُ: طرف مُقدَّم الحافر، والجمع السنابك، فعلى هذا قول المصنِّف: (**طرف سُنبُكه**) مِن إضافة العامّ إلى الخاصّ، ويجوز أن لا يكون مِن إضافة العامّ إلى الخاصّ؛ بل إنّما أضاف الظرف إليه؛ لأنه لا يقوم على تمام السُنبُك؛ بل على بعضٍ مِنه.

---

١ ن + الله.
٢ ف + أي: تقربًا إليك.
٣ ن: وأعطتها.
٤ ن: وتوجهها.
٥ ن: وتصرفها.

لأنَّ البدَنةَ تُعقَلُ إحدى يَديها فتقُومُ على ثلاثٍ.

وقرئ: "صوافيَ"؛ أي: خَوالِصَ لوجه الله تعالى.

وعن عَمرو بن عُبَيْدٍ رحمه الله: "صَوافنًا" بالتنوين عوضًا من حرف الإطلاق عِندَ الوقف.

وعن بعضهم: "صَوَافٍ"، نحوَ مَثَلِ العربِ: "أَعطِ القَوْسَ بارِيهَا" بسكون الياءِ.

"وُجوبُ الجُنُوبِ": وقُوعُها على الأَرض، مِن وَجَب الحائطُ وَجْبةً: إذا سقَط، ووَجَبَتِ الشَّمسُ جِبةً: غَرَبتْ. والمعنى: فإذا وَجَبَتْ جُنوبُها وسَكَنَتْ نَسَائسُها حَلَّ لكم الأكلُ منها والإطعامُ.

"القانع": السَّائلُ، من قَنَعْتُ إليه وكَنَعْتُ: إذا خَضعْتَ له وسَأَلْتَه، قُنُوعًا.

و"المعترُّ": المُتعرِّض بغير سؤالٍ.

أو "القانعُ": الراضي بما عنده وبما يُعطَى من غير سؤالٍ، من قَنِعْتُ قَنَعًا وقنَاعةً، و"المعترُّ": المتعرِّض بالسؤال.

وقَرأ الحسنُ: "وَالمُعتَرِي"، وعرَّه وعَرَاه واعَتَرَّه واعتَراهُ: بمعنًى.

قوله: **(لأنّ البَدَنة)** متعلّق بقوله: **(مِن صُفُون)**، يريد: أن ذلك على طريق التشبيه،[١] شبّه[٢] قيامها على ثلاث بصُفُون الفرس.

قوله: **(وعن بعضهم: "صَوَافٍ")**[٣] أصل ﴿صَوَافٍ﴾: صوافي؛ لكن حُذف الياء[٤] كما في حال الرفع في "جَوارٍ"، وإنّما شبّهه المصنِّف بهذا المثل إشارةً إلى أنّه سكون في حال النصب، فصار مثل "جَوارٍ" حال الرفع.

قوله: **(نسائسُها)** أي: بقيّة أنفاسها، جمع نسيسة، وهي النفَس.

قوله: **(أو ﴿ٱلْقَانِعَ﴾: الراضي بما عنده)** قال الشاعر:

---

١ ن: النسبية.

٢ ن: سنه.

٣ شاذّة، وكذا كلّ القراءات التي ذكرها الزمخشري غير ﴿صَوَآفَّ﴾ بالتشديد والنصب. انظر: **مختصر شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ٩٨.

٤ ن: الباء.

وقرأ أبو رجَاء: "القَنِعَ" وهو الرَّاضي لا غيرُ، يُقال: قَنِعَ فهو قنِعٌ وقَانعٌ.

﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ مَنَّ اللهُ على عباده واستَحمدَ إليهم بأنْ سَخَّر لهم البُدنَ مِثلَ التسخير الذي رَأوا وعَلِمُوا، يأخذُونها مُنقادةً للآخِذ طَيِّعَةً فيُعقِلونها ويُحبِسُونَهَا صافَّةً قوائِمَهَا ثمَّ يَطْعَنون في لَبَّاتها، ولولا تسخيرُ الله لم تُطَقْ ولم تَكُنْ بأعجزَ من بعض الوحُوش التي هي أصغَرُ مِنْهَا جِرمًا وأقَلُّ قوَّةً، وكفَى بما يَتَأبَّدُ من الإبِل شاهدًا وعِبْرةً.

العبدُ حرّ إن قَنِعْ والحرُّ عبدٌ إن قَنَعْ
اقنَعْ ولا[1] تَقْنَعْ فما شيءٌ يَشينُ سوى الطمَعْ[2]

ويجوز أن يكون المراد بـ﴿ٱلْقَانِعَ﴾: مَن يَرضى ويقنَع بما يُعطى ولا يَسخَطه ولا يَستقلّه، قال في **شرح السنّة**: «عن محمّد بن عليّ: أنّه كان إذا أعطى السائلَ شيئًا فيَسخَطه انتزعه مِنه فأعطاه غيره. وروي أنّ محمّد بن عليّ[3] أعطى مِن لحم بَدَنة نَحَرَها سائلًا، فأبى أن يأخذه، كأنّه استقلّه، فقال: ليس إلّا هذا، فعزله محمّد، ثمّ إنّ السائل رجَع فقال: أعطنيها،[4] فقال: «لا نعطيك، أمرنا الله تعالى أن نعطيَ القانع، فلم تَقنع[5] أنت بما أُعطيتَ»».[6]

قوله: (**وقرأ أبو رجاء**:[7] **"القَنِعَ"**)[8] "القَنِعَ": أبلغ مِن القانع.

قوله: (**واستحمد إليهم**) أي: طلب الحمد مِنهم بأن -أي: بسبب أن- سخّرها لهم، كأنّه قال: وجّه الأمر إليهم طالبًا الحمد مِنهم حيث قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، أي: سخّرها لكم لتشكروا، أو إرادة أن تشكروا.

قوله: (**مثل التسخير**) هو معنى قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾، أي: مثل ذلك التسخير. وقوله: (**يأخذونها**) ابتداء كلام مِن المصنّف؛ لبيان التسخير.[9]

---

[1] ن: فلا.

[2] نسبه كمال الدين الغزّي إلى الإمام الشافعي. انظر: **النعت الأكمل** للغزّي، ص ١٣٥.

[3] ن - أنّه كان إذا أعطى السائل شيئًا فيَسخَطُه انتزَعه مِنه فأعطاه غيره، وروي أن محمّد بن علي.

[4] ن - فقال: أعطنيها.

[5] ن - فلم تقنع.

[6] **شرح السنة** للبغوي، ٢١٠/٦.

[7] ن - وقرأ أبو رجاء.

[8] وهي شاذّة. انظر: **المحتسب** لابن جنّي، ٨٢/٢.

[9] ن: السخير.

﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾

أي: لن تُصيبَ رضا اللهِ اللُّحومُ المتصدَّقُ بها ولا الدِّماءُ المُهراقَةُ بالنَّحر، والمرادُ: أصحابُ اللحوم والدِّماء، والمعنى: لن يُرضيَ المضَحُّونَ والمُقرِّبونَ رَبَّهم إلَّا بمُراعَاةِ النِّيَّة والإخلاصِ والاحتفاظِ بشُروط التَّقوى في حِلِّ ما قُرِّبَ به، وغيرِ ذلك من المحافظات الشرعيَّةِ وأوامرِ الوَرع، فإذا لم يُراعُوا ذلك لم تُغْنِ عنهم التَّضحيةُ والتَّقريبُ وإنْ كَثُرَ ذلك منهم.

قوله: (**والمراد: أصحاب اللحوم**) يوهم أنّ المعنى على أنّ المضاف محذوف ههنا، وأنّ التقدير: لن[1] ينال[2] رضى الله تعالى أصحاب اللحوم والدماء؛ ولكن تناله[3] التقوى، والتحقيق أنّ المعنى ليس على حذف المضاف مِن ﴿لُحُومُهَا﴾ و﴿دِمَآؤُهَا﴾؛ بل أصل الكلام: لن ينال المُضحّون رضى الله بلحومها ولا[4] بدمائها؛ ولكن ينالونه[5] بالتقوى؛ فأسند الفعل -أعني: ﴿يَنَالَ﴾- إلى السبب، أي: ليس سبب نيل رضى الله تعالى اللحوم والدماء، وإنّما سببه التقوى، وإليه أشار المصنف بقوله: (**والمعنى**)... إلخ، ويتوجّه أن يقال: المضاف محذوف مِن المواضع كما أشار إليه، أي: لن ينال الله أصحاب اللحوم والدماء؛ ولكن ينال رضى الله أصحاب التقوى. ثمّ إنّ حاصل المعنى يئول إلى ما أشار إليه المصنِّف بقوله: (**والمعنى لن**[6] **يُرضي**)... إلخ. ثمّ اعلم في قوله تعالى:
[١٥٨و] ﴿مِنكُمْ﴾[7] فائدة جليلة، وهي الإشارة إلى / أنّ المعتبر هو التقوى الذي هو صفة المضحّي المتّقي،[8] لا الأمور الخارجة كاللحم والدم.

قوله: (**وأوامر الورع**) الإضافة فيه معنوية بمعنى اللام، فإن الورع لما كان هو الحامل على تلك الأشياء جعل تلك الأوامر للورع. وقوله: (**لم تُغنِ**)

---

١ ن: ان.
٢ ف ن: تنال.
٣ ف ن: يناله.
٤ ن - ولا.
٥ ف ن: يناله.
٦ ف: أن.
٧ ن: بينكم.
٨ ن: المثقي.

وقرئ: ﴿لن تَنَالَ... ولكنْ تنالُه﴾ بالياء والتاء.

وقيل: كان أهلُ الجاهلية إذا نحرُوا البُدْنَ نضَحُوا الدِّماء حَول البيتِ ولَطَّخُوه بالدَّم، فلمَّا حجَّ المُسلمون أرادُوا مِثْلِ ذلك فنزلت.

﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾ كرَّر تذكيرَ النِّعمة بالتسخير ثم قال: لتَشكرُوا الله على هدَايتِه إيَّاكم لأعْلامِ دِينه ومَناسك حجِّهِ بأَن تُكبِّرُوا وتُهلِّلُوا، فاختُصِر الكلامُ بأن ضُمِّن التكبيرُ معنَى الشكرِ وعُدِّي تَعْديتَهُ.

أي: لم تُجْزِء[١] عنهم ولم يَنُب مناب التقوى، مِن الغَناء -بالفتح والمدّ- بمعنى: الإجزاء والكفاية، يقال: أغنيت عنك مُغْنى فلانٍ ومُغناته، إذا أجزأتَ عنه ونبُتَ منابَه وكفيت كفايته.

قوله: (مِن المحافظات) بيان "غير".

قوله: (وقرئ: ﴿لَن تَنَالَ ٱللَّهَ﴾)... إلخ، يعني: أنه قرئ: ﴿تَنَالَ﴾[٢] مؤنَّثًا[٣] فيهما؛ لتأنيث الجماعة، وتأنيث ﴿ٱلتَّقْوَىٰ﴾، وقرئ مُذكَّرًا أيضًا فيهما، وهو ظاهر.[٤]

قوله: (بأن ضُمِّن التكبير) أي: ضُمِّن "تُكبِّروا" معنى: تشكروا مُكبِّرين، هكذا يُفهم مِن التعدية التضمينيّة؛[٥] لكنّ المصنِّف ذكر[٦] بطريق آخر كما ترى، وأقول: الصواب في تحقيق المعنى أن يقال: المراد بالشكر هنا: نحرها شكرًا لنعمة الهِداية إلى أعلام[٧] دينه، أي: تنحروا مكبّرين عند النحر، ويدُلّك على أنّ المعنى ما ذكرناه التأمّل في قوله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾، أي: سخَّر البُدْن لكم؛ لتنحروها شكرًا على هدايته تعالى إيّاكم لأعلام دينكم مكبِّرين عند النحر. والحمد لله على التوفيق.

---

١ ن: يجزء.
٢ ن - ينال.
٣ ن: منونًا.
٤ وهي قراءة صحيحة قرأ بها يعقوب مِن العشرة، وقرأ الباقون بالياء مذكّرًا. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٣٢٦.
٥ ن: التضميفية.
٦ ن - ذكر.
٧ ن: علام.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨﴾

خَصَّ المؤمنين بدَفعِه عنهم ونصرَته لهم كما قال: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غافر ٥١/٤٠]، وقال: ﴿إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ﴾ [الصافات ١٧٢/٣٧]، ﴿وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞ﴾ [الصف ١٣/٦١].

وجعَل العِلَّةَ في ذلك أنَّه لا يُحبُّ أضدَادَهُم، وهُم الخَونَةُ الكفرةُ الذين يَخُونُون الله والرَّسُولَ ويخونُون أَماناتِهم ويكفرون نِعَم الله ويَغمِطُونَها.

ومَن قرأ: ﴿يُدَٰفِعُ﴾ فمَعناه: يُبالغ في الدَّفع عنهم كما يُبالِغ مَن يُغالِب فيه؛ لأنَّ فِعلَ المُغالبِ يَجيءُ أَقوى وأَبلغَ.

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩﴾

﴿أُذِنَ﴾ و﴿يُقَٰتَلُونَ﴾ قُرئَا على لفظ المَبنيِّ لِلفاعِل والمفعول جميعًا، والمعنى: أُذِنَ لهم في القِتال، فحُذِف المَأذونُ فيه لدلالةِ ﴿يُقاتِلون﴾ عليه.

قولـه: (**وقـال تعالـى: ﴿إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ﴾**) ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ﴾ [الصافات ١٧١/٣٧-١٧٢].

قوله:[١] (**ويَغْمِطونها**) غَمَط النعمة: استحقرها، وقال عليه السلام: «الكِبْر أن تَسفَه الحق، وتَغْمِطَ الناس»،[٢] وأمّا قول المصنِّف: "ويَغْمِطونها" مِن العطف للبيان.

قوله: (**قُرئا**) كلا القراءتين في اللفظين مِن السبعة.[٣]

قوله: (**لأنّ فعل المُغالِب**)[٤] متعلِّق بقوله: (معناه: يبالغ) أي: معنى ﴿يُدَٰفِعُ﴾: يبالغ في الدفع؛ لأنّ ﴿يُدَٰفِعُ﴾ للمغالبة، وفعل المُغالب يكون أقوى؛ لأنّه يفعله في مقابلة فِعل الغير؛ ليغلِب غيره.

---

١ ن - قوله.

٢ بلفظه في جامع مَعمر بن راشد، ٢٧١/١١ (٢٠٥٢٠). وهو في صحيح مسلم، ٩٣/١ (٩١)، بلفظ: «الكبر بطَر الحقّ، وغَمْط الناس».

٣ ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾: المدنيّان وحفص. ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ﴾: البصريّان وشعبة وإدريس بخُلف عنه. ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ ابن عامر. ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ﴾: ابن كثير وحمزة والكسائي وخَلَف بخُلف عن إدريس. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٢٦/٢.

٤ ن: المالب.

﴿بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ﴾؛ أي: بسَببِ كونِهم مَظلومِين، وهُم أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم: كان مُشْركُو مكّة يُؤذونهم أذًى شَدِيدًا، وكانوا يأتُونَ رسُولَ الله من بَين مَضْروبٍ ومشجُوجٍ يتَظَلَّمُون إليه فيقول لهُم: «اصْبِروا فإنِّي لمْ أُومَرْ بالقتال» حتَّى هَاجَر فأُنزلت هذه الآيةُ، وهي أوَّل آيةٍ أُذِنَ فيها بالقِتال بَعْدَ ما نُهي عَنه في نَيِّفٍ وسَبْعين آيةً.

وقيل: نزلَتْ في قَوم خَرجُوا مُهَاجِرين فاعترَضهم مُشركو مكّةَ فأُذِنَ لهم في مقاتَلتِهم.

والإخبارُ بكونه قَادرًا على نَصْرهم عِدَةٌ منه بالنَّصر واردةٌ على سَنَن كَلام الجبَابرة، وما مرَّ مِن دَفْعه عن الذين آمنوا مُؤذِنٌ بمِثلِ هذه العِدَة أيضًا.

قوله: (مِن بين مضروب)[١] "مِن" للابتداء متعلِّق بـ(يأتون)، وليس المراد بقوله: "مضروبٍ" شخصًا واحدًا، ولا بـ(مشجوج)؛ بل المراد بهما: الجنس، فكأنّه قال: مِن بين المضروبين والمشجُوجين؛ لأنّ بعضهم كانوا مضروبين وبعضهم مشجوجين، فجاءه صلّى الله عليه وسلّم بعض مِن هؤلاء وبعض مِن هؤلاء. وقوله: (يتظلّمون) التظلّم: الشكاية مِن الظلم. وقوله: (في نَيِّف) النيِّفُ: الزيادة، يُخفَّف ويُشدَّد،[٢] يقال: عشرة ونيْف، ومئة ونيّف، وكلّ ما زاد على العقد فهو نَيِّف، حتّى يبلغ العقد الثاني، ونيَّفَ فلانٌ على السبعين، أي: زاد.

قوله: (وما مرّ)... إلخ، يدلّ على أنّ معنى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ﴾ ليس الإخبار عن أنّه تعالى يدفع عنهم؛ بل هو حكاية الأحوال الماضية، وفي ضِمنه الوعد بأنّه تعالى ينصر المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُواْ﴾ قال الواحدي في **الوسيط**: «قال سيبويه:[٣] هذا مِن الاستثناء المنقطع، المعنى: لكن بأن يقولوا: ربّنا الله، أي: / أخرَجوهم بتوحيدهم».[٤] [١٥٨ظ]
وأنا أقول: على هذا الوجه الذي نقله الواحدي عن سيبويه يكون التقدير:

---

١ سبب نزول الآية ذكره الثعلبي في **الكشف والبيان**، ٣٧٢/١٨ (الحج، ٣٩/٢٢)، وعزاه للمفسّرين.

٢ ف: تخفّف وتشدّد.

٣ ن: سيبوية.

٤ ن: يتوحيدهم. | **التفسير الوسيط** للواحدي، ٢٧٣/٣ (الحج، ٤٠/٢٢).

﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٍ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠﴾

﴿أَن يَقُولُواْ﴾ في محلِّ الجرِّ على الإِبْدَالِ من ﴿حَقٍّ﴾؛ أي: بغَيرِ مُوجِبٍ سوَى التَّوحيدِ الذي ينبَغي أن يكون مُوجِبَ الإقرارِ والتمكينِ لا مُوجِبَ الإخراجِ والتَّسْيير، ومثْلُهُ: ﴿هَلۡ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [المائدة ٥/٥٩].

دَفعُ الله بعضَ الناس ببعضٍ: إظهارُه ....

لكنّ إخراجهم بسبب قولهم: "ربّنا الله" حاصل أو ثابت، فالباء متعلِّق بمحذوف، هو اسم "لكنّ"، والخبر محذوف، فإنّ "إلّا" في الاستثناء المنقطع بمعنى "لكنّ"، وخبرُه يكون محذوفًا غالبًا.

قوله: (أي: بغير[١] موجب) فسّر المصنِّف "الحقّ" بالموجب، فيكون مِن: حَقَقْتُه أحُقُّه، أي: أُثْبتُه، فيكون "الحقّ" بمعنى[٢] المثبِت، وهو الموجِب، فإنّه لم يكن[٣] للإخراج سبب مُثبِت عندهم إلّا قولهم: ربّنا الله، وهو كلمة التوحيد، وذلك موجِب مثبِت عندهم لإخراجهم، وبهذا المعنى يظهر مشابهته لقوله[٤] تعالى: ﴿هَلۡ تَنقِمُونَ﴾ [المائدة ٥/٥٩]؛ لأنّهم ما كانوا ينقِمون[٥] مِنهم إلّا الإيمان، فيكون مِن باب تأكيد المَدحِ بما يشبه الذمّ، كقوله:[٦]

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنّ سيوفَهم   بهِنّ[٧] فُلولٌ مِن قِراع الكتائبِ[٨]

قوله: (الإقرار) مِن القرار؛ الثبات. وقوله: (والتسيير)[٩] سيَّره[١٠] مِن البلاد، أي: أخرجه.

قوله: (إظهاره) مِن قولهم: ظهرتُ على الرجل؛ غلبتُه، وأظهره الله على عدوّه.

---

١ د: لغير.
٢ ن + بمعنى.
٣ ن: بين.
٤ ن: كقوله.
٥ ف: ينتقمون.
٦ ف: لقوله.
٧ ن: به.
٨ للنابغة الذبياني في **ديوانه**، ص ٤٤.
٩ ن: والتيسير.
١٠ ن: سيرة.

وتسليطُه المسلمينَ منهم على الكافرين بالمجَاهَدة، ولولا ذلك لاستَولى المشركون على أهل المِلَلِ المختلِفة في أزمنتهم وعلى مُتعَبَّداتِهم فهَدمُوها ولم يَترُكوا للنَّصارى بِيَعًا، ولا لرُهبَانهم صَوامعَ، ولا لليهود صَلواتٍ، ولا للمسلمين مساجدَ.

أو لغَلَبَ المشركُون في أمَّة محمد صلى الله عليه وسلم على المُسلمين وعلى أَهْل الكتاب الذين في ذِمَّتهم وهَدَمُوا متعبَّداتِ الفريقين.

وقرئ: ﴿دفاع﴾ و: ﴿لَهُدِمَتْ﴾ بالتخفيف.

وسمِّيت الكنيسةُ "صلاةً"؛ لأنَّه يُصلَّى فيها، وقيل: هي كلمةٌ مُعرَّبةٌ أصْلُها بالعبرانيَّة: "صَلُوتا".

﴿مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾؛ أي: ينصُرُ دينَه وأَولياءَهُ، هو إخبارٌ من الله عز وجل بظهرِ الغَيبِ عما ستَكونُ عليه سيرةُ المُهَاجرين رضوان الله عليهم إنْ مكَّنهم في الأرض ....

وقوله: (مِنهم) أي: مِن الناس. وقوله: (بالمجاهدة) متعلِّق بـ"إظهاره" أو "تسليطه" على طريق التنازع.

قوله: (في أمّة محمّد عليه الصلاة والسلام) أي: في زمان أمّة محمّد عليه الصلاة والسلام؛ لأنّه في مقابلة قوله: (على أهل المِلل[١] المختلفة في أزمِنتهم).

قوله: (هو إخبار) يعني: قوله:[٢] ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ﴾... إلخ. وقوله: (بظهْر الغيب) حال مِن قوله: (الله)، وهو متعلِّق بمحذوف، و"الظَّهر" مقحمة، و"عمّا" متعلِّق بـ"الإخبار"، والمعنى: أن الله تعالى أخبر عن الغيب قبل وقوعه، فكأنّ المصنِّف قال: أخبر الله تعالى غائبًا[٣] عن المخبَر عنه، وأنا أقول: الله تعالى لا يغيب علمه عن شيء، ولا يغيب شيء عن علمه، فإنّه عالم بما كان وبما هو كائن وبما سيكون؛ لكنّ علمه تعالى بالشيء قبل وقوعه -أي: تعلّقه به قبل وقوعه- مغاير لتعلُّقه به عند وقوعه، فإنّه[٤] تعالى يعلم قبل وقوع الشيء أنّه يقع،

---

[١] ن: الملك.
[٢] ن: قول.
[٣] ن: غالبًا.
[٤] ن: فإني.

وبَسَط لهم في الدُّنيا، وكيف يَقُومونَ بأمْر الدِّين.

﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمۡ فِى ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾

وعن عثمان رضي الله عنه: هذا واللهِ ثَناءٌ قبلَ بلاء.

يريدُ: أن الله قَد أثنى عَليهم قَبل أَن يُحْدِثُوا من الخَيْر ما أَحْدَثوا.

وقالوا: فيه دليلٌ على صحَّة أمر الخلفاء الراشدين؛ لأن الله لم يُعْطِ التمكينَ ونَفَاذَ الأَمر مع السِّيرةِ العَادلةِ غيرَهُم من المهاجرين، لا حَظَّ في ذلك للأنصار والطُّلَقاء.

وعن الحسن: هم أمةُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم.

ويعلم حال وقوعه أنّه واقع، ولا يجوز أن يقال: يعلم قبل وقوعه أنّه واقع؛ فلذا[١] أطلق المصنّف ذلك الكلام.

قوله: (**وبسط**) مفعول "بسط" محذوف، أي: بسط لهم النعمة.

قوله: (**وكيف يقومون**) عطف على قوله: (**إخبار... عمّا ستكون**) مِن حيث المعنى، فكأنّه قيل: وإعلام كيف يقومون.

قوله: (**قبل بلاءٍ**) هو الصنيع الحسن.

قوله: (**والطُّلقاء**) المراد بـ"الطُّلقاء" أهل[٢] مكّة؛ لأنّ رسول الله عليه الصلاة والسلام ملَكهم يوم الفتح ثمّ أعتقهم وأطلقهم، «أخذ النبيُّ عليه الصلاة والسلام بِعضادتَي الباب يوم الفتح، والصناديد في البيت كأنّهم موتى نشروا مِن الرَّمْسِ،[٣] فقال:[٤] كيف رأيتم صنيع[٥] الله تعالى؟[٦] فقالوا: ملكتَ فأسْجِحْ،

---

١ ن: فلذلك.
٢ ن: وأهل.
٣ يقال لما يُحثَى من التراب على القبر: رمس، والقبر نفسه: رمس. **لسان العرب** لابن منظور، «رمس».
٤ ف + لهم.
٥ ن: صنع.
٦ ف ن - تعالى.

وقيل: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ منصوبٌ بَدَلٌ من قوله: ﴿مَن يَنصُرُهُۥ﴾، والظَّاهر أنَّه مجرُورٌ تابعٌ لـ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ﴾.

﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾؛ أي: مَرْجِعُها إلى حُكمِه وتقديرِه، وفيه تأكيدٌ لِمَا وَعَده من إظهارِ أوليائه وإعلاءِ كلمتِهم.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوۡمُ إِبۡرَٰهِيمَ وَقَوۡمُ لُوطٖ ﴿٤٣﴾ وَأَصۡحَٰبُ مَدۡيَنَۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰۖ فَأَمۡلَيۡتُ لِلۡكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾﴾

يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم تسْليَةً له: لَسْتَ بأوْحَدِيٍّ في التكذِيب، فقد كذَّبَ الرُّسلَ قَبْلَك أقوامُهم وكفاك بهم أسْوةً.

فإن قلتَ: لم قيل: ﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾ ولم يُقَل: وقومُ مُوسى؟

قلتُ: لأنَّ مُوسى ما كَذَّبه قومُه بنو إسرائيل وإنَّما كَذَّبه غيرُ قومه وهم القِبْطُ.

فمنَّ عليهم وأعتقهم».[١] الإسْجاح -بالجيم ثمّ الحاء-: حُسْنُ العَفْو،[٢] يقال: ملكْتَ فأَسْجِحْ،[٣] ويقال: إذا سألت فأسْجِح، أي: سهِّل ألفاظك وارفقْ.[٤]

قوله: (**والظاهر أنّه مجرور**)، فقوله: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ﴾... إلخ جملة معترضة.

قوله: (**بأوحديّ**) / الياء في "أوحديّ" زيدت لتأكيد المعنى، كما في قولهم: أحمريّ، بمعنى الأحمر. [١٥٩و]

قوله: (**كفاك**) هو مِن قولهم: كفاه مؤنتَه،[٥] والصواب أنّه مِن قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾ [النساء ٧٩/٤]، والأصل: كَفَوْك إسوةً، فلمّا زاد الباء في الفاعل صار: كفاك بهم إسوة، فقوله: (**إسوةً**) نصب على الحال، والإسوة: مَن يُقتدى به، فكأنّه قيل: اقتَدِ بهؤلاء في تحمّل أذى القوم والصبر على تكذيبهم.

قوله: (**بنو إسرائيل**) بدل، أو عطف بيان.

---

١ انظر: **دلائل النبوّة** للبيهقي، ٥٧/٥.
٢ ن: العفو.
٣ ن: فأشجح.
٤ **الصحاح** للجوهري، «سجح».
٥ ن: مؤنثه.

وفيهِ شيءٌ آخَرُ: كأنه قيل بعد ما ذُكرَ تكذيبُ كلِّ قومٍ رسُولَهم: وكُذِّبَ مُوسى أيضًا مع وضوحِ آياتِه وعِظَمِ مُعجزاته فما ظنُّك بغَيْرِه؟

"النكير" بمعنى: الإِنْكارِ والتغييرِ، حيث أَبْدَلَهُم بالنِّعمة محنةً وبالحياة هلاكًا وبالعمارة خَرابًا.

﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾

كُلُّ مُرْتفِعٍ أظلَّك مِن سَقفِ بيْتٍ أو خَيمةٍ أو ظُلَّةٍ أو كَرْمٍ فهو "عَرْش".

و"الخاوي": الساقطُ، من خَوَى النَّجمُ: إذا سَقط. أو: الخالي، من خوَى المنزلُ: إذا خَلا من أَهْله، وخَوى بَطنُ الحامِل.

وقولُه: ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ لا يخلو من أن يتعلَّقَ بـ﴿خَاوِيَةٌ﴾ فيكُونَ المعنى: أنها ساقطةٌ على سُقُوفها؛ أي: خَرَّتْ سُقُوفُها على الأَرض ثم تهَدَّمتْ حي طَانُها فسَقطتْ فوقَ السُّقُوف. ....

قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي: إنكاري عليهم، وهو استفهام معناه: التقرير والتهويل، يقول: أنكرت عليهم ما فعلوا مِن التكذيب إنكارًا؛ بل أبدلتهم بالنعمة نقمة، وبالحياة هلاكًا، وبالعِمارة خرابًا، قال الزجّاج: «ثمّ أخذتهم فأنكرتُ أبلغ إنكار».[1] قال في **الصِّحاح**: «النكير والإنكار: تغيير المنكَر».[2]

قوله تعالى: ﴿وَهِىَ ظَالِمَةٌ﴾ المضاف محذوف فيه، أي: أهلها ظالمة، أو هي ظالمة أهلها.

قوله: **(الظُلَّةُ)** بالضمّ: كهيئة[3] الصُفّة.

قوله: **(فيكون المعنى: أنّها ساقطة)**... إلخ، الحاصل: أنّه إذا تعلّق بـ﴿خَاوِيَةٌ﴾[4] فإمّا أن يكون مفعولًا به بالواسطة، وإمّا أن يكون حالًا، فإن كان مفعولًا به

---

[1] **معاني القرآن** للزجّاج، ٤٣١/٣.
[2] **الصحاح** للجوهري، «نكر».
[3] ن: كهيته.
[4] ن: حاوية.

أو: أنها ساقطةٌ أو خاليةٌ مع بقَاء عرُوشها وسَلامتها.

وإمَّا أَن يكون خبرًا بعدَ خبر؛ كأنَّه قيل: هي خاليةٌ وهي على عُروشها؛ أي: قائمةٌ مُطِلَّةٌ على عرُوشها، على معنى: ....

كان ﴿خَاوِيَةٌ﴾ بمعنى ساقطة لا غير، وإن كان حالًا جاز أن يكون ﴿خَاوِيَةٌ﴾ بمعنى ساقطة أو خالية.

قوله: **(وسلامتها)** مِن العطف الذي يكون للبيان، إذ المراد مِن بقاء عروشها: سلامتها تحت الحيطان، فالحيطان[١] ساقطة مع بقاء العروش تحتها، ولم تنكسر تحتها السُّقوف. والأَولى أن نقول:[٢] في الكلام لفّ ونشر، أي: هي ساقطة على عروشها، أي: مع بقاء عروشها تحت الحيطان الساقطة عليها، يعني: لم تنكسر السقوف[٣] تحت الحيطان عليها، فهي باقية وإن سقطت عليها الحيطان، فيكون قوله: **(مع بقاء عروشها)** متعلِّقًا بقوله: "ساقطة"، وأمّا قوله: "وسلامتها" فهو متعلِّق بقوله: "خالية"، أي: أنّ تلك القرية خالية مع سلامة سُقوفها، والمراد بسلامة سقوفها: أنّها باقية على الحيطان لم تسقط مِنها على الأرض، والمراد بقولي: متعلِّق بـ"ساقطة" أو "خالية": ليس تعلُّق المعمول بالعامل؛ بل هو بيان اللفّ والنشر، وبالحقيقة هما متعلِّقان بمحذوف هو حال. ثمّ اعلم أنّ المعنى الأوّل -وهو أن يُحمل على البيان لا على اللفّ والنشر- أحسن، يدلّ عليه ما ذكره في تفسير ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾، ولا يخفى على المتأمِّل أنّ قول المصنِّف: "أنّها ساقطة مع بقاء عروشها وسلامتها" لا يخلو[٤] عن تعسُّف؛ فإنّ بقاء السُّقوف مع سقوط الحيطان عليها لا معنى محصَّلٌ تحته يَحْسُنُ التعبير عنه.

قوله: **(وإمّا أن يكون)** عطف مِن حيث المعنى على قوله: **(لا يخلو[٥] مِن أن يتعلَّق)**؛ لأنّه في معنى: إمّا أن يتعلّق.

قوله: **(مُطِلّةٌ)** أطلَّ -بالطاء غير المعجمة- معدًّى بكلمة "على"، ومعناه:

---

١ ن: الخيطان، فالخيطان.

٢ ن: يقول.

٣ ن - تحت الحيطان الساقطة عليها، يعني: لم تنكسر السقوف.

٤ ن: لا يخلوا.

٥ ن: لا يخلوا.

أن السُّقوف سَقطت إلى الأرض فصَارت في قَرار الحِيطانِ وبقيت الحيطَانُ ماثلةً فهي مُشرفةٌ على السُّقوف السَّاقطة.

فإن قلتَ: ما مَحلُّ الجُملتين من الإعراب، أعني: ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾؟

قلتُ: الأُولى في مَحلِ النَّصب على الحال، والثانيةُ لا مَحلَّ لها؛ لأنَّها معطوفةٌ على ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ وهذا الفعلُ ليس له مَحَلٌّ.

قرأ الحسن: "مُعْطَلَةٍ" من أَعطَله بمَعْنى: عَطَّلهُ.

ومعنَى المعَطَّلَةِ: أنَّها عَامرةٌ؛ فيها الماءُ ومعها آلاتُ الاستِقاء، إلا أنها عُطِّلَت؛ أي: تُرِكَتْ لا يُستَقَى مِنها لهَلاك أَهْلها.

و"المَشيدُ": المُجَصَّص، أَو المرفوعُ البُنيَانِ.

والمعنى: كم قَريةٍ أَهْلكنَا، وكم بئرٍ عَطَّلنَا عن سُقَاتِها، وقصْرٍ مَشيدٍ أَخليناه عن سَاكنيهِ، ....

أوفى عليه بطلله، أي: بشخصه، أي: مشرفه، وأمّا أظلّ / -بالظاء المعجمة- فمعدًّى بنفسه، وقال عليه الصلاة والسلام: «أيّها الناس قد أظلَّكم شهر عظيم».[1] [١٥٩ظ]

قوله: **(في قرار الحيطان)** أي: في مستقرّها، والقَرار: المستَقرّ.

قوله: **(ماثلةً)** أي: قائمةً منتصبةً، مِن المُثول.

قوله تعالى: ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ قرأ أبو عمرو: ﴿أَهْلَكْتُهَا﴾، والباقون: ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾.[2]

قوله: **(ليس له محلّ)** هذا إذا نصبت "كأيّن" بما دلّ عليه ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾، وأمّا إن رفعتَ "كأيّن" مبتدأ، ﴿مِن قَرْيَةٍ﴾ صفته، أو ﴿مِن قَرْيَةٍ﴾ بيان؛ لأنّ ﴿قَرْيَةٍ﴾ بمعنى: قُرى، خبره ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾؛ فمحلُّ ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ رفع عطف على الخبر.

قوله: **(و"المَشيد": المُجَصَّص)** قال في **المُجمل**: «الشِيد: الجَصّ، يقال: قصرٌ مَشيد؛ معمول بالشِيد، والمُشيَّد: المُطوَّل».[3]

---

١ **صحيح ابن خزيمة**، ١٩١/٣ (١٨٨٧).

٢ وافق أبا عمرو في قراءته يعقوب أحد العشرة. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٣٢٧/٢.

٣ **مجمل اللغة** لابن فارس، «شيد».

فتُرِكَ ذلك لدَلالةِ ﴿مُعَطَّلَةٍ﴾ عليه، وفي هذا دليلٌ على أنَّ ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ بمعنى "مع" أوجَهُ.

ورُوي: أنَّ هذه بِئرٌ نزَلَ عليها صَالِحٌ عليه السلام مع أربعةِ آلافِ نَفرٍ ممَّن آمَن به، ونجَّاهُم الله من العذاب، وهي بحَضْرَمَوْتَ، وإنَّما سُمِّيت بذلك؛ لأنَّ صالحًا حين حضَرها ماتَ، وثَمَّ بلْدَةٌ عنْدَ البئر اسْمُهَا: حَاضُورَاءُ، بنَاها قومُ صالحٍ وأَمَّرُوا عليهم جَلْهَسَ بن جُلاسٍ وأقاموا بها زمانًا، ثم كَفرُوا وعَبدُوا صنمًا، وأرسَل الله تعالى إليهم حَنْظَلَةَ بن صفوانَ نبيًّا فقتَلُوهُ، فأَهْلكهم الله وعَطَّل بئرَهُم وخَرَّبَ قُصورَهم.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾

يَحتمِل أنهم لم يسافروا فحُثُّوا على السَّفر ليَرَوْا مَصارِعَ مَن أهلَكهمُ الله بكُفرهم، ويُشاهِدُوا آثارَهم فيَعتبِرُوا، وأنْ يَكونوا قد سَافرُوا ورَأَوا ذلك؛ ولكنْ لم يَعتَبرُوا، فجُعلوا كأَنْ لم يُسَافِرُوا ولم يَروا.

قوله: (**فتُرك ذلك**) أي:[١] ترك ذِكر "أخليناه[٢] عن ساكنيه" في قوله تعالى:[٣] ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾.

قوله: (**وفي هذا دليل**) يعني: ما فسّر به قوله: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾، وإنّما كان أوجه ليكون معناه: هي معمورة باقية سقوفها وحيطانها، إلّا أنّها خليت مِن ساكنيها، حتى يوافق في المعنى قوله: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾، فيتوافق معاني الثلاثة.

قوله: (**ونجّاهم الله**) عطف على "نزل".

قوله: (**عند البئر**) بدلٌ مِن "ثَمّ".

---

١ ن - أي.
٢ ن: أصليناه.
٣ ن - تعالى.

وقرِئ: "فيكونَ لهم قلوبٌ" بالياء.

﴿يَعۡقِلُونَ بِهَا﴾؛ أي: يَعقِلُون ما يجب أن يُعقَل من التَّوحيد، ويسمَعون ما يجب سماعُه من الوَحي.

﴿فَإِنَّهَا﴾ الضميرُ ضميرُ الشأن والقصَّةِ يَجيءُ مُذكَّرًا ومُؤنَّثًا، وفي قراءةِ ابن مسْعود: "فإنَّه".

ويجُوز أَنْ يكون ضميرًا مُبْهَمًا تُفسِّره ﴿ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ وفي ﴿تَعۡمَى﴾ راجعٌ إِلَيْهِ.

والمَعنى: أنَّ أَبْصَارَهم صَحيحةٌ سَالمةٌ لا عَمَى بها وإنما العَمَى بِقلُوبهم،

قوله: (**الضمير ضمير الشأن**)[١] أي: الضمير في ﴿فَإِنَّهَا﴾،[٢] وقراءة ابن مسعود رضي الله عنه[٣] تدلّ على أنها ضمير الشأن[٤] والقصّة.[٥]

قولـه: (**ويجـوز أن يكـون ضميـرًا مبهَمًـا**) أي: يجـوز أن يكـون الضميـر فـي ﴿فَإِنَّهَا﴾، وفـي ﴿تَعۡمَى﴾ ضميـر، هـذا على تقدير أن يكـون[٦] الضميـر فـي ﴿فَإِنَّهَا﴾ ضميـرًا مبهَمًـا، فإنّـه لا بـدّ علـى هـذا الوجـه أن يكـون فـي ﴿تَعۡمَى﴾ أيضًـا ضميـر، إذ لـولا ذلـك وكان ﴿ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ فاعـل ﴿تَعۡمَى﴾ لا يكـون لذلـك[٧] الضميـر المُبهـم مُفسِّـر،[٨] ومثلـه لا يجـوز، فوجـب[٩] تقديـر الضميـر فيـه ليكـون ﴿ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ مفسِّـرًا.

قولـه: (**والمعنى**)... إلخ، اعلـم أنّ المراد بـ﴿ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ على الوجه **الأوّل**: أبصار الكفّار المعنيّين بقوله تعالى:[١٠] ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ﴾، وعلى الوجه **الثاني**: ﴿ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ مطلقًا.

---

١ ف: البيان.

٢ ن: إنها.

٣ د - رضي الله عنه. | انظر: **معاني القرآن للفرّاء**، ٢٢٨/٢.

٤ ف: البيان.

٥ ن: والقصد.

٦ د ف: نكون.

٧ ن: كذلك.

٨ ف: مفسِّرًا؛ ن: تفسير.

٩ ن: موجب.

١٠ ن - تعالى.

أو: لا يُعتدُّ بِعَمَى الأَبصار فكأنَّه ليس بعمًى بالإضافةِ إلى عَمَى القُلُوبِ.

فإن قلتَ: أَيُّ فائدةٍ في ذكر الصُّدور؟

قلتُ: الذي قد تُعُورِفَ واعتُقِدَ أَنَّ العَمى على الحقيقة مكانُه البَصرُ، وهو أنْ تُصَابَ الحَدقةُ بما يَطْمِسُ نورَها، واستعمالُه في القلب استعارةٌ ومَثَلٌ، فلمَّا أُريدَ إثْبَاتُ ما هو خلافُ المُعتقَد من نِسبَة العَمى إلى القُلُوب حقيقةً ونفيُه عن الأَبصار احتاجَ هذا التَّصويرُ إلى زيادةِ تَعيينٍ وفَضْلِ تعْريفٍ لِيَتَقرَّرَ أَنَّ مكانَ العَمى هو القلوبُ لا الأَبْصَار؛ كما تقُول: "ليس المَضَاءُ للسَّيف؛ ولكنَّه لِلِسانكَ الذي بينَ فَكَّيكَ" فقولُكَ: "الذي بَين فكَّيكَ" تَقريرٌ لِمَا ادَّعَيتَه لِلِسَانِه وتَثبيتٌ؛ لأن محلَّ المَضَاء هو هو لا غَيرُ؛ وكأَنَّكَ قلتَ: ما نَفيتُ المَضَاءَ عن السَّيف وأثبتُّه لِلِسَانِك فَلْتَةً ولا سهوًا منِّي؛ ولكنْ تعمَّدْتُ به إيَّاهُ بعَيْنه تعمُّدًا.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾

أنكر استعجَالَهمُ بالمتَوعَّد به ....

قوله: (**أو لا يُعتدّ**[١] **بعمى الأبصار**) روي أنّ ابن أم مكتوم سأل النبيّ عليه الصلاة والسلام حين نزلت:[٢] ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ [الإسراء ٧٢/١٧]، فنزلت: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ﴾.[٣]

قوله: (**فكَّيكَ**) الفكُّ: اللَّحْيُ، يقال: مَقتل الرجل بين فكَّيه.

قوله: (**لأنّ محلّ**) هذه وَصلٌ متعلِّق بقوله: (**تثبيتٌ**)، وليس بتعليل، تقديره: وتثبيتٌ لاختصاص اللسان بكونه محلًّا للمَضاء.

قوله: (**هو هو**) **الأوّل** يعود إلى "المحلّ"، **والثاني** إلى "اللسان".

قوله: (**فَلْتةً**)[٤] أي: فجأةً وبديهةً مِن غير رَويّة.

---

١ ن: يقيد.

٢ ن: تنزلت.

٣ انظر: **الكشف والبيان** للثعلبي، ٣٨٣/١٨ (الحج، ٤٦/٢٢).

٤ ن: فكته.

من العذاب العَاجِل والآجلِ؛ كأنَّه قال: ولِمَ يَستَعجِلون به كأنَّهم يُجوِّزُونَ الفَوتَ؟ وإنَّما يَجُوزُ ذلك على ميعادِ مَن يَجُوز عليه الخُلْفُ، واللهُ عزَّ وجل لا يُخلِف الميعَاد، وما وعَدَه لَيُصيبَنَّهم ولو بَعْدَ حينٍ، وهو سبحانه حَليمٌ لا يَعجَلُ، ومِن حِلْمه ووَقَاره واستقْصَارِه المُدَدَ الطِّوالَ أنَّ يومًا واحدًا عنده كألفِ سَنةٍ عِنْدكم.

وقيل: معناه: كيف يستعجلُون بعذابِ مَن يَومٌ واحدٌ مِن أيَّام عَذابهِ في طُولِ ألفِ سنةٍ من سِنِيكم؟ لأنَّ أيام الشدائد مُستَطالةٌ.

أو كأنَّ ذلك اليومَ الواحدَ لشدَّةِ عَذابه كألفِ سنةٍ من سِنِي العَذاب.

وقيل: ﴿وَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ﴾ في النَّظِرَةِ والإمْهَال.

قوله: (**مِن العذاب العاجل**)... إلخ، المراد بـ"العاجل": عذاب الدنيا، وبـ"الآجل": عذاب الآخرة، قال في **الوسيط**: «الأجَل:[1] مِن التأخير، يقال: أجَلَ يأجُل أُجولًا إذا تأخَّر، والآجِل: نقيض العاجِل».[2]

قوله: (**وإنّما يجوز ذلك**) أي: الفَوت.

قوله: (**ومِن حِلمه**) أي: حِلم الله تعالى هو تأخير عقوبة مَن يستحقّ العقوبة.

قوله: (**واستقصاره المُدَدَ[3] الطِّوالَ**) قال رحمه الله:[4] مراعاة الطرفين؛ وهو أنّ مدّة[5] الإنظار يومٌ عند الله، / وألفُ سنة عندهم، فهم يستطيلون ويستعجلون، [١٦٠و]
وهو يستقصرها فلا يَعجل.

قوله: (**وقيل: معناه**) عطف على قوله: (**كأنّه قال**).

قوله: (**أو كأنّ**) عطف على[6] (**في طُول ألف سنة**)؛ لأنّ معناه: أو كأنّه كألف سنة، واسم الإشارة مع صفته واقعٌ مَوقع الضمير.

قوله: (**وقيل: ﴿وَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ﴾**) عطف على قوله: (**أنكر**)، وعلى هذا القول لا يكون ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ﴾ إنكار الاستعجال؛ بل يكون إخبارًا عن استعجالهم

---

١ ف: الآجل.
٢ **التفسير الوسيط** للواحدي، ٤٠١/١ (البقرة، ٢٨٢/٢).
٣ ن: الرد.
٤ ف ن: رضي الله عنه.
٥ ن: مرد.
٦ ف ن + قوله.

وقرئ: ﴿تَعُدُّونَ﴾ بالتاء والياء.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾

ثم قال: وكم من أَهْلِ قريةٍ كانوا مِثلَكُم ظالمينَ قد أَنظَرْتُهم حينًا ثم أَخَذْتُهم بالعَذاب، والمرجعُ إليَّ وإلَى حُكمِي.

فإن قلتَ: لمَ كانت الأُولى مَعْطوفةً بالفاء وهذه بالواو؟

قلتُ: الأُولى وقعَتْ بدلًا عن قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الحج ٢٢/٤٤] وأمّا هذه فحُكْمُها حُكمُ ما تقدَّمها من الجملتين المَعطُوفتين بالواو، أعني قولَه: ﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾

يقال: "سَعَيْتُ في أَمْر فُلانٍ": ....

هُزوًا بالعذاب وبوقوعه، فيقول تعالى: فهم وإن أنكروا وقوع العذاب ويستهزئون به فنحن لا نخلِف الوعد في الإنظار.[١]

قوله: (**ثم قال**) يريد: أنّ هذا ينطبق على كلا القولين، أعني: أن يكون المعنى إنكار استعجالهم، وأن يكون المعنى: لن[٢] يُخلف وعده في النظرة، فهو عطف على جملة قوله: "أنكر"... إلخ، فكأنّه قال: "أنكر"، "وقيل"، "وقيل"،[٣] "ثم قال".

قوله: (**قد أنظرتهم**) الإنظار: الإمهال.

قوله: (**فإن قلت: لمَ كانت الأُولى؟**) أي: ﴿فَكَأَيِّن﴾ الأولى.

قوله: (**بدلًا عن قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾**) وهو في معنى الخبر؛ لما بيّنا.

---

١ ن + ثم.

٢ ن: أن.

٣ ف ن – وقيل.

إذا أَصْلحَهُ أَو أَفسَدَهُ بسَعْيه.

و"عاجَزهُ": سَابَقه؛ لأنَّ كُلَّ واحدٍ منهما في طَلَبِ إعجازِ الآخَرِ عن اللَّحاق به، فإذا سَبَقه قيل: أَعجزَهُ وعَجَّزهُ.

والمعنى: سَعَوا في معناها بالفَساد: من الطَّعن فيها حيث سَمَّوها: سِحْرًا وشِعرًا وأساطيرَ، ومِن تَثبيط الناس عنها سابقينَ أو مُسَابِقينَ في زَعْمهم وتَقدِيرهم طامعين أنَّ كَيدَهُم للإسلام يَتمُّ لهُم.

فإن قلتَ: كان القياسُ أن يقال: إنَّما أَنا لكُم بشيرٌ ونذيرٌ؛ لذِكر الفَريقين بعده؟

قلتُ: الحديثُ مَسُوقٌ إلى المشركين، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ نِداءٌ لهم، وهُم الذين قيل فيهم: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ﴾ [الحج ٤٦/٢٢] ووُصِفوا بالاستعجال، وإنما أُقحِم المؤمنُون وثوَابُهم ليُغَاظُوا.

قوله: **(إذا أصلحه)** ظرف لمحذوف دلّ عليه: **(يقال)**، أي: يقوله القائل إذا أصلحه.

قوله: **(وعاجَزَه)** المُعاجَزة متقدِّمة على الإعجاز والتعجيز، كما أنّ المسابَقة متقدِّمة على السَبْق؛ فلذلك قال: "عاجَزَه: سابَقَه، فإذا سبَقه قيل: أعجَزَه".

قوله: **(فإن قلت: كان القياس)**... إلخ، يدور في خاطري أنّ الصواب في جوابه: أنّ النبيّ عليه الصلاة والسلام نذير لجميع الناس؛ لأنّه يُخبِر الجميع أنّ مَن لم يؤمن أو لم يعمل بالطاعة يصيبه العذاب، وهذا التخويف ليس مختصًّا بالكافرين، فيكون قوله تعالى: ﴿نَذِيرٌ﴾ موافقًا لذِكر الفريقين، وملائمًا للفاء في ﴿فَٱلَّذِينَ﴾. وأمّا على ما ذكره المصنِّف فلا يكون دخول الفاء ظاهر الملائمة؛ لأنّه صريح في التفصيل للكلام المتقدِّم، فإذا كان ذكر المؤمنين إقحامًا لا يكون مِن تفصيل ما تقدَّم في شيء.

قوله: **(و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ نداءٌ لهم)** على ما قال بعض المفسّرين: كلّ ما في **القرآن** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فهو خطاب لأهل مكّة.[١]

---

١ عزاه الثعلبي إلى ابن عبّاس رضي الله عنهما. انظر: **الكشف والبيان للثعلبي**، ١٥٥/٣ (البقرة، ٢١/٢).

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢﴾

﴿مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ دليلٌ بيِّنٌ على تغايُر الرَّسول والنَّبيّ، وعن النَّبيّ صلى الله عليه وسلم أنَّه سُئل عن الأنبياء فقال: «مئةُ ألْف وأربعةٌ وعشرُونَ ألفًا» قيل: فكَم الرُّسُل منهم؟ قال: «ثلاثُ مئة وثلاثةَ عشَرَ جَمًّا غفيرًا».

والفرقُ بينَهما: أنَّ الرسول من الأنبياء: مَن جَمَعَ إلى المُعجزة الكتابَ المُنزَلَ عليه، والنبيُّ غيرُ الرسول: مَن لم يُنْزَلْ عليه كتابٌ، وإنَّما أُمِرَ أن يَدْعُوَ إلى شَريعةِ مَن قَبلَهُ.

والسَّببُ في نزُول هذه الآية: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لمَّا أَعْرَض عَنه قومُه وشَاقُّوه، وخالفَه عشيرتُه ولم يُشَايِعوهُ على ما جاء به، تمنَّى لفَرْطِ ضَجَرِه من إعرَاضِهم ولحِرْصِه وتهَالُكِه على إسلامهم أن لا يُنزَلَ عليه ما يُنفِّرهُم، لعَلَّه يَتَّخذُ ذلك طرِيقًا إلى استمَالتِهم واستنزالِهم عن غيِّهم وعنَادهم، فاستمرَّ به ما تمنَّاهُ حتى نزَلت عليه سُورة ﴿وَٱلنَّجۡمِ﴾ وهو في نادي قومِه وذلك التَّمنِّي في نفسِه، فأخذ يَقرؤهَا فلمَّا بلغ قولَه: ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ [النجم ٢٠/٥٣] ﴿أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ التي تمنَّاهَا؛ أي: وَسوسَ إليه بمَا شَيَّعها به،

قوله: (وعن النبيّ عليه الصلاة والسلام أنه سئِل عن الأنبياء) قيل: الأَولى أن لا يُتعرض لعدَد الأنبياء؛ لقوله تعالى: ﴿مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَ﴾ [غافر ٧٨/٤٠]، ولا نُؤمن في ذكر العدد أن يَخرجَ[١] مِنهم مَن هو فيهم أو يَدخُلَ[٢] فيهم مَن هو ليس مِنهم.[٣] وأما حديث أبي ذرّ فمِن الآحاد،[٤] والمشهور ما قَصّ الله على نبيّه.

قوله: (جَمًّا) ابتداء كلام، أي: كانوا جمًّا غفيرًا.

قوله: (بما شيَّعها به) يقال: شيَّعه عند الرحيل، وشيّع الضيف، أي: تَبِعه،

---

١ ن: نخرج.
٢ ن: ندخل.
٣ انظر: **شرح العقائد النسفيّة** للتفتازاني، ص ٨٩.
٤ حديث أبي ذر في مسند الإمام أحمد، ٦١٩/٣٦ (٢٢٢٨٨). قال الهيثمي: «ومداره على عليّ بن يزيد، وهو ضعيف». **مجمع الزوائد** للهيثمي، ٤٧٣/٢.

فسَبَقَ لسَانُه على سبيل السَّهو والغلطِ إلى أَن قال: تلك الغَرانيقُ العُلَى وإنَّ شفَاعَتَهنَّ لَتُرْتجَى -ورُوي: الغرانِقَةُ- ولم يَفْطُنْ له حَتَّى أَدركَتْه العِصْمةُ فَتنبَّه عليه.

وقِيل: نبَّهَهُ جِبْرِيل عليه السلام.

أو تَكلَّم الشيطانُ بذلك فأسْمَعه الناسَ، فلمَّا سجَد في آخرهَا سجَد مَعه جميعُ مَن في النَّادِي وطابَتْ نفوسُهم. وكان تمكينُ الشَّيطانِ من ذلك مِحْنةً من الله وابتلاءً زاد المُنافقُون بهِ شكًّا وظُلمةً والمؤمنُون نورًا وإيقانًا.

فالضمير المستتر في "شيَّع" يعود إلى "ما"، والبارز المنصوب إلى "الأمنيّة"، والمجرور إلى النبيّ عليه الصلاة والسلام، أي: وسوس الشيطان إلى النبيّ عليه الصلاة والسلام بشيء جعل ذلك الشيء الموسوَسُ به النبيَّ عليه الصلاة والسلام تابعًا لتلك الأمنيّة، والمراد بكونه تابعًا لأمنيّته: أن جرى على لسانه ما كان سببًا لاستنزالهم عن غيّهم ولاستمالتهم، والمُشيَّعة:[١] الشاة التي لا تتبع الغنم لضعفها وعَجَفِها؛ بل تحتاج إلى مُشيّع وسائق، مِن: شيَّع الراعي إبله إذا / صاح فيها فتنساق، وتشايَع[٢] بعضها بعضًا، «وفي الفائق: بكسر الياء؛ وهي التي لا تزال تَتبع الغنم ولا تلحقها لِهُزالها، مِن: شيَّع الضيف إذا تَبِعه».[٣] [١٦٠ظ]

قوله: (**تلك الغرانيق العُلى، وإن شفاعتهنّ لَتُرتَجى**) "الغرانيق": السادات، الغُرْنَيقُ -بضمّ الغين وفتح النون-: مِن طير الماء طويلُ العنق، وإذا وصف بها الرجال فواحدهم غِرْنَيْقٌ وغِرْنَوقٌ[٤] بكسر الغين وفتح النون فيهما، وغُرنُوقٌ بالضمّ، وغُرانِق؛ وهو الشابّ الناعم، والجمع: الغَرانق -بالفتح- والغَرانيق والغَرانِقة.[٥]

قوله: (**في آخرها**) أي: السورة.

قوله: (**سجد معه جميع**[٦] **مَن في النادي**) إلّا رجلًا أخذ قبضة مِن التراب فوضعها على جبهته حين لم يقدر على السجود؛ لكثرة الناس وازدحامهم.

---

١ ن: والمشية.

٢ ن: تشايع.

٣ **المُغرب** للمطرّزي، «شيع». وانظر: **الفائق** للزمخشري، ٢/٣٠٤.

٤ ن - وغِرْنَوْق.

٥ ن: والغرابقة. | **الصحاح** للجوهري، «غرق».

٦ ن: جمع.

والمعنَى: أنَّ الرُّسُل والأنبيَاء مِن قَبْلِكَ كانت هِجِّيرَاهُم كذلك؛ إذا تمنَّوا مِثْلَ ما تمنَّيتَ مَكَّن اللهُ الشَّيطانَ ليُلْقِي في أَمانيِّهم مِثْلَ مَا أَلْقى في أُمْنِيَّتك إرَادةَ امتحانِ مَن حَولَهم، واللهُ سبحانه له أن يمتحِنَ عباده بما شاءَ من صُنوفِ المحَن وأنواع الفِتَنِ؛ ليُضاعِفَ ثوابَ الثابتين ويَزيدَ في عقاب المُذَبذَبين.

وقيل: ﴿تَمَنَّىٰٓ﴾: قرأ، وأُنشِدَ:

تمَنَّى كتابَ الله أوَّلَ لَيْلِهِ   تمَنِّيَ داوُدَ الزَّبُورَ عَلى رِسْلِ

وأمنِيَّتُه: قِراءتُه.

وقيل: "تلك الغَرانيق" إشارةٌ إلى الملائكة؛ أي: هم الشفعاء لا الأصنام.

﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ﴾؛ أي: يَذْهَب به ويُبْطِلُه ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي: يُثبِتُها.

﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾

و"الذين في قلوبهم مرض": المُنَافقُونَ والشَّاكُونَ.

و"القاسيةُ قلوبهم": المشركونَ المكذِّبونَ.

﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يُريدُ: وإنَّ هؤلاء المنَافقين والمشركين، ....

قوله: (**هِجّيراهم**) كذلك الهِجِّير والهجّيريّ والأهجيريّ؛ الدأب والعادة. وقوله: (**كذلك**) إشارة إلى مبهَم يفسِّره قوله: (**إذا تمنَّوا**)... إلخ.

قوله: (**على رِسْل**)[1] أي: على الاتّئاد والسكينة؛ وهو ضدّ السرعة، يريد عثمانَ بن عفان رضي الله عنه.

قوله: (**﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾: المشركون**) هم الذين لا تلين قلوبهم لتوحيد الله.

---

[1] ن: رشد. | هو في **لسان العرب** لابن منظور، «منى»، بلفظ: "آخر ليله" بدل "أوّل ليلَة" وأنشد لغيره:

تَمَنَّى كتابَ الله أوّلَ لَيلِهِ   وآخِرَه لاقَى حِمامَ المَقادِرِ

وأصْلُه: وإنَّهُم، فوُضِع الظاهرُ مَوضعَ الضمير قَضَاءً عليهم بالظُّلم.

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾

﴿أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾؛ أي: ليَعْلمُوا أنَّ تمكينَ الشَّيطان من الإِلْقَاء هو الحقُّ من ربِّكَ والحكمةُ.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ إلى أَن يتأوَّلُوا ما يَتَشَابهُ في الدِّين بالتَّأويلاتِ الصَّحيحة، ويطلبُوا لِمَا أَشكَلَ منه ....

قوله:[١] (وأصله) أي: وأصل ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

قوله: (قضاء عليهم) متعلِّق بـ"وُضِع"، أي: وضع للحُكم عليهم.

قوله: (أنّ تمكين الشيطان) يعني: أنّ الضمير مِن قوله: ﴿أَنَّهُ﴾ عائد إلى الإلقاء الدالّ عليه ﴿يُلْقِى﴾؛ لكن في الكلام حذف، أي: تمكين الإلقاء، يعني: ليعلم الذين أوتوا العلم -أي: التوحيد والقرآن- أنّ تمكين الشيطان مِن الإلقاء هو الحقّ والحكمة، لمّا جعل إلقاء الشيطان فتنةً للكافرين في قوله تعالى: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ جعل إلقاءه حقًّا وحكمةً وهِدايةً للمؤمنين في قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ﴾.

قوله: (ما يتشابه في[٢] الدِّين)[٣] وهو الحقّ الذي يشبه الباطل، فإنّ وقوع مثل هذا الإلقاء يوهم أنّه باطل، فبيّن العلماء المحقّقون أنّه حقّ، وفيه حِكمة بالغة، فيتخلّصون بعلمهم مِن الحَيرة، ويُخلِّصون غيرهم مِنها، فيهتدون ويهدون غيرهم إلى الصراط المستقيم بتوفيق الله تعالى العليم الحكيم، اللّٰهم اجعلنا لهديهم متّبعين بفضلك العميم.

قوله: (ويَطلبوا) عطف على قوله: (يتأوّلوا)، فالتأوّل: طلب التأويل الصحيح، كما أنّ الطلب: طلب المَحمل الصحيح.

---

١ ن – قوله.
٢ ن – في.
٣ ن: الذين.

المَحمَلَ الذي تَقتضيه الأصُول المُحكَمةُ والقَوانينُ المُمَهَّدة، حَتَّى لا تَلحقَهم حَيْرةٌ ولا تَعترِيَهم شُبْهةٌ ولا تزِلَّ أقدامُهم.

وقُرئ: "لهادٍ الذين آمنوا" بالتنوين.

﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾﴾

الضمير في ﴿مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ للقرآن، أو للرَّسول صلى الله عليه وسلم.

"اليومُ العقيمُ": يومُ بدر، وإنما وُصِف يومُ الحربِ بالعقيم؛ لأن أولاد النساء يُقَتَّلُونَ فيه فيَصِرنَ كأنَّهنَ عُقْمٌ لم يَلِدْنَ؛ أو لأن المقاتِلين يُقال لهم: أبناءُ الحَرْب، فإذا قُتِلُوا وُصِفَ يومُ الحَرْب بالعقيم على سَبيلِ المجاز.

قوله: (**وإنّما وُصف يوم الحرب**) فيه حذف، كأنّه قال: المراد بـ"اليوم العقيم" يوم بدر؛ لوقوع الحرب فيه، وإنّما وصف...

قوله: (**لأنّ أولاد النساء**)... إلخ، وعلى هذا يكون قوله تعالى: ﴿يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ مجازًا في المرتبة الثانية؛ لأنّ المرأة التي قتل ولدها في الحرب سُمّيت عقيمًا مجازًا؛ لأنّها لمّا لم يكن لها ولد حينئذٍ فكأنّها عقيم، ثمّ نُسب العقيم إلى اليوم مجازًا ثانيًا؛ لأنّ عُقمهنّ[1] المجازيّ حصل في ذلك اليوم. وإنّما سمّيته "مجازًا في المرتبة الثانية"؛[2] لأنّ فيه مجازين: **أحدهما** في المفرد، **والثاني** في النسبة، وإلّا فالمشهور في المجاز في المرتبة الثانية أن يُعدَّى اللفظ مِن معناه المجازيّ إلى / مجاز آخر، فتأمّل. [١٦١و]

قوله: (**أو لأنّ المقاتلين**)... إلخ، فيه ما في الوجه الأوّل مع زيادة شيء آخر؛ لأنّ الحرب سمّيت عقيمًا مجازًا حين قتل أبناء الحرب فيه، ثمّ نسب العقيم إلى اليوم مجازًا ثانيًا، وهذا بعد[3] شيء آخر؛ وهو أن سُمّيَ المقاتلون أبناء الحرب مجازًا؛

---

١ ن: عمال.

٢ د ف + مجازًا.

٣ ن: يعد.

وقيل: هو الذي لا خَيْرَ فيه؛ يُقال: ريحٌ عقيمٌ: إذا لم تنشِئْ مَطَرًا ولم تُلقِحْ شجرًا.
وقيل: لا مِثلَ له في عِظَم أَمْرِه لقتال الملائكةِ فيه.
وعن الضَّحَّاك: أنَّه يومُ القيامة، وأَنَّ المُرادَ بـ﴿السَّاعة﴾: مقدِّماتُه.

للزومهم الحرب، ويسمّى هذا مجازًا موجَّهًا؛ لأنّه مجاز مِن وجهين،[1] مِن قولهم: ثوب موجَّه، إذا كان له[2] وجهان.

قوله: (**وقيل**:[3] **هو الذي**) عطف على قوله: "وإنّما وصف" مِن حيث المعنى، فكأنّه قيل: وصف يوم بدر بالعقيم؛ لأن أولاد النساء... إلخ، ولأنّه[4] الذي لا خير فيه. وقوله: (**وقيل**) أيضًا عطف عليه كذلك،[5] قال في **الوسيط**: «سمّى الله تعالى ذلك اليوم يومًا عقيمًا؛ لأنّه لم يكن للكفّار فيه بركة ولا خير، فهو كالريح العقيم التي لا تأتي بخير».[6]

قوله: (**وقيل: لا مثل له**) لمّا لم يكن لذلك اليوم مِثلٌ قيل للأسباب التي يُتوقع مِنها حصول مثل ذلك اليوم: عقيمًا مجازًا، ثم نسب إلى اليوم مجازًا ثانيًا. أو نقول: لمّا لم يكن له مثلٌ سُمّي[7] عقيمًا، فكأنّه عقِم عن ولادة مثله؛ لأنّ الولد مثل الوالد.

قوله: (**وعن الضحّاك**)[8] عطف على قوله: (**يومُ بدر**). وقوله: (**وأنّ المراد**) عطف على قوله: (**أنه يوم القيامة**)، وهو مِن تتمّة قول الضحّاك. وأمّا على[9] الوجه الأوّل فالمراد: ساعة موتهم، قال في **الوسيط**: «يعني: ساعة موتهم، أي: حتى يموتوا[10] أو يُقتلوا،[11] وهو قوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ يعني: يوم بدر».[12]

---

١ ن: وجهًا.
٢ ن – له.
٣ ن: قيل.
٤ ن: لأنّه.
٥ ن: لذلك.
٦ **التفسير الوسيط** للواحدي، ٢٧٧/٣ (الحج، ٥٥/٢٢).
٧ ن – عقيمًا مجازًا، ثم نسب إلى اليوم مجازًا ثانيًا. أو نقول: لمّا لم يكن له مثلٌ سُمّي.
٨ انظر: **جامع البيان** للطبري، ٦١٦/١٦ (الحج، ٥٥/٢٢)؛ **والدرّ المنثور** للسيوطي، ٧٠/٦ (الحج، ٥٥/٢٢).
٩ ن – على.
١٠ ن: يؤمنوا، أي.
١١ ن: ويقتلوا.
١٢ **التفسير الوسيط** للواحدي، ٢٧٧/٣ (الحج، ٥٥/٢٢).

ويجوز أن يُراد بـ﴿السَّاعة﴾ وبـ﴿يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾: يومُ القيامة، كأنَّه قيل: حتى تأتيَهم السَّاعةُ أو يأتيَهُم عَذابُها، فوُضعَ ﴿يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ مَوضعَ الضمير.

فإن قلتَ: التَّنوينُ في ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ عن أيِّ جُملةٍ يَنُوبُ؟

قلتُ: تَقديرُه: الملكُ يومَ يُؤمنُون، أو: يومَ تَزولُ مِرْيتُهم؛ لِقولِه: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٥٨ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ۝٥٩﴾

لمَّا جَمَعتْهم المُهاجَرةُ في سبيل الله سَوَّى بينهم في المَوعِد، وأن يُعْطى مَن ماتَ منهم مثلَ ما يُعطَى مَن قُتِل؛ تفضُّلًا منه وإحسَانًا، واللهُ عليمٌ بدرجاتِ العاملين ومراتبِ استحْقاقِهم ﴿حَلِيمٌ﴾ عن تفْريط المُفرِّط مِنهم بفَضْلِه وكرَمِه.

رُوي: أن طوائفَ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: يا نَبيَّ الله! هؤلاء الذين قُتلُوا قد علِمْنا ما أَعطاهم الله من الخير، ونحن نُجاهِد معَك كما جاهَدُوا، فما لنا إن مُتْنا معك؟ فأنزَل اللهُ هاتَين الآيتين.

قوله: (**ويجوز أن يراد**) ابتداء كلام مِن المصنِّف غير داخل في كلام الضحّاك.

قوله: (**قلت: تقديره: الملك يوم يؤمِنون**) أي: يؤمِن الذين كفروا، وهو يوم القيامة.

قوله: (**لقوله تعالى. ﴿وَلَا يَزَالُ﴾**) بيان لجواز كون التنوين عوضًا مِن كلّ واحد مِن الجملتين المذكورتين، فإنّه لمّا جعل إتيان الساعة غاية لِمِرْيتهم عُلِم أنهم حينئذٍ يؤمِنون، وحينئذٍ يزول مِريتهم،[١] فيجوز أن يكون التنوين عوضًا مِن أيهما قدّر.

قوله: (**سَوّى بينهم**)... إلخ، قال[٢] تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [النساء ٤/٦٦]، فهذه الآية تدلّ على أنّ ترك الوطن في حكم القتل.

---

١ ن: مرتبهم.

٢ ن + الله.

﴿ذَٰلِكَۖ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٦٠﴾

تسميَةُ الابتداءِ بالجزاء لمُلابَستِه له من حيث إنه سببٌ وذاك مُسبَّبٌ عنه؛ كما يَحملون النَّظيرَ على النَّظيرِ والنقيضَ على النَّقيض للمُلابَسة.

فإن قلتَ: كيف طابَقَ ذكْرُ "العَفوِ الغَفُورِ" هذا المَوضِعَ؟

قلتُ: المعَاقِبُ مَبْعوثٌ من جهةِ الله عزَّ وجلَّ على الإخلال بالعقاب والعَفوِ عن الجاني على طرِيق التَّنزيهِ لا التَّحريم، ومَندُوبٌ إليه ومُستَوجِبٌ عند الله المدْحَ إنْ آثَرَ ما نُدِبَ إليه وسَلك سَبيلَ التنزيه، فحين لم يُؤْثِرْ ذلك وانْتَصَرَ وعَاقَبَ، ولم يَنظُر في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى ٤٢/٤٠]، ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة ٢/٢٣٧]، ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى ٤٢/٤٣]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾؛ أي: لا يَلُومه على تركِ ما بَعثه عليه، وهو ضامنٌ لنَصْرِه في كرَّتهِ الثَّانيةِ مِن إخلاله بالعَفو وانتقامه من الباغي عليه.

قوله: (**تسمية[1] الابتداء بالجزاء**) المراد بالابتداء: قوله: ﴿عُوقِبَ﴾، والجزاء: قوله: ﴿عَاقَبَ﴾، وبالتسمية: تسميته عِقابًا؛ لأنّ ابتداء الفعل لا يسمّى عقابًا؛ لأنّ العقاب مِن العَقْبِ، وهو أن يَعقُبَ الفعلَ الأوّل. وقوله:[2] (**لملابسته له**) أي: لملابسة الأوّل للجزاء مِن حيث إنّ الأوّل سبب، والجزاء مُسبَّب. وقوله: (**كما يحملون**) أي: هذه التسمية مِن حملهم النظير.

قوله: (**قلت: المُعاقِبُ[3] مَبعوث**) أي: حمله على العفو[4] وندبَه إليه.

قوله: (**في كرَّته الثانية**) فإنّه يكون أخلّ بالعفو كرَّتين لو عاقب ثانيًا، فتكون هذه الكرّة هي الكرّة الثانية. وقوله: (**مِن إخلاله**) بيان "ترك ما بعثه"، أي: وإن عاقب بمثل ما عُوقب ولم يعفُ / وترك الخَصلة الأولى فإنّا ننصره ثانيًا إذا بُغِيَ [١٦١ظ]
عليه ولا نَخْذُله بسبب ترك ما هو أولى.

---

١ د ن: تسميه.
٢ ن: قوله.
٣ ن: العاقب.
٤ ن: العقب.

ويجوزُ أَن يَضْمَن له النَّصرَ على البَاغِي، ويُعرِّض مع ذلك بما كان أَوْلَى به من العَفو، ويُلَوِّحَ به بذكر هَاتيْنِ الصِّفتين.

أَو دَلَّ بذكر العَفو والمَغفرة على أنه قادرٌ على العُقوبة؛ لأنه لا يوصَف بالعَفْو إلَّا القادرُ علَى ضِدِّه.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٦١﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أي: ذلك النَّصرُ بسَبب أنَّه قادرٌ، ومن آياتِ قُدرتهِ البالغة أنَّه ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ أَو بسَبب أنَّه خالقُ اللَّيلِ والنَّهارِ ومُصَرِّفُهما، فلا يَخفَى عليه ما يَجري فيهما على أيدي عبادهِ من الخَيْرِ والشَّرِّ والبَغْيِ والإنصاف.

وأنَّه ﴿سَمِيعُۢ﴾ لِمَا يقُولُون ﴿بَصِيرٞ﴾ بما يفعلون.

فإن قلتَ: ما معنى إيلاجِ أَحدِ المَلَويْنِ في الآخر؟

قلتُ: تحصيلُ ظُلمةِ هذا في مكانِ ضياءِ ذاك بِغَيْبُوبة الشمس، وضيَاءِ ذاك في مكان ظُلمةِ هذا بطُلوعها؛ كما يُضيءُ السَّرَبُ بالسِّراج ويُظلِمُ بِفَقده.

وقيل: هو زيادتُه في أحدهما مَا يَنقُصُ من الآخَرِ من السَّاعات.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٦٢﴾

وقرئ ﴿يَدۡعُونَ﴾ بالياء والتَّاء.

وقرأ اليَماني: "وأَنَّ ما يُدْعَونَ" بلَفظِ المبنيِّ للمفعُول، ....

قوله: **(أو دلّ)** عطف على قوله: **(ويجوز أن يضمَن)**... إلخ؛ ليكون جوابًا ثالثًا.

قوله: **(أو بسبب أنّه خالق)** أي: ذلك بسبب أنه قادر، أو بسبب أنه عالم.

قوله: **(أحد المَلَوين)** المَلَوان: الليل والنهار، والواحد مَلًا[1] مقصورًا.

قوله: **(وقرأ اليمانيّ)** هو محمد بن السمَيْفَع.[2]

---

[1] ن: فلا.

[2] شاذّة. انظر: **مختصر شواذّ القرآن** لابن خالويه، ٩٨.

والواوُ راجعةٌ إلى ﴿ما﴾؛ لأنَّه في معنى الآلهةِ؛ أي: ذلك الوصفُ بخلقِ الليلِ والنَّهار والإحاطةِ بما يَجري فيهما وإدراكِ كلِّ قولٍ وفعْلٍ بسَببِ أنَّه اللهُ الحقُّ الثابتُ إلاهيَّتُه، وأنَّ كلَّ ما يُدْعَى إلهًا دُونه باطِلُ الدَّعوة، وأنَّه لا شيءَ أعْلى منه شَأنًا وأكبَرُ سُلطانًا.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۝٦٣ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝٦٤﴾

قرئ: "مَخْضَرَةٌ"؛ أي: "ذاتَ خَضِرٍ" على مَفْعَلةٍ كمَبْقَلةٍ ومَسْبَعةٍ.

فإن قلتَ: هَلَّا قيل: فأَصبَحَتْ، ولم صُرِفَ إلى لَفظ المضارع؟

قلتُ: لنُكْتةٍ فيه، وهي إفادةُ بَقاءِ أثرِ المَطرِ زمانًا بعدَ زمانٍ؛ كما تقول: "أَنعَمَ عَليَّ فُلانٌ عامَ كذا فأَرُوحُ وأَغدُوا شاكرًا له"، ولو قلتَ: "فرُحْتُ وغَدوْتُ" لم يَقعْ ذلك المَوقعَ.

قوله: **(والواو راجعة)** أي: على قراءة اليمانيّ.

قوله: **(والإحاطة)** عطف على قوله: "خلق"، فقد جعل المصنِّف ﴿يُولِجُ﴾ ههنا عبارة عن القدرة والعلم حيث أشار إليهما بقوله: **(ذلك)**، وقد جعله أوّلًا عبارةً عن أحدهما حيث قال: أو بسبب...، ولو قال ههنا: "أو الإحاطة" كان مناسبًا لِما ذكَره هناك، ولو قال هناك:[1] "وبسبب" لكان حسنًا؛ لأنّ إيلاج الليل في النهار وعكسه يدلّ على العلم كما يدلّ على القدرة؛ لأنّه مِن الأفعال المُحكَمة المُتقَنَة.

قوله: **(أي: ذاتَ خَضِر)** الخَضِر: الأخضر، قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾ [الأنعام ٦/٩٩]، أي: نباتًا أخضر.

قوله: **(بعد زمانٍ)** صفة "زمانًا".

قوله: **(لم يقع ذلك الموقع)** يجوز أن يكون إشارة إلى مَوقع مبهَم معتبر أمره، ويجوز أن يكون إشارة إلى مَوقع "أروح[2] وأغدو"،[3] يعني: لا يفيد فائدته.

---

١ ف - ولو قال هناك.
٢ ن: الروح.
٣ ف ن: وأغدوا.

فإن قلتَ: فما له رُفِعَ ولم يُنصَبْ جوابًا للاستفهام؟

قلتُ: لو نُصِبَ لأَعطَى ما هو عكسُ الغَرَضِ؛ لأن معناه إثبَاتُ الاخضِرار، فيَنقلبُ بالنَّصب إلى نفيِ الاخضِرار، مثالُه: أن تقول لصاحبكَ: "ألَمْ ترَ أنِّي أنعمتُ عَليك فتَشْكُرَ": إنْ نصَبْتَه فأنتَ نافٍ لشُكره شاكٍ تفريطَه فيه، وإنْ رَفعْتَه فأنتَ مُثبِتٌ للشكر.

وهذا وأمثَالُه مما يجبُ أن يَرغبَ له مَن اتَّسَمَ بالعِلم في علمِ الإعراب وتَوقيرِ أهله.

قوله: (**فإن قلت: فما لَه رُفِعَ**)... إلخ، اعلم أنّ هذا السؤال والجواب غير منقّح؛ لأنّ رؤية المخاطَب إنزال الماء ليست سببًا لاخضرار الأرض، فلا يستقيم بوجه أن يكون ﴿فَتُصۡبِحُ﴾ جواب الاستفهام؛ بل هو متعيّن للعطف على ﴿أَنزَلَ﴾، وإنّما عدل من الماضي إلى المضارع للمعنى الذي ذكر، وهذا بخلاف المثال الذي أورده، فإنّ رؤية المخاطَب الإنعام عليه يصحّ أن يكون[1] سببًا لشكره، وهذا وأمثاله مما يوجب التأمّل في المعاني وصحّتها دون النظر إلى صنعة الإعراب فحسب مِن غير اعتبار المعنى واستقامته. واعلم أنّه يمكن تحقيق ما قاله المصنِّف وتقرير صوابه؛ بأن يقال: معنى الآية: ألم يُنزِل الله مِن السماء ماءً، وذكر الرؤية ههنا؛ لتحقيق معنى الإنزال، لا أنّها مقصودة بالذات؛ بل هي مقحَمة لما ذكرنا، وإذا كان[2] كذلك فكأنّه قيل: ألم يُنزل الله مِن السماء ماءً فتصبح الأرض مخضرَّةً، فيكون كالمثال المذكور مِن حيث المعنى، فيكون السؤال موجَّهًا، ويكون جوابه ما ذكره المصنِّف رحمه الله[3] مِن أنّه يئول المعنى على تقدير النصب: ألم ينزِل الماء فما للأرض لم تَخْضرَّ؟

قوله: (**شاكٍ**) مِن الشكوى.

قوله: (**أن يرغَب له**) أي: لأجل هذا المقدار،[4] أي: يرغب لأجل ما ذكرت في علم الإعراب. وقوله: (**مَن اتّسم**)[5] فاعل "يرغب".

---

١ ف: تلون.
٢ ن – كان.
٣ د – رحمه الله.
٤ ن: القدر.
٥ ن: اسم.

﴿لَطِيفٌ﴾ واصلٌ عِلمُه أو فَضْلُه إلى كلِّ شيء ﴿خَبِيرٌ﴾ بمصالح الخلق ومنافعِهم.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾﴾

﴿مَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من البهائم مُذلَّلةً للرُّكوب في البرِّ، ومن المراكب جاريةً في البحر، وغير ذلك من سائر المسخَّرات.

وقرئ: "والفُلْكُ" بالرفع على الابتداء.

﴿أَن تَقَعَ﴾: كراهةَ أَن تَقع ﴿إِلَّا﴾ بمشيئته.

﴿أَحْيَاكُمْ﴾ بَعدَ أَن كُنتُم جَمادًا تُرابًا ونطفةً وعَلقةً ومُضغةً.

﴿لَكَفُورٌ﴾: لجَحُودٌ لِمَا أَفاض عليه من ضُرُوب النِّعم.

﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾

هو نهيٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ أي: لا تلتَفتْ إلى قولهم ولا تُمكِّنْهُم من أَن يُنازِعُوك، أو هو زَجرٌ لهُم ....

قوله: (كراهة أن تقع) وقال الكوفيّون: لئلا تقع.[١]

قوله: (هو نهيٌ لرسول الله عليه الصلاة والسلام) أي: لا تنازعهم أنت، كما تقول: لا يخاصمنّك فلان في هذا، أي: لا تخاصمه،[٢] وهذا جائز فيما يكون بين اثنين، ولا يجوز: لا يَضرِبَنّك فلان، وأنت تريد: لا تضرِبْه؛ وذلك أن المخاصمة / لا تَتِمُّ إلّا باثنين، فإذا ترك أحدهما فلا مخاصمة هناك. [١٦٢و]

قوله: (أو هو زَجْر) عطف على قوله: (هو نَهيٌ لرسول الله عليه الصلاة والسلام) يعني: يجوز أن يكون نهيًا للكفّار كما هو ظاهر اللفظ.

---

١ ف: يقع. | انظر: تفسير القرطبي، ٩٣/١٢ (الحج، ٦٥/٢٢).

٢ ن: يخاصمه.

عن التَّعرُّض لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمُنازَعَة في الدِّين وهم جُهَّالٌ لا عِلْمَ عندَهم، وهم كفَّارُ خُزاعةَ.

رُوي: أنَّ بُدَيْلَ بنَ ورقاءَ وبشرَ بن سُفيَان الخزاعِيَّين وغيرَهما قالُوا للمُسلمين: ما لكم تأكلون ما قَتلتُم ولا تأكلون ما قتَله اللهُ! يعنُون المَيتةَ.

وقال الزَّجَّاج: هو نهيٌ له عن مُنازَعتهم؛ كما تقول: لا يُضَارِبَنَّكَ فُلانٌ؛ أي: لا تُضارِبْه، وهذا جائزٌ في الفِعْل الذي لا يكون إلَّا بين اثنيْن.

﴿فِى ٱلْأَمْرِ﴾: في أمْرِ الدِّين، وقيل: في أمر النَّسَائكِ.

وقرئ: "فلا يَنْزِعُنَّكَ"؛ أي: اثبُتْ في دِينك ثباتًا لا يَطمعُون أن يَجذبُوك ليُزيلُوكَ عنه.

قوله: (**وهم جُهّال**) حال عن "هم"[1] في "لهم".

قوله: (**وهم كفّار**) ابتداء[2] كلام؛ لبيان المراد بالواو المحذوف في ﴿يُنَٰزِعُنَّكَ﴾، والأصوب أن يقال: "وهم جُهّال" حالٌ مِن الفاعل المحذوف للتعرّض، كأنّه قيل: نهى عن أن يتعرَّضوا وهم جُهّال، أي: عن أن يتعرَّضوا مع جهلهم.

قوله: (**في أمر النسائك**) جمع: النَّسيكة.[3]

قوله: (**قرئ: "يَنزِعُنَّكَ"**)[4] مِن النزْع بمعنى: الجَذْب، يقال: نزعتُ الشيء مِن مكانه أنزِعُهُ نَزْعًا؛ قلعتُه.

قوله: (**قال الزجّاج: "هو مِن نازعته"**) وجه ثانٍ[5] لهذه القراءة الشاذّة، ففيها وجهان: **الأوّل**: ما ذكره، وهو أنّه من النَّزع. **والثاني**: أنّه مِن النِّزاع؛ لكن مِن المغالبة. فلو كان قوله: "قال الزجّاج" بالواو -ليكون[6] عطفًا على التفسير الأوّل وهو قوله: (**أي: اثبُتْ**)... إلخ- لكان أوجَه. وهذا المنقول مِن الزجّاج غريب،

---

[1] ن: غرهم.
[2] ن: ابتداءً.
[3] النَّسِيكة: الذَّبيحة. **لسان العرب** لابن منظور، «نسك».
[4] انظر: **المحتسب** لابن جنّي، ٢/٨٥.
[5] ف ن: بان.
[6] ن + ليكون.

والمرادُ: زيادةُ التَّثبيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما يُهيِّجُ حميَّته ويُلْهِبُ غضبَه لله ولدِينه، ومنه قولُه عزَّ وعلا: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [القصص ٨٧/٢٨]، ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام ١٤/٦]، ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [القصص ٨٦/٢٨].

وهيْهاتَ أن تَرْتعَ هِمَّةُ رسُول الله صلى الله عليه وسلم حَوْلَ ذلك الحِمَى؛ ولكنَّه واردٌ عَلى ما قلتُ لك من إرادة التَّهييج والإلْهاب.

وقال الزجَّاج: هو من نازَعتُه فنزَعْتُه أَنزِعُه؛ أي: غَلَبْتُه؛ أي: لا يَغلِبُنَّكَ في المنَازَعة.

فإن قلتَ: لمَ جاءت نظيرَةُ هذه الآيةِ مَعطوفةً بالواو وقد نُزِعَت عن هذه؟

قلتُ: لأنَّ تلك وقعَت مع ما يُدانيهَا ويُنَاسبُها من الآي الوارِدة في أمر النسَائك فعُطِفَت على أَخواتها، وأمَّا هذه فواقعةٌ مع أبَاعِدَ عن معناها فلم تَجِدْ مَعْطِفًا.

﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٦٨ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝٦٩﴾

وهو أن يكون مِن باب المغالبة بالكسر[١] في المضارع مبقًى على أصله، قال رحمه الله[٢] في "فاعلتُه ففَعَلتُه": «يقال: 'أفعُله' إلّا إذا كان عينه أو لامه حرف حَلْقٍ، فإنّه يترك على ما[٣] عليه الاستعمال».[٤]

قوله: (**فإن قلتَ: لمَ جاءت؟**)... إلخ، هذه الآية قوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾، ونظيرتها قوله تعالى في هذه السورة: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الحج ٣٤/٢٢]؛ لأنه معطوف على قوله: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ۝ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ [الحج ٣٢/٢٢-٣٣]. وقوله: (**وقد نُزِعَتْ**) أي: الواو.

---

[١] ن: بالكسرع.

[٢] ف ن: رضي الله عنه. | ويعني به الزمخشري، ولم أعلم أين قاله، وعبارة الطيبي: "روي عن المصنف".

[٣] ن: بنا.

[٤] انظر: **الصحاح** للجوهري، «خصم».

أي: وإن أَبَوا لِلَجاجهم إلّا المجَادَلةَ بعد اجتهادِكَ أنْ لا يكُونَ بَينك وبينهم تَنَازُعٌ فادفعهُم بأنَّ الله أَعْلَمُ بأعمالكم وبقُبْحِها وبما تستَحِقُّون عليها من الجزاء فهو مُجازيكم به، وهذا وعيدٌ وإنذارٌ؛ ولكنْ برِفقٍ ولينٍ.

﴿ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ﴾ خطابٌ من الله للمؤمنين والكافرين؛ أي: يَفصِلُ بينكم بالثواب والعِقَاب، ومَسْلَاةٌ لرسُول الله صلى الله عليه وسلم ممَّا كان يَلْقَى منهم.

﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧٠ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَمَا لَيۡسَ لَهُم بِهِۦ عِلۡمٞۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٖ ٧١﴾

وكيفَ يَخفى عليه ما تعمَلُون ومَعْلُومٌ عند العُلماء بالله أنه يَعلم كلَّ ما يَحدُثُ في السَّماوات والأرض، وقد كتَبه في اللَّوحِ قبل حُدُوثه، والإحاطةُ بذلك وإثباتُه وحفظُه عليه يَسِيرٌ؛ لأنَّ العَالِمَ الذَّاتِ لا يتعَذَّر عليه ولا يمتنعُ عليه تعَلُّقٌ بمعلوم.

﴿وَيَعۡبُدُونَ﴾ ما لم يتمسَّكوا في صحةِ عبادته ببُرهانٍ سَماويٍّ من جهَةِ الوَحي والسَّمع، ولا ألجَأهُم إليها عِلمٌ ضروريٌّ، ....

قوله: (ومَسْلاةٌ) مَفعلة مِن: سَلوت عنه، وسُليت عنه، والسَّلوة:[١] رغَد العيش.

قوله: (وكيف يخفى؟) متعلِّق مِن حيث المعنى بقوله: "مَسْلاةٌ"، يعني: إنّما قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ﴾ للتسلية، لا لأنّه يريد بذلك بيان أنّه لا يخفى عليه شيء مِن ذلك؛ لأنّه يعلم النبيُّ وجميع العلماء بالله أنّه يعلم كلَّ ما يحدث، فعُلِم أنّ المراد به التسلية، وتحقيق هذا الموضع أن نقول: سلَّى رسولَ الله عليه الصلاة والسلام بقوله: الله يعلم بما يعملون، أي: أنا أعلم علمهم، فأجازي كلًّا على وجه يناسب[٢] عمله، ثم حقّق علمه بعملهم[٣] بقوله: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ﴾... إلخ.

قوله: (علمٌ ضروريٌّ) نكَّر قوله: "علمٌ"؛ ليشمل الضروريَّ والاستدلاليّ.

---

١ ن: والسلو.

٢ ن: تناسب.

٣ ن: بعلمهم.

ولا حَملَهُم عليها دليلٌ عقليٌّ ﴿وَمَا﴾ للّذين ارتكبُوا مثلَ هذا الظلمِ من أحَدٍ يَنصُرهم ويُصوِّبُ مذهبَهم.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾

﴿ٱلْمُنكَرَ﴾ الفظِيعَ من التَّجهُّم والبُسُور، أو: الإنكار؛ كالمُكرَم بمَعنى الإكرام، وقرئ: "يُعْرَفُ" و"المُنكرُ"، والسَّطوُ: الوثبُ والبَطشُ.

قرئ: ﴿ٱلنَّارُ﴾ بالرَّفع على أنه خبرُ مُبتدأ محذوفٍ؛ كأنَّ قائلًا قال: ما هُو؟ فقيل: ﴿النَّارُ﴾؛ أي: هو النَّارُ، وبالنَّصب عَلى الاختِصاصِ، وبالجرّ على البَدلِ من "شرٍّ".

﴿مِّن ذَٰلِكُمُ﴾: من غَيظِكُم على التَّالِينَ وسَطْوِكُم عَليهم، أو: ممَّا أَصَابكم من الكراهَة والضَّجَر بسَبب ما تُليَ عَليْكم.

﴿وَعَدَهَا ٱللَّهُ﴾ استئنافُ كَلامٍ، ....

قوله: (مِن التجهّم)[1] رجلٌ جَهْمُ الوجه، أي: كالِح الوجه عَبوسُه، تقول منه:[2] جَهَمْتُ الرجل وتجَهَّمْتُه إذا كلَحْتَ.[3]

قوله: (وقرئ: "يُعرَفُ" والمُنكَرُ")[4] يعني: مَن قرأ: "يُعرَفُ" مبنيًّا للمفعول قرأ: "المُنكَرُ" بالرفع، وهو ظاهر، فقوله: "والمُنكَرُ" عطف على قوله: "يُعرَفُ".

قوله: (مِن غَيظِكم) فسَّر أوّلًا: ﴿مِّن ذَٰلِكُمُ﴾ بقوله: "من غيظِكم"؛ وذلك لدلالة[5] ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ﴾، وفسَّره ثانيًا: بقوله: (مما أصابكم مِن الكراهة)؛ لدلالة ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ﴾ عليه. وقوله: (على التالين) أي:

---

١ ن: التهجم.

٢ ن – رجل جَهْم الوجه أي: كالح الوجه عبوسه تقول منه.

٣ الصحاح للجوهري، «جهم».

٤ انظر: مختصر شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ٩٨.

٥ ن: الدلالة.

ويحتمل أن تكون ﴿ٱلنَّارُ﴾ مُبتدأ و﴿وَعَدَهَا﴾ خبرًا، وأن تكون حالًا عَنها إذا نصَبتْها أو جَرَرتهَا بإضمار ﴿قد﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾

فإن قلتَ: الذي جاء به ليس بمَثَلٍ فكيف سمَّاهُ مَثَلًا؟

قلتُ: قد سمِّيت الصِّفة أو القصَّة الرَّائعةُ المُتلقَّاةُ بالاستحسان والاستغراب: "مَثَلًا" تشبيهًا لها ببعض الأمثال المُسيَّرة لكونها مُستحسَنةً مُستَغرَبةً عندهُم.

[١٦٢ظ] الذين يتلون. وقوله:[١] **(وأن يكون حالًا)** أي: يكون / ﴿وَعَدَهَا﴾. وقوله: **(إذا نصبتَها أو جررتَها)** أي: ﴿ٱلنَّارُ﴾.

قوله: **(قلتُ: قد سُمِّيت الصفة)**... إلخ، قال رحمه الله:[٢] المَثَل بمعنى:[٣] المِثل، تقول: زيد مَثَل عمرو ومِثْله ومَثيله، كما تقول: شَبَه وشِبْه وشَبيهه،[٤] ثمّ قالوا على سبيل الاستعارة لـ"جملة مِن الكلام مستغرَبةٍ مُسْتَفْصَحةٍ متلقَّاةٍ بالرضا والقبول أهلٍ للتسيير والإرسال": مَثَل؛ لأنهم جعلوا مَضربها مِثلًا لِموردها، ثم استعاروا هذا المستعار للقصّة أو الحالة المُستَغرَبة؛ لمماثلتها في الغرابة، قال الواحدي في **التفسير**[٥] **الوسيط**: «قال الأخفش: إن قيل: فأين المَثَل الذي ذكره الله تعالى في قوله سبحانه: ﴿ضُرِبَ مَثَلٌ﴾؟ قيل: ليس ههنا مَثَل، والمعنى: أنّ الله تعالى قال:[٦] ضُرِبَ لي مَثَل -أي: شَبَهٌ- في الأوثان، ثم قال: فاستمعوا لهذا[٧] المَثَل الذي جعلوه مَثَلي، وتأويل الآية: جعل المشركون الأصنام شركائي فعبدوها معي، فاستمعوا حالها، ثم بيَّن تعالى ذلك بقوله عزّ اسمه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾».[٨] وقوله: **(المُسيَّرة)** أي: المشهورة.

---

١ ن: قوله.
٢ ف ن: رضي الله عنه.
٣ ف: يعني.
٤ ن - وشبيهه.
٥ ف: تفسير.
٦ سقطت كلمة "قال" مِن الأصول المخطوطة، وأثبتُّها مِن الوسيط.
٧ ن: بهذا.
٨ **التفسير الوسيط** للواحدي، ٣/٢٨٠ (الحج، ٢٢/٧٣).

قرئ ﴿تَدۡعُونَ﴾ بالياء والتاء، و: "يُدعَون": مَبنيًا للمفعُول.

"لن" أختُ "لا" في نفي المُستَقبَل، إلَّا أنَّ "لن" تَنفِيه نَفيًا مُؤكَّدًا، وتأكيدُه هاهنا: الدَّلالةُ على أنَّ خَلق الذُّباب منهم مُستحيلٌ مُنافٍ لأحوالِهم؛ كأنَّه قال: مُحَالٌ أَنْ يَخْلقُوا.

فإن قلتَ: ما محَل ﴿وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥ﴾؟

قلتُ: النَّصبُ على الحال؛ كأنَّه قال: مُستَحيلٌ أن يَخلقُوا الذبابَ مشرُوطًا عليهم اجتماعُهم جميعًا لخلقِه وتعَاوُنُهم عليه.

وهذا من أبلغِ ما أنزلَه اللهُ في تجهيلِ قُريشٍ واسْتِرْكاكِ عُقولهم، والشَّهادةِ على أنَّ الشَّيْطان قَد خَزَمَهم بخَزائمهِ، حيث وصَفوا بالإلهيَّة -التي تقتَضِي الاقتدارَ على المَقدُوراتِ كُلِّها والإحاطةَ بالمَعلومات عن آخِرها- صُورًا وتماثيلَ يستحيلُ منها أن تَقدر على أقلِّ ما خَلَقه الله وأذَلِّهِ وأَصغرِه وأحقرِه ولو اجتمعوا لذلك وتَساندوا.

قوله: ("**لن" أخت "لا**") قال رحمه الله:[١] "لن" موضوعة لنفي ما ينافي حال المنفيّ عنه.

قوله: (**واسْتِرْكاك**)[٢] استركّه:[٣] استنزله.

قوله: (**قد خَزَمَهم**) خزَمْتُ البعير بالخِزامة؛ وهي حلْقه مِن شعر تُجعَل في وَتَرَة أنفه يُشدُّ بها[٤] الزِّمام، ووتَرَةُ الأنف: حجاب ما بين المَنخِرين.

قوله: (**حيث**) متعلِّق بقوله: (**مِن أبلغ**). وقوله: (**التي تقتضي**) صفة (**الإلهيّة**).

قوله: (**يستحيل**) صفة (**صورًا وتماثيل**).

قوله: (**وتساندوا**) أي: سند بعضهم إلى بعض، والمعنى: تعاونوا، يقال: سندتُ إلى الشيء أسنُد سُنُودًا، واستندتُ بمعنًى،[٥] وأسندتُ غيري، والإسناد في الحديث:

---

[١] ف ن: رضي الله عنه.
[٢] ن: واشتركا.
[٣] ن: اشتركه.
[٤] ف: نها.
[٥] ن - واستندت بمعنى.

وأدلُّ من ذلك على عَجزهم وانتِفَاءِ قُدرتهم: أَنَّ هذا الخلقَ الأَقلَّ الأذلَّ لو اختَطفَ منهم شيئًا فاجتَمعُوا على أن يَستَخلِصُوه مِنه لم يَقْدِرُوا.

وقوله: ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ كالتَّسويَة بينَهُم وبين الذُّباب في الضَّعف، ولو حقَّقْتَ وجَدْتَ الطَّالبَ أضعَفَ وأضعَفَ؛ لأن الذُّبَابَ حيوانٌ وهو جَمادٌ، وهو غالبٌ وذاكَ مغلوبٌ.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: أنَّهم كانوا يَطْلُونَها بالزَّعفرانِ ورؤُوسَها بالعَسل ويُغَلِّقون عليها الأبوابَ، فيدخل الذبابُ من الكُوى فيَأكُلُه.

﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾﴾

﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾؛ أي: ما عَرفوهُ حَقَّ معرفته حَتَّى لا يُسمُّوا باسمه مَن هو ....

رفعه إلى قائله، والسَند: ما قابلك مِن الجبل وعلا عن السَّفْح، وسَفْحُ الجبل: أسفله حيث يُسفح فيه الماء، وهو مضطجعه، وفلان سنَد، أي: معتَمَد، وسفَحتُ الماء: هرقته، وسفحت دمه: سفكته.[1]

قوله: (**وأدلُّ مِن ذلك**) أي: مِن عدم خلقهم الذباب.

قوله: (**وجدتَ الطالب**) المراد بـ"الطالب": تلك الصور والتماثيل، وإنّما سمّاها طالبًا؛ لأنه لمّا ذكر أنّهم[2] "إن يَسلُبْهم الذباب شيئًا لا يستنقِذوه" جعلهم كأنّهم يطلبون الاستنقاذ مِن الذباب، وجعل الذباب المطلوبَ؛ لأنّها يُطلب الاستنقاذ منه، فهو بالحقيقة: المطلوب منه؛ لكن حذف "منه".

قوله: (**مِن الكِوى**) الكَوّة: ثَقْبُ البيت، والجمع: كِواء بالمدّ، وكِوىً أيضًا مقصور، مثل: بَدْرة وبِدَر، والكُوّة -بالضمّ- لغة، ويُجمع على كُوًى.[3]

---

[1] **الصحاح** للجوهري، «سفح».
[2] ن: أهم.
[3] **الصحاح** للجوهري، «كوى».

مُنسَلِخٌ عن صفاته بأَسْرِها ولا يُؤهِّلوهُ للعبَادة ولا يتَّخذُوه شريكًا له، إن الله قادرٌ غالبٌ فكيف يُتَّخذُ العاجزُ المغلوبُ شبيهًا بهِ.

هذا ردٌّ لِمَا أنكروهُ من أن يكون الرَّسولُ من البَشر، وبيَانُ أنَّ رُسُلَ الله عَلى ضربَيْن: مَلائكةٌ وبَشرٌ، ثمَّ ذكَر أنَّه عزَّ وجلَّ درَّاكٌ للمُدرَكاتِ عالمٌ بأحوال المُكلَّفين ما مضَى منها وما غَبَر لا تَخفَى عَليْه منهم خافيَةٌ، وإليه مَرجِعُ الأمورِ كلِّها، والذي هو بهذه الصِّفات لا يُسألُ عما يَفعلُ وليس لأَحدٍ أن يَعترِضَ عليه في حكمهِ وتدابيرِه واختيارِ رُسُله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَـٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَـٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾

للذِّكر شأنٌ ليس لغيره من الطَّاعات، وفي هذه السُّورة دلالاتٌ على ذلك، فمِن ثَمَّ دَعا المؤمنين أوَّلًا إلى الصَّلاة التي هي ذكرٌ خالصٌ، ثمَّ إلى العبَادة بغَير الصَّلاة كالصَّوم والحج والغزو، ثُم عمَّ بالحثِّ على سائر الخَيْرات.

قوله: **(بأسرها)** حال مِن "صفاته"، والضمير مِن في "بأسرها" عائد إلى الصفات، أي: ملتبسة بجملتها، أي: لا يتصف بصفة من صفاته تعالى. وقوله: **(منسلخ مِن صفاته)** كأنّه قال: عارٍ من صفاته، يقال: انسلخ الرجل / مِن ثيابه، [١٦٣و]
والحيّة من قشرها،[١] والنهار من الليل، وانسلخ جلد الحيّة ينسلخ.[٢]

قوله: **(إلى الصلاة)** بقوله: ﴿ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ﴾. وقوله: **(إلى العبادة)** في قوله: ﴿وَٱعْبُدُواْ﴾.

قوله: **(ثمّ عمّ بالحثّ)** في قوله: ﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ﴾.

---

١ ن – من قشرها.

٢ الصحاح للجوهري، «سلخ».

وقيل: كان النَّاسُ أوَّلَ ما أَسْلمُوا يَسجُدُون بلا ركوعٍ، ويركَعُونَ بلا سجُودٍ، فأُمِروا أَن تكُونَ صَلاتُهم بركوع وسجُود.

وقيل: معنى ﴿وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ﴾: اقْصِدُوا بركُوعِكم وسجودِكم وَجْهَ الله تعالى.

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ﴾: صِلةُ الأرحام، ومَكارمُ الأخلاق.

﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾؛ أي: افعَلُوا هذا كُلَّهُ وأنتُم راجُونَ للفلَاحِ طَامِعُون فيه غيرُ مُسْتَيقِنين، ولا تَتَّكِلُوا على أَعمالكم.

وعَن عُقبَةَ بنِ عامرٍ رضي الله عنه قال: قلتُ: يا رسُول الله، في سورة الحجّ سجْدَتان؟ قال: «نعَم، إن لَمْ تَسجُدْهما فلا تَقرأهُما».

وعن عبد الله بن عُمر رضي الله عنهما: فُضِّلَت سُورةُ الحج بسَجْدَتين.

وبذلك احتجَّ الشافعيُّ رحمه الله فرأى سجدتين في سُورة الحج، وأبو حنيفةَ وأصحابُهُ رحمهم الله لا يرَوْنَ فيها إلَّا سَجدةً واحِدةً؛ لأنَّهم يقُولُون: قُرِن السُّجُود بالرُّكُوع فدَلَّ ذلك عَلى أنَّها سَجدةُ صَلاةٍ لا سَجْدةُ تلاوةٍ.

﴿وَجَٰهِدُواْ﴾ أَمرٌ بالغَزو، أو بمُجَاهَدة النَّفس والهَوَى وهو الجِهَاد الأكبَرُ، عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه رجَع من بَعضِ غَزَواته فقال: «رجَعْنا من الجهادِ الأَصغرِ إلى الجهَادِ الأكبَر».

قوله: (صلةُ الأرحام) الآية الجامعة[١] لمكارم الأخلاق: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾... الآية [النحل ٩٠/١٦]، لمّا نزلت قالت قريش: إن محمدًا يأمر بمكارم الأخلاق وينهى عن ملائمها.[٢]

قوله: (راجُون للفلاح)[٣] نظرًا إلى كلمة "لعلّ"؛ لأنّها للترَجّي.[٤]

---

١ ن: الجامعة. (النحل، ٩٠/١٦).

٢ روي من قول أكثم بن صيفي حين سمع هذه الآية. انظر: الدرّ المنثور للسيوطي، ١٥٩/٥

٣ ن: لفلاح.

٤ ف: للترخي.

﴿فِي ٱللَّهِ﴾؛ أي: في ذات الله ومِن أَجْلِه، يقال: هو حقُّ عالمٍ وجِدُّ عالمٍ؛ أي: عَالِمٌ حَقًّا وجِدًّا، ومِنْه: ﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾.

فإن قلتَ: ما وجهُ هذه الإضافة، وكان القياس: "حقَّ الجهاد فيه" أو: "حقَّ جهادِكم فيه" كما قال: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ﴾؟

قلتُ: الإضافة تكُونُ بأَدنى مُلابَسةٍ واختصَاصٍ، فلمَّا كان الجهادُ مُختصًّا بالله من حيث إنَّه مَفعولٌ لوَجْههِ ومن أَجْله صَحَّت إضافتُه إليه، ويجوز أن يُتَّسَعَ في الظرف كقوله:

ويـــومٍ شـهِـدنـاه سُـلـيمًـا وعـامِـرًا

قوله: (**حقَّ الجهاد فيه**) أي: في الله، وعن بعضهم: خرجتُ في زيارة أخٍ لي[1] في الله.[2]

قوله:

(ويـــومٍ شـهـدنـاه سُـلـيمًـا وعـامـرًا)

تمامه:

قـلـيلٍ سـوى الـطعـنِ الـــدراكِ[3] نـوافـلُـهُ[4]

الدراك: المتتابع.

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾. اعلم أنّه تعالى لمّا قال: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ أشار إلى أنّ الجهاد المأمور به المشار إليه بقوله تعالى: ﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ ليس فيه حرجٌ؛ بل هو على قدر الوُسع.

---

١ ن: أخي.

٢ وفي الحديث: عن أبي هريرة، عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: "أنّ رجلًا زار أخًا له في قرية أخرى، فأرصد الله على مَدرجته ملكًا، فقال له: أين تذهب؟ قال: أزور أخًا لي في الله في قرية كذا وكذا، قال: هل له عليك مِن نعمةٍ تربُّها؟ قال: لا؛ ولكنّني أحببته في الله، قال: فإنّي رسول الله إليك: أن الله قد أحبّك كما أحببتَه فيه". **صحيح مسلم**، ١٩٨٨/٤ (٢٥٦٧)؛ **مسند الإمام أحمد**، ٤٠/١٦ (٩٩٥٠)، واللفظ له.

٣ ن: الدرك.

٤ أنشده سيبويه عن رجل من بني عامر؛ لكنّه في **الكتاب** بلفظ: "النّهال" بدل "الدراك". انظر: **الكتاب** لسيبويه، ١٧٨/١.

﴿ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾: اختاركُم لدِينه ولنُصْرتِه ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ فتَح بابَ التَّوبةِ للمُجرمين وفَسَح بأَنواع الرُّخص وبالكفَّارات والدِّيَات والأُرُوش، ونحوُه قولُه تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة ١٨٥/٢]، وأمَّةُ مُحمَّدٍ هي الأُمَّةُ المَرحُومة الموسُومةُ بذلك في الكُتب المتقدِّمة.

﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ نصَب المِلَّة بمضمونِ ما تقدَّمها؛ كأنه قيل: وَسَّع دينَكم توسعِةَ ملَّةِ أبيكم، ثم حَذف المضافَ وأقَام المضافَ إليه مُقامَهُ.

أو على الاختِصَاص؛ أي: أَعني بالدِّين ملَّةَ أبيكم؛ كقولك: "الحمدُ للهِ الحميدَ".

فإن قلتَ: لم يكن ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ أبًا للأمَّة كلِّها؟

قلتُ: هو أبو رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فكانَ أبًا لأُمَّته؛ لأنَّ أمَّةَ الرَّسول في حُكم أَولاده.

﴿هُوَ﴾ يرجعُ إلى اللهِ تعالى، وقيل: إلى إبراهيمَ صلواتُ اللهِ عليه.

قوله: **(وأمّة محمّد هي الأمّة)**... إلخ جملة معطوفة على جملة قوله: **(ونحوه قوله)**... إلخ، فهو ابتداء كلام من المصنِّف.

أمةٌ مذنبَةٌ وربٌّ غفور، أمّة محمّد "حكماء علماء حلماء،[1] كادوا أن يكونوا مِن فقههم أنبياء".[2]

قوله: **(نصب "الملّة" بمضمون ما تقدّمها)**؛ لأنّ نفي الحرج -وهو الضيق- يدلّ على التوسعة، فهو منصوب على المصدر مِن قوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾؛ لكن المضاف محذوف.

قوله: **(في حكم أولاده)**؛ لقوله: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب ٦/٣٣].

---

١ ن - حلماء.

٢ رواه أبو نُعيم مرفوعًا في قوم دخلوا على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فقال: «مَن القوم؟» فقالوا: مؤمنون، فقال: «إنّ لكلّ قول حقيقة، فما حقيقة إيمانكم؟» قالوا: الشكر عند الرخاء، والصبر عند البلاء، فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم: «فقهاء علماء كادوا مِن الفقه أن يكونوا أنبياء». انظر: حلية الأولياء لأبي نُعيم، ١٠/١٩٢.

وتَشهَدُ للقَول الأوَّل قِراءةُ أُبيّ بنِ كعب: "اللهُ سمَّاكم".

﴿مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا﴾؛ أي: مِن قَبْلِ القُرآن في سائر الكتُبِ وفي القرآن؛ أي: فَضَّلكم على الأُمم وسمَّاكم بهذا الاسمِ الأكرَمِ ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ أنه قد بَلَّغكُم ﴿وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ بأنَّ الرُّسل قد بلَّغَتْهُم، وإذ خصَّكُم بهذه الكَرامة والأَثرَةِ فاعبُدُوه وثِقُوا به ولا تَطلُبوا النُّصرَةَ والولايةَ إلَّا منه، فهو خيرُ مَولًى وناصرٍ.

عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قَرأ سُورةَ الحجِّ أُعطيَ من الأَجر كحَجَّةٍ حجَّها وعُمرةٍ اعتمَرَها بعَددِ مَن حجَّ واعتمَرَ فيما مَضى وفيما بَقِيَ».

قوله: (**ويشهد للقول الأوّل**) ووجه القول الثاني: ﴿أُمَّةً مُّسْلِمَةً﴾ [البقرة ١٢٨/٢].

تمّت السورة.[١]

---

١ ف ن – تمّت السورة.

سورة المؤمنون

مكيّةٌ، وهي مئةٌ وتِسْعَ عَشْرةَ آيةً، وثمان عشرةَ عند الكوفيين.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾

﴿قَدْ﴾ نَقيضَةُ "لَمَّا": هي تُثبِتُ المُتوَقَّعَ و"لمَّا" تَنفِيهِ، ولا شكَّ أَنَّ المؤمنين كانوا متوقِّعين لمثلِ هذه البِشارة، وهي الإخبارُ بثَباتِ الفَلاحِ لهم، فخُوطِبُوا بما دَلَّ على ثباتِ ما توقَّعُوه.

و"الفَلاحُ": الظَّفَرُ بالمراد، ....

سورة المؤمنين

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله: **(هي تثبت)** جملة واردة[١] لبيان الجملة الأولى، ويجوز أن تكون[٢] استئنافًا، أي: جوابًا لسؤال مقدّر عن كيفية مناقضتها[٣] لها.

قوله: **(بثبات الفلاح)** المراد بـ"ثبات الفلاح": هو حصوله ووجوده، لا دوامه، فإنّ[٤] ﴿أَفْلَحَ﴾ لا يدلّ على الثبات والدوام؛ بل إنّما يدلّ على الحصول.

قوله: **(الفلاح: الظفر بالمراد)** قال محيي السنّة في **شرح السنّة**: «قوله: 'أفلَحَ'[٥] أي: فاز، ويقال لكلّ مَن أصاب خيرًا: مُفلِح، والفلاح: البقاء، وقيل:

---

١ ف: وإرادة.

٢ ف: يكون.

٣ ف ن: مناقضها.

٤ ن: وإن.

٥ أي: في الحديث: «أفلح الرجل إن صدق». وهو في صحيح البخاري، ١/١٨ (٤٦)؛ وصحيح مسلم، ١/٤٠ (١١).

وقيل: البقاءُ في الخير.

و"أَفْلَحَ": دخَل في الفَلاح؛ كـ"أَبْشَرَ": دخَل في البِشارة.

ويقال: أَفْلحَه: أصَارَه إلى الفَلَاح، وعليه قراءةُ طلحةَ بنِ مُصَرِّفٍ: "أُفلِح" على البناء للمفعول.

وعنه: "أَفْلَحُوا" على: "أكلُوني البراغيثُ"، أو على الإبهام والتَّفسير.

معنى قول المؤذّن: 'حيّ على الفلاح'، أي: هلمُّوا إلى سبب البقاء في الجنّة».[1]

قال رحمه الله:[2] ويجوز أن يكون ﴿أَفْلَحَ﴾ جواب قَسَم محذوف، كقوله[3] تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس ٩/٩١]، في وقوع قد جوابًا للقسم. واعلم أنّ لي في هذه الحاشية نظرًا؛ لأنّ المصنِّف ذكر هناك[4] أنّ جواب القسم محذوف تقديره: لَيُدَمْدِمَنَّ الله عليهم، أي: على أهل مكّة؛ لتكذيبهم رسول الله عليه الصلاة والسلام، كما دَمْدَم على ثمود؛ لأنّهم كذّبوا صالحًا، وأمّا ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس ٩/٩١] فكلام تابع لقوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس ٨/٩١]، على سبيل الاستطراد، / وليس مِن جواب القَسَم في شيء. [١٦٣ظ]

وقوله: (**وقيل: البقاء في الخير**) ومنه سمّي السحور: فلاحًا؛ لأنّ به بقاء الصوم. وقوله: (**وأفلح: دخَل في الفلاح**) وهو في الآية بهذا المعنى.

قوله: (**وعنه: "أفلَحوا"**) أي: عن طلحة.[5] وقوله: (**على "أكلوني البراغيث"**) يعني: يكون الواو حرفًا دالًّا على أن الفاعل جمعٌ، كما أنّ التاء حرف دالّ على أنّ الفاعل[6] مؤنّث. وقوله: (**أو على الإبهام والتفسير**) يعني: يكون الواو ضميرًا مبهَمًا يفسِّره ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

---

١ **شرح السنّة** للبغوي، ٢٠/١.

٢ ف ن: رضي الله عنه.

٣ ف: لقوله.

٤ أي في سورة الشمس، ٩/٩١.

٥ شاذّة. انظر: **مختصر شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ٩٩.

٦ سقط مِن ف ما بعد هذا الموضع عددٌ مِن الصفحات، إلى قريب مِن آخر تفسير سورة المؤمنون، إلى قوله: "فهو قريب مِن".

وعنه: "أَفْلَحُ" بضمَّةٍ بغيرِ واوٍ، اجتَزَأ بها عنها كقوله:

فـلـو أنَّ الأطِـبَّـا كـانُ حَـولـي

فإن قلتَ: ما المؤمنُ؟

قلتُ: هو في اللُّغَةِ: المصَدِّقُ، وأما في الشريعة فقد اختُلِفَ فيه على قَولين:

قوله: **(اجتزاءً)**[1] اجتزيتُ بالشيء: اكتفيتُ به.

قوله:

(فلـو أنّ الأطبّـا[2] كانُ[3] حَولـي)

تمامه:

وكـان مـع الأطـبّـاء الـشـفـاءُ[4]

قوله: **(فإن قلتَ: ما المؤمن؟)** قال: "ما المؤمن؟"، ولم يقل: مَن المؤمن؟ لأنّ السؤال عن الصفة، إذا قلت: ما زيد؟ فجوابه أن يقول: فقيهٌ أو متكلّم.

قوله: **(قلت: في اللغة: المُصدِّق)** قال الواحدي في **الوسيط**:

قال الأزهري: اتّفق العلماء أنّ "الإيمان" معناه: التصديق، كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف ١٢/١٧]، أي: بمصدِّق، ومعنى التصديق: هو اعتقاد السامع صِدقَ المُخبِر فيما يُخبِر، فمَن صدَّق الله تعالى فيما أخبر به في كتابه وصدَّق الرسولَ فيما أخبر فهو مؤمن، وأنشد ابن الأنباريّ -على أنّ "آمن" معناه: صدَّق- قولَ الشاعر:

ومِـن قبـلُ آمنّـا وقـد كـان قومنا   يُصَلُّـون لـلأوثـانِ قبـلُ محمّـدا[5]

معناه: مِن قبلُ آمنّا محمّدًا، أي: صدَّقنا محمّدًا.[6]

---

١ في مطبوع الكشّاف: "اجتزأ".

٢ ن: الأطبّاء.

٣ قوله: "كانُ" بضم النون، أصله: كانوا، فحذف الواو. انظر: **شرح المفصّل** لابن يعيش، ٥/٧.

٤ انظر: **خزانة الأدب** للبغدادي، ٥/٢٢٩، وأورده بلفظين: "الأساة" و"الشفاة" بالتاء.

٥ انظر: **الزاهر** لابن الأنباري، ١/١٠٦.

٦ **التفسير الوسيط** للواحدي، ١/٨٠ (البقرة، ٢/٣).

أحدهما: أن كلَّ مَن نَطق بالشَّهادتَين مُواطئًا قَلبُه لسانَه فهو مُؤمن.

والآخَرُ: أنَّه صفةُ مَدْحٍ لا يَستحِقُّها إلَّا البَرُّ التَّقيُّ دونَ الفَاسِق.

﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾

"الخشُوع في الصَّلاة": خَشيةُ القَلبِ وإلْبَادُ البَصَرِ، عن قتَادة، وهو إلزامهُ مَوضعَ السُّجُود.

وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: أنَّه كان يُصَلِّي رافِعًا بَصَره إلى السَّماءِ، فَلمَّا نزلت هذه الآيةُ رمَى ببصَره نحوَ مسجده.

وكان الرَّجُلُ من العلماء إذا قام إلى الصَّلاة هابَ الرحمنَ أَنْ يَشُدَّ بَصَرَه إلى شيءٍ أو يُحَدِّثَ نفسَه بشأنٍ من شأنِ الدُّنيا.

وقيل: هو جَمْعُ الهمَّةِ لها، والإعراضُ عمَّا سِوَاها.

ومن الخشوع: أَن يَستعمل الآدابَ: فيَتوَقَّى كفَّ الثَّوب، والعَبثَ بجسَدِه وثيابِه، والالتِفاتَ ....

قوله: **(فهو مؤمن)** أي: محكوم عليه بالإيمان، وإنّما قلنا المعنى؛ لأنّه إذا صدَّق بقلبه فهو مؤمن، وإن لم يتّفق له النطق بذلك؛ لمانع مِن التكلّم؛[1] مِن مرض شديد أو خوف ظالم كافِر.

قوله: **(وإلبادُ البصر)** لبَد الشيء بالأرض يلبُد لُبُودًا، تلبَّد بها، أي: لصق، وألبَد بالمكان: أقام به، فقوله: "إلبادُ البصر" إن كان مِن **الأوّل** فهو مضاف إلى المفعول، وإن كان مِن **الثاني** فمضاف إلى الفاعل. وقوله: **(وهو إلزامه)** يدلّ على أنّه مِن الأوّل. وقوله: "وهو إلزامه" أي: الإلباد إلزام البصر.

قوله: **(كفّ الثوب)** كفَفتُ الثوب: خِطْتُ حاشيته، وهي الخياطة الثانية، وأراد هنا: ضمّ الذيل، وهو ضدّ السَدْل. وقوله: **(والالتفات)** الالتفات المَكروه:

---

[1] ن: المتكلّم.

والتَّمطِّيَ والتَّثاؤُبَ والتَّغميضَ وتغطِيَةَ الفَمِ والسَّدْلَ والفَرقَعَةَ والتَّشبِيكَ ....

أن يَلويَ عنقَه عن سَمْتِ القبلة، فأمّا الملاحظة فلا بأس بها، كان النبيّ عليه الصلاة والسلام يلاحظ في الصلاة بعضَ أصحابه.[1] وقوله: **(والتمطِّيَ)** "التمطِّي": التبَخْتر ومدّ اليدين في المشي، وأراد ههنا: مدَّ المَطَى مع رفعِه؛[2] وهو الظَّهر، أراد: التَّدبِيح؛[3] وهو أن يُنكِسَ الظَّهر، في الحديث: «نهى أن يُدَبِّحَ[4] الرجلُ تَدْبيحَ[5] الحمار»؛[6] يقال: دَبَّحَ[7] الرجل تدبيحًا[8] إذا قبَّبَ ظهرَه وطأطأ رأسَه، بالخاء والحاء جميعًا.

قوله: **(والتثاؤب)** مِن الثُّوباء، بوزن: الغُلْواء. وقوله: **(والتغميض)**؛ لأنّ السنّة النظر إلى موضع السجود، فيكون تغميض العين في الصلاة ترك أدب مِن آدابه.[9] وقوله: **(والسَّدْل)** "السَّدْل": أن يضع وسْط الثوب غير المخيط على رأسه أو على عاتقه ويُرسل طرفيه، وهذا مِن عادة اليهود، ومنه حديث عليّ رضي الله / عنه لمّا[10] استقبل أهلَ الكوفة سادلي ثيابهم فقال: «كأنّها اليهود [١٦٤و]
خرجوا مِن فُهْرهم»[11] بضمّ الفاء، أي: مِدْراسهم. سَدَل الثوب سَدْلًا إذا أرسله مِن غير أن يَضُمَّ جانبيه، وقيل: هو أن يلقيَه على رأسه ويرخيَه على مَنكِبَيه. وقوله: **(والفرقعة)** الفرقعة: تنقيض[12] الأصابع -أي: تكسيرها- على وجه يُسمَع منه صوت، وقد فرقعها فتفرقعت. وقوله: **(والتشبيك)** تداخل الأصابع. وقوله:

---

[1] عن ابن عبّاس رضي الله عنهما، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان يلحَظ في الصلاة يمينًا وشمالًا، ولا يلوي عنقه خلف ظهره. **سنن الترمذي**، ٧٢٨/١ (٥٨٧).

[2] ن: رفغه.

[3] د: التذبيخ | والظاهر مِن عبارتهم أنّ فيه ثلاث لغات: التدبيح، والتدبيخ، والتذبيح، والأوّل هو الأشهر في الحديث واللغة، وأمّا بالذال والخاء معًا فلم أجده. انظر: **البدر المنير** لابن الملقّن، ٦٠٣/٣.

[4] د: يُذبّخ.

[5] د: تَذبيخ.

[6] **سنن الدارقطني**، ٢١٣/١ (٤٢٦)، بلفظ: «ولا تَدْبَحْ تَدْبِيحَ الحِمار» بالدال والحاء.

[7] د: ذَبَّخَ.

[8] د: تذبيخًا.

[9] قال النووي: «يستحبّ له النظر إلى موضع سجوده ولا يتجاوزه، قال بعضهم: يكره تغميض عينيه، وعندي لا يكره إلّا أن يخاف ضررًا». **شرح صحيح مسلم للنووي**، ٤٤/٥.

[10] ن: كما.

[11] **السنن الكبرى للبيهقي**، ٢٤٩/٤ (٣٣٥٧).

[12] د: تبقيض.

والاختصارَ وتقليبَ الحَصا.

رُوي عن النَّبيّ صلى الله عليه وسلم: أنه أَبْصَر رجُلًا يَعبَثُ بلحيَته في الصَّلاة، فقال: «لو خَشَعَ قَلبُ هذا خَشَعَتْ جَوارحُه».

وَنظر الحسنُ إلى رَجُل يَعبثُ بالحصا وهو يقولُ: اللّهم زَوِّجني الحُورَ العِينَ، فقَال: بئس الخاطِبُ أنتَ تَخطُبُ وأنت تَعبَثُ.

فإن قلتَ: لِمَ أُضِيفَت الصَّلاةُ إليهم؟

قلتُ: لأن الصَّلاة دائرةٌ بين المصَلِّي والمصَلَّى لهُ، فالمصَلِّي هو المنتفِعُ بها وَحْده، وهي عُدَّتُه وذخيرتُه، فهي صَلاتُه، وأمَّا المصَلَّى له فَغنيٌّ متعَالٍ عن الحاجَة إليها والانتفاعِ بها.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ۝٣﴾

"اللَّغوُ": ما لا يَعْنِيكَ من قَولٍ أو فعلٍ؛ كاللعب والهزل، وما تُوجبُ المُروءةُ إلغَاءهُ واطِّراحَهُ، يعني: أنَّ بهم من الجِدِّ ما شَغَلهم عن الهزْلِ.

(والاختصار) التخصُّر والاختصار: وضع اليد على الخاصِرة؛ وهي ما فوق الطفطفة[١] والشراسيف،[٢] أو على الخصر؛[٣] وهو المُستدَقّ فوق الوَرِك.

قوله: **(ما لا يعنيك)** أي: لا يهمُّك،[٤] وفي الحديث: «مِن حُسن إسلام المَرء تَرْكُه ما لا يَعنيه».[٥]

قولـه: **(المُـروّة)** المُـروّة: كمـال الرجوليّـة، ومنـه: «تجافـوا عـن عقوبـةِ ذي المـروءة»،[٦] ولـك فيهـا التشـديد.

---

١ الطفطفة: هي الخاصرة، وقيل: هي ما رقّ مِن طرف الكبد. وهو المراد هنا. انظر: **لسان العرب** لابن منظور، «طفف».

٢ الشراسيف: أطراف أضلاع الصدر التي تشرف على البطن. انظر: **لسان العرب** لابن منظور، «شرسف».

٣ فرّقَ بين الخصْر والخاصرة، وبعضهم جعلهما مترادفتين. انظر: **تاج العروس** للزبيدي، «خصر».

٤ ن: يهتك.

٥ **سنن الترمذي**، ١٣٦/٤ (٢٣١٧).

٦ ن: المروّة. | حديث مرفوع في **المعجم الصغير** للطبراني، ١١٨/٢ (٨٨٣).

لمَّا وصفهم بالخشوع في الصَّلاةِ أتبعَهُ الوصفَ بالإعراض عن اللَّغو؛ ليَجْمَعَ لهم الفِعْلَ والتَّركَ الشَّاقَّين على الأنفس، اللَّذَين هما قاعِدَتَا بناءِ التكليفِ.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤﴾

"الزَّكاةُ" اسمٌ مشتركٌ بين عَيْنٍ ومَعنًى، فالعَين: القَدْرُ الذي يُخرِجُه المُزكِّي من النِّصاب إلى الفقير، والمعنَى: فعلُ المُزكِّي الذي هو التَّزكيةُ، وهو الذي أَرادَهُ الله فَجعَلَ المُزكِّينَ فاعِلين له، ولا يَسُوغُ فيه غيرُه؛ لأنَّه ما مِن مَصْدَرٍ إلا يُعَبَّر عن معناه بالفِعل، ويقال لمُحْدِثِه: فاعِلٌ، تقُول للضاربِ: فاعِلُ الضَّرب، ولِلقاتل: فاعلُ القَتل، وللمزكِّي: فاعِلُ التزكيَةِ. وعلى هذا الكلامُ كلُّهُ.

والتحقيقُ فيه: أنك تقول في جميع الحوادث: مَن فاعِلُ هذا؟ فيقال لك: فاعلُهُ الله، أو بعضُ الخلق، ولم تَمتَنِعِ الزكاةُ الدَّالةُ على العَين أن يتَعلَّق بها ﴿فَٰعِلُونَ﴾ لخُروجها مِن صحَّة أن يتناولها الفاعِلُ؛ ولكنْ لأن الخلق ليسوا بفاعِليها، وقد أنشدُوا لأُميَّةَ بن أبي الصَّلْتِ:

المُطعِمُون الطَّعام في السَّنَة الْـ   أَزمَـةِ والفاعلون للزكَواتِ

قوله: **(ولا يسوغ فيه غيره)** جملة معترضة.

قوله: **(ولم تمتنع الزكاة)**... إلخ، تحريره: أنّه ما امتنع تعلّق ﴿فَٰعِلُونَ﴾ بالزكاة العين باعتبار أنّه لا يصحّ لفظ: الفاعلين لها؛ ولكن باعتبار أنّ الخلق يستحيل أن يكونوا فاعلين للعين حقيقة، وإنّما فاعلها هو الله تعالى، وكأنّ المصنّف لما قال: "لا يسوغ فيه غيره" أشار إلى أنّ المانع مِن ذلك هو أنّ الزكاة نُسِبتْ إلى الخلق. وقوله: (﴿فَٰعِلُونَ﴾) أي: في قوله تعالى: ﴿لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾. وقوله: **(ولكن[1] لأنّ الخلق)** أي: ولكن امتنع لأنّ...

قوله:

(المُطعِمونَ الطعامَ في السَّنة الـ   أزْمة[2] والفاعلونَ للزكَواتِ)[3]

---

[1] ن: وكلن.

[2] ن: الأزمنة.

[3] ديوان أميّة بن أبي الصّلت، ص ٣٤٥.

ويجوز أن يراد بالزكاة: العينُ، ويُقَدَّرَ مُضافٌ محذوفٌ وهو الأداءُ، وحَملُ البيت على هذا أصَحُّ؛ لأنها فيه مجموعَةٌ.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٧﴾

﴿عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ﴾ في مَوضِع الحال؛ أي: إلا والِينَ على أزواجِهم، أو: قوّامين علَيْهِنّ، مِن قَوْلك: "كانَ فُلَانٌ على فُلانةَ فمات عنها فخَلَف عليها فلانٌ"، ونظيرُه: "كان زيادٌ عَلى البَصْرة"؛ أي: والِيًا عليها.

"الأزْمة": الشدّة والقحط، يقال: أصابتهم سَنةٌ؛ أزَمَتْهم أزْمةً إذا استأصلتهم، وأزَمه أيضًا: عضَّه.

ويجوز أن يراد المعنى؛ وهو الفعل الذي هو التزكية، كما أنّ الذكاة بمعنى التذكية في قوله عليه الصلاة والسلام: «ذكاة الجَنين ذكاة أُمّه».[1]

قوله: (**وحَمْل البيت على هذا أصحّ**) فيكون تقدير البيت: الفاعلون لأداء الزكوات.[2] وقوله: (**لأنّها فيه مجموعة**) أي: لفظة الزكاة في البيت مجموعة، والمصدر لا يُجمَع، أي: في الأغلب، إذ قد يُجمع، قال الله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا﴾ [الأحزاب ٣٣/١٠]، وقال: ﴿لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدۡعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [الفرقان ٢٥/١٤].

قوله: (**أو تعلّق ﴿عَلَىٰٓ﴾ بمحذوف**)[3] عطف على قوله: (**﴿عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ﴾ في موضع الحال**)، ولا يخفى عليك أنّ ﴿عَلَىٰٓ﴾ كان متعلّقًا أيضًا بمحذوف على الوجه الأوّل؛ لِما ذكر أنّ التقدير: والين أو قوّامين؛ لكن لمّا كان المحذوف في الوجه الأوّل معمولًا لقوله: ﴿حَٰفِظُونَ﴾؛ لكونه حالًا مِن الضمير فيه، وكان ﴿عَلَىٰٓ﴾ متعلّقًا بذلك المحذوف المعمول قائمًا مقامه كان ﴿عَلَىٰٓ﴾ كأنّه متعلِّق بقوله:

---

١ سنن أبي داود، ٤/٤٤٩ (٢٨٢٨)؛ سنن الترمذي، ٣/١٢٤ (١٤٧٦).

٢ ن: الزكاة.

٣ في الأصول الخطيّة: "أو تعلّق على محذوف"، وأثبتّ ما في نسخ **الكشّاف** المخطوطة والمطبوعة.

ومنه قولُهم: "فلانَةُ تَحتَ فلانٍ"، ومِن ثَمَّ سُمِّيت المرأةُ: فِراشًا.

والمعنَى: أنهم لفرُوجهم حافظُونَ في كافَّةِ الأَحوال إلَّا في حال تزَوُّجِهِم أو تَسَرِّيهم.

أو تُعَلَّقُ ﴿عَلَىٰٓ﴾ بمحذوفٍ يدُلُّ عليه ﴿غَيۡرُ مَلُومِينَ﴾؛ كأنَّه قيل: يُلامُونَ إلَّا علَى أَزْوَاجهم؛ أي: يُلامُونَ على كلِّ مبَاشرٍ إلَّا على ما أُطلِقَ لهم فإنَّهم غيرُ مَلُومينَ عليه.

أو تجعَلُه صلَةً لـ"حافظين" من قولك: "احفَظْ عليَّ عنانَ فرسي" على تَضمينه مَعنى النَّفي؛ كما ضُمِّنَ قولُهم: "نشَدتُكَ بالله إلَّا فَعلتَ" بمعنَى: ما طلَبْتُ منك إلَّا فِعلَكَ، فالحاصلُ كأنه قال: "والذين هم لفروجهم غيرُ حافظين إلا على أزواجهم".

فإن قلتَ: هَلَّا قيل: مَن ملكَتْ؟

﴿حَٰفِظُونَ﴾؛ فلذلك جعل هذا الوجه قسيمًا له. أو نقول: قوله: **(يدلّ عليه)** صفة قوله: **(محذوف)**، وإذا كان كذلك فكأنّه قال:[١] أو[٢] تعلّق بالمحذوف الذي دلّ عليه ما بعده، وعلى الأوّل كان متعلِّقًا بمحذوف[٣] دلّ عليه ما قبله، فلذا صحّ عطفه عليه، فتأمّل.

قوله: **(على تضمينه معنى النفي)**... إلخ، فيكون معنى هذا الكلام أنّهم غير حافظين لفروجهم إلّا على أزواجهم، أو نقول: كأنّه[٤] يحفظون فروجهم / على [١٦٤ظ]
أزواجهم، ثم قيل: إلّا على أزواجهم، أي: لا يحفظونها إلّا على أزواجهم، فيكون في الكلام حذف، وكذا التحقيق في قوله: **(نشدتك بالله إلّا فعلت)**، فإنّه لمّا قال: "نشدتك بالله" علم أنّ له مطلوبًا فقال: إلّا فعلت، أي: ما أطلب منك إلّا فعلك، وهذا التقرير سَنح لنا في الآية[٥] وفي المثال، والحمد لله، هدانا لهذا.

---

١ ن – قال.

٢ ن: إذا.

٣ ن: لمحذوف.

٤ ن: كأنهم.

٥ ن + وفي الآية.

قلتُ: لأنه أُريدَ من جنس العُقَلاء ما يَجري مَجْرَى غيرِ العقلاء وهم الإناثُ، جعَل المستَثنَى حَدًّا أوجَبَ الوقُوفَ عنده ثم قال: فمَن أَحدثَ ابتغاءً وراءَ هذا الحدِّ مع فُسحَتِه واتّساعِه -وهو إباحةُ أَرْبَعٍ من الحرَائر ومن الإماء ما شئتَ- ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ﴾ الكاملُون في العُدْوَانِ المُتناهُونَ فيه.

فإن قلتَ: هل فيه دليلٌ على تَحريم المُتعَةِ؟

قلتُ: لا؛ لأنَّ المنكوحةَ نكاحَ المُتعَة من جُملة الأَزواج إذا صَحَّ النكاحُ.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ۝٨﴾

وقرئ: ﴿لأَمانَتِهم﴾، سُمِّي الشَّيءُ المُؤتَمَنُ عليه والمُعَاهَدُ عليه أَمانةً وعَهدًا، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء ٥٨/٤] وقال: ﴿وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ﴾ [الأنفال ٢٧/٨] وإنَّما تُؤدَّى العيُون لا المعَاني، ويُخانُ المؤتمنُ عليه لا الأَمانةُ في نَفسهَا.

و"الراعي": القائمُ على الشَّيء بحفْظٍ وإِصْلاحٍ؛ كراعي الغَنم ورَاعي الرعيَّةِ، ويقالُ: مَن رَاعِي هذا الشيء؟ أي: مُتولِّيهِ وصَاحِبُه.

ويَحتمِلُ العمومَ في كلِّ ما اؤتُمِنُوا عليه وعُوهِدُوا من جهةِ الله عزَّ وجلَّ ومن جهة الخلق، والخصُوصَ فيما حُمِّلُوه من أمانات الناسِ وعهُودهم.

قوله:[1] (**قلتُ: لأنه أُريد**) يعني: إنّما[2] قيل: ﴿مَا﴾ دون "مَن"؛ لأنّ المؤنّث العاقل يجري مجرى المذكّر الغير[3] العاقل وبالعكس في كثير مِن الأشياء؛ فلذلك أتي بـ﴿مَا﴾.

قوله: (**هم الكاملون**) استفيد هذا المعنى مِن جعل المبتدأ اسم الإشارة، وجعل الخبر معرفة، وتوسيط الفصل بينهما.

قوله تعالى: (﴿وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ﴾) قال تعالى: ﴿لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ﴾ ... [الأنفال ٢٧/٨].

---

[1] ن – قوله.
[2] ن: وإنّما.
[3] ن: لغير.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝﴾

وقرئ: ﴿على صلاتهم﴾.

فإن قلتَ: كيف كُرِّرَ ذكرُ الصَّلاة أولًا وآخِرًا؟

قلتُ: هما ذِكران مختلفان فليس بتكرير، وُصِفُوا أوَّلًا بالخشوع في صلاتهم وآخِرًا بالمحافظة عليها، وذلك أنْ لا يَسهُوا عنها، ويُؤدُّوها في أَوقاتها، ويُقيموا أركانَها، ويُوكِّلُوا نفُوسَهُم بالاهتمام بها وبما ينبغي أَنْ تَتِمَّ به أوصافُها.

وأيضًا: فقد وُجِدَتْ أوَّلًا ليُفادَ الخشوعُ في جنس الصَّلاة أيَّ صَلاةٍ كانَتْ، وجُمِعت آخِرًا لتُفادَ المحَافَظةُ على أعدادها، وهي: الصَّلَواتُ الخمسُ، والوترُ، والسُّننُ المُرتَّبةُ مع كلِّ صَلاةٍ، وصَلاةُ الجُمُعةِ والعِيدَين والجنَازَة والاستسقاء والكُسوف والخُسُوف، وصَلاةُ الضُّحَى والتَّهجُّد، وصَلاةُ التَّسبيحِ، وصَلاةُ الحاجَةِ، ....

قوله: (**وقرئ**: ﴿عَلَىٰ صَلَوٰتِهِمْ﴾) قال الشيخ في **الكواشي**: «القراءة ﴿عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ﴾ مفردًا وجمعًا».[1]

قوله:[2] (**أن لا يسهوا عنها**) أي: لا يتركوها، قال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون ١٠٧/٤-٥]، أي: تاركونها،[3] وسهى في الصلاة، أي: أدّاها بوصف النقصان. وقوله: (**ويقيموا أركانها**) أي: يؤدّونها[4] بوصف الكمال، مِن قولهم: قام العود،[5] وأقام العود،[6] أراد: تعديلَ[7] أركانها.

قوله: (**أوصافها**) يريد بـ"أوصافِها": سننها وآدابها، وإنّما جعل ذلك أوصافها؛ لأنّ صحّة الصلاة لا تتوقّف[8] عليها.

---

[1] **تفسير الكواشي**، ٣٤١ظ. أمّا مذاهب القرّاء فيها فقرأ حمزة والكسائي وخلَف بالتوحيد، وقرأها الباقون بالجمع. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٢٨/٢.

[2] ن: وقوله.

[3] ن: تاركون ها.

[4] ن - بوصف النقصان، وقوله: (ويقيموا أركانها) أي: يؤدونها.

[5] ن: العرد.

[6] ن: العرد.

[7] ن: التعديل.

[8] ن: يتوقف.

وغَيْرُهَا مِنَ النَّوافِلِ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾

أي: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الجامِعُون لهذه الأَوصاف ﴿هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾: الأَحِقَّاءُ بأَن يُسَمَّوْا وُرَّاثًا دُونَ مَن عَداهم، ثُمَّ تَرجَم الوارِثِينَ بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ﴾

قوله: **(وغيرها مِن النوافل)** كالتراويح،[١] وصلاة البراءة، وصلاة[٢] الرغائب، والاستفتاح،[٣] ممّا قال بعضهم: إنّه ورد وثبَت. نقل عن الشافعيّ رضي الله عنه:[٤] «ما ورد مِن الصلوات في ليالي الجمعة حسُن الإتيان بها».[٥]

قوله: **(الأحقّاء)** استفيد هذا المعنى ممّا ذكرنا مِن كون المبتدأ اسم الإشارة، والخبر معرفة، وتوسيط الفصل.

قوله: **(ترجم بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ﴾)** قال رحمه الله:[٦] ويجوز أن يكون نصبًا على المدح، كما في قوله تعالى:[٧] ﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝ ٱلَّذِى﴾ [الناس ١١٤/٤-٥]، فإنّه يجوز أن يكون نصبًا على الذمّ، كأنّك تقول: أعني الذي يوسوس،

---

١ ن: كالترويح.

٢ ن - وصلاة.

٣ "صلاة البراءة: مئة ركعة تصلّى ليلة النصف مِن شعبان. وصلاة الرغائب: ثنتا عشرة ركعة تصلّى بين المغرب والعشاء ليلةَ أول جمعة في رجب، وصلاة الاستفتاح: عشرون ركعة في النصف مِن رجب. والمحقّقون مِن الفقهاء على عدم مشروعية هذه الصلوات؛ بل عدّها مِن البدع المذمومة. انظر: **المجموع للنووي**، ٥٦/٤؛ **وحاشية ابن عابدين**، ٢٦/٢.

٤ د - رضي الله عنه.

٥ لم أجد هذا النقل عن الشافعي رحمه الله، وقد ردّ العلماء الأحاديث الواردة في الصلاة المخصوصة بليلة الجمعة، وقالوا: لا أصل لها. انظر: **تخريج أحاديث الإحياء للعراقي**، ص ٢٣٧. وصحّ في السنّة عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، قال: «لا تختصوا ليلة الجمعة بقيام مِن بين الليالي». **صحيح مسلم**، ٨٠١/٢ (١١٤٤). قال النووي: «وفي هذا الحديث النهي الصريح عن تخصيص ليلة الجمعة بصلاة مِن بين الليالي... وهذا متّفق على كراهيته، واحتجّ به العلماء على كراهة هذه الصلاة المبتدعة التي تسمّى الرغائب، قاتل الله واضعها ومخترعها، فإنّها بدعة منكَرة مِن البدع التي هي ضلالة وجهالة، وفيها منكرات ظاهرة». **شرح صحيح مسلم للنووي**، ٢٠/٨.

٦ ن: رضي الله عنه.

٧ ن - تعالى.

فجاء بفخامَةٍ وجَزالةٍ لإرْثِهم لا تَخفَى على النَّاظر.

ومَعنَى الإرث: ما مَرَّ في سُورة مَريم.

أنَّثَ الفِردَوسَ على تأويل الجنَّةِ، وهو: البُستانُ الواسعُ الجامعُ لأصنافِ الثَّمر.

رُوي: «أنَّ الله عزَّ وجل بنَى جنَّةَ الفردوسِ لَبِنَةً من ذهبٍ ولَبِنةً من فضَّة، وجَعل خلالَها المِسْكَ الأَذْفر».

وفي رواية: «ولَبِنةً من مسْكٍ مُذرًّى، وغَرسَ فيها من جَيِّدِ الفاكهة وجَيِّدِ الرَّيحَانِ».

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ⑫﴾

"السُّلالة": الخلاصَةُ؛ لأنها تُسَلُّ من بين الكَدَرِ، ....

فيكون زيادة في الذمّ، أو رفعًا على المدح، أي: هم الذين، كأنّ قائلًا قال: مَن[1] هؤلاء؟ يقال: هم الذين.

قوله: (**لا يخفى**) صفة (**فخامة وجَزالة**).

قوله: (**وجعَل خلالها المِسك**)[2] يعني: مِلاطها، والمِلاط: الطين الذي يُجعل بين ساقي البناء، وأصل المِلاط: الخلط. وقوله: (**الأذفر**) الذَفَر -بالتحريك-: كلُّ ريحٍ ذكيّة مِن طيب أو نتَن، يقال: مِسْكٌ أذفَر بيّن الذَفَر.[3]

قوله: (**مُذرًّى**) أي: منخول.

قوله: (**السُّلالة: الخلاصة**) قيل: أراد بـ"السلالة": النطفة، وبـ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾: ولد آدم. قال الفرّاء:[4] «الفُعالة: ما يبقى بعد المصدر».

---

[1] ن - مَن.

[2] روي عن أبي هريرة مرفوعًا في سنن الترمذي، ٢٥٣/٤ (٢٥٢٦)؛ ومسند الإمام أحمد، ٤٦٤/١٥ (٩٧٤٤)؛ وعن ابن عمر مرفوعًا في المعجم الكبير للطبراني، ٢٤٨/١٣ (١٣٩٩٢).

[3] الصحاح للجوهري، «ذفر».

[4] لم أجده للفرّاء، وعبارة الطيبي: "قال صاحب الديوان"، ولعلّه صاحب ديوان الأدب الفارابي، ولم أجده في ديوان الأدب بلفظه، وإنّما فيه ما يفيده. انظر: حاشية الطيبي على الكشّاف، ٣٢١/٦؛ وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، ٥٥٦/١٠؛ وديوان الأدب للفارابي، ٨٧/٣.

وفُعَالةُ بنَاءٌ للقلَّة كالقُلامَة والقُمامة.

وعن الحسن: مَاءٌ بين ظَهْراني الطِّين.

فإن قلتَ: ما الفرقُ بَين ﴿مِن﴾ و﴿مِن﴾؟

قلتُ: الأوَّلُ للابتداء والثاني للبيَان؛ كقوله: ﴿مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾ [الحج ٣٠/٢٢].

فإن قلتَ: ما معنى: "جعَلنا الإنسانَ نُطفةً"؟

قلتُ: معناه: أنَّه خلقَ جَوهرَ الإنسان أوَّلًا طينًا ثم جَعل جَوْهرَهُ بَعد ذلك نطفةً.

﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾

"القرارُ": المُستَقَرُّ، ....

قوله: **(كالقُلامة)** "القُلامة": ما يسقط مِن الظفر بالقَلْم. وقوله: **(والقُمامة)** "القُمامة": الكُناسة، مِن: قَمَمْتُ البيت؛ كنَسْتُه.

قوله: **(كقوله: ﴿مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾)** ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾ [الحج ٣٠/٢٢].

قوله: **(قلتُ: معناه)** حاصل الجواب: أنّ معنى قوله: ﴿خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ﴾: خلقنا جوهر الإنسان أوّلًا طينًا، ولمّا كان المعنى راجعًا إلى هذا قال: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ﴾، بعود[1] الضمير إلى ما / دلّ عليه الكلام الأوّل، أي: ثمّ جعلنا جوهر [١٦٥و]
الإنسان نطفة،[2] فكأنّ المصنّف قال في الجواب: بيان هذا المعنى موقوف على بيان معنى الأوّل، فبيّن معنى الأوّل، ثم بيّن معنى الثاني، أجاب عن السؤال المختصّ بالكلام الثاني ببيان معنى الكلامَين؛ لتوقف معنى الكلام الثاني على تحقيق معنى الكلام الأوّل. والضمير مِن قوله: "معناه" يعود إلى قوله: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا﴾... إلخ.

قوله: **(القَرار: المستقَرّ)** قال تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا﴾ [غافر ٦٤/٤٠]،

---

[1] ن: يعود.

[2] ن: نظفه.

والمراد: الرَّحِم، وُصِفَتْ بالمكانَة التي هي صِفةُ المُستَقِرِ فيها؛ كقَولك: "طَرِيقٌ سَائِرٌ"، أو بمَكانَتِها في نفسها؛ لأنَّها مُكِّنتْ بحيث هي وأُحْرِزَتْ.

قُرِئَ: ﴿عظمًا فكسونا العظم﴾ و: ﴿عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ﴾ و: "عظامًا فكسونا العَظْم"، وُضِع الواحِد مكان الجَمع لِزَوال اللَّبس؛ لأن الإنسان ذُو عظام كثيرةٍ.

﴿خَلۡقًا ءَاخَرَ﴾؛ أي: خلقًا مُبايِنًا لِلخَلقِ الأوَّلِ مُبايَنةً ما أَبعَدها! ....

أي: مُستقَرًّا، وقال: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ﴾ [البقرة ٣٦/٢]. وقوله: **(والمراد: الرَّحِم)** الرَّحِم: منبِت الولد ووعاؤه في البطن، ثمّ سمّيت القرابة والوصلة مِن جهة الوِلاد: رَحِمًا، منها قوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٍ﴾ [الأنفال ٧٥/٨].

قوله: **(وُصِفَتْ)** أي: وُصِفت الرَّحِم بالمكانة في قوله تعالى: ﴿فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ﴾، والمعنى: مكين ما يستَقِرُّ فيها، أي: مكين مستقَرِّها، فحذِف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه.

قوله: **(المستقِرّ فيها)** أي: في الرَّحِم. وقوله: **(كقوله: طريقٌ سائرٌ)** وكقولهم: جرى النهر، وسال المِيزاب.

قوله: **(قرئ: ﴿عَظۡمًا﴾)**... إلخ، اعلم أنّ القراءة بجمع ﴿ٱلۡعِظَٰمَ﴾[1] في الموضعين وإفراده فيهما مِن السبعة،[2] والأُخريان شاذّتان.[3]

قوله: **(لزوال اللَّبْس)** كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا﴾ [غافر ٦٧/٤٠]، وكقول[4] الشاعر:

كُلوا في بعضِ بطنكمُ تَعِفّوا ... فإنّ زمانَكم زمنٌ خميصُ[5]

---

[1] ن – العظم.

[2] قرأ ابن عامر وأبو بكر شعبة بفتح العين وإسكان الظاء مِن غير أَلِف على التوحيد فيهما، وقرأهما باقي العشرة بكسر العين وفتح الظاء وألِف بعدها. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٢٨/٢.

[3] انظر: **المحتسب** لابن جنّي، ٨٧/٢.

[4] ن: وقول.

[5] ن: خيص. | **خزانة الأدب** للبغدادي، ٥٥٩/٧، وهو مِن شواهد سيبويه. انظر: **كتاب سيبويه**، ٢١٠/١.

حيث جَعَلَهُ حيوانًا وكان جَمادًا، وناطقًا وكان أَبْكَم، وسَميعًا وكان أصَمَّ، وبَصيرًا وكان أَكمَهَ، وأودعَ باطِنَه وظَاهِرَه -بَل كُلَّ عُضْوٍ من أَعضَائه وكُلَّ جُزءٍ من أَجزائه- عجائبَ فِطْرةٍ وغَرائبَ حكمةٍ لا تُدرَكُ بوَصْف الوَاصِف، ولا تُبْلَغُ بشَرْح الشَّارح.

وقَد احتجَّ به أبو حنيفة رحمه الله فيمَن غَصَبَ بيْضةً فأَفرَخَتْ عنده؛ قال: يَضمنُ البَيضَةَ ولا يَرُدُّ الفَرْخَ؛ لأنه خلقٌ آخرُ سِوَى البَيْضة.

﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾: فتعَالَى أمرُه في قُدْرته وعِلمه ﴿أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾: ....

قوله: (**لا تُدرَك**)... إلخ إشارة إلى قوله تعالى: ﴿خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ بالإبهام دون التفصيل.

قوله: (**لأنّه خلقٌ آخَر**) والجواب عنه:[١] أنّا سلّمنا أنّه خلقٌ آخَر حصَل مِن مِلك المالك، ولا تعلّق للغاصب به، فيكون لمالِكه.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً﴾... الآية، قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «إنّ خَلْقَ أحدكم يُجمَع في بطْنِ أمّه أربعين يومًا نُطفةً، ثمّ يكون عَلَقةً مِثل ذلك، ثم يكون مُضغةً مِثل ذلك، ثمّ يَبعث الله إليه مَلَكًا بأربع كلمات؛ فيكتب: عملَه، وأجلَه، ورزقَه، وشقيّ أو سعيد، ثمّ يُنفَخُ فيه الروح».[٢] قال في **شرح السنّة**: «يُروى عن عمّار بن رُزَيق أنّه قال للأعمَش: ما يُجمَع في بطن أمّه؟ قال حدّثني خَيثمة قال: قال عبد الله: 'إنّ النطفة إذا وقعت في الرَّحِم فأراد الله تعالى أن يَخلق منها بشَرًا طارت في بشَر المرأة تحتَ كلِّ ظُفْرة وشَعرةٍ، ثمّ تَمكُثُ أربعين ليلةً، ثمّ تَنزل دمًا في الرَّحم، فذلك جمعها'».[٣]

قوله: (**فأفرخَتْ عنده**) أي: خرجت فرخُها، يقال: ليُفرِخْ رُوعك، أي: ليَخرج حُزنك وغمُّك.

قوله: ﴿أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾ أي: أحسن الخالقين خلقًا.

---

١ ن - عنه.
٢ صحيح البخاري، ١١١/٤ (٣٢٠٨)؛ صحيح مسلم، ٢٠٣٦/٤ (٢٦٤٣).
٣ شرح السنّة للبغوي، ١٣٠/١.

أَحْسَنُ المُقَدِّرين تَقديرًا، فتُرِك ذكر المُميِّز لدلالة ﴿ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾ عليه، ونحوُه: طَرْحُ المَأذون فيه في قوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ﴾ [الحج ٣٩/٢٢] لدلالة الصِّلة.

ورُوي عن عُمَر رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لمَّا بَلَغ قَولَه: ﴿خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ قال: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾.

ورُوي: أنَّ عَبْدَ الله بن سعد بن أبي سَرْحٍ كان يكتُب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فنَطق بذلك قَبْل إملائه، فقال له رسول الله: «اكتُبْ هكذا نزلَتْ»

قوله: (أي: أحسن المقدِّرين) كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾ [المائدة ١١٠/٥]، أي: تُقدِّر. وقوله: (تقديرًا) تمييز، وليس بتأكيد؛ لأنَّ "أفعل"[١] التفضيل إنّما يَنصِب النكِرات خاصّةً على التمييز، كقولهم: هذا أكبر منه سِنًّا، وإذا عرفتَ أنّه تمييز فاعلم أنّه تمييز عن نسبة "أحسَن" إلى الضمير المستتر فيه، فكأنّه قيل: تقديره: أحسَن تقدير المقدِّرين. قال رحمه الله:[٢] نظيره قوله عليه الصلاة والسلام: «إنّ الله جَميل يُحبُّ الجمال»،[٣] المعنى: جميل فعلُه[٤] فحُذف المضاف، وأقيم[٥] المضاف إليه مقامه، فانقلب مرفوعًا فاستكنّ.

وقوله تعالى: / ﴿فَتَبَارَكَ﴾ "تفاعَل" مِن بُروك الإبل، والبُرَكاء في الحرب؛ وهو[٦] الثبات، فمعنى "تَبارَك": ثبَت مُلكُه، واستقرَّ ألوهيّته. [١٦٥ظ]

قوله: (في قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ﴾ [الحج ٣٩/٢٢]) أي: أُذِن في القتل.

قوله: (قال: «فتبارَك الله») أي: قال الرسول عليه الصلاة والسلام[٧] قبلَ قراءة جبرئيل عليهما السلام.[٨]

---

١ ن: أفعال.

٢ ن: رضي الله عنه.

٣ صحيح مسلم، ٩٣/١ (٩١).

٤ ن: قوله.

٥ ن – المضاف، وأقيم.

٦ ن: هو.

٧ هذا مبنيّ على أنّ القائل الرسول عليه الصلاة والسلام، وأخرج الواحدي عن أنس بن مالك قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: وافقت ربّي في أربع... وذكر منها: ونزلت: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾، فقلت: فتبارك الله أحسن الخالقين، فنزلت: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾. أسباب النزول للواحدي، ص ٣٢٣.

٨ د – عليهما السلام.

فقال عَبْدُ اللهِ: إن كان مُحمَّدٌ نبيًّا يُوحَى إلَيه فأنا نبيٌّ يُوحَى إليَّ، فلحِقَ بمكَّة كافرًا ثُمَّ أَسْلَم يَوم الفتح.

﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ۝١٦﴾

قَرأ ابن أبي عَبْلةَ وابن مُحَيصِنٍ: "لَمَائتُون"، والفرق بين الميّت والمَائِت: أن الميِّت كالحيِّ صفةٌ ثَابتةٌ، وأما المائتُ فيَدُلُّ على الحُدوث؛ تقول: زيدٌ مائتٌ الآنَ ومائتٌ غدًا؛ كقولك: يَمُوتُ.

ونحوُهما: ضَيِّقٌ وضَائقٌ في قوله تعالى: ﴿وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾ [هود ١٢/١١].

جَعَل الإماتةَ التي هي إِعْدامُ الحياة، والبَعثَ الذي هو إعادةُ ما يُفنِيه ويُعدِمه، دليلَين أيضًا على اقتِدارٍ عظيمٍ بعْدَ الإنشاء والاختِراع.

قوله: (**فقال عبد الله**: «**إن كان محمّد نبيًّا**»)...[١] إلخ، إنّما ظنّ ذلك؛ لأنّه ظنّ أنّ المعجزة هو التلفّظ ببعضِ الآية، وليس كذلك؛[٢] لأنّ التحدّي وقَع بسورة، وأمّا قوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ﴾ [الطور ٣٤/٥٢] فالمراد منه[٣] **القرآن**[٤] كلّه، كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [الزمر ٢٣/٣٩]، هذا مع أنّه لمّا كان حاضرًا عند نزول الوحي وكان النبيّ عليه الصلاة والسلام يُملي عليه ليكتب احتمل[٥] أن يقال: تجلّى له شيء مِن ذلك، كانعكاس الضوء الذي يقع مِن الشمس على المِرآة منها إلى الجدران؛ لكنّ عبد الله غفل عن هذا المعنى ثمّ تفطّن وآمَن،[٦] والله تعالى أعلم بالحقيقة.

قوله: (**يوم الفتح**) وقال في سورة الأنعام في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾ [الأنعام ٩٣/٦]: «أنّه رجَع مسلِمًا قبل فتح مكّة».

قوله: (**وابن مُحيصنٍ**) هو عبد الله بن محيصنٍ.[٧]

---

١ انظر: **جامع البيان** للطبري، ٤٠٥/٩ (الأنعام، ٩٣/٦).
٢ ن: لذلك.
٣ ن – منه.
٤ ن: المقران.
٥ ن: فاحتمل.
٦ ن: تفطر وأمره.
٧ انظر: **الكامل** للهذلي، ص ٦٠٥.

فإن قلتَ: فإذَنْ لا حَياةَ إلَّا حَياةُ الإنشاءِ وحياةُ البَعث؟

قلتُ: ليس في ذكر الحيَاتَيْن نَفيُ الثَّالثة وهي حياة القبر؛ كما لو ذكرْتَ ثُلثَي ما عندكَ وطَويتَ ذكرَ ثُلثهِ، لم يكن دليلًا على أنَّ الثُّلث ليس عندك.

وأيضًا فالغَرضُ ذكرُ هذه الأجناسِ الثلاثة: الإنشاءِ والإماتةِ والإعادةِ، والمَطويُّ ذكرُها من جِنسِ الإعادة.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾﴾

"الطَّرائقُ": السَّماواتُ؛ لأنَّه طُورِقَ بَعضُها فوق بعضٍ كمُطَارَقَة النَّعل، .....

قوله: **(فإن قلتَ: فإذن[١] لا حياةَ)**...[٢] إلخ، يقول أضعف عباد الله تعالى أحمد بن الحسن الجاربردي:[٣] الصواب في الجواب أن يقال: البعث غير الحياة، وهو أخصّ منه، فإنّ البعث هو الحياة التي يكون معها الإثارة، يقال: بعَث الناقة فانبعثت، أي: أثارها فثارت ونهضت، ويوم البعث: يوم يبعثنا الله تعالى مِن القبور، وبعثَه، أي: أرسله،[٤] ومنه: ضُرب عليهم البعث؛ عُيّن عليهم وأُلزِموا أن يُبعثوا إلى الغزو. اعلم أنّ الجواب الصحيح عن قوله: "فإذن لا حياة" هما الجوابان اللذان ذكرهما المصنّف، وأمّا ما كتبناه في الحاشية -وإن كان[٥] كلامًا صحيحًا- فلا تعلُّق له بالجواب، وكذا ما وقع فيه مِن أنّ البعث هو الحياة المخصوص، وصوابه أن يقال: هو الإحياء المخصوص، فتأمّل.

قوله: **(والمطويُّ ذكرها)** أي: الحياة في القبر.

قوله:[٦] **(لأنّه طُورق)** طارقَ بين نعلين؛ خصَف إحداهما[٧] على الأخرى.

---

١ ن: فإذًا.
٢ ن: حيرة.
٣ د: الجاربيردي.
٤ ن: إلى رسله.
٥ ن - كان.
٦ ن - قوله.
٧ د: إحديهما؛ ن: إحدايهما.

وكلُّ شيءٍ فوقَه مِثلُه فهو طَريقةٌ؛ أو لأنَّها طُرقُ الملائكة ومُتقلَّباتُهم.

وقيل: الأفلاك؛ لأنها طرائقُ الكواكب فيها مسيرُها.

أراد بـ﴿ٱلْخَلْقِ﴾ السَّماواتِ؛ كأنه قال: خلقناها فوقَهم ﴿وَمَا كُنَّا﴾ عنها ﴿غَٰفِلِينَ﴾ وعن حِفظِها وإمساكِها أَن تقَع فوقهم بقُدرتنا.

أَو أراد به النَّاسَ، وأنَّه إنَّما خلقها فوقَهم ليَفتَح عليهم الأَرزاقَ والبَركاتِ منها، وينفعَهم بأنواع مَنافِعها، وما كان غافِلًا عنهُم وما يُصْلِحُهم.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿بِقَدَرٍ﴾: بتَقديرٍ يَسْلَمُون معَهُ من المَضرَّةِ ويَصِلُون إلى المَنفعة، أو: بمقدارِ ما عَلِمْنا من حاجاتِهم ومصالحِهم.

قوله: (**وكلّ شيء**)... إلخ، "كلّ" مبتدأ، خبره "فهو طريقةٌ". وقوله: (**فوقه مثله**) صفة "شيء".

قوله: (**أو**[1] **لأنّها**[2] **طُرقُ الملائكة**)؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ [الذاريات ٥١/٧]؛ وهي طرائق[3] في الرَّمْل.[4]

قوله: (**أراد بـ﴿ٱلْخَلْقِ﴾: السماوات**) فـ"الخلق" هنا بمعنى: المخلوق.

قوله: (**﴿بِقَدَرٍ﴾: بتقدير**) إذا كان "القدَر" بمعنى "التقدير" يجوز أن يكون حالًا مِن الفاعل، أي: مقدّرين سلامتهم، ويجوز أن يكون صفة ﴿مَآءً﴾، أي: ماءً ملابسًا تقديرنا سلامتهم، وإذا كان بمعنى "المقدار" يكون صفة ﴿مَآءً﴾ لا غير.

قوله تعالى: ﴿فَأَسْكَنَّٰهُ﴾ أي: أدخلناه[5] في الأرض، ثمّ أخرجنا منه ينابيع، وإليه أشار المصنِّف بقوله تعالى: ﴿فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ﴾ [الزمر ٣٩/٢١]، فإنّ "السَّلْك"

---

[1] ن – أو.

[2] ن: لأنه.

[3] ن: طريق.

[4] قال الجوهري: «الحِباكُ والحَبيكَة: الطريقة في الرَّمل ونحوِه. وجمع الحِباكِ: حُبُكٌ، وجمع الحَبيكَةِ: حَبائِكُ. وقال الفرّاء: الحُبُكُ: تكسُّرُ كل شيء، كالرَّمْل إذا مرّت به الريحُ الساكنة، والماءِ القائم إذا مرّت به الريح». **الصحاح** للجوهري، «حبك».

[5] ن: أذخلناه.

﴿فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ كقوله: ﴿فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر ٢١/٣٩].

وقيل: جعلناه ثابتًا في الأَرض.

وقيل: إنَّها خَمْسَةُ أَنهارٍ: سَيْحونُ: نهرُ الهِند، وجيحُونُ: نهرُ بلخَ، ودِجلةُ والفُرات: نَهرا العراق، والنِّيلُ: نهرُ مصرَ، أَنزلهَا الله من عينٍ واحدةٍ من عُيُون الجنَّةِ، فاستودَعها الجبَالَ وأَجْراها في الأرض، وجَعل فيها مَنافعَ للناس في أصْنَافِ معَايشهم، وكما قَدَر على إنزاله فهو قادرٌ على رفْعِهِ وإزَالتِه.

وقَولُه: ﴿عَلَىٰ ذَهَابِۭ بِهِۦ﴾ من أَوْقعِ النَّكِراتِ وأحزِّهَا للمَفْصِل، والمعنى: على وَجْهٍ من وُجُوه الذهابِ به وطريقٍ من طُرُقه.

وفيه إيذانٌ باقتدار المُذهِبِ، وأنه لا يتَعَايَا عليه شيءٌ إذا أَرادهُ، وهو أَبلغُ في الإيعَاد من قَوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ [الملك ٣٠/٦٧] فعَلى العباد أَنْ يَستَعظِمُوا النِّعمة في الماء ....

هو الإدخال، ويجوز أن يكون المعنى: جعلناه ثابتًا، أي: حاصلًا ومستقرًّا في الأرض، فيكون مِن السُّكنَى[١] لا مِن السكون، كقوله تعالى: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة ٣٥/٢]، فإنّه ليس المراد بالسكون ضدّ[٢] الحركة.

قوله: (**وقيل: إنّها خمسة**) أي: إنّ الماء، وإنّما أنّثه / باعتبار الخبر، وهو "خمسة". [١٦٦و]

قوله: (**لا يتعايَى[٣] عليه شيء**) أعيَى عليه الشيء وتعيَّى وتعايَى؛ لم يَهتد[٤] لوَجهه.

قوله: (**أبلغ في الإيعاد مِن قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾**)... إلخ [الملك ٣٠/٦٧]، قال صاحب **الكشّاف** في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابِۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ أنّه أبلغ في الإيعاد مِن قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ [الملك ٣٠/٦٧]، ولم يذكر وجه الأبلغيّة، والذي يحضرنا الآن في تقديره ثمانية عشَر وجهًا:

---

١ ن: السكنا.
٢ ن: مثل.
٣ د: يتعايا.
٤ ن: يهتدي.

....

الأوّل: أنّ تلك -أعني: ﴿إِنْ أَصْبَحَ﴾- مبنيّ على الفرض والتقدير، وهذه على الجزم.

والثاني: أنّ هذه مؤكّدة بـ"إنّ"، دون تلك.

والثالث: أنّ هذه في الماء المطلق المنزّل مِن السماء، وتلك مقيّدة بـ﴿مَآؤُكُمْ﴾.

والرابع: أنّ تلك بلفظ "الغَور"، وهذه بلفظ "الذهاب"، وقد يكون غائرًا وباقيًا، فالذهاب أبلغ.

والخامس: أنّ في ﴿ذَهَابٍ﴾ وتنكيره مبالغةً، أي: بجهة[١] مِن جهاته، وطريق مِن طرقه، وليست في تلك.

والسادس: أنّ في هذه[٢] إسنادًا[٣] إلى مُذهِب، وفي تلك لم يسنده إلى مُذهِب؛ بل قال: ﴿غَوْرًا﴾.

والسابع: أنّ في هذه ذكَر نفسه بلفظ التعظيم.

والثامن: لفظ ﴿لَقَـٰدِرُونَ﴾، والدلالة به على القدرة عليه.

والتاسع: اللام في ﴿لَقَـٰدِرُونَ﴾.

والعاشر: لفظ ﴿بِهِۦ﴾ مع "الذهاب"، وأنّه يدلّ على استصحابه وإمساكه، ﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ﴾ [فاطر ٢/٣٥].

والحادي عشر: اللام في ﴿لَقَـٰدِرُونَ﴾،[٤] وهي للتأكيد.[٥]

والثاني عشر: أنّ في هذه بلفظ الإذهاب فقط بلا تعرّض لذكر إطماعٍ[٦] ما، وهو ذكر الإتيان بالماء.

---

١ ن: جهة.

٢ ن + إلى.

٣ ن: إسناد.

٤ ن + اللام في ﴿لَقَـٰدِرُونَ﴾.

٥ لم أجد فرقًا بينه وبين ما ذكره في التاسع، والذي ذكره الآلوسي بدله: «الجمع في ﴿لَقَـٰدِرُونَ﴾ وما فيه مِن التعظيم». انظر: **تفسير الآلوسي**، ٢٢٢/٩ (المؤمنون، ١٨/٢٣).

٦ ن: اطعمام.

وَيُقيِّدُوها بالشُّكْر الدَّائم ويَخافُوا نِفَارَها إذا لم تُشكَرْ.

والثالث عشر: أنّ في هذه ما فيه الإيعاد -وهو الذهاب- مقدّم في جملته، وفي تلك ما فيه الإيعاد -وهو ﴿غَوْرًا﴾- غير مقدّم؛ بل واقع في محلِّه، وهو الخبريّة.

والرابع عشر: أنّ تلك في ضِمن جملة فعليّة، وهذه في جملة اسميّة، والاسميّة أثبَتُ وآكد.

والخامس عشر: أنّ في تلك لفظ ﴿أَصْبَحَ﴾ الدالّ على الانتقال والصيرورة، وهذه لا انتقال فيها.

والسادس عشر: أنّ الذهاب بالماء وإمساكه في هذه مصرّح، وفي تلك غير مصرّح؛ بل مفهوم مِن سياق الاستفهام في ﴿فَمَن يَأْتِيكُم﴾ الدالّ على النفي، أي: لا يأتيكم به أحد ولا يرسله.

والسابع عشر: أنّ في هذه اجتماع هذه[1] الأمور التي يدلّ كلّ واحد منها على تأكيد ومبالغة دون تلك.

والثامن عشر: أنّ في[2] تلك نفي ماءٍ خاصٍّ، وهو "المَعين"، لا نفي الماء المطلق، أي: غير المقيّد بـ"المَعين".[3]

قوله: **(ويقيّدوها بالشكر)** قال عليه السلام: «النعمة وَحشيّةٌ قيّدوها بالشكر،[4] إنّها إذا شُكِرَتْ قرَّتْ، وإذا كُفِرَتْ فرَّتْ».[5] وقال أهل الطريقة: الشكر للنعمة الحاضرة قيدٌ، وللمُترقَّبة صيدٌ.

---

[1] ن – هذه.

[2] ن: في أن.

[3] هذه الحاشية كاملة وقعت في هامش د. وقد ذكَر هذه الوجوه الآلوسي نقلًا عن صاحب **التقريب**، وزاد عليها اثني عشر وجهًا حتّى بلغت ثلاثين، أذكر منها وجهين: التاسع عشر: إخباره تعالى نفسُه به مِن دون أمر للغير هاهنا بخلافه هنالك؛ فإنّه سبحانه أمر نبيّه عليه الصلاة والسلام أن يقول ذلك. والعشرين: عدم تخصيص مخاطَب هاهنا، وتخصيص الكفّار بالخطاب هنالك. انظر: **تفسير الآلوسي**، ٢٢٢/٩ (المؤمنون، ١٨/٢٣).

[4] ن – قال عليه السلام: «النعمة وَحشيّةٌ قيّدوها بالشكر».

[5] لم أجده مرفوعًا، وذكر أبو طالب المكّي أوّله، ونسبه إلى بعض السلف. انظر: **قوت القلوب** لأبي طالب المكّي، ٣٤٩/١.

﴿فَأَنشَأۡنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ لَّكُمۡ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ١٩ وَشَجَرَةٗ تَخۡرُجُ مِن طُورِ سَيۡنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ ٢٠﴾

خَصَّ هذه الأنواعَ الثلاثةَ؛ لأنَّها أكرَمُ الشَّجر وأَفضَلُها وأجمَعُها للمَنافع.

ووصَفَ النَّخْل والعِنبَ بأن ثمَرهما جَامِعٌ بين أمرَيْن: أنَّه فاكهةٌ يُتفكَّه بها، وطَعَامٌ يُؤكلُ رَطْبًا ويابسًا، رُطَبًا وعنبًا، وتَمْرًا وزَبِيبًا. والزَّيتونَ بأنَّ دُهنَه صَالحٌ لِلاستِصبَاح والاصطِبَاغ جميعًا.

ويجوزُ أَن يكونَ قولُه: ﴿وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ﴾ من قولهم: فُلانٌ يأكُلُ من حِرْفةٍ يَحترِفُها، ومن ضَيْعةٍ يَغتَلُّها، ومن تجارةٍ يتربَّحُ بها، يَعنُونَ أنَّها طِعْمتُه وجِهتُه

قوله: **(رَطْبًا ويابسًا)** "رَطبًا" حال مِن الضمير في "بها"؛ لأنّه مفعول به معنًى، وإن كان مجرورًا لفظًا. وقوله: "يابسًا" حال مِن الضمير في "يُؤكَل".[1] وقوله: **(رُطَبًا وعِنبًا)**[2] بيان لقوله: "رَطْبًا". وقوله: **(تمرًا وزبيبًا)** بيان لقوله: "يابسًا". والأصوب أن يقال: تنازع "يُتفَكَّه" و"يُؤكل" في "رَطْبًا ويابسًا"؛[3] لأنّه يُتفكَّه بهما رَطْبًا ويابسًا، ويؤكلان رَطْبًا ويابسًا.

قوله: **(والاصطباغ)** يعني: يكون إدامًا، وأصله مِن صِبْغ الثوب، يقال: صُبغ الثوب بِصِبغٍ حسَنٍ وصِباغ؛ وهو ما يُصبَغ به، ومنه الصِّبْغ والصِّباغ مِن الإدام؛ لأنّ الخُبز يُغمس[4] فيه ويُلوَّن به؛ كالخلّ والزيت.

قوله: **(مِن قولهم: يأكل فلان مِن حِرفته)** أي: يُنتَفع بها انتفاع الآكل مِن المأكول، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ [البقرة ١٨٨/٢].

قوله: **(طِعْمَتُه)** الطُّعمة: المأكَلة، يقال: جعلتُ هذه الضَّيعةَ طُعمةً لفلانٍ، والطُّعمة أيضًا: وجه المَكسب، يقال: فلان عفيف الطُّعمة، وخبيث الطُّعمة إذا كان رديَّ الكسب، أبو عُبيد: «فلان حسَنُ الطِّعمة والشِّربة بالكسر».[5]

---

١ ن: تؤكل.
٢ ن: وععنبًا.
٣ ن: رطب ويابس.
٤ ن: يصبغ.
٥ **الصحاح** للجوهري، «طعم».

التي منها يُحصِّل رزقَه؛ كأنَّه قال: وهذه الجنَّاتُ وجُوهُ أرزاقكم ومعَايِشِكم منها تَرتَزِقُونَ وتَتعَيَّشُونَ.

﴿وَشَجَرَةً﴾ عطفٌ على ﴿جَنَّٰتٍ﴾، وقُرئتْ مرفُوعةً على الابتداء؛ أي: وممَّا أُنشِئ لكم شجرةٌ.

"طُورُ سيناءَ" و"طُورُ سِينينَ": لا يخلُو: إمَّا أَن يُضاف فيه الطُّورُ إلى بُقعةٍ اسمُها سينَاء وسِينُونَ، وإمَّا أَن يكُون اسْمًا للجَبل مُركَّبًا من مُضَافٍ ومُضافٍ إليه؛ كـ"امرئ القيسِ"، وكـ"بَعلبَكَّ" فيمَن أَضاف.

فَمَن كَسر سينَ ﴿سَيْنَآءَ﴾ فقد مَنع الصَّرف للتعريف والعُجْمة أَو التأنيث؛ لأنها بقعة، ....

هكذا ذكر في الصِّحاح. ذكر في المُغرب:[1] «أن الطُّعمة -بالضمّ-: الرِّزق، يقال: جعل السلطان ناحية كذا طُعمةً لفلانٍ».[2] وفي بعض حواشي الكشّاف: «الطُّعمة -بضمّ الطاء-: ما يُطعَم، وبكسرها: الوجه الذي[3] يُحصِّل منه رزقه، ولهذا إذا قيل لك: ما طُعمتك؟ فالجواب: الخبز واللحم، وفي: ما طِعمتك؟: الحرفة والتجارة».

قوله: (﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾) في قوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين ٩٥/١-٢].[4]

قوله: (وإمّا أن يكون) أي: طور سينين وطور سيناء.

قوله: (وكبَعْلِ[5] بكَّ) ينبغي أن يُقيّد "بعْل" هنا[6] بالكسر؛ لأنَّ ما ذكره إنّما هو على لغة مَن يضيف[7] "بعْل"[8] ويُعْرِبُه بالإعراب الثلاث، ويجرُّ "بكّ" بكونه مضافًا إليه إمّا منصرِفًا أو غير منصرِف.

---

[1] ن: المقرب.
[2] المُغرب للمطرّزي، «طعم».
[3] ن - الذي.
[4] ن - في قوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين ٩٥/١-٢].
[5] ن: زكفعل.
[6] ن - هنا.
[7] ن: يصف.
[8] ن: يعل.

وفِعْلاءٌ لا يكونُ أَلِفَهُ للتأنيث كعِلبَاءٍ وَحِرْباءٍ. ومَنْ فتحَ فلم يَصْرف؛ لأنَّ الألفَ للتأنيث كصَحراءَ.

وقيل: هو جَبَلُ فِلسطينَ.

وقيل: بين مصْرَ وأَيلةَ، ومنه نُودِيَ مُوسى.

وقرأ الأعمش: "سينا" على القَصْر.

﴿بِٱلدُّهْنِ﴾ في موضع الحال؛ أي: تَنبُتُ وفيها الدُّهنُ.

وقرئ: ﴿تُنْبِتُ﴾، وفيه وَجْهانِ:

أَحَدُهما: أنَّ "أَنبَتَ" بمعنى "نبَتَ"، وأُنشِدَ لزُهَيرٍ:

رَأيتُ ذوِي الحاجاتِ حولَ بيوتهم قَطِينًا لهم حتى إذا أَنْبَتَ البَقْلُ

قوله: **(كعِلباءٍ وحِرباءٍ)** العِلباء: عصَب العنُق، وهما عِلباوان، بينَهما مَنْبِتُ العُرف،[1] وإن[2] شئت قلت: عِلباءان. والحِرباء: أكبر مِن العَظاءة،[3] شيء يستقبل الشمس ويدور معها ويتلوّن ألوانًا بحرِّ الشمس، وهو ذَكر أمّ حُبَينٍ،[4] والحِرباء أيضًا: مسامير الدروع.

قوله:

(رأيــت ذوي الحاجــات)... البيــتَ[5]

القَطِين جمع قاطن، مِن: قطَن بالمكان يَقطُن إذا أقام به وتوطّنه، والقَطين: الخدم والأتباع أيضًا، والقطينة: سكَن الدار وأهلها، وهو المراد في البيت. يقول: رأيت ذوي الحاجات والمسكنة مقيمين حول بيوتهم يسألون[6] مِنهم قضاء حوائجهم، حتّى إذا نبَت البَقل[7] وظهر الخِصْب فحينئذٍ ينتجعون وينفَضُّون[8] مِن حولهم.

---

١ أي: منبت عُرف الفرَس. انظر: **النهاية** لابن الأثير، «علب».

٢ ن: فإن.

٣ ن: القطات.

٤ ن: حنين.

٥ لزهير بن أبي سلمى. انظر: **خزانة الأدب** للبغدادي، ١/٥٠.

٦ ن: يسلون.

٧ ن: النقل.

٨ ن: وينقصون.

والثَّاني: أنَّ مفعُولَه مَحذوفٌ؛ أي: تُنبِتُ زَيتُونَها وفيه الزَّيتُ.

وقُرِئ: "تُنْبَتُ" بضمِّ التاء وفَتح الباء، وحُكْمُه حُكْمُ ﴿تَنۢبُتُ﴾.

وقرأ ابن مسْعُود رضي الله عنه: "تُخرِجُ الدُّهنَ وصِبْغَ الآكِلِينَ"، وغيرُه: "تَخْرُجُ بالدُّهْنِ"، وفي حَرْف أُبيّ: "تُثْمِرُ بالدُّهْنِ"، وعن بعضهم: "تَنبُتُ بالدِّهَان".

وقرأ الأَعمشُ: "وصِبْغًا"، وقرئ: "وصِبَاغٍ"، ونحوُهما: دِبْغٌ ودِبَاغٌ، والصَّبْغُ: الغَمْسُ للائتدَام.

وقيل: هي أوَّلُ شجَرةٍ نبَتَتْ بعدَ الطُّوفان، ووصَفها اللهُ تعالى بالبَركة في قولِه: ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ﴾ [النور ٣٥/٢٤].

﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٢١ وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ ٢٢﴾

قُرئ: ﴿تَسقيكم﴾ بتَاءٍ مَفتُوحَةٍ؛ أي: تَسقيكم الأَنعامُ.

قوله: (**أي: تُنبت زيتونها**)[1] أي:[2] تُخرج زيتونها،[3] أو تُثمر زيتونها.[4]

قوله: (**وقرئ**:[5] **﴿تُنۢبِتُ﴾ بضمّ التاء**)[6] مِن / الإنبات بمعنى المتعدّي. وقوله: (**وحُكمه**) يعني:[7] يكون ﴿بِٱلدُّهۡنِ﴾ في موضع الحال. [١٦٦ظ]

قوله: (**"بالدِّهان"**) جمع دُهْن، كالشِّهاد في جمع شُهْد، والصِّلاب في جمع صُلْب.

قوله: (**وقرأ الأعمش: "وصِبْغًا"**)[8] عطفًا على موضع ﴿بِٱلدُّهۡنِ﴾.

قوله: (**قرئ: ﴿تَسۡقِيكُم﴾ بتاء مفتوحة**) بالنون مِن السبعة، وبالتاء شاذّ.[9]

---

١ ن: زيتونًا.

٢ ن – أي.

٣ ن: زيتونًا.

٤ ن: زيتونًا.

٥ ن – وقرئ.

٦ وهي قراءة ابن كثير وأبو عمرو ورُويس، وقرأ باقي القرّاء العشر بفتح التاء وضمّ الباء. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٢٨/٢.

٧ ن: بمعنى.

٨ شاذّة. انظر: **مختصر شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ٩٩.

٩ قراءة التاء قراءة صحيحة، وهي قراءة أبي جعفر المدني أحد العشرة. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٣٠٤/٢.

﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾؛ أي: تتعلّق بها منافعُ من الرّكوب والحملِ وغيرِ ذلك كما تتعلّق بما لا يُؤكَلُ لحمُه من البغال والحَمير والخَيل، وفيها منفعةٌ زائدةٌ وهي الأكلُ الذي هو انتفاعٌ بذَواتها.

والقصدُ بـ﴿ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ إلى الإبل؛ لأنها هي المحمولُ عليها في العادة، وقرنَها بالفُلك -التي هي السّفائنُ- لأنها سَفائنُ البَرّ؛ قال ذو الرُّمَّة:

سَفِينةُ بَـرٍّ تَـحت خَـدِّي زِمَامُـهـا

يُريدُ: صَيْدَحَهُ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾﴾

قوله: **(والخيل)**[١] يشير بها إلى حُرمة لحم الخيل، وهو مذهب أبي حنيفة،[٢] قال في **المنظومة**:[٣]

وأكْـلُ لـحم الـخيل قيـل:[٤] يُكرهُ والـحُـرمـة الـمـراد لا الـتـنـزّه[٥]

قوله: **(والقصد)** يريد: أنّ المراد هنا[٦] بالأنعام هي الإبل خاصّة؛ لقوله تعالى: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾، وإلّا فالأصل أن يُحمَل على الأزواج الثمانية، قال المرزوقيّ في شرح قول الحماسيّ:

أيـا ابـن زيَّابـة إن تَلْقَنـي لا تَلقَنـي فـي النَّعَـم العـازِب[٧]

فائدة: النَّعم في الإفراد: الإبل في الأكثر، وإذا جُمعت دلّت على الأزواج الثمانية.

قوله: **(يريد صَيدَحه)** "صَيدَح" اسم ناقة ذي الرُّمّة، مِن: صَدَح[٨] الديك؛ صاح.

---

١ ن: الخيل.

٢ انظر: **حاشية ابن عابدين**، ٣٠٥/٦.

٣ ن: المنتظومة.

٤ ن: قال.

٥ ن: للتنزه. | **منظومة الخلافيّات** للنسفي، كتاب الصيد، مخطوط.

٦ ن: هنى.

٧ للحارث بن همّام الشيباني. انظر: **شرح الحماسة** للتبريزي، ٣٨/١.

٨ ن: صدع.

﴿غَيْرُهُۥ﴾ بالرَّفع على المحلِّ، وبالجرِّ على اللَّفظ.

والجملةُ استئنافٌ تَجري مَجْرى التَّعليل للأمْر بالعبَادة.

﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: أفلا تخافون أن تَرفُضُوا عبَادةَ الله الذي هو ربُّكم وخَالِقُكم ورازقُكم -وشُكرُ نعمَتِهِ التي لا تُحصُونَها واجبٌ عليكم- ثمَّ تذهَبُوا فتَعبدُوا غيرَه مما ليس من استِحقاق العبَادة في شيءٍ؟

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾: أن يَطلُب الفَضْلَ عليكُم ويَرْأسَكُم؛ كقوله تعالى: ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس ١٠/٧٨].

﴿بِهَٰذَا﴾ إشارةٌ إلى نوحٍ عليه السلام، ....

قوله: (على اللفظ) نحوه: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر ٣٥/٣]، على اللفظ والمَحلّ.

قوله: (أن ترفضوا)[1] أي: تتركوا، والرفض: الترك. والمعنى: أفلا تخافون الله في هذا الفعل وهذا العمل؟ وهو ترك عبادة الله تعالى، فالمصنِّف لم يذكر مفعول "تخافون"، وحذف الجارّ مِن "أن ترفضوا".

قوله: (ويَرأسكم) رأَس فلان القوم يرأَس -بالفتح- رئاسةً، وهو رئيسهم.

قوله: (﴿بِهَٰذَا﴾ إشارة إلى نوح) في كون الإشارة ﴿بِهَٰذَا﴾ إلى نوح عليه السلام نظر؛ لأنّه لا يجوز أن يقال: سمعت زيدًا أو بزيدٍ إلّا وأن[2] يقال بعده: يتكلّم أو يُحدّث أو يقول؛ لأنّ زيدًا لا يكون مسموعًا، فالوجه أن يكون إشارة إلى الكلام كما أشار إليه المصنِّف ثانيًا، ويمكن أن يقال: مراد المصنِّف: بمثل ادّعاء هذا الذي يَدّعي، يَعنون: ما سمعنا دعوى النبوّة مِن البشر، وإليه أشار بقوله:

---

[1] ن: تفرضوا.
[2] ن: أن.

أو إلى ما كَلَّمهُم به من الحَثِّ على عبَادة الله؛ أي: ما سَمِعنا بمثلِ هذا الكلام، أو بمثلِ هذا الَّذي يَدَّعي -وهو بَشرٌ- أنَّه رسُول الله.

ومَا أَعجبَ شأنَ الضُّلَّال لم يَرضَوا للنُّبوَّةِ ببشرٍ وقد رضُوا للإلهيَّة بحَجرٍ!

وقولهم: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ يدلُّ على أنهم وآباءَهُم كانوا في فَتْرَةٍ مُتطاوِلةٍ، أو تَكذَّبُوا في ذلك لانهِماكِهم في الغيّ، وتشَمُّرِهم لأَنْ يَدفعُوا الحقَّ بما أَمْكنَهم وبما عنَّ لهم من غيْرِ تمييزٍ منهم بين صدْقٍ وكَذْبٍ، ألا تَراهم كيفَ جَنَّنُوهُ وقد عَلمُوا أنَّه أَرْجحُ الناسِ عَقْلًا وأَوزنُهم قولًا.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ۝٢٥ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ۝٢٦﴾

و"الجِنَّةُ": الجنُون، أو: الجنُّ؛ أي: به جِنٌّ يُخبِّلُونَه.

﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾؛ أي: احتَمِلُوه واصْبِرُوا عليه إلى زمانٍ حتى يَنجَليَ أَمرُه عن عَاقِبةٍ،

(يدَّعي وهو بشر)، وفيه أيضًا؛ لأنَّهم[1] يقولون: سمعتُ زيدًا، بمعنى: سمعتُ دعوى زيد، لما مرّ.

قوله: (مِن الحثّ) بيان "ما".[2]

قوله: (بمِثل هذا الكلام)... إلخ، فيه لفّ ونشر، فقوله: "بمثل هذا الكلام" على أنّ "هذا" إشارة إلى ما كلّمهم به، وقوله: (هذا الذي) على تقدير أن "هذا" إشارة إلى نوح عليه السلام، ولا بُدّ على الوجهين مِن تقدير المضاف، إذ يستحيل أن يسمعوا عين هذا الكلام أو نوحًا في آبائهم، فلذا قال المصنِّف: "بمِثل"...

قوله: (يُخَبِّلونه) الخَبْلُ -بالتسكين-: الفساد، والجمع: خُبول، والخَبَل -بالتحريك-: الجِنُّ، يقال: به خَبَل، أي: شيء مِن أهل الأرض، وقد خَبَلَه وأخبَله وخبَّلَه، أي: أفسَده.[3]

قوله: (عن عاقبة) في "عن" معنى المجاوزة، كأنّ أمره الذي هو فيه الآن

---

١ ن: أنهم.
٢ ن – ما.
٣ **الصحاح** للجوهري، «خبل».

فإن أفاقَ من جُنونه وإلَّا قتلتُموه.

في نُصرته إهْلاكُهم؛ فكأنَّه قال: أَهلِكْهم بسَبب تكذِيبهم إيَّاي، أو: أنصُرني بدَلَ ما كذَّبوني؛ كما تَقول: هذا بذاكَ؛ أي: بدَلَ ذاك ومكانَه.

والمعنى: أبدِلْنِي من غمّ تكذيبهم سَلوَةَ النُّصرة عليهم، أو انصُرني بإنجَاز ما وَعَدْتُهم من العَذاب، وهو ما كذَّبُوه فيه حينَ قال لهم: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾.

﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٢٧ فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٨ وَقُل رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ٢٩﴾

﴿بِأَعۡيُنِنَا﴾: بحِفظنا وكِلاءَتِنا؛ ....

يَستُر عنا عاقبته، فإذا مضى زمانٌ يذهب عنه أمره هذا ويتبيّن عاقبته.

قوله: (**فإن أفاق**)... إلخ، أي: فإن أفاق بترك ما يقوله فتستريحون منه، وإلّا -أي: وإن لم يفِقْ- تقتُلونه.

قوله: (**في نصرته إهلاكهم**) يريد: أنّ نصرته مِن لوازم إهلاكهم، فأطلَق اللازم وأراد المَلزوم، فيكون كناية على هذا الوجه الأوّل دون الثاني والثالث، وقوله: (**بسبب تكذيبهم**) يعني: أنّ الباء سببيّة و"ما" مصدريّة، أو الباء للمقابلة كما في: بِعتُ هذا بهذا، و"ما" مصدريّة.

قوله: (**أو انصرني بإنجاز**) فالباء صلة "انصُر"، وعلى هذا "ما" بمعنى الذي، والمضاف محذوف، / وكذا يكون العائد محذوفًا، أي: انصرني بإنجاز[1] [١٦٧و]
ما كذّبوني فيه، فالوجوه المذكورة ثلاثة: **الأوّل**: أن يكون الباء للسببيّة. **والثاني**: للمقابلة. **والثالث**: للآلة، نحو: كتبت بالقلم، وضربت بالسَّوط.

---

١ ن: بإيجاز.

كأنَّ معهُ من الله حُفَّاظًا يَكْلؤُونَه بعيُونهِم لئَلَّا يُتعرَّضَ له ولا يُفسِدَ عليه مُفسِدٌ عَملَهُ، ومنه قولُهم: "عليه مِن الله عَينٌ كَالِئةٌ".

﴿وَوَحْيِنَا﴾؛ أي: نَأمُركَ كيف تَصنعُ ونُعلِّمُكَ.

رُوِي: أنَّه أُوحيَ إليه أن يَصْنعها على مثالِ جُؤْجؤِ الطَّائر.

رُوي: أنه قيل لنُوح عليه السلام: إذا رأيتَ المَاء يَفُورُ من التَّنُّور فاركبْ أنتَ ومَن معك في السفينة، فلمَّا نَبع الماءُ من التَّنُّورِ أَخبرتْه امرأتُه فركِبَ.

وقيل: كان تنورَ آدمَ، وكانَ من حجارةٍ، فصارَ إلى نوح.

واختُلِف في مكانه: فعَن الشَّعبي: في مَسْجِد الكوفة عن يَمين الدَّاخل ممَّا يلِي بابَ كِنْدةَ، وكان نوحٌ عمِل السَّفينة وَسْطَ المسجد.

وقيل: بالشام بمَوضع يُقال له: عَينُ وَرْدةَ.

وقيل: بالهِند.

وعن ابن عباس: التنُّورُ وجهُ الأرض.

قوله تعالى: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ حال، وكذا ﴿وَوَحْيِنَا﴾.

قوله: (كأنّ معه) يريد: أنّ المراد بـ"الأعين": الحُفّاظ الذين يحفظونه بأعينهم سمّاهم: "أعينًا"، كما أنّ الرَّبيئة[1] تسمّى: عينًا؛ إذ المقصود منه العين، وكذا الجاسوس يسمّى: عينًا لذلك، أو يريد: المراد بـ"الأعين": أعين الحافظين، وإنّما أضافه إليه تعالى؛ لأنّه خلقها فيهم.

قوله: (جُؤْجُؤُ الطائر)[2] أي: صدره.

قوله: (امرأته) اسمها: راعلة أو راهلة.

قوله: (وقيل: كان[3] تنُّورَ آدم عليه السلام) أي: كان ﴿ٱلتَّنُّورُ﴾ تَنُّورَ آدم عليه السلام.

---

[1] الربيئة: هو العين والطليعة الذي ينظر للقوم لئلا يدهمهم عدوّ، ولا يكون إلّا على جبل أو شرَف ينظر منه. انظر: **لسان العرب** لابن منظور، «ربأ».

[2] ن: الطيرئر. | انظر: **جامع البيان** للطبري، ٣٩٢/١٢ (هود، ٣٧/١١).

[3] ن – كان.

وعن قتادة: أَشرَفُ مَوضعٍ في الأرض؛ أي: أعلاه.

وعن علي رضي الله عنه: ﴿فارَالتَّنورُ﴾: طَلَعَ الفَجرُ.

وقيل: مَعناه: أنَّ فَوَران التَّنُّور كان عند تَنوير الفَجر.

وقيل: هو مثَلٌ؛ كقولهم: "حَمِيَ الوَطيسُ"، والقولُ هو الأوَّلُ.

يقال: سَلك فيه: دَخَله، وسَلَك غيرَهُ وأَسْلَكَهُ، قال:

قوله: (وعن قتادة: «أشرف موضع»)[1] الشرَف: العلوّ والمكان العالي، قال:

آتـي الـنَّـديَّ فـلا يُـقـرَّبُ مجلِسِي وأقـود لـلـشـرَفِ الـرفيـع حِـمـاري[2]

يقول: خَرِفْتُ فلا[3] يُنتفع برأيي، وكَبِرتُ فلا أستطيع أن أركب مِن الأرض حِماري إلّا مِن مكان عالٍ.

قوله: (وعن عليّ رضي الله عنه:[4] «فار التَّنُّور»)...[5] إلخ، أي: كأنّه قال[6] عليّ رضي الله عنه: فار التَّنُّور مِن الأرض، وطلع الفجر مِن السماء.

قوله: (وقيل: هو مَثَل) أي: في شدّة الأمر. وقوله: (حَمِيَ الوَطيس) "الوَطيس": المكان المؤثَّر فيه، فعيل بمعنى مفعول، مِن قولهم: وطَس في الأرض إذا أثّر فيها، وفي الحديث: «الآن حَمِيَ الوطيس»،[7] أي: اشتدّ[8] الحرب. وَطستُ الأرض برجلي أطِسُها وَطْسًا إذا هزمتَ فيها هَزْمةً، والوطيس: التنّور من ذلك؛ لأنّه هزَم في الأرض، والهَزْم: أن تَغمِزَ[9] الشيء بيدك فينهزِمَ إلى داخل، كالقِثّاء والبِطّيخة، ومنه: الهَزْمة: النَّقرة في التفاحة إذا غَمزتَها بيدك ونحوها.[10]

قوله: (وسلَك غيره) أي: أدخله.

---

١ انظر: جامع البيان للطبري، ٤٠٤/١٢ (هود، ٤٠/١١).

٢ الصحاح للجوهري، «شرف»، بغير نسبة.

٣ ن - فلا.

٤ د - رضي الله عنه.

٥ انظر: جامع البيان للطبري، ٤٠٣/١٢ (هود، ٤٠/١١).

٦ ن - قال.

٧ صحيح مسلم، ١٣٩٨/٣ (١٧٧٥)، في غزوة حنين، بلفظ: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذا حينَ حمي الوَطيس».

٨ ن: اشتدت.

٩ ن: يعزم.

١٠ انظر: الصحاح للجوهري، «هزم».

حتّـى إذا أَسـلـكُـوهـم فـي قُـتَـائـدةٍ

﴿من كلٍّ زوجين﴾: مـن كلِّ أُمَّتَيْ زَوجيـن، وهُمـا أُمَّـةُ الذَّكَـر وأُمَّـةُ الأنثى

وقوله:

(حتّـــى إذا أســـلَكوهم فـــي قُتائِـــدةٍ)

تمامه:

شَـلًّا كـمـا تَـطـرُد الـجـمّـالـة الـشُّـرُدا[1]

أي: يَشُلُّون[2] شَلًّا. يصف خاربة[3] الإبل. أي: أسلكوهم في طريق قُتائدة. و"الشُّرُد": جمع شَرود. وقُتائدة:[4] ثنيّة معروفة. والشَّلُّ:[5] الطَّرْد. والجَمّال: صاحب الجمَل، والجمع: الجمّالة، مثل: حمّار وحمّارة، وناقة شَرود: سائرة في البلاد. يصف[6] جيشًا انكسروا[7] وهُزموا، وقد كانوا أغاروا على قبيلة، فدفعوا الغارة عن أنفسهم في موضع يقال له: قُتائدة، وهزموا ذلك الجيش وطردوهم، حتّى إذا أسلكوهم في هذه الثنيّة كما تَطرُد الجمّالة النوق. والشِعر لعبد مناف الهُذليّ، وهذا البيت آخر القصيدة. ولا جواب لقوله: "حتّى إذا"، وقال بعضهم:[8] قوله: "شلًّا" جواب، كأنّه قال: حتّى إذا أسلكوهم شَلُّوهم شلًّا، فاكتفى بالمصدر عن الفعل، فهو مثل قوله تعالى في سورة ص: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا﴾ [ص ٣٨/٣٣]، أي: جعل يمسح السيف بسُوقها وأعناقها، يعني: يقطعها.

قوله: (مِن كلِّ أمّتَي زوجين) اعلم أنّه لو لم يقدَّر هذا المضاف لم يستقم المعنى؛ لأنّه لو حُمِل الكلام على ظاهره لزم أن يُحمل الجميع، فكأنّه قيل حينئذٍ:

---

١ لعبدِ مَناف بن ربع الهُذَلي. انظر: **لسان العرب** لابن منظور، «شرد»، قال: «ويُروَى: الشَّرَدا».

٢ ن: يسلرن.

٣ ن: خاوية.

٤ ن: وتعائده.

٥ ن: والشلّ.

٦ ن: نصف.

٧ ن: انكروا.

٨ عدّ منهم البغدادي: أبا عليّ في التذكرة، وابن الشجريّ في أماليه، وابن الأنباري في مسائل الخلاف، ثمّ قال: «وهذا المذهب غير سديد في المعنى؛ لأنّ الشلّ -أي: الطرد- إنّما كان قبل إسلاكهم في قتائدة، أي: إدخالهم فيها، وكلامهم يقتضي أن يكون بعد ذلك، وهو فاسد، وإنّما 'شلًّا' حال من الواو». انظر: **خزانة الأدب** للبغدادي، ٤١/٧.

كالجِمالِ والنُّوق، والحُصُنِ والرِّماكِ، ﴿ٱثْنَيْنِ﴾: واحدَيْنِ مزدَوجيْنِ كالجَمل والنَّاقةِ، والحصَان والرَّمَكَةِ.

روي: أنّه لم يَحمِلْ إلا ما يَلِدُ ويبِيضُ.

وقُرئ: ﴿مِن كُلٍّ﴾ بالتنوين؛ أي: من كلِّ أُمَّةٍ زَوجَين، و﴿ٱثْنَيْنِ﴾: تأكيدٌ وزيادةُ بيان.

جيء بـ"على" مَع سَبْق الضَّارّ كما جيءَ باللَّام مع سَبْقِ النَّافعِ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ [الأنبياء ١٠١/٢١]، ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات ١٧١/٣٧]، ونحوُه قولُه تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة ٢٨٦/٢]، وقَول عمر رضي الله عنه: ليتَها كانت كَفَافًا لا عَليَّ ولا لِي.

فإن قلتَ: لِمَ نَهاه عن الدُّعاءِ لهم بالنَّجاة؟

قلتُ: لِمَا تضمَّنتهُ الآيةُ من كونهم ظالِمِين، وإيجَابِ الحكمةِ أن يُغرَقُوا لا محَالَةَ؛ لِمَا عَرف من المصلحة في إغراقهم والمفسَدةِ في استبقائهم،

احمِل مِن كلّ زوجين زوجين، / أو احمِل مِن كلّ اثنين اثنين، وأمّا إذا قُدِّر[١] ما قدِّر استقام المعنى، فكأنّه[٢] قيل: احمل مِن كلّ صنفَين فردَين. [١٦٧ظ]

قوله: **(والحِصان)** الحِصان: الذَّكَر مِن الخيل. **(والرَّمَكة)** الأنثى منه.

قوله: **(لم يَحمل إلّا ما يلِد)** يعني: لم يحمل العقيم.

قوله: (**«ليتَها»**) أي: الخلافة.[٣] وقوله: (**«كانت»**) أي: الخلافة، وقوله: (**«كَفافًا»**)[٤] يقال: دعني كَفاف، تَكُفُّ عنّي وأكُفُّ عنك، ومعناه بالفارسيّة: "سر بسر"،[٥] وكَفاف الشيء بالفتح مِثله.

---

١ ن + على.

٢ ن: كأنه.

٣ ن: إطلاقه.

٤ صحيح البخاري، ٨١/٩ (٧٢١٨)؛ صحيح مسلم، ١٤٥٤/٣ (١٨٢٣).

٥ ن: شريسرّ.

وبَعْدَ أَن أَملَى لهُم الدَّهرَ المُتطَاوِل فلم يَزيدُوا إِلَّا ضَلالًا ولزِمَتْهُم الحُجَّةُ البَالِغةُ لم يَبْقَ إلا أَنْ يُجعَلُوا عِبْرةً للمُعتبرين.

ولقد بالَغَ في ذلك حيث أَتبع النَّهيَ عنه الأمرَ بالحَمد على هَلاكِهم والنَّجاةِ مِنهم؛ كقوله عزَّ وجَلَّ: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام ٦/٤٥].

ثمَّ أمرَهُ أَنْ يَدْعُوَهُ بدعَاءٍ هو أَهمُّ وأنفَعُ له، وهو طَلَبُ أن يُنْزِلَه في السَّفينة أو في الأرض عند خُرُوجِه منها مَنزلًا يُبارَكُ له فيه، ويُعْطِيه الزِّيادةَ في خَيْر الدَّارينِ، وأَن يَشفَع الدُّعاء بالثناء عليه المطَابِقِ لمسألته وهو قوله: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾.

فإن قلتَ: هَلَّا قيل: فقُولُوا؛ لقوله: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ﴾؛ لأنَّهُ في معنى: فإذا استَويتُم؟

قلتُ: لأنَّه نَبيُّهُم وإِمامُهم، فكان قولُه قولَهم، مع ما فيه مِن الإشعار بفَضلِ النُّبُوَّة وإظهارِ كبرياء الرُّبُوبيَّة، وأنَّ رُتبَة تلك المُخاطَبَة لا يَترقَّى إليها إلَّا مَلَكٌ أو نَبيٌّ.

وقرئ: ﴿مُنزَلًا﴾ بمعنى: إنزالًا، أو: موضعَ إنزالٍ؛ كقوله: ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ﴾ [الحج ٢٢/٥٩].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾﴾

"إنْ" هي المُخفَّفة من الثَّقيلة، واللَّامُ هي الفارقةُ بين النافيَةِ وبَيْنها، والمعنى: وإنَّ الشأن والقصة كنَّا مبتلين؛ أي: مُصِيبين قومَ نوحٍ ببلاءٍ عظيمٍ وعقابٍ شَديد،

قوله: (**وبعدَ أن أملى**) العامل في "بعدَ" هو "لم يبقَ".[1]

قوله: (**في ذلك**) أي: النهي عن الدعاء. وقوله: (**عنه**) أي: الدعاء.

قوله: (**﴿مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ﴾ [الحج ٢٢/٥٩]**) أي: إدخالًا، أو موضع إدخال.

قوله: (**وإنّ الشأن**) اعلم أنّ المصنِّف قدّر ضمير الشأن مع "إن" المخفَّفة[2]

---

[1] ن: يبقى.

[2] ن: المحققة.

أو: مُختَبِرين بهذه الآيات عبَادَنا لننظُرَ مَن يَعتبرُ ويذَّكرُ؛ كقوله: ﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ [القمر ١٥/٥٤].

﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ٣١ فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣٢﴾

﴿قَرۡنًا ءَاخَرِينَ﴾ هم عادٌ قومُ هُود؛ عن ابن عباس، وتشهَدُ له حكايةُ الله قولَ هُودٍ: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ﴾ [الأعراف ٦٩/٧]، ومجيءُ قصَّة هُود على أثَرِ قصَّةِ نُوحٍ في سُورةِ الأعراف وسُورةِ هُود والشُّعراءِ.

فإن قلتَ: حَقُّ "أَرسَلَ" أن يُعَدَّى بـ"إلى" كأخواتِه الَّتي هي: وَجَّهَ وأَنفَذ وبَعثَ، فما بالُه عُدِّيَ في القرآن بـ"إلى" تارةً وبـ"في" أُخرَى كقوله: ﴿كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ﴾ [الرعد ٣٠/١٣] و﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ﴾ [سبأ ٣٤/٣٤] ﴿فَأَرۡسَلۡنَا فِيهِمۡ رَسُولٗا﴾؛ أي: في عادٍ، وفي مَوضع آخر: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗا﴾ [الأعراف ٦٥/٧].

في كثير مِن المواضع مِن كتابه، مع أنّه لا حاجة لـ"إن" المكسورة، إذا خُفّفت تُلغَى على الأفصح، ويجوز دخولها على فعل مِن أفعال المبتدأ.

قوله: (**كقوله: ﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَا﴾** [القمر ١٥/٥٤]) أي: سفينة نوح عليه السلام.[1]

قوله: (**هم عادٌ قوم هود**) هم عادٌ الأولى، وهو عاد بن عوصم إرَم[2] بن سام بن نوح، وعادٌ الآخرة هم لُقيم بن هذال،[3] وهم سكّان الحرَم.

قوله: (**حكاية الله**) أي:[4] في موضع آخر مِن القرآن.

قوله: (﴿**خُلَفَآءَ**﴾ [الأعراف ٦٩/٧]) فدلّ على أنّ المراد بقوله: ﴿قَرۡنًا ءَاخَرِينَ﴾: عاد؛ لقوله: ﴿بَعۡدِهِمۡ﴾.

---

١ ن – عليه السلام.

٢ هكذا في الأصول الخطيّة، وفي كتب التفسير: "عوص بن إرم". انظر: الكشف والبيان للثعلبي، ٣٢٠/٢٩ (الفجر، ٧/٨٩).

٣ ن: هذاك.

٤ ن – أي.

قلتُ: لم يُعَدَّ بـ"في" كما عُدِّيَ بـ"إلى"، ولم يُجعَل صلَةً مِثلَهُ؛ ولكنَّ الأُمَّةَ أَو القَريةَ جُعِلت مَوضعًا للإرسال كما قال رُؤْبَةُ:

أَرْسَـــلْتُ فيهـــا مُصْعَبًـــا ذَا إِقحَـــامْ

وقد جَاء "بَعَثَ" على ذلك في قوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾ [الفرقان ٥١/٢٥].

﴿أَنِ﴾ مُفسِّرةٌ لـ"أَرْسلنا"؛ أي: قُلْنا لهم على لسان الرسول: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾.

فإن قلتَ: ذَكرَ مقَالَ قومِ هُودٍ عليه السلام في جوابهِ في سُورة الأعراف وسُورةِ هُود بغَير واوٍ: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ [الأعراف ٦٦/٧]، ﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ [هود ٢٧/١١] وهاهُنا مع الواو، فأيُّ فَرقٍ بَيْنهما؟

قوله: **(ولم يُجعَل صلةً)** أي: لم يُجعَل "في" صلة "أرسل"، كما جُعل[١] "إلى" صلة له.

قوله:

(أرســـلتُ فيهـــا مُصعَبًـــا[٢] ذا إقحـــام)

تمامه:

طَـبًّـا فـقـيـهًـا بـــذوات الإبـــلام[٣]

"المصعَب": الفحْل، وبه سمّي الرَّجل مُصعَبًا. و"الإبلام": مصدر: أبلَمَتِ الناقة إذا ورم حياؤها مِن شدّة الضَّبَعة، وبها بَلَمَة شديدة، والضَّبَع -بالتحريك- والضَّبَعة: شدّة شهوة الناقة الفحلَ، والحياء: رحِم الناقة، والجمع: أحيِية.[٤] قال رحمه الله:[٥] أي: أرسلتُ في جماعة النُّوق فَحلًا ذا[٦] إقحام، وفحْل ذو[٧] إقحام

---

١ ن - جعل.

٢ ن: مصعب.

٣ ذكره الزمخشري في أساس البلاغة، ٣٢/٢، لعطاء السندي، بلفظ:
أرسلت فيها مقرَمًا ذا تشمام
طبًّا فقيهًا بذوات الإبلام

٤ ن: أحيته.

٥ ن: رضي الله عنه.

٦ ن: إذا.

٧ ن: ذوا.

قلتُ: الذي بغير واوٍ على تقديرِ سُؤالٍ سَائلٍ قال: فما قال قومُه؟ فقيل له: قالوا كيْتَ وكيْتَ، وأمَّا الذي مع الواو فعطفٌ لِمَا قالُوه على ما قالَهُ، ومعناه: أنَّه اجتَمَع في الحُصول هذا الحَقُّ وهذا الباطِلُ، وشَتَّان ما هُما.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْأٓخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿بِلِقَآءِ ٱلْأٓخِرَةِ﴾: بلقاءِ ما فيها من الحسَاب والثَّواب والعِقَاب؛ كقولك:

إذا أسقط الثنيّة والرَّباعية في عامٍ واحد، وهو أقوى، يقال: أصعَبَ الجمَل إذا لم يُركب ولم يُذَلَّل، فهو مُصعب، وبه سمّي الرجل المسوَّد: مُصعبًا. قوله: "ذا إقحام"، أي: يُقْحِمُ في الأمور ويدخل فيها بغير تثبّتٍ ولا رَويّة، وأعرابيّ مُقحَمٌ نشأ في المفازة، ولم يخرج منها. و"الطبّ": الحاذق. يقول: أرسلت في هذه القضيّة رجلًا مسوّدًا مقحمًا في الأمور حاذِقًا بعلاج ذوات الإبلام، وهي جراحة الرحِم، وإنّما خصّ علاج هذا؛ لأنّ مَن كان حاذقًا في أن يأسو[١] جراحة الرحِم ذات الخطر المستتر عن العيون كان في نهاية الحَذاقة.[٢]

قوله: **(ومعناه)** إشارة إلى فائدة إدخال الواو، وهي أن ينظر إلى القولين مَن سمع هذين الكلامين مترتِّبًا، ويَتبيّن[٣] التفاوت بينهما، ويتعجّب مِن اجتماع هذين القولين، ومِن[٤] القول الثاني الأحمَق بعد القول الأوّل الحكيم، وإليه أشار المصنِّف بقوله: **(وشتّان ما هما)**.

قوله: **(وشتّان ما هما)**، وفي بعض النسخ: "شتّان ما بينهما"، والأوّل أصحّ؛ فإنّ معنى شتّان تباين الشيئين في بعض المعاني والأحوال، والذي عليه الفصحاء:

---

١ ن: يا هو.

٢ انظر: **شرح شواهد الكشّاف** لمحبّ الدين أفندي، ص ٢٩٠.

٣ د: ويبينهنّ.

٤ ن: وهو.

يا حَبَّذا جِوارُ مَكَّةَ؛ أي: جوارُ اللهِ في مكّة.

﴿وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ حَذَف الضَّميرَ، والمعنى: مِن مَشرُوبكم، أو حُذف "منهُ" لدلالة ما قَبْلَه عليه.

﴿إِذًا﴾ واقعٌ في جزاء الشرط، وجوابٌ للّذين قَاوَلوهُم مِن قومهم؛ أي: تَخسَرونَ عُقُولَكُم وتُغْبَنُونَ في آرائكم.

[١٦٨و] شتّان زيد وعمرو، وشتّان ما زيد وعمرو، بإقحام "ما"، وأمّا "شتّان / ما بينهما" فليس بفصيح، قال المصنِّف في **المفصّل**: «وأمّا نحو قوله:

لشتّان ما بينَ اليزيدَين في النَدَى يزيد سُلَيم[١] والأغـرّ[٢] بن حاتمِ[٣]

فقد أباه الأصمَعيّ، ولم يستبعِده بعض العلماء عن القياس». هذا كلامه في **المفصّل**.[٤] وقال الشارحون: إنّما أباه الأصمعيّ؛ لأنّك إن جعلت "ما" مزيدةً فـ"بينَ" منصوب على الظرف، لا يصلح أن يكون فاعلًا لـ"شتّان"، وإن جعلت "ما" بمعنى "الذي" فقد جعلتَ فاعله شيئًا واحدًا، وهي تقتضي شيئين، ولم يستبعده السيرافيّ؛ بأن يجعل "ما" فاعلًا بمعنى "الذي"، وكان المعنى:[٥] شتّان الذي هو الأحوال الواقعة بينهما.

قوله: **(أي: جوارُ الله)** معنى "جوار الله": جوار بيت الله، لا صحّة إلّا بهذا.

قوله: **(حذف[٦] الضمير)** يحتمل أن يكون[٧] المعنى: لم يأتِ بالضمير؛ لأنّ "ما" مصدريّة لا يحتاج إلى العائد، فيئول[٨] المعنى إلى قولك: مِن شُربِكم، أي: مِن مَشروبكم، على أنّ المصدر بمعنى المفعول. وقوله: **(أو حذف منه)** أي: مِن الذي تشربون منه، فعلى هذا "ما" في ﴿مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ تكون[٩] موصولة، لا مصدريّة.

قوله: **(إذن واقع في جزاء الشرط)** أراد به مِن حيث المعنى؛ فإن القَسم تقدّم

---

١ ن - سُلَيم.
٢ ن: والأغو.
٣ لربيعة الرقّي. انظر: لسان العرب لابن منظور، «شتت».
٤ **المفصّل** للزمخشري، ص ٢٠٤.
٥ ن: بمعنى.
٦ ن: صرف.
٧ ن - يكون.
٨ ن: قبول.
٩ ن: يكون.

ثُنِّي ﴿إِنَّكُمْ﴾ للتَّوكيد، وحَسُنَ ذلك لفَصْلِ ما بين الأوَّل والثَّاني بالظَّرف، و﴿مُخْرَجُونَ﴾ خَبرٌ عن الأوَّل.

أو جُعل ﴿أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ مُبتَدأً، و﴿إِذَا مِتُّمْ﴾ خبرًا على مَعنى: "إِخْرَاجُكم إذا مِتُّم" ثمَّ أُخبِرَ بالجملة عن ﴿أَنَّكُم﴾.

أو رُفِعَ ﴿أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ بفعْلٍ هو جَزاءٌ لِلشرط؛ كأنَّه قيل: إذا مِتُّم وقَع إِخرَاجُكم، ثم أُوقِعَت الجملةُ الشرطيَّةُ خبرًا عَن ﴿أَنَّكُم﴾.

وفي قراءة ابن مسعود: "أيَعِدُكم إذا مِتُّم".

في أوّل الكلام على الشرط في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾، والجواب المذكور -وهو قوله: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾- جواب القَسَم لفظًا، وجوابهما معنًى، و"إذن" داخل في خبر "إنّ"؛ لكن لمّا كان "إذن" جوابًا وجزاء بيّن[١] أنّه جزاء لهم على طاعتهم، وجواب لمَن[٢] قاولهم، فكأنّ بعض قومهم قالوا مع هؤلاء: ماذا يكون علينا لو أطعنا بشَرًا مِثلنا؟ فأجابوهم بأنّكم[٣] تخسَرون[٤] عقولكم تَغبَنون[٥] بنسبتِكم[٦] الناس إلى الجنون، ويقولون: ليس لهم عقل ولا رأيٌ حيث أطاعوا بشرًا مثلهم.

قوله: (و﴿مُخْرَجُونَ﴾ **خبر عن الأوّل**) إذ لا يجوز أن يكون خبرًا عن الثاني، وإلّا لزِم عمل ما بعد "أنّ" فيما قبلَها، لأنّ ﴿إِذَا مِتُّمْ﴾ ظرف ﴿مُّخْرَجُونَ﴾. ثمّ اعلم أنّ ﴿إِذَا﴾ على الوجهين **الأوّلين** ظرفيّة، وعلى الوجه **الثالث** شرطيّة.

قوله: (**وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه**)...[٧] إلخ، قراءة ابن مسعود تؤيّد الوجه الأخير، أي: يَعدكم هذا الكلام، وهو: إذا[٨] مِتّم[٩] وكنتم ترابًا وعظامًا وقَع إخراجكم.

---

١ ن: وجوابين.
٢ ن: أن.
٣ ن - بأنكم.
٤ ن: تحشرون.
٥ ن: تعنون.
٦ ن: بنسيكم.
٧ د - رضي الله عنه. | انظر: **جامع البيان** للطبري، ٤١/١٧ (المؤمنون، ٣٥/٢٣).
٨ ن: إما.
٩ ن: منهم.

﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ۝٣٦﴾

قرئ ﴿هيهات﴾ بالفَتح والكَسر والضم كلُّها بتَنوينٍ وبلا تَنوينٍ، وبالسُّكُونِ على لفظ الوقف.

فإن قلتَ: "ما تُوعَدون" هو المُستبعَدُ، ومن حَقِّه أَن يَرتفِع بـ﴿هَيْهَاتَ﴾ كما ارتَفع في قَوله:

فـهـيْـهَـاتَ هَـيْـهـاتَ الـعَـقـيـقُ وأَهْـلُـه

فما هذه اللّامُ؟

قلتُ: قال الزَّجاجُ في تَفسيره: "البُعْدُ لمَا تُوعدُون"، أو: "بُعْدٌ لِمَا تُوعدُون" فيمَنْ نوَّن فنزَّلَه مَنْزلةَ المَصْدَر.

قوله: (**قرئ: ﴿هَيْهَاتَ﴾**)... إلخ، ﴿هَيْهَاتَ﴾ بفتح التاء وصلًا مِن السبعة، وكذا بسكون التاء والهاء وقفًا مِن السبعة،[1] وأما البواقي فمِن القراءات[2] الشاذّة.[3]

قوله: (**على لفظ الوقف**) إجراء للوصل مجرى الوقف.

قوله:

(**فهَيهــات هَيهــات العَقيــقُ وأهلُــهُ**)

تمامه:

وهَـيـهـات خِـلٌّ بـالـعَـقـيـقِ مـواصِـلُ[4]

"الخِلُّ": الحبيب. و"العقيق": موضع. و"المواصل": مَن يَصلك وتَصله.[5]

قوله: (**قلت: قال الزجّاج في تفسيره: «البُعْدُ»**)[6] أي: على تقدير عدم التنوين.

وقوله: (**أو بُعْدٌ**) أي: على تقدير التنوين.

---

١ أمّا وصلًا فقرأ أبو جعفر المدني بكسر التاء، وقرأ باقي العشرة بفتحها، وأمّا وقفًا فقرأ فوقف عليها بالهاء الكسائي وابن كثير بخُلف عن قُنبل، ووقف الباقون بالتاء الساكنة. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/١٣١.

٢ ن: القران.

٣ انظر: المحتسب لابن جنّي، ٢/٩٠.

٤ ديوان جرير، ٢/٩٦٥، بلفظ:
فأيهـاتَ أيـهـاتَ العَـقـيـقُ وأهـلُـهُ
وأيهـاتَ وصـلٌ بالعَقيـقِ تواصلُـه

٥ ن: ونقله.

٦ معاني القرآن للزجّاج، ٤/١٣.

وفيه وَجهٌ آخرُ: وهو أن تكون اللّامُ لبيَان المُستبعَدِ ما هو، بَعْدَ التَّصْويت بكلمة الاستبْعَاد؛ كما جاءت اللام في ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ لبيان المُهيَّتِ به.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۝٣٧ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ۝٣٨﴾

هذا ضَميرٌ لا يُعلم ما يُعنَى بهِ إلَّا بما يَتلُوه من بيَانه، وأَصْلُه: إنِ الحَياةُ إلَّا حيَاتُنا الدُّنيا، ثم وُضِعَ ﴿هِيَ﴾ موضعَ "الحياة"؛ لأنَّ الخبَر يَدُلُّ عليها ويُبَيِّنُها.

ومنه: "هي النفسُ تتحمَّلُ ما حُمِّلَتْ" و: "هيَ العَرَبُ تقُول ما شَاءتْ".

والمَعنى: لا حياة إلَّا هذه الحَياةُ؛ لأنَّ ﴿إِنْ﴾ النافيةَ دَخلَت على ﴿هِيَ﴾ التي في معنى الحياة الدَّالَّة على الجنس فنَفَتْهَا، فوازَنَتْ "لا" التي نَفَت ما بعْدَهَا نفيَ الجنسِ.

قوله: (وفيه وجه آخر)... إلخ، وعلى هذا الوجه الثاني فاعل ﴿هَيْهَاتَ﴾ مضمَر مُبهَم، فسِّر بقوله: ﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾، واللام للبيان، كما في / ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ [١٦٨ظ] [يوسف ٢٣/١٢]، ونظير إضمار هذا المبهَم إضماره في قولهم: رُبَّه رجلًا،[١] ونظير إبهام هذا الضمير إبهام اسم الإشارة في قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [الحجر ٦٦/١٥]، ونظيره الضمير في قوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا﴾.

قوله: (إلّا بما يتلوه) أي: يتبعه ويَجيء عقِيبَه.

قوله: (ومنه: هي النفس تتحمَّل) قال:

هي النفسُ ما حمَّلتها تتحمَّلُ وللدَّهر أيّام تجورُ[٢] وتعدِلُ[٣]

وقوله: (وهي العرب)[٤]

---

[١] انظر: المفصّل للزمخشري، ص ٢٨٢.

[٢] ن: تجوز.

[٣] لعلي بن الجهم. انظر: لباب الآداب للثعالبي، ص ١٤٩.

[٤] كذا في الأصول الخطيّة، أورد كلام الزمخشري ولم يعلّق عليه.

﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾؛ أي: يَموت بَعضٌ ويُولَدُ بعضٌ، يَنقرِضُ قَرنٌ ويأتي قَرنٌ آخَرُ.

٣٨ثمَّ قالوا: ما هو إلَّا مُفترٍ على الله فيما يدَّعيهِ من استِنْبَائه له وفيما يَعِدُنا مِن البَعث، وما نَحنُ بمُصَدِّقينَ.

﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ۝٣٩ قَالَ عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ۝٤٠ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ بِٱلۡحَقِّ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ غُثَآءٗۚ فَبُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤١﴾

﴿قَلِيلٖ﴾ صفةٌ للزمان؛ كـ"قَديم وحديثٍ" في قولك: "ما رأيتُه قديمًا ولا حديثًا"، وفي مَعناه: عن قَريبٍ، و"ما" توكيدٌ لمَعنى قِلَّةِ المُدَّة وقِصَرها.

﴿ٱلصَّيۡحَةُ﴾: صَيْحةُ جبريل، صاحَ عَليهم فَدَمَّرهُم.

﴿بِٱلۡحَقِّ﴾: بالوجُوبِ؛ لأنَّهم قد استَوجَبُوا الهلاكَ، أو: بالعَدْل من الله، من قولك: "فلانٌ يَقضي بالحقِّ" إذا كان عادلًا في قضَاياهُ.

شبَّهَهُم في دَمارهم بالغُثَاء، وهو: حَميلُ السَّيل ممَّا بَليَ واسوَدَّ من الوَرق والعيدَان، ومنه قولُه تعالى: ﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ﴾ [الأعلى ٥/٨٧]، وقد جاء مُشدَّدًا في قول امرئ القَيس:

مِـنَ السَّـيـلِ والـغُـثَّـاء فَـلْـكَـةُ مِـغـزَلِ

قوله: (من استنبائه له) الضمير مِن "استنبائه" عائد إلى الله تعالى، ومِن "له" إلى هود عليه السلام، ومعنى "استنبائه": أنّه جعل الله تعالى لهودٍ نبيًّا، كأنّه تعالى طلب أن يكون هود نبيَّه.

قوله: (﴿قَلِيلٖ﴾ صفةٌ للزمان) كأنّه قيل: عن زمانٍ ما قليلٍ. وقوله: (ما رأيته قديمًا ولا حديثًا) أي: ما رأيتُه في زمان قديم ولا في زمان حديثٍ.

قوله: (ومنه قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ﴾ [الأعلى ٥/٨٧]) أي: دريئًا أسود، والدَّرين: ما جفَّ مِن الورق. و"الحُوّة": السواد.

قوله:

(مِـن السَّـيـلِ والـغُـثّـاء فَـلْـكـةُ مِـغـزَلِ)

بُعدًا وسُحقًا ودَفرًا ونحوُها مصَادرُ مَوضوعةٌ مواضعَ أفعَالِها، وهي من جُملة المَصادر التي قال سيبويه: نُصِبَتْ بأَفعالٍ لا يُستعمَلُ إظهارُها.

ومَعنى ﴿بُعْدًا﴾: بَعِدُوا؛ أي: هَلكوا؛ يقال: بَعِدَ بَعَدًا وَبُعْدًا، نحوُ: رشِدَ رَشَدًا ورُشْدًا.

و﴿لِلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بَيانٌ لمَن دُعِي عليه بالبُعد؛ نحو: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف ١٢/٢٣]، و: ﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [المؤمنون ٢٣/٣٦].

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿قُرُونًا﴾ قومَ صالحٍ ولُوطٍ وشعيْبٍ وغيرِهم، وعن ابن عبَّاس: بني إسرائيل.

﴿أَجَلَهَا﴾: الوقتَ الذي حُدَّ لهَلاكها وكُتِبَ.

أوّله:

كأنّ ذُرى رأس المُجَيْمِـرِ غُدوةً مِـن السَّـيلِ...[١]

الذروة: أعلى الشيء، والجمع: "الذُرى". و"المُجَيمِر" -بكسر الميم الثاني-: أكَمة بعينها. و"الغُثّاء": ما جاء به السيل. و"المِغزل": معروف،[٢] والجمع: المغازل. و"فَلكة" مفتوحة الفاء. يقول: هذه الأكَمة ممّا أحاط بها مِن غُثّاء السيل فَلكة مِغزل، شبّه استدارة هذه الأكَمة بما أحاط بها مِن الأغثاء باستدارة فلكةِ المِغزل، وإحاطتَها بها بإحاطة فَلْكة المِغزل بالمِغزل. والحاصل: أنّه شبّه ذاك الذُّرى بفَلكة المغزل، حاصله: أنّه شبّه حاله بحال الفَلْكة.

قوله: **(ودَفْرًا)** أي: نَتْنًا، مِن المصادر التي لا فِعل لها أصلًا. وقوله: **(و﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾)** أي: ونحو: ﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾ في قوله: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [المؤمنون ٢٣/٣٦]، ونحو: "لك" في ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف ١٢/٢٣].

قوله: **(قوم صالح)** هم ثمود.

---

[١] **ديوان امرئ القيس**، ص ٢٥، بلفظ:
كـأنّ طَـميّـة الـمجَـيـمرِ غـدوةً

[٢] ن - و"المِغزل" معروف.

﴿ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَاۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةٗ رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُۖ فَأَتۡبَعۡنَا بَعۡضَهُم بَعۡضٗا وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَۚ فَبُعۡدٗا لِّقَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ۝٤٤﴾

﴿تَتۡرَا﴾ فَعْلَى: الألفُ للتأنيث؛ لأن الرُسل جَماعةٌ.

وقرئ: ﴿تترًا﴾ بالتَّنوين، والتاءُ بدلٌ من الواو كما في: تَوْلَجٍ وتَيقُورٍ؛ أي: مُتَواترِينَ واحدًا بعدَ واحدٍ من الوِتر وهو الفردُ.

أضاف الرسل إليه تعالى وإلى أُمَمِهم: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ [المائدة ٥/٣٢] ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ [الأعراف ٧/١٠١]؛ لأن الإضَافة تكونُ بالمُلابَسة، والرسُولُ يُلَابِس المُرسِل والمرسَل إليه جميعًا.

﴿فَأَتۡبَعۡنَا﴾ الأُمَمَ والقُرونَ ﴿بَعۡضَهُم بَعۡضٗا﴾ في الإهلاك ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ﴾ أخبارًا يُسْمَرُ بهَا ويُتَعجَّبُ منها.

قوله: (**كما في تَولَجٍ وتَيقورٍ**)[1] "التَّولَج": كِناس الوحش الذي يلِج فيه، قال سيبويه: «التاء مُبدَلة مِن الواو، وهو فوعل؛ لأنَّك لا تجد في الكلام "تَفْعَل" اسمًا، و"فَوْعل" كثير».[2] و"التَّيقور" بمعنى: الوَقار، والتاء مُبدَلة مِن الواو.[3]

قوله: (﴿**وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ**﴾ [المائدة ٥/٣٢]) استشهاد.

قوله تعالى: ﴿فَأَتۡبَعۡنَا بَعۡضَهُم بَعۡضٗا﴾ يجوز أن يكون التقدير: فأتْبعنا بعض القرون بعضًا؛ لقوله تعالى: ﴿قُرُونًا﴾، ويجوز أن يكون التقدير: فأتْبعنا بعض الأمم بعضًا؛[4] لقوله تعالى: ﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةٗ رَّسُولُهَا﴾، هذا هو الذي يتعلّق بلفظ **القرآن**، وأمّا ما ذكره فشيء لا يتعلّق بلفظ **القرآن**، وعلى ما ذكره يكون قوله: "بعضَهم" بدلًا مِن "الأمم والقرون" بدل بعضٍ، ولا تعلّق له بِحَلِّ لفظ **القرآن**، قال الواحدي في **الوسيط**: «أهلكنا الأمم بعضهم في إثر[5] بعضٍ».[6]

قوله: (**يُسمَر**)[7] السَّمَر: المُسامرة؛ وهو الحديث بالليل.

---

١ ن: وتيقول.
٢ **الكتاب** لسيبويه، ٤/٣٣٣.
٣ انظر: **الصحاح** للجوهري، «وقر».
٤ ن - لقوله تعالى: ﴿قُرُونًا﴾، ويجوز أن يكون التقدير: فأتْبعنا بعض الأمم بعضًا.
٥ ن: أنو.
٦ **التفسير الوسيط** للواحدي، ٣/٢٩٠ (المؤمنون، ٢٣/٤٤).
٧ ن: يسمى.

و"الأحاديثُ": تكُون اسمَ جمعٍ للحديث، ومنه: أحاديثُ رسُول الله صلى الله عليه وسلم.

وتكُون جمعًا للأُحدُوثة التي هي مِثلُ الأُضحوكة والألعُوبَة والأُعجوبَة، وهي ما يَتحدَّثُ به النَّاسُ تَلهِّيًا وتَعجُّبًا، وهو المرادُ هاهنا.

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝٤٥﴾

فإن قلتَ: ما المرادُ بالسُّلطَان المُبين؟

قلتُ: يجوز أن تُراد العصا؛ لأنَّها كانت أُمَّ آياتِ مُوسى عليه السلامُ وأُولَاها، وقد تَعَلَّقَتْ بها مُعجزاتٌ شتَّى: من انقلابها حَيَّةً، وتَلَقُّفِها ما أَفكَتْه السَّحرةُ، وانفلاقِ البحر وانفجارِ العُيون من الحجَرِ بِضَربهما بها، وكونِها حارسًا وشَمعةً وشَجرةً خَضراءَ مثْمرةً ودَلْوًا ورِشاء.

جُعِلَتْ كأنَّها ليست بعضَها لِمَا استبدَّت به من الفَضل؛ فلذلك عُطِفَت عليها؛ كقوله تعَالى: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة ٢/٩٨].

ويجوز أن تُراد الآياتُ أَنفُسُها؛ أي: هي آياتٌ وحُجَّةٌ بيِّنةٌ.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ ۝٤٦ فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ۝٤٧ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ۝٤٨﴾

قوله: (**بضربهما[١] بها**) أي: بضرب البحر والحجر بها، أي: بالعصا، أضاف / المصدر إلى المفعول في "بضربهما".[٢] وقوله: (**جُعلت**) أي: العصا. وقوله: (**كأنّها ليست بعضَها**) بل هي مِن جنس شيء آخر غير الآيات. وقوله: "بعضَها" أي: الآيات. [١٦٩و]

قوله: (**فلذلك عُطفت عليها**)[٣] أي: عطفت العصا على الآيات في قوله تعالى: ﴿بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾.

---

١ ن: بقربها.
٢ ن: يضربهما.
٣ ن - عليها.

﴿عَالِينَ﴾: مُتكبِّرين: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص ٢٨/٤]، ﴿لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص ٢٨/٨٣].

أو: مُتطَاوِلين على الناس قاهِرينَ بالبَغي والظُّلم.

"البشرُ" يكونُ واحدًا وجمعًا: ﴿بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم ١٩/١٧]، ﴿لِبَشَرَيْنِ﴾ [المؤمنون ٢٣/٤٧]، ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ﴾ [مريم ١٩/٢٦].

و"مثل" و"غير" يُوصَفُ بهما الاثنانِ والجمعُ، والمذكَّرُ والمؤنَّثُ: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء ٤/١٤٠]، ﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق ٦٥/١٢]، ويقالُ أيضًا: هما مِثْلاه، وهم أَمثالُه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأعراف ٧/١٩٤].

﴿وَقَوْمَهَا﴾ يعني: بني إسرائيل؛ كأنهم يَعبدُوننا خُضوعًا وتَذلُّلًا؛ أو لأنَّه كان يَدَّعي الإلهيَّة فادَّعى للنَّاس العبادَة، وأنَّ طاعتهم له عبادةٌ على الحقيقة.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ أي: قومَ موسى التَّوراةَ ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ يعملون بشَرائعِها ومَواعِظها؛ كما قال: ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ﴾ [يونس ١٠/٨٣] ....

قوله: (﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا﴾ [القصص ٢٨/٤]) هذا استشهاد على أنّ العلوّ بمعنى التكبّر.

قوله: (﴿بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم ١٩/١٧]) مثال الواحد، وقوله: (﴿لِبَشَرَيْنِ﴾ [المؤمنون ٢٣/٤٧]) أيضًا مثال الواحد، وقوله: (﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ﴾ [مريم ١٩/٢٦]) مثال الجمع. وقوله: (﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء ٤/١٤٠]) أُطلق على الجمع، وقوله: (﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق ٦٥/١٢]) أيضًا أطلق على الجمع؛ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق ٦٥/١٢].

قوله: (أو[١] لأنّه كان) عطف على قوله: (كأنّهم).[٢]

قوله: (أي: قوم موسى) فلذا جمع الضمير في ﴿لَعَلَّهُمْ﴾.

---

[١] ن – أو.

[٢] ن – قوله: (كأنهم).

يُريد: آل فرعونَ، وكما يَقولون: هاشمٌ وثَقِيفٌ وتَميمٌ، ويُرادُ قومُهم.

ولا يجُوز أَن يَرجع الضمير في ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ إلى فَرعون ومَلئه؛ لأنَّ التَّورَاة إنَّما أُوتِيَها بنُو إسرائيلَ بَعد إغراق فِرْعَوْنَ ومَلَئه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [القصص ٤٣/٢٨].

﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ۝٥٠﴾

فإن قلتَ: لو قيل: "آيتَيْن" هل كان يكُونُ له وجهٌ؟

قلتُ: نَعَمْ؛ لأنَّ مريمَ وَلَدتْ من غيْرِ مَسِيسٍ، وعيسَى رُوحٌ من الله أُلقيَ إليها، وقد تكلَّم في المَهْد، وكان يُحْيي المَوتى مع معجزاتٍ أُخَرَ، فكان آيةً من غيرِ وَجهٍ، واللَّفظُ مُحتمِلٌ للتَّثنية على تقدير: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ آيةً ﴿وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ ثمَّ حُذِفت الأُولى لِدَلالة الثَّانية عليها.

"الرَّبْوةُ" و"الرَّبَاوةُ" في رائهما الحَركاتُ، وقرئَ: ﴿رُبوةٍ﴾ و: "رُباوةٍ" بالضم، و: "رِباوةٍ" بالكَسر.

قوله: (**يريد: آل فرعون**) بدليل جمع الضمير في ﴿وَمَلَإِيْهِمْ﴾ [يونس ٨٣/١٠]، ولولا أنّ المراد آل فرعون لقال: ومَلئِه.

قوله: (**ولا يجوز أن يرجع الضمير**)... إلخ، يعني: مع أنّه تقدّم ذكرهم في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [المؤمنون ٤٥/٢٣].

قوله: (﴿**وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ**﴾)... إلخ [القصص ٤٣/٢٨] استشهاد.

قوله: (**من غير وجه**) أي: مِن غير وجهٍ واحد؛ بل مِن وجوه كثيرة.

قوله: (**للتثنية**)[1] أي: للتكرير، أي: يحتمل أن يكون لفظة ﴿ءَايَةً﴾ في الآية مكرَّرة؛ لكن حذفت مِن الأُولى اكتفاء بالثاني، فهو مكرّر تقديرًا.

قوله: (**ثم حذفت الأُولى**) كما في قوله:

فــإنّــي وقـيّــار بـهـا لـغـريـبُ[2]

---

١ ن: للتنبيه.

٢ لضابئ بن الحارث الرجمي. انظر: **الصحاح** للجوهري، «قير».

وهي الأرضُ المرتفعةُ؛ قيل: هي إيليَاءُ أَرضُ بيت المَقدس، وأنَّها كَبِدُ الأرض وأقربُ الأَرض إلى السَّماء بثمانيةَ عشرَ مِيلًا؛ عن كعْب.

وقيل: دِمَشْقُ وغُوطَتُها.

وعن الحسن: فِلَسطِينُ والرَّمْلةُ.

وعن أبي هريرة: الزمُوا هذه الرَّملةَ رَمْلَةَ فِلَسطينَ فإنها الرَّبوةُ التي ذكرهَا اللهُ.

وقيل: مصرُ.

و"القرار": المستقَرُّ من أَرْضٍ مُستَويةٍ مُنبسطةٍ.

أي:[1] فإنّي بها لغريبُ، حذفت الأولى؛ لدلالة الثاني عليه، والدليل على أنّ المحذوف هو الأولى قول الشاعر:

نحنُ بما عندنا وأنتَ بما عندك راضٍ والرأيُ مختلف[2]

قوله: (إيليا) بالقصر لا المدّ.

قوله: (كبِد الأرض) كبِد السماء والأرض: وسطها، وكبِد القوس: مقبِضها، وكبَّد النجمُ[3] السماءَ: توسَّطها.

قوله: (وغوطتها) الغوطة -بالضمّ-: موضع بالشام، كثير الماء والشجر، وهي غوطة دمشق.

قوله: (والقرار المستقَرُّ) فسَّر المصنِّف "القرار" بـ"المستقَرّ"؛ وهو موضِع الاستقرار، ثم بيّن "المستقرّ" بقوله: من أرض مستوية منبسِطة، فيئول المعنى إلى أنّ تلك الرَّبوة مشتملة على أراضٍ مستوية منبسطة،[4] تصلح تلك الأراضي لاستقرار المستقِرّين فيها، ثمّ نقَل عن قتادةَ أنّ المراد بكون الرَّبوة "ذات قرار": "أنّها ذات ثمار وماء"،[5] فعلى هذا يكون كنايةً؛ لأنّ كون المواضع ذوات ثمار

---

[1] ن – أي.

[2] لقيس بن الخطيم في **الكتاب** لسيبويه، ١/٧٤، ولعمرو بن امرئ القيس في **لسان العرب** لابن منظور، «فجر».

[3] ن: النجـ.

[4] ن – منبسطة.

[5] تفسير عبد الرزاق، ٢/٤٥.

وعن قتادة رحمه الله: ذاتُ ثمارٍ وماءٍ، يعني: لأجْل الثمارِ يَستقِرُّ فيها سَاكنُوها.

و"المعينُ": الماءُ الظَّاهرُ الجَاري على وجه الأرض، وقد اختُلف في زيادة ميمه وأصَالته:

فوجْهُ مَن جَعَله مَفعُولًا: أنَّه مُدرَكٌ بالعَين لظُهوره، مِن عَانَه: إذا أَدركه بعَينه، نحو ركَبَه: إذا ضَرَبه برُكبتِه.

وَوجهُ مَن جعَله فَعِيلًا: أنَّه نَفَّاعٌ لظهُوره وجَرْيِه، من الماعُون: وهو المنفَعة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١﴾

هذا النداءُ والخطابُ ليسا على ظاهِرهما، وكيفَ والرُّسُل إنما أُرْسِلُوا مُتفرِّقينَ في أَزمنةٍ مُختلِفةٍ؟

وإنَّما المَعنى: الإعلامُ بأنَّ كلَّ رسُول في زمانه نُوديَ لذلكَ ووُصِّي به؛ ليَعْتقِد السَّامعُ أَنَّ أمرًا نُودِي له جميعُ الرُّسل وَوُصُّوا به حَقيقٌ أَن يُؤخَذ به ويُعمَلَ عليه، والمُراد بالطَّيِّبات: ما حلَّ وطابَ.

وقيل: "طيِّبَاتُ الرِّزْق: حَلالٌ وصَافٍ وقِوامٌ" فالحَلالُ: الذي ....

يقتضي ويستلزم أن يكون مستقَرًّا للمستقِرّين، فأُطلِقَ اللازم؛ وهو كونُها ذات قرار، أي: ذات مستقَرّ، وأُريد الملزوم؛ وهو كونُها ذات ثمارٍ وماء، فعلى الوجهين "القرار" بمعنى: المستقَرّ؛ لكن الوجه الثاني بطريق الكناية، والوجه الأوّل بطريق التصريح، أي: مِن غير كناية.

قوله: (فوجه[١] مَن جعله مفعولًا) يعني: أنّ مَن جعل ميمَه زائدة ليكون على "مفعول" أنّه... إلخ.

قوله: (وهو المنفعة) / "المنفعة": موضع النفع؛ وهو ما ينتَفع به، قال في **الصحاح**: «الماعون: اسم جامع لمنافع البيت، كالقِدر والفأس وغيرهما»[٢]. [١٦٩ظ]

---

[١] ن: بوجه.

[٢] الصحاح للجوهري، «معن».

لا يُعْصَى اللهُ فيه، والصَّافي: الذي لا يُنسَى اللهُ فيه، والقِوامُ: ما يُمسِكُ النفسَ ويحفَظُ العقلَ.

أو أُريد: ما يُستطَابُ ويُستَلذُّ من المآكِلِ والفواكِه، ويشهَدُ له مَجيئُه على عَقِبِ قوله: ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾.

ويجوز أنْ يقع هذا الإعلامُ عند إيواءِ عيسى ومريمَ إلى الرُّبْوةِ فذُكر على سبيل الحكاية؛ أي: آوَيناهُما وقُلنا لهما هذا؛ أي: أَعْلمناهما أنَّ الرُّسُل كُلَّهُم خُوطِبُوا بهذا، فكُلَا ممَّا رَزقنَاكُما واعْمَلا صالحًا اقتِداءً بالرُّسُل.

﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ۝٥٢﴾

قُرِئَ: ﴿وَإِنَّ﴾ بالكسر على الاستئناف، ﴿وَأَنَّ﴾ بمعنى: ولأنَّ، ....

قوله: (لا[1] يُعصى الله تعالى فيه) أي: في تحصيله واكتسابه، بأن يكون بالطريق الجائز، كالبيع والشِّرَى والهبة والإرث والصدقة، لا بطريق غير جائز، كالغصب والسرقة والخيانة. وقوله: (لا يُنسى الله فيه) أي: في الحقّ الذي يجب في ذلك المال مِن الزكاة وغيرها مِن حقوق الله وحقوق الناس، كالنذور والديون، فإنّ المال إذا لم يؤدَّ زكاته لا يكون صافيًا؛ بل يكون مَشوبًا بحقِّ الفقراء، مُكدَّرًا بامتزاجه به.

قوله: (ما يمسك)[2] يعني: ينبغي أن لا[3] يكون في القِلّة بحيث لا يحصل به سدُّ الرَمَق، ولا يكون الفعل[4] به محفوظًا، وكذا لا يكون في الكثرة بحيث يَضُرُّ، فإنّه يلزم مِن الكثرة أيضًا في النفس والعقل اختلال، وحاصله: أنّه يكون متوسّطًا[5] بين الإسراف والتقصير، قال[6] تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان ٢٥/٦٧].

قوله: (قرئ: ﴿وإنّ﴾ بالكسر)[7] سبعة. وقوله: (﴿وأن﴾ بمعنى: لأنّ) سبعة.[8]

---

١ ن: ولا.
٢ ن + ما.
٣ ن - لا.
٤ ن: الفعل. | ولعلّ الصواب: العقل.
٥ ن: مقوسطًا.
٦ ن + الله.
٧ ن: الكسر.
٨ قرأ الكوفيّون -عاصم وحمزة والكسائي وخلَف- بكسر الهمزة، وقرأ الباقون بفتحها، وأسكَن النون مِن "وإن" مخفّفة ابن عامر، وشدّدها الباقون. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٣٢٨.

﴿وأَنْ﴾ مخفَّفةٌ من الثقيلة، و﴿أُمَّتُكُمْ﴾ مرفوعةٌ معَها.

وقرئ: ﴿زُبُرًا﴾ جمع زَبُور؛ أي: كُتُبًا مُختَلفةً، يعني: جَعَلُوا دينَهم أَدْيانًا، و: "زُبَرًا": قِطَعًا، استُعيرت من زُبَرِ الفضَّة والحديد، و: "زُبْرًا" مخفَّفةَ البَاء كـ"رُسْل" في "رُسُل".

أي: كلُّ فرقةٍ من فِرَقِ هؤلاء المختلِفين المتقطِّعينَ دينَهُم فَرِحٌ بباطله مُطمئنُّ النَّفس مُعتقِدٌ أنَّه على الحقّ.

﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ۝٥٣ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ۝٥٤﴾

"الغمرة": الماءُ الذي يَغمُرُ القامةَ، ....

قوله: (مرفوعةٌ[1] معها) أي: القراءات.

قوله: (يعني: جعلوا دينهم أديانًا) كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا﴾ [الأنعام ١٥٩/٦].

قوله تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم﴾ "تقطَّع" بمعنى: قطَّع، كتصوَّر بمعنى: صوَّر، وفي الحديث: «نهى عليه الصلاة والسلام عن الترجّل إلا غِبًّا»،[2] فترجَّل بمعنى:[3] رَجَّل، كتخمَّرت المرأة بمعنى:[4] خمَّرتْ، قال في **المُغرب**: «رجّل شعرَه: أرسله بالمِرجل؛ وهو المُشْط، وترجّل: فعَل ذلك بشعر نفسه».[5]

قوله: (الغَمْرة)...[6] إلخ "الغَمْرة":[7] الماء الذي يستُر الغامر[8] ويغمُر[9] القامَة، تقول:[10] تصرفني[11] ليالي اللّهو عن رأيي، فأنا أتبعه، كأنّني سابح في غَمْرة مِن الماء لعِب فيه.[12]

---

١ ن: ومرفوعة.

٢ **سنن أبي داود**، ٢٣٧/٦ (٤١٥٩)؛ **سنن الترمذي**، ٢٨٦/٣ (١٧٥٦).

٣ ن: يعني.

٤ ن: يعني.

٥ **المُغرب** للمطرّزي، «رجل».

٦ البيت لذي الرُّمة. انظر: **الصحاح** للجوهري، «ضرب».

٧ ن: الغمزة.

٨ ن: الغامز.

٩ ن - ويغمر.

١٠ ن - تقول.

١١ ن: يضر فتى.

١٢ **شرح شواهد الكشّاف** لمحبّ الدين أفندي، ص ٢٥.

فضُرِبت مَثلًا لِمَا هُم مغمُورون فيه من جَهْلهم وعَمَايَتِهِم، أو شُبِّهُوا باللَّاعِبين في غَمرة الماء لِمَا هُم عليه من الباطل، قال:

كــأنــنـي ضـــــارِبٌ فــي غَــمــرةٍ لَـعِــبٌ

قوله: (مَثلًا لِما هم مغمورون)... إلخ، يعني: شبّه ما هم فيه مِن الجهل والعَماية بالماء الذي[1] يغمُر[2] مَن دخَل[3] فيه، ثمّ ذُكِر الغَمرة[4] وأريد الجهل، فيكون استعارةً مصرّحة، قرينتها إضافتها[5] إلى ضمير "هم". وقوله: (أو شُبِّهوا) يعني: شُبِّه هؤلاء الكفّار باللاعبين،[6] ثمّ ذُكِر المشبّه وهو ضمير "هم"، وأريد اللاعبون، فيكون استعارة بالكناية، وقرينتها قوله: ﴿فِي غَمْرَتِهِمْ﴾. وقوله:[7] (وعَمايتهم)[8] العَماية: الحَيرة والجهل، مِن: عَمِيَ عليه الأمر، أي: خَفِيَ.

قوله:

(كأنّنـــي ضـــاربٌ فـــي غَمْـــرةٍ لعِـــبُ)

أوّله:

لـيـالـي الـلّـهـو[9] يَـطـبـيـنـي[10] فـأتـبَـعُـهُ

وقبله:[11]

تلك الفتاةُ التي عُلِّقْتُها عَرَضًا   إنّ الحليم وذا الإسلام يُختلبُ[12]

أصل "الضرب": الإسراع في الأرض. وطَباه[13] يَطْبوه ويَطْبيه؛ دعاه، يقول: يدعوني[14] اللّهو فأتبَعه. و"الاختلاب": الاختداع.[15] وأورد المصنّف هذا البيت استشهادًا للوجه الثاني، فإنّ قوله: "كأنّني لعِب" يناسب الوجه الثاني.

---

١ ن: والذي.
٢ ن: يغمز.
٣ ن – من دخل.
٤ ن: الغمزة.
٥ ن: إضافها.
٦ ن: باللاعين.
٧ ن – وقوله.
٨ ن: رعمايتهم.
٩ ن: اللّهم.
١٠ ن: يطيلني.
١١ ن: وقوله.
١٢ لذي الرُّمّة. انظر: **جمهرة أشعار العرب** للقرشي، ص ٧٥٠.
١٣ ن: رطباه.
١٤ ن: يدعو في.
١٥ ن: الاختدع.

وعن عليٍّ رضي الله عنه: "في غَمراتهم".

﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾: إلى أَنْ يُقتَلُوا أو يَموتُوا؛ سُلِّيَ رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم وسلم بذلك، ونُهِي عن الاستعجال بعذابهم والجَزع من تأخيره.

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ۝٥٦﴾

وقرئ: "يُمِدُّهم"، و: "يَسارِعُ" و: "يُسْرِعُ" بالياء، والفاعلُ اللهُ تعالى. ويجوز في "يُسارِعُ" و"يُسْرِعُ" أن يَتضمَّن ضميرَ المُمَدِّ به.

و: "يُسَارَعُ" مَبنيًّا للمفعول.

والمعنى: أَنَّ هذا الإمدادَ ليس إلَّا استِدراجًا لهم إلى المعاصي، واستِجْرارًا إلى زيادة الإثْم، وهُم يَحسبُونَه مُسارَعةً لهم في الخيرات وفيما لهم فيه نفعٌ وإكرامٌ، ومعاجَلةً بالثواب قَبْلَ وقتِه.

ويجوز أن يُراد: في جزاء الخَيْراتِ، كما يُفعَل بأهل الخير من المُسلمين.

قوله: (بذلك) أي: بقوله تعالى:[١] ﴿فَذَرْهُمْ﴾... إلخ.

قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ "ما" في ﴿أَنَّمَا﴾ بمعنى: الذي، وهو موصول، ما بعده صلته، والعائد مِن الصلة الضمير في ﴿بِهِۦ﴾. وأمّا العائد مِن الخبر -أي: مِن قوله تعالى: ﴿نُسَارِعُ﴾... إلخ- فمحذوف، تقديره: نسارع لهم به، كما أشار إليه في جواب السؤال.

قوله: (وفيما لهم) عطف على (في الخيرات) كالبيان له. وقوله: (معاجلةً) / عطف على (مسارعةً) كذلك.[٢] وقوله: (قبل وقته) إشارة إلى تفسير "المسارعة"، [١٧٠و]
يعني: أنّ وقت الخيرات -أي: الثواب النافع وجزاء الأعمال- هو الآخرة.

قوله: (مِن المسلمين) فإنّ المسلمين يُثابون على أعمالهم الخير، ويُثابون بها في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [العنكبوت ٢٧/٢٩].

---

[١] ن - تعالى.

[٢] ن: لذلك.

و﴿بَل﴾ استدراكٌ لقوله: ﴿أَيَحْسَبُونَ﴾ يعني: بل هُم أشبَاهُ البهَائمِ لا فِطنةَ بهم ولا شعُورَ حتَّى يتأمَّلُوا ويتفكَّروا في ذلك: أَهُو استدراجٌ أم مُسَارعَةٌ في الخَيْر؟

فإن قلتَ: أينَ الراجعُ من خَبَر "أَنَّ" إلى اسمها إذا لم يستكِنَّ فيه ضمِيرُه؟

قلتُ: هو محذوفٌ تقديرُه: نُسَارعُ به، ويُسارَعُ به، ويُسارعُ اللهُ به؛ كقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى ٤٣/٤٢]؛ أي: إنَّ ذلك منه، وذلك لاستطالةِ الكلام مع أَمْنِ الإلبَاس.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠﴾

﴿يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟﴾؛ أي: يُعطُونَ ما أَعْطَوا، ....

قوله: **(ولا شعور)** الشعور: علم يُستدلّ به.

قوله: **(إذا لم يستكنّ فيه ضَميره)** أمّا إذا استكنّ -كما ذكر أنّه يجوز أن يكون في "يسارع" و"يُسرع" ضمير المُمَدّ به[1] فهو راجع إلى "ما".

قوله تعالى: (**﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾**) ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ﴾... [الشورى ٤٣/٤٢]. وقوله: **(وذلك)** "لاستطالة"، أي: ذلك الحذف.

قوله تعالى: ﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ أثبت لهم الحِسبان بطريق الإنكار، ثمّ أضرَب عن ذلك بما هو أطمّ منه وأعظم، فقال: بل لا شعور لهم أصلًا.

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ قال الواحدي في **الوسيط**: «الإشفاق: الخوف، تقول: أنا مُشفِق[2] مِن هذا الأمر، أي: خائف، والمعنى: أنّهم لِما هم عليه مِن خشية الله تعالى خائفون مِن عذابه».[3]

---

[1] ن: الممدّه.

[2] ن: مسفر.

[3] التفسير الوسيط للواحدي، ٢٩٢/٣ (المؤمنون، ٥٧/٢٣).

وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة: "يَأْتُون ما أَتَوا"؛ أي: يَفْعَلُون ما فَعَلُوا.

وعنها أنَّها قالت: قلتُ: يا رسول الله! هو الَّذي يَزني ويَسْرِقُ ويَشرَبُ الخَمر وهو على ذلك يَخافُ الله؟ قال: «لا يا ابْنَةَ الصِّدِّيق؛ ولكنْ هو الذي يُصَلِّي ويَصُومُ ويَتصدَّقُ، وهو على ذلك يَخافُ الله أَنْ لا يَقبَلَ منه».

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾

﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ يَحتمل معنيين:

أَحدُهما: أَنْ يُراد: يرغبُونَ في الطَّاعات أَشَدَّ الرغبةِ فيُبَادِرُونها.

والثاني: أنهم يتعجَّلُون في الدُّنيا المنافِعَ ووجُوهَ الإكرام؛ كما قال تعالى: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [آل عمران ١٤٨/٣]، ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [العنكبوت ٢٧/٢٩]؛ لأَنَّهم إذا سُورِعَ بها لهم فقد سَارعُوا في نَيْلِها وتَعجَّلُوها، وهذا الوجهُ أَحسنُ طِبَاقًا للآية المتقدِّمة؛ لأن فيه إثباتَ ما نُفِيَ عن الكفَّار للمؤمِنينَ.

قوله: (**وفي قراءة رسول الله وعائشة**:[1] "**يأتون**") شاذّ.[2]

قوله: (**أي: يفعلون ما فعلوا**) قال الله[3] تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾ [النساء ١٥/٤]، أي: يفعلْنَها[4] ويباشرْنَها.

قوله: (**والثاني: أنّهم يتعجَّلون**) أي: يأخذون بالعجَلة، فتقدير الآية: يسارعون في أخذ الخَيرات، على حذف المضاف، وإنما ذكَر العجلة؛ لأنّ وقتَ الثواب الآخرة.

قوله: (**لأنّهم إذا سُورع**) بيان لقوله: "يتعجلون". وقوله: (**بها**) أي: بالخيرات.

---

[1] ن: عائشة.

[2] انظر: **جامع البيان** للطبري، ٧٠/١٧ (المؤمنون، ٦٠/٢٣).

[3] د - الله.

[4] ن: بفعلها.

وقرئ: "يُسْرِعونَ في الخيرات".

﴿لَهَا سَٰبِقُونَ﴾؛ أي: فاعِلون السَّبْقَ لأجْلها، أو: سابقُون الناسَ لأجلها، أو: إيَّاها سابقُون؛ أي: ينالُونها قبل الآخرة حيثُ عُجِّلَتْ لهم في الدُّنيا.

ويجوز أن يكون ﴿لهاسابقون﴾ خبرًا بعد خَبرٍ، ومعنى: ﴿وهم لها﴾ كمَعنَى قوله:

أنــتَ لـهـا أَحـمـدُ مـن بَـيْـن الـبَـشَـرْ

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ٦٢﴾

يعني: أنَّ هذا الَّذي وَصَف به الصَّالحين غيرُ خارجٍ مِن حَدِّ الوُسع والطَّاقة،

قوله: (وقرئ: "يُسرِعُونَ")[١] "سارع" أبلغ مِن "سَرُعَ"؛ لأنّه للمبالغة أو للمغالبة.

قوله: (أي: فاعلون) السَبْق على المعنى الأوّل، ولا يقدّر للسابق مفعول، فيكون جاريًا مَجرى اللازم. وقوله: (أو[٢] سابقون الناس) على المعنى الأوّل؛ ولكن يكون مفعوله محذوفًا مرادًا، وهو "الناس".

قوله: (أو إياها) ﴿سَٰبِقُونَ﴾ على المعنى الثاني، فيكون مفعول ﴿سَٰبِقُونَ﴾ مقدّمًا عليه، وأدخل اللام فيه، كقولك: لِزيد ضربت.

قوله: (خبرًا[٣] بعد خبر) أي: كل واحد يكون خبرًا، فهما[٤] خبر واقع بعد خبر. وقوله: (ومعنى) أي: على تقدير كونه خبرًا بعد خبر. وقوله: (وهم لها) أي:[٥] مستحِقّون لها.

قوله:

(أنــتَ لـهـا أحـمَـد مِـن بـيـن البشَر)

بعده:

داهــيــةُ الــدَّهــر وصــمّــاء الـغَـبَـر

---

١ شاذّة. انظر: **المحتسب** لابن جنّي، ٩٦/٢.

٢ ن: أي.

٣ ن: خيرًا.

٤ ن: فيهما.

٥ ن – أي.

وكذلك كُلُّ ما كَلَّفه عبادَه وما عَمِلوه من الأعمال فغيرُ ضائعٍ عندهُ، بل هو مُثْبَتٌ لدَيْه في كِتابٍ -يُريدُ اللَّوحَ أو صَحِيفةَ الأعمال- ناطقٍ بالحقِّ لا يقرَؤون منه يومَ القيامةِ إلَّا ما هو صِدقٌ وعَدْلٌ، لا زيادةَ فيه ولا نقصانَ ولا يُظلَمُ منهم أحَدٌ.

أو أرادَ: أنَّ الله لا يكلِّف إلَّا الوُسْعَ، فإنْ لم يَبلُغِ المكَلَّفُ أن يكون على صفة هؤلاء السَّابقين بَعْد أن يَستفرِغَ وُسْعَهُ ويَبذُلَ طاقتَهُ فلا عليه ﴿وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ﴾ فيه عَملُ السَّابق والمقتصِدِ، ولا نَظلِمُ أحَدًا من حَقِّه، ولا نَحُطُّهُ دُون درَجتهِ.

﴿بَلۡ قُلُوبُهُمۡ فِي غَمۡرَةٖ مِّنۡ هَٰذَا وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٞ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمۡ لَهَا عَٰمِلُونَ ٦٣﴾

﴿بَلۡ﴾ قلوبُ الكفرة في غفلةٍ غامرةٍ لها ﴿مِّنۡ هَٰذَا﴾؛ أي: ممَّا عليه هؤلاء الموصُوفون من المؤمنين ﴿وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٞ﴾ مُتجاوِزةٌ مُتخطِّيةٌ لذلكَ؛ ....

ويُروى:

أنـــتَ لـهـا مـنـذرٌ مِـــن بـيـن الـبـشَـر[1]

الشعر للأعشى[2] الحِرمازيّ يخاطب منذر بن[3] عمرو الكنديّ أبا النعمان، هكذا رواه أبو نصر،[4] ومن روى "أحمَد" كما في المتن أراد النبيَّ عليه الصلاة والسلام، والضمير في "لها" للنبوّة، والحِرمازيّ أدرك النبيّ وله صحبة، والحرماز حيٌّ[5] مِن تميم.

قوله: (**وكذلك كلُّ**) أي: غير خارج.

قوله: (**ولا يُظلم منهم أحدٌ**) لا المطيع يُهضم مِن ثوابه، ولا العاصي يُزاد في عقابه.

قوله: ﴿مِّنۡ هَٰذَا﴾ "مِن" في ﴿مِّنۡ هَٰذَا﴾ متعلِّق بـ﴿غَمۡرَةٖ﴾، أي: في غفلةٍ وجهالةٍ منه.

قوله: (**متخطّية**) بالياء الخالصة، مِن: تخطّى الرقاب؛ تجاوَزها.

---

[1] سيأتي في الحاشية أنّه للأعشى الحرمازي. وانظر: **الصحاح** للجوهري، «غبر».
[2] ن: إلا.
[3] ن: منذرين.
[4] ن: نضر.
[5] ن: والحرمان مازجي.

أي: لِمَا وُصِفَ به المؤمنُونَ ﴿هُمْ لَهَا﴾ مُعتَادُون وبها ضَارُونَ لا يُفطَمُون عنها حتَّى يأخذَهُم اللهُ بالعذاب.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ ۝٦٤ لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ۝٦٥﴾

و﴿حَتَّىٰٓ﴾ هذه هي الَّتي يُبتَدأ بعدَها الكلامُ، والكلامُ: الجملةُ الشرطيَّةُ.

و"العذَابُ": قتلُهم يومَ بدْرٍ، أو الجُوعُ حين دعَا عليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال: «اللّٰهُمَّ اشدُدْ وَطْأتَكَ على مُضَرَ واجعَلهَا عليهم سِنِينَ كسِنِي يوسُف»، فابتلاهُم اللهُ بالقَحط حتى أكَلُوا الجيَفَ والكِلابَ والعِظامَ المُحترقة والقِدَّ والأولَاد.

"الجُؤارُ": الصُّراخُ باستغاثةٍ؛ قال:

جــأَّرُ سَــاعــاتِ الـنِّــيــام لــربِّــهِ

أي: يُقالُ لهم حينئذٍ: ﴿لَا تَجۡـَٔرُواْ﴾ فإنَّ الجُؤارَ غيرُ نافع لكم.

﴿مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾: لا تُغاثُونَ ولا تُمنَعُونَ منَّا، أو مِن جهتِنَا لا يَلحقُكُم نَصْرٌ ومَغُوثةٌ.

قوله: **(ضارون)** من: ضَرِيَ. وقوله: **(لا يُفطمون)** فلان غير مفطوم عن كذا، أي: أنّه[1] مجبول عليه.

[١٧٠ظ] قوله: **(سنين)** / السنة واحدة السنين، والسنة: الجَدْب.

قوله: **(والقِدَّ)** السَّير مِن الجِلْد.

قوله:

(جــأَّار ســاعــاتِ الـنـيــام لــربّــه)[2]

أي: يصرخ ويدعو ربّه في الليل، وهو وقت النوم.

---

[1] ن: نهم.

[2] أساس البلاغة للزمخشري، ١١٩/١.

﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾

قالوا: الضميرُ في ﴿بِهِۦ﴾ للبَيْتِ العَتيق أَو لِلحَرم، كانوا يقولون: لا يَظهَرُ علينا أحَدٌ؛ لأنّا أَهلُ الحَرم. والذي سَوَّغ هذا الإضمارَ شُهرَتهُم بالاستِكبار بالبيت، وأنّه لم تَكنْ لهم مَفخرةٌ إلّا أنّهُم ولَاتُه والقائمُون به.

ويجوز أن يرجع إلى ﴿ءَايَٰتِى﴾ إلّا أنّه ذُكِّرَ؛ لأنّها في معنَى: كتَابي، ومعنى استكبَارِهم بالقرآن: تكذيبُهم به استكبَارًا، ضُمِّن ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾ معنى: مكذِّبينَ، فعُدِّي تَعْدِيتَه.

أو يُحدِث لكم استماعُه استكبارًا وعُتوًّا فأَنْتُم مُستكبرُونَ بسَببِه.

أو تتعَلّق الباء بـ﴿سَٰمِرًا﴾؛ أي: يَسْمُرون بذكر القرآن وبالطَّعن فيه، وكانوا يجتمعُون حولَ البيت باللَّيل يَسمُرُونَ، وكانت عَامَّةُ سمَرهم ....

قوله: (**قالوا: الضمير**)... إلخ، الضمير مِن "قالوا" يعود إلى "العلماء"، ومِن "كانوا" إلى "كفّار قريش".

قوله: (**ضُمِّن ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾**)... إلخ، يعني: إذا رجع الضمير إلى "الآيات" فيجوز أن يكون الباء صلة ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾ على التضمين، أي: يكذّبون مستكبرين، أو يكون الباء للسببيّة،[1] فإنّه حدث لهم الاستكبار عند سماع القرآن، فكأنّ **القرآن**[2] سبب استكبارهم.

قوله: (**أو يتعلّق الباء بـ﴿سَٰمِرًا﴾**) وعلى[3] ما مرّ كان متعلّقًا بـ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾، والحاصل: أنّ الضمير إنْ عاد إلى البيت أو الحرم فالباء متعلِّق بـ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾، وإنْ عاد إلى **القرآن** فيجوز تعلُّقه بـ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾ أيضًا، أو بـ﴿سَٰمِرًا﴾، أو بـ﴿تَهْجُرُونَ﴾.

قوله: (**وكانت عامّة سَمَرهم**) فكأنّهم لا يَسمَرون إلّا **بالقرآن**، فقوله: "عامّة" إشارة إلى فائدة تقديم ﴿بِهِ﴾. والسَمَر:[4] الحديث بالليل، والسامر: اسم للجميع.

---

١ ن: للسه.

٢ ن - فكأن القرآن.

٣ ن: رعلى.

٤ ن: فالسمر.

ذكرَ القرآن وتسميتَه سحرًا وشِعرًا، وسَبَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أو بـ﴿تَهْجُرُونَ﴾.

والسَّامِرُ: نحوُ الحَاضر في الإطلاق على الجَمع.

وقرئ: "سُمَّرًا" و: "سُمَّارًا".

و: ﴿تُهْجِرُون﴾، و: "تُهَجِّرُونَ"، من "أَهجَر في مَنطقِه": إذا أفحشَ، والهُجر -بالضمّ-: الفُحشُ، ومن "هجَّر" الذي هو مبالغةٌ في "هَجَر": إذا هَذَى، والهَجْر -بالفَتح-: الهَذَيان.

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦٨﴾

"القولُ": القرآنُ، يقولُ: أَفَلم يتَدبَّرُوه ليَعلمُوا أنَّه الحقُّ المُبينُ فيُصَدِّقُوا به وبمَن جاء به، بل أجاءَهم ﴿مَالَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمْ﴾؛ فلذلك أنكرُوه واستَبدَعوه؛

قوله: (و"الهُجْرُ"[١] بالضمّ)... إلخ، والحاصل: أنّ المعنى على القراءة بإسكان الهاء:[٢] إنهم يقولون الفُحشَ، والفُحشُ:[٣] هو الكلام المشتَمل على الإيذاء مِن السبّ والطعن في القرآن، وعلى القراءة بالتشديد:[٤] إنّهم يَهذون، والهَذَيان: هو الألفاظ المركّبة التي لا تدلّ على معنى. جعَل كلامهم -لعدم اشتماله على فائدة دينيّة ولا دنياويّة-[٥] كالهَذَيان.

قوله:[٦] (أفلم يتدبّروه؟)[٧] التدبُّر: التأمّل؛ وهو إحضار الغائب.

قوله: (فلذلك أنكروه) حاصل المعنى على الوجه الأوّل أن يقال: أَسَبَبُ[٨] تركهم الإيمان أنّهم تركوا التفكُّر في القرآن المعجِز؟ ولمّا لم يتفكروا ولم يعرفوا حَقّيّته فلم يؤمنوا، وهذا الاستفهام بطريق الإنكار، أي: لِم لَم[٩] يتفكروا

---

١ ن: والجهر.

٢ قرأ نافع بضمّ التاء وكسر الجيم، وقرأ الباقون بفتح التاء وضم الجيم. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٣٢٥.

٣ ن: النحس والنحش.

٤ وهي قراءة شاذّة. انظر: المحتسب لابن جنّي، ٢/٩٧.

٥ ن: ولا نياوية.

٦ ن + تعالى.

٧ ن: يتدبره.

٨ ن: سبب.

٩ ن - لم.

كقوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [يس ٦/٣٦].

أو: ليَخافُوا عندَ تَدبُّرِ آياتِه وأقاصيصِه مثلَ ما نَزَلَ بمَن قَبْلَهم من المُكَذِّبين، أم جاءهم من الأَمْن ما لَمْ يأتِ آباءَهم حينَ خافُوا اللهَ فآمَنوا به وبكتُبِهِ ورُسُله وأطاعُوه، وآباؤُهم: إسماعيلُ وأَعقَابُه من عَدْنانَ وقحطَانَ.

وعن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: ....

ليعلموا أنّه حقّ فيؤمنوا[1] فيحصل[2] لهم سعادة الدارين؟ ثمّ أضرَب عن هذا الاستفهام الإنكاريّ إلى استفهامٍ[3] إنكاريٍّ آخر؛ فقيل: بل أترَكوا الإيمان؛ لأنّهم جاءهم ما لم يأتِ آباءَهم المتقدِّمين عليهم فأنكروا ذلك واستبدعوه؛ وذلك لأنّهم يريدون متابعة آبائهم بالتقليد، فإذا جاءهم ما لم يأتِ آباءهم أنكروا مِن غير تفكّرٍ محبةً للتقليد، وكذا استبدعوا إذ لم يكن ذلك في آبائهم؟ ثمّ شبّهه[4] المصنِّف بقوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ [يس ٦/٣٦]، أي: لتنذر قومًا غير منذَرٍ آباؤهم فهم غافلون، يعني: أنّ عدم إنذار آبائهم سبب غفلتهم، والمراد بـ﴿ءَابَآءَهُمُ﴾ على هذا التفسير: آباؤهم الأدنَون، وسمّاهم ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾؛ لتقدّمهم عليهم، بخلاف التفسير الثاني؛ إذ أريد بهم الأقدمون على ما سيجيء.

قوله: (**كقوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾** [يس ٦/٣٦]) الاستشهاد في ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ [يس ٦/٣٦]، و"ما" نافية.

قوله: (**مِن الأمْن ما لم يأتِ آباءَهم**)[5] أي: آباءَهم الأباعد. وقوله: (**وآباؤهم: إسماعيل وأعقابه**) أي: على هذا الوجه. وقوله: (**مِن عدنان**) عدنان بن أدّ[6] بن مَعَدّ، ذِروة ولد إسماعيل، (**وقحطان**) أبو اليمن وابنه يَعرب أوّل مَن تكلّم بالعربيّة؛ بل أوّل مَن تكلّم بالعربيّة إسماعيل.

---

١ ن – فيؤمنوا.
٢ ن: فيجعل.
٣ ن: الاستفهام.
٤ ن: شبه.
٥ ن + أي: آباءهم.
٦ ن: براد.

«لا تَسُبُّوا مُضَرَ ولا رَبيعَة فإنَّهما كانا مُسلِمَيْن، ولا تسبُّوا قُسًّا فإنَّه كان مُسلمًا، ولا تَسبُّوا الحارثَ بن كعب ولا أسَدَ بن خُزيمةَ ولا تميمَ بن مُرّ فإنَّهم كانُوا عَلى الإسْلام، وما شَكَكتُم فيه من شيءٍ فلا تَشكُّوا في أن تُبَّعًا كان مُسْلمًا».

ورُوي في أن ضَبَّة بن أُدٍّ كانَ مُسلمًا، وكان عَلى شُرْطةِ سُليمانَ بن داود.

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ﴾ محمَّدًا وصحَّةَ نَسبه، وحُلُولَه في سِطَةِ هاشم، وأمانتَه وصِدْقَه وشَهامتَه وعَقْلَه، ....

[١٧١و] قوله: / (مضَر)[١] ذِروة نزار بن مَعَدّ.

قوله: (قُسًّا)[٢] هو قُسُّ بن ساعدة الإياديُّ، أعقل العرب، وأبلَغ مَن سُمع به منهم، قال عليه الصلاة والسلام: «يُبعثُ قسٌّ يوم القيامة أمّةً».[٣]

قوله: (وما شككتم) "ما" شرطيّة.

قوله: (تُبَّعًا) هو تُبَّع بن ملكي كَرِب،[٤] مَلَك المدينة قبل النبيّ عليه الصلاة والسلام.[٥]

قوله: (ضَبَّةَ بن أُدّ).[٦]

قوله: (على شُرْطة) "شُرْطة": اسم جمع، وجمْعُه: شُرَط، كثُلّةٍ وثُلَلٍ، وأمّة وأمم.

قوله: (في سِطة) سِطة القوم: خيارهم وأشرافهم.

---

١ أوّل الحديث في **الطبقات** لابن سعد، ١/٤٠؛ و**معجم الشيوخ** لابن عساكر، ١/٥٠١. وانظر: **تخريج أحاديث الكشّاف** للزيلعي، ٢/٤٠٤.

٢ في **معجم الشيوخ** لابن عساكر: "قيسًا".

٣ انظر: **غوامض الأسماء** لابن بشكوال، ٢/٦٧٤؛ و**البحر المحيط** لأبي حيّان، ٥/٤٥ (الأعراف، ٧/٣٤).

٤ ن: لرب.

٥ ن + شرطية.

٦ كذا في الأصول الخطيّة دون شرح، ولعلّه قصد ضبط الاسم.

واتِّسَامَهُ بأنَّه خيرُ فِتيَانِ قُريشٍ، والخُطْبَةُ التي خَطبهَا أبو طالب في نكاحِ خديجةَ بنتِ خُوَيلدٍ كفَى برُغَائها مُنَادِيًا.

﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ۝٧٠﴾

"الجِنَّة": الجُنون، وكانوا يَعلمون أنه بريءٌ منها، وأنَّه أرجَحُهم عَقْلًا وأثقَبُهم ذهنًا؛ ولكنَّه جاءهم بما خالَفَ شهواتِهم وأهواءَهُم ولم يُوافِقْ ما نشَؤُوا عليه وسِيطَ بِلحُومهم ودمائهم مِن اتِّباع الباطل، ولم يجِدُوا له مَردًّا ولا مَدفعًا؛ لأنه الحقُّ الأَبلجُ والصِّراطُ المُستقيمُ، ....

قوله: (**برُغائها**) أي: بشهرتها.[١] و"الرُّغاء": صوت ذوات الخُفِّ، وقد رَغا البعير يرغو[٢] رُغاءً إذا ضجَّ، وفي المَثَل: "كفَى برُغائها مناديًا"،[٣] أي: إنّ رُغاء بعيره يقوم مقام ندائه في التعرّض للضيافة والقِرى، يُضرب هذا المَثَل في الأمر الواضح الذي عليه دليل بيّن.[٤] يُحكَى أنّ خويلدًا لمّا صحا مِن سُكره قال: ما هذا العَبير؟[٥] فقيل: إنّ محمّدًا خطَب خديجة، فقال: "هذا الفحل لا[٦] يُقرع أنفُه".[٧] وأصله: أنّ الفَحل الهَجين إذا أراد أن يضرِب مِن كرائم الإبل يُقرع أنفُه بالعصا.

قوله: (**وسِيطَ**) أي: خُلِط ومُزِج، السَّوط:[٨] الخَلْط.[٩] وقوله:[١٠] "سِيطَ" فعل مجهول منه.

---

١ ن: بشرتها.

٢ ن: يرغوا.

٣ انظر: **مجمع الأمثال** للميداني، ١٤٢/٢.

٤ وقال الميداني: «يضرب في قضاء الحاجة قبل سؤلها، ويضرب أيضًا للرجل تحتاج إلى نصرته أو معونته فلا يحضرك، ويعتلّ بأنّه لم يعلم، ويضرب لمن يقف بباب الرجل فيقال: أرسل من يستأذن لك». **مجمع الأمثال** للميداني، ١٤٢/٢.

٥ ن: البعير.

٦ ن – لا.

٧ كذا في **لسان العرب** لابن منظور، «حبر». وفي **المعجم الكبير** للطبراني، ٤٤٩/٢٢ (١٠٩٢)، أنّ القائل: "عمرو بن أسد".

٨ ن: الوسط.

٩ ن: الخلد.

١٠ ن: قوله.

فأَخلدُوا إلى البَهْتِ وعَوَّلُوا على الكذِب؛ من النِّسبة إلى الجنون والشعر والسِّحر.

فإن قلتَ: قوله: ﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ﴾ فيه أَنَّ أَقَلَّهم كانوا لا يكرهُون الحقَّ؟

قلتُ: كان فيهم مَن يَتْركُ الإِيمان به أَنفَةً واستنكافًا مِن تَوبيخِ قَومه، وأَنْ يقُولُوا: "صَبَأ وتركَ دينَ آبائهِ" لا كراهةً للحقِّ؛ كمَا يُحكَى عن أبي طالب.

فإن قلتَ: يَزعم بعضُ النَّاس أنَّ أبا طالب صَحَّ إسلامُه.

قلتُ: يا سُبحانَ الله! كأنَّ أبا طالبٍ كان أَخمَلَ أعمَامِ رسُول الله صلى الله عليه وسلم حتى يَشتَهِرَ إسلامُ حَمزةَ والعبَّاسِ ويَخفى إسْلامُ أبي طالبٍ.

قوله: (**فأخلَدوا**)[1] أي: مالوا، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف ١٧٦/٧]، أي: مال[2] إلى الدنيا.

قولـه: (**قلـت: يـا سبحان الله!**)... إلـخ، أي: يـا قـوم سـبحان الله! علـى حذف المنادى، أي: يا قوم أسبِّح الله مِن هذا التعجُّب! وممّا يدلّ على أنّ أبا طالب لم يُسلِم قوله تعالى: ﴿وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُ﴾ [الأنعام ٢٦/٦]، قال المصنِّف في سورة الأنعام: «قيل: هو أبو طالب؛ لأنّه كان ينهى قريشًا عن التعرّض لرسول الله عليه الصلاة والسلام، وينأى عنه فلا يؤمن به».[3] وروي أنّهم اجتمعوا إلى أبي طالب وأرادوا[4] برسول الله عليه الصلاة والسلام سوءًا، فقال:

والله[5] لن يصِلوا إليك بجَمعهم ... حتّى أُوسَّد في التراب دفينا
فاصدعْ بأمرك ما عليك غَضاضةٌ ... وابشرْ بذاك وقَرَّ منه عيونا
ودَعَوتني وزعَمتَ أنّك ناصحٌ ... ولقد صدقتَ وكنت ثَمَّ أمينا
وعَرضتَ دينًا لا محالةَ أنّه ... مِن خير أديان البريّة دينا
لولا المَلامة أو حذاري[6] سُبّةً ... لوجدتَني سَمحًا بذاك مبينا[7]

---

١ ن: فأجلدوا.

٢ ن: قال.

٣ انظر قول الزمخشري في سورة الأنعام، ٢٦/٦.

٤ ن: وأرادو.

٥ ن: الله.

٦ ن: جداري.

٧ **دلائل النبوّة** للبيهقي، ١٨٨/٢.

﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾﴾

دُلَّ بهذا على عظم ....

قال الواحدي في الوسيط:

الكفر على أربعة أنحاء: كفر إنكار، وكفر جُحود، وكفر معاندة، وكفر نفاق. مَن لقيَ ربَّه بشيء مِن ذلك لم يُغفر له: أمّا كفر الإنكار فهو: أن يكفر بقلبه ولسانه ولا يَعرف له ما يذكر له مِن التوحيد. وكفر الجحود: أن يَعرف بقلبه ولا يُقِرَّ بلسانه، ككفر إبليس، وكفر أُميّة بن أبي الصَّلْت، ومِنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ [البقرة ٨٩/٢]. وأمّا كفر المعاندة فهو: أن يَعرف بقلبه ويُقِرَّ بلسانه ولا يَقبلُ ولا يتديّن به، ككفر أبي طالب حيث يقول:

ولقد علمتُ بأنّ دين محمّد مِن خَير أديان البريّة دينا
لولا المَلامة أو حذار مَسبَّةٍ[1] لوجدتني سَمحًا بذاك مُبينا

وأمّا كفر النفاق: فأن يُقِرَّ بلسانه ويكفُر بقلبه.[2]

وذكر صاحب الكشّاف في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾ [المؤمنون ٤/٢٣]: أُنشِد لأميّة بن أبي الصَّلتِ:

/ المطعمونَ الطعام في[3] السَّنة الأز مةِ والفاعلون للزكَواتِ[4] [١٧١ظ]

وأنا أقول: كان لأميّة أبياتٌ كثيرة مشتملة على معانٍ لطيفةٍ، وكان يَتوقّع أنّ النبوّة تظهَر عليه، وكان يتعبّد ويتحنَّث،[5] وكذا كان مسيلمة الكذّاب، فلمّا اختار الله تعالى نبيّنا واصطفاه للنبوّة أدركَهما الحسد فلم يؤمِنا مع علمِهما بأنّ النبيّ عليه الصلاة والسلام نبيّ، فكفرُهما كفرُ الجحود.

قوله: (دلّ بهذا) إشارة إلى أنّ قوله تعالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ﴾ إلى قوله تعالى:

---

١ ن: مشيته.

٢ التفسير الوسيط للواحدي، ٨٤/١ (البقرة، ٦/٢).

٣ ن – في.

٤ لأميّة بن أبي الصلت في ديوانه، ص ٣٤٥، وهو في الكشف والبيان للثعلبي، ٤٤٤/١٨ (المؤمنون، ٤/٢٣). وذكره الزمخشري في سورة المؤمنون، ٤/٢٣.

٥ انظر: السيرة النبويّة لابن كثير، ١٢٢/١.

شأنِ الحقِّ، وأنَّ السَّماوات والأرضَ ما قامت ولا مَن فيهنَّ إلَّا به، فلو اتَّبع أَهواءَهم لانقلَب باطلًا ولذهَب ما يقُوم به العَالَم فلا يَبقى له بَعْدَهُ قِوَام.

أَو أراد: أنَّ الحق الذي جاء به محمَّدٌ -وهو الإسلامُ- لو اتَّبعَ أهواءهُم وانقلَب شِركًا لجاءَ اللهُ بالقيَامةِ ولأَهْلَكَ العَالَمَ ولَمْ يُؤخِّر.

وعن قتادة: أن الحقَّ هو الله.

ومعناه: ولو كان الله إلهًا يَتَّبعُ أهوَاءَهُم ويأمُر بالشِّرك والمعَاصي لَمَا كان إلهًا؛ ولكنْ شَيطانًا، ولَمَا قدرَ على أَن يُمسِكَ السَّماوات والأرضَ.

﴿بِذِكْرِهِمْ﴾؛ أي: بالكتاب الذي هو ذِكرُهم؛ أي: وَعْظُهُم، أَو: صِيتُهم وفَخْرُهم. أو: بالذِّكر الذي كانوا يَتمنَّونه ويقولون: ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الصافات ٣٧/١٦٨-١٦٩].

وقرئ: "بذكراهم".

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٧٢ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٧٣﴾

قرئ: ﴿خَرَاجًا فَخَرَاجُ﴾ و: ﴿خَرْجًا فَخَرْجُ﴾ و﴿خَرْجًا فَخَرَاجُ﴾.

﴿مُعْرِضُونَ﴾ كالجملة المعترضة؛ لأنَّه لمّا ذكر[1] مجيء الحقّ أكّد وجوبَ متابعته، أو كالجملة الاستطراديّة؛ فإنّه[2] لمّا ذكر أنّه حقّ ذكَر أنّ الحقّ عظيم الشأن.

قوله: **(شأنِ الحقّ)** أراد بـ"الحقّ" هنا: ضدّ الباطل. وقوله: **(ما قامت)** قام: استقرّ وسكَن.

قوله: **(قرئ: ﴿خَرَاجًا﴾)**... إلخ، قال الشيخ في **الكواشي**: «القراءة ﴿خَرَاجًا فَخَرَاجُ﴾ بألِف فيهما، وبغير[3] أَلِف فيهما،[4] وبألِف في الثاني دون الأوّل».[5]

---

[1] ن - ذكر.

[2] ن: فكأنّه.

[3] ن: بغير.

[4] ن: بينهما.

[5] **تفسير الكواشي**، ٣٤٥و. والقراءة بألِف فيهما قراءة حمزة والكسائي وخلف، والقراءة بغير ألف فيهما قراءة ابن عامر الشامي، وقرأ الباقون بغير ألف في الأولى وبالألف في الثانية. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٢/٣١٥.

وهو: ما تُخرِجُه إلى الإمام من زَكاة أرضِك، وإلى كُلِّ عَاملٍ من أُجْرَتِهِ وجُعْله.

وقيل: الخَرْجُ: ما تبرَّعْتَ به، والخراجُ: ما لَزِمكَ أداؤه.

والوجهُ: أن الخَرْجَ أخصُّ من الخَرَاج؛ كقولك: خَرَاجُ القَرية وخَرْجُ الكُرْدةِ، زيادةُ اللَّفظ لزيادة المَعنى؛ ولذلك حَسُنَت قراءةُ مَن قَرأ: ﴿خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾ يعني: أمْ تَسألهُم على هِدَايتِكَ لهم قليلًا من عَطاء الخَلْق، فالكثيرُ من عطاء الخالقِ خَيرٌ.

وقد ألزَمَهم الحجةَ في هذه الآيات وقَطَعَ معَاذِيرَهم وعِلَلهُم، بأنَّ الذي أُرسِلَ إليهم رجُلٌ مَعروفٌ أمرُه وحالُه، مَخبُورٌ سرُّهُ وعَلَنُه، خليقٌ بأَنْ يُجتَبَى مِثلُه للرِّسالة

قوله: (أخصُّ) أي: أقلّ.

قوله: (وخَرْجُ الكُرْدَة) أي: المُثارة مِن المزارع.[١]

قوله: (زيادة اللفظ) كالشِّقندَف والشِّقنداف.[٢]

قوله: (في هذه الآيات) يريد بهذه الآيات قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لَنَـٰكِبُونَ﴾.

قوله: (بأن يُجتبَى مِثله) أراد بـ"مِثله": ذاته، كقول مَن خاطب[٣] الحجّاج: «مِثل الأميرِ يَحمل على الأشهَبِ والأدهَم».[٤]

---

[١] وقال الطيبي: «روي عن المصنِّف: الكردة: جمعها: الكرد، وهو مِن وضع الكرد، والعرب لا تعرفها، وهي قطعةٌ مِن الأرض المزروعة، ولا تُعرفُ هذه اللغة في الأصول». **حاشية الطيبي على الكشّاف**، ٦٠٨/١٠.

[٢] كذا في الأصول الخطّيّة، وقال الزبيدي: «الشُّقدف -كقُنفذ-: مَركب معروف بالحجاز، يركبه الحجّاج إلى بيت الله الحرام، والجمع: شقادف. وأما الشِّقنداف -بالكسر-: فليس مِن كلامهم؛ بل هي لغة سواديّة». **تاج العروس** للزبيدي، «شقدف». وقال الزجّاج: «ممّا طنَّ على أذني مِن مِلَح العرب أنّهم يسمّون مَركبًا مِن مراكبهم بالشُّقدُف، وهو مَركب خَفيف ليس في ثِقَل محامل العراق، فقلت في طريق الطائف لرجل منهم: 'ما اسم هذا المَحمَل؟' أردتُ المَحمَل العراقي، فقال: 'أليس ذاك اسمه الشُّقدُف؟' قلتُ: 'بلى'، فقال: 'هذا اسمه الشِّقِنداف'، فزاد في بناء الاسم لزيادة المسمّى». **الكشّاف** للزمخشري، (الفاتحة، ١/١).

[٣] ن: حاطت.

[٤] هو قول ابن القَبعثَرى للحجّاج حين قال له: «لأحْمِلَنَّك على الأدهَم». يعني: القيدَ. انظر: **فقه اللغة** للثعالبي، ص ٢٥٦.

مِن بَين ظَهرانَيهم، وأنَّه لم يُعرَضْ له حَتَّى يدَّعِيَ مِثلَ هذه الدَّعوَى العَظيمة بباطلٍ، ولم يَجعَل ذلك سُلَّمًا إلى النَّيل من دُنياهم واستعطاءِ أَموالهم، ولم يَدْعُهم إلَّا إلى دِين الإسلام الذي هو الصراطُ المُستقيمُ، مع إبراز المَكنُونِ من أَدْوَائهم: وهو إخلالهُم بالتَّدبر والتَّأمُّل، واستهتَارُهم بدِين الآباء الضُّلَّال من غيْرِ بُرهان، وتَعلُّلُهم بأنه مجنونٌ بَعْد ظُهُور الحقِّ وثبَاتِ التَّصديق من الله بالمُعجزات والآيات النَّيِّرة، وكراهَتُهم للحقِّ، وإعراضُهم عمَّا فيه حَظُّهم من الذكر.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ۝٧٤﴾

يَحتمِلُ: إنَّ هؤلاء -وصِفَتُهم أَنَّهم ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾- ﴿لَنَٰكِبُونَ﴾؛ أي: عادِلُون عن هذا الصِّراط المذكور، وهو قوله: ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

قوله: (**وأنه لم[1] يُعرَض**) يقال: عُرِض[2] لفلان، أي: جُنّ، بمعنى: عُرِضَت له الجنّ.

قوله: (**واستهتارُهم**) أي: شغَفهم، استُهتِر بكذا، أي: أُولع به.

قوله: (**رجل معروف**) ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾.

قوله: (**ولم يجعل ذلك سُلّمًا**) ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾.

قوله: (**ولم يَدعُهم إلّا إلى دين الإسلام**) ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ﴾.

قوله: (**يحتمل: إنّ هؤلاء**) صحّ بكسر "إنّ"؛ لأنه يحكي التي في **القرآن**، أي: يحتمل أن يكون المعنى: إنّ هؤلاء المذكورين فيما مرّ لناكبون. فقوله: ﴿لَنَٰكِبُونَ﴾ خبر "إنّ هؤلاء". وقوله: (**وصِفتهم أنّهم لا يؤمنون**) جملة معترِضة بين اسم "إنّ" وخبرها، يعني: يجوز أن يكون المراد بـ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾: هؤلاء المذكورين في الآية المتقدّمة، وذكرهم ههنا بهذه الصفة -وهي أنّهم لا يؤمنون بالآخِرة- فيكون مِن باب وضع الظاهر موضع الضمير؛[3] لأنّ الأصل:

---

[1] د + لم.

[2] ن: اعرض.

[3] ن: المضمر.

و: إن كُلَّ مَن لا يُؤمن بالآخِرة فَهُو عن القَصْد ناكِبٌ.

﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾﴾

لمَّا أسْلم ثمامةُ بنُ أُثالٍ الحَنفيُّ ولحِقَ باليَمامةِ ومَنع المِيرةَ من أهل مكَّة، وأخَذَهم الله بالسِّنينَ حتى أكلوا العِلْهِزَ، جاءَ أبو سفيانَ إلى رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فقال له: أَنشُدُكَ اللهَ والرَّحِمَ، ....

وإنّهم؛ لكن أراد أن يبين أنّ صفتهم أنّهم لا يؤمنون بالآخرة، ويكون ﴿ٱلصِّرَٰطِ﴾: إشارة إلى ﴿صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، فتكون اللام في ﴿ٱلصِّرَٰطِ﴾ للعهد. وقوله: "وصفتهم أنّهم" أي: يكون مخصوصًا بهم.

قوله: (وإنّ كلّ مَن لا يؤمن) عطف على قوله: (إنّ هؤلاء)، أي: ويحتمل أن يكون المعنى: أنّ[١] كلّ مَن لا يؤمِن، ويكون المراد بـ﴿ٱلصِّرَٰطِ﴾: القصد، ولا يكون معهودًا، فلا يكون قوله: ﴿ٱلَّذِينَ﴾... إلخ مِن وضع الظاهر مَوضع المُضمَر، وتكون اللام في ﴿ٱلصِّرَٰطِ﴾ لام الجنس، أي: لجنس الصراط المستقيم.

قوله: (لمّا أسلم[٢] ثُمامة) ذِكْر كيفية إيمان ثُمامة بن أُثال ومنعِه[٣] المِيرةَ[٤] مِن أهل مكّة في[٥] باب حكم الأسرى مِن كتاب **المصابيح**.[٦]

[١٧٢و] قوله: (العِلْهِز) "العِلْهِز": طعام كانوا يتّخذونه مِن / الدم ووبَر البعير في سِني المَجاعة.

قوله: (أَنشُدك الله) كلمة استعطاف واسترحام، وهو معنى: ﴿تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ [النساء ٤/١]، وجواب "أَنشُدك" هو "ألْسُت"، وأَنشُدك الله، أي: سألتك بالله.

---

١ ن + هو.

٢ ن: أسلمت.

٣ ن: وميغه.

٤ المِيرة: الطعام يُجلب للبيع. انظر: **لسان العرب** لابن منظور، «مير».

٥ ن + حكم.

٦ ن: مصابيح. | انظر: **مصابيح السنّة** للبغوي، ٣/٨٥.

أَلَسْتَ تزعمُ أنك بُعِثتَ رَحمةً للعالمينَ؟! فقال: «بَلَى» فقال: قتلتَ الآباءَ بالسَّيفِ والأبنَاء بالجُوع.

والمعنَى: لو كشَفَ اللهُ عنهم هذا الضُّرَّ -وهو الهُزالُ والقَحطُ الذي أصَابهم- برحمته عليهم، ووجَدُوا الخصْبَ، لارتَدُّوا إلى ما كانوا عليه من الاستِكبَار وعَداوةِ رسول الله والمؤمنين وإفراطِهم فيها، ولَذهَب عنهم هذا الإبْلاسُ وهذا التَّملُّقُ بين يديه ويَستَرحمونه، واستَشْهَد على ذلك بأنَّا أَخذناهُم أوَّلًا بالسُّيوف وبما جَرى عليهم يومَ بدْرٍ من قَتلِ صَناديدهم وأَسرِهِم فما وُجدَتْ مِنهم بَعدَ ذلك استِكانةٌ ولا تضرُّعٌ، حتى فتَحنا عليهم بابَ الجوع الَّذي هو أشدُّ من الأَسرِ والقَتلِ وهو أطَمُّ العذاب، فَأُبلِسُوا السَّاعةَ وخضَعتْ رِقابُهم وجاء أعتَاهُم وأَشَدُّهم شكيمةً في العِناد يَستَعطِفُكَ.

أو محنَّاهم بكُلِّ محنةٍ من القَتل والجُوع فما رُؤِيَ فيهم لِينُ مَقَادَةٍ، وهُم كذلك حتَّى إذا عُذِّبُوا بنارِ جهنَّم فحينئذٍ يُبْلِسُون؛ كقوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الروم ١٢/٣٠]، ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف ٧٥/٤٣].

و"الإبلاسُ": اليَأسُ من كُلِّ خَيْرٍ، وقيل: السُّكُوتُ مع التَّحيُّر.

قوله: **(وبما جرى عليهم يوم بدر)** قُتِلوا سبعين وأُسروا سبعين. وقوله: **(مَن قتَل صَناديدهم)** الصِّنديد: السيّد الشجاع، وغيث صِنديد:[1] عظيم القَطر، والصَّناديد: الدواهي، ومنه قول الحسَن: «نعوذ بالله مِن صَناديد القدَر».[2]

قوله: **(والإبلاس: اليأس[3] مِن كلّ خير)** قال في **الصِّحاح**: «أبلَسَ مِن رحمة الله، أي:[4] يئِس، ومنه إبليس، وكان اسمه: عَزازيل، والإبلاس أيضًا: الانكسار والحزن،[5] يقال: أبلَس فلان إذا سكت غمًّا، والمُبلِس: الساكت مع الحَيرة،[6] مستعار[7] مِن الناقة المِبْلاس التي أمسكت مِن الاعتلاف».[8]

---

١ ن: صديد.
٢ غريب الحديث للخطابي، ٢١٠/٣.
٣ ن: الناس.
٤ ن: ومنه.
٥ ن: والجزن.
٦ ن: الخيرة.
٧ ن: مستعارة.
٨ **الصحاح** للجوهري، «بلس».

فإن قلتَ: ما وَزن "استكانَ"؟

قلتُ: "استَفعَلَ" من الكَون؛ أي: انتقَلَ من كَونٍ إلى كونٍ؛ كما قيل: "استحالَ" إذا انتقَلَ من حَالٍ إلى حالٍ، ويجوز أن يكون: "افتَعَلَ" من السُّكون أُشبِعَتْ فتحةُ عَينه كما جاء: "بمُنتزَاحِ".

فإن قلتَ: هَلَّا قيل: وَما تَضرَّعوا، أو: فما يَسْتكِينُونَ.

قلتُ: لأنَّ المَعنى: محنَّاهم فما وُجِدَت منهم عقيبَ المِحنَة استكانةٌ، وما من عَادَة هؤلاء أن يَستكِينُوا ويتَضرَّعوا حتى يُفتَح عليهم بابُ العَذاب الشَّديد.

وقرئ: "فتَّحنا".

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾

إنما خَصَّ السَّمعَ والأَبصارَ والأفئدة؛ لأنه يتعَلَّق بها من المنافع الدِّينية والدُّنيويَّة ما لا يتعَلَّق بغيرها، ومُقدِّمةُ مَنافعِها: أن يُعمِلُوا أبصارهم وأَسماعَهُم

قوله: **(كما جاء: بمُنتزاحِ)** قال:

وأنـتَ مِـن الـغـوائـل حين تُـرْمى ... ومَـن ذمّ الـرجـالَ بـمُـنـتـزاحِ[1]

قوله: **(قلتُ: لأنّ المعنى)** حاصل الجواب: أنّه إنّما جيء بالأوّل ماضيًا، وبالثاني مضارعًا؛ لأنّ المعنى: إنّا[2] ابتليناهم، فما استكانوا وما تضرّعوا عقيب[3] الابتلاء. ثمّ إنّ عدمَ الاستكانة والتضرّع استمرّ بهم إلى العذاب الشديد، فالإتيان بالمضارع في الثاني للدلالة على الاستمرار.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مِن: ذرأَ في الأرض الحبَّ إذا فرَّقها.

قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ مِن قوله تعالى:[4] ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾ [النازعات ٢٣/٧٩]، قال في **الصِّحاح**: «حشرتُ الناس؛ جمعتُهم، ومنه: يوم الحشر».[5]

---

[1] لابن هَرْمة يرثي ابنه، قال الجوهري: «تقول: أنت بمُنْتَزَحٍ مِن كذا، أي: ببُعْدٍ منه... إلّا أنّه أشبع فتحة الزاي فتولّدت الألف». **الصحاح** للجوهري، «نزح».

[2] ن: إنّما.

[3] ن: عقب.

[4] ن - تعالى.

[5] **الصحاح** للجوهري، «حشر».

في آياتِ الله وأفعالِه ثـم يَنظُروا ويَستدِلُّوا بقُلُوبهـم، ومَن لـم يُعمِلْهَا فيما خُلِقَت له فهو بمَنزلةِ عادِمِها؛ كما قال عزَّ وجل: ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف ٤٦/٢٦]، ومُقَدِّمةُ شكرِ النِّعمة فيها: الإقرارُ بالمُنعِم بها، وأَن لا يُجعَل له نِدٌّ وشَرِيكٌ.

﴿قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾؛ أي: تشكرون شُكرًا قليلًا، و﴿مَا﴾ مَزِيدةٌ للتَّأكيد بمعنى: حقًّا.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ۝٧٩ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝٨٠ بَلۡ قَالُواْ مِثۡلَ مَا قَالَ ٱلۡأَوَّلُونَ ۝٨١ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ۝٨٢ لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٨٣﴾

﴿ذَرَأَكُمۡ﴾: خَلقَكُم وبثَّكُم بالتَّناسُل ﴿وَإِلَيۡهِ﴾ تُجمَعُونَ يومَ القيامة بَعد تَفرُّقِكُم.

﴿وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾؛ أي: هو مختصٌّ به، وهو مُتولِّيهِ ولا يَقدرُ على تَصْرِيفِهما غيرُه.

وقرئَ: "يَعْقِلون" بالياء عن أبي عمرٍو.

﴿بَلۡ قَالُواْ مِثۡلَ مَا قَالَ ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ أي: قال أهل مكَّة كما قال الكفَّار قَبْلهم.

"الأسَاطِير": جمعُ أَسطارٍ: جمع سَطْرٍ؛ قال رُؤْبَةُ:

إنِّـــي وأَسْـــطَـــارٍ سُـــطِـــرنَ سَـــطْـرًا

قوله:

(إنِّـــي وأســطــارٍ[1] سُــطِــرْنَ سَــطْــرا)

تمامه:

لَـقَـائـلٌ يـا نَـصْـرُ نَـصْـرٌ نَـصْـرا[2]

---

[1] ن: وأشطار.

[2] وكذا نسبه الجوهري لرؤبة بن العجّاج. انظر: **الصحاح** للجوهري، «سطر». وقال الصغاني: «وهكذا نسبه سيبَويه إلى رُؤبة، وليس له، ومع هذا هو تصحيف، والرواية: "يا نَصْرُ نَصْرًا نَصْرًا"، بالصاد المُعجمة، يُريد النَّصرَ حَاجِبَ نَصْر بن سيّار». **التكملة والذيل** للصغاني، «نصر».

وهي ما كتبَهُ الأوَّلُون ممَّا لا حَقيقَة لهُ، وجَمعُ أُسْطُورةٍ أَوفقُ.

﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾

أي: أجيبُوني عمَّا استعلمْتُكُمْ مِنه إن كان عنْدكم فيه عِلمٌ، وفيه استِهانةٌ بهم، وتجويزٌ -لفَرطِ جَهالتِهم بالدِّيانات- أَنْ يجهَلوا مثلَ هذا الظَّاهِرِ البيِّنِ.

"أسطار": جمع سَطرٍ، والواو للقسم، كقوله تعالى: ﴿وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ﴾ [الطور ٢/٥٢]، و"سَطْر": مصدر. و"نَصْر" الأوّل لا خلاف في ضمّه على النداء، والأخير منصوب بلا خلاف، فأمّا الأوسط ففيه ثلاثة أوجه: **أحدها**: الضمّ بلا تنوين على البدل ممّا قبله؛ إذ يصحّ[١] أن يقال: "يا نصرُ نصرُ". **والثاني**: الرفع بالتنوين على أنّه[٢] تأكيدٌ حُمِل على لفظ ما قبله. **والثالث**: النصب على المحلّ. و"نَصْر" الأخير منصوب على المصدر. وقيل: يا نصرُ نصرٌ نصرًا، مثل: يا زيدُ زيدٌ زيدا، فالرفع على[٣] اللفظ، والنصب على المحلّ، وفي هذا الوجه الأخير لُطف، كأنّه قال: أذكره وأدعوه بالعبارات المختلفة والوجوه الممكنة. ثمّ اعلم أنّ ضمّ الثاني على البدل ضعيف؛ لأنّ البدل لا بدّ له مِن أن يشتمل على معنًى غير معنى الأوّل، فبناؤه يكون ضعيفًا. أورد المصنّف هذا البيت لبيان أنّ "الأسطار" جمع؛ لا لأنّ "سطرًا" مفرد "أسطار"، فإنّ "سطرًا" في البيت مصدر.

قوله: **(وجمع "أُسطورة" أوفَق)** قال رحمه الله:[٤] لأنّ البناء لِما يُتلهّى به، كالأُضحوكة والأُعجوبة؛ ولذلك قال المصنّف: "هذا أوفَق"؛ لأنّ الكفّار كانوا يقولون ذلك بطريق الطعن في القرآن.

قوله: **(أن يجهلوا)** مفعول **(تجويزٌ)**.[٥]

---

١ ن: نصح.
٢ ن - أنّه.
٣ ن: في.
٤ ن: رضي الله عنه.
٥ ن: بتجويز.

وقرئ: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بحذف التاء الثَّانية.

ومعناه: أفلا تذكَّرونَ فتَعلمُوا أنَّ مَن فَطر الأرضَ ومَن فيها اختراعًا كان قادرًا على إعادة الخَلْق، وكان حقيقًا بأن لا يُشرَك به بَعضُ خَلقِه في الرُّبُوبيَّة.

قرئ الأوَّلُ باللام لا غيرُ، والآخَرانِ باللام، وهو هكذا في مصاحف أَهل الحَرمين والكوفةِ والشامِ، وبغير اللَّام وهو هكذا في مصَاحِفِ أَهلِ البَصْرة.

باللام على المعنى؛ لأن قولكَ: "مَن ربُّه" و"لِمَن هو" في معنًى واحدٍ، وبغيرِ اللَّام على اللَّفظ. ويجوز قرَاءةُ الأوَّل بغَير لامٍ؛ ولكنها لم تثبُت في الرِّواية.

﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: أفلا تخَافونه فَلا تُشرِكوا به وتَعصُوا رُسُله.

﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ أَجَرْتُ فلانًا على فلان: إذا أغثتَهُ منه ومَنَعتَه، يعني: وهو يُغِيثُ مَن يَشاء ممَّن يشاء، ولا يُغِيثُ أَحدٌ منه أحدًا.

قوله: (**قرئ الأوّل**) قال الشيخ في **الكواشي**: «القراءة ﴿سَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ الثاني والثالث بألف، ورفع ﴿ٱللَّهُ﴾؛ لأنّه جواب على ظاهر السؤال؛ لأنّك تقول: مَن رَبُّ هذا؟ فالجواب: فلان؛ لأنّه جواب[1] "مَن" / لفظًا، وبلامٍ فيهما مجرورين بها، فهما جواب الاستفهام في المعنى؛ لأنّك إذا قلت: مَن رَبُّ هذا؟ فمعناه: لمَن هذا؟ فالجواب: لفلان؛ ليوافق الجواب السؤال. قالوا: والثاني[2] والثالث في جميع[3] المصاحف بغير ألف كالأوّل إلّا في مصحف البَصريّين، فإنّهما وجدهما بألف».[4] [١٧٢ظ]

قوله: (**لا غيرُ**) أي: بلا خلاف.

قوله: (**والأخيران**) أي: قرِئ. قوله: (**باللام على المعنى**) هذا ابتداء كلام مِن المصنّف؛ لبيان معنى القراءة باللام في الأخيرين، أي: القراءة باللام محمول على المعنى.

---

١ ن - لأنّه جواب.

٢ د: فالواو الثاني.

٣ ن + متن.

٤ **تفسير الكواشي**، ٣٤٥و. وقال ابن الجزري: «واختلفوا في: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ في الأخيرتين، فقرأ البصريّان بإثبات ألف الوصل قبل اللام فيهما ورفع الهاء مِن الجلالتين، وكذلك رسما في المصاحف البصريّة، وقرأ الباقون ﴿لِلَّهِ﴾ بغير ألف وخفض الهاء، وكذا رسما في مصاحف الحجاز والشام والعراق». **النشر** لابن الجزري، ٣٢٩/٢.

﴿تُسۡحَرُونَ﴾: تُخدَعُون عن توحيده وطَاعتِه، والخَادعُ: هو الشَّيطانُ والهَوى.

﴿بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ۝٩٠ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٩١﴾

وقرئ: "أتيتَهم" و: "أتيتُهم" بالفَتْح والضَّمِ.

﴿بِٱلۡحَقِّ﴾: بأنَّ نسبَة الولَد إليه مُحالٌ، والشركَ باطلٌ.

﴿وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ حيثَ يدَّعون له ولَدًا ومعه شريكًا.

﴿لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ﴾ لانفَردَ كلُّ واحدٍ من الآلهة بخلقِه الذي خَلَقَه واستبَدَّ به، ولَرَأيتُم مُلْكَ كُلِّ واحدٍ منهم مُتميِّزًا من مُلكِ الآخرين، ولغَلَب بعضُهم بعضًا؛ كما ترون حالَ مُلوك الدُّنيا ممَالكُهم مُتمايزةٌ وهم متَغالبُون، وحِينَ لم ترَوْا أثرًا لِتَمايُز الممَالكِ ولِلتَّغالُبِ فاعْلَموا أنَّه إلهٌ واحِدٌ بيَدِه ملكوتُ كلِّ شيءٍ.

فإن قلتَ: "إذَنْ" لا تَدْخلُ إلَّا على كلام هو جزاءٌ وجَوابٌ، فكيف وقع قَولُه: ﴿لَّذَهَبَ﴾ جزاءً وجوابًا ولم يتقدَّمْهُ شَرطٌ ولا سؤالُ سائلٍ؟

قلتُ: الشرطُ محذوفٌ تقديره: "ولو كان معه آلهةٌ"، وإنَّما حُذف لِدَلالة قولِهِ: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍ﴾ عليه، وهو جَوابٌ لمن معه المُحَاجَّة من المُشركين.

﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ من الأَنداد والأولاد.

﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٩٢ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ۝٩٣ رَبِّ فَلَا تَجۡعَلۡنِي فِي ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٩٤﴾

﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ﴾ بالجرِّ صِفَةٌ لـ﴿ٱللَّهِ﴾، وبالرفع: خَبرُ مبتدأٍ محذوفٍ.

قوله: (﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ﴾ بالجرّ والرفع)...[1] إلخ، كلاهما مِن السبعة.[2]

---

١ ن – والرفع.

٢ قرأ المدنيّان وحمزة والكسائي وخلف وأبو بكر شعبة برفع الميم، وقرأ باقي العشرة بالجرّ، واختلف عن رُويس حالة الابتداء فروي له فيها بالرفع والخفض. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٢٩/٢.

"ما" والنُّونُ مؤكِّدتان؛ أي: إنْ كان لا بُدَّ مِن أن تُرِيَنِّي ما تَعِدهُم من العَذابِ في الدُّنيا أو في الآخرة ﴿فَلَا تَجْعَلْنِي﴾ قرينًا لهم ولا تُعذِّبْني بعذابهم.

عن الحسنِ: أخْبَرَهُ اللهُ أنَّ له في أُمَّتِه نِقمةً ولم يُخْبِرهُ أَفِي حَياتِهِ أَم بعد موته؟ فَأمَرهُ أن يَدعُوَ بهذا الدُّعاء.

فإن قلتَ: كيف يجوز أن يَجعل اللهُ نبيَّهُ المعصومَ مع الظالمين حتى يَطْلُبَ أنْ لا يجعَلَهُ معهم؟

قلتُ: يجُوز أَن يَسْأَلَ العَبْدُ ربَّه ما عَلِم أنَّه يَفعلُه، وأَن يَستعيذَ به ممَّا عَلم أنَّه لا يَفعَلُه؛ إظهارًا للعُبُوديَّة وتواضُعًا لِربِّه وإخباتًا له، واستغفارُه صلى الله عليه وسلم إذا قَام من مَجلسهِ سَبعينَ مَرَّةً أو مئةَ مرَّة لذلك.

وما أحسَنَ قولَ الحسن في قول أبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه: «وَلِّيتُكم ولَسْتُ بخَيْركم»: كان يَعْلم أنَّه خَيْرُهم؛ ولكنَّ المؤمنَ يَهضِم نفسَهُ!

وقرِئَ: "تُرِئَنِّي" بالهمز؛ كما قُرئ: "فإمَّا تَرَئِنَّ" و﴿لَتَرَؤُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾، وهي ضَعيفةٌ.

قوله: (**في أمّته**) يعني: أمّةَ الدعوة لا أمّةَ الإجابة، فإنّه تعالى يعطي النبيّ عليه الصلاة والسلام في أمّة[1] الإجابة ما يرضى به، قال تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى ٩٣/٥]، ولا يرضى النبيّ عليه الصلاة والسلام بأن يُعاقب الله تعالى[2] أمّته ويُنْحُوه[3] مِن تلك العقوبة؛ بل يشفع في أمّته، ويقول: أمّتي أمّتي، حتّى يُشَفِّعَه الله تعالى فيهم ويدخلهم الجنّة. وقوله: (**نِقمةً**) يقال: انتقم الله منه، أي: عاقبه، والاسم منه: النِّقمة، والجمع: نَقِمات، ونَقِم، مثل: كلِمة، وكلِمات، وكَلِم، وإن شئتَ سكّنتَ القاف ونقلت حركتها إلى النون فقلت: نِقْمةٌ، والجمع: نِقَمٌ،[4] مثل: نِعمة، ونِعَم.

---

١ ن: مته.

٢ د - تعالى.

٣ أي: يبعدوه ويصرفوه. انظر: **الصحاح** للجوهري، «نحا».

٤ ن: نقمه.

وقولهُ: ﴿رَبِّ﴾ مَرَّتَين قَبْل الشرط وقَبْل الجزاء حَثٌّ على فَضلِ تَضرُّعٍ وجُؤارٍ.

﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ۝٩٥ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ۝٩٦﴾

كانوا يُنكِرُون المَوْعِد بالعذاب ويضحكون منه، واستعجالُهم له لذلك، فقيل لهم: إن الله قادرٌ على إنجاز ما وعَد إن تأمَّلتُم، فما وَجْهُ هذا الإنكار؟

هو أَبلغ من أن يقال: "بالحسنة السَّيِّئةَ" لِمَا فيه من التَّفْضيل؛ كأنَّه قال: ادفَع بالحُسنَى السَّيِّئةَ.

والمعنى: الصَّفحُ عن إساءتهم ومُقَابَلتُها بما أَمْكَنَ من الإحسان، حتَّى إذا اجتمَع الصَّفحُ والإحْسَانُ وبَذْلُ الاستِطاعةِ فيه كانت حسنَةً مُضاعَفةً بإزاء سيِّئةٍ، وهذه قضيَّةُ قوله: ﴿بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾.

وعن ابن عبَّاس: هي شهادَةُ أن لا إله إلَّا الله، والسيِّئةُ: الشركُ.

وعن مُجاهد: السلام؛ يُسَلِّم عليه إذا لَقيَه.

وعن الحسن: الإِغْضَاء والصَّفحُ.

وقيل: هي منسوخةٌ بآية السَّيف.

وقيل: مُحكَمةٌ؛ لأنَّ المُدَاراةَ محثُوثٌ عليها ما لم تُؤدِّ إلى ثَلْمِ دينٍ وإزْراءٍ بمرُوَّة.

قوله: **(قبل الشرط)** بدل مِن "مرّتين". وقوله: **(حثٌّ)** أي: للنبيّ عليه الصلاة والسلام.

قوله: **(لذلك)** أي:[1] للإنكار.

قوله: **(قضيّة قوله)** أي: حكمه ومقتضاه، قال في **الصِّحاح**: «القضاء: الحكم، وأصله: قضايٌ؛ لأنّه مِن: قضيتُ، قُلِبت الياء ألفًا؛ لوقوعها بعد الألِف، والجمع: أقضية، والقضيّة مثله، والجمع: القضايا».[2]

---

[1] ن - أي.

[2] الصحاح للجوهري، «قضى».

﴿بِمَا يَصِفُونَ﴾: بما يَذكرُونه من أحْوالِك بخلافِ صفَتِها، أو: بوَصفِهم لك وسُوءِ ذكرِهِم، واللهُ أعلَمُ بذلك منكَ وأقدَرُ على جَزائهم.

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ۝٩٨﴾

"الهمزُ": النَّخسُ، والهَمزاتُ: جَمعُ المرَّة منه، ومنه: مِهمازُ الرَّائض.

والمعنَى: أنَّ الشياطين يَحُثُّونَ النَّاسَ على المعاصي ويُغْرُونهم عليها كما تَهْمِزُ الرَّاضَةُ الدَّوابَّ حَثًّا لها على المَشْيِ.

ونحوُ الهَمْزِ الأَزُّ في قوله: ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم ٨٣/١٩].

أُمِر بالتَّعوُّذ مِن نخساتِهم بلَفظِ المُبتَهِلِ إلى رَبِّهِ المُكرِّر لِندائه، وبالتَّعوُّذ من أن يَحضُروه أَصْلًا ويَحُومُوا حَوْلَهُ. وعن ابن عباس: عندَ تِلاوة القرآن. وعن عكرمة: عِند النَّزْع.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩﴾

﴿حَتَّىٰٓ﴾ يتعلَّقُ بـ﴿يَصِفُونَ﴾؛ أي: لا يزالُونَ على سُوءِ الذِّكْرِ إلى هذا الوقت، والآيةُ فاصلةٌ بينَهما على وجه الاعتِراض والتَّأكيدِ للإغضاء عنهم مُستعينًا بالله على الشيطان ....

قوله: (**بما يذكرونه**)... إلخ، أي: يجوز أن يكون "ما" موصولة، أي: بما يصفونه، أي: نحن أعلم بأحوالك التي يصفونها بخلاف صفتها، ويجوز أن تكون "ما"[١] مصدريّة كما ذكر.

قوله: (**ومنه: مِهماز الرائِض**) المِهْمَز والمِهْماز: حديدةٌ تكون في مؤخّر خفّ الرائِض، والرائِض: اسم فاعل مِن راضَ المُهْر يَروضها رَوضًا ورياضة، والجمع: راضة.

قوله: (**﴿حَتَّىٰٓ﴾ يتعلّق**) أي: في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾.

---

١ ن – ما.

أن يَستزِلَّه عن الحِلْم ويُغرِيَهُ على الانتِصار منهم. أو على قوله: ﴿وإنّهم لكاذبُون﴾ [المؤمنون ٩٠/٢٣].

﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ خطابُ الله بلفظ الجمع لِلتعظيمِ؛ كقوله:

فـإن شئـتُ حَـرَّمـتُ النسَـاء سِـوَاكُـمُ

وقَولهِ:

ألَا فَارحمونـــي يـــا إلـــهَ محمَّـــدِ

قوله: (أن يستزِلّه) أي: مِن أن يَستزِلَّه، ويجوز[١] أن يكون التقدير: كراهةَ أن يستزِلَّه.

قوله: (على الانتصار) أي: الانتقام.

قوله:

(فـإن شِـئتِ حرمـتُ النسـاءَ سـواكمُ)[٢]

بعده:

وإن شئـتِ[٣] لـم أَطعَـم نُقـاخًا ولا بـرْدا[٤]

"النُقاخ": الماء العذب الذي يَنقَخ الفؤادَ ببرده. و"البَرْد": النوم، ومنه قوله تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ [النبأ ٢٤/٧٨].

قوله تعالى: ﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحًا﴾ وفيه مِن اللطيفة: أنّه لم يجعل الترجّي متعلِّقًا بالإيمان، ولم يَقل: لعلّي أؤمن فأعمل صالحًا؛ لأنّه جعل الإيمان عند الرجوع أمرًا محقَّقًا لا بدّ منه، وجعل العمل الصالح فيه مَرجوًّا، فكأنّه قال: إن رجَعْتموني إلى الدنيا أؤمن البتّة وقطعًا مِن غير احتمال شبهة، وأرجو أن أعمل فيه عمَلًا صالحًا، وإنّما بتّ وقطع بإيمانه؛ لأنّه رأى مِن الدلائل على التوحيد وحقّيّة الدين ما لم تبقَ له شبهة، فجزَم بأنّه لا يعترضه شبهة؛ لكن لم[٥] يجزم بالعمل الصالح، فإنّ النفس أمّارة. وفيه دلالة على أنّ الإيمان المجرّد عن العمل / نافع، فليُتأمّل. [١٧٣و]

---

١ ن: ويكون.

٢ ن: سوالم.

٣ ن – وإن شئتِ.

٤ لعبد الله بن عمرو العرجي. انظر: الصحاح للجوهري، «نقخ».

٥ ن: لا.

﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠﴾

إذا أَيقَن بالموتِ واطَّلَع على حقيقة الأمرِ أَدركتْه الحَسْرةُ عَلى ما فَرَّط فيه من الإيمان والعَملِ الصَّالح فيه، فسأل رَبَّه الرجعةَ وقال: ﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا﴾ في الإيمان الذي تركتُه، والمَعنى: لَعَلِّي آتِي بما تركْتُه من الإيمان وأَعمَلُ فيه صالِحًا، كما تقُولُ: "لعَلِّي أَبْنِي على أُسِّ"، تُرِيدُ: أُؤَسِّسُ أُسًّا وأَبنِي عليه. وقيل: فيما تركتُ من المال.

وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «إذا عاين المؤمنُ الملائكةَ قالوا: نَرجِعُكَ إلى الدُّنيَا، فيقولُ: إلى دار الهموم والأَحْزان! بل قُدُومًا إلى الله، وأَمَّا الكافرُ فيَقولُ: ربِّ ارجعُون».

﴿كَلَّآ﴾ رَدعٌ عن طَلب الرَّجْعة، وإنكارٌ واستبعَادٌ.

والمرادُ بالكلمة: الطَّائفةُ من الكلام المنتَظِم بعضُها مع بعضٍ، وهي قولُه تعالى: ﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُ﴾.

﴿هُوَ قَآئِلُهَا﴾ لا محَالةَ، لا يُخلِّيها ولا يَسْكُتُ عنها؛ لاستيلاء الحَسْرة عليه وتَسلُّطِ الندم.

قوله: (**إلى دار الهموم**)[1] يقوله المؤمن في جواب الملائكة على طريق الإنكار، يعني: أأُريد[2] أن تردُّوني إلى دار الأحزان، يعني: الدنيا؟ أي: لا أريد ذلك، وكيف أريده؟

قوله: (**هو قائلها لا محالة**)... إلخ، ﴿هُوَ قَآئِلُهَا﴾ على التفسير الأوّل ابتدائيّ للتأكيد، وعلى الثاني تقديم للحصر. وأظنُّ أنّ الأَولى حمل الحصر[3] على أنّ القائل هو الكافر لا المؤمن كما دلّ عليه الحديث،[4] وكما يدلّ عليه اللفظ، وأمّا الحصر بالمعنى الذي أشار إليه المصنِّف فلا يدلّ عليه لفظ **القرآن**، فتأمّل.

---

١ جامع البيان للطبري، ١٠٧/١٧ (المؤمنون، ٩٩/٢٣).
٢ ن: أريد.
٣ ن: الحصى.
٤ الحديث السابق.

أو: هو قائلُها وَحدَه لا يُجَابُ إليها ولا تُسمَعُ منه.

﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ﴾ والضَّميرُ للجماعة؛ أي: أمامَهم حَائلٌ بَينَهُم وبينَ الرَّجْعَةِ إلى يوم البَعْث، وليس المَعنى: أنهم يَرجِعُون يومَ البعث، وإنَّما هو إقْناطٌ كُلِّيٌّ لِمَا عُلِم أنَّه لا رَجعَةَ يومَ البعثِ إلَّا إلى الآخرة.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١﴾

"الصُّوَرِ" بفَتح الواوِ عن الحسن، و: "الصِّوَرِ" بكسر الصَّاد والفتح عن أبي رَزينٍ، وهذا دَليلٌ لمن فسَّر الصُّورَ بجَمع الصُّورة.

ونفيُ الأَنسَابِ يَحتمِلُ: أنَّ التَّقاطُعَ يَقعُ بينَهم حيث يتفرَّقُونَ مُعَاقَبِين ومُثَابِين، ولا يكونُ التَّواصُلُ بَينهم والتَّآلُف إلَّا بالأعمال، فَتلغُو الأنسَابُ وتَبطُل، وأنَّه لا يُعتَدُّ بالأنسَابِ لزَوال التَّعاطُف والتَّراحُم بينَ الأقَارِبِ، ....

قوله: (**ولا تُسمَع منه**) يعني: لا يُجاب، نحو: "سمِع الله لمَن حمِده".

قوله: (**إقناطٌ كليٌّ**) وهذا الإقناط قريب ممّا في قوله تعالى لإبليس: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [ص ٣٨/٧٨].

قوله: (**بالكسر والفتح**)[١] أي: بكسر الصاد وفتح الواو.

قوله: (**يحتمل**) فيه ضمير يعود إلى (**نفيُ الأنساب**)، و(**أنّ التقاطع**) مفعولُه،[٢] والجملة خبر المبتدأ الذي هو "نفيُ الأنساب"، أي: نفي الأنساب يحتمل هذا المعنى، وهو أنّ التقاطع... إلخ، "ونفي الأنساب يحتمل أنّ التقاطع"... إلخ، يريد: أن هذا كناية؛ لأنّ عدم التناسب يستلزم التقاطع بالتفرُّق، ويستلزم[٣] أيضًا عدم التعاطف، فأُطلق اللازم وأُريد الملزوم، فيكون كناية بأحد[٤] الوجهين المذكورين، ولمّا لم يكن الكناية منافية لإرادة الحقيقة في الوجه الأوّل بقوله: (**وتلغوا الأنساب**)، وفي الوجه الثاني بقوله: (**وأنه لا يُعتَدُّ**[٥] **بالأنساب**)؛ فكأنّه لا أنساب.

---

١ انظر: **المحتسب** لابن جنّي، ٥٩/٢.
٢ ن: مفعولة.
٣ ن: يستلزم.
٤ ن: أحد.
٥ ن: بما لا يقيد.

إذ يفِرُّ المَرءُ من أَخيهِ وأُمِّهِ وأَبيهِ وصاحِبَتِهِ وبَنيهِ.

وعن ابن مسعُود: "وَلا يَسَّاءَلُونَ" بإدغام التَّاء في السِّين.

فإن قلتَ: قد ناقَضَ هذا ونحوُ قَولِهِ: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ [المعارج ١٠/٧٠]، قولَه: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات ٢٧/٣٧]، وقولَه: ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس ٤٥/١٠]، فكيف التَّوفيقُ بينَهما؟

قلت: فيه جوابان:

أَحدُهما: أَنَّ يومَ القيامة مقْدارُه خمسُون ألفَ سنةٍ، فَفِيه أَزمنةٌ وأحوالٌ مختلفةٌ؛ يتَسَاءلونَ ويتعارفُون في بَعْضها، وفي بعضها لا يَفطُنُون لذلك لشِدَّة الهَولِ والفَزَع.

والثاني: أن التَّنَاكُرَ يكُونُ عند النَّفخة الأُولى، فإذا كانت الثانيةُ قامُوا فتعَارَفوا وتَسَاءَلُوا.

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

عن ابن عباس: الموازينُ: جَمْعُ مَوزُون؛ وهي المَوزُوناتُ مِن الأَعمال؛ أي: الصَّالحَاتُ التي لها وَزْنٌ وقَدْرٌ عند الله، مِن قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف ١٠٥/١٨].

قوله: **(عند النفخة الأولى)** النفخة الأولى: هي التي يكون معها زلزلة الساعة، فتَحيَّر[١] الخلائق حينئذٍ، وتَذهل كلّ مُرضعةٍ عمّا أرضعت، وتضَع كلُّ ذات حَملٍ حملَها،[٢] ويموت[٣] جميع الخلائق بها.

قوله: **(وهي الموزونات)** أي: مَن كانت لأعماله الصالحة المعتبَرة كثرةٌ وثِقلٌ باعتبار[٤] التعدّد والإخلاص وما أشبه ذلك.

---

١ ن: فتخبر.
٢ ن: جملها.
٣ ن: وتموت.
٤ ن: باعتبا.

﴿فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ بدَلٌ من ﴿خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾، ولا محَلَّ للبَدل والمُبدَل منه؛ لأن الصِّلة لا محَلَّ لها، أو خبَرٌ بعدَ خَبرٍ لـ"أُولئك"، أو خبرُ مُبتدإٍ محذوفٍ.

﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ١٠٤﴾

﴿تَلْفَحُ﴾: تَسفَعُ، وقال الزجَّاجُ: اللَّفحُ والنَّفحُ واحدٌ، إلَّا أنَّ اللَّفح أشدُّ تأثيرًا، والكُلُوحُ: أَن تتَقلَّصَ الشَّفتانِ وتَتشمَّرا عن الأسنان، كما تَرى الرؤوسَ المشويَّة.

وعن مالك بن دينار: كان سَببُ توبةِ عُتبَةَ الغلامِ أنَّه مرَّ في السُّوق برَأسٍ أُخرجَ من التنُّورِ، فغُشيَ عليه ثلاثةَ أيَّام ولَياليَهُن.

ورُوي عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: «تَشوِيهِ النَّارُ فتَقلِصُ شَفتُهُ العُليَا حتى تَبلغَ وسَطَ رَأسِه، وتَستَرخِي شفتهُ السُّفلى حتَّى تبلغَ سُرَّته».

وقرئَ: "كَلِحون".

﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٠٥ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ١٠٦ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ١٠٧﴾

﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا﴾: مَلكَتْنا، ....

قوله: (﴿تَلْفَحُ﴾: تسفع)[1] يقال: لفحته النار والسَّموم بحرِّها؛ أحرقته. الأصمعيُّ: «ما كان مِن الرياح لَفْحٌ[2] فهو حرٌّ، وما كان[3] نَفْح فهو بَرْدٌ».[4] ويقال: سَفَعتْه[5] النار والسَّموم إذا لفحَته لَفْحًا يَسيرًا تغيَّر منه لون البشرة.[6]

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا﴾ جواب سؤال، كأنَّه قيل: ماذا يقول الكفَّار إذًا؟ لِمَ قيل لهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي﴾؟ فقيل: في الجواب: ﴿قَالُواْ رَبَّنَا﴾.[7]

قوله: (مَلكَتْنا) فعلى هذا يكون التقدير: غلبت علينا شِقوتنا أنفسنا؛

---

١ ن: تشفع.
٢ ن: كفح.
٣ ن + في.
٤ **الصحاح** للجوهري، «لفح».
٥ ن: شفعته.
٦ **الصحاح** للجوهري، «سفع».
٧ ن - ربّنا.

مِن قولك: "غَلبني فُلانٌ على كَذا"، إذا أخَذهُ مِنك وامتَلكَه.

و"الشَّقاوةُ": سُوءُ العَاقبة التي عَلِم الله أنّهم يَستحِقُّونهَا بسُوء أعمالهم.

قرئ: ﴿شِقْوَتُنَا﴾ و: ﴿شَقَاوَتُنَا﴾ بفتح الشين وكسرها فيهما.

﴿قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾

﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا﴾: ذِلُّوا فيها وانزَجِرُوا كما تَنزجِرُ الكلابُ إذا زُجرَتْ، ....

ليفيد المعنى الذي ذكَره والمِثال الذي أورده، أو نقول[١] التقدير: غلبتنا شِقوتنا على أنفسنا، أي: أخذت شِقوتنا أنفسنا منّا قَهرًا، يعني: أخذت شِقوتنا أنفسَنا[٢] حال استقرارنا على أنفسنا، فإنّا كنّا مستقرّين على أنفسنا مالِكين لها حاملين لها على الطاعة، فجاءَت الشّقاوة السابقة المقدّرة، فأخذت منّا أنفسنا وملكتْها، وصرفتْها عن التوحيد إلى الشرك، وعن الطاعة إلى العصيان.

قوله: (**والشقاء: سوء العاقبة**) اعلم أنّ هذا إشارة إلى ما ورد في الحديث: «إنّ الرجل ليَعمل بعَمل / أهل النار حتّى ما يكونُ بينَه وبينَها إلّا ذراع فيسبِقُ عليه الكتاب، فيعملُ بعمل أهل الجنّة ويدخل به الجنّة، وإنّ الرجل ليَعمل بعَمل أهل الجنّة حتّى ما يكونُ بينَه وبينَها إلّا ذراع فيسبِقُ عليه الكتاب[٣] فيَعملُ بعَمل أهل النار فيدخل به النار».[٤] هذا حديث صحيح، فأهل السنّة يحملونه على التقدير، والمعتزلة على العِلم، وأهل السنّة يقولون: الشَقاوة: سوء العاقبة التي قدّره الله تعالى لهم كما أراد، يفعل الله ما يشاء ويَحكمُ ما يريد. [١٧٣ظ]

قوله: (﴿شِقوَتُنَا﴾)... إلخ، قال الشيخ في **الكواشي**: «القراءة ﴿شَقَٰوَتُنَا﴾ بفتح الشين وألِف بعد القاف، وبكسره بلا ألِف».[٥]

---

١ ن - نقول.

٢ ن - أي: أخذت شِقوتنا أنفسنا منّا قَهرًا، يعني: أخذت شِقوتنا أنفسَنا.

٣ ن - فيعملُ بعمل أهل الجنّة ويدخل به الجنّة، وإنّ الرجل ليَعمل بعَمل أهل الجنّة حتّى ما يكونُ بينَه وبينَها إلّا ذراع فيسبِقُ عليه الكتاب.

٤ **صحيح البخاري**، ١٣٣/٤ (٣٣٣٢)؛ **صحيح مسلم**، ٢٠٣٦/٤ (٢٦٤٣).

٥ **تفسير الكواشي**، ٣٤٦و. وقرأ حمزة والكسائي وخلَف بفتح الشين والقاف وألِف بعدها، وقرأ الباقون بكسر الشين وإسكان القاف مِن غير ألف. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٣٢٩/٢.

يقال: خَسَأ الكلبَ، وخسَأ بنَفسِه.

﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ في رَفع العَذاب، فإنه لا يُرفع ولا يُخفَّفُ.

قيل: هو آخِرُ كلامٍ يتكلّمون به، ثم لا كلامَ بَعد ذلك إلا الشَّهِيقُ والزَّفيرُ والعُوَاءُ كعُواء الكِلَاب، لا يَفْهَمونَ ولا يُفهِمُونَ.

وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ لَهُم سِتَّ دعَواتٍ: إذا دَخلُوا النارَ قالوا ألفَ سنَةٍ: ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا﴾ [السجدة ١٢/٣٢] فيُجَابُونَ: ﴿حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي﴾ [السجدة ١٣/٣٢]، فيُنَادُونَ أَلفًا: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ [غافر ١١/٤٠]، فيُجابُون: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ﴾ [غافر ١٢/٤٠]، فيُنَادُون ألفًا: ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف ٧٧/٤٣]، فيُجابُونَ: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف ٧٧/٤٣]، فيُنَادُون أَلْفًا: ﴿رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ﴾ [إبراهيم ٤٤/١٤]، فيُجابُون: ﴿أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ﴾ [إبراهيم ٤٤/١٤]، فيُنادُون ألفًا: ﴿أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا﴾ [فاطر ٣٧/٣٥]، فيُجَابُون: ﴿أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم﴾ [فاطر ٣٧/٣٥]، فيُنادُون ألفًا: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ﴾، فيُجابون: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا﴾.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٠٩ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ١١٠﴾

قوله: **(وخَسَأ بنفسه)** أي: خَسَأ الكلبُ، قال في **الصِّحاح**: «خَسَأْتُ الكلبَ: طردتُه، وخَسَأ الكلبُ بنفسه، يتعدّى ولا يتعدّى، وانخسأ أيضًا».

قوله تعالى: (﴿رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ﴾) ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ﴾ [إبراهيم ٤٤/١٤]، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ﴾ [إبراهيم ٤٤/١٤]، أي: أتركتم أن تذكروني؟ الحاصل: أنّهم لانشغالهم بالسِّخريّ[١] لم يذكروا الله، حتّى يقتضي ذكر الله أن يخافوا[٢] الله في شأن أولياء الله، أي: لم يذكروا الله ولم يخافوا فبالَغوا في السّخريّ بالمؤمنين، ولو كانوا يذكرون الله لَخافوه،[٣] وقالوا: كيف نشتغل بالسّخريّ بأولياء الله تعالى؟

---

١ السّخري: اسم بمعنى السُّخرية. انظر: **الصحاح** للجوهري، «سخر».

٢ ن: تخافوا.

٣ ن: لخافوا.

في حرف أُبيّ: "أنَّه كان فَريقٌ"، بالفتح، بمعنى: لأنَّه.

"السُّخْرِيُّ" بالضَّم والكسر: مصدرُ سَخِر؛ كالسُّخْر، إلَّا أنَّ في ياءِ النَّسَب زيادةَ قوةٍ في الفعل، كما قيل: "الخصُوصِيَّة" في "الخُصوص".

وعن الكسائي والفرَّاء: أَنَّ المكسُورَ من الهُزء، والمضمومَ من السُّخْرة والعُبُوديَّة؛ أي: تَسَخَّرُوهم واستَعبَدُوهم، والأوَّلُ مذهبُ الخَليل وسِيبَويه.

قيل: هم الصَّحابة. وقيل: أهلُ الصُّفَّة خاصَّةً.

ومَعناه: اتَّخذتمُوهُم هُزوًا وتشاغَلتُم بهِمْ سَاخِرين حتَّى أَنسَوْكُم بتشَاغُلِكم بهم على تلك الصِّفة ذِكرِي فَترَكْتُموهُ؛ أي: تركتُم أَن تَذكُروني فتخَافُوني في أولِيَائي.

﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ١١١﴾

وقرئَ: ﴿أَنَّهُمْ﴾ بالفَتح، فالكسرُ استئنافٌ؛ أي: قد فَازُوا حَيثُ صبَروا فجُزُوا بصَبْرهم أحسنَ الجَزاء، والفَتحُ على أنَّه مَفعُولُ ﴿جَزَيْتُهُمُ﴾؛ كقولك: جَزَيْتُهُم فوزَهُم.

﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ١١٣ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ١١٤﴾

﴿قَٰلَ﴾ في مصاحِف أهل الكوفة، و: ﴿قُلْ﴾ في مصَاحف أَهل الحَرمين والبَصْرة والشَّام، ففي ﴿قَٰلَ﴾ ضميرُ اللهِ أو المأمُورِ بسؤالهم من المَلائكة، وفي ﴿قُلْ﴾ ضَميرُ الملَكِ أو بعضِ رؤساءِ أهْلِ النار.

استَقْصَرُوا مُدَّةَ لَبثهم في الدُّنيا ....

قوله: (وقرئَ: ﴿أَنَّهُمْ﴾ بالفتح) كلا القراءتين مِن السبعة.[1]

قوله: (استَقصروا مدّة لبثهم) معنى الوجه الأوّل: أنّ الطول والقِصر مِن الأمور الإضافيّة، فلَبثهم في الدنيا وإن كان زمانًا طويلًا في نفسِه فهو قصير بالإضافة إلى الخلود الذي يكون في الآخرة.

---

[1] قرأ حمزة والكسائي بكسر الهمزة، وقرأ الباقون بفتحها. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٢٩/٢.

بالإضافة إلى خلُودهم، ولِمَا هم فيهِ من عَذابها؛ لأن المُمتَحَنَ يَستطيلُ أيَّامَ محنتِه ويَستَقصِرُ ما مرَّ عليه من أيَّام الدَّعَة إليها؛ أو لأنَّهم كانُوا في سُرُورٍ وأيَّامُ السُّرور قِصَارٌ؛ أو لأنَّ المُنقَضِيَ في حُكمِ ما لم يكُن، وصدَّقهم اللهُ في تَقَالِّهم لِسنِيّ لَبثِهم في الدُّنيَا، ووبَّخَهُم على غَفلتهم التي كانوا عليها.

وقرئ: ﴿فسَلِ العَادِّين﴾.

والمعنَى: لا نَعرِفُ مِن عَدد تلك السِّنينَ إلَّا أنَّا نَستقِلُّه ونَحسَبُه يَومًا أو بعضَ يومٍ؛ لِمَا نَحن فيه من العَذاب، وما فينا أن نَعُدَّها كَم هي؟ فسَل مَن فيه أن يَعُدَّ، ومَن يَقدر أن يُلقيَ إليه فِكْرَه.

وقيل: فسَلِ الملائكةَ الَّذينَ يَعُدُّونَ أَعمارَ العبَاد ويُحْصُون أفعَالهُم.

قوله: (ولِما هم فيه) عطف على قوله: (بالإضافة). ثمّ بيّن وجه الاستقصار على هذا القول بقوله: (لأنّ الممتَحَن). و(إليها) متعلّق بمحذوف، أي: يستقصر بالنسبة إلى أيّام مجيئه، وهذا أيضًا لا يخلو[1] عن معنى النسبة والإضافة؛ لكنّه باعتبار آخر، فهو قريب مِن[2] قولهم: عددتَ أيام البلاء، فهل عددتَ أيام الرَّخاء؟ وأمّا في[3] الوجهين الأخيرين فليس شائبة إضافة.

قوله: (في تقالّهم) أي: استقصارهم وعدّهم إيّاها قليلًا.

قوله: (ووبَّخهم) يعني: وبَّخهم بقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، وبقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا﴾.

قوله: (وما فينا أن نَعُدَّها) أي: ليس فينا عدُّه،[4] أي: لا نقدر على العدِّ، فإنّهم لو قدروا على العدِّ[5] وعدُّوا لكان فيهم العَدُّ، ولكانوا عادّين، كما تقول: ليس فيه سَفَه، أي: ليس هو بسفيه، وكما تقول: ليس فيه كرم، أي: ليس هو بكريم، وهذا مِن قبيل الكناية، فقوله: "كم هي؟" أي: ليعلم كم هي؟

---

١ د: لا يخ [اختصارًا مِن "لا يخلو"].
٢ إلى هذا الموضع ينتهي السَّقط مِن نسخة ف.
٣ د + في.
٤ عدَّة.
٥ ن: العدوَ.

وقرئ: "العَادِين"، بالتخفيف؛ أي: الظَّلمةَ، فإنّهم يقُولون كما نقُول.

وقرئ: "العَادِيّين"؛ أي: القُدَماءِ المُعمَّرينَ، فإنَّهم يَستقصِرُونَها فكيفَ بمَن دُونهم؟

وعن ابن عبَّاس: أنساهم ما كانوا فيه من العَذاب بين النَّفخَتين.

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾

﴿عَبَثًا﴾ حَالٌ؛ أي: عَابِثِينَ، كقوله: ﴿لَٰعِبِينَ﴾ [الأنبياء ٢١/١٦]، أو مفعولٌ له؛ أي: ما خَلقناكم لِلعَبَث، ولم يَدْعُنَا إلى خَلقكم إلّا حكمةٌ اقتَضَتْ ذلك، وهي: أَنْ نتعبَّدَكم ونُكلِّفَكم الشَّاقَّ من الطَّاعَات وتَركَ المعَاصي، ثمَّ نُرجِعَكم من دار التكليف إلى دار الجزاء، فنُثيبَ المُحسنَ ونُعاقِبَ المُسيءَ.

﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ معطوفٌ على ﴿أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ﴾، ويجوز أن يكون مَعْطوفًا على ﴿عَبَثًا﴾؛ أي: لِلعَبثِ ولِتَرْكِكُم غَيْرَ مَرْجُوعينَ.

قولـه: (وعن ابن عبّاس رضي الله عنه)[١] عطف على قولـه: "استَقصروا مدّة لَبثهم في الدنيا"، فعلى هذا لا يكون المراد: أنّهم استقصروا لَبْثَهم في الدنيا؛ بل المعنى: أنّهم حسِبوا أنّ لَبثهم في القبر قليل؛ لأنّهم نسوا لَبثهم في البرزخ بسبب ما فيهم مِن العذاب، فقوله: "ما كان" فاعل "أنسى"، و"بين النفختين" مفعوله، أي: أنساهم العذاب ما بين النفختين مِن اللَّبث، قال في **الوسيط**: «قال ابن عبّاس رضي الله عنه:[٢] 'أنساهم الله تعالى قدرَ لَبثهم، فيَرون أنّهم لم يَلبثوا إلّا يومًا أو بعض يوم، لِعِظَمِ ما هم بصدَده مِن / العذاب نسوا ذلك'».[٣] [١٧٤و]

قولـه: (كقولـه: ﴿لَٰعِبِينَ﴾) ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الدخان ٤٤/٣٨].

قوله: (وهي أن نتعبَّدكم) تَعبَّده، أي: أمره.

---

١ د - رضي الله عنه.
٢ د - رضي الله عنه.
٣ **التفسير الوسيط** للواحدي، ٣/٣٠٠ (المؤمنون، ٢٣/١١٣).

وقرئ: ﴿تَرْجِعُونَ﴾ بفتح التَّاء.

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾

﴿ٱلْحَقُّ﴾: الذي يحِقُّ له المُلكُ، لِأن كلَّ شيءٍ منه وإلَيْه، أو: الثابتُ الذي لا يَزُول ولا يَزُول ملكهُ.

﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ وَصفَ العَرش بالكَرم؛ لأنَّ الرَّحمة تَنْزِلُ منه والخيرَ والبركَة، أو لِنسبَتِهِ إلى أكْرَم الأكرمين، كما يُقال: بَيتٌ كريمٌ: إذا كان سَاكنُوه كِرامًا.

وَقُرئ: "الكَرِيمُ" بالرَّفع، ونحوُه: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ [البروج ١٥/٨٥].

﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾

﴿لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ كقوله: ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ [آل عمران ١٥١/٣]، وهي صفةٌ لازمةٌ -نحوُ قوله: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام ٣٨/٦]- جيء بها للتَّوكيد، لا أَن يكُون في الآلهة ما يجُوز أن يَقومَ عَليه بُرهَان.

قوله: (وقرئ: ﴿تَرْجِعُونَ﴾)[١] سبعة أيضًا.[٢]

قوله: (الذي يحِقُّ له المُلك) فعلى هذا الأصل: الحقُّ ثبوت المُلك له، ثمّ حذِف اللام فصار: الحقُّ ثبوت مُلكه، ثمّ حذِف "ثبوت" فصار: الحقُّ مُلكه، ثمّ حذِف هذا المضاف أيضًا فاستتر الضمير في "الحقِّ" فصار مرفوعًا بعد ما كان مجرورًا، وأمّا على قوله: (الثابت) ففيه ضمير مِن غير اعتبار حذف.

قوله: (ونحوه: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾) ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ [البروج ١٤/٨٥-١٥].

قوله: (وهي صِفة) أي: لقوله: ﴿إِلَٰهًا﴾.

قوله: (نحو قوله: ﴿يَطِيرُ﴾) ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ﴾ [الأنعام ٣٨/٦].

---

١ ن: يرجعون.

٢ وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف ويَعقوب. انظر: النشر لابن الجزري، ٢٠٩/٢.

ويجوز أَن تكُون اعتِراضًا بين الشَّرط والجزاء، كقولك: "مَن أحسَنَ إلى زَيدٍ لا أَحقَّ بالإِحسَان منه، فاللهُ مُثِيبُه".

وقرئ: "أنَّه لا يُفلح" بفَتح الهَمزة، ومعناه: حسَابُه عَدمُ الفَلَاح، والأصْلُ: حسَابُهُ أنَّه لا يُفلِحُ هو، فُوضِعَ ﴿ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ مَوضعَ الضَّمير؛ لأنَّ ﴿مَن يَدْعُ﴾ في مَعنى الجميع، وكذلك "حسَابُه أنَّه لا يُفلِحُ" في مَعنى: حسابُهم أنهم لا يُفلحون.

جَعل فاتحةَ السُّورة ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ وأورَد في خاتِمتها ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ فَشتَّانَ ما بينَ الفاتحة والخاتمة.

عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قرأ سورة المُؤمنينَ بشَّرَتْهُ المَلَائكةُ بالرَّوْحِ والريحَانِ وما تَقَرُّ به عَيْنُه عِنْدَ نزُول مَلك المَوت».

ورُوي: «أَنَّ أوَّلَ سُورةٍ قد أَفلحَ وآخرَها مِن كُنُوزِ العَرش، مَن عَمل بثلاثِ آياتٍ من أوَّلها، واتَّعظَ بأَربع آياتٍ مِن آخِرهَا: فقد نجَا وأَفلحَ».

وعن عُمر بن الخطاب رضي الله عنه: كان رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا نزلَ عَليه الوَحي يُسمَعُ عِنْدَهُ دَويٌّ كدَويّ النَّحلِ، فمَكَثنا سَاعةً، فاستَقبلَ القبلةَ ورفعَ يدَهُ وقال: «اللّٰهم زِدنا ولا تنقُصنَا، وأَكرِمْنَا ولا تُهِنَّا،

قوله: (**وكذلك** ﴿**حِسَابُهُۥ**﴾)... إلخ؛ وذلك لأنّ الضمير يعود إلى ﴿مَن﴾، وهو وإن كان مفردًا لفظًا جمع معنًى، فالتقدير على هذا الوجه: مَن يَدْعُ مع الله إلهًا آخر فحسابهم عدم فلاحهم؛ لكن أفرد الضمير في ﴿حِسَابُهُۥ﴾ نظرًا إلى لفظة ﴿مَن﴾، وجمع في "فلاحهم" نظرًا إلى معنى ﴿مَن﴾، ثمّ وُضع الظاهر موضع الضمير، ثم وُضع "أنّ" مع[1] ما بعده موضع المصدر فصار على ما ترى.

قوله: (**فاستَقْبَلَ القِبلة**) ذكر محيي السنّة في **شرح السنّة**: «أنّ مِن سنن الدعاء استقبال القِبلة».[2]

---

[1] ن - مع.

[2] ن + والله أعلم. | انظر: شرح السنّة للبغوي، ٥/٢٠٠.

وأَعْطِنا ولا تُحْرِمنَا، وآثِرنَا ولا تُؤثِر عَلينَا، وارْضَ عنَّا وأَرْضِنَا» ثم قال صلى الله عليه وسلم: «لقَد أُنزِلَتْ عَليَّ عَشرُ آياتٍ مَن أقَامَهنَّ دَخل الجنَّة» ثم قرأ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ حَتَّى ختمَ العَشْرَ.

تمّت السورة بحمد الله ومنّه وكرمه.[١]

١ ف ن – تمت السورة بحمد الله ومنّه وكرمه.

سورة النور

مدنيةٌ، وهي ثِنْتان وسِتُّون آيةً، وقيل: أربعٌ وستُّون.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ①﴾

﴿سُورَةٌ﴾ خبرُ مبتدإٍ محذوف، و﴿أَنزَلْنَٰهَا﴾ صفةٌ. أو هي مُبتدأٌ موصوفٌ والخبَرُ محْذوفٌ؛ أي: فيما أَوْحَينا إليك سُورةٌ أنزلنَاهَا.

وقرئ بالنَّصب على: "زَيدًا ضرَبتُه"، ولا محلَّ لـ﴿أَنزَلْنَٰهَا﴾؛ لأنَّها مُفسِّرةٌ للمُضمَر فكانت في حُكمه، أو على: "دُونكَ سُورةً" أو: "اتْلُ سورةً" و﴿أَنزَلْنَٰهَا﴾ صفةٌ.

ومعنى ﴿وَفَرَضْنَٰهَا﴾: فرَضْنَا أَحْكامَها الَّتي فيها، وأَصْلُ الفَرْض: القطعُ؛ أي: جَعلناها واجبةً مقطوعًا بها، والتشديدُ للمُبالغة في الإيجاب وتوكيدِه؛ أو لأنَّ فيها فرائضَ شَتَّى، وأنَّك تقولُ: فرَضتُ الفريضةَ وفرَّضْتُ الفَرائضَ، أو لكثرةِ المفرُوض عليهم من السَّلف ومَن بَعْدَهم.

﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بتشديد الذَّال وتَخفيفها.

سورة النور

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله: (**ولا محلّ**) يعني: على هذا الوجه، والتقدير: أنزلنا سورة أنزلناها.[1]

قوله: (**دونَك**)[2] أي: خذْ.

---

[1] ن: أنزلنا.

[2] ن - دونك.

﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٢﴾

رفعُهما عَلى الابتداء، والخبرُ محْذوفٌ عند الخليل وسيبويه، على مَعنى: فيما فُرِضَ عَليكم ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي﴾؛ أي: جَلْدُهما، ويجوز أن يكون الخبرُ: ﴿فَٱجْلِدُواْ﴾ وإنَّما دخَلت الفاء لكون الألف واللام بمَعنى "الذي" وتَضمينِه مَعنى الشَّرط، تقديرُه: التي زَنَتْ والذي زَنى فاجلدُوهما؛ كما تقُول: مَن زَنى فاجْلِدُوه، وكقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ﴾ [النور ٢٤/٤].

وقرئ بالنَّصب على إضمارِ فعلٍ يُفسِّره الظاهِرُ، وهو أحسنُ مِن "سُورةٌ أنزلناهَا"؛ لأَجْلِ الأمْرِ.

وقرئ: "والزانِ" بلا ياءٍ.

والجَلدُ: ضَرْبُ الجِلد، يُقال: جَلَده؛ كقولك: ظَهَرَهُ وبَطَنَهُ ورَأَسَهُ.

فإن قلتَ: أهذا حُكمُ جميع الزُّناة والزَّواني أَمْ حكْمُ بَعضِهم؟

قلتُ: بل هو حكمُ مَن ليس بمُحصَنٍ منهُم، فإن المُحصَنَ حُكمُه الرَّجمُ، وشرائطُ الإحصان عند أبي حنيفةَ رحمه الله ستٌّ: الإسلامُ، والحريةُ، والعقلُ، والبُلوغُ، والتزوُّجُ بنكاحٍ صحيحٍ، والدُّخولُ، إذا فُقِدَتْ واحدةٌ منها فلا إحصانَ.

وعند الشَّافعي رحمه الله: الإسلامُ ليس بشَرط؛ لِمَا رُوي: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم رَجَم يهُودِيَّين زَنيا.

قوله: (**يقال: جَلَده**)[١] إذا ضربَ جِلْده، كما يقال: رأَسَه وبطَنَه إذا ضربَ رأْسَه[٢] وبطْنَه.

قوله: (**بمُحصَنٍ منهم**) أي: مِن الزُّناة[٣] والزَّواني.

قوله: (**إذا فُقِدتْ**)... إلخ، هذه جملة مستأنفة.

---

١ ن: تعالى جلدة.

٢ ن - رأسه.

٣ ن + قوله.

وحجةُ أبي حنيفة رحمه الله قولُهُ عليه السلامُ: «مَن أَشركَ باللهِ فليس بمُحْصَنٍ».

فإن قلتَ: اللفظُ يقتَضي تعليقَ الحُكم بجَميع الزُّناة والزَّواني؛ لأنَّ قولَه: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي﴾ عَامٌّ في الجَميع يتَناولُ المُحصَنَ وغَيْرَ المحصَن؟

قلتُ: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي﴾ يَدُلَّانِ على الجنسَينِ المنافيَينِ لجنسَي العَفيفِ والعفيفةِ دلالةً مطلقةً، والجِنسيَّةُ قائمةٌ في الكُلِّ والبَعضِ جميعًا، فأيُّهما قصَدَ المُتكلِّمُ فلا عليه؛ كما يُفعَل بالاسم المشتَرك.

وقرئ: "ولا يأخُذْكم" بالياء، و﴿رَأَفَةٌ﴾ بفَتح الهمزَة، و: "رآفةٌ" على فَعَالةٍ.

والمعنَى: أنَّ الواجبَ على المؤمنينَ أن يَتصلَّبُوا في دِين الله ويستعمِلُوا الجِدَّ والمتَانَة فيه، ولا يأخُذَهُم اللِّينُ والهَوادةُ في استيفاء حُدُودِه، وكفَى برسُول الله صلى الله عليه وسلم أُسْوةً في ذلك حيث قال: «لو سَرقَتْ فاطمةُ بنتُ مُحمَّد لقَطعْتُ يدَها».

وقوله: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ من باب التَّهييج وإلهابِ الغَضَب للهِ ولِدينِه.

وقيل: لا تترَحَّمُوا عليهما حتى تُعطِّلُوا الحُدودَ أو حتَّى لا تُوجِعُوهُما ضَربًا، وفي الحديث: ....

قوله: («فليس بمُحصَن»)[1] والجواب عن التمسّك بقوله عليه الصلاة والسلام: «فليس بمحصَن»: أنّ الحديث لا يدلّ على أنّ المراد المُحصَن بإحصان الزّنى، إذ مِن الجائز أن يكون المراد المُحَصن بإحصان القذْف.

قوله: (والمَتانة)...[2] إلخ، مَتُنَ الشيء متانةً، أي: صَلُب، فهو متينٌ، أي: صُلْب. و(الهَوادة) الصُّلح والمَيل، والمُهاودة: المصالحة.

---

[1] سنن الدارقطني، ٤/١٧٨ (٣٢٩٥)، قال الدارقطني: «ولم يرفعه غير إسحاق، ويقال: إنّه رجَع عنه، والصواب مَوقوف»، أي: على ابن عمر رضي الله عنهما.

[2] ن - المتانة.

«يُؤتَى بوَالٍ نَقَصَ من الحَدِّ سَوْطًا فيقُولُ: رَحْمةً لعبَادك، فيقالُ له: أأنتَ أَرْحَمُ بهم مِنِّي؟ فيُؤمرُ به إلى النار، ويُؤتَى بمَن زَاد سَوطًا فيَقُولُ: لِيَنتَهُوا عن مَعَاصِيكَ، فيُؤمر به إلى النار».

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه: «إقامةُ حدٍّ بأرضٍ خيرٌ لأَهْلِها من مَطَرِ أَربعينَ لَيلةً».

وعلى الإمام أنْ يَنصِبَ للحدود رجُلًا عالمًا بَصيرًا يَعقِلُ كيف يَضرِبُ.

والرَّجلُ يُجلَدُ قائمًا على مُجرَّده ليس عليه إلَّا إِزَارهُ، ضربًا وسطًا لا مُبَرِّحًا ولا هَيِّنًا، مُفَرَّقًا على الأَعضاء كلِّها لا يُستثنَى منها إلَّا ثَلَاثةٌ: الوجهُ والرأسُ والفَرْجُ.

وفي لفظِ "الجَلد" إشارةٌ إلى أنه لا ينبغي أنْ يَتجَاوزَ الأَلَمُ إلى اللَّحم.

والمرأةُ تُجلَدُ قَاعدةً ولا ينزَعُ من ثِيَابِها إلَّا الحَشوُ والفَروُ.

وبهذه الآية استَشهَد أبو حنيفةَ رحمه الله على أن الجَلْدَ حَدُّ غيرِ المُحصِن بلا تغريبٍ، وما احتجَّ به الشافعي رحمه الله على وجوب التَّغريب من قوله عليه السلام: «البِكرُ بالبِكر جَلدُ مئةٍ وتغريبُ عامٍ»، وما يُروى عن الصَّحابة: ....

قوله:[١] (**«فيقول: رحمةً»**) فيه حذف، أي: فيقال لهم: لم نقَصتَ سَوطًا؟ فيقول: رحمةً، أي: نقَصتُ للرَّحمة.

قوله: (**«أنت أرحَم»**)[٢] أي: فيقال لهم: أأنتَ أرحَم؟[٣] استفهام إنكار.

قوله: (**على مُجرَّده**)[٤] أي: على بدنه المُجرَّد، أي: العاري مِن الثياب.[٥]

قوله: (**وفي لفظ[٦] الجَلد إشارة**) لما مرّ مِن أنّ الجَلدَ: ضرب الجِلْد.[٧]

قوله: (**إلّا الحَشوُ**) "الحَشوُ" بمعنى: المحشوّ، كالضرب بمعنى: المَضروب، يعني: الثوب المحشوّ بالقطن ونحوه.

---

١ ن – قوله.

٢ قال الزيلعي: «غريب»، ثم ذكر حديثًا نحوه عزاه إلى مسند **أبي يعلى الموصلي**، ولم أجد الحديث في مسند **أبي يعلى** المطبوع. انظر: **تخريج أحاديث الكشّاف** للزيلعي، ٢/٤١٤.

٣ ن – أي أأنت أرحم.

٤ ن – على مجرّده.

٥ ن: البنات.

٦ ن: لفظه.

٧ ن – ضرب الجِلد.

«أنّهم جَلَدُوا ونَفَوْا»[١]، منسُوخٌ عندهُ وعند أصحابه بالآية، أو محمولٌ على وجْه التَّعْزير والتَّأديب من غير وجُوب.

وقولُ الشَّافعي في تغريب الحُرِّ واحدٌ، وله في العبدِ ثلاثةُ أقَاويلَ: يُغرَّبُ سَنةً كالحرِّ، ويُغرَّب نصفَ سنةٍ كما يُجْلَد خمسين جلدةً، ولا يُغرَّب كما قال أبُو حَنيفَة رحمه الله.

وبهذه الآية نُسِخَ الحَبْسُ والأَذى في قولِه: ﴿فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ﴾ [النساء ٤/١٥]، وقولِه: ﴿فَـَٔاذُوهُمَا﴾ [النساء ٤/١٦].

﴿وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ قيل: تسميتُه عَذابًا دليلٌ على أنَّه عُقوبةٌ، ويجوز أن يُسمَّى عَذابًا؛ لأنه يَمنَعُ مِن المُعَاوَدة؛ كما سُمِّيَ نكالًا.

قوله: (ونفَوا)[١] نفاه، أي: طردَه، يقال: نفيتُه فانتفى، ونفَى أيضًا يتعدّى ولا يتعدّى.[٢] قوله هذا هو الأصحّ.[٣]

قوله: (في قوله تعالى: ﴿فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ﴾) قال تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ / حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا﴾ [النساء ٤/١٥]. [١٧٤ظ]

قوله: (وقوله: ﴿فَـَٔاذُوهُمَا﴾) ﴿وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَا﴾ [النساء ٤/١٦].

قوله: (دليل على أنّه عقوبة) أي: يدلّ على أنّ هذا عقوبته،[٤] فلا يعاقب بعد ذلك في الآخرة بسبب هذا الإثم، فإنّ الحدّ كفّارة.[٥]

قوله: (ويجوز أن يُسمَّى: عذابًا) يقال: أعذَبْتُه عن الأمر؛ منعتُه عنه، يقال: أعذِب نفسَك عن كذا، أي: اظْلِفْها[٦] عنه.

---

١ انظر: سنن الترمذي، ٩٦/٣ (١٤٣٨).
٢ ن - ولا يتعدّى.
٣ لعلّه يقصد قول الشافعي رحمه الله.
٤ ن: عقوبة.
٥ في حديث عبادة بن الصامت عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «مَن أتى منكم حدًّا، فأقيم عليه، فهو كفّارته». صحيح البخاري، ١٢/١ (١٨)؛ صحيح مسلم، ١٣٣٣/٣ (١٧٠٩).
٦ ن: أطلقها. | وظلَف نفسَه عن الشيء يَظْلِفها ظَلْفًا، أي: منعها مِن أن تفعله أو تأتيه. الصحاح للجوهري، «ظلف».

"الطائفةُ": الفِرْقةُ التي يمكنُ أن تكون حَلْقةً، وأقلُّها ثلاثةٌ أو أَربعةٌ، وهي صفةٌ غالبةٌ كأنَّها الجماعةُ الحَافَّةُ حولَ الشيء، وعن ابن عبَّاس في تفسيرها: أربعةٌ إلى أربعين رجُلًا من المُصَدِّقِين بالله، وعن الحسن: عَشَرةٌ، وعن قتادةَ: ثلاثةٌ فصَاعدًا، وعن عكرمةَ: رجلانِ فصاعدًا، وعن مُجاهدٍ: الواحدُ فما فَوقه.

وفُضِلَ قولُ ابنِ عبَّاس؛ لأنَّ الأَرْبَعَة هي الجماعة التي يَثْبُت بها هذا الحَدُّ.

والصَّحيحُ أنَّ هذه الكبيرةَ من أُمَّهات الكبَائر ولهذا قَرَنها اللهُ بالشِّرك وقَتلِ النفسِ في قوله: ﴿وَلَا يَزْنُونَۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان ٢٥/٦٨]، وقال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء ١٧/٣٢].

وعن النبي صلى الله عليه وسلم: «يا مَعشرَ النَّاسِ اتَّقوا الزِّنَى فإن فيه سِتَّ خصَالٍ: ثلاثٌ في الدُّنيا وثلاثٌ في الآخرة، فأمَّا اللَّاتي في الدُّنيا: فيُذهِبُ البهَاء، ويُورثُ الفَقْر ويَنقُصُ العُمر، وأمَّا اللَّاتي في الآخرة: فيُوجب السَّخْطَة وسُوءَ الحسابِ والخُلودَ في النار».

ولذلك وَفَّى اللهُ فيه عَقْدَ المئةِ بكمَالِه، بخلافِ حَدِّ القَذْف وشُرْبِ الخَمْر، وشَرعَ فيه القِتْلةَ الهَوْلةَ وهي الرَّجمُ، ونهَى المُؤمنين عن الرأفةِ على المَجْلُود فيه.

وأَمَرَ بشَهادَة الطَّائفةِ لِلتَّشْهير، فَوَجَبَ أَنْ تكُونَ طائفةً يحْصُل بها التشهيرُ، والوَاحدُ والاثنانِ لَيْسوا بتِلك المثَابَة، واختصَاصُه المُؤمِنين؛ لأنَّ ذلك أَفضَحُ، والفاسقُ بين صُلحاء قَومهِ أَخْجَلُ، ويَشهَدُ له قولُ ابنِ عبَّاس رضي الله عنهما: إلى أربعين رجُلًا من المصدِّقِينَ بالله.

﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾

الفاسق الخبيثُ الذي من شأنه الزِّنى ....

قوله: (**في قوله: ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾**) ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان ٢٥/٦٨].

والتَّقحُبُ لا يرغَب في نكاح الصَّوالحِ مِن النساء واللاتي على خلاف صفتِهِ، وإنَّما يرَغبُ في فاسقةٍ خبيثةٍ من شَكله أو في مُشركةٍ.

والفاسقةُ الخَبيثةُ المُسَافحةُ كذلك، لا يَرغَبُ في نكاحِهَا الصُّلحَاءُ من الرِّجَال ويَنفِرُون عنها، وإنما يَرغَبُ فيها مَن هو مِن شكْلِها من الفَسَقَةِ أو المشركينَ.

ونكاحُ المؤمِن المَمدوحِ عندَ الله الزانيةَ، ورَغبتُه فيها، وانخِراطُهُ بذلك في سِلك الفَسَقة المتَّسِمينَ بالزِّنَى: مُحرَّمٌ عليه محظورٌ؛ لِمَا فيه من التَّشبُّهِ بالفُسَّاق وحُضُورِ مَوقع التُّهمة، والتَّسبُّبِ لسُوء القَالَةِ فيه والغِيبَةِ وأنواع المفَاسد، ومُجالَسةُ الخَطَّائينَ كم فيها من التعرُّض لاقْتِرافِ الآثام، فكيف بمُزاوجَة الزَّواني والقِحَاب؟ وقد نَبَّه على ذلك بقوله: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡ﴾ [النور ٣٢/٢٤].

وقيل: كانَ بالمدينة مُوسِراتٌ مِن بَغايَا المشركينَ، فَرغِبَ فقرَاءُ المهاجرينَ في نِكاحِهنَّ، فاسْتَأذَنُوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فنزلت.

قوله: **(والتقحّب)** قال في **الصِّحاح**: «القَحْبة: كلمة مولّدة».[1]

قوله: **(واللواتي)** عطف على **(الصوالح)** بطريق البيان.

قوله: **(المُسافِحة)** السِّفاح: الزِّنى، يقال: سافَحتُه[2] مسافَحةً وسِفاحًا. وأشار المصنِّف رحمه الله[3] في بعض مواضع هذا الكتاب: أنّه مِن سَفَحت الماء؛ هرقته.[4]

قوله: **(كم فيها مِن التعرّض؟)** "كم" مبتدأ، خبره "فيها"، و"مِن التعرّض" تمييز لـ"كم"، زيدت[5] "مِن" فيها، والجملة خبر "مجالسة".[6]

قوله: **(فكيف بمُزاوجةِ؟)** أي: فكيف ظنُّك في حقّ مُزاوجة الزَّواني؟ وهذه الجملة معطوفة على جملة قوله: **(ومجالسةُ[7] الخطّائين)**... إلخ.

---

١ **الصحاح** للجوهري، «قحب».

٢ ف ن: سافحه.

٣ د - رحمه الله.

٤ لعلّه مِن حواشي الزمخشري على بعض مواضع **الكشّاف**. وانظر: **لسان العرب** لابن منظور، «سفح».

٥ ن: ويدت.

٦ مجالسته.

٧ ف: مجالسة؛ ن: ومجالسته.

وعن عائشةَ رضي الله عنها: أَنَّ الرَّجُل إذا زَنى بامرأة ليسَ له أَن يتزوَّجَها لهذه الآية، وإذا باشَرها كان زانيًا. وقد أجازه ابنُ عبَّاس رضي الله عنه، وشبَّهه بمَن سَرَق ثَمر شَجرةٍ ثُمَّ اشتَراهُ.

وعن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه سُئِل عن ذلك فقَال: «أوَّله سِفَاحٌ، وآخره نِكاحٌ، والحرامُ لا يُحرِّمُ الحلال».

وقيل: المرادُ بالنِّكاح الوَطْءُ. وليسَ بقولٍ لأمْرين:

أحَدهما: أن هذه الكلمةَ أينما وَرِدَتْ في القرآن لم تَرِدْ إلَّا في مَعْنَى العَقد.

والثاني: فسادُ المَعْنَى وأَداؤُهُ إلى قولك: الزَّانِي لا يَزني إلَّا بِزانيَةٍ والزَّانيةُ لا يَزني بها إلَّا زانٍ.

وقيل: كان نكاحُ الزَّانية مُحرَّمًا في أَوَّلِ الإسلام ثُمَّ نُسِخَ، والنَّاسِخُ قولُه: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾.

وقيل: الإجماع، ورُوي ذلك عن سَعيد بن المُسيِّب.

قوله: (**فقال**: «**أوّله سِفاح**»)[1] وفي هذا الجواب مصلحة جليلة، فإنّ الزِّنى الواقع ربّما ينجرّ إلى مثله، فطريق[2] الخلاص منه النكاح بينهما، وأمّا الآية فللزَّجر عن نكاح اللاتي اشتُهرْنَ[3] بالزِّنى[4] ودأبُهُنّ ذلك مِن غيرِ تستُّرٍ ولا حياء، والله أعلم.

قوله: (**أينما وردت في القرآن**) هذا منقوضٌ بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ [البقرة ٢/٢٣٠]، فإنّ المراد به الوطء. وفي ورود هذا النقضِ نظرٌ؛ لأنّ لقائل[5] أن يقول: المراد به العقد، وأمّا اشتراط الوطء[6] فإنّما عُلِم مِن قوله عليه الصلاة والسلام: «لا، حتّى تذوقي عُسَيْلته ويذوق عُسَيلتَك».[7]

---

١ انظر: **المعجم الأوسط** للطبراني، ١٠٤/٥ (٤٨٠٣).

٢ ن: بطريق.

٣ ن: واشتهرن.

٤ ف: بالزنا.

٥ ن: للقائل.

٦ ن: الوحي.

٧ **صحيح البخاري**، ١٦٨/٣ (٢٦٣٩)؛ **صحيح مسلم**، ١٠٥٥/٢ (١٤٣٣).

فإن قلتَ: أَيُّ فرقٍ بين معنى الجملة الأُولى ومَعنى الثانية؟

قلتُ: مَعنى الأُولى: صفةُ الزَّاني بكَوْنه غيرَ رَاغبٍ في العَفائفِ ولكنْ في الفَواجر.

ومعنى الثانية: صفَةُ الزَّانية بكَوْنِها غيرَ مَرغُوب فيها للأَعِفَّاء ولكنْ للزُّنَاةِ. وهُما مَعنيان مختلفان.

فإن قلتَ: كيف قُدِّمَت الزانيةُ عَلى الزاني أوَّلًا ثمَّ قُدِّم عَليْها ثانيًا؟

قلت: سِيقَت تلك الآيةُ لعُقوبَتِهما على ما جَنَيَا، والمرأةُ هي المَادَّةُ التي منها نشَأَتْ الجنَايةُ؛ لأنَّها لو لم تُطْمِعِ الرجلَ ولم تُومِض له وَلم تُمَكِّنْه لَم يَطْمَع ولم يَتمكَّن، فلمَّا كانَت أَصْلًا وأَوَّلًا في ذلك بُدِئَ بذِكرهَا.

وأمَّا الثَّانيةُ فَمسُوقةٌ لذِكر النِّكاح، والرجُلُ أَصْلٌ فيه؛ لأنَّه هو الرَّاغِبُ والخَاطبُ ومنه يُبدأ الطَّلَبُ.

وعن عَمرِو بن عُبَيد: "لا يَنكِحْ" بالجَزْم عَلى النَّهي.

والمَرفوعُ أَيضًا فيه مَعنى النَّهيِ ولكِنْ أَبلَغُ وآكَدُ؛ كمَا أَنَّ "رحِمكَ اللهُ" و"يَرحمُكَ" أَبلَغُ مِن "لِيَرْحَمكَ"، ويجوزُ أن يكون خَبرًا مَحْضًا على مَعْنى: أَن عادَتهم جاريةٌ على ذلك، وعلى المُؤمنِ أَن لا يُدْخِل نفسَه تَحتَ هذه العادةِ ويَتَصوَّنَ عنها.

وقرئ: "وحَرَّم" بفتح الحاء.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥﴾

"القذفُ" يكون بالزِّنى وبغيره، والَّذي دَلَّ على أنَّ المرادَ قَذفُهُنَّ بالزِّنى شَيئان:

قوله: (ولم تومِض) ومَض البرق يَمِض وَمضًا ووَميضًا ووَمَضَانًا، أي: لمَعَ لَمْعًا خفيفًا، وكذلك: أومَض إيماضًا، وأومضَتِ المرأة إذا سارقَتِ النظَر.[1]

[1] الصحاح للجوهري، «ومض».

أحدُهما: ذِكرُ المُحصَناتِ عقيبَ الزَّواني.

والثاني: اشتِراطُ أربَعةِ شُهداءَ؛ لِأنَّ القَذفَ بغير الزِّنى يكفي فيه شاهِدَان.

والقَذْفُ بالزِّنى: أن يَقول الحرُّ العاقلُ البَالغُ لمُحصَنةٍ: يا زانيَةُ، أو لمُحصَن: يا زَانٍ، يا ابنَ الزَّاني، يا ابنَ الزَّانية، يا وَلدَ الزِّنا، لَسْتَ لأَبِيكَ، لَسْتَ لِرِشْدَةٍ.

والقذفُ بغير الزِّنا أن يقولَ: يا آكِلَ الرِّبا، يا شاربَ الخمر، يا يهُوديُّ، يا مجوسيُّ، يا فاسقُ، يا خبيثُ، يا ماصَّ بَظَرِ أُمِّه، فعليه التَّعزيرُ ولا يُبْلَغُ به أَدْنَى حَدِّ العَبيد -وهو أَربعُونَ- بل يُنقَصُ منه.

قوله: (**والقذف بالزنى**)... إلخ، لا يريد القذف بالزنى على الإطلاق؛ بل يريد: الموجب لثمانين جَلدةً، وإلّا فلا يستقيم تعريفه بما ذُكر، فإنّ القذف بالزنى لو صدَر مِن غير الحرّ[1] المذكور أو لغير المُحصَنة يكون قذفًا بالزنى لا مَحالة. واللام في قول المصنِّف: "القذف بالزنى":[2] لام العهد، فيكون إشارة إلى القذف المخصوص الدالّ عليه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ﴾... إلخ.

قوله: (**لِرِشْدةٍ**)[3] الرَّشاد: خلاف الغَيّ، وتقول: هو لرِشْدة، خلاف قولك: هو لِزِنْية.

قوله: (**والقذف بغير الزنى**) هذا على إطلاقه صحيح؛ لكن ذكرُه في مقابلة قوله: "والقذف بالزنى"... إلخ لا يخلو[4] عن رَكاكة؛ إذ بقي بينهما واسطة، وهو قذف غير الحرّ[5] المذكور بالزنى بمحصَنةٍ[6] أو غيرها، وقذف الحرّ المذكور لغير المحصَنة.

قوله: (**فعليه التعزير**) هذا جواب شرط محذوف، أي: إذا قُذف بغير الزنى فعلى القاذف التعزير.

قوله: (**ولا يُبلَغ به أدنى حدّ العبيد**) وعند الشافعيّ رضي الله عنه:[7] لا يُبلَغ به أدنى حدّ القاذف،[8] أي: إن كان حرًّا فأدنى حدّ الأحرار، وهو أربعون، / وإن كان [١٧٥و]
عبدًا فأدنى حدّ العبد، وهو عشرون.

---

١ ن: الحد.
٢ ن: بالزنى.
٣ ن: لرشده.
٤ د: لا يخ [اختصارًا مِن "لا يخلو"].
٥ ن: الحد.
٦ ف ن: لمحصنة.
٧ د - رضي الله عنه.
٨ انظر: منهاج الطالبين للنووي، ص ٣٠٤.

وقال أبو يوسف رحمه الله: يجوز أن يُبْلَغَ به تِسعةٌ وسبعُون، وقال: للإمام أن يُعزِّر إلى المئة.

وشروطُ إحصَان القَذف خَمسةٌ: الحريَّةُ والبُلوغُ والعقلُ والإسْلامُ والعِفَّةُ.

وقُرِئَ: "بأربعةٍ شهداءَ" بالتَّنوين، و"شُهداءَ" صِفةٌ.

فإن قلتَ: كيف يَشهَدون: مُجتمِعين أو متفرِّقينَ؟

قلتُ: الواجبُ عند أبي حنيفةَ وأصحابِه رحمهم الله أن يَحضُروا في مجْلِسٍ وَاحدٍ وإن جاءوا مُتفرِّقين كانوا قَذَفَةً، وعند الشَّافعي رحمه الله: يجُوز أن يَحضُروا مُتَفرِّقينَ.

فإن قلتَ: هل يجوز أن يكُونَ زَوجُ المَقذُوفة واحدًا مِنهم؟

قلتُ: يجوز عند أبي حَنيفة رحمه الله خلافًا للشافعي رحمه الله.

فإن قلتَ: كيف يُجلَد القاذفُ؟

قلتُ: كما جُلِدَ الزَّاني، إلَّا أنَّه لا يُنزَعُ عنه من ثيَابهِ إلَّا ما يُنزَعُ عن المَرأة مِن الحَشو والفَرْو، والقَاذِفةُ أَيضًا كالزَّانيَةِ.

قوله: (**تسعة وسبعون**)؛[1] لأنّ أقلّ[2] حدّ الحرّ عندهم ثمانون، كما في القذف، وكما في الشرب عندهم.

قوله: (**والعِفّةُ**) أي: العفّة عن وطءٍ يوجب الحدَّ، أو يَحرُم[3] بالرضاع أو النسب -أعني: ما يوجب حرمة مؤبّدة- وإن لم يجب الحدّ، فغير العفيف عن الوطء الذي لا يوجب الحدّ للمِلك ويتأبّد حرمته لا يجب الحدّ على قاذفه، مثل: الواطئ الأمةَ التي هي أمُّه مِن الرَّضاع أو أخته مِن الرَّضاع، أو أخته أو عمّته مِن النسب، مع علمه بالتحريم.

قوله: (**و"شُهَداءَ" صفةٌ**) أي: على هذه القراءة.[4]

---

١ انظر: حاشية ابن عابدين، ٦٠/٤.

٢ ن: لأقل.

٣ ن: ويحرم.

٤ القراءة بالتنوين شاذّة. انظر: انظر: **المحتسب** لابن جنّي، ١٠١/٢.

وأَشدُّ الضَّرب: ضرْبُ التَّعْزير، ثم ضرْبُ الزِّنا، ثم ضَرْبُ شرْبِ الخَمر، ثم ضَربُ القاذف، قالوا: لأنَّ سبَبَ عُقوبته محتمِلٌ للصدقِ والكَذِب، إلَّا أنَّه عُوقبَ صيَانةً للأعراضِ ورَدْعًا عَن هَتْكِهَا.

فإن قلتَ: فإذا لم يكُن المَقذوفُ مُحْصَنًا؟

قلت: يُعَزَّرُ القَاذف ولا يُحَدُّ، إلَّا أَن يكون المقذُوفُ مَعرُوفًا بما قُذِف به فلا حَدَّ ولا تَعْزِيرَ.

رَدُّ شهادَةِ القَاذفِ مُعَلَّق عند أبي حنيفة رحمه الله باستيفَاء الحَدِّ، فإذا شَهِد قبلَ الحَدِّ أَو قَبل تمام استيفائه قُبِلَتْ شهَادَتُه، فإذا اسْتَوفى لم تُقبَلْ شهَادتُه أبَدًا، وإنْ تابَ وكان من الأَبْرار والأَتقياء.

وعند الشافعي رحمه الله: يَتعلَّق رَدُّ شهادتِهِ بنَفس القَذف، ....

قوله: **(وأشدُّ الضرب)**... إلخ، قال في كتاب **سلالة التغريد**:[1] «أشدُّ الضرب التعزير، ثمّ حدّ الزنى، ثمّ حدّ الشرب، ثمّ حدّ القذف؛ لأنّ التعزير نُقِص مِن العدد، وزيد في وَصفه، وحدّ الزنى وُجد فيه نصّ في تغليظه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النور ٢/٢٤]، وحدّ الشرب سببه متيقَّن بخلاف القذف، فيكون أبلغ، ولذلك لا يُجرَّد في حدّ القذف، لِما ذكرنا أنّ سبَبه غير مُتيقَّن».

قوله: **(ردُّ شهادة القاذف معلَّق عند أبي حنيفة رحمه الله)**[2] كأنّ أبا حنيفة رضي الله عنه[3] نظر إلى أنّ القاذف إذا استُوفي حدُّه فقد حُكم عليه بأنّه بهَتَ المقذوف وكذَب في ذلك، وأيضًا فقد انتُهك عرضُه بحدِّه، فلا يليق بمحاسن العادات قَبول شهادته، ولا أن يَحكُم القاضي بشهادة مثله، كما لا يقبل شهادة العبد رعاية لِمحاسن العادات.

قوله: **(وعند الشافعيّ رضي الله عنه[4] يتعلّق)**[5] وإنما ردّ الشافعيّ رضي الله عنه[6]

---

١ لم أجد الكتاب، ونحوه في **الهداية** للمرغيناني، ٣٦١/٢.
٢ انظر: **المبسوط** للسرخسي، ٧٠/٩.
٣ د - رضي الله عنه.
٤ د - رضي الله عنه.
٥ انظر: **الحاوي** للماوردي، ٢٤/١٧.
٦ د ف - رضي الله عنه.

فإذا تَابَ عن القذفِ بأنْ يَرجعَ عنه عاد مَقْبُولَ الشَّهَادة.

وَكلاهُما متمسِّك بالآية:

فأبو حَنيفة رحمه الله جَعل جزاء الشَّرط -الذي هو الرَّميُ- الجَلْدَ وَرَدَّ الشَّهَادة عقيبَ الجَلد على التأبيد، فكانُوا مَردودِي الشَّهادة عِنده في أبَدِهم

شهادتَه بنفس القذف؛ لأنّ ذنبه هو القذف، فوجب أن يتعلّق ردّ الشهادة به ما لم يُعلم صدقه[١] في ذلك، فإذا تاب عن ذلك الذنب -كما هو شرط التوبة- وجب أن تقبل شهادتُه، ولا يَمنع استيفاء الحدّ مِن قبول الشهادة، فإنّ الحدود كفّارة الذنوب كما دلّ عليه الأحاديث،[٢] فلو لم يُجعل الحدّ سببًا لقَبول شهادته المَردودة بالقذف فلا أقلّ مِن أن لا يكون سببًا للمنع مِن قَبول الشهادة، فإنّه إذا حُدَّ فقد استوفى المقذوف حقَّه، وسقط عنه حقّ العبد، وإذا تاب توبةً معتبرةً فقد عفا الله تعالى عنه هذا الذنب، فهو كمَن لم يُذْنب أصلًا، وليس كالعبد، فإنّه بسبب نقصانه عن مراتب الأحرار لا تقبل شهادته.

قوله: (**بأن يرجع عنه**) المراد برجوعه عن القذف: أن يقول: تُبْتُ عن القذف ولا أعود[٣] إليه،[٤] هذا إذا لم يُقِرَّ بالكذب، فإن أقرَّ بالكذب فلا يكتفى بظاهر التوبة؛ بل لا بدّ مِن أن يُختَبَر مدّةً يَغلِب على الظن صلاحُه بالأمارات والقرائن.

قوله: (**في أبَدهم**)؛ وذلك لأنّه لا يصحّ أن يكون المراد بالأبد الدوام الحقيقيّ، وهو ظاهر، فوجب حمْله على أبدهم، إمّا بحسب ذاتهم، أي: ما داموا موجودين، أو بحسب وصفهم، وهو ما داموا قاذفين. ثمّ نقول: حمله على دوام وصفهم أَولى؛ لأنّ عدم القبول لم ينشأ مِن ذاتهم، وإنّما نشأ مِن وصفهم، فينتهي بانتهائه.

---

١ ن - صدقه.

٢ منها ما رواه عبادة بن الصامت عن النبيّ صلى الله عليه وسلم: «ومن أتى منكم حَدًّا، فأقيم عليه، فهو كفّارته». صحيح البخاري، ١/١٢ (١٨)؛ صحيح مسلم، ٣/١٣٣٣ (١٧٠٩).

٣ ن: أعوذ.

٤ د ن: عليه.

وهو مُدَّةُ حيَاتهم، وجَعَل قوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ كلامًا مُستَأنفًا غيرَ داخلٍ في حَيِّزِ جزاء الشرط؛ كأنَّه حكايةُ حالِ الرَّامينَ عِند الله بَعد انقضاءِ الجُملة الشَّرطية، و﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ استِثنَاءٌ من "الفَاسِقين"، ويدُلُّ عَليه قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

والشافعيُّ رحمه الله جَعل جزاءَ الشرط الجملتين أيضًا، غَيرَ أنَّه صَرَفَ الأَبد إلى مُدَّةِ كونهِ قَاذِفًا وهي تَنتَهي بالتَّوبة والرُّجوعِ عن القَذف، وجَعل الاستثناءَ مُتعَلِّقًا بالجُملة الثَّانيةِ.

[١٧٥ظ] قوله: / **(في حيّز جزاء الشرط)** ليس هنا شرط؛ لكن لمّا دخل الفاء عُلم أنّ المبتدأ متضمّن معنى[١] الشرط؛ فلذا سماه شرطًا، ويجوز أن يقال: لا يريد الشرط لغة؛ بل يريد السبب الشرعيّ.

قوله: **(استثناءٌ[٢] مِن "الفاسقين")** أي: وجعل ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ استثناءً مِن "الفاسقين" غيرَ متعلِّق بقوله: ﴿فَٱجْلِدُوهُمْ﴾،[٣] ولا بقوله: ﴿وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا﴾، فإنّه لمّا جعل قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ كلامًا مستأنفًا جعل الاستثناء بعده[٤] غيرَ متعلِّق بما قبله، وإنّما جعله كلامًا مستأنَفًا؛ لأنّ الجملتين قبله طلبيّة إنشائيّة، وهذه خبريّة، وأيضًا فهما فِعليّتان، وهذه اسميّة، فدلّ على انقطاعها عنهما، وقوله تعالى: ﴿أَبَدًا﴾ يؤيّده أيضًا.

قوله: **(أيضًا)** يعني: كما جعله أبو حنيفة رحمه الله[٥] كذلك.[٦]

قوله: **(وجعل الاستثناء متعلّقًا بالجملة الثانية)**؛ إشارة إلى أنّه لا يجوز كون الاستثناء متعلّقًا بالجملتين على التحقيق؛ لأنّ العامل في المستثنى منه في الجملة الأولى غير العامل في المستثنى منه في الجملة الثانية، فلا يصحّ أن يكون متعلّقًا بهما، وإلّا لعمل فيه عاملان، وهو غير جائز، وإذا لم يجز

---

١ ن + معنى.
٢ ن: استيفاءً.
٣ ن: فاخلدوهم.
٤ ن: بعد.
٥ د – رحمه الله.
٦ ف: لذلك.

وحَقُّ المستَثنَى عنده أَن يكون مجرُورًا بَدلًا مِن "هُمْ" في ﴿لَهُمْ﴾، وحَقُّه عند أبي حنيفة رحمه الله أَن يكون منصوبًا؛ لأنَّه عن موجَبٍ.

والذي يَقتضِيه ظاهِرُ الآية ونَظمُها أن تكُون الجُمَلُ الثلاثُ بمجمُوعِهنَّ جزاءَ الشرط؛ كَأنَّه قِيل: ومَن قَذَف المحصَنات فاجْلِدُوهم ورُدُّوا شهَادتَهم وفَسِّقُوهم؛ أي: فاجْمعُوا لَهُم الجَلْدَ والرَّدَّ والتَّفسيقَ، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ عن القَذف ﴿وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ يَغفِرُ لهم فيَنقلِبُونَ غيرَ مَجْلُودينَ ولا مَرْدُودينَ ولا مُفسَّقِينَ.

أن يتعلّق بهما فلا بدّ أن يتعلّق بأحديهما،[1] فيتعلّق بالأولى، ويقدّر مثله في الجملة الثانية؛ لأنّ الحذف مِن الثاني لدلالة ما في الأوّل عليه أولى مِن العكس، كما في قول الشاعر:

فمَن يَكُ أمسَى في المدينة رَحلُه ... فإنّي وقيّارٌ[2] بها لغريبُ[3]

والتقدير كما ذكروا: فإنّي بها لغَريب، وقيّارٌ بها لغَريب، فحذف مِن الثاني اكتفاءً بالأوّل. والمانع مِن جعل "لغريبُ" خبرًا عنهما: عدم المطابقة اللفظيّة، وفيما نحن فيه: امتناع إعمال عاملين في معمول واحد.

قوله: **(وفسِّقوهم)** وهذا إشارة إلى أنّ الخبر -وهو قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾- في معنى الطلب؛ فلذلك صحّ عطفه عليه.[4] ويمكن أن يقال: إنّما جاءت[5] الجملة الأخيرة اسميّةً خبريّةً دونهما؛ لأنّ الحُكّام مأمورون بجَلد القاذف، منهيُّون عن قَبول شهادتهم فهما حُكمان متعلّقان بهم، بخلاف التَّفْسيق، فإنّه حكم مِن الله تعالى غير متعلّق بالعبيد.

قوله: **(غيرَ مجلودين)** أمّا الجَلد فلا يسقط بالتوبة إجماعًا؛ لأنّه حقّ الناس، ومراد المصنِّف أنّ ظاهر الآية كان يقتضي ذلك؛ لكن لم يتعلّق التوبة بسقوط الجَلد؛ لأنّه حقّ الناس، فيتعلّق بالأخيرين. واعلم أنّ هذا الذي ذكره

---

١ ن: بأحدهما.
٢ ن: لقيار.
٣ لضابئ البرجمي. انظر: **الصحاح** للجوهري، «قير».
٤ ف - عليه.
٥ د ف: جاء.

فإن قلتَ: الكافرُ يَقذِفُ فيَتوبُ عن الكفر فتُقبَلُ شهادتهُ بالإجماع، والقاذفُ من المُسْلِمينَ يتُوبُ عن القَذْفِ فلا تُقبَلُ شهَادتُه عند أبي حنِيفة رحمه الله، كأنَّ القَذفَ مَع الكُفر أَهْونُ من القَذف مَع الإِسْلام؟

قلتُ: المُسلمون لا يَعْبَؤون بسَبِّ الكفَّار؛ لأنهم شُهِرُوا بعَداوتِهم والطَّعنِ فيهم بالبَاطل، فلا يَلْحقُ المَقذوفَ بقَذفِ الكافرِ مِن الشَّين والشَّنَارِ ما يَلحَقُه بقَذف مُسْلمٍ مِثْلِه، فَشُدِّدَ على القَاذِف من المسلمين رَدْعًا وكَفًّا عن إِلْحَاق الشَّنار.

فإن قلتَ: هل للمقْذُوفِ أو للإِمَام أَن يَعْفُوَ عن حَدِّ القَاذِفِ؟

قلتُ: لهما ذلك قبلَ أَن يشهَد الشُّهودُ ويَثبُتَ الحَدُّ، والمَقذُوفُ مَندُوبٌ إلى أَنْ لا يُرافِعَ القَاذِفَ ولا يُطالبَه بالحَدِّ، ويَحسُنُ من الإمام أَن يَحمِلَ المقذُوفَ على كَظْم الغَيْظِ ويَقُولَ له: "أَعْرِضْ عن هذا ودَعْهُ لوَجْه الله" قبل ثَباتِ الحَدِّ، فإذا ثبَت لم يكُن لواحدٍ منهما أَن يَعفُوَ؛ لأَنَّه خالِصُ حَقِّ الله؛ ولهذا لم يصِحَّ أَن يُصالَحَ عنه بمالٍ.

هو مذهب الشافعيّ رضي الله عنه،[١] فإنّه يقول: الجمل الثلاث جزاء الشرط، وكان حقّ الاستثناء أن يتعلّق بالجميع؛[٢] لأنّ الأصل اشتراك المعطوف والمعطوف عليه في الأحكام إلّا أن يمنع مانع، وههنا المانع مِن التعلُّق بالجميع أنّ الأوّل حقّ الناس فلا يسقط بالتوبة، فوجب[٣] أن يكون متعلّقًا بالجملتين الأخيرتين.[٤]

قوله: **(والشَّنار)** الشَّنار: العَيب والعار، قال القطامي يمدَح الأمراء:

ونحن رعيّةٌ وهم رُعاةٌ ولولا رَعْيُهم شَنُعَ الشَّنارُ[٥]

والشَّناعة: الفظاعة، وقد شَنُع الشيء -بالضمّ- فهو شنيعٌ.[٦]

[١٧٦و] قوله: **(قلتُ: لهما ذلك)** قبل أن يشهد / الشهود ويثبُت الحدُّ، وعند الشافعي رضي الله عنه:[٧] إذا عفا المقذوف لا يُقام الحدُّ وإن ثبت الحدُّ.[٨]

---

١ د - رضي الله عنه.
٢ ن: بالجمع.
٣ ن: فوجب.
٤ انظر: **الحاوي الكبير** للماوردي، ٧٠/١٦.
٥ ن: الشتار. | **الصحاح** للجوهري، «شنر».
٦ **الصحاح** للجوهري، «شنع».
٧ د - رضي الله عنه.
٨ انظر: **الإقناع** للخطيب الشربيني، ٥٢٩/٢.

فإن قلتَ: هل يُورَثُ الحدُّ؟

قلتُ: عند أبي حنيفة رحمه الله لا يُورَثُ؛ لِقوله عليه السلام: «**الحَدُّ لا يُورَثُ**»، وَيُورَث عِند الشافعي رحمه الله.

وإذا تابَ القَاذِفُ قَبل أَنْ يثبُتَ الحَدُّ سقَط، وقيل: نزلَت هذه الآية في حسَّان بن ثابتٍ رضي الله عنه حينَ تابَ ممَّا قالَ في عائشةَ رضي الله عنها.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٦ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٧ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٨ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٩﴾

قاذِفُ امرأتهِ إذا كان مُسلمًا حُرًّا عاقلًا بالغًا غَيرَ مَحْدُودٍ في القَذف، والمرأةُ بهذه الصِّفَة معَ العفَّة، صَحَّ اللِّعَانُ بينَهما إذا قذَفَهَا بصَريحِ الزِّنى، وهو أَنْ يقُول لها: يا زانِيةُ، أو: زنَيْتِ، أو: رَأيتُكِ تَزنِينَ.

قوله: (**وإذا تاب القاذف**)... إلخ، وعند الشافعي رضي الله عنه:[١] وإن تاب قبل الثبوت[٢] لا يسقط؛ بل إن ثَبَت قذْفُه بعد التوبة يُحَدُّ.[٣]

قوله: (**والمرأة بهذه[٤] الصفة**) وعند الشافعيّ رضي الله عنه:[٥] يُلاعِن الذمّيُّ، والرقيق، والمحدود في القذف، والزوج في النكاح الصحيح، والزوج في النكاح الفاسد، والواطئ بالشبهة إن كان هناك ولدٌ لنفسه، وأمّا إذا لم يكن ولدٌ فليس للأجنبيّ الواطئ بالشبهة اللّعان؛ لأنّه لا ضرورة له إلى القذف، وأمّا الزوج فقد يضطرّ إليه ولا يساعده البيّنة، فيحتاج إلى دفع الحدّ عن نفسه، والانتقام[٦] منها.[٧]

---

١ د ف – رضي الله عنه.
٢ ن: الثبوب.
٣ انظر: **الحاوي الكبير** للماوردي، ٣٧١/١٣؛ و**روضة الطالبين** للنووي، ١٦٠/١٠.
٤ ن: هذه.
٥ د – رضي الله عنه.
٦ ف: الانتقام.
٧ انظر: **روضة الطالبين** للنووي، ٣٣٤/٨، وما بعده.

وإذا كان الزَّوجُ عَبْدًا أو مَحدُودًا في قَذْفٍ والمرأةُ مُحصَنةٌ: حُدَّ كما في قَذف الأجنبيَّات، وما لم تُرافِعْه إلى الإمام لم يجبِ اللِّعانُ.

و"اللعانُ": أن يبدأ الرَّجُل فيَشهَدَ أَربَعَ شَهاداتٍ بالله إنَّه لمن الصَّادقين فيما رماهَا به من الزِّنى، ويَقُولَ في الخامِسة: ﴿أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ فيما رماها به من الزِّنى، وتَقُولَ المرأةُ أربعَ مرَّات: أشهَدُ بالله ﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ فيما رمَاني بهِ من الزِّنى، ثم تقُولُ في الخَامِسة: ﴿أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فيما رمَاني به من الزِّنى.

وعند الشافعي رضي الله عنه: يُقَام الرَّجُلُ قَائمًا حتَّى يَشْهدَ والمرأةُ قاعدَةٌ، وتُقامُ المَرأة والرَّجُلُ قاعِدٌ حَتَّى تَشْهَدَ، ويَأمُرُ الإمامُ مَن يَضعُ يدَه على فيهِ ويَقُول له: إنِّي أخَافُ إنْ لَم تكُن صَادقًا أَنْ تَبُوءَ بلَعنةِ الله، وقال: اللِّعانُ بمَكَّة بينَ المَقام والبيْتِ، وبالمَدينة على المنبَرِ، وبَيتِ المَقدس في مَسْجدِه، ولعَانُ المُشرِك

قوله: (**حُدّ كما في حدّ الأجنبيّات**) يعني: لا يجري[1] بينهما حكم اللّعان، فلا يُعتدّ بيمينه؛ بل يُجلَد إذا لم يكن له شهداء؛ لأنّه إذا حُدّ في قذف فقد ظهر كِذْبه واشتهر فِسْقه، فلا يُعتَمد على يمينه في اللّعان، فلا بدّ له مِن الشهود، كما في قذف غير زوجته، وهذا الذي ذكره هو مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه.[2]

قوله: (**يقام الرجل قائمًا**) أي: يقام قيامًا، فهو صفة وقَع موقع المصدر، يقال: قُم قائمًا،[3] أي: قم قيامًا، ثمّ هنا شيء آخر، وهو أنّه وضَع "قائمًا" موضع "إقامة"، نحو قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ [نوح ١٧/٧١].

قوله: (**مَن يضع يده على فيه**) ووضع اليد على فيه عند الخامسة.

قوله: (**أن تبوء بلعنة الله**) هو مِن قولهم: باءَ فلان بفلان إذا كان حقيقًا بأن يُقتل به؛ لِمساواته ومكافاته، أي: أخاف أن تصير حقيقًا بلعنة الله تعالى.

قوله: (**بين المقام والبيت**) البيت: علَم[4] الكعبة.

---

١ ن + يعني: لا يجري.
٢ د – رضي الله عنه. | انظر: الهداية للمرغيناني، ٢/٢٧٠.
٣ ن: قيامًا.
٤ ن: على.

في الكَنيسَة وحيث يُعظِّمُ، وإذا لم يكُنْ له دِينٌ ففي مسَاجِدنا إلّا في المَسْجد الحَرام؛ لقوله تعَالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ [التوبة ٢٨/٩].

ثم يُفَرِّقُ القَاضي بينهما، ولا تَقعُ الفُرقةُ بَينهما إلّا بتَفريقِه عند أبي حنيفة وأَصْحَابه رحمهم الله، إلّا عِندَ زُفَرَ رحمه الله فإنَّ الفُرقة تقعُ باللِّعان.

وعن عُثمان البَتِّي: لا فُرقَةَ أَصْلًا. وعند الشافعي رحمه الله: تَقَعُ بلعَانِ الزَّوْج.

وتكونُ هذه الفرقةُ في حُكم التَّطلِيقَة البَائنةِ عند أبي حنيفة ومحمَّدٍ رحمه الله، ولا يتَأبَّد حُكمُها، فإذا أكذَبَ الرجُلُ نفسَه بَعد ذلك فحُدَّ جَاز أَن يتَزوَّجهَا.

وعند أبي يوسف وزُفَر والحسنِ بن زيادٍ والشافعيّ رحمهم الله: هي فُرقةٌ بغَير طَلاقٍ تُوجِبُ تحْرِيمًا مُؤبَّدًا؛ ليس لهما أَن يَجتمِعَا بَعد ذلك بوَجْه.

ورُويَ: أَنَّ آيةَ القَذف لمَّا نزلَتْ قرأها رسُول اللهِ صلى الله عليه وسلم على المِنَبرِ، فقَام عاصمُ بن عَديّ الأنصاريّ فقال: جعَلني اللهُ فداكَ، إن وجَد رَجُلٌ مع امرأته رَجُلًا فأخبَر جُلِدَ ثمانِينَ ورُدَّتْ شهَادتُه أَبدًا وَفُسِّقَ، وإن ضرَبهُ بالسَّيف قُتِل، وإن سَكَتَ سَكَتَ على غَيْظٍ، وإلى أنْ يَجيء بأَربَعةِ شُهداء فقَد قضَى الرجُلُ حاجَته ومَضَى، اللّهُم افتَح. وخَرَج فاستَقبَلَهُ هِلالُ بنُ أميَّةَ أو عُويْمِرٌ، فقَال: ما ورَاءكَ؟ قال: شَرٌّ، وجَدْتُ على بَطنِ امرأتِي خَولةَ -وهي بنتُ عاصِمٍ- شَريكَ بن سَحْماءَ، فقال: هذا والله سؤالي، ....

قوله: (ومضى) أي: مضى الرجل، وهو عطف على قوله: (قضى)، ولمّا قال عاصم هذا الكلام قال عليه الصلاة والسلام: «كذلك أنزلتْ يا عاصم بن عديّ»، فخرج سامعًا مطيعًا، فلم يصل إلى منزله حتّى استقبله هلال بن أميّة يسترجع، أي: يقول: "إنّا لله وإنّا إليه راجعون"، فقال عاصم: ما وراءك؟.[١]

---

١ قال الزيلعي: «غريب بهذا السياق، وفيه تخليط؛ فإنّ حديث عاصم بن عديّ رواه البخاري ومسلم عن ابن عبّاس مِن غير هذا الوجه، وروى مسلم أوّله عن ابن مسعود، وليس فيه ذكر الأسامي، وقصة هلال وشريك رواها مسلم، وليس فيها ذكر عاصم وغيره، ونقله الثعلبي هكذا بتمامه عن ابن عبّاس». **تخريج أحاديث الكشّاف** للزيلعي، ٤٢١/٢.

ما أَسْرَع ما ابتُلِيتُ به! فرجعَا فأخبَر عَاصِمٌ رسُولَ الله، فَكلَّم خَولَةَ فقالت: لا أَدرِي أَلِغِيرَةٍ أَدركتْه أم بُخْلًا على الطَّعَام، وكان شَريكٌ نَزيلَهُم، وقال هِلالٌ: لقَدْ رأيتُه عَلى بَطْنِها، فنزلت ولاعَنَ بينَهُما.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قوله وقولها: ﴿أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾، ﴿أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾: «آمينَ»، وقال القوم: آمين، وقال لها: «إن كنْتِ أَلْمَمتِ بذنبٍ فاعترِفي به فالرَّجمُ أهوَنُ عليكِ من غضَبِ الله إن غَضبه هو النارُ»، وقال: «تَحيَّنُوا بها الولادةَ، فإن جاءت به ....

قوله: (ما ابتُليتُ به) وإنّما قال: "ابتُليتُ به"؛ لأنّ زوجة هلال كانت بنتَه، فلما كان عاصم بن عديّ كالمعترض على هذا الحُكم ابتلاه الله تعالى به، بحيث رضي بأن يكون الحُكم كذلك، وعلم أنّ الحكم والمصلحة ما هو شرعه الله تعالى.

قوله: (فكلّم) الفاء فصيحة، أي: فدعا النبيّ خولةَ فكلّمها.

قوله: (ما أدري[1] أَلِغَيرةٍ؟) قال في **الوسيط**: «فرجع[2] عاصم إلى النبيّ عليه الصلاة والسلام فأخبره هلال بن أميّة بالذي كان، فبعث إليها، فقال: ما يقول زوجك؟ قالت: يا رسول الله إنّ ابن سَحْماء[3] كان يأتينا فينزل بنا فنتعلَّم[4] الشيء مِن القرآن، فربّما تركه عندي وخرج زوجي ولم ينكر عليَّ ساعةً مِن ليلٍ ولا نهار، فلا أدري أدركتْه الغَيرة أو بَخِل عليّ[5] بالطعام؟»[6].

قوله: (فنزلت) أي: آيةُ اللّعان.

قوله: (أَلْمَمْتِ) قولهم: ألمَّ مِن اللّمَم، وهو صغائر الذنوب.

قوله: (وقال: تحيَّنوا) التحيُّن: انتظار الوقت، يقال: تحيَّن الوارِش[7] إذا انتظر وقتَ الأكل لِيَدخل، فمعنى / "تحيَّنوا بها"[8] أي: انتظروا بسببها وقتَ الولادة. [١٧٦ظ]

---

[1] ن: ما أرى.

[2] ن: فرجم.

[3] ن: سمحا.

[4] في مطبوع **الوسيط**: "فيتعلّم".

[5] في مطبوع **الوسيط**: "أو قَلّ عليه".

[6] **التفسير الوسيط** للواحدي، ٣/٣٠٦.

[7] يقال للذي يدخل على قوم يَطعمون ولم يُدعَ ليصيب مِن طعامهم: وارِش. **لسان العرب** لابن منظور، «ورش».

[8] ن - بها.

أُصَيْهِبَ أُثَيبِجَ يَضرِبُ إلى السَّواد فهُو لشريكٍ، وإن جاءت به أَوْرَقَ جَعْدًا جُمَاليًّا خَدَلَّجَ السَّاقَين فهو لغَيرِ الذي رُمِيَتْ بهِ»، قال ابنُ عباس: فجاءت بأشبَه خَلقِ اللهِ لشَريكٍ، فقال صلى الله عليه وسلم: «لولا الأَيْمانُ لكان لي ولهَا شَأنٌ».

وقرئ: "ولم تكن" بالتاء؛ لأن الشهداءَ جماعةٌ؛ أو لأنَّهم في مَعنى الأنفُسِ الَّتي هي بَدلٌ.

ووجهُ مَن قَرأ ﴿أربَعَ﴾ أَنْ يَنتصِبَ؛ لأنَّه في حُكم المَصْدَر والعاملُ فيه المَصْدرُ الَّذي هو ﴿فَشَهَدَةُأَحَدِهِمْ﴾ وهي مبتدأٌ مَحذوف الخبر تَقديرُه: فواجبٌ شهَادةُ أحَدهم أربَعَ شهَادَاتٍ باللهِ.

وقرئ: ﴿أَنْ لعنةُ اللَّه﴾ و﴿أَنْ غَضَبُ اللَّه﴾: على تخفيف "أَنْ" ورَفعِ ما بعْدَهَا.

وقرئ: ﴿أَنْ غَضِبَ اللَّه﴾ على فعلِ الغضَب.

وقرئ: بنَصْبِ الخامِسَتين على مَعنى: وتشهَدُ الخامسةَ.

فإن قلتَ: لمَ خُصَّتِ المُلاعِنَةُ بأن تُخمَّس بغضَب الله؟

قلتُ: تغْليظًا عليها لأنَّها هي أَصْلُ الفجور وَمنْبَعُه ....

قوله: (**أُصَيْهِبَ**) الصُهبة والصهوبة: الشُّقْرة في شعر الرأس، والرجل أصهَب، والمرأة صهباء.

قوله: (**أُثَيبَج**) الثَّبَجُ: ما بين الكاهل إلى الظهر، والأَثبَجُ: العريض الثَّبَج، ويقال: الناتئ الثَّبَج؛ وهو الذي صغُر. وفي الحديث: «إن جاء به أُثَيبَج».[1]

قوله: (**جُماليًّا**) ناقة جُماليّة: مُشبّهة بالفَحل في عِظَم الخَلق.[2]

قوله: (**هي**[3] **بدل**)[4] أي: عن ﴿شُهَدَآءُ﴾ في قوله: ﴿إِلَّآ أَنفُسُهُمْ﴾.

قوله: (**فإن قلتَ: لم خُصّت الملاعَنة**) أي: المرأة الملاعَنة.

---

[1] د – الثَّبَجُ: ما بين الكاهل إلى الظهر، والأَثبَجُ: العريض الثَّبَج، ويقال: الناتي الثَّبَج؛ وهو الذي صغُر. وفي الحديث: «إن جاء به أُثَيبَج». | الحديث في سنن أبي داود، ٣/٥٧٠ (٢٢٥٦).

[2] **الصحاح للجوهري**، «جمل».

[3] ن – هي.

[4] ن: الحذيفة.

بِخلابَتها وإِطْمَاعها، ولِذلك كانت مُقَدَّمةً في آية الجَلد، ويَشهَدُ لذلك قولُه عليه السلام لِخَولةَ: «فالرَّجمُ أَهْونُ عليكِ من غَضَب الله».

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ۝١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١١﴾

"الفضلُ": التفضُّل، وجَوابُ ﴿وَلَوْلَا﴾ مَتْروكٌ، وتَركُه دالٌّ عَلى أَمْرٍ عظيمٍ لا يُكتَنَهُ، ورُبَّ مَسْكُوتٍ عَنْه أبلغُ مِن مَنطوقٍ به.

"الإفكُ": أَبلغُ ما يكونُ من الكذِب والافتِراء، وقيل: هُو البُهتَانُ لا تَشعُرُ به حتى يَفجَأَكَ، وأَصلُه: الأَفْكُ، وهو القَلبُ؛ لأنه قولٌ مَأفوكٌ عن وَجْهِه، والمراد: ما أُفِكَ به على عَائشة رضي الله عنها.

و"العُصْبَة": الجماعةُ من العشرة إلى الأربعينَ، وكذلك العِصَابةُ، واعْصَوْصَبُوا: اجتَمعُوا.

وهُم: عَبدُ الله بن أُبيّ رأسُ النِّفاقِ، وزيدُ بنُ رِفاعةَ، وحَسَّانُ بن ثابتٍ، ومِسطَحُ بن أُثاثَةَ، وحَمْنَةُ بنت جَحشٍ، ومَن سَاعَدهُم.

وقرئ ﴿كِبْرَهُ﴾ بالضَّم والكسر، وهو عُظمُه، والَّذي تَولَّاه عَبْدُ الله؛ لإمعانِه في عَداوة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، ....

قوله: (بخِلابتها) الخِلابة: الخديعة باللسان، وفي المَثل: "إذا لم تَغلِب فاخلُبْ"،[١] أي: فاخْدَعْ.

قوله: (وأصله: الأَفْكُ) الأَفْك[٢] -بالفتح-: مصدر قولك: أفَكَه يأفِكه أَفْكًا، أي:[٣] لَفَتَه عنه وصرَفه، ومنه قوله تعالى: ﴿أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ [الأحقاف ٢٢/٤٦].

---

[١] ن: اخلب. | انظر: مجمع الأمثال للميداني، ٣٤/١.

[٢] د - الأَفْك.

[٣] د + أي.

وانتهَازِه الفُرصَ وطلَبِه سبيلًا إلى الغَمِيزَة.

﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٍٕ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾؛ أي: يُصيبُ كلَّ خائِضٍ في حديثِ الإفك من تلك العُصبة نَصِيبُهُ من الإثم على مِقدار خَوضِه، والعذابُ العظيمُ لعبدِ الله؛ لأنَّ مُعْظَمَ الشَّرِّ كان منه، يُحكَى أنَّ صفوانَ مَرَّ بهَوْدَجِهَا عليه وهو في مَلَأٍ مِن قَومه فقال: مَن هذه؟ فقَالُوا: عَائشةُ، فقال: واللهِ ما نجَتْ منه ولا نجَا مِنها، وقال: امرأةُ نَبِيِّكُم باتَتْ مَع رَجُل حتَّى أصبَحَتْ ثمَّ جَاء يقُودهَا.

والخطابُ في قوله: ﴿هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ لمَنْ ساءهُ ذلك من المؤمنينَ وخَاصَّةً رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكرٍ وعائشةُ وصفوانُ بن المُعطَّلِ، ....

قوله: (وانتهازِه) يقال: انتهَز الفرصة، أي: اغتنمها، والفُرصة: الشِّرب والنَّوبة، يقال: وجد فلانٌ فُرصةً، أي: نُهْزَةً، ويقال: افترصتُ الفُرصة، أي: اغتنمتها.[1]

قوله: (إلى الغَميزة)[2] يقال: ليس[3] في فلان غَميزة، أي: مَطْعنٌ.

قوله: (مرَّ بِهَوْدَجها) أي:[4] عائشة[5] رضي الله عنها. الباء في "بهَودَجها" للتعدية أو المصاحبة، وليس كما في قولك: "مررتُ بزيد".

قوله: (ما نَجَتْ منه) أي: ما نجَت[6] عائشة رضي الله عنها.[7] قوله: "منه" يعني:[8] صفوان.

قوله: (لمن ساءَه) "ساءَه": نقيض سرَّه.

قوله: (وخاصّةً رسول الله عليه الصلاة والسلام) عطف على قوله: (والخطاب)... إلخ، فكأنّه قيل: خُوطب المؤمنون عامّة، وهؤلاء خاصّة.

---

١ انظر: **الصحاح** للجوهري، «فرص».
٢ ن: المغميزة.
٣ ن – ليس.
٤ ن – أي.
٥ ن – بعائشة.
٦ ن: فانجمت.
٧ د – رضي الله عنها. | انظر: **الكشف والبيان** للثعلبي، ١٩/١٠٠ (النور، ٢٤/١١).
٨ ن: بعين.

ومعنى كونهِ خَيْرًا لهم: أَنَّهم اكتَسبُوا فيه الثَّوابَ العَظيمَ؛ لأنه كان بلاءً مُبِينًا ومحنَةً ظاهرةً، وأنَّه نزلَت فيه ثماني عَشْرةَ آيةً كُلُّ واحدةٍ منها مُستَقِلَّةٌ بما هو تَعظيمٌ لشَأنِ رسول الله صلى الله عليه وسلم وتَسليةٌ له، وتَنزيهٌ لأُمِّ المُؤمِنين رضوانُ الله عليها، وتَطهيرٌ لأهل البيْت، وتَهويلٌ لمَن تكلَّم في ذلك أَو سَمع به فلم تَمُجَّه أذُناهُ، وعِدَّةُ أَلْطَافٍ للسَّامعين والتَّالِينَ إلى يَوم القيامة، وفوائدُ دِينيَّةٌ، وأحكامٌ وآدابٌ لا تخفَى عَلى مُتَأمِّلِهَا.

﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾

﴿بِأَنفُسِهِمْ﴾؛ أي: بالذين منهم من المؤمنين والمؤمناتِ؛ كقوله: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات ١١/٤٩]، وذلك نحوُ ما يُروَى: أنَّ أبا أيُّوبَ الأنصَارِيَّ قال لِأُمِّ أيُّوبَ: أَلَا تَرَيْنَ ما يقال؟! فقالتْ: لو كنتَ بدَلَ صَفوانَ أكُنتَ تظنُّ بحُرمةِ رسُول الله صلى الله عليه وسلم سُوءًا؟ قال: لَا، قالت: ولو كنتُ أنَا بدَلَ عائشةَ ما خُنْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فعَائشةُ خَيرٌ منِّي وصَفوانُ خَيْرٌ مِنك.

فإن قلتَ: هَلَّا قيل: "لولا إِذْ سَمِعْتمُوه ظَننْتُم بأَنفُسِكم خيْرًا وقُلتم" ولِمَ عُدِل عن الخطاب إلى الغَيبة وعن الضَّمير إلى الظَّاهر؟

قلتُ: لِيُبَالَغَ في التَّوبيخ بطريقةِ الالتفاتِ، ولِيُصَرَّحَ بلفظِ الإِيمان دلالةً

قوله: **(والتالين)** مِن التلاوة؛ القراءة.

قوله: **(وذلك نحو ما يُروى)** أي: وظنّ[1] الخير هكذا يكون.

قوله: **(بدل عائشة)** أي: لو كنتُ زوجة النبيّ عليه الصلاة والسلام بدل عائشة ما خُنتُ[2] رسول الله عليه الصلاة والسلام.[3]

قوله: **(دلالةً)** أي: للدلالة.

---

[1] ف: فظنُّ.
[2] ن: خفت.
[3] ف ن - عليه الصلاة والسلام.

على أنَّ الاشتِراكَ فيه مُقتَضٍ أن لا يُصَدِّقَ مؤمِنٌ على أخيه ولا مُؤمِنةٌ على أُختِها قَوْلَ عَائبٍ ولا طَاعِنٍ.

وفيه تنبيهٌ على أَنَّ حقَّ المؤمنِ إذا سَمِع قالةً في أخيه أَن يَبنيَ الأَمْرَ فيها عَلى الظن لا على الشكِّ، وأن يقولَ بمِلْءِ فيهِ بناءً على ظَنِّه بالمؤمن الخَيْرَ: ﴿هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ﴾ هكذا بلَفظِ المُصَرِّح ببرَاءة سَاحَتِه؛ كما يقولُ المُستَيقِنُ المُطَّلِعُ عَلى حقيقةِ الحال، وهذا من الأَدب الحسَن الذي قَلَّ القَائمُ به والحَافِظُ له، ولَيتك تَجِدُ مَن يَسْمَعُ فيسكُتُ ولا يُشيّعُ ما سَمِعَهُ بأخواتٍ.

قوله: (**أن يَبنيَ الأمر فيها على الظنّ**) معنى "بناء الأمر هنا على الظنّ": أنّ[1] الأصل في المؤمن[2] أن يكون بَريًا عن المأثم، فالبراءة مظنونة بحسب الأصل، وضدُّ ذلك وهمٌ، فلو ورد في الخاطر خلاف ذلك بناءً على وسوسةِ الشيطان أو حديث النفس فغايته أن يبلغ الشكُّ حيث لا دليل عليه، فينبغي للمؤمن أن يبنيَ الأمر على البَراءة المظنونة لا على الرِّيبة[3] المشكوكة.

قوله: (**كما يقول**)؛ لأنّ الظنّ في هذه المواضع قائم مَقام العلم عند المؤمنين.

قوله: (**ولا يُشيّع**) أي: لا يجعل أخوات ما سمع وأشباهه[4] تابعةً لما سَمِع، يعني: لا يكتَفون بإظهار ما سمعوه؛ بل يَضمُّون إليه أشياء لم يسمعوه وينشرونها، أو المعنى: لا يُظهر ولا يُغشي ما سمعه مع إخوانه. يقال: شيَّع الراعي إبله إذا صاح فيها، فتنساق ويُشايع بعضها بعضًا، ومنه: المشيَّعة؛ الشاة التي لا تتبع الغنم؛ لِضعفها وعَجَفها؛ بل تحتاج إلى مُشيّع. «وفي **الفائق**: المُشيِّعة:[5] بكسر الياء، وهي التي لا تزال تتبَع الغنم، ولا تلحَقها لِهُزالها، مِن: شيَّع الضيفَ إذا تبِعه».[6]

---

١ ن – أن.

٢ ن: المؤمنين.

٣ ن: الرتبة.

٤ ن: وأشبابهه.

٥ ن: الشيعة.

٦ **المُغرب** للمطرِّزي، «شيع». وانظر: **الفائق** للزمخشري، ٢/٣٠٤.

﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾

جعَل اللهُ التَّفصِلةَ بين الرَّمي الصَّادق والكاذب ثبوتَ شهادة الشُّهُود الأَربعة وانتفاءَها، والذين رَمَوْا عائشةَ رضي الله عنها لم تكُن لهم بيِّنةٌ على قولهم فقامتْ عَليْهم الحجَّةُ، وكانوا ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ -أي: في حكمه وشريعَتِه- كاذِبينَ.

وهذا تَوبيخٌ وتَعنِيفٌ للَّذينَ سَمِعُوا الإفكَ فلَم يَجِدُّوا في دَفْعه وإنْكارِه، واحتجَاجٌ عليهم بما هُو ظاهرٌ مَكشوفٌ في الشَّرع: من وجُوب تكذيبِ القَاذفِ بغيْرِ بيِّنَةٍ، والتَّنكيلِ به إذا قَذفَ امرأةً مُحصَنةً من عُرْض نسَاء المُسلمين، فكيف بأمِّ المؤمِنين الصِّدِّيقةِ بنْتِ الصِّدِّيق حُرْمَةِ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم وحَبيبَةِ حَبيبِ الله.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾

﴿وَلَوْلَا﴾ الأُولى للتَّحضِيض وهذه لامتنَاع الشَّيء لوجود غَيْره، والمَعْنَى: ولَولا أَنِّي قضَيْتُ أَنْ أتَفضَّل عَليكُم في الدُّنيا بِضُروب النِّعَم التي من جُملتِهَا الإمهالُ للتَّوبة، وأَنْ أترحَّم عَليكم في الآخِرَة بالعَفو والمغفرَة، لعَاجَلْتُكُم بالعِقاب على ما خُضتُم فيه من حَديث الإفك، يُقال: أفاضَ في الحديث واندَفع وهَضَبَ وخاضَ.

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾

قوله: (مِن عُرض) يقال: فلان مِن عُرض العشيرة، أي: مِن شِقّها، لا مِن صَميمها.[١]

قوله: (فكيف) أي: فكيف ظنّك في قذف؟

---

١ المُغرب للمطرّزي، «عرض».

﴿إِذْ﴾ ظَرفٌ لـ"مسَّكم" أو لـ﴿أَفَضْتُمْ﴾.

﴿تَلَقَّوْنَهُۥ﴾: يأخذه بَعضُكم من بَعضٍ، يقال: تَلقَّى القولَ وتَلقَّنه وتَلقَّفه، ومنه قولُه تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة ٣٧/٢]، وقُرِئَ عَلى الأَصْل: "تَتَلقَّونه" و: ﴿إِذتَّلَقَّونه﴾ بإدغَام الذَّالِ في التَّاء، و: "تَلْقَوْنه" مِن لَقِيَه بمَعنى لقِفَهُ، و: "تُلْقُونه" من إلقائه بَعضُهم على بَعضٍ، و: "تَلِقُونه" و: "تَأْلِقونه" من الوَلْقِ والأَلْقِ وهو الكذبُ.

و"تَلِقُونه" مَحكيَّةٌ عن عائشةَ رضي الله عنها.

وعن سُفيَان: سَمِعتُ أُمِّي تقرَأُ: "إِذ تَثقَفُونه"، وكان أبُوهَا يَقرأ بحَرف عَبْد الله بن مسْعُود.

فإن قلتَ: ما معنى قولِهِ: ﴿بِأَفْوَاهِكُم﴾ والقولُ لا يكون إلَّا بالفمِ؟

قوله: (يأخذه بعضُكم مِن بعضٍ) فعلى هذا يكون "التلقّي" بمعنى: التلقّف، كما ذكره، كأنّه قيل: تأخذونه[1] بألسنتكم، فالباء في ﴿بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ للآلة، كما في: أخذتُ بيدي، وضربتُ بالسَّوط. ثمّ قال: (ومنه قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة ٣٧/٢])، وهذا بخلاف قوله في سورة البقرة: «معنى 'تلقّي الكلمات': استقبالها بالأخذ والقبول». وأقول: فعلى ما ذكره / في سورة [١٧٧و]
البقرة يكون المعنى: إذ تستقبلونه بألسنتكم، فالباء يكون[2] للتعدية، أي: تجعلون ألسنتكم مستقبلين له، ويوافقه ما ذكر في **الوسيط** أنّه: «قال الكلبيّ: كان الرجل منهم يلقَى الرجل فيقول: بلغني كذا وكذا، يتلقَّونَه تَلقِّيًا».[3]

قوله: (عن عائشة رضي الله عنها)[4] أي: هذه القراءة مرويّة عن عائشة رضي الله عنها.[5]

قوله: (فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿بِأَفْوَاهِكُم﴾؟) واعلم أنّ التحقيق في قوله تعالى: ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم﴾ بعد قوله تعالى: ﴿تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾:

---

١ ن: يأخذونه.

٢ ن - يكون.

٣ ن: تلقينًا. | **التفسير الوسيط** للواحدي، ٣١١/٣ (النور، ١٥/٢٤).

٤ د - رضي الله عنها.

٥ د - رضي الله عنها. | وهي قراءة شاذّة. انظر: **المحتسب** لابن جنّي، ١٠٤/٢.

قلتُ: معناه: أَنَّ الشَّيء المَعْلومَ يكون علمُه في القَلب فيُتَرجِمُ عنه اللِّسانُ، وهذا الإفكُ ليس إلَّا قولًا يَجْرِي على أَلْسِنتِكم ويَدُورُ في أفواهِكم من غيْرِ تَرجَمةٍ عن علمٍ به في القَلب؛ كقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران ١٦٧/٣].

﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾؛ أي: تحسَبُونَه صَغِيرةً وهو عند الله كبِيرةٌ مُوجِبةٌ.

وعن بَعضهم أنه جَزِعَ عند المَوت، فقيل له؟ فقال: أخَافُ ذَنبًا لم يكن مِنِّي على بَالٍ وهو عند الله عَظِيمٌ.

وفي كلام بَعضهم: لا تَقُولنَّ لشَيءٍ مِن سَيِّئاتِك: حقيرٌ، فلعلَّه عِند الله نَخلةٌ وهو عندك نقيرٌ.

أنّهم يستقبلونه بألسنتهم؛ بأن يقولوا:[1] بلغني شيء -يعنون: في شأن الإفك- عن هؤلاء المفترين شيئًا، فإذا سمعوه[2] أذاعوه ويُقرّروه بملء فيهم، مبالغين في تقريره،[3] ساعين في انتشاره، مِن غير أن يعلموا أو يظنُّوا؛ بل لمجرّد التلقّي باللسان كانوا ينشرونه بالفم.

قوله: (**على بالٍ**) البال: القلب، يقال: ما خطر فلان ببالي، فيجوز أن يكون قوله: (**منّي**) حالًا مِن "بال" متقدِّمًا على المجرور،[4] ويجوز أن يكون "مِن" متعلِّقًا بـ"يكُن"، والمعنى على الوجهين: أنّه لم يمُرّ على قلبي، ولم يكن ممّا ألتفِتُ إليه وأباليه، يقال: ليس هذا مِن بالي، أي: ممّا أباليه.

قوله: (**حقيرٌ**) خبر مبتدأ محذوف، أي: هو حقير، فإنّ مَقول القول يكون جملة، و"النخلة" و"النقير" هنا تمثيل للصغير والكبير، وإنّما ذكَرهما للمناسبة بين النخلة والنقير، وهو النُّقرة التي في ظهر النواة، ويقع كثيرًا مَثلًا للقليل، قال لبيد يرثي[5] أخاه:

---

١ ن: تقول.

٢ ن: سمعوا.

٣ ن: تقرير.

٤ ن: المجزوم.

٥ ن: يربي.

وصَفَهُم بارتِكاب ثلاثةِ آثامٍ وعَلَّقَ مَسَّ العَذاب العظيم بها:

أَحدُهَا: تَلقِّي الإفك بألسنَتِهم، وذلك أنَّ الرَّجُل كان يَلْقَى الرجلَ فيقولُ له: ما وراءك؟ فيُحدِّثُه بحَديث الإفك، حتى شَاع وانتَشَر فلَم يبْقَ بيْتٌ ولا نادٍ إلّا طَارَ فيه.

والثاني: التكلُّمُ بما لا عِلْمَ لَهُم به.

والثالث: استِصغَارُهم لذلك وهو عظيمةٌ من العَظَائم.

﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾

فإن قلتَ: كيف جاز الفصْلُ بينَ ﴿وَلَوْلَآ﴾ و﴿قُلْتُم﴾؟

قلتُ: لِلظروفِ شَأنٌ وهو تنَزُّلُها مِن الأشْيَاء مَنْزِلةَ أنفُسها لوقُوعها فيها وأنَّها لا تَنفكُّ عنها، فلذلك يُتَّسَعُ فيها ما لا يُتَّسعُ في غَيْرِها.

فإن قلتَ: فأيُّ فائدةٍ في تقديم الظَّرف حتى أُوقِعَ فاصلًا؟

قلتُ: الفَائدةُ فيه: بيَانُ أنَّه كان الواجِبَ عليهم أنْ يَتفَادَوا أوَّلَ ما سَمِعُوا بالإِفْك عن التَّكلُّم به، فلمَّا كانَ ذِكرُ الوقت أهَمَّ وَجَب التَّقديمُ.

وليس الناسُ بعدَك في نقيرٍ ولا هم غيرُ أصداءٍ وهَامٍ[1]

قوله: (**وصفهم بارتكاب**)... إلخ مبنيٌّ على قوله: (﴿إذ﴾ **ظرف لـ**﴿لَمَسَّكُمْ﴾ **أو لـ**﴿أَفَضْتُمْ﴾).

قوله: (**أن يتفادَوا**) أي: يتحامَوا، والمراد بالتحامي: أن يقولوا: ﴿مَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾. و"عن" متعلِّق بقوله: "يتفادَوا"، و"ما" في (**ما سمعوا**) مصدريّة، والباء زائدة، أي: أن يجتنبوا عن التكلم به في أوّل وقت سماعهم الإفك، بأن يقولوا حينئذٍ: ﴿مَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾. تفادى الرجل مِن كذا إذا تحاماه وانزوى عنه، قال:

---

[1] **ديوان لبيد بن ربيعة**، ص ٢٠٩.

فإن قلتَ: فما مَعنى ﴿يَكُونُ﴾ والكلامُ بدُونه مُتْلئبٌّ لو قيلَ: "ما لنَا أن نتكلَّم بهذا"؟

قلتُ: مَعناه مَعْنى "يَنبغِي وَيَصحُّ"؛ أي: ما يَنبغي لنا أَنْ نَتَكلَّم بهذا وما يَصِحُّ لنا، ونحوُه: ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المائدة ١١٦/٥].

و﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾ للتَّعجُّب من عِظَم الأَمْرِ.

تـفـادى الأُسُـــود الـغُـلْـبُ منه تـفاديا[١]

قوله: (**متْلَئبٌّ**) اتلأبَّ الأمر اتلئبابًا؛[٢] استقام، والاسم: التُّلَأبيبة.

قولـه: (**﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾ للتعجُّب مِن عِظَم الأمر**) يعني: أنّ قوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾ يفيد: معنى التعجّب مِن عِظَم هذا الأمر؛ وهو الإفك، فكأنّه قيل: ما أعظم هذا الإفك؟ فإنّه إفكٌ خارج عن حدّ أمثاله، فهو حقيق بأن يُتعجّب مِن[٣] عظمه، والعجبُ: ما خرج عن حدّ القياس، ويتعاظم قدره عند الناس، ومعنى السؤال بعده: أنّه كيف يكون معنى التعجّب في كلمة التسبيح؟ أي: كيف يدل "سبحانك" على التعجّب؟ فأجاب بما معناه: أنّ الأمور العجيبة مِن صنع الله تعالى[٤] توجب أن يُسبَّح الله تعالى عند رؤيتها ويمجَّد ويُعظَّم، ومنه[٥] قوله عليه الصلاة والسلام: «حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سُبحاتُ وجهه ما انتهى إليه بصره مِن خلقه»،[٦] قالت الأئمة: السُبُحات: جمع سُبحة، والمراد بها ههنا: العظمة التي إذا رأتها الملائكة / والمصطَفَون مِن عباده سبَّحوه ومجَّدوه [١٧٧ظ]
وحمدوه وكبَّروه.[٧] واعلم أنّ الضمير مِن "بصَره" و"خلقه" يعود إلى الله،

---

١ لذي الرُّمّة، في **ديوانه**، ١٣١٤/٢، وصدره:
مُـرمَّيـن مـن لَـيـثٍ عليه مهابةٌ
والأصداء: جمع الصدى، والهام: جمع الهامة. قال أبو عبيدة: «أما الهامة فإنّ العرب كانت تقول: إن عظام الموتى -وقيل: أرواحهم- تصير هامة فتطير، وقيل: كانوا يسمون ذلك الطائر الذي يخرج مِن هامة الميت الصدى، فنفاه الإسلام، ونهاهم عنه». **لسان العرب** لابن منظور، «هوم».

٢ ن + قوله.

٣ ن: عن.

٤ ن - تعالى.

٥ ن - ومنه.

٦ **صحيح مسلم**، ١٦١/١ (١٧٩).

٧ انظر: **المفاتيح شرح المصابيح** للمظهري، ١٩٦/١.

فإن قلتَ: ما مَعنَى التَّعجُّبِ في كلمةِ التَّسبيحِ؟

قلتُ: الأصْلُ في ذلك أن يُسبَّحَ اللهُ عند رُؤية العَجيب من صَنَائعِه، ثم كثُرَ حتى استُعمل في كلِّ مُتعجَّبٍ مِنه، أو لتَنزيه الله من أن تكونَ حُرْمَةُ نَبيِّهِ فَاجرَةً.

فإن قلتَ: كيف جاز أن تكون امرأةُ النَّبيِّ كافرةً كامرأة نُوحٍ وَلُوط، ولم يجز أن تكونَ فاجرةً؟

قلتُ: لأنَّ الأنبياء مبعُوثُونَ إلى الكفار ليَدْعُوهم ويَستعطِفُوهم، فيَجبُ أن لا يكونَ مَعَهُم ما يُنفِّرُهم عنهم، ولم يكن الكُفر عندَهُم مما يُنَفِّرُ، وأمَّا الكَشْخَنَةُ فمِن أعظم المنفِّراتِ.

﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾﴾

ومِن "إليه" إلى "ما"، و"مِن" بيان "ما"، كذا فسّروه، فتأمّل، فإنّ البصَر ههنا عبارة عن تجلّياته[١] تعالى.

قوله: (**أو لتنزيه الله**) عطف على قوله: "للتعجّب مِن عِظَم الأمر" أي: "سبحانك" للتعجّب أو[٢] للتنزيه، والسؤال بعدَه متعلِّق بهذا التفسير الثاني.

قوله: (**حرمة نبيّه**) حرمة الرجل: حُرَمُه[٣] وأهله.

قوله: (**ويستعطفوهم**) أي: يجعلوهم مائلين إلى الدّين،[٤] وإلى قَبول ما قالوه عن الله تعالى مِن الأحكام والثواب والعقاب.

قوله: (**وأما الكَشْخَنَة**) قال المطرّزي في **المُغرب**: «الكشْخان: الدّيُوث[٥] الذي لا غَيْرة له، وكَشَخَه وكَشْخَنَه: شتَمه، وقال: يا كشخان،[٦] ومنه ما في **المنتقَى**: إن لم أكن كَشْخَنْتُ فلانًا، أي: جامعتُ امرأته، كأنّه بهذا الفعل جعله كَشْخان».[٧]

---

١ ن: تجليّاته.
٢ ن: أوا.
٣ ف + نساؤه؛ ن: حرمة.
٤ ن: الذين.
٥ ن: الديون.
٦ ن - يا كَشْخان.
٧ **المُغرب** للمطرّزي، «كشخ».

أي: كراهةَ أن تعودوا، أو: في أَن تعُودُوا، من قَولك: "وَعظتُ فلانًا في كذا فترَكَه"، وأبَدُهم ما دَامُوا أحيَاءً مُكَلَّفِينَ.

و﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فيه تَهييجٌ لهم ليَتَّعظُوا، وتذكيرٌ بما يُوجبُ تركَ العَود، وهو اتِّصافُهم بالإيمان الصَّادِّ عن كُلِّ مُقبَّحٍ.

﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ﴾ الدَّلالاتِ على عِلْمِه وحِكمته بما يُنَزِّلُ عَليْكم من الشَّرائع ويُعَلِّمُكم من الآدابِ الجَمِيلةِ، ويَعظكم به من المَواعِظِ الشَّافيةِ، واللهُ عالِمٌ بكلِّ شيء فاعِلٌ لِمَا يَفعَلُه بدَواعي الحِكمة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾

المعنى: يُشيعُون الفَاحِشةَ عن قَصْدٍ إلى الإشاعة وإرادَةٍ ومحبَّةٍ لهَا.

وعَذابُ الدُّنيا: الحَدُّ، ولقَد ضَرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن أُبيٍّ وحسَّانًا ومِسْطحًا، وقَعَد صفوانُ لحسَّان فضَربَه ضَرْبةً بالسَّيف وكُفَّ بَصرُهُ.

وقيل: هو المرادُ بقولِه: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ﴾.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما في القلوب من الأَسْرار والضَّمائِر ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ يَعني: أنه قد عَلم مَحبَّةَ مَن أَحبَّ الإشاعَة وهو مُعَاقِبُه عَليها.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾

قوله: **(وكُفَّ بصرُه)** يقال: كُفَّ بصره وكَفَّ،[1] بالضمّ والفتح، والمشهور الضمّ،[2] والمكفوف: الضرير.

---

[1] ن: فكف.

[2] ن - والمشهور الضمّ.

وكرَّر المِنَّةَ بتَرك المعاجَلة بالعقاب حاذِفًا جوابَ ﴿وَلَوۡلَا﴾ كما حذَفهُ ثمَّة، وفي هذا التكرير مع حَذف الجَواب مُبالغَةٌ عظيمةٌ، وكذلك في "التَّوَّاب" و"الرَّؤُوف" و"الرَّحيم".

"الفحشاءُ والفاحشَةُ": ما أَفرَط قُبْحُه، قال أبو ذُؤَيْبٍ:

ضَـرائـرُ حِـرْمـيّ تـفَـاحَـشَ غـارُهَـا

أي: أفرطَتْ غَيْرتُهَا.

و"المُنكَر": ما تُنكِرُه النفوسُ فتَنفِرُ عنه ولا تَرتَضِيه.

وقرئَ: "خَطوات" بفتح الطَّاء وسُكُونها.

و: "زَكَّى" بالتَّشديد، والضميرُ لله عزَّ وجلَّ.

﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا﴾: ولولا أنَّ الله تفضَّل عليكم بالتَّوبة المُمَحِّصَة لَمَا طَهَر مِنكم أَحَدٌ آخِرَ الدَّهر من دَنَس إثـمِ الإفكِ، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ﴾ يُطَهِّر التَّائبينَ بقَبُول تَوبتهم إذا مَحَضُوهَا، وهو ﴿سَمِيعٌ﴾ لقولهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بضَمائرهم وإخلاصِهم.

قوله: (قال أبو[1] ذُؤَيبٍ:

لـهـنَّ نـشـيـجٌ بـالـنَـشـيـل كـأنّـهـا ضـرائرُ حِـرْمـيّ تفاحش غارها)[2]

الضمير في "لهنّ" و"كأنّها" للقدور. و"النشيج": الصوت، يقال: طعنةٌ ناشِجةٌ يُسمَع صوتها عند خروج الدَّم منها، ونشج الباكي، والقِدر يَنشِج عند الغليان. و"النشيل":[3] ما يُنشَل مِن القِدر، أي: يخرج ويُجذَب، فعيل بمعنى مفعول. والضَّرّتان: امرأتان للرّجل، والجمع: الضرائر؛ سُمّيَتا بذلك لأنّ كلّ واحدة[4] منهما تريد ضَرّ صاحبتها. و"الحِرْميّ":[5] منسوب إلى حرَم مكّة. و"تفاحَش غارُها"، أي: أفرطت غَيرتها.

[1] ن: لبو.
[2] انظر: **لسان العرب** لابن منظور، «حرم».
[3] ن: والنشل.
[4] ن: واحد.
[5] ن: والجرمي.

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾

هو مِن "ائتَلى" إذا حَلَفَ، افتعَالٌ من الألِيَّة.

وقيل: مِن قَولهم: "ما ألَوْتُ جَهْدًا" إذا لم تَدَّخِر منه شيئًا.

ويَشهَدُ للأوَّلِ قراءة الحَسن: ﴿ولا يتألَّ﴾.

والمعنَى: لا يَحْلِفُوا عَلى أن لا يُحسِنُوا إلى المُستَحِقِّينَ للإحْسَان، أو: لا يُقصِّرُوا في أَن يُحْسِنُوا إليهم، وإنْ كانَت بَينهُم وبَينهم شَحْنَاءُ لجنايةٍ اقترفوهَا فلْيَعُودُوا عَليْهم بالعَفو والصَّفح ولْيَفعَلُوا بهم مثلَ ما يَرجُونَ أن يَفعَل بهم رَبُّهم مع كَثْرةِ خطايَاهُم وذُنوبِهم.

نزلَتْ في شَأنِ مِسْطَحٍ وكان ابنَ خالةِ أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، وكان فقيرًا من فقراء المهَاجرين، وكان أبُو بكر يُنفِقُ عليه، فلمَّا فَرَط مِنهُ ما فرَط آلَى أَنْ لا يُنفِقَ عليه، وكفى به داعيًا إلى المُجَامَلةِ وتركِ الاشتِغال بالمُكافأة للمُسيء.

ويُروَى: أَنَّ رسُول الله صلى الله عليه وسلم قَرأهَا على أبي بكر فقال: بَلى أُحِبُّ أَن يَغفر الله لي، ورَجَع إلى مِسْطحٍ نفَقتَه وقال: واللهِ لا أَنزِعُها أبدًا.

قوله: (والمعنى)... إلخ، أي: إن كان مِن "ائْتَلَى"[١] -أي: حلف- فحرف النفي محذوف، أي: لا يحلفوا على أن لا يُحسِنوا، وأمّا على الوجه الثاني فلا حذف فيه غير حذف الجارّ، وهو على الأوّل "على"، وعلى الثاني "في".

قوله: (شَحْناء) الشَّحناء: العداوة، وكذا الشِّحْنة.

قوله: (آلى) أي: حلف.

قوله: (وكفى به)... إلخ ابتداء كلام مِن المصنِّف، يعني: في هذه الآية حثٌّ عظيمٌ على المجاملة.[٢]

---

[١] ن: أيتكى.

[٢] ن: المحاصلة.

وقرأ أَبُو حَيْوةَ وابنُ قُطَيْبٍ: "أن تؤتوا" بالتَّاء على الالتفاتِ، ويَعضُدُه قولُه: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾

﴿ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾: السَّليماتُ الصُّدُورِ النَّقيَّاتُ القُلوب، اللَّاتي ليس فيهنَّ دَهَاءٌ ولا مَكْرٌ؛ لأنهُنَّ لم يُجَرِّبنَ الأمُورَ ولم يَرُزْنَ الأَحوالَ، فلا يَفطُنَّ لِمَا تَفطُنُ له المجرِّباتُ العَرَّافَاتُ، قال:

ولقد لَهَوْتُ بطَفْلَةٍ مَيَّالةٍ بَلهاءَ تُطْلِعُني على أَسْرَارِها

وكذلك البُلْه من الرِّجالِ في قوله: "أكثَرُ أهْلِ الجَنَّة البُلْهُ".

قوله: (**بطَفْلَةٍ**) الطَّفْل -بالفتح-: الناعم، يقال: جارية طَفْلَةٌ، أي: ناعمةٌ.[١] والطِّفلة: الحديثة السِّن.[٢]

قوله: (**وكذلك البُلهُ**)... إلخ يعني أن المراد بـ"البُله" في هذا[٣] الحديث:[٤] الذين سلمت صدورهم ونَقيت -أي: نَظُفتْ- قلوبهم، وهم الذين ليس فيهم دهاءٌ ولا مَكْرٌ؛ لأنّهم لم يُجرِّبوا الأمور الدنيويّة، ولم يَروزوا[٥] الأحوال المتعلِّقة بالفوائد العاجلة، فلا يَفطُنون لما يَفطُنه الذين لا يعلمون إلّا ظاهرًا[٦] مِن[٧] الحياة الدنيا، قال الله[٨] تعالى: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم ٣٠/٦-٧]، فالمراد بـ"البُلْه" في هذا الحديث: الذين حالهم بخلاف حال هؤلاء الغافلين عن الآخرة العالمين ظاهرًا مِن الحياة الدنيا، وهذا العلم جهل بالحقيقة، ولذلك[٩] أبدل تعالى

---

١ **الصحاح** للجوهري، «طفل».
٢ انظر: **لسان العرب** لابن منظور، «طفل».
٣ ن: هذه.
٤ **مسند البزّار**، ١٣/٣٢ (٦٣٣٩).
٥ راز يروز إذا امتَحن عمله فحذِقه وعاود فيه. **لسان العرب** لابن منظور، «روز».
٦ ن: ظاهر.
٧ ن - عن.
٨ ن - الله.
٩ ف: وكذلك.

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾

وقرئ: ﴿يَشْهَدُ﴾ بالياء، و﴿ٱلْحَقَّ﴾: بالنَّصب صفَةً للدِّين وهو الجَزاء، وبالرَّفع صِفةً لـ﴿ٱللَّهُ﴾.

ولو فَلَيْتَ القرآنَ كُلَّه وفتَّشتَ عمَّا أُوعِدَ به العُصَاةُ لم ترَ اللهَ عزَّ وجلَّ قد غلَّظَ في شيءٍ تَغليظَهُ في إفكِ عائشةَ رضي الله عنها، ولا أنزلَ من الآياتِ القَوارعِ المَشْحُونةِ بالوَعيدِ الشديدِ والعتابِ البَليغِ والزَّجرِ العَنيفِ واستِعظامِ ما رُكِبَ من ذلك واستفظَاعِ ما أُقدِمَ عليه ما أَنزَل فيه على طُرقٍ مختَلفةٍ وأسَاليبَ مُفْتنَّةٍ، كلُّ واحدٍ منها كافٍ في بابِهِ، ولو لم يُنْزِل إلَّا هذه الثَّلاثَ لكفَى بها: حيثُ جَعَل القَذفَة ملعُونِينَ في الدَّارَين جميعًا، وتَوعَّدَهم بالعَذاب العَظِيم في الآخِرة وبأَنَّ أَلسنَتَهُم وأَيديَهُم وأرجُلَهُم تشهَدُ عَليْهم بما أَفكُوا وبَهتُوا، وأنَّه يُوفِّيهم جَزاءَهم الحقَّ الواجبَ الذي هُم أَهْلُه حَتَّى يَعلَمُوا عندَ ذلك ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾، فأَوجَزَ في ذلك وأَشبَعَ، وفصَّلَ وأَجمَلَ، وأكَّد وكرَّرَ، وجاءَ بما لم يَقَعْ في وَعِيدِ المُشرِكين عبَدةِ الأَوثان إلَّا ما هو دُونه في الفظاعة، وما ذاكَ إلَّا لأمرٍ.

وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنه: أنَّه كانَ بالبَصرة يَومَ عَرفةَ، وكان يُسأَلُ عن تفسير القرآن، حَتَّى سُئِلَ عن هذه الآياتِ، فقال: مَن أَذنبَ ذنْبًا ثمَّ تابَ منه قُبِلَتْ تَوبتُه، إلَّا مَن خاضَ في أَمْر عَائشة رضي الله عنها. وهذا منه مُبَالغةٌ وتَعظِيمٌ لأَمر الإِفك.

[١٧٨و] ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا/ مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[١] عن ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ تسجيلًا على علمهم بالجهل، وعلى فِطنتهم بالبلادة.

قوله: (**ولو فَلَيْتَ**) فَلَيْتُ الشِعْر إذا تدبَّرتَه واستخرجتَ معانيه وغريبه.[٢]

قوله: (**عند ذلك**) أي: عند توفية الجزاء.

---

[١] ن - وهذا العلم جهل بالحقيقة، ولذلك أبدل تعالى ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾.

[٢] ن: وعن غريبه.

ولقَد بَرَّأَ اللهُ تعالى أرْبَعةً بأربعةٍ: برَّأَ يُوسُفَ عليه السَّلام بلسَانِ الشَّاهد ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [يوسف ٢٦/١٢]، وبَرَّأَ مُوسَى عليه السَّلام مِن قول اليهُود فيه بالحَجَر الذي ذهبَ بثوبه، وبرَّأ مريَم بإنطاق ولدِهَا حين نادَى من حَجْرِهَا: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ [مريم ٣٠/١٩]، وبَرَّأَ عَائشَةَ بهذه الآيات العظامِ في كِتابه المُعجزِ المَتْلُوِّ على وَجْهِ الدَّهْر مِثلَ هذه التَّبرئةِ بهذه المبَالغات.

فانظُر كم بَينها وبَين تَبْرئةِ أُولئكَ، وما ذاك إلَّا لإظهَار عُلوِّ مَنْزلةِ رسُول الله صلى الله عليه وسلم، والتَّنبيهِ على إنافَةِ مَحَلِّ سَيِّدِ وَلَدِ آدمَ وخِيرَة الأوَّلِينَ والآخِرين وحُجَّةِ الله عَلى العَالمين.

ومَن أَرَاد أن يتَحقَّق عظَمةَ شَأنِه وتقَدُّمَ قَدَمه وإحْرازَهُ لِقصَبِ السَّبْقِ دُونَ كُلِّ سَابقٍ فلْيتَلَقَّ ذلك من آيَاتِ الإفك، ولْيتَأمَّلْ كيفَ غضِبَ اللهُ له في حُرمَتهِ وكيفَ بَالغَ في نَفيِ التُّهمَة عن حجابهِ.

فإن قلتَ: إن كانت عائشةُ هي المُرادةَ فكيفَ قيل: ﴿ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾؟

قلتُ: فيه وجهان:

أحدُهما: أَن يُرادَ بالمُحصَناتِ أزواجُ رسُول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يُخصَّصْنَ بأَنَّ مَن قذَفهُنَّ فهذا الوعيدُ لاحقٌ به، وإذا أُردْنَ -وعَائشةُ كُبراهُنَّ مَنزلةً وقُربةً عند رسُول الله صلى الله عليه وسلم- كانَتِ المُرادَةَ أوَّلًا.

والثاني: أَنَّها أُمُّ المُؤمنينَ فجُمعَتْ إرادةً لها ولبنَاتِهَا من نسَاءِ الأُمَّةِ المَوصُوفَاتِ بالإحصَانِ والغَفْلَةِ والإيمان؛ كما قال:

قوله: **(كما قال)** خبر مبتدأ محذوف، أي: هذا الوجه الثاني المذكور في الآية مثل ما قال الشاعر: "الخُبَيبين"،[١] فكما أُريد بـ﴿ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾: عائشة، **فجُمعت** إرادةً لها ولبناتها، كذلك أريد بـ"الخُبَيبين":[٢] عبد الله **فجُمع إرادةً له ولأشياعه.**

---

١ البيت لحُميد الأرقط، وتمامه:
قـدْني مِـن نصر الخُبيبين قَـدِي
ليس الإمـام بالشَّحيح الملحدِ
انظر: **خزانة الأدب** للبغدادي، ٣٨٢/٥.

٢ ن: بالخبين.

قَـدْنـيَ مِـن نَـصْـرِ الخُـبَـيـبِـيـنَ قَـدِي

أرادَ عبْدَ اللهِ بنَ الزُّبيْرِ وأَشيَاعَهُ، وكان أَعْدَاؤُه يكنُونَه بخُبَيْبٍ ابنِهِ وكان مَضعُوفًا، وكُنيتهُ المَشهُورةُ: أبو بَكرٍ، إلَّا أَنَّ هذا في الاسْمِ وذاكَ في الصِّفة.

فإن قلتَ: ما مَعْنى قوله: ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾؟

قلتُ: معناه: ذو الحقّ البيّن؛ أي: العَادلُ الظَّاهرُ العَدْلِ الَّذي لا ظُلْمَ في حُكمِهِ، والمُحِقُّ الذي لا يُوصَفُ بباطلٍ، ومَن هذه صِفتُه لم تَسقُط عنده إِسَاءةُ مُسيءٍ ولا إِحسَانُ مُحْسِنٍ، فحَقُّ مثْلِه أَن يُتَّقى وتُجتَنَبَ مَحَارِمُه.

﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾

أي: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ﴾ من القول تُقَالُ أو تُعَدُّ ﴿لِلْخَبِيثِينَ﴾ من الرِّجال والنِّساءِ ﴿وَٱلْخَبِيثُونَ﴾ منهم يَتعرَّضُونَ ﴿لِلْخَبِيثَٰتِ﴾ من القول، وكذلك الطَّيِّبَاتُ والطَّيِّبُون.

و﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ إشَارةٌ إلى الطَّيِّبين، وأَنَّهُم مبرَّؤُونَ مما يَقُولُ الخبيثُونَ مِن خَبيثَاتِ الكَلِم، وهو كَلامٌ جَارٍ مَجْرَى المثَلِ لعَائشةَ وما رُمِيَتْ به من قَولٍ لا يُطَابِقُ حالَها في النَّزاهة والطِّيب.

ثمّ أشار إلى أنّه لا فرق بينهما، أي: بين المذكور في الآية وفي البيت، إلّا أنّ المذكور في البيت في الاسم، والمذكور في الآية في الصفة.

قوله: (**مَضعوفًا**) أي: مغلوبًا بالضعف.

قوله: (**ذو الحقّ البيّن**) فيكون ﴿ٱلْمُبِينُ﴾ مِن: أبان، بمعنى: بانَ، أي: ظهر.

قوله: (**مِن الرجال والنساء**) أشار المصنِّف رحمه الله[1] بقوله: "مِن الرجال والنساء" إلى أنّ المراد الذكور والنساء؛ لكن غُلِّب الذكور فقيل: ﴿لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ﴾.

قوله: (**وأنهم مُبرَّءون مما يقول الخَبيثون مِن خَبيثات الكلِم**) "أنّهم" -بالفتح- عطف على قوله: (**إشارةٌ**)، وفي الكلام حذف، وتقديره: والمعنى:

---

[1] د - رحمه الله.

ويجوز أن يَكُون ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ إشارةً إلى أهل البيتِ، وأَنَّهم مُبرَّؤُون مما يقُولُ أهلُ الإفك.

وأن يُرادَ بالخَبيثات والطَّيِّباتِ: النِّساء؛ أي: الخَبَائثُ يتَزَوَّجنَ الخِبَاثَ والخِبَاثُ الخَبَائثَ، وكذلك أهل الطِّيب.

وذِكرُ الرِّزقِ الكَريم ها هنا مثلُه في قَولِه: ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا﴾ [الأحزاب ٣١/٣٣].

وعن عَائشةَ رضي الله عنها: لَقَد أُعطِيتُ تِسْعًا ما أُعطِيَتْهنَّ امرَأةٌ: لَقَد نزَل جبريل عليه السلام بصُورَتي في رَاحَته حينَ أُمِرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أَنْ يتَزوَّجَني، ولقَد تزَوَّجَني بِكْرًا وما تزوَّجَ بِكرًا غَيْري، ولقَد تُوفِّي وإنَّ رأسَه لَفِي حَجْري، ولقَد قُبِرَ في بَيتِي، ولقد حَفَّته الملائكةُ في بَيْتِي، وإنَّ الوَحي لَيَنزَل عليه في أَهْله فيَتفرَّقُون عنه وإنْ كانَ لَيَنزَلُ عَليه وأنَا معه في لحَافِه، وإنِّي لَابْنةُ خَليفَتِه وصِدِّيقِه، ولقَد نَزل عُذْرِي من السَّماءِ، ولقَد خُلِقتُ طيِّبةً عندَ طيِّبٍ، ولقَد وُعِدْتُ مغفِرةً ورِزقًا كريمًا.

أنّهم...، يريد: إن كان ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى "الطيّبين" يكون المعنى: إن الطيّبين مُبرَّءون مما يقول الخبيثون، وعلى هذا المعنى يكون الكلام كالمَثل غير مختص بهذه القصّة، وإن كان هذه[1] القصّة هي المقصودة بالقصد الأوّل.

قوله: **(ويجوز)**... إلخ عطف على جملة قوله: "﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ إشارةٌ"... إلخ. وقوله: **(وأنّهم)**... إلخ عطف على اسم "أنّ"... إلخ،[2] أي: وأن يكون المعنى: إنّ أهل البيت مُبرَّءون مما يقول أهل الإفك، وعلى هذا يكون المعنى على ظاهره، ولا يكون جاريًا مجرى المَثل، بخلاف الوجه الأوّل. وقوله: **(وهو كلام)** أي: قوله: ﴿لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ﴾ إلى قوله: ﴿مِمَّا يَقُولُونَ﴾.

قوله: **(مثله)** يعني: قوله تعالى في سورة الأحزاب في حقّ أزواج النبيّ عليه الصلاة والسلام: ﴿وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا﴾ [الأحزاب ٣١/٣٣].

---

١ ن: هذا.

٢ ن – عطف على جملة قوله: "﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ إشارةٌ"... إلخ. وقوله: (وأنّهم)... إلخ عطف على اسم (أنّ)... إلخ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَاۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ٢٧﴾

﴿تَسْتَأْنِسُواْ﴾ فيه وَجْهَانِ:

أحَدُهما: أنَّه من الاستئناس الظَّاهِر الذي هو خِلافُ الاستِيحَاشِ؛ لأنَّ الَّذي يَطْرُقُ بابَ غَيْره لا يَدْرِي أيُؤذَنُ له أَمْ لا، فهو كالمُستَوحِش من خفاءِ الحال عليه، فإذا أُذِنَ له استَأنَسَ، فالمَعنى: حَتَّى يُؤذَنَ لكم؛ كقوله: ﴿لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب ٣٣/٥٣]، وهذا من باب الكنَاية والإردافِ؛ لأنَّ هذا النوع من الاستئناس يُرْدَفُ الإذنَ، فوُضع مَوضع الإذْن.

والثاني: أن يكون مِن الاستِئْنَاسِ الَّذي هو الاستِعْلامُ والاستِكشَافُ، استِفعَالٌ مِن آنسَ الشيءَ: إذا أَبْصَرهُ ظَاهِرًا مكشُوفًا، والمعنَى: حَتَّى تستعلِمُوا وتَستكشِفُوا الحالَ: هل يُرادُ دُخُولُكُم أَمْ لَا؟ ومِنه قَولُهم: "استَأنِسْ هَلْ تَرى أحَدًا؟" و: "استَأنَستُ فَلم أرَ أحَدًا"؛ أي: تَعرَّفتُ واستَعلَمتُ، ومِنه بَيتُ النَّابغة:

عَـلَـى مُـسْـتَـأنِـسٍ وَحَـدِ

ويجوز أن يكون من الإنس، وهو أن يتعرَّفَ: هل ثَمَّ إنسَانٌ؟

قوله: (ومنه بيت النابغة:

عـلـى مـسـتـأنـسٍ وَحَـدِ)

رجلٌ وَحَدٌ، أي: منفرد، قال النابغة:

كـأنَّ رَحـلـي وقـد زال الـنـهـار بنا بـذي الجليلِ على مستأنسٍ وحَـدِ[1]

قال الأصمعيّ: "زال النهار"، أي: انتصف. و"بنا" في معنى "علينا". و"الجليل" نبت، و"ذو الجليل": موضع فيه ذلك النَّبت. و"المستأنِس": الذي يخاف الأنيس. وقال أبو عمرو: الذي يستأنس وحده. وقيل: المستأنس: الذي يرفع رأسه هل يرى شبَحًا، أي: شخصًا؟ واستأنس الوحش إذا أحسّ إنسيًّا.

---

[1] ن: بوحد. | ديوان النابغة الذبياني، ص ١٧.

وعن أبي أيُّوبَ الأَنصَاريِّ: قُلنَا: يا رسُولَ الله، ما الاستِئناسُ؟ قال: «يَتكَلَّمُ الرجلُ بالتَّسبيحَةِ والتَّكبِيرة والتَّحميدَة، يَتنَحنَح يُؤذِنُ أهْلَ البيت».

والتَّسليمُ أَنْ يَقُول: السَّلامُ عليكم أَأَدْخُلُ؟ ثلاثَ مَرَّاتٍ، فإن أُذِن له وإلَّا رَجَعَ.

وعن أبي مُوسى الأشعريِّ أنَّه أَتى بابَ عُمَر فقال: السَّلام عليكم أَأَدخُلُ؟ قالها ثلاثًا ثمَّ رجَعَ وقَال: سمِعتُ رسُول الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «الاستِئذانُ ثلاثٌ».

واستَأذَن رجُلٌ على رَسُول الله صلى الله عليه وسلم فَقال: أَأَلِجُ؟ فقَال عليه السلام لِامرأةٍ يُقَالُ لهَا رَوضَةُ: «قُومِي إلى هَذا فعَلِّميهِ فإنَّه لا يُحسِنَ أَن يَستَأذِنَ، قُولِي له يقولُ: السَّلامُ عَليْكم أَأَدخُلُ؟» فسَمِعَهَا الرجُلُ فَقَالها فَقال: «اُدْخُل».

وكانَ أَهْلُ الجَاهليَّة يقُولُ الرَّجُل منهُم إذا دَخل بَيتًا غيرَ بَيتِه: "حُيِّيتُم صَبَاحًا" و"حُيِّيتُم مسَاءً" ثمَّ يَدْخُلُ، فرُبَّما أَصَابَ الرجُلَ مع امرَأتهِ في لحَافٍ واحِدٍ، فصدَّ اللهُ عَن ذلك وعَلَّم الأَحْسَنَ الأَجْملَ.

وكَمْ مِن بابٍ من أبوَابِ الدِّين هو عِند الناس كالشَّريعَة المَنسُوخة قد تَركُوا العَملَ به، وبابُ الاستئذانِ من ذَلك، بَيْنَا أَنْتَ في بَيتِك إِذْ رَعَفَ عَليك البَابُ بوَاحِدٍ من غيْر استِئْذانٍ ولا تَحيَّةٍ من تحايَا إسْلام ولا جَاهِليَّةٍ، وهو ممَّن سَمِعَ ما أنزَل اللهُ فيه وما قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم؛ ولكن أَيْنَ الأُذُنُ الوَاعِيَةُ؟!

وفي قراءةِ عبد الله: "حتى تسلِّموا على أهلها وتستأذِنوا".

وعن ابن عبَّاسٍ وسعيدِ بن جُبَيرٍ: إنَّما هُو "حتَّى تستَأذِنُوا" فأخطَأَ الكاتِبُ،

قوله: (فإن أُذن له) جوابه محذوف، أي: فإن أُذنَ[1] له دخل. وقوله: (وإلّا رجع) أي: وإن لا يؤذن له يرجع.

قوله: (إذا رعَف) رَعَف الفرسُ يرعف: سبق وتقدّم.

---

[1] ن: فأذن.

ولا يُعَوَّلُ عَلى هذه الرِّواية، وفي قراءة أُبَيّ: "حتى تستأذِنوا".

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الاستئذانُ والتَّسليمُ ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من تحيَّةِ الجَاهليَّة والدُّمُورِ، وهُو الدُّخولُ بغَير إِذْنٍ، واشتِقاقُه من الدَّمارِ وهو الهلاكُ؛ كأنَّ صَاحبَه دَامرٌ لِعظَمِ ما ارتكبَ.

وفي الحديث: «مَن سَبقَتْ عَينُه استِئْذَانَه فقَد دَمَر».

ورُوي: أنَّ رَجُلًا قال للنَّبيّ صلى الله عليه وسلم: أَأَستَأذِنُ عَلى أُمّي؟ قال: «نعَم» قال: إِنَّها ليس لها خادمٌ غيْرِي أَأَستأذِنُ عَليهَا كُلَّما دَخلْتُ؟ قال: «أَتحِبُّ أَن تَراهَا عُريانةً؟» قال الرَّجُلُ: لَا، قال: «فاستَأذِن».

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: أُنزِلَ عَليكم -أو: قيل لكُم- هذا إرادةَ أَنْ تَذكَّرُوا وتَتَّعِظُوا وتعملوا بما أُمِرتُم به في باب الاستِئْذانِ.

﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ٢٨﴾

يَحْتَمِلُ: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا﴾ من الآذِنِينَ ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا﴾ واصْبِرُوا حتَّى تَجِدُوا مَن يَأذنُ لكم.

قوله: **(ولا يُعوَّل)**[١] يعني: ينبغي أن لا يعتمَد على هذه الرواية؛ لأنّ قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ﴾ ثبت متواترًا، وهذه الرواية ضعيفة، أي: لم تثبت عن الثقات أنّهما قالاه، يريد: أنه لم تثبت عن ابن عبّاس وسعيد بن جُبير رضي الله

[١٧٨ظ] عنهما[٢] أنّهما قالا ذلك، / فمَن رواه عنهما ليس ممّن يُعتدُّ بروايته.[٣]

قوله: **(أي: أُنزل)**... إلخ يعني: أنّ قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ متعلّق بمحذوف، لا بشيء ممّا ذكِر قبله.

---

١ ن: ولا يقول.

٢ د - رضي الله عنهما. | **جامع البيان** للطبري، ٢٣٩/١٧ (النور، ٢٧/٢٤)؛ **المستدرك** للحاكم ٤٣٠/٢ (٣٤٩٦).

٣ وقد بالغ أبو حيّان رحمه الله في إنكار هذه الرواية ثمّ قال: «و"تستأنسوا" متمكّنة في المعنى، بيّنة الوجه في كلام العرب». انظر: **البحر المحيط** لأبي حيّان، ٣١/٨ (النور، ٢٧/٢٤).

ويَحْتمِلُ: ﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا﴾ من أهلها ولكُم فيها حاجَةٌ ﴿فلا تَدْخُلوهَا﴾ إلَّا بإِذْنِ أَهْلِها، وذلك أنَّ الاستِئذانَ لم يُشرَعْ لئلَّا يَطَّلِعَ الدَّامرُ عَلى عَوْرةٍ ولا تَسبِقَ عَينُه إلى ما لا يَحِلُّ النَّظرُ إليه فقَط، وإنَّما شُرع لئلَّا يُوقَفَ على الأَحْوالِ التي يَطْوِيهَا النَّاسُ في العَادة عن غَيرهم ويَتحَفَّظُونَ من اطِّلاعِ أَحَدٍ عَليْهَا، ولأنَّه تَصَرُّفٌ في مِلْكِ غَيْرِكَ فلا بُدَّ من أَنْ يَكُون برضاه وإلَّا أشبَهَ الغَصْبَ والتَّغلُّبَ.

﴿فَٱرۡجِعُواْ﴾؛ أي: لا تُلِحُّوا في إطْلاق الإذن ولا تَلِجُّوا في تسهِيل الحجَابِ، ولا تَقِفُوا عَلى الأبوابِ مُنتَظِرينَ؛ لأنَّ هذا ممَّا يَجْلُبُ الكراهةَ ويَقْدَحُ في قلُوب النَّاس، خصُوصًا إذا كانوا ذَوي مُرُوَّةٍ ومُرتَاضينَ بالآدَاب الحسَنةِ، وإذا نُهيَ عَن ذلك لأدَائه إلى الكراهيَة وَجبَ الانتهاءُ عن كُلِّ ما يُؤدِّي إليهَا: من قَرْعِ البَابِ بعُنفٍ، والتَّصييح بصاحب الدَّارِ، وغَيْرِ ذلك ممَّا يدْخُلُ في عاداتِ مَن لَم يَتهَذَّبْ من أكثَر النَّاسِ.

وعن أبي عُبَيد رحمه الله: ما قَرَعْتُ بابًا عَلى عَالِمٍ قَطُّ.

قوله: (وذلك أنّ الاستئذان)... إلخ، قال عليه الصلاة والسلام: «إنّما جعل الاستئذان لأجل البصر».[1]

قوله: (أي: لا تُلِحُّوا)[2] مِن الإلحاح بالحاء؛ وهو المبالغة في السؤال. وقوله: (ولا تَلِجُّوا) مِن اللَّجاج، يقال: لَجِجتَ -بالكسر- تَلَجُّ لَجاجًا[3] ولَجاجةً فهو لَجوج. وقوله: "أي: لا تُلحُّوا"[4] يشير به إلى أن ليس المراد بقوله تعالى: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ﴾ أن[5] يؤمَروا صريحًا بالرجوع؛ بل المراد أن لا يؤذَن لهم في الدخول بعد الاستئذان بالتسليم ثلاثَ مرّات، فإنّ الواجب حينئذٍ الرجوع مِن غير توقّف في طلب الإذن.

قوله: (مِن أكثر الناس) بيان "مَن".

---

١ صحيح البخاري، ٨/٥٤ (٦٢٤١).
٢ ن: لا تحلوا.
٣ ن: لججًا.
٤ ن: لا تلجّوا.
٥ ن: أي.

وكفَى بقصَّة بني أَسَدٍ زَاجِرةً، وما نَزلَ فيها من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات ٤/٤٩].

فإن قلتَ: هَل يَصِحُ أَن يكُون المعْنَى: وإنْ لم يُؤذَنْ لكم وأُمِرتُم بالرُّجُوع فامتَثِلُوا ولا تَدْخلُوا معَ كَراهَتِهم؟

قلتُ: بعدَ أَنْ جُزِمَ النَّهيُ عن الدُّخول مع فَقْدِ الإِذْنِ وَحْدَهُ من أَهْل الدَّارِ حَاضِرين وغائِبينَ لم تَبقَ شُبْهةٌ في كونه مَنهِيًّا عنه مع انضِمامِ الأمر بالرُّجُوع إلى فَقْدِ الإِذْن.

فإن قلتَ: فإذَا عَرَضَ أَمْرٌ في دار: من حَرِيقٍ، أو هُجُومِ سَارقٍ، أو ظُهُورِ مُنكَرٍ يَجِبُ إنكارُه؟

قلتُ: ذاك مُستثنًى بالدَّليلِ.

﴿هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾؛ أي: الرجوعُ أطيبُ لكم وأَطْهَرُ؛ لِمَا فيه من سَلامةِ الصُّدُورِ والبُعْدِ من الرِّيبةِ، أو: أَنفعُ وأَنمَى خَيْرًا.

ثم أَوْعَد المخاطَبين بذلك بأنَّه عَالمٌ بما يَأْتُونَ وما يَذَرُونَ ممَّا خُوطِبُوا به فَمُوفٍّ جَزاءَهُ عليه.

﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله: (**قلتُ: بعد أن جُزِم**)... إلخ، وإذا كان هذا المعنى واضحًا لا شبهة فيه فلا يكون في ذكره فائدة جديدة، فالأَولى حمْل الآية على المعنى الأوّل؛ ليفيد فائدة جديدة.

قوله: (**يجب إنكاره**) هذا صفة "منكَر"، وجواب "إذا" محذوف، أي: فهل يكون الدخول بغير الإذن حرامًا أيضًا؟ فأجاب: بأنّه لا يكون حرامًا، فهو مستثنًى مِن هذا بدليل خارجيّ.

قوله: (**أي: الرجوع أطيب**)... إلخ يعني: يجوز أن يكون ﴿أَزْكَىٰ﴾ مِن الزكاء بمعنى: الطهارة، أو بمعنى: النَّماء.

استُثني من البُيوت التي يَجب الاستِئْذانُ على داخِلها: ما ليس بمسكُونٍ منها، وذلك نحوُ الفنادِق -وهي الخَاناتُ- والرُّبُطِ وحَوانيتِ البيَّاعين.

و"المتاع": المنفعةُ؛ كالاستِكْنان من الحَرِّ والبَرد، وإيواءِ الرِّحَال والسِّلَع، والشِّرَاءِ والبَيْع.

ويُروى: أنَّ أبا بكر الصِّدِّيقَ رضي الله عنه قال: يا رسولَ الله، إنَّ الله قد أنزل عَليْك آيةً في الاستئذان، وإنَّا نختلفُ في تجَاراتِنا فنَنزِلُ هذه الخاناتِ، أَفلَا نَدخُلها إلَّا بإذنٍ؟

وقيل: الخَرِباتُ يُتبَرَّزُ فيهَا، والمتَاع: التَّبرُّز.

قوله: **(نحو: الفنادق)** قال في **المُغرب**: «الفنادق: جمع فُندق، بلفظ الجَوز البُلغَريّ،[١] وهو بلغة أهل الشام: خانٌ مِن هذه الخانات التي يَنزلها الناس ما يكون في الطريق والمدائن».[٢]

قوله: **(والرُّبُطِ)** الرُبُط: ما يسكنه البيّاعون، كما يسكنون الحوانيت، فلذا عطفه على "الفنادق".

قوله: **(كالاسْتِكنان)**... إلخ، فيه لفّ ونشر، فـ"الاستِكنان" و"الإيواء"[٣] متعلِّق بـ"الفنادق"، و"البيع" و"الشِّرى" متعلِّق بـ"الرُبُط" و"الحوانيت". قوله: "كالاستِكنان"... إلخ، يقال: كننت[٤] الشيء، أي: ستَرته، واستكنّ: استَتر، وهو متعلِّق بـ"الفنادق"، وكذا قوله: **(وإيواء الرجال)**[٥] متعلِّق به، وكذا "إيواء السلع". وأمّا قوله: **(والشِّرى والبيع)** فمتعلِّق بـ"حوانيت البيّاعين" وبـ"الرُبُط" أيضًا.

قوله: **(وقيل الخَرباتُ)** عطف على قوله: "نحو: الفنادق"... إلخ.

قوله: **(والمتاع: التبرُّز)** "التبرُّز": الخروج إلى البِراز، يريد[٦] به قضاء حاجة الإنسان.

---

١ ن: البلغوي.

٢ **المُغرب** للمطرّزي، «فدق».

٣ ن: الإيواء.

٤ ف: كتبت؛ ن: كنفت.

٥ في مطبوع **الكشّاف**: "الرحال" بالحاء المهملة.

٦ ف: ويريد.

﴿يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ وعيدٌ للّذين يَدخلُون الخَرِباتِ والدُّورَ الخالية من أهل الرِّيبة.

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿مِنْ﴾ للتبعيض، والمراد: غَضُّ البَصر عَمَّا يَحرُم والاقتصارُ به على ما يَحِلُّ، وجوَّز الأخفش أن تكُون مَزيدةً، وأباه سيبَويه.

فإن قلتَ: كيف دَخلَتْ ﴿مِنْ﴾ في غضِّ البَصر دُون حِفظ الفُروج؟

قلت: دلالةً على أنَّ أَمْرَ النَّظرِ أوسَعُ، ألَا تَرَى أَنَّ المحَارم لا بأسَ بالنَّظر إلى شعُورهنَّ وصُدُورهنَّ وثُدِيِّهِنَّ وأعضادهن وأسوُقهنَّ وأَقدَامهنَّ، وكذلك الجَوارِي المُستَعرضاتُ، والأجنبيَّةُ يُنظَرُ إلى وَجْهها وكَفَّيهَا وقَدمَيْها في إحْدى الرِّوايتين، وأمَّا أَمْرُ الفَرج فمُضيَّق، وكَفاك فرقًا أَنْ أُبيحَ النَّظرُ إلَّا ما استُثْني منه وحُظِرُ الجماعُ إلَّا ما استُثْني منه.

ويجوز أَن يُرادَ ....

قوله: (**مِن أهل الرِّيبة**) "الرِّيبة": الشكّ والتُّهمة، وأهل الرِّيبة: هم المتَّهمون بالمعصية والإفساد.

قوله: (**الجواري المُستعرَضات**) أي: اللاتي يُطلب عَرضهنّ وقت البيع للنظر إليهنّ، قال المطرّزي في **المُغرب**: «العَرض: خِلاف الطول، والعُرض -بالضمّ-: الجانب، ومنه: أوصى أن ينفَق عليه مِن عُرض ماله، أي: مِن أيّ جانب منه مِن غير تعيين، وقولهم:[1] عَرض عليه المتاع؛ إمّا لأنّه يريه طوله وعَرضه، أو عُرضًا مِن أعراضه، واعترض الجند للعارض، واعترضهم العارض إذا نظر فيهم».[2]

قوله: (**قلت: دلالةً**)... إلخ، أشار المصنِّف في الجواب إلى أنّ المراد بحفظ الفُروج: حفظها عن الزنى، ثمّ أشار بقوله: (**ويجوز**)[3] إلى أنّه يجوز أن يكون

---

١ ن: وقوله.
٢ **المُغرب** للمطرّزي، «عرض».
٣ ن – ويجوز.

مع حِفْظِها عن الإفضاء إلى ما لا يَحِلُّ حِفظُها عن الإبْدَاء.

وعن ابن زَيد: كُلُّ ما في القرآن من حفظ الفُروج فهو عن الزنا، إلَّا هذا فإنه أرَاد به الاستِتَار.

ثم أَخبر أنَّه ﴿خَبِيرٌ﴾ بأحوَالِهم وأفعَالِهم، وكيف يُجيلُونَ أبصَارهُم، وكيف يَصنعُونَ بسَائر حَواسِّهم وجَوارحهم، فعَليْهم إذْ عَرفوا ذلك أَن يكُونوا منه على تَقوَى وحَذَرٍ في كلِّ حركةٍ وسُكونٍ.

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾

النساءُ مأمُوراتٌ أيضًا بغَضِّ الأبصار، ولا يَحِلُّ للمرأة أَن تَنظر من الأَجنبيِّ إلى ما تَحت سُرَّته إلى رُكبَتِه، وإنِ اشتَهَت غَضَّتْ بصَرها رَأسًا، ....

المراد بالحفظ: المعنى المشترك بين الحفظ مِن الزنى ومِن النظر، وأشار بما[١] / رُوي [١٧٩و] عن ابن زيد إلى وجه ثالث، وهو ظاهر. وقوله: (مع حِفظِها) أي: حفظ الفُروج. وقوله: (حِفظُها) هو القائم مقام فاعل "يُراد"، أي: يجوز أن يكون المراد بالآية: حفظ الفُروج عن الإظهار -أي: ستر العورة- مع حفظ الفُروج عن الإفضاء إلى ما لا يَحلّ.

قوله: (وكيف) عطف على قوله: (بأحوالهم) مِن حيث المعنى، فكأنَّه قال: ويعلم كيف يُجيلون.

قوله: (وإن اشتهتْ) يعني: حِلّ النظر المذكور إذا كان بغير[٢] شهوة، وإن كان بشهوةٍ فلا يَحلّ النظر أصلًا.

---

[١] ف: إلى ما.
[٢] ف: يغر.

ولا تَنظُر من المرأة إلَّا إلى مثلِ ذلك، وغَضُّهَا بصَرَها من الأَجانب أصلًا أَوْلَى بها وأَحسَنُ، ومنه حديثُ ابن أُمّ مَكتُوم عن أمّ سَلمة قالت: كُنْتُ عندَ النَّبيّ صلى الله عليه وسلم وعِنده مَيْمونَةُ، فأَقبلَ ابن أُم مكتُوم وذلك بَعد أَن أُمِرنَا بالحِجاب، فدَخل عَلينَا فقال: «احتجِبَا» فقُلنَا: يا رسول الله! أَلَيس أَعمى لا يُبصِرنَا؟ فقَال: «أَفعميَاوَانِ أنتُما، أَلَسْتُما تُبْصِرَانِه».

فإن قلتَ: لم قُدِّم غضُّ الأَبصار على حفظِ الفرُوج؟

قلتُ: لأنَّ النَّظر بَريدُ الزِّنى ورَائدُ الفجُور، والبَلوى فيه أَشَدُّ وأَكثرُ، ولا يَكادُ يُقدَرُ عَلى الاحتِراس منه.

"الزِّينةُ": ما تَزيَّنتْ به المرأةُ من حُليّ أو كُحلٍ أو خِضَاب، ....

قوله: (**قلتُ: لأنّ النظر بريد الزنى**)[١] البريد: الرسول، قال في **المُغرب**: «البريد: البغلة[٢] المرتّبة في الرِّباط، تعريب[٣] 'بريده دم'، ثمّ سمّي به الرسول المحمول عليها، ثمّ سُمّيت المسافة به، والجمع: بُرُدٌ بضمّتين،[٤] ومنه: 'كان ابن عبّاس وابن عمر رضي الله عنهما[٥] يَقصُران ويُفطِران في أربعة بُرُد'؛[٦] وهي ستّة عشر فرْسخًا».[٧] و"الرائد": المقدِّمة أو الطالب، يقال: رادَ الكلأ،[٨] أي: طلبه، ومنه[٩] المَثَل:[١٠] "الرائد لا يَكذِب أهلَه"،[١١] وهو رسول القوم يبعثونه أمامهم؛ لِيَرود الكلأ والماء.

قوله: (**ولا يكاد**)[١٢] يعني: أنّ الاحتراس عن النظر مشكِل متعسِّر، كأنّه متعذّر غير مقدور؛ فلذا قُدّم النهي عنه لشدّة الاعتناء.

قوله: (**مِن حُليّ**) الحُليُّ: جمع حَلْيٍ.

---

١ ن: الزناه.

٢ ن: البلغة.

٣ ن: تعريف.

٤ ف: بضمين.

٥ د - رضي الله عنهما.

٦ **صحيح البخاري**، ٤٣/٢، معلّقًا.

٧ **المُغرب** للمطرّزي، «برد».

٨ ن: الكلام.

٩ ف - منه.

١٠ ف: مثله.

١١ انظر: **مجمع الأمثال** للميداني، ٢٣٣/٢، وقال: «يُضرب فيما يخاف من غِبّ الكذب».

١٢ ن - يكاد

فما كان ظاهرًا منها كالخاتَم والفَتْخَة والكُحلِ والخضَابِ فلا بأس بإبدائه للأجانبِ، وما خَفِي منها كالسِّوار والخَلخال والدُّمْلُج والقِلادة والإكليل والوِشَاحِ والقُرْطِ فلا تُبدِيه إلا لهؤلاء المذكورين.

وذِكرُ الزِّينة دون مَواقعها للمُبالَغة في الأمر بالتصوُّنِ والتَّستُّر؛ لأن هذه الزِّيَنَ واقعةٌ على مَواضعَ من الجَسَد لا يحِلُّ النظر إليها لِغَير هؤلاء، وهي الذِّراعُ والسَّاقُ والعَضُدُ والعُنقُ والرأسُ والصَّدر والأُذن، فنُهيَ عن إبداء الزِّيَنِ نفسِها ليُعلَم أن النَّظر إذا لم يَحلَّ إليها لمُلابَستِها تلك المَواقعَ -بدليلِ أنَّ النَّظر إليها غَيرَ ملابِسةٍ لها لا مقالَ في حلِّهِ- كان النظرُ إلى المَواقِع أنفُسِها مُتَمكِّنًا

قوله: **(والفتَخَة)**[1] "الفتَخَة"[2] -بالتحريك-: حلْقة مِن فضّة لا فصّ فيها، فإذا كان فيها فصّ فهو الخاتَم.

قوله: **(والدُّمْلج)** الدُّمْلجُ والدُّمْلوج: المِعْضَدُ، يقال: ألقى عليَّ دماليجَه.[3]

قوله: **(والإكليل)** "الإكْليل": شِبه عصابة مُزَيَّن بالجوهر، وسمّي[4] التاج: إكْليلًا.

قوله: **(والوِشاح)** "الوِشاح": قلادة طويلة تضع البدويّة وسْطها على عُنقها، ثمّ تُخالف بين طرفيها على صدرها حتّى تكون كهيئة "لام ألف"، ثمّ تديرها على حَقْوَيْها، قال في **الصِّحاح**:[5] «الوِشاح: يُنسَج مِن أدِيم عريضًا،[6] ويرصَّع بالجواهر، وتشدُّه المرأة بين عاتِقَيها وكشْحَيها».[7]

قوله: **(لهؤلاء المذكورين)** أي: في الآية مِن: ﴿لِبُعُولَتِهِنَّ﴾... إلى آخره.

قوله: **(بدليل)** بيان أنّ حرمة النظر إلى هذه الأشياء مختصّة[8] بما إذا كانت ملابسة لتلك المواقع.

---

١ ن: والفتحة.

٢ ن: الفتحة.

٣ ألقى عليه دَماليجهُ، أي: ثِقَله. مجمل اللغة لابن فارس، «دملج».

٤ ف ن: ويسمّى.

٥ ن - في **الصحاح**.

٦ ف: عرضًا.

٧ **الصحاح** للجوهري، «وشح». والكَشْحُ: ما بين الخاصرة إلى الضلعِ الخَلْفِ. **الصحاح** للجوهري، «كشح».

٨ ن: محيصة.

في الحَظْرِ ثابِتَ القَدم في الحُرمَة شاهِدًا عَلى أنَّ النِّساء حَقُّهُنَّ أن يَحتَطْنَ في سَتْرِها ويَتَّقِينَ اللهَ في الكَشف عنها.

فإن قلتَ: ما تقولُ في القَرامِيل هَل يَحِلُّ نظرُ هؤلاء إليها؟

قلتُ: نعَم.

فإن قلتَ: أليس مَوقعُها الظَّهرَ، ولا يَحلُّ لَهُم النظرُ إلى ظَهْرهَا وبَطنها، ورُبَّما وَرَدَ الشَّعرُ فَوقَعت القَرامِيلُ على ما يُحاذي ما تَحت السُّرَّة؟

قلتُ: الأَمرُ كما قلتَ؛ ولكنَّ أمرَ القَراميل خِلافُ أَمْرِ سَائر الحُليِّ؛ لأنَّه لا يقَع إلَّا فوقَ اللِّبَاسِ ويجوز النَّظرُ إلى الثَّوب الواقع على الظَّهر والبَطن للأجَانبِ فضْلًا عن هؤلاء، إلَّا إذا كان يَصفُ لرقَّتِه فلا يَحِلُّ النظرُ إليه، فلا يحِلُّ النظرُ إلى القراميلِ واقعةً عليه.

فإن قلتَ: ما المراد بمَوقع الزِّينة: ذلك العُضوُ كُلُّهُ، أم المِقدارُ الَّذي تُلابِسُه الزِّينة مِنْهُ؟

قلتُ: الصَّحيحُ أنَّه العضوُ كُلُّه كما فَسَّرْتُ مواقعَ الزينة الخفِيَّة، وكذلك مَواقعُ الزِّينة الظَّاهِرة: الوَجهُ موقعُ الكحْل في عَينَيه، والخضابِ بالوَسْمَةِ

قوله: (**فإن قلتَ: ما تقول في القراميل؟**) "القرامِيل":[١] ما تشدُّه المرأة في شعرها.

قوله: (**يَصِف**) يعني: لا يستر[٢] ما تحته لرِقّته، فكأنه يُبيّنُه ويصِفه. قال المطرّزي في **المُغرب**: «الثوب الرقيق يصِف ما تحته كما يصِف الرجل سِلعته».[٣]

قوله: (**فلا يَحِلُّ النظر إليه**)... إلخ، الضمير مِن قوله: "إليه" و"عليه" يعود إلى "الثوب الرقيق"، يعني: إذا كان الثوب[٤] رقيقًا يَصِف الظَّهر والبطن لا يجوز النظر إلى ذلك الثوب الرقيق، وإذا لم يجُز النظر إلى الثوب الرقيق الواقع على الظهر والبطن لا يجوز النظر إلى القراميل[٥] الواقعةِ على ذلك الثوب الرقيق.

---

١ د ن: القرامل.

٢ ن – لا يستر.

٣ **المُغرب** للمطرّزي، «وصف».

٤ ن – الثوب.

٥ ن: القرامل.

في حَاجبَيْه وشَاربيْه، والغُمرةِ في خدَّيْه، والكفُّ والقَدمُ مَوقعَا الخَاتَم والفَتخَةِ والخضابِ بالحنَّاء.

فإن قلتَ: لمَ سُومِحَ مُطلقًا في الزِّينة الظَّاهِرة؟

قلتُ: لأنَّ سَتْرَها فيه حَرجٌ، فإن المرأةَ لا تجِدُ بُدًّا من مُزاوَلة الأشياءِ بيَدَيْها، ومن الحَاجة إلى كشْف وَجْههَا خصُوصًا في الشَّهَادة والمُحَاكَمة والنِّكاحِ، وتُضطَرُّ إلى المَشي في الطُّرقَاتِ وظهُورِ قدمَيْها وَخاصَّةً الفقيراتُ منهُنَّ، وهذا معنَى قَولِه: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ يعني: إلَّا ما جَرت العَادةُ والجِبِلَّةُ على ظُهُوره والأَصْلُ فيه الظهُورُ، وإنَّما سُومِح في الزِّينَة الخفيَّةِ أُولئك المذكورُونَ لِمَا كانوا مختصِّين به من الحَاجة المضطَرَّة إلى مُدَاخَلتِهم ومُخالطَتِهم، ولقلَّةِ تَوقُّعِ الفِتنَةِ من جهَاتِهم، ولِمَا في الطِّباع من النَّفرة عن مُماسَّةِ القَرائبِ، وتحتَاجُ المَرأةُ إلى صُحبتهم في الأَسفار للنُّزول والرُّكُوب وغيرِ ذلك.

﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ كانت جُيُوبُهنَّ واسِعةً تَبدُو منها نحُورُهنَّ وصُدُورهُنَّ وما حَواليها، وكُنَّ يَسدُلْنَ الخُمُرَ من ورَائِهنَّ فتَبقى مكشُوفةً، فأُمِرنَ بأَن يَسْدِلنهَا مِن قُدَّامِهنَّ حَتَّى يغطِّينَهَا.

ويجوز أن يراد بالجيُوب: الصُّدورُ، تسميةً بما يَلِيهَا ويُلابِسُها، ومنه قولُهم: "ناصِحُ الجَيْب".

وقولُكَ: "ضرَبَت بخمارها على جَيْبها"، كقولك: "ضَرَبْتُ بيَدي على الحَائِط": إذا وضَعْتَها عليه.

قوله: (والغُمرة) "الغُمرة": طِلاء يُتّخذ مِن الوَرْس؛ ليَصفو لونها.

قوله: (وما حواليها) يقال: قعد حَولَه وحَوالَه وحَولَيه وحَوالَيه،[1] ولا تقل: حوالِيه بكسر اللام.

قوله: (فتبقى مكشوفةً) أي: فتبقى النحور والصدور وما حوالَيها.

قوله: (ناصح الجَيب) رجل / ناصح الجَيب، أي: نقيّ القلب. [١٧٩ظ]

---

[1] ن - وحوالَيه.

وعن عائشة رضي الله عنها: «ما رأيتُ نِسَاءً خيْرًا من نساء الأنصار؛ لمَّا نزلَت هذه الآيةُ قامَت كُلُّ واحدةٍ منهنَّ إلى مِرْطِهَا المُرَحَّلِ فصَدَعتْ منه صدعَةً فاختَمَرن، فأصبَحْنَ على رُؤوسِهنَّ الغِربَانُ».

وقرئ: ﴿جِيُوبهن﴾ بكسر الجيم لأجْل الياء، وكذلك: ﴿بِيوتًا غير بيوتكم﴾.

قيل في ﴿نِسَآئِهِنَّ﴾: هنَّ المؤمنَاتُ؛ لأنَّه ليسَ للمؤمنة أن تتَجَرَّد بين يدَي مُشركةٍ أو كتابيَّةٍ؛ عن ابن عباس.

والظَّاهرُ أنَّه عُنِيَ بـ﴿نِسَآئِهِنَّ﴾ و﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾: مَن في صُحبتهنَّ وخِدمتهنَّ من الحرَائرِ والإماءِ، والنِّساءُ كُلُّهنَّ سَواءٌ في حِلِّ نظَرِ بَعضهِنَّ إلى بَعضٍ.

وقيل: ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ هُم الذُّكُور والإناثُ جميعًا، وعن عائشةَ رضي الله عنها أنَّها أَباحت النَّظرَ إليها لعَبدِها، وقالت لذكوانَ: إنَّك إذا وضعتَني في القَبْر وخَرجتَ فأنتَ حُرٌّ.

قوله: (المُرحَّل)[١] "المرحَّل"[٢]: الثوب الذي عليه صور[٣] الرِّحال،[٤] والرِّحال:[٥] واحد الرَّحْل.[٦]

قوله: (الغِربان)[٧] أي: المِئزر المعلَّم.[٨]

قوله: (كلُّهن سواء) يعني: لم يحترز بقوله: ﴿نِسَآئِهِنَّ﴾ عن الكتابيّات.

قوله: (لذَكوان) هو عبد عائشة رضي الله عنها.[٩]

قوله: (إذا وضعتَني)[١٠] فهذا[١١] يدلّ على أنّها جعلَته كالمَحارم، فيجوز نظر العبد إلى سيّدته.

---

١ ن: المرجّل.

٢ ف ن - المرحّل.

٣ ن: صدر.

٤ ن: الرجال.

٥ ن: فالرجال.

٦ ن: الرجل.

٧ ن: العربان.

٨ ن: العلم. | وقال ابن الأثير: «شبّهت الخُمُر في سوادها بالغِربان جمع غراب». **النهاية** لابن الأثير، ٣٥٢/٣.

٩ د - رضي الله عنها.

١٠ انظر: **مصنّف عبد الرزاق**، ٣٩٣/٢ (٣٨٢٤)، ولفظه فيه: قالت عائشة رضي الله عنها: «إذا غيّبني أبو عمرو ودلّاني في حفرتي فهو حرّ». وأبو عمرو هو ذكوان مولاها.

١١ ن: نهدا.

وعن سعيد بن المُسيّب مِثلُه، ثمَّ رجَع وقال: لا تَغُرَّنَّكُم آيةُ النُّور فإن المراد بها الإماءُ، وهذا هو الصَّحيحُ؛ لأنَّ عَبد المرأة بمَنزلة الأجنبيّ منها خَصِيًّا كان أو فحلًا.

وعن مَيْسُونَ بنتِ بَحْدَلٍ الكِلابيَّة: أَنَّ مُعَاويَة دَخل علَيها ومعه خصيٌّ فتقنَّعتْ مِنه، فقال: هو خصيٌّ، فقالت: يا معاوية! أتَرَى أن المُثلَة به تُحَلِّلُ ما حَرَّم اللهُ؟!

وعند أبي حنيفة رحمه الله: لا يَحِلُّ إمسَاكُ الخِصْيانِ واستخدامُهم وبَيعُهم وشِراؤُهم، ولَم يُنقَل عن أحَدٍ من السَّلف إمسَاكُهُم.

فإن قلتَ: رُوِي: أنَّه أُهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم خَصِيٌّ فقَبِلهُ.

قلتُ: لا يُقبَلُ فيما يَعمُّ به البَلوَى إلَّا حديثٌ مكشوفٌ، وَإِن صَحَّ فلعلَّه قَبِله ليُعتِقَه أو لسبَبٍ من الأَسباب.

﴿ٱلۡإِرۡبَةِ﴾: الحاجَةُ، قيل: هُم الَّذين يَتَّبعُونكم ليُصيبُوا من فَضل طعَامكُم ولا حاجَة لهُم إلى النساء؛ لأنَّهم بُلْهٌ لا يَعرفُونَ شيئًا من أَمرِهنَّ، أَو شيوخٌ صُلحاءُ إذا كانوا معهُنَّ غَضُّوا أبصَارَهُم، أو بهم عَنَانَةٌ.

قوله: **(وهذا هو الصحيح)** المختار في مذهب الشافعيّ رضي الله عنه:[١] جواز نظر العبد إلى سيّدته.[٢]

قوله: **(أنّ المُثلة به)** مَثَل به[٣] يمثُل مَثْلًا، أي: نكَّل به، والاسم: المُثْلة بالضمّ، ومثَّل بالقتيل:[٤] جدَعه، **صِحاح**.[٥]

قوله: **(أو بهم عَنانةٌ)** قال في **المُغرب**: «العُنّة -على زعمهم-: اسمٌ مِن العِنّين؛[٦] وهو الذي لا يقدِر على إتيان النساء، مِن: عُنّ إذا حُبِس في **العُنّة**؛ وهي حظيرة الإبل، أو مِن: عَنّ إذا عرَض؛ لأنه يَعِنُّ يمينًا وشِمالًا، ولا يقصد به».

---

١ د - رضي الله عنه.

٢ ن + عنه. | انظر: **مغني المحتاج** للخطيب الشربيني، ٢١١/٤.

٣ ن - مثَل به.

٤ ن: القتيل.

٥ ف ن - صِحاح. | **الصحاح** للجوهري، «مثل».

٦ ن + عنه.

وقرئ ﴿غير﴾ بالنَّصب على الاستِثناء أو الحالِ، والجرِّ على الوَصفيَّة.

﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ وُضع الواحدُ مَوضع الجَمع؛ لأنهُ يُفيد الجِنسَ، ويُبيِّنُ ما بَعدهُ أنَّه يُرادُ به الجَمع، ونحوُهُ: ﴿نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [الحج ٢٢/٥].

﴿لَمْ يَظْهَرُوا۟﴾: إمَّا "من ظهر على الشَّيء": إذا اطَّلَع عَليه؛ أي: لا يَعرِفُونَ ما العَورةُ ولا يُميِّزونَ بينها وبين غيرها، وإمَّا مِن "ظَهر على فُلانٍ": إذا قَوِيَ عليه، و"ظَهَر على القرآنِ": أَخَذهُ وأَطاقه؛ أي: لم يَبلُغوا أوانَ القُدرَةِ على الوَطءِ.

وقرئ: "عَوَرات"، وهي لُغةُ هُذَيْلٍ.

فإن قلتَ: لِمَ لَم يذكر الله الأَعمامَ والأَخوالَ؟

قلتُ: سُئل الشعبيُّ عن ذلك فقال: لئلا يَصِفَها العمُّ عند ابنِه، والخالُ كذلك.

ومَعناه: أَنَّ سَائر القَرَابات يشترِكُ الأَبُ والابنُ في المَحْرَميَّة إلَّا العَمَّ والخالَ وأبناءَهُمَا، فإذا رآها الأَبُ فربَّما وصَفها لابنهِ وليس بمَحْرَم فيُدَاني تصوُّرُهُ لها بالوصف نظرَه إليها، وهذا أَيضًا من الدَّلالاتِ البَلِيغة على وجُوب الاحتِياطِ عليهن في التَّستُّرِ.

ثمّ قال: «ولم أعثُر عليها إلّا في **صِحاح** الجوهري،[١] وفي **البصائر** لأبي حيّان التوحيديّ:[٢] 'قل: فلان عِنِّين بيّن التَّعنين،[٣] ولا تقل: بيّن العُنّة كما يقول الفقهاء، فإنّه كلام مَرذول'».[٤] وأنا أقول: وأمّا العُنانة بمعنى التعنين -كما استعمله المصنّف- فلم أرَه في موضع آخر.

قوله: (**يشترك الأب والابن**) يعني: كلّ مَن له قرابة فابنه مع أبيه يشترك في المَحرميّة، كالأخ، فإنّه لمّا كان مَحرمًا فابنه أيضًا مَحرم، وكالأب، فإنّه لمّا كان مَحرمًا فابنه أيضًا كذلك، "إلّا العمّ والخال"، فإنّهما لم يشتركا مع أبنائهما في المَحرميّة. وقوله: "يشترك الأب والابن" أي: يشترك به أو بهما.

---

١ **الصحاح** للجوهري، «عنن».

٢ **البصائر والذخائر** لأبي حيّان التوحيدي، ١/٢٣.

٣ ن: التعينة.

٤ **المُغرب** للمطرّزي، «عنن».

﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ كانت المَرأة تضربُ الأَرض برجْلها ليتقَعقَعَ خُلخالُها فيُعْلَمَ أنها ذاتُ خَلخالٍ.

وقيل: كانت تَضرِبُ بإِحدَى رجْليها الأُخرَى ليُعلَم أنَّها ذات خلْخَالَيْن.

وإذا نُهِينَ عن إظهَار صَوتِ الحُليّ بَعدما نُهِينَ عَن إظهَار الحُليّ عُلم بذلك أنَّ النَّهي عن إظهَار مَواضع الحُليّ أَبلغُ وأَبلَغُ.

﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أوَامِرُ الله ونَواهِيهِ في كلّ بابٍ لا يَكاد العبدُ الضَّعيفُ يَقدرُ عَلى مُرَاعَاتها وإن ضبَط نفسَه واجتهَدَ، ولا يخلو من تَقْصيرٍ يَقع منه، فلذلك وَصَّى المؤمِنين جميعًا بالتَّوبة والاستغفار، وبتَأميلِ الفلاح إذا تَابُوا واستَغفَرُوا.

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنه: تُوبُوا ممَّا كُنتم تفعَلونَه في الجَاهليَّة لعَلَّكم تسعَدُونَ في الدُّنيا والآخرة.

فإن قلتَ: قد صحَّت التَّوبة بالإِسْلام، والإِسْلامُ يجبُّ ما قَبلَه، فما مَعنى هذه التَّوبة؟

قلتُ: أراد بها ما يَقُوله العلماء: أن مَن أَذنبَ ذنبًا ثُمَّ تابَ عنه يلزمهُ كُلَّما تذكَّره أَن يُجَدِّدَ عنه التَّوبة؛ لأنه يَلزمُه أَنْ يستمرَّ على نَدمِه وعَزمِهِ إلى أَن يَلقى ربَّهُ.

وقُرئَ: ﴿أَيُّهُ المؤمنون﴾ بضمِّ الهاء، ووجْهُه: أَنَّها كانت مفتوحةً لوقُوعها قَبل الأَلفِ فلمَّا سَقطت الأَلفُ لالتقاء الساكنين أُتبِعَتْ حَركتُها حَركةَ ما قبلَها.

قوله: (**ليتقعقع**) أي: ليتحرّك، والتَّقعقع: التحرّك، والقعقعة: حكاية صوت السلاح.

قوله: (**فإن قلتَ: قد صحّت التوبة**) هذا السؤال متعلّق بتفسير ابن عبّاس رضي الله عنه.

قوله: (**إلى أن يلقى**) متعلّق بـ"يستمرّ".

﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٣٢﴾

﴿ٱلۡأَيَٰمَىٰ﴾ و"اليتَامَى" أصْلُهما: أيَائِمُ ويتَائِم، فقُلِبَا، والأيِّمُ: لِلرَّجُلِ والمرأةِ، وقَدْ آمَ وآمَتْ وتَأيَّما: إذا لم يتَزوَّجَا؛ بِكْرين كانا أو ثيِّبين، قال:

فإنْ تَنكِحي أَنكِحْ وإنْ تَتَأيَّمي ... وإنْ كنتُ أَفتَى مِنكُم أَتَأيَّمِ

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللّٰهمَّ إنَّا نعوذ بكَ من العَيْمةِ والغَيْمَةِ والأَيْمةِ والكَرَم والقَرَم».

قوله: (فقُلبا) فصار "أيامِي" بميم مكسورة قبل الياء، و"يتامِي" كذلك، فأبدلت مِن الكسرة فتحة، فانقلبت الياء ألفًا فصار "أيامَى" و"يتامَى".

قوله:

(فإن تَنكحي أنكِحْ وإن تَتأيّمي ... وإن كنتُ أفتى منكم أتأيَّم)[1]

أي: وإن تتأيّمي أتأيّم مع أنّي كنتُ أفتى منكم. قوله: "أتأيَّم" جزاء الشرط، وهو قوله: "إن تتأيّمي". وقوله: "وإن كنتُ أفتى منكم" جملة معترضة بين الشرط والجزاء. يخاطب مَحبوبته ويقول: أوافقك على حالتَي التزوّج والتأيّم.[2] والظاهر أنّ المعنى: إن يسّر الله لي[3] نكاحكِ أتزوّجك، وإن لم يتيسّر ذلك لي[4] لا أتزوج أصلًا، وأقعد أيِّمًا كما أنّكِ كذلك، وإن كنتُ أنا شابًّا وأنتِ قريب مِن الكُهولة. ويجوز أن يكون الخطاب لمَن طلّقها وتركها، فبقيَ كلّ واحد منهما أيّمًا بلا زوج، فيقول لها: إن تَنكحي زوجًا آخر فأنا أيضًا أنكِح، ولا أبقى أيّمًا بلا زوج، وإن لم تَنكحي زوجًا فأنا أيضًا لا أنكِح زوجًا؛ بل أوافقك وأبقى بلا زوج، وكأنّه يريد منها أن لا تتزوّج بعده، ويقول لها: فإن تصبري بلا زوج فأنا أيضًا أصبر بلا زوج.

قوله: (مِن العَيْمة[5] والغَيمة)... إلخ، "العَيْمة": شهوة اللبَن، وأعامه الله:

---

[1] بهذا اللفظ في **الجليس الصالح** للنهرواني، ص ٦٣٩. وهو في **أساس البلاغة** للزمخشري، ٤٢/١، بلفظ:
يَدَ الدَّهر ما لَم تنكحي أتأيّم

[2] ن: والقايم.

[3] ن: في.

[4] ن - لي.

[5] ن: الغيمة.

والمراد: أنكِحُوا مَن تَأيَّم مِنكم من الأَحرار والحَرائر، ومَن كان فيه صلاحٌ من غِلمَانِكُم وجَواريكم.

وقرئ: "من عبيدكم".

وهذا الأمْرُ للنَّدب؛ لِمَا عُلِم مِن أَنَّ النكاح أَمرٌ مندُوبٌ إليه، وقد يكون للوجوب في حقِّ الأولياء عند طَلب المرأة ذلك.

وعند أصحابِ الظَّواهر: النكاحُ واجبٌ.

وممَّا يدُلُّ على كونه مندوبًا إليه قولُه عليه الصلاة والسلام: «مَن أَحَبَّ فِطرتي فليَستَنَّ بسُنَّتِي وهي النكاحُ».

وعنه: «مَن كان له مَالٌ يَتزوَّجُ به فلم يتزوَّجْ فليسَ منَّا».

وعنه: «إذا تزَوَّجَ أحَدُكُم عَجَّ شيطَانُه: يَا ويلَهُ عَصَم ابنُ آدمَ منِّي ثُلثَي دِينَه».

وعنه: «يا عيَاضُ، لا تَزوَّجنَّ عجُوزًا ....

تركه بلا لبَنٍ، ابن السكِّيت: «إذا اشتهى الرجل اللبَن قيل: قد اشتهى فلان اللبَن، / فإذا أفرطَتْ شهوته جدًا قيل: قد عام إلى اللبَن. و"الغيم":[1] العطش، وحَرُّ الجَوف، يقال منه: غام يغيم فهو غيمان، والمرأة غَيمَى، قال: [١٨٠و]

فظلّت صَوافنَ خُزْرَ العيون إلى الشمسِ مِن رَهْبَةٍ[2] أن تَغيما».[3]

كزم شيئًا بمُقدَّم فيه، أي: كسَره واستخرج ما فيه لِيأكلَه، يقال: كزَم البعير يَكزِم، والكَزَم: غِلَظ الجَحْفلة،[4] والكزَم: شدّة الحرص على الأكل بالمبالغة. و"القرَم": شِدّة شهوة اللحم، وهو بالراء المهملة، وبالزاي:[5] الشُّحّ واللؤم.

قوله: (عَجَّ شيطانُه) العَجُّ: رفع الصوت، وقد عَجَّ يَعِجُّ عجيجًا.

---

١ ن: والعيم.

٢ ن: رهبط.

٣ انظر: **كتاب الألفاظ** لابن السكّيت، ص ٤٢٤. ونسب البيت للضبّي.

٤ ن: الجحفة. | الجَحفلة مِن الخيل والحمُر والبغال والحافر بمنزلة الشفة مِن الإنسان. انظر: **لسان العرب** لابن منظور، «جحفل».

٥ ن: وبالزاء.

ولا عَاقِرًا فإنّي مكاثِرٌ».

والأحاديثُ فِيه عن رَسول الله صلى الله عليه وسلم والآثارُ كثِيرةٌ، ورُبَّما كان واجبَ الترك إذا أدّى إلى مَعْصِيَةٍ أو مَفسَدة.

وعن النبيّ صلى الله عليه وسلم: «إذا أَتى على أمَّتي مِئةٌ وثمَانُون سَنةً فقد حَلَّت لَهم العُزُوبةُ والعُزلةُ والتَّرهُّبُ عَلى رُؤوس الجبَال».

وفي الحديث: «يَأتِي على النَّاس زمَانٌ لا تُنالُ المَعِيشةُ فيه إلَّا بالمَعْصيَةِ فإذا كان ذلك الزَّمانُ حَلَّت العُزُوبَةُ».

فإن قلتَ: لمَ خَصَّ الصَّالحينَ؟

قلتُ: ليُحصِّنَ دينُهُم ويُحفَظَ عليهم صَلاحُهم؛ ولأنَّ الصالحينَ من الأرقَّاء هم الذين مَواليهم يُشفِقُونَ عليهم ويُنزِلُونَهُم مَنزِلة الأولاد في الأَثَرَةِ والمَودَّةِ، فكانُوا مَظِنَّةً للتَّوصِيَةِ بشأنِهم والاهتمام بهم وتَقَبُّلِ الوَصيَّة فيهم، وأمَّا المفسدون منهم فحالُهم عند مَواليهم على عكس ذلك.

أو أريدَ بالصَّلاح: القيامُ بحقُوقِ النِّكاح.

﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ ينبغي أَن تكونَ شَريطةُ الله غيرَ مَنسيَّةٍ في هذا المَوعدِ ونظَائرِه، وهي مَشِيئتُه، ولا يشاءُ الحَكيمُ إلَّا ما اقتضَتهُ الحِكمَةُ وما كان مَصْلحةً، ونحوُه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق ٦٥/٢-٣].

وقد جاءت الشَّريطةُ مَنصُوصةً في قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة ٩/٢٨]، ومَن لم يَنسَ هذه الشَّريطةَ

قوله: (**«فإنّي مكاثر»**)[1] يقال: كاثرناهم فكَثَرْناهم، أي: غلبناهم بالكثرة.

قوله: (**العُزبة**) رجل عَزَبٌ -بالتحريك-: لا زوجَ له، وامرأة عَزَب أيضًا، ولك أن تقول: عَزَبةٌ، والاسم: العُزْبة والعُزوبة.[2]

---

[1] **المستدرك** للحاكم، ٣/٣٢٩.

[2] انظر: **الصحاح** للجوهري، «عزب».

لم يَنتصِبْ مُعترِضًا بعَزبٍ كان غَنيًّا فأفقرهُ النكاحُ، وبفاسقٍ تَابَ واتَّقى اللهَ وكان له شيءٌ فَفَنِيَ وأَصْبَحَ مِسْكينًا.

وعنِ النَّبيّ صلى الله عليه وسلم: «التمِسُوا الرِّزقَ بالنِّكاح».

وشَكَا إليه رَجلٌ الحاجَةَ فقَال: «عليك بالبَاءةِ».

وعن عمر رضي الله عنه: «عجَبٌ لمَن لا يَطلُبُ الغِنَى بالبَاءةِ».

ولقَد كان عِندَنا رَجُلٌ رَازِحُ الحَال، ثمَّ رَأيتُه بعدَ سنين وقد انتَعشَت حالهُ وحسُنَتْ، فسَألتُه فقال: كُنتُ في أوَّل أَمْري على ما عَلِمتَ وذلك قَبل أَن أُرزقَ وَلدًا، فلمَّا رُزِقْتُ بِكْرَ وَلَدِي تَراخَيتُ عن الفقر، فَلمَّا وُلِدَ لي الثَّاني زِدْتُ خَيْرًا، فَلمَّا تَتامُّوا ثلاثةً صَبَّ اللهُ عَليَّ الخيرَ صَبًّا فأَصبَحتُ إلى ما تَرَى.

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾؛ أي: غَنيٌّ ذو سَعةٍ لا يَرْزؤُهُ إغنَاءُ الخلائِق؛ ولكنه ﴿عَلِيمٌ﴾ يَبسط الرِّزقَ لمَن يشَاء ويَقدِرُ.

قوله: (بالباءة) المَباءة:[1] منزل القوم في كلّ موضع، والباءة لغة في المَباءة، ومنه سمّي النكاح: باءً وباءةً؛ لأنّ الرجل يتبوّأُ مِن أهله -أي: يستَمكن منها- كما يتبوّأ مِن داره.[2]

قوله: (رازِحُ الحال)... إلخ، الرازح مَن الإبل: الهالك هُزالًا. انتعش العاثر: نهض مِن عَثرته. "البِكر": المرأة التي ولدت بطنًا واحدًا، وبِكرُها ولدُها، الذكر والأنثى فيه سواء، والبِكر: العذراء.

قوله: (فلما تتامُّوا) أي: جاءوا كلّهم وتمُّوا.

قوله: (لا يَرْزأه) الرُزْء: المصيبة، والجمع: الأرزاء، ورزأتُ الرجل أرزأه رُزْءًا ومَرْزِئةً إذا أصبتَ منه خيرًا ما، كان يقال: ما رزَأتُه مالَه، وما رزِئتُه ماله، أي: ما نقَصْتُه، وارتزأ الشيءُ: انتقص.[3]

---

[1] ن – المباءة.

[2] **الصحاح** للجوهري، «بوأ».

[3] **الصحاح** للجوهري، «رزأ».

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ﴾: وليَجتَهِدْ في العِفَّة وظَلْفِ النَّفس، كأنَّ المُستعِفَّ طالِبٌ مِن نفسِهِ العَفَافَ وحَامِلُها عليه.

﴿لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾؛ أي: استطَاعَةَ تَزوُّجٍ، ويجوز أَن يُرادَ بالنكاح: ما يُنكَحُ به مِن المَال.

﴿حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ تَرجِيَةٌ للمُستعِفِّينَ، وتَقْدِمَةُ وَعدٍ بالتفضُّلِ عليهم بالغِنَى؛ ليَكون انتظَارُ ذلك وتأميلُه لُطْفًا لهم في استِعفَافِهم ورَبْطًا على قلُوبهِم، وليُظهِرَ بذلك أن فَضلَهُ أَولى بالأعفَّاءِ وأَدنَى من الصُّلحَاء.

وما أَحسنَ ما رَتَّب هذه الأوَامرَ: حَيثُ أَمَرَ أَوَّلًا بما يعصِمُ مِن الفِتنَة ويُبْعِد من مُواقَعَةِ المَعصية وهو غَضُّ البَصرِ، ثمَّ بالنِّكاح الذي يُحَصَّنُ به الدِّينُ ويَقَع به الاستِغناءُ بالحَلال عن الحَرام، ثمَّ بالحَمل على النَّفس الأمَّارة بالسُّوء وعَزْفِها عن الطُّمُوح إلى الشَّهْوة عِند العَجز عن النكاح إلى أَن يُرزَق القُدرة عليه.

﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ﴾ مَرفوعٌ على الابتِدَاء، أو مَنصُوبٌ بفعلٍ مُضمَر يُفسِّرُهُ ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ كقولك: زَيدًا فَاضْرِبْه، ودَخلَت الفَاء لِتضَمُّن مَعنى الشَّرطِ.

قوله: (**وظَلْفِ النفس**) ظلَف نفسَه عن الشيء يَظلِفها ظَلْفًا؛ منَعها عن أن تأتيَه.[١]

قوله: (**أي: استطاعة نكاح**) يعني: يكون النكاح بمعنى التزوّج، ويكون المضاف محذوفًا. وقوله: (**ويجوز أن يراد بالنكاح**) فلا يكون المضاف محذوفًا، ويكون من باب إطلاق المسبّب على السبب؛ لأنّ المال سبب للنكاح.

قوله: (**وعَزْفِها عن الطموح**) عَزَفَتْ نفسي عن الشيء تَعزُف وتَعزِف عُزوفًا إذا زهِدت فيه وانصرفت عنه. طمَح بصرُه إلى الشيء: ارتفع.

---

١ **الصحاح** للجوهري، «ظلف».

والكتابُ والمُكَاتَبةُ كالعِتاب والمعَاتَبةِ: وهو أن يقولَ الرجلُ لمَملُوكهِ: "كاتَبتُكَ على ألف درْهمٍ" فإن أدَّاهَا عتَقَ، ومعناه: كتَبتُ لكَ على نَفْسِي أَن تَعتِقَ منِّي إذا وَفَّيْتَ بالمَال، وكتَبتَ لي على نفسِك أن تَفِيَ بذلكَ، أو: كتَبتُ عليك الوفاءَ بالمالِ وكتبتَ عَليَّ العِتقَ.

ويجوز عند أبي حنيفة رحمه الله حَالًا ومؤجَّلًا، ومُنجَّمًا وغيرَ مُنجَّم؛ لأن الله عَزَّ وجلَّ لم يَذكر التَّنجِيمَ، وقياسًا على سَائر العقُود.

وعند الشَّافعيّ رحمه الله: لا يجُوز إلَّا مؤجَّلًا مُنجَّمًا، ولا يجوز عنده بنجمٍ واحدٍ؛ لأنَّ العَبد لا يَملك شيئًا فعَقدُه حَالًّا مَنْعٌ مِن حُصُول الغَرَض؛ لأنَّه لا يَقدرُ على أداء البَدل عَاجِلًا.

ويجوز عَقْدُهُ عَلى مالٍ قليلٍ وكثيرٍ، وعلى خِدمةٍ في مُدَّةٍ مَعلُومةٍ، وعلى عملٍ مَعْلوم مؤقَّتٍ: مثلَ حَفْرِ بئرٍ في مكانٍ بعَينهِ مَعْلُومةِ الطُّولِ والعَرضِ، وبناءِ دارٍ قد أَرَاهُ آجُرَّها وجَصَّها وما تُبنَى به. وإن كاتَبه على قيمتِه لم يجُز.

فإن أَدَّاها عَتَق، وإن كاتَبه على وصِيفٍ جاز لقِلَّةِ الجهَالة، ووجَب الوَسطُ.

قوله: (كاتبتُك) ولا يكفي قوله: كاتبتُك على كذا؛ بل لا بدّ أن يقول معه: إن أدّيت فأنت حرّ، أو مع نيّة هذا التعلّق.

قوله: (وعند الشافعيّ رضي الله عنه)...[١] إلخ، ولا بدّ عند الشافعيّ رضي الله عنه[٢] مِن شيء مؤجّل، إمّا بنجمين، وإمّا مع منفعة عين معلومة، أي: بمؤجّل بنجمَين، أو بمؤجّل[٣] مع منفعة عين.[٤]

قوله: (لم يجز)؛ لأنّ القيمة مجهولة؛ لكنّه يَعتق لوقوع المعلّق عليه.

قوله: (على الوَصيف) "الوَصيف": الخادم غلامًا أو جارية، يقال: وَصُف الغلامُ إذا بلغ الخِدمة، فهو وَصيف بيّن الوَصافة[٥] والاتّصاف، والجمع: الوَصايف.

---

١ د - رضي الله عنه.
٢ د ف - رضي الله عنه.
٣ ن + عن.
٤ انظر: الحاوي الكبير للماوردي، ١٨/١٤٩.
٥ ن: الوحافة.

وليس له أَن يَطأَ المُكاتَبةَ.

وإذا أدَّى عتَق، وكان وَلاؤُهُ لمَولاهُ؛ لأنَّه جادَ عَليه بالكَسب الذي هو في الأصل له.

وهذا الأَمرُ للنَّدْب عند عَامَّةِ العُلمَاءِ، وعن الحسن: ليس ذلك بعَزْم، إن شاء كاتبَ وإن شاء لم يُكاتِبْ.

وعن عمر رضي الله عنه: «هي عَزْمَةٌ مِن عَزَمات الله تعالى». وعن ابن سيرين مِثلُه، وهو مَذهبُ داودَ.

﴿خَيْرًا﴾ قُدرَةً عَلى أداء ما يُفارَقُونَ عليه.

وقيل: أمَانةً وتكسُّبًا.

وعن سَلمانَ أنَّ مَملوكًا لهُ ابتغَى أَن يُكاتِبَه فقال: ....

قوله: (بعزم) أي: بواجب، قال في **الصحاح**: «عزمتُ على كذا عَزْمًا وعَزيمةً إذا أردتَ فعله وقطعتَ عليه»، هكذا في **الصحاح**.[1] فمعنى قول الحسَن ذلك: "ليس ذلك بعزم"، أي: ليس ذلك بشيء عزَم الله تعالى على العباد / وجوبَه. [١٨٠ظ]
قال المطرّزي في **المُغرب**: «قول ابن مسعود رضي الله عنه:[2] 'إنّ الله يحبُّ أن يُؤتى برُخَصه كما يحبُّ أن يؤتى بعزائمه'[3] أي: بفرائضه التي عزَم سبحانه على العباد وجوبَها».[4]

قوله: (يُفارقون عليه) الضمير مِن "يفارقون" للعبيد، والمراد بـ"ما يفارقون عليه": هو المال الذي يفارق العبيد السيّد على شرط أدائه، أي: مال الكتابة. والصواب أن نقول: الضمير مِن "يُفارقون" يعود إلى العبيد والسادات، أي: يفارق بعضهم بعضًا، والمراد بالمفارقة ليس المفارقة بالأبدان؛ بل المفارقة المعنويّة؛ وهو أن يتوجّه كلٌّ منهم إلى مهمّه وإلى ما يختصّ به.

---

١ **الصحاح** للجوهري، «عزم».
٢ د – رضي الله عنه.
٣ أخرجه ابن حبّان عن ابن عبّاس مرفوعًا. انظر: **صحيح ابن حبّان**، ٦٩/٢ (٣٥٤).
٤ **المُغرب** للمطرّزي، «عزم».

أَعندك مالٌ؟ قال: لا، قال: أَفتَأمُرُنِي أَنْ آكُلَ غُسَالَةَ أَيدِي النَّاس؟

﴿وَءَاتُوهُم﴾ أمرٌ للمُسلِمين على وَجْه الوجُوب بإعانة المكاتَبين وإعطائِهم سَهمَهُم الذي جعَل الله لهم من بيتِ المَالِ؛ كقوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ [البقرة ١٧٧/٢] عند أبي حنيفة رحمه الله وأصحابه.

فإن قلتَ: هَل يَحِلُّ لمولاهُ إذا كان غنيًّا أن يأخُذَ ما تُصُدِّقَ به عليه؟

قلتُ: نَعم، وكذلك إذا لم تَفِ الصَّدقةُ بجميع البَدلِ وعَجزَ عن أداء الباقي طابَ للمَولى ما أخَذَه؛ لأنَّه لَم يأخُذهُ بسَبب الصَّدقةِ ولكنْ بسَببِ عَقْدِ المُكاتبة؛ كمَن اشتَرى الصَّدقَة من الفقير أو وَرِثَها أو وُهِبَتْ له، ومِنه قَولُه صلى الله عليه وسلم في حَديث بَريرةَ: «هُو لها صَدقةٌ ولنا هَدِيَّةٌ».

قوله: (**غُسالة**) "الغُسالة": الماء الذي حصل واجتمع بعد الغسل به، فإنّ الفُعالة: ما يبقى بعد المصدر. شبّه الزكاة التي تُطهِّر المزكّي بالماء الذي يُطهّر المَغسول.

قوله: (**قلتُ: نعم**)... إلخ، وعند **الشافعيّ** رضي الله عنه[1] أنّه إن رقّ المكاتب غَرِم السيّد ما أَخذ، سواء كان باقيًا أو تالِفًا، وكذا إذا عتَق[2] مِن غير جهة الكتابة غرِم المدفوعَ إليه إلّا أن يتلَف المالُ قبل العِتق.[3] وإنّما وجب الردّ إذا لم يَعتق المكاتب مطلقًا، أو عتَق مِن غير جهة الكتابة[4] ولم يَتلف قبل العِتق؛ لأنّه عُلِم بطريق التبيين أنّ ما صرف إلى المكاتَب لم يقع الموقع حينئذٍ؛ إذ لم يترتب عليه الغرض المطلوب. وبهذا الكلام[5] يظهر لك أنّ قياس ذلك على الصدقة التي اشتُريَتْ مِن الفقير غير صحيح، وكذا إلحاقه بحديث بَريرة، فإنّه لم يَحدُث هنالك ما يظهر به بطلان صرف الصدقة إلى مَن صُرفتْ إليه.

قوله: (**في حديث بَريرة**) دخل رسول الله عليه الصلاة والسلام[6] البيتَ

---

١ د - رضي الله عنه.

٢ ف: أعتق.

٣ انظر: روضة الطالبين للنووي، ٣١٥/٢.

٤ ن + غرِم المدفوعَ إليه إلّا أن يتلَف المالُ قبل العِتق، وإنّما وجب الردّ إذا لم يَعتق المكاتب مطلقًا، أو عتَق مِن غير جهة الكتابة.

٥ سقط من ن من بعد هذا الموضع تقريبًا صحيفتين.

٦ ف: صلّى الله عليه وسلّم.

وعند الشافعي رحمه الله: هُو إيجَابٌ عَلى المَوالي أَنْ يَحُطُّوا لَهُم من مال الكتَابةِ، وإن لـم يَفعَلُوا أُجْبِرُوا.

وعن عليٍّ رضي الله عنه: يَحُطُّ له الرُّبْعَ.

وعن ابن عباس: يرضَخ له مِن كتَابتِه شَيئًا.

وعن عُمر رضي الله عنه أنَّه كاتبَ عَبدًا له يُكْنَى: أبَا أُميَّة، وهو أوَّلُ عَبْد كُوتِبَ في الإسْلام، فأتَاهُ بأوَّلِ نجمٍ فَدفعَه إليه عُمرُ وقال: استَعِنْ بهِ عَلى مُكاتَبتِك، فقال: لو أخَّرتَه إلى آخِر نجمٍ، فقالَ: أخَاف أن لا أُدرِكَ ذلك.

وهذا عند أبي حنيفة على وَجْه النَّدبِ، وقال: إنَّه عَقدُ مُعَاوَضةٍ فلا يُجبَرُ على الحَطيطَة كالبَيع.

والبُرمةُ تفور باللحم، فقُرِّب إليه الخبز، فقال عليه الصلاة والسلام:[١] «ألَم أرَ البُرمةَ تفور باللحم؟» فقيل: بلى؛ ولكنَه لحمٌ تُصُدِّق به على بَريرة، وأنت لا تأكل الصدقة، فقال عليه الصلاة والسلام:[٢] «هو لها صدَقة، ولنا هديّة».[٣] والبُرمة: القِدر مِن الحجَر، والجمع: بُرَم وبِرام. وفارَت القِدر: جاشت.

قوله: (**وعن ابن عبّاس رضي الله عنه**:[٤] «**يَرضَخ**»)[٥] رضَخْتُ له رَضْخًا؛ وهو العطاء ليس بكثير.

قوله: (**فقال: لو أخّرته**) أي: فقال أبو أُميّة. وقوله: (**فقال: أخاف**) أي: فقال عمر رضي الله عنه.[٦]

قوله: (**فلا يُجبر على الحَطيطة**) قال في **المُغرب**: «حطَّ مِن الثمن كذا: أسقَط، واسم المَحطوط: الحَطيطة».[٧] وقال في **الصِّحاح**: «استحَطَّني فلان مِن الثمن شيئًا،

---

١ ف: صلّى الله عليه وسلّم.

٢ ف: صلّى الله عليه وسلّم.

٣ **صحيح البخاري**، ٤٧/٧ (٥٢٧٩).

٤ د - رضي الله عنه.

٥ **السنن الكبرى للبيهقي**، ٤٨٠/٢١ (٢١٧٠٣)، بلفظ: «ضعوا عنهم مِن مكاتبتهم».

٦ د - رضي الله عنه. | انظر: **مصنّف ابن أبي شيبة**، ٣٨٨/٤ (٢١٣٤٥).

٧ **المُغرب** للمطرّزي، «حطط».

وقيل: مَعنَى ﴿وَءَاتُوهُم﴾: أَسْلِفُوهم، وقيل: أَنفِقُوا عليهم بَعد أَن يُؤدُّوا ويَعتِقُوا، وهذا كُلُّه مُستحَبٌّ.

ورُوي: أنَّه كانَ لحُويطب بن عَبْد العُزَّى مَملوكٌ يُقَالُ له: الصُّبيحُ، سَأل مولَاهُ أن يُكاتِبهُ فأَبى فنَزلَتْ.

﴿وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا﴾ كانت إماءُ أَهل الجَاهليَّة يُسَاعِين على مَواليهِنَّ، وكان لعَبْد الله بن أُبيّ رأسِ النِّفَاقِ ستُّ جَوارٍ: مُعَاذةُ ومُسيكَةُ وَأُمَيْمَةُ وعَمْرَةُ وَأَروَى وقُتَيلةُ يُكرِهُهنَّ على البِغَاء، وضَرب عليهنَّ ضَرائبَ،

والحطيطة كذا وكذا مِن الثمن».[١] وأنا أقول: عُلِم ممّا[٢] ذكراه أنّ الحطيطة اسم لعَين المَحطوط، فمعنى كلام المصنِّف: "لا يُجبر على الحطيطة" أي: لا يجبر على حطّ الحطيطة.

قوله: (**أسلِفوهم**) أي: أقرِضوهم، والسَّلَف: السَّلَم، والقرْض بلا منفعة أيضًا، يقال: أسلَفه مالًا إذا أقرضه.

قوله: (**يُساعين**) أي: يَزْنين، يقول: زنَى الرجل وعَهَر، فهذا يكون بالحرّة والأمة، ويقال في الأمَة خاصّةً: قد ساعاها، ولا يكون المُساعاة إلّا في الإماء، وفي الحديث: «إماءٌ ساعين في الجاهلية».[٣] وأُتِيَ / عمر برجل ساعٍ أمةً.[٤] ساعَى [١٨١و]
الرجل المرأة: فَجَرَ بها، في الإماء خاصة. فقوله: (**على مواليهن**) أي: على أمر مواليهن، أي: بناء على أمرهم.

قوله: (**ضرائب**) الضريبة: ما يُضرب على الإنسان مِن جزيةٍ وغيرها. وقال في **الصِّحاح**: «الضريبة: واحدةُ الضرائب التي تؤخَذ في الأرصاد والجِزية ونحوها، ومنه: ضريبة العبد؛ وهي غَلّته».[٥]

---

١ **الصحاح** للجوهري، «حطط».
٢ ف: ما.
٣ **غريب الحديث** لأبي عبيد، ٣/٣٣٧، من حديث عمر رضي الله عنه.
٤ كذا في كتب اللغة ولم أجده في كتب الحديث. انظر: **الصحاح** للجوهري، «سعى».
٥ **الصحاح** للجوهري، «ضرب».

فشكَت ثِنتانِ منهنَّ إلى رسُول الله صلى الله عليه وسلم، فنزلت.

ويُكنَى بالفتَى والفَتاةِ: عن العَبد والأمَةِ، وفي الحديث: «لِيَقُلْ أحَدُكم: فتَايَ وفَتَاتِي، ولا يَقُل: عَبدي وأمَتي».

و"البِغَاءُ": مَصْدرُ البغيّ.

فإن قلتَ: لِمَ أُقحِم قَوله: ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾؟

قلتُ: لأنَّ الإكراهَ لا يَتأتَّى إلَّا مع إرَادةِ التَّحصُّنِ، وآمِرُ الطَّيِّعَةِ المُواتِيَة

قوله: (**ثِنتان**) هما مُعاذةُ ومُسَيْكة، كما سيجيء.

قوله: (**فإن قلتَ: لِم أُقحِمَ؟**) وإنّما ذكر المصنّف لفظ الإقحام دون الإدخال وغيره؛ لأنّ ذِكر هذه كأمرٍ غير محتاج إليه، إذ إكراههنّ حرام سواء أردن تحصُّنًا أو لا، فكأنّه أدخل إدخالًا بعنفٍ مِن غير حاجة. قال في **المُغرب**: «القُحْمة: الشدّة والوَرطة، وأقحَم الفرسَ النهرَ: أوقعه فيه وأدخل بشدّة».[1]

قوله: (**قلتُ: لأنّ الإكراه**)... إلخ، حاصل الجواب: أنّ الإكراه على الزنَى لا يمكن ولا يتصوّر إلّا مع إرادة التحصُّن، فتقييد الأمر بالإكراه بإرادة التحصّن لا يُخِلّ بالمعنى المقصود، وهو النهي عن الإكراه على الزنى مطلقًا. وفي هذا التقييد فائدة جليلة؛ وهي الإشارة إلى أنّهنّ راغبات في الزنى مائلات إلى البِغاء؛ وذلك لأنّه أُتي بـ"إن" دون "إذا"، فكأنّه قيل: لتوبيخهنّ ورَدعهنّ وتعييرهنّ، أو كأنّه قيل: لتوبيخ وردع وتعيير سيّدهم هؤلاء الفتيات مائلات إلى الفجور راغبات إلى الفواحش، فإن كان في بعضهن إرادة التحصّن -وذلك نادر- فلا تُكْرِهوهُنّ على البِغاء، فلمّا كان في التقييد هذه الفائدة ولم يُخلّ بالمعنى المقصود قيّد به، وممّا يدلّ على ميلِهنّ إلى الفجور هذا المذكور في كتب اللغة؛ قال في **المُجمل**: «البَغايا: الإماء، الواحدة: بَغيٌّ».[2] وقال في **الصِّحاح**: «الأمة يقال لها: بغيّ، وجمعها: البغايا، ولا يراد به الشتْم وإن سُمِّين بذلك في الأصل لفُجورهنّ».[3] وقوله: (**المواتية**) يقول:

---

[1] **المُغرب** للمطرّزي، «قحم».

[2] **مجمل اللغة** لابن فارس، «بغي».

[3] **الصحاح** للجوهري، «بغي».

لِلبغاء لا يُسمَّى مُكرِهًا ولا أَمْرُه إكراهًا، وكلمة ﴿إِنْ﴾ وإيثارُها على "إذا" إيذانٌ بأنَّ المُسَاعِيَاتِ كُنَّ يفعَلن ذلك برَغبَةٍ وطَوَاعيةٍ مِنهُنَّ، وأَنَّ ما وُجِد من مُعَاذَةَ ومُسَيكةَ من حَيِّز الشَّاذِّ النَّادر.

﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لهُم، أو لهُنَّ، أَو لهُم ولهن إنَّ تابُوا وأَصْلحُوا، وفي قراءة ابن عبَّاسٍ: "لهنَّ غفور رحيم".

فإن قلتَ: لا حَاجة إلى تعليق المَغفرة بهِنَّ؛ لأن المُكرَهَةَ عَلى الزِّنى بخِلاف المُكَره عليه في أنَّها غيرُ آثمةٍ.

قلتُ: لعَلَّ الإكراهَ كان دونَ ما اعتَبرته الشَّريعَةُ من إكرَاهٍ بقَتلٍ أو بما يُخَاف منه التَّلفُ أو ذهَابُ العُضو من ضَرْبٍ عنيفٍ أو غيره حتَّى تَسْلَم من الإثـمِ، ورُبَّما قصَّرتْ عن الحَدِّ الَّذي تُعْذَرُ فيه فتكون آثِمةً.

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿مُبيَّناتٍ﴾ هي الآيات التي بُيِّنَتْ في هذه السُّورة وأُوضِحَتْ في معاني الأَحكام والحُدود.

ويجوز أَن يكون الأَصلُ: مُبيَّنًا فيها، فاتُّسِع في الظَّرف.

وقرئ بالكسر؛ ....

آتيته على ذلك الأمر مواتاةً، أي: وافقته وطاوعته، والعامّة تقول: واتَيتُه. وقوله: (**للبِغاء**) بغَت المرأة تبغي بِغاءً -بالكسر والمَدِّ-: زَنتْ، والجمع: بَغايا.

قوله: (**فإن قلتَ: لا حاجة إلى تعليق المغفرة بهنّ**) أي: إلى جعل المغفرة متعلّقة بهنّ.

قوله: (**حتّى تسلَم**) متعلِّق بقوله: (**اعتبرَته**).

قوله: (**وقرِئ بالكسر**) هذه القراءة أيضًا مِن السبعة.[1]

---

[1] وهي قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي وخلَف وحفص عن عاصم. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٢/٢٤٨.

أي: بَيَّنَتْ هي الأَحكامَ والحُدودَ، وجُعِل الفِعلُ لها عَلى المجَاز، أَو مِن "بَيَّن" بمَعنى "تبيَّنَ"، ومِنه المثَلُ: قَد بيَّنَ الصُّبحُ لِذِي عَينَينِ.

﴿وَمَثَلًا مِّنَ﴾ أمثالِ مَن قَبْلَكم؛ أي: قصَّةً عجيبةً من قصَصِهم كقصَّةِ يُوسف ومريمَ، يَعني: قصَّةَ عَائشة رضي الله عنها.

﴿وَمَوْعِظَةً﴾ ما وَعَظَ به ....

قوله: (أو مِن: بيَّن) عطف على قوله: (بَيَّنتْ هي).

قوله: ("قد بيّن الصبح") هذا مَثَل[1] يُضرب به في مواضع دعوى ظهور الشيء، وأنّه ممّا ينبغي أن لا يُرتاب فيه، فكأنّه في ظهوره مثل الصبح المتبيّن، فلا يرتاب فيه مَن له عينان[2] ينظر بهما.

قوله: (مِن أمثال) "مِن" للاتصال، يريد: أنّ هذا المَثل المذكور في هذه السورة شبيه[3] بأمثال مَن قبلهم، ثمّ أشار إلى أنّ المراد بالمَثل: القصّة العجيبة، "مِن" فيه للاتصال، أي: هذه القصّة العجيبة في السورة مِثل قِصصهم في الغرابة. ثمّ بيّن قِصَصهم بقوله: "كقصّة يوسف ومريم". وإنّما / خصّ المصنِّف [١٨١ظ] القِصّتين؛ لأنّ فيهما ذِكر تهمة مَن هو بريّ ممّا اتّهم به، فيوسف اتّهمه زَليخا، ومريم اتّهمها اليهود، مع بَراءتهما.

قوله: (يعني:[4] قصّة عائشة رضي الله عنها)[5] أي: يريد بقوله: "مثلًا": قصة عائشة، فإنّها قصّة عجيبة، تشبه في غرابتها قصّة مريم ويوسف.

قوله: (ما وُعظ به) يريد: أنّ معنى قوله تعالى: ﴿وَمَوْعِظَةً﴾: أنّا أنزلنا في هذه السورة ما وُعظ به في الآيات المذكورة في هذه السورة، وفي المَثل المذكور فيها. أمّا في الآيات[6] فقوله:[7] ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم﴾ [النور ٢/٢٤]، وأمّا في المَثل:

---

١ انظر: **مجمع الأمثال** للميداني، ٢/٩٩.

٢ ن – الكلام يظهر لك أنّ قياس ذلك على الصدقة... فلا يرتاب فيه مَن له عينان.

٣ في الأصول الخطيّة: "سببه".

٤ ن – يعني.

٥ د – رضي الله عنها.

٦ ف: الولايات.

٧ ن – فقوله.

في الآياتِ والمثْلِ من نحو قوله: ﴿وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النور ٢/٢٤]، ﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ﴾ [النور ١٢/٢٤]، ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ﴾ [النور ١٦/٢٤]، ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا﴾ [النور ١٧/٢٤].

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٣٥﴾

نظيرُ قوله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مع قولِهِ: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ و﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ﴾ قَولُك: "زَيدٌ كرَمٌ وَجُودٌ" ثمَّ تقُول: ....

﴿لَّوۡلَآ﴾ [النور ١٢/٢٤]، ﴿وَلَوۡلَآ﴾ [النور ١٦/٢٤]، ﴿يَعِظُكُمُ﴾ [النور ١٧/٢٤]، فلا يريد موعظةً غير ما تقدّم، تأمّل فيه ترَ لطائف، واذكر بطيّبات الذِّكر والدعوة الصالحة مَن بيّن مثل هذه المواضع وأوضحَها. وقوله: **(في الآيات)** الصواب: أنّ قوله: **(في الآيات)** متعلِّق بـ"وعظ"، أي: يريد[1] بقوله: ﴿وَمَوۡعِظَةٗ﴾: ما وعظ الله تعالى به في هذه الآيات.[2]

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ﴾ [النور ٢/٢٤]، الموعظة في الآيات.[3] وقوله تعالى: ﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ﴾ [النور ١٢/٢٤]، في المَثل موعظة. وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ﴾ [النور ١٦/٢٤]، في المَثل موعظة.[4] وقوله: ﴿يَعِظُكُمُ﴾ [النور ١٧/٢٤]، موعظة في المَثل.

قوله: **(نظير)** مبتدأ، خبره "قولك". وقوله: **(ثم تقول)** عطف على "قولك"، فالوجه فيه النصب، بتقدير أن يكون المعطوف عليه اسمًا، أي: نظيره قولك

[1] ن – يريد.
[2] ن + متعلِّق بـ"وعظ"، أي: يريد بقوله: ﴿وَمَوۡعِظَةٗ﴾: ما وعظ الله تعالى به في هذه الآيات.
[3] ن – في الآيات.
[4] ف – وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ﴾ [النور ١٦/٢٤] في المَثل موعظة.

"يَنعَشُ النَّاسَ بكَرمِهِ وجُودِه"، والمعنى: ذُو نُورِ السماوات، وصاحبُ نُورِ السَّماوات.

و﴿نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: الحَقُّ؛ شبَّههُ بالنُّور في ظُهوره وبيَانِه، كقوله: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة ٢/٢٥٧]؛ أي: من الباطِل إلى الحقّ.

وأضاف النورَ إلى السَّماوات والأرض لأحَد مَعنيين: إما لِلدِّلالة على سَعَةِ إِشْراقِه وفُشوِّ إضاءتِه حَتَّى تُضيءُ له السَّماواتُ والأرضُ، وإمَّا أَن يُراد أهلُ السماوات والأرض وأنَّهم يَستضِيئُون به.

ثم قولك. وقوله: (يَنعَشُ) أي: يرفع، يقال: نعَشَه الله يَنعَشه نَعْشًا؛ رفَعه، ولا يقال: أنعَشه الله.[1]

قوله: (ونور السماوات) مبتدأ، خبره قوله: (الحق).

قوله: (إمّا للدلالة) بدل مِن (لأحد المعنيين)، وأتى بـ"إمّا" للزوم الإتيان بـ"إمّا" قبل المعطوف عليه، فلا يمنع "إمّا" مِن[2] أن يكون ما بعده بدلًا ممّا قبله؛ لكونها زائدة مِن حيث المعنى، كما في قولك: جاء إمّا زيد وإمّا عمرو، واضرب إمّا زيدًا وإمّا عمرًا.

قوله: (وفُشُوِّ إضاءته) فشى الشيء: انتشر، والفواشي: كلّ شيء منتشر مِن المال، كالغنم السائمة والإبل وغيرها.

قوله: (وإمّا أن يراد) عطف على "الدلالة"، أي: لأن يراد، فكأنّه قيل: للدلالة أو لإرادة. وقوله: (وأنّهم يستضيئون به) يجوز فيه الفتح، فيكون عطفًا على "أهل السماوات"، أي: يراد أنّهم، فيئول المعنى إلى أنّ المضاف محذوف، والتقدير: نور أهل السماوات، ويراد بإضافة "النور" إلى "أهل السماوات والأرض" أنّهم يستضيئون به. ويجوز فيه الكسر، فالوجه على هذا: أنّه لمّا ذكر أنّ التقدير: "نور أهل السماوات والأرض" ذكَر أنّه يجوز الإضافة إليهم، وتحسُن لهذه الملابسة، وهي: أنّهم يستضيئون به.

---

[1] الصحاح للجوهري، «نعش».

[2] ن – من.

﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾؛ أي: صفةُ نوره العجيبةُ الشَّأن في الإضاءةِ ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾: كصفةِ مِشكاةٍ، وهي الكُوَّةُ في الجِدَار غيْرُ النَّافِذة ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾: سِراجٌ ضَخمٌ ثاقبٌ.

﴿فِي زُجَاجَةٍ﴾ أرَاد قِنديلًا من زُجَاجٍ شاميّ أزهَر، شبَّهه في زُهرَته بأحَد الدَّراريّ من الكَواكب وهي المشاهيرُ كالمُشتَري والزُّهَرة والمِرِّيخ وسُهَيْلٍ ونحوِها.

﴿يُوقَدُ﴾ هذا المصبَاحُ ﴿مِن شَجَرَةٍ﴾؛ أي: ابتدَأ ثُقُوبه من شجَرة الزَّيتُون،

قوله: (**كصفة مِشكاة**) يريد أنّ المضاف محذوف، أي: كمَثل[1] مشكاة، وإنّما حذف للعلم به؛ لأنّه لا يلتبس أن الصفة تشبّه بالصفة لا بالذات، والمَثل المذكور والمحذوف بمعنى الصفة العجيبة الشأن؛ ليكون مَجازًا في المرتبة الثانية، وأنّ المِثل والمَثَل والمَثيل بمعنى الشِّبْه والشَّبَه والشَّبيه، ثـم نُقل إلى الكلام السائر الممثّل مَضرِبُه بمَورده / مجازًا، ثمّ منه إلى الصفة العجيبة الشأن مجازًا، وتقديره قد مرّ مرارًا. [١٨٢و]

قوله: (**وهي الكَوّة**) "الكَوّة" -بفتح الكاف وضمِّها-: نَقْب البيت، قال في **الصِّحاح**: «الكَوّة: نَقْب البيت، والجمع: كِواء بالمّد، وكِوًى مقصور، مثل: بَدْرة وبِدَرٍ، والكُوّة بالضمّ لغة، ويُجمع على كُوًى».[2]

قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ الكوكب الدرّيّ: الثاقب المضيء، نسِب إلى الدُّرّ لبياضه، وقد تكسر الدال فيقال: دِرّيّ، مثل: سُخرِيّ وسِخريّ، والجمع: الدراريّ. وقوله تعالى: ﴿مِن شَجَرَةٍ﴾ قال في **الوسيط**: «أي: مِن زيت شجرة، فحذف المضاف، يدُلّك[3] على ذلك[4] قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ﴾ أي: زيت الزيتونة -يعني: دهنها- يكاد يُضيء المكان مِن غير أن يصيبه النار، بأن تُوقَد النار بذلك الزيت».[5] وقوله:[6] (**مِن شجرة الزيتون**) "الزيتون" معروف، الواحدة: زيتونة، والزيت دُهنه، ويقال: زِتُّ[7] الطعام أَزيته زَيتًا إذا جعلتَ فيه الزيت،

---

١ ن: مثل.
٢ **الصحاح** للجوهري، «كوى».
٣ ن: بذلك.
٤ ن – ذلك.
٥ **التفسير الوسيط** للواحدي، ٣/٣٢٠ (النور، ٢٤/٣٥).
٦ ن: قوله.
٧ ن: ردت.

يعني: رُوِّيَتْ ذُبالَتَهُ بزَيْتِهَا.

﴿مُبَـٰرَكَةٍ﴾: كثيرةِ المنَافِعِ، أَو: لأنَّها تَنبُت في الأرض التي باركَ فيها للعالمين.

وقيل: بارَك فيها سبْعونَ نبيًّا مِنهم إبراهيم.

وعن النبي صلى الله عليه وسلم: «عَليكم بهذه الشَّجرة زَيتِ الزَّيتون فتدَاوَوْا به، ....

وطعامٌ مَزيتٌ على النقص، ومزيوت على التمام، وزِتُّ القوم جعلت أُدمَهم الزيت، وزيَّتُّهم إذا زوّدتُهم الزيت، وجاءوا يستزيتون، أي: يستوهبون الزيت. وقال في **المُغرب**: «الزيتون مِن العِضاه، ويقال لثمَره:[١] الزيتون أيضًا، ولدُهنه: الزيت».[٢]

وقوله: **(يعني رَوِيَتْ ذُبالتُه)** بطريق المَجاز جعل نفوذ الزيت في الذُّبالة وابتلالها به رِيًّا، والرِّيّ -بكسر الراء-: خلاف العطش، يقال: رَوِي مِن الماء، فهو ريّان، وهي ريّا، وتصريفهما هكذا: ريّان، ريّانان، رِواءٌ، ريّا، ريّتان، رِواءٌ. وفي بعض[٣] النسخ: "رُويَت"[٤] على هذا يكون من باب المفاعلة، فوزنه فُوعل، فلذا[٥] لم يُدغم الواو الساكنة في الياء المكسورة. والذُّبالة: الفَتيلة.

وقوله تعالى: ﴿مُبَـٰرَكَةٍ﴾ أي: جعلت فيها البركة. قال في **الصِّحاح**: «يقال: بارك الله لك، وفيك، وعليك، وباركك».[٦] وقوله: **(أو لأنّها)** عطف على قوله: **(كثيرة)**، قال في **الوسيط**: «فيها أنواع المنافع؛ لأنّ الزيت يُسرَج به، وهو إدامٌ ودِهان -أي: يُدَّهن به- ودِباغ، ويوقَد بحطب الزيتون، وثِفْلُه ورمادُه يُغسل به الإبريسم، ولا يحتاج في استخراج دُهنه إلى العصّار».[٧] وقوله: **(وقيل: بارك فيها)** أي: جعل الله تعالى[٨] فيها البركة، فقوله: **(بارك فيها سبعون نبيًّا)** أي: دعا في شأنها بالبركة.

---

١ ف: لثمرة.

٢ **المُغرب** للمطرّزي، «زيت».

٣ ن + بعض.

٤ ف: زويت.

٥ ن: فكذا.

٦ **الصحاح** للجوهري، «برك».

٧ ف: القصار". | **التفسير الوسيط** للواحدي، ٣٢٠/٣ (النور، ٣٥/٢٤).

٨ ف - الله تعالى.

فإنَّه مَصحَّةٌ من البَاسُور».

﴿لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾؛ أي: مَنْبتُها الشَّامُ، وأَجودُ الزَّيتُون: زَيتُونُ الشَّام.

وقيل: لا في مَضحًى ولا مَقنأةٍ؛ ولكنَّ الشمسَ والظِّلَّ يتعَاقَبان عليها، وذلك أجوَدُ لحَمْلِهَا وأَصفَى لدُهْنِها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا خَيْرَ في شجَرةٍ في مَقْنَأةٍ، ولا نبَاتٍ في مَقنَأةٍ، وَلا خَيرَ فيهما في مَضْحًى».

وقيل: ليسَتْ ممَّا تَطْلُعُ عليه الشَّمسُ في وقت شرُوقها أو غروبها فقط؛ بل تصيبُها بالغدَاةِ والعشيِّ جميعًا فهي شَرقيَّةٌ غَربيَّةٌ.

ثم وَصَف الزيتَ بالصَّفَاء والوبِيصِ وأَنَّه لِتَلألُؤِهِ ﴿يَكَادُ﴾ يُضيءُ من غَيْر نارٍ.

﴿نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾؛ أي: هذا الذي شبَّهتُ به الحقَّ نورٌ متضاعِفٌ قد تَناصَرَ فيه المِشكاةُ والزُّجاجةُ والمصبَاح والزَّيتُ حَتَّى لم يَبْقَ مما يُقوِّي النُّورَ ويَزِيدهُ إشراقًا ويُمدُّهُ بإضَاءةٍ بقيَّةٌ، وذلك أَن المصبَاح إذا كان في مكانٍ متَضَايقٍ كالمشكاةِ كان أَضْوأَ له وَأَجْمَعَ لنُورهِ، بخلافِ المكانِ الواسِع فإنَّ الضَّوءَ ينبَثُّ فيه ويَنتِشرُ،

قوله:[1] (مِن الباسور) "الباسور": واحد البواسير، بالسين والصاد، وهي كالدَّماميل[2] في المَقعدة.[3] والناسور -بالسين والصاد أيضًا-: علّة تحدُث في مآقي[4] العين، يسقي فلا ينقطع، وقد يحدث أيضًا في حوالي المَقعدة، وهو معرَّب.[5]

قوله: (في مَقْنأة) المَقْنأة: الأماكن الظليل الذي لا تصيبه الشمس.

قوله: (والوَبيص) وبَصَ البرق وغيره يَبِصُ وبيصًا؛ برق ولمَع وتلألأ، أي: لمَع.

قوله: (قد تناصر) التناصر: نصرة بعض بعضًا.

قوله: (وذلك أنّ المِصباح)... إلخ بيان "التناصر". فقوله: (أنّ المِصباح) إلى قوله: (يَنتشر) بيان نصرة المشكاة، والباقي / للباقي، فتأمَل. [١٨٢ظ]

---

١ ف: وقوله.

٢ ن: كالرماميل.

٣ **المُغرب** للمطرّزي، «بسر».

٤ ن: مافي.

٥ **الصحاح** للجوهري، «نسر».

والقِنديلُ أَعوَنُ شيءٍ عَلى زيادةِ الإنارة، وكذلك الزَّيتُ وصَفاؤهُ.

﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ﴾ لهذَا النُورِ الثَّاقِب ﴿مَن يَشَآءُ﴾ مِن عبَادِه؛ أي: يُوفِّق لإصابةِ الحَقِّ مَن نَظَر وتَدبَّر بعَينِ عَقْلِه والإنصافِ من نفْسهِ، ولم يذهَبْ عن الجَادَّة المُوصِلةِ إليه يَمينًا وشمالًا، ومَن لم يتَدبَّرْ فهُو كالأعمى الذي سَواءٌ عليه جِنْحُ اللَّيلِ الدَّامسِ وضَحْوةُ النَّهار الشَّامسِ.

وعن عليٍّ رضي الله عنه: "اللهُ نوَّرَ السماوات والأرض"؛ أي: نَشَر فيها الحَقَّ وبَثَّهُ فأضَاءتْ بنُوره، أو: نوَّر قُلوبَ أَهلِها بهِ.

وعَن أُبيّ بن كَعب: "مَثَلُ نُورِ مَن آمَنَ بهِ".

قوله: (**وكذلك**[1] **الزيت**) أي: الزيت وصفاؤه مثل القنديل، أي: يعينان على زيادة الإنارة أيضًا.

قوله: (**أي: يوفّق**) فسّر ﴿يَهۡدِي﴾ بقوله: "يوفّق". وقوله: ﴿مَن يَشَآءُ﴾ بقوله: (**من نظر**)... إلخ، وكل ذلك مبنيّ على مذهبه. وأمّا عندنا أهلَ السنة والجماعة فقوله تعالى: ﴿يَهۡدِي﴾ محمول على ظاهره، وكذلك قوله تعالى: ﴿مَن يَشَآءُ﴾.

قوله: (**الدامِس**) دمَس الظلام يَدمُس ويَدمِس؛ اشتدّ، وليل دامِس وأدموس، أي: مظلم. وقوله: (**الشامس**) قد شمس يومنا يَشمُس ويَشمِس إذا كان ذا شمس.

قوله: (**وعن عليّ رضي الله عنه:**[2] **«نَوَّرَ السموات»**) أي: قرأ بفتح النون والواو المشدّدة[3] والراء المفتوحة على أنّه فعل ماضٍ مِن التنوير،[4] ثمّ فسّره المصنِّف بوجهين، هما كالمعنيين[5] المذكورين أوّلًا، أعني: قوله: (**الدلالة على سَعة إشراقه، وأنّهم يستضيئون به**).

قوله: (**فأضاءت بنوره**) أي: أضاءت السموات والأرض، وهو لازم.

قوله: (**وعن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه:**[6] **"مَثل نور مَن آمنَ به"**)[7]

---

١ ن: لذلك.

٢ د - رضي الله عنه.

٣ ن: الممددة.

٤ شاذة. انظر: **الكامل للهذلي**، ص ٦٠٨.

٥ ن: كالمفسر.

٦ د - رضي الله عنه.

٧ وهي قراءة شاذّة. انظر: **تفسير ابن أبي حاتم**، ٢٥٤٩/٨ (النور، ٣٥/٢٤).

وقرئ: "زجَاجةٍ... الزجَاجةُ" بالفَتح والكَسر.

قال في **التفسير الوسيط**: «قال المفسّرون: هذا مَثل للمؤمن؛[1] فالمِشكاة قلبه، والمصباح هو الإيمان و**القرآن**، والزجاجة صدره»،[2] هذا كلام صاحب **الوسيط** فيه. ويقول أضعف عباد الله تعالى أحمد بن الحسن الجاربرديّ:[3] أظنّ -والله أعلَم بالصواب- أنّ الأَولى أن يقال: المشكاة صدر المؤمن، والزجاجة قلبه، والمصباح هو الإيمان، فإنّ الإيمان في القلب، والقلب في الصدر كالمصباح في الزجاجة، والزجاجة في المِشكاة. ثمّ نقول: الزيت هو العقل، والنار هو **القرآن** والوحي السماويّ،[4] فإنّ العقل بنفسه يكاد يهدي الناس؛ لكن لا يهدي بدون التأييد بالكتاب السماويّ، ولذا قيل: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ﴾، يعني: يَقرُب[5] مِن الإضاءة؛ لكن لا يضيء إلّا بالوحي والكتاب السماويّ، فإذا اتصل به صار نورًا على نور، ويوفق الله تعالى لورود الوحي ولاتّباعه مَن يشاء، وهم الأنبياء والمرتَضين مِن عباده، ويبيّن الله تعالى الأوصاف العجيبة الشأن[6] للناس، وهو تعالى شأنه عالم بجميع الأشياء، فهو تعالى بعلمه وحكمته يبيّن الأشياء، فأسأله تعالى التوفيق للاطلاع على حقائق تنزيله وفرقانه، إنّه خير موفّق ومُعين. ثمّ يقول: المراد بـ"الشجرة المباركة" -والله أعلم-: العقل الفعّال[7] الذي جعله الله تعالى مبدأ لِعقل الإنسان، فإنّه يتولّد منه عقولنا بأمر الله تعالى وقدرته.

قوله: **(وقرئ: "زَجاجةٍ")**...[8] إلخ، قال أبو عليّ الفارسيّ رحمه الله[9] في **الحجّة**:

---

١ ن: المؤمن.

٢ **التفسير الوسيط** للواحدي، ٣٢١/٣ (النور، ٣٥/٢٤).

٣ د ف: الجابردي.

٤ ف: السماوات.

٥ ن: تغرب.

٦ ف: البيان.

٧ العقل الفعّال -كما يعبّر الفلاسفة- هو الذي يؤثّر في النفس، ويعدّها للإدراك، وحال نفوسنا بالإضافة إليه حال أبصارنا بالنسبة إلى الشمس، فكما أنّ بإفاضة نور الشمس تدرك المحسوسات، كذلك بإفاضة نوره تدرك المعقولات. انظر: **شرح التلويح** للتفتازاني، ٣١٣/٢. وقال الخوارزمي: «العقل الفعّال: هو القوّة الإلهيّة التي يهتدي بها كلّ شيء في العالم العلويّ والسفليّ مِن الأفلاك والكواكب والجماد ولحيوان غير الناطق والإنسان لاجتلاب مصلحته وما به قوامه وبقاؤه على قدر ما تتهيّأ له وعلى حسب الإمكان». **مفاتيح العلوم** للخوارزمي، ص ١٥٦.

٨ شاذّة نسبها ابن جنّي إلى نصر بن عاصم. انظر: **المحتسب** لابن جنّي، ١٠٩/٢.

٩ د - رحمه الله.

....

مَن قرأ ﴿دُرِّيٌّ﴾ -بضمّ الدال وكسر الراء مشدّدة الياء مِن غير همزٍ- احتمل قوله أمرين؛ أحدهما أن يكون نسبةً إلى الدُّرّ؛ وذلك لِفَرط ضيائه ونوره، كما أنّ الدُّرَّ كذلك،[١] ويجوز أن يكون فُعِّيلًا مِن الدَّرْء، فخُفِّفت[٢] الهمزة، فانقلبت ياء كما تنقلب مِن "النَّسيء" و"النَّبيء" ونحوه إذا خفّفت ياء. ومَن قرأ ﴿دِرِّيء﴾ -مهموزًا بكسر الدال- كان فِعّيلًا مِن الدَّرْءِ مثل: السِّكِّير والفِسّيق، والمعنى: إنّ الخفاء اندفع عنه؛ لتلألئه في ظهوره، / فلم يَخْفَ كما خَفي نحو السُّهى وما لا يُضيء مِن الكواكب. [١٨٣و]
ومَن قرأ ﴿دُرِّيء﴾ -بضمّ الدال مهموزًا- كان فُعِّيلًا مِن الدَّرء الذي هو الدفع. وقد حكى سيبويه عن أبي الخطّاب:[٣] ﴿كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ مِن الصفات، ومِن الأسماء: المُرِّيق؛ للعُصْفُر، وممّا يمكن أن يكون على هذا البناء قولهم: العُلِّيَّة،[٤] ألا تراه أنّه مِن علا يعلو، فهو فُعِّيل منه، ومنه: السُّرِّيّة، والأَولى أن يكون فُعِّيلة.[٥]

ثمّ إنّ أبا عليّ رحمه الله[٦] أطنَب الكلام في[٧] أنّ "السُّرِّيّة" فُعِّيلة إمّا مِن السِّرّ أو مِن السُّرور.

واعلم أنّ هذه القراءات الثلاث مِن السبعة،[٨] ثمّ ذكر المصنِّف قراءة أخرى شاذّة؛ وهي بفتح الدال وكسر الراء المخفّفة وتشديد الياء،[٩] وشبّهه بالسَّكينة، بفتح السين وتخفيف الكاف المكسورة؛ وهي الوَداع والوقار، قال الشيخ في **الكواشي**: «قرئ -يعني في الشاذّ- بفتح الدال وكسر الراء وتشديد الياء».[١٠]

---

١ ف - كذلك.

٢ ف ن: فخفّف.

٣ انظر: **الكتاب** لسيبويه، ٢٦٨/٤. | وأبو الخطاب هو الأخفش الأكبر أستاذ سيبويه.

٤ ف ن + الغرفة. | وهي غير موجودة في مطبوع **الحجّة**. وهي تفسير للعُلِّيّة.

٥ **الحجّة** لأبي عليّ الفارسي، ٥٤/٤.

٦ د - رحمه الله.

٧ ن - في.

٨ قرأ أبو عمرو والكسائي بكسر الدال مع المدّ والهمز، وقرأ حمزة وأبو بكر بضمّ الدال والمدّ والهمز، وقرأ الباقون بضمّ الدال وتشديد الياء مِن غير مدّ ولا همز. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٣٣٢/٢.

٩ شاذة. انظر: **المحتسب** لابن جنّي، ١١٠/٢.

١٠ **تفسير الكواشي**، ٣٥٢ظ.

و: ﴿دُرِّيٌّ﴾ منسُوبٌ إلى الدُّرِّ؛ أي: أبيَضُ مُتَلأَلِئٌ، و: ﴿دِرِّيٌّ﴾ بوَزن سِكِّيتٍ: يَدْرأ الظَّلامَ بضَوْئه، و: ﴿دُرِّيءٌ﴾ كمُرِّيقٍ، و"دَرِّيءٌ" كالسَّكِّينة عن أبي زَيد.

و: "تَوَقَّدُ" بمعنى: تَتَوَقَّدُ، والفعلُ للزُّجاجَةُ، و: ﴿يُوقَدُ﴾ و﴿تُوقَدُ﴾ بالتَّخفِيف، و: "يُوَقَّدُ" بالتَّشديد، و: "يَوَقَّدُ" بفتح الياء وحذف التَّاءِ لاجتماع حَرفين زائِدَين وهو غريبٌ.

و: "يمسَسْه" بالياء؛ لأنَّ التَّأنيثَ ليس بحقيقيٍّ والضميرُ فاصِلٌ.

﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾

﴿فِى بُيُوتٍ﴾ يتَعلَّق بما قَبله؛ أي: كمشكاةٍ في بَعضِ بيُوت الله وهي المساجدُ؛ كأنَّه قيل: مَثَلُ نُورِه كما تَرى في المسجِد نُورَ المِشكاةِ التي من صفَتِها كَيْتَ وكَيْتَ.

وفي هذه القراءة الشاذَّة التي ذكرها المصنِّف والشيخ في **الكواشي** يجوز أن يكون "دَرِيّ" فَعِيلًا بمعنى فاعل، مِن دَرأَتِ النجومُ تَدْرَأ إذا اندفعت، أو بمعنى مفعول مِن الدَّرء بمعنى الدفع، قلبت الهمزة في الوجهين ياء وأُدغمت، فيكون معناه موافقًا لما ذكَره الواحدي لتفسير القراءة بكسر الراء، وهو قوله: «هو مِن الدَّرْء، بمعنى: الدفع، والكوكب إذا دُفع ورُمي مِن السماء لرجم الشياطين تَضاعَف ضوؤه».[١] ويؤيد ما ذكره في **الصِّحاح**: «الدَّرِيّة غير مهموز؛ دابّة يَستتر بها الصائد، فإذا أمكنه رمَى، وقال أبو زيد: هو مهموز؛ لأنّها تُدرَأ نحوَ[٢] الصيد، أي: تُدفع».[٣]

قوله: (**لأنَّ التأنيث**) أي: تأنيث "النار:

قوله: (**أي: كمِشكاة**) فهو صفة "مِشكاة" متعلِّق بمحذوف.

---

١ **التفسير الوسيط** للواحدي، ٣/٣٢٠ (النور، ٣٥/٢٤). ٣ **الصحاح** للجوهري، «درى».
٢ ن: مهموز.

أو بما بَعْدَه وهو ﴿يُسَبِّحُ﴾؛ أي: يُسبّح لهُ رجَالٌ في بيُوتٍ، وفيها تَكريرٌ كقولك: زيد في الدار جالسٌ فيهَا.

أو بمحذوفٍ كقوله: ﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾ [النمل ١٢/٢٧]؛ أي: سَبِّحُوا في بيُوتٍ.

والمرادُ بالإِذنِ: الأمرُ.

و"رَفعُها": بنَاؤُهَا؛ كقوله: ﴿بَنَىٰهَا ۞ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا﴾ [النازعات ٢٧/٧٩-٢٨]، ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ﴾ [البقرة ١٢٧/٢]، وعن ابن عباس رضي الله عنه: هي المسَاجد أَمَرَ اللهُ أن تُبنَى.

أو تَعظيمُهَا والرفعُ مِن قَدْرهَا، وعن الحَسن: ما أمرَ اللهُ أَن تُرفَع بالبناء؛ ولكن بالتَّعظِيم، ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ أَوفَقُ له، وهو عَامٌّ في كلِّ ذكرٍ.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: وأَنْ يُتْلَى فيها كتابُه.

وقرئ: ﴿يُسَبَّحُ﴾ عَلى البناء للمَفعول، ويُسنَدُ إلى أحد الظرُوفِ الثَّلاثة،

قوله: (**وفيها تكرير**) أي: تكرير للظرف، يعني: على هذا الوجه.

قوله: (**كقوله تعالى: ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾** [النازعات ٢٨/٧٩]) استشهد المصنِّف رحمه الله[١] بهذه الآية على أنّ المراد بـ"الرفع": البناء، فإنه تعالى[٢] قال: ﴿بَنَىٰهَا﴾، ثم بيّنه بقوله: ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ [النازعات ٢٨/٧٩]، فدلّ على أنّ "الرفع" يكون بمعنى: البناء.

قوله: ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ يعني: أنّ قوله تعالى: ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ أوفق وأنسب لمعنى[٣] التعظيم منه لمعنى البناء، فينبغي أن يكون المراد بالرفع التعظيم لا البناء، فقول المصنِّف: "﴿وَيُذْكَرَ﴾" مبتدأ، خبره "أوفق".

قوله: (**وعن ابن عبّاس رضي الله عنه:**[٤] «**وأن يُتلى**») فسّر قوله: ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ بقوله: "وأن يُتلى"، وأتى بالواو كما في لفظ القرآن.

---

١ د ف - رحمه الله.
٢ ن: يقال.
٣ د ن: بمعنى.
٤ د - رضي الله عنه.

أَعنِي: ﴿لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ﴾، و﴿رِجَالٌ﴾ مَرفوعٌ بما دلَّ عليه ﴿يُسَبِّحُ﴾ وهو: يُسَبِّحُ له.

و: "تُسبِّحُ" بالتَّاءِ وكسر الباء.

وعن أبي جعفرٍ بالتَّاءِ وفتح الباء، ووَجهُها: أن يُسنَد إلى أَوقات الغدُوِّ والآصَال على زيادة البَاء، وتُجعَلَ الأَوقاتُ مُسَبَّحَةً والمرادُ رَبُّهَا؛ كـ: صِيدَ عَليه يَومان، والمُرادُ: وَحْشُهما.

و"الآصَالُ": جَمعُ أُصُلٍ وهُو العَشِيُّ، والمَعنى: بأَوقاتِ الغدُوِّ؛ أي: بالغَدَوات.

وقرئ: "والإيصالِ" وهو الدُّخُولُ في الأَصيل، يُقَال: آصَلَ كأَظْهَرَ وأَعتَم.

"التجَارةُ": صِناعةُ التَّاجِر، وهو الذي يَبيعُ ويَشتَرِي للرِّبح، فإمَّا أَن يُريد: لا يَشغَلُهم نوعٌ مِن هذه الصِّناعَة ثم خَصَّ البَيعَ؛ لأَنَّه في الإِلْهَاءِ أَدْخَلُ، مِن قِبَلِ أَن التاجرَ إذا اتَّجَهَتْ له بَيعَةٌ رابحَةٌ -وهيَ طَلِبتُه الكُلِّيَّة من صنَاعتِهِ- أَلْهَتْهُ ما لا يُلْهِيهِ شِرَى شيءٍ يَتوقَّعُ فيه الربْحَ في الوَقت الثاني؛ لأنَّ هذا يقينٌ وذاكَ مظنونٌ.

قوله: (على زيادة[1] الباء)[2] والأصل: تُسبِّح الغدوّ والآصال، بمعنى: تُسبَّح أوقات الغدوّ والآصال، أي: ربُّ أوقات الغدوّ والآصال.

قوله: (آصَلَ) أي: دخَل في وقت الأصيل، و"أعتَم" أي: دخل في وقت العتَمة، و"أظهَر" أي: دخل في وقت الظهر.

قوله: (ثمّ خصّ البيع) يعني: يجوز أن يريد بالتجارة صناعة التجارة، وهو شامل للبيع والشِّرى،[3] ثمّ خصّ البيع.

قوله: (ما لا يُلهيه) أي: أَلْهَتْهُ إلهاءً لا يلهيه ذلك الإلهاء شِرى شيءٍ. فقوله: "ما" عبارة عن الإلهاء، والضمير المنصوب مِن "يُلهيه" يعود إليه، فهما منصوبان على المصدر. وقوله: (لأنّ هذا) أي: البيع الرابح.

---

١ ن: زيادية.

٢ القراءة بالتاء وفتح الباء عن أبي جعفر شاذّة، والصحيح مِن قراءته كالجمهور بالياء وكسر الباء، وقرأ ابن عامر وأبو بكر بالياء وفتح الباء. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٣٢/٢؛ ومختصر شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٠٤.

٣ ن - والشرى.

وإمَّا أَن يُسمَّى الشِّرَى تجارةً إطْلاقًا لاسم الجنسِ على النَّوْعِ؛ كما تقولُ: رُزِقَ فلانٌ تجارةً رابحةً، إذا اتَّجه له بَيعٌ صَالحٌ أو شِرًى.

وقيل: التجارةُ لأهل الجَلَب، تَجَرَ فلانٌ في كذا: إذا جَلَبه.

التاءُ في "إقامةِ" عِوَضٌ مِن العَين السَّاقِطة للإعلال، والأصل: "إقوامٌ" فلمَّا أُضيفَت أُقِيمَت الإضافةُ مُقَامَ حَرْف التَّعويض فأُسقِطَتْ، ونحوهُ:

وأَخلفُوكَ عِدَ الأمر الَّذي وَعَدُوا

[١٨٣ظ] قوله: (وإمّا أن يسمّي) فعلى هذا كأنّه قيل: لا يُلهيهم شِرًى / ولا بيع.

قوله: (لاسم الجنس) أراد بالجنس: المفهوم المركّب مِن أمرين، وهما: مجموع البيع والشِّرى، وأراد بالنوع: كلَّ واحد مِن هذين الأمرين، والصواب أن نقول: المراد بالجنس: القدر المشترَك بين البيع والشِّرى؛ وهو المعاوضة المَحضة.

قوله: (إذا جلبه) جلَب الشيء: جاء به مِن بلد إلى بلد للتجارة، جَلْبًا وجَلَبًا، والجلَب: المَجلوب، ومنه: «نهى عن تلقّي الجلَب».[١]

قوله: (فأُسقطت) أي: فأُسقطت حرفُ التعويض، وهو التاء.

قوله:

(وأخلفوك عِدَ الأمر الذي وَعدوا)

أوّله:

إنّ الخليط أجدُّوا البَين فانجرَدوا[٢]

الخليط: المخالِط.[٣] قوله: "أجدُّوا" أي: بالغوا في البَيْن -وهو الفِراق- فذهبوا. يقال: انجرَد بنا السير، أي: امتدّ وطال، والتجرّد: التعرّي، وتجرَّد للأمر،[٤] أي: جدّ فيه. وقوله: "عِدَ الأمر" أي: عِدة الأمر، فحذف التاء.

---

١ **سنن أبي داود**، ٥/٣١٠ (٣٤٣٧)، بهذا اللفظ، وأصله في الصحيحين.

٢ ن: فانجروا | للفضل بن عبّاس بن عتبة اللّهبي كما في **لسان العرب** لابن منظور، «غلب».

٣ ف: المخالِطة.

٤ ن: الأمر.

وتقلُّبُ القلُوبِ والأَبصَار: إمَّا أن تتقَلَّبَ وتتغيَّر في أنفُسِها؛ وهُو أن تضطربَ من الهَول والفَزع وتشخَصَ كقوله: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب ٣٣/١٠]، وإمَّا أن تتقلَّبَ أَحوالُها وتتغيَّر، فتَفقَهُ القلوبُ بَعد أَن كانت مَطبُوعًا عليها لا تَفقَهُ، وتُبصِرُ الأبصَارُ بَعد أن كانت عُميًا لا تُبصِرُ.

﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾

﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟﴾؛ أي: أحسنَ جَزاءِ أعمَالهم؛ كقوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [يونس ١٠/٢٦]، والمعنى: يُسَبِّحونَ ويخَافُونَ ليَجزيَهُم ثوابَهُم مضَاعَفًا ﴿وَيَزِيدَهُم﴾ على الثواب تَفضُّلًا، وكذلك معنى قولِه: ﴿ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾: المثوبةُ الحُسنَى وزيادةٌ عليها مِن التفضُّل، وعطاءُ الله: إمَّا تفضُّلٌ، وإمَّا ثوابٌ، وإمَّا عِوَضٌ.

قوله: (**وهو أن تضطرب**) أي: القلوب. وقوله: (**وتَشْخَص**) أي: الأبصار.

قوله: (**فتَفْقَه القلوب**) يقرُب منه قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [مريم ١٩/٣٨].

قوله تعالى:[١] ﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟﴾ أي: جزاءَ أحسن جزاء[٢] عملهم،[٣] فلذا فسّره بـ"ثواب مضاعفًا"، فـ﴿أَحْسَنَ﴾ صفة موصوف محذوف، والمضاف بعده محذوف، و﴿مَا﴾ مصدريّة أو موصولة.

قوله: (**والمعنى: يُسبّحون ويخافون ليجزيهم**) إشارة إلى ما[٤] تعلّق به ﴿لِيَجْزِيَهُمُ﴾، وكان الصواب أن لا يأتيَ المصنِّف بالواو في "ويخافون"، كما هو في لفظ **القرآن**؛ ليكون حالًا مِن ﴿رِجَالٌ﴾، أي: يسبِّحون خائفين ليجزيَهم.

قوله: (**وعطاء الله عزّ وجل**) عند المعتزلة: عطاءُ الله تعالى إمّا عِوض، وهو واجب، ويكون بقدر العمَل لا يجوز النقصان منه عندهم، وإمّا ثواب؛

---

١ ن – تعالى.
٢ ن: جداء
٣ ن: عمله.
٤ ن – ما.

﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ﴾ ما يَتفضَّلُ به ﴿بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ فأمّا الثوابُ فله حِسابٌ لكونه على حَسَب الاستحقاق.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾

"السَّرابُ": ما يُرَى في الفَلاة من ضَوء الشمس وقتَ الظَّهيرة يَسرُبُ على وجه الأرض كأنه ماءٌ يَجري.

و"القيعَة" بمعنى: القاعِ، أو جَمعُ قَاعٍ -وهو المنبَسِطُ المستَوِي من الأرض- كجِيرةٍ في جَارٍ.

وقرئ: "بقيعات" بتاءٍ مَمطُوطةٍ؛ كدِيماتٍ وقِيماتٍ في دِيمةٍ وقيمةٍ، وقد جَعل بعضُهم "بقيعَاةٍ" بتاءٍ مُدَوَّرة كـ"رَجُلٍ عِزهَاةٍ".

وهو ما يزيد في المُجازاة، كالعشرة للحَسنة الواحدة إلى سبع مئة إلى ما زاد على[1] ذلك، ويكون ذلك بحسب الاستحقاق الذي يقتضيه إخلاص صاحبه وطهارة نفسه عن الصفات الذميمة، ومعرفته بصفات الله تعالى، وأمّا التفضّل فلا حساب له. وقوله: (**على حسب الاستحقاق**) بقدر الإخلاص، وطهارة النفس، ونقاء العقيدة، ورعاية الآداب.

قوله: (**يَسرُب**) في محلّ المفعول الثاني لقوله: (**يُرى**)، وهو بمعنى يُظنّ، و"مِن" في "مِن ضوء" لبيان[2] "ما"، كأنّه قال: السَّراب ضوء الشمس تظنّ سارِبًا على وجه الأرض. سرَب في الأرض: مضى، وسرَب الماء: جرى، سُروبًا.

قوله: (**بتاءٍ ممطوطةٍ**)... إلخ، يريد: أنّ بعضهم جعله جَمعًا،[3] كَدِيمات[4] في جمع دِيمةٍ؛ وهو المطر الدائم، فكتَبُه بالتاء الممطوطة، وبعضهم جعله مفردًا،

---

١ ن - على.
٢ ن: ببيان.
٣ هي قراءة شاذّة. انظر: **مختصر شواذّ القرآن** لابن خالويه، ص ١٠٤.
٤ ن: كديمان.

شَبَّه ما يَعملُه مَن لا يَعتقدُ الإيمانَ ولا يتَّبعُ الحقَّ من الأعمال الصَّالحة التي يحسَبُها تَنفعُه عند الله وتُنجِيه من عَذابه ثم يَخِيبُ في العَاقبة أَملُهُ ويَلقَى خلافَ ما قدَّر= بسَرابٍ يَراهُ الكافرُ بالسَّاهرة وقد غلَبَه عَطشُ يَوْمِ القيامة فيحسبُه ماءً، فيَأتيهِ فلا يَجدُ ما رَجَاه ويجِدُ زَبانيةَ الله عنده يأخذُونه فيَعتُلُونَه إلى جهنَّم فيَسقُونه الحميمَ والغَسَّاقَ، وهُم الذين قال الله فيهم: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ [الغاشية ٣/٨٨]، ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف ١٠٤/١٨]، ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان ٢٣/٢٥].

كعِزْهاةٍ،[١] فكتْبه بتاء مدوَّرة، وهو مثل ما قيل في عِرْقاة: إن فُتح تاؤه في النصب في قولهم: استأصل الله عِرقاتهم،[٢] فيوقف عليه بالهاء، وإن كُسِرت فيوقف بالتاء. ومطَّه يَمُطُّه إذا مدَّه. ورجل عِزْهاة وعِزْهى؛ هو الذي لا يميل إلى النساء، وهو ضد: الفحل.

قوله: (**ثم تُخَيِّبُ في العاقبة أملَه**) عطف على "لا يَعتقد" سواء[٣] قرئ بضم التاء المنقوطة مِن فوق / وتشديد الياء المكسورة، وفاعله ضمير الأعمال، [١٨٤و]
ومفعوله: "أمله"، أو قرئ بفتح الياء المنقوطة مِن تحت وكسر الخاء بعد ياء ساكنة، وفاعله: "أملُه".[٤] وقوله: (**ويلقى**) عطف عليه أيضًا، ومنه يظهر أنّه لا يجوز أن يكون "تُخَيِّب" عطفًا على "يعمله".

قوله: (**بالسَّاهرة**) "الساهرة": وجه الأرض.

قوله: (**والغسّاق**) "الغسّاق" البارد المُنتِن، يخفَّف ويشدَّد، قرأ أبو عمرو: ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا﴾ [النبأ ٢٥/٧٨]، بالتخفيف، والكسائيّ بالتشديد.[٥] **صِحاح**.[٦]

---

١ ن: لعزهاد.

٢ عرقاتهم، أي: شأفتهم، فعِرقاتهم -بالكسر- جمع عرق. **لسان العرب** لابن منظور، «عرق».

٣ ن: سوى.

٤ ن - "أملُه".

٥ قرأ بتشديد السين: حمزة والكسائي وخلف وحفص، وقرأ باقي القراء العشر بتخفيفها. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٦١/٢.

٦ ف - صحاح؛ ن - قوله: (والغسّاق) "الغسّاق" البارد المُنتِن، يخفَّف ويشدَّد، قرأ أبو عمرو: ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا﴾ [النبأ ٢٥/٧٨] بالتخفيف، والكسائي بالتشديد. صِحاح. | **الصحاح** للجوهري، «غسق».

وقيل: نزلَت في عُتبَة بنِ ربيعةَ بن أُميَّة، قد كان تعبَّد ولَبِسَ المُسوحَ والتَمس الدِّينَ في الجَاهِليَّة ثم كفَر في الإِسْلام.

﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾

"اللُّجِّيُ": العَميقُ الكثيرُ الماء، مَنسُوبٌ إلى اللُّجِّ وهو مُعْظَمُ ماءِ البحر، وفي ﴿أَخْرَجَ﴾ ضميرُ الواقِع فيه؟

﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ مبالغةٌ في "لم يرَها"؛ أي: لم يَقرُبْ أنْ يراهَا فضلًا عن أنْ يراها، ومِثلُه قولُ ذي الرُّمَّة:

إذا غيَّرَ النَّأيُ المُحبِّين لم يكَدْ رَسِيسُ الهَوى مِن حُبِّ مية يَبْرَحُ

أي: لم يَقرُبْ من البَراح فما بَالُهُ يَبرحُ؟

قوله: (و﴿يَحْسَبُونَ﴾ [الكهف ١٠٤/١٨]) الواو في "و﴿يَحْسَبُونَ﴾ [الكهف ١٠٤/١٨]"[١] واو **الكشّاف**،[٢] عطف به ﴿يَحْسَبُونَ﴾... إلخ [الكهف ١٠٤/١٨] على ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ [الغاشية ٣/٨٨].

قوله: (**المُسوح**) قال في **الصِّحاح**: «أهل المدينة يُسَمُّون المِسْح: بَلاس، وهو فارسيّ معرَّب».[٣] قال في **المُغرب**: «المِسْح بَلاس[٤] الرُّهبان».[٥]

قوله: (**وفي ﴿أَخْرَجَ﴾ ضمير الواقع فيه**) وقد دلَّ عليه سياق الكلام.

قوله: (**من البَراح**) "البَراح": مصدر قولك: بَرِح مكانه؛ أي: زال عنه، و"الرسيس": الشيء الثابت الذي[٦] لزم مِن بقية هوًى أو سقم في البدن، يقال: رسّ الهوى إذا ثبت في القلب، و"مَيّة": اسم امرأة.

---

١ ن - الواو في "و﴿يَحْسَبُونَ﴾ [الكهف ١٠٤/١٨]".

٢ أي: إنّ هذه الواو مِن لفظ الزمخشري، وليست مِن الآية.

٣ **الصحاح** للجوهري، «بلس».

٤ كذا في الأصول الخطّيّة، وفي مطبوع **المُغرب**: "لِباس".

٥ **المُغرب** للمطرّزي، «مسح».

٦ ن - الذي.

شبَّه أَعمالَهم أَوَّلًا في فَوَاتِ نفعِها وحُضُورِ ضَرَرِهَا بسرابٍ لم يَجدْهُ مَن خدَعَه مِن بَعيدٍ شيئًا، ولم يَكفِهِ خَيْبةً وكَمَدًا أَنْ لم يَجدْهُ شيئًا كغيرِه من السَّراب حتى وَجد عندهُ الزَّبانيَةَ تَعْتِلهُ إلى النَّار ولا يَقتلُ ظمَأَه بالماء.

وشَبَّهَها ثانيًا في ظُلمَتِها وسَوادها لكونها باطلةً وفي خُلُوِّهَا عن نُور الحقِّ بظلمات مُتَراكمةٍ من لُجِّ البَحر والأمواجِ والسَّحابِ.

ثم قال: ومَن لم يُولِه نُورَ تَوفِيقِه وعِصْمتِه ولُطفِه فهو في ظلمةِ البَاطلِ لا نورَ لهُ.

وهذا الكلام مُجراهُ مُجرَى الكِناياتِ؛ لأنَّ الألطَافَ إنَّما تَردفُ الإيمانَ والعَملَ، أو كونَهما مُترقَّبَين، ألَا ترَى إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت ٦٩/٢٩]، وقولِه: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [إبراهيم ٢٧/١٤].

قوله: (**كغيره**) الضمير مِن "كغيره" يعود إلى "سراب"، و"مِن" بيان "غيره"، أو "مِن" للتبعيض، أي: كغير هذا السراب كائنًا مِن جنس السراب.

قوله: (**حتّى وجد**) متعلِّق بقوله: (لم يَكْفِه). وقوله: (**ولا يقتُلُ**) عطف على (لم يَجده).

قوله: (**وشَبّهها ثانيًا**) يعني: أنّ قوله: ﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ﴾ عطف على قوله: ﴿كَسَرَابِۭ﴾، وقال أبو عليّ في **الحجّة**: «﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ﴾ معناه:[١] كذِي ظلمات، ويدلّ على حذف المضاف قوله: ﴿إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَا﴾، فالضمير الذي أُضيف إليه ﴿يَدَهُۥ﴾ يعود إلى المضاف المحذوف، ومعنى ذي ظلمات: أنّه في ظلمات».[٢] وأنا أقول: كلام أبي عليّ: يدلّ على أنّه عطف على مجموع قوله: ﴿أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ﴾، فكأنّه قيل: مَثَل الذين كفروا كذي ظلمات.

قوله: (**ومَن لم يولِه**) الإيلاء: الإعطاء.

قوله: (**الكنايات**) يريد: أن ظاهر المعنى: ومَن لم يُعطه الله تعالى نور توفيقه وعصمته ولطفه فهو في الظلمات؛ لكن هذا مِن باب الكنايات؛

---

[١] ف - معناه.

[٢] الحجّة لأبي عليّ الفارسي، ٦١/٤.

وقرئ: ﴿سحابُ ظُلُماتٍ﴾ على الإضافة، و: ﴿سحَابٌ ظُلُماتٍ﴾ برَفعِ ﴿سحابٌ﴾ وتَنوينهِ وجرِّ ﴿ظُلُماتٍ﴾ بدلًا من ﴿ظُلُماتٍ﴾ الأولى.

لأنّ إعطاء هذه الأشياء مِن لوازم الإيمان والعمل الصالح، فإنّ الله تعالى إنّما يوفّق ويعصم مَن يعمل العمل الصالح بدليل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت ٦٩/٢٩]، وبدليل قوله تعالى: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [إبراهيم ٢٧/١٤]، فإنّه دلّ على: مَن لم يعمل ولم يؤمن لم يوفّقه الله تعالى، وإذا ثبت أنّه مِن لوازمه فأطلق الإعطاء وأراد مَلزومه، فكأنّه قال: مَن لم يكن له إيمان وعمل صالح، إمّا في الحال، وإمّا بأن[1] يُترقّب منه، فهو في الظلمة لا يستحق التوفيق واللطف مِن الله تعالى، ويريد بهذا نوعَ إشارة إلى مَذهبه، فعلى ما ذكره: النور **الأوّل** التوفيق، ومعنى جعلِ[2] النور له: إعطاؤه التوفيق، والنور **الثاني** الحقّ الذي هو ضدّ[3] الباطل، كما في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [النور ٣٥/٢٤]، فالمعنى على ما ذكره: مَن لم يُعطه الله تعالى التوفيق -لعلمه تعالى أنّه لا يفيده اللطف لأنْ[4] يدخل في الإيمان والعمل الصالح- فهو باقٍ في ظلمة الباطل لا ينتقل منه إلى الحق.

[١٨٤ظ] قوله: (**وقرئ**: ﴿سَحَابُ ظُلُمَٰتٍ﴾) قال أبو عليّ / في **الحجّة**:

مَن قرأ: ﴿سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌ﴾ برفع "الظلمات"[5] كان خبر مبتدأ محذوف، تقديره: هذه ظلماتٌ بعضها[6] فوقَ بعض. ومَن قرأ: ﴿سَحَابٌ﴾ أي: منوَّنًا، ﴿ظُلُمَٰتٍ﴾ مكسورًا،[7] فهو تكرير وبدل مِن "الظلمات" الأوّل. ومَن قرأ: ﴿سَحَابُ ظُلُمَٰتٍ﴾ بإضافة "السحاب" إلى "الظلمات"،[8] فـ"الظلمات" هي "الظلمات" التي تقدّم ذكرها، وأضاف السحاب إلى الظلمات؛ لاستقلال السحاب وارتفاعه في وقت كون هذه الظلمات، كما تقول: سحابُ رحمةٍ، وسحاب مطرٍ، إذا ارتفع في الوقت الذي يكون فيه الرحمة والمطر.[9]

---

[1] ن: أن.
[2] ن - جعل.
[3] ن + التوفيق.
[4] في الأصول الخطّيّة: "لأنه".
[5] وهي قراءة الجمهور غير ابن كثير المكّي. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٣٢/٢.
[6] ن - بعضها.
[7] ﴿سَحَابٌ ظُلُمَٰتٍ﴾ رواية قنبل عن ابن كثير. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٣٢/٢.
[8] ﴿سَحَابُ ظُلُمَٰتٍ﴾ رواية البزّي عن ابن كثير. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٣٢/٢.
[9] **الحجّة** لأبي عليّ الفارسي، ٦١/٤.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾﴾

﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾: يَصفُفنَ أَجنِحتَهُنَّ في الهواء، والضميرُ في ﴿عَلِمَ﴾ لـ﴿كُلٌّ﴾ أو لله، وكذلك في ﴿صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾.

والصَّلاةُ: الدُّعاء، ولا يَبعُد أن يُلهِمَ اللهُ الطَّيرَ دُعاءَه وتسبيحَهُ كما أَلْهمَها سائرَ العُلوم الدَّقِيقَةِ التي لا يَكادُ العُقَلاء يَهتدُون إليها.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿يُزْجِى﴾: يَسُوقُ، ومنه: البِضَاعةُ المُزجَاةُ: التي يُزجِيهَا كُلُّ أحَدٍ لا يَرضاهَا.

و"السَّحابُ" يكون واحدًا كالعَمَاءِ، وجَمْعًا كالرَّباب.

ومعنى تأليفِ الوَاحد: ....

قوله: (**الضمير في ﴿عَلِمَ﴾**) إن كان عائدًا إلى الله تعالى فالضمير في ﴿صَلَاتَهُۥ﴾ لا بدّ أن يعود إلى ﴿كُلٌّ﴾، وإلّا بقي[1] المبتدأ بلا عائد، وإن كان الضمير في ﴿عَلِمَ﴾ عائدًا إلى ﴿كُلٌّ﴾ فيجوز أن يعود الضمير في ﴿صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾ إلى الله تعالى وإلى ﴿كُلٌّ﴾.

قوله: (**كالعَماء**) "العَماء" -بالمدّ-: السحاب، وقيل: هو شبه الدخان يركب رءوس الجبال.

قوله: (**كالرَّباب**) الرَّباب: السحاب الأبيض، الواحد: رَبابة.

قوله: (**ومعنى تأليف الواحد**) لمّا ذكر أنّ السحاب يكون واحدًا وجمعًا، وكان معنى التأليف في الجمع ظاهرًا دون الواحد، أشار إلى معنى تأليف الواحد، وهو

---

[1] ن: تقى.

أنه يكون قَزَعًا فيَضمُّ بعضَه إلى بَعضٍ، وجازَ: ﴿بَيْنَهُۥ﴾ وهو واحدٌ؛ لأنَّ المعنَى: بين أجزائه؛ كما قِيل في قوله:

بيـــن الـــدَّخُـــول فـــحَـــوْمَـــلِ

و"الرُّكامُ": المُتَراكِمُ بَعضُه فوقَ بَعضٍ.

و"الوَدقُ": المَطر ﴿مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾: من فُتُوقهِ ومخَارجه: جمع خَلَلٍ؛ كجبالٍ في جَبلٍ، وقُرئ: "من خَلَلِه". ﴿وَيُنَزِّلُ﴾ بالتشديد. و﴿يَكَادُ سَنَا﴾ على الإدغام.

و: "بُرَقِه": جَمع بُرْقَةٍ وهي المقدارُ من البَرْقِ كالغُرفة واللُّقْمة، و: "بُرُقِه" بضمَّتَين للإتْباع؛ كما قيل في جَمع فُعْلَةُ: فُعُلاتٌ كظُلُماتٍ.

و: "سناءُ برقه" على المَدِّ، المَقصُورُ بمعنى الضَّوء، والممْدُودُ بمعنَى العُلوِّ والارتفاعِ، من قولك: "سَنيٌّ" للمُرتفِع.

أنّه في الأصل كان قَزَعًا، فقوله تعالى: ﴿يُؤَلِّفُ﴾ و﴿بَيْنَهُ﴾ باعتبار ذلك الأصل.

قوله: (قَزَعًا) القَزَع: قِطَع مِن السحاب رقيقة، الواحدة: قَزَعة.

قوله:

(بـيـــن الـــدَّخـــولِ فـــحَـــومَـــلِ)

قِفا نبكِ مِن ذِكرى[1] حَبيبٍ ومَنزلِ بسِقطِ اللِّوى بين الدَّخول فحَوملِ[2]

سِقْط الرَّمْل: منقطَعُه، وفيه ثلاث لغات -أي: حركات- السين مع سكون القاف، ولِوَى الرَّمْل: منقطَعُه؛ وهو الجُدَد بعد الرَّمْلة.[3] و"الدَّخول" و"الحَومل": موضعان. وتقدير قوله: "بين الدَّخولِ فحَومَلِ": بينَ أجزاء الدَّخول فأجزاء حَومل، ولولا أنّ المراد ذلك لقال بالواو؛ لأنّ "بين" يضاف إلى متعدّدٍ.

وقوله: (وقرئ: "مِن خَلَلِه")[4] يعني: بلفظ[5] المفرد.

---

١ ن: ذكر.

٢ **ديوان امرئ القيس**، ص ٨.

٣ انظر: **الصحاح** للجوهري، «لوى».

٤ شاذّة، ونسبها ابن جنّي لعليّ وابن عبّاس والضحاك والحسن رضي الله عنهم. انظر: **المحتسب** لابن جنّي، ١٦٤/٢.

٥ ن: بلطف.

و: ﴿يُذْهِبُ بالأَبْصار﴾ على زِيادة الباءِ -كقوله: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [البقرة ١٩٥/٢]- عن أبي جعفرٍ المدنيِّ.

﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾

وهذا من تَعديد الدَّلائلِ على ربُوبيَّتهِ وظُهُورِ أَمْرِه، حَيْثُ ذَكَر تسبيحَ مَن في السَّماوات والأَرض وكُلِّ ما يَطيرُ بين السَّماء والأرض ودُعَاءَهم له وابتهَالَهُم إليه، وأنَّه سخَّر السَّحابَ التسخيرَ الذي وَصَفَهُ، وما يَحْدُث فيه من أفعاله حتى يَنزِلَ المَطرُ مِنه، وأنه يَقسِمُ رَحمتَه بينَ خلقه ويَقبِضُها ويَبسُطُها على ما تقتَضِيه حكمتهُ، ويُرِيهِمُ البَرقَ في السَّحَاب الذي يَكاد يَخطَفُ أبصَارهم ليَعتبرُوا ويَحذرُوا، ويعاقِبُ بين اللَّيل والنَّهار، ويخالفُ بينَهما بالطُّول والقِصَر، وما هذه إلا براهينُ في غاية الوضوح على وُجُودِه وثَباتِه، ودَلائلُ مُنَادِيةٌ على صِفاته لمَن نَظر وفَكَّر وتبَصَّر وتَدبَّر.

فإنْ قلتَ: متى رَأى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تسبيحَ مَن في السَّماوات ودُعاءَهُم، وتسبيحَ الطَّير ودعَاءَهُ، وتنزيلَ المَطر من جبالِ بَردٍ في السَّماء، حتى قيل له: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾؟

قلتُ: عَلِمه من جهةِ إخبَارِ اللهِ إيَّاهُ بذلك على طريق الوحي.

فإن قلتَ: ما الفرقُ بين ﴿مِنَ﴾ الأُولى والثانية والثالثة في قوله: ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾؟

قلتُ: الأُولى لابتداء الغاية، والثانيةُ للتَّبعيض، والثالثةُ للبَيان، أَو الأُولَيَانِ للابتداء والآخِرةُ للتَّبعيض، ....

قوله: (**قلت: الأَولى**)... إلخ، على **الأوّل**: يكون المعنى: يُنزِّل مِن السماء بعض جبال في السماء هي -أي: تلك الجبال- بَرَد. وعلى **الثاني**: يُنزِّل مِن السماء ينزِّل من جبال في السماء بعضَ بَرَدٍ، وإنّما كرَّرْتُ "يُنزِّل"؛ **لأنّ البدل في** حكم تكرير العامل، فقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَرَدٍ﴾ هو مفعول ﴿وَيُنَزِّلُ﴾.

ومعناه: أنَّه يُنزِل البَردَ منَ السَّماء من جِبَالٍ فيها، وعلى الأوَّل مَفعُولُ ﴿يُنزِّلُ﴾: ﴿مِن جِبَالٍ﴾.

فإن قلتَ: ما معنى ﴿مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾؟

قلت: فيه معنيان:

أحدهُما: أنْ يَخلُقَ اللهُ في السماء جبالَ بَرَدٍ كما خلَق في الأرض جبالَ حجَرٍ.

والثاني: أَن يُريد الكثرةَ بذِكر الجِبال؛ كما يُقال: فلانٌ يَمْلِكُ جبَالًا من ذهَبٍ.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾﴾

وقرئ: ﴿خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ﴾.

ولمَّا كان اسمُ الدابَّة مُوقَعًا على المُميّز وغَيْرِ المميّز غُلِّب المميّزُ فَأُعطيَ ما ورَاءه حُكمَه كأنَّ الدَّوابَّ كُلَّهم مُميّزون، فمِن ثمَّ قِيل: ﴿فَمِنْهُم﴾ وقيل: ﴿مَّن يَمْشِي﴾ في الماشي على بَطْنٍ والماشِي على أَربعِ قوائمَ.

فإن قلتَ: لِم نَكَّرَ الماءَ في قوله ﴿مِّن مَّآءٍ﴾؟

قلتُ: لأنَّ المعنى: أنه خَلق كلَّ دابَّةٍ من نوعٍ من الماء مُختصٍّ بتلك الدَّابة، أو خَلَقَها من ماءٍ مخصُوصٍ وهو النُّطفةُ ثمَّ خالَفَ بين المَخلوقات من النُّطفة: فمنها هَوامُّ، ....

قوله: (**ومعناه: أنه يُنزِّل**) هذا على التقدير الثاني، وأشار به إلى أن مفعول ﴿وَيُنَزِّلُ﴾ على هذا الوجه ﴿مِنْ بَرَدٍ﴾.

قوله: (**والثاني: أن يريد الكثرة**) أي: يريد كثرة البَرَد.

قوله: (**ثمّ خالف**) متعلّق بالتفسير الثاني لقوله: ﴿مَّآءٍ﴾.

قوله: (**هوامُّ**) الهميم: الدبيب، ومنه الهامَّة مِن الدوابّ: ما يُقتل مِن ذوات السُّموم،

ومنها بهائم، ومنها ناس، ونحوه قوله: ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾ [الرعد ١٣/٤].

فإن قلتَ: فما بالُه مُعَرَّفًا في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء ٢١/٣٠]؟

قلتُ: قَصَد ثَمَّ مَعنًى آخَرَ: وهو أنَّ أجناسَ الحيَوان كلَّها مَخلوقةٌ من هذا الجنس الذي هو جنسُ الماءِ، وذلك أنَّه هو الأصلُ وإن تَخلَّلَتْ بينه وبينها وسَائطُ؛ قالوا: خلقَ المَلائكَة من ريحٍ خَلَقَها من الماء، والجِنَّ من نارٍ خَلَقَها مِنْهُ، وآدمَ من ترابٍ خَلَقَه مِنه.

فإن قلتَ: لِمَ جَاءت الأجناسُ الثلاثةُ على هذا الترتيب؟

قلت: قُدِّمَ ما هو أَعرقُ في القُدرَة وهو المَاشِي بغَير آلةِ مَشْيٍ من أرجُلٍ

كالعَقارب والحيّات، ومنها: حديث عمر رضي الله عنه:[1] «وأخيفوا الهوامّ قبل أن تخيفكم»،[2] أي: اقتلوها قبل أن تقتلَكم، وأما حديث ابن عُجْرة: «أيؤذيك هوامُّ رأسك؟»،[3] فالمراد بها القَمْل على الاستعارة.

قوله: (﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَاحِدٍ﴾) قال تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَاحِدٍ﴾ [الرعد ١٣/٤]. / وقوله: [١٨٥و]
(**بهائم**) البهيمة: كلّ ذات أربع قوائم في البرّ والبحر، وقال الزجّاج: «كلُّ حيّ لا يُميّز بهيمةٌ؛ لأنّه أُبهِم عن أن يميّز».[4] أو سمّيت بهيمة؛ لعدَم نطقها.

قوله: (**وبينها**) أي: بينَ أجناس الحيوان.

قوله: (**قالوا**) بيان تخلّل الوسائط بين الماء والأجناس، وتلك الوسائط على ما ذكره: الريح والنار والتراب.

قوله: (**قُدّم ما هو أعرق[5] في القدرة**) أي: أثبت، وهو مِن قولهم: أعرَقَ الشجر والنبات؛ إذا امتدّت عروقُه في الأرض. وهو أفعل الذي بنيَ مِن الثلاثيّ المزيد،

---

١ د - رضي الله عنه.
٢ مصنَّف عبد الرزاق، ١٦٢/٥ (٩٢٥٠).
٣ صحيح البخاري، ١٢٩/٥ (٤١٩٠)؛ صحيح مسلم، ٨٥٩/٢ (١٢٠١).
٤ معاني القرآن للزجّاج، ١٤١/٢.
٥ ف + أغرب.

أو قَوائمَ، ثمَّ الماشي على رِجْلَين، ثم الماشي على أَربع.

فإن قلتَ: لم سمِّي الزَّحفُ على البَطن مشيًا؟

قلتُ: على سبيل الاستِعارةِ؛ كما قالوا في الأمر المُستمِرِّ: "قد مَشَى هذا الأمرُ"، ويقالُ: "فلانٌ لا يتَمشَّى له أَمْرٌ"، ونحوُه استعَارةُ الشَّفَة مكانَ الجحفَلة، والمِشفَرِ مكانَ الشَّفةِ، ونحوِ ذلك.

نحو: هو أعطاهم للدينار، وأولاهم للمعروف، وأنت أكرَم لي مِن زيد، أي: أشدّ إكرامًا، وهذا المكان أقفر مِن غيره، أي: أشد إقفارًا، وكلّ ذلك شاذّ.

قوله: **(ثمّ الماشي)** أي: ثمّ ذكَر الماشي.

قوله: **(فإن قلتَ: لمَ سمّي الزَّحف؟)** يقال: زحف الحيّة، وكذا سائر الهوامّ مما لا رِجل له، والصبيّ يزحَف على الأرض قبل أن يمشي، والبعير إذا أعيا فجرّ فِرْسِنَه يقال: هو يزحف.[١] والفِرسِنُ مِن البعير بمنزلة الحافر مِن الدابّة.[٢]

قوله: **(كما قالوا في الأمر المستمرّ)**... إلخ، شبّه الانتقال في الأزمنة بالانتقال في الأمكنة. وقوله: **(لا يتمشّى)** أي: لا[٣] يستمرّ.

قوله: **(ونحوه استعارة الشَّفة)**... إلخ، هي أن تكون الكلمة موضوعة لحقيقةٍ مِن الحقائق مع قيد، فتستعملها لتلك الحقيقة لا مع ذلك القيد بمعونة القرينة، مِثل: أن تستعمل المَرسِن -وإنّه موضوع لمعنى الأنف مع قيد أن يكون أنفَ مرسون- استعمال الأنف مِن غير زيادة قيد بمعونة القرائن. ومثل: "الجَحْفَلة"، فإنّها موضوعة لمعنى الشَّفة مع قيد أن يكون شَفة فرس أو حمار إذا استعملتها استعمال الشفة مِن غير زيادة قيد بمعونة القرائن. أو مثل: "المِشْفَر"، وهو موضوع للشَّفة مع قيد أن يكون شفة بعير[٤] إذا استعملته استعمال الشفة مِن غير قيد بمعونة القرينة. وفي كون هذا مِن الاستعارة نظر؛ فإنّ المجاز اللغويّ راجع إلى اللفظ وإلى المعنى، إمّا مفيدًا

---

١ **الصحاح** للجوهري، «زحف».
٢ **الصحاح** للجوهري، «فرسن».
٣ ن - لا.
٤ ن: بغير.

أو على طريقِ المُشَاكلة؛ لذكرِ الزاحِف مع المَاشِين.

﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ إشارةٌ إلى القائلين: ﴿ءَامَنَّا...وَأَطَعْنَا﴾، أو إلى الفَريق المُتَولِّي منهم، فمَعناه على الأوَّل: إِعْلامٌ من الله بأنَّ جميعَهم مُنْتَفٍ عنهم الإيمانُ

أو غيرَ مفيد،[1] والمفيد[2] إمّا متضمّن للمبالغة أو غير متضمّن لها، والمتضمّن للمبالغة هو الاستعارة، فالاستعارة هو المجاز اللغويّ الراجع إلى المعنى المفيد[3] المتضمن للمبالغة في التشبيه، وهذا الذي ذكره هو المجاز اللغويّ الراجع إلى المعنى غير المفيد، وهو كما ذكرنا أن يكون الكلمة موضوعة لحقيقة مَع قيدٍ،[4] فتستعملها لتلك الحقيقة مِن غير ذلك القيد، وإنّما قالوا لهذا: غير مفيد؛ لقيامه مقام أحد المترادفين عند المصير إلى المراد منه، فكيف يكون استعارة؟ فكأنّ المصنِّف أراد بالاستعارة المجازَ مطلقًا.

قوله: (**أو على طريق المشاكلة**) عطف على قوله: (**على طريق الاستعارة**)، أي: سمّي الزحف مشيًا على طريق المشاكلة؛ لذِكر الزاحف مع الماشين، يعني: لمّا ذكره معهم ذكره بلفظهم، فإنّ المشاكلة: أن تذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته، كقول الشاعر:

قالوا: اقترح شيئًا نُجِد لك طبْخَه / قلتُ: اطبخوا لي جُبَّةً وقَميصا[5] [١٨٥ظ]

وكقوله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران ٣/٥٤]، وقوله: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة ٢/١٩٤].

قوله: (**بأنّ جميعهم مُنتفٍ عنهم الإيمان**)؛ لأنّ إيمان جميعهم[6] إنّما كان ادِّعاءً باللسان فقط مِن غير موافقة القلب.

---

١ ن: مقيّدًا أو غير مقيّد.

٢ ن: والقيد.

٣ ن: المقيّد.

٤ ن: قيل.

٥ ذكره السكّاكي في **مفتاح العلوم**، ١/٤٢٤.

٦ ن + (مُنتفٍ عنهم الإيمان)؛ لأنّ إيمان.

لا الفريقُ المتولِّي وحده، وعلى الثَّاني: إعلامٌ بأنَّ الفريقَ المتولِّيَ لم يكن ما سبقَ لهُم من الإيمان إيمانًا إنَّما كان ادِّعاءً باللِّسان من غيْرِ مُواطأةِ القلب؛ لأنَّه لو كان صادرًا عن صحَّةِ مُعتَقَدٍ وطُمأنينةِ نفسٍ لم يَتعقَّبهُ التَّولِّي والإعراضُ.

والتَّعريفُ في قوله: ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ دلالةٌ على أنَّهم لَيسُوا بالمُؤمِنين الذين عرفتَ: وهم الثابتون المُستقيمُونَ على الإيمان الموصُوفونَ في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ﴾ [الحجرات ١٥/٤٩].

قوله: **(عن صحّة معتقَد)** بفتح القاف، فيجوز أن يكون بمعنى الاعتقاد، ويجوز أن يكون اسم مفعول، أي: ما اعتقدوه غير صحيح؛ لأنّهم اعتقدوا الباطل حقًّا والحقَّ باطلًا.

قوله: **(لم يتعقَّبْه التولّي)**؛ لأنّه إذا كان عن صحة معتقَد كان مطابقًا للواقع، وإذا كان عن طمأنينة نفس كان فيه الجزم والثبات، فلا يتعقّبه الإعراض؛ لأنّه إذا كان مع الجزم لا يحتمل النقيض عند المعتقِد، وإذا كان مع الثبات كان عن حجّة[١] وبرهان فلا يُتصوّر فيه العدول؛ لأنّ البرهان -وهو الدليل القطعيّ- مانع عن العدول، إذ لا يعارض البرهان برهان آخر، وإن أورَد المُشكِّكُ اعتراضًا أو مَغلطةً فإنّ القاطع بالبرهان يجيب عنه إن قدر على الجواب، وإن لم يقدر على الجواب يحمل كلام المشكّك على المَغلَطة، فلا يقدَح ذلك في اعتقاده، ولا يصرفه عما علِمه بالبرهان.

قوله: **(والتعريف في قوله تعالى... دلالةٌ)** أي: تعريف عهد.

قوله: (**قوله:**[٢] **﴿ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ﴾** [الحجرات ١٥/٤٩]) فإنّ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ﴾ [الحجرات ١٥/٤٩] إشارة إلى ثباتهم على الإيمان في الأزمنة الآتية المستَقبَلة؛ وذلك لأنّ اعتقادهم كان عن برهان أي: عن دليل قاطع، وذلك البرهان يقتضي الثبات في جميع الأزمنة المترقّبة، فقيل: لم يرتابوا، وأريد: علموا ذلك واعتقدوه ببرهان، فهو مِن قبيل الكناية؛[٣] لأنّ عدم الارتياب -أي: الثبات- مِن لوازم العلم

---

[١] ن: صحة.
[٢] د - قوله.
[٣] ن: الكتابة.

﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ٤٨﴾

معنى: ﴿إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: إلى رسول الله؛ كقولك: "أعجَبني زيدٌ وكرمُه" تُريد: "كرمُ زيدٍ"، ومنه قولُه:

غَـلَّـسْـتُـه قَـبْـلَ الـقـطَـا وفُـرَّطِـهْ

أرَاد: قَبل فُرَّطِ القَطا.

رُوي: أنها نزلَتْ في بِشْرٍ المنافِقِ وخصْمِهِ اليَهودي حِين اختصَما في أَرضٍ، فجَعل اليَهُوديُّ يَجرُّه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمنافقُ يَجرُّه إلى كَعب بن الأشرَف، ويَقولُ: إن محمدًا يَحيف عَلينا.

بدليل قطعيّ، والحمد لله على التوفيق للوقوف والبيان، والثبات على الإيمان، ونستزيدُه تعالى مِن فضله، إنّه الرءوف المنّان.

قوله:

(غَـلَّـسْـتُـه قـبـلَ الـقـطـا وفُـرَّطِـهْ)

أوّله:

ومـنـهَـلٍ مِـن الـفـلا فـي أوسـطِـهْ[1]

"المَنهَلُ": المَورِد، وهو عين ماءٍ ترِده الإبل في المراعي، وتسمّى المنازل التي في المفاوِز على طرق السُّفّار:[2] مناهل؛ لأنّ فيها ماءً.[3] والفلاة: المفازة، والجمع: الفَلا، والفَلَوات. "ومَنهل" أي: رُبَّ مَنهل كائن مِن الفلا في وسطه، يعني: أنّ ذلك المَنهل في وسط الفلا. والغَلَس: الظلمة آخر الليل، والتغليس: السير بغَلَسٍ، يقال: غلَّسْنا الماء، أي: وردناه بغلَسٍ. والفُرَّط: جمع الفارط، نحو: شُهَّد في جمع شاهد، وجُهَّل في جمع جاهل. والفارط: السابق إلى الماء.[4]

---

[1] الشطر الأول ذكر في لسان العرب لابن منظور، «ظلل»، وذكر بعده:

فِـي ظِـلِّ أَجَّـاج المَقيظ مُغْبِطِه

والشطر الثاني ذكر في تاج العروس للزبيدي، «سقط»، وذكر بعده:

مِـن ذَا وهـذاكَ وَذَا فِـي مَسـقِطِهْ

[2] أي: المسافرين.

[3] الصحاح للجوهري، «نهل».

[4] انظر: لسان العرب لابن منظور، «فرط».

ورُوي: أن المُغيرةَ بن وائلٍ كانَ بينه وبين عليِّ بنِ أبي طالب رضي الله عنه خصُومةٌ في ماءٍ وأرضٍ، فقال المُغيرة: أَمَّا مُحمَّدٌ فلَستُ آتِيهِ ولا أُحَاكِمُ إليه فإنَّه يُبغضُني وأنا أخافُ أَن يَحيفَ عَليَّ.

﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ۝٤٩﴾

﴿إِلَيْهِ﴾ صِلَةُ ﴿يَأْتُوٓاْ﴾؛ لأنَّ "أتى" و"جاء" قد جَاءا مُعَدَّيين بـ"إِلَى"، أو يتَّصل بـ﴿مُذعنين﴾ لأنَّه في مَعنى: مُسرعين في الطَّاعة، وهذا أحسنُ لتقدُّمِ صِلته ودلالتِه على الاختصاص.

والمعنى: أَنَّهم لمعرفتهم أنَّه ليس معكَ إلَّا الحَقُّ المُرُّ والعَدلُ البَحتُ، يَزْوَرُّونَ عن المحَاكمة إليكَ إذا ركِبَهم الحقُّ؛ لئَلَّا تنتَزِعَه من أَحداقهم بقضَائِك عليهم لخصُومهم، وإن ثَبَتَ لهُم حَقٌّ على خصمٍ أَسرعُوا إليك ولم يَرضَوا إلَّا بحُكُومتك لتَأخذَ لهم ما ذابَ لهم في ذِمَّة الخصم.

﴿أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٥٠﴾

قوله: (يَحيف علينا) الحيْف: الجَور والظلم، وقد حاف عليه يَحيف.

قوله: (إلّا الحقُّ المرُّ) "الحقُّ المرُّ"، أي: الخالص، وهو مِن المَرارة ضد الحلاوة، فإنّ الحقّ يكون مرًّا. و"البَحْت": الصِّرْف. وقوله: (يَزوَرُّون) الازورار عن الشيء: / العدول عنه، وقد ازورّ عنه ازوِرارًا، وازوارّ عنه ازوِيرارًا، وتزاوَر عنه تزاوُرًا، كلّه بمعنى: عَدَل عنه. وقوله: (عن المحاكمة) يقال: حكّمته في مالي؛ إذا جعلت إليه الحُكم فيه، فاحتكم عليّ، واحتكموا إلى الحاكم وتحاكموا بمعنًى، والمحاكمة: المخاصمة إلى الحاكم. [١٨٦و]

قوله: (مِن أحداقهم) حدقة العين: سوادها الأعظم.

قوله: (ما ذابَ) يقال: ذابَ لي عليه مِن الحقّ كذا، أي: وجب وثبت.

ثم قَسَم الأمر في صُدُودهم عن حُكومَتِه إذا كان الحقُّ علَيهم بينَ أَن يكُونوا مَرضَى القلوبِ مُنافقين، أو مُرتَابين في أَمر نُبوَّتِه، أو خَائِفين الحَيْف في قضَائه، ثم أَبطل خَوفَهُم حَيْفَه بقوله: ﴿بَلْ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾؛ أي: لا يخَافُونَ أَن يَحيف عَليهم لِمَعرفتهم بحاله، وإنَّما هُم ظَالِمون يرِيدُون أن يَظْلِمُوا مَن له الحقُّ عليهم ويَتِمَّ لَهُم جحودُه، وذلك شيءٌ لا يَستطيعُونه في مَجلس رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فمِن ثَمَّ يأبَونَ المُحَاكَمةَ إليه.

قوله: (**ثمّ قسم الأمر**) المراد بالأمر: السبب. وقوله: (**في صدودهم**) حال مِن "الأمر"، أي: قسّم سبب صدودهم إلى ثلاثة أقسام، ويشير بذلك إلى أنّ هذا الاستفهام بمعنى الإنكار، فكأنّه تعالى يخبر عن سبب صدودهم، وينكر جميعه. وهو عطف على قوله: (**والمعنى أنّهم**)... إلخ، فكأنّه قال المصنِّف: إنّهم لمعرفتهم أنّك تحكم بالحقّ إذا ركِبهم الحقّ ينحرفون عن المحاكمة إليك، وإن ثبت لهم الحقّ أسرعوا إليك، ثمّ قال: قسّم الله تعالى سببَ صدودهم ثلاثة أقسام: النفاق، والارتياب في نبوّتك، وخوف ظلمك؛ منكِرًا جميع ذلك. أمّا إنكار النفاق فظاهر، وأمّا إنكار الارتياب؛ فلدلالة المعجزة على صدقه صلّى الله عليه وسلّم، وأمّا إنكار خوف الظلم؛ فلعلمهم أنّه إنّما تحكُم بالحقّ، وكأنّ ذِكر هذا السبب الثالث كان بحسب الظاهر والاحتمال لا بحسب الحقيقة، فإنّهم ما كانوا يخافون ظلمَه عليه الصلاة والسلام؛ لعلمِهم بأنّه يحكم بالحقّ، فأضرَب تعالى عن هذا الثالث بقوله تعالى: ﴿بَلْ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾، أي: ليس هذا الثالث مِن أسباب الإعراض، بل السبب الثالث هو ظلمهم. فعاد الأسباب إلى هذه الثلاثة، وهي: المرض، وهو مِن المنافق. والارتياب، وهو مِن الشاكّين في نبوّته عليه الصلاة والسلام.[1] وإرادتهم أن يظلموا على مَن لهم الحقّ عليهم بإنكار ذلك وجحوده. وقدّم قوله: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ وأتَى بضمير الفصل وعرّف الخبر؛ إشارة إلى أنّ الظلم إنّما يصدُر منهم لا مِن الرسول عليه الصلاة والسلام.[2]

---

[1] ف: صلّى الله عليه وسلّم.

[2] ف: صلّى الله عليه وسلّم.

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥١﴾

وعن الحسن: "قولُ المؤمنين" بالرَّفع، والنَّصبُ أقوى؛ لأنَّ أَولى الاسمَيْن بكَونه اسمًا لـ﴿كَانَ﴾ أوغَلُهما في التَّعريف، و﴿أَن يَقُولُواْ﴾ أَوغلُ؛ لأنَّه لا سبيلَ عليه لِلتَّنكِير بخلاف ﴿قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

و﴿كَانَ﴾ هذا من قبيلِ ﴿كَانَ﴾ في قوله: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾ [مريم ٣٥/١٩]، ﴿مَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾ [النور ١٦/٢٤].

وقُرِئ: ﴿لِيُحْكَمَ﴾ على البناء للمفْعُول.

فإن قلتَ: إلامَ أُسنِد "يُحكَم" ولا بُدَّ له من فَاعلٍ؟

قلتُ: هو مُسنَدٌ إلى مَصْدره؛ ....

قوله: (**أوغَلُ**) أي:[١] في التعريف؛ لذكر مَفعوله معه فيتعيّن به، بخلاف قول المؤمنين، فإنّه لم يذكر معه المفعول، فلا يتعين، فالثاني أوغل في التعريف، فأولى أن يكون اسمًا.[٢]

قوله: (**و﴿كَانَ﴾ هذا**) أي: لفظة ﴿كَانَ﴾ كما في الآيتين المذكورتين. فقوله: "﴿كَانَ﴾" مبتدأ "هذا" صفته، و"من قَبيل" خبره. فالمعنى: إنّما ينبغي مِن المؤمنين، وإنّما يصحّ منهم أن يقولوا كذا، ولا ينبغي ولا يصِحّ منهم غير ذلك، نحو قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المائدة ١١٦/٥]، وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ﴾ [مريم ٣٥/١٩]، أي: ما يصحّ وما ينبغي.

قوله: (**فإن قلتَ: إلامَ؟**) وجه السؤال: أنّ ﴿بَيْنَهُمْ﴾ منصوب، لا يصلح أن يكون "يُحكَم"[٣] مسندًا إليه، فإلى أيِّ شيء أسند "يُحكَم"؟

---

١ ف – أي.

٢ ن – لذكر مَفعوله معه فيتعيّن به، بخلاف قول المؤمنين، فإنّه لم يذكر معه المفعول، فلا يتعيّن، فالثاني أوغل في التعريف، فأولى أن يكون اسمًا.

٣ قرأ ﴿لِيُحكَم﴾ بالبناء للمفعول أبو جعفر المدني أحد العشرة. انظر: النشر لابن الجزري، ٢٢٧/٢.

لأنَّ مَعناه: لِيُفعَل الحُكمُ بينهم، ومِثلُه: "جُمِعَ بَينهما" و: "أُلِفَ بَينهما"، ومِثلُه: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام ٩٤/٦] فِيمَن قرَأ ﴿بَيْنَكُمْ﴾ منصُوبًا؛ أي: وقَع التَّقطُّعُ بَينكم، وهذه القراءةُ مُجاوِبةٌ لقَوله: ﴿دُعُواْ﴾.

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝٥٢﴾

قرئ: ﴿ويَتَّقِهِ﴾ بكَسر القَافِ والهاء مَع الوَصْل وبغير وصلٍ، وبسُكون الهاء، وبسُكون القافِ وكسْرِ الهَاء؛ شُبِّه "تَقِه" بكَتِفٍ فخُفِّفَ؛ كقوله:

قَالـت سُليمَى اشـتَـرْ لـنَـا سَـوِيـقًـا

قوله: (لأنّ معناه: لِيُفعَل الحكم) فكأنّه قيل: ليُحكم الحكم بينَهم،[1] ولقد تقَطَّع التقطُّع بينكم.

قوله: (مجاوِبةٌ لقوله: ﴿دُعُواْ﴾)؛ لأنّ كليهما[2] مبنيّان للمفعول.

قوله: (مع الوصل) أي: بالياء. وقوله: (وبغير وصل) أي: بالياء، يريد بـ"الوصل": صلة الهاء، وهو الياء هنا.[3]

قوله:

(قالـت سُـليمى[4] اشـتز لنـا سَـويقًا)

بعده:

وهـــاتِ خـبـزَ الـبُـرِّ أو دقـيـقـا[5]

والشاهد أنّه أسكن الراء.

---

[1] ف: بينكم.

[2] ن: كلتيهما.

[3] ﴿ويتقه﴾ قرأ قالون ويعقوب بكسر القاف والهاء مِن غير إشباع. ولهشام وجهان: أحدهما كقالون، والثاني بكسر القاف والهاء مع الإشباع. وقرأ حفص بسكون القاف وكسر الهاء مِن غير إشباع، وأبو عمرو وشعبة وابن وردان بكسر القاف وإسكان الهاء. وورش والمكي وابن ذكوان وخلَف عن حمزة وفي اختياره والكسائي وابن وَردان بكسر القاف والهاء مع الإشباع. ولخلاد وجهان: أحدهما كشعبة، والثاني كورش. انظر: البدور الزاهرة لعبد الفتاح القاضي، ٢٢٤/١؛ والنشر لابن الجزري، ٣٠٦/١.

[4] ن: سليمان.

[5] شرح كتاب سيبويه للسيرافي، ٣٣٢/٥.

ولقد جَمع الله سُبحَانه في هذه الآيةِ أسبَابَ الفَوز.

وعن ابن عباس رضي الله عنه في تَفسيرهَا: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ﴾ في فَرائضه ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾ في سُنَنِه ﴿وَيَخۡشَ ٱللَّهَ﴾ عَلى ما مضى من ذُنوبِهِ ﴿وَيَتَّقۡهِ﴾ فيما يَستَقبِل.

وعن بعض المُلوك: أنَّه سَأَلَ عن آيةٍ كافِيَةٍ فَتُلِيَتْ لَهُ هذه الآيةُ.

﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِنۡ أَمَرۡتَهُمۡ لَيَخۡرُجُنَّۖ قُل لَّا تُقۡسِمُواْۖ طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٥٣﴾

"جَهْدَ يمينَهُ": مُستعَارُ ....

قوله: (**"جهدَ يمينَه" مستعار**) قال المطرّزي في **المُغرب**:

> جهدَه: حمّلَه فوق طاقته، مِن باب منَع، ومنه: قول / عمر رضي الله عنه في المؤذِّن: 'يَجهَد نفسه'، وقول سعدٍ: 'أو رجلٍ يَجهَد أن يحمل سلاحه مِن الضَّعْف'،[1] على حذف المفعول، وتقديره: يجهد نفسه، أي: يكلِّفها مشقّةً في حمل السلاح، وجهد واجتهد رأيه. والجهاد: مصدر: جاهدتُ العدوّ إذا قابلته في تحمّل الجَهد. وبذل كلّ منكما جهده -أي: طاقته- في دفع صاحبه، ثمّ غلَب في الإسلام على قتال الكفّار.[2] [١٨٦ظ]

قال الجوهري في **الصِّحاح**: «الجُهد والجَهد: الطاقة، وقرِئ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ﴾ و"جَهدَهم".[3] الفرّاء: الجُهد -بالضمّ-: الطاقة، وبالفتح: من قولك: اجْهدْ جَهْدَك في هذا الأمر، أي: ابلُغ طاقتك، ولا تقل: اجْهَدْ جُهدك، والجَهْد المشقة، يقال: جهَد دابّته وأجهدها، إذا حمَل في السير عليها فوق طاقته».[4] وأقول: حاصل المذكور في **الصِّحاح**: أنّه جاء في معنى الطاقة الجُهْد بالفتح والضمّ، وأمّا في معنى المشقة فالفتح لا غير، ويقرُب مِن معنى قولهم: اجهَد جَهدك في هذا الأمر قولُ الشاعر:

---

١ كذا في **المُغرب** للمطرّزي، ولم أجدهما في مصادر الحديث التي رجعت إليها.

٢ **المُغرب** للمطرّزي، «جهد».

٣ شاذّة. انظر: **الكامل** للهذلي، ص ٥٦٣.

٤ **الصحاح** للجوهري، «جهد».

مـن "جَهَـد نفسَـهُ": إذا بَلَـغ أقصَى وُسْعِها، وذلـك إذَا بالَـغ فـي اليَميـن وبلـغ غايـةَ شِـدَّتِها ووَكادَتِهـا، وعـن ابـن عبَّـاس رضـي الله عنـه: مَـن قـال: "بـالله" فقَـد جَهَد يمينَه.

وأَصلُ "أقسَم جَهْدَ اليمينِ": أَقسَم يَجْهَدُ اليمينَ جَهْدًا، فحُذِف الفعْلُ وقُدِّم المصدرُ فوُضِعَ مَوضعَه مُضَافًا إلى المفعُول؛ كقوله: ﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [محمد ٤/٤٧] وحُكْمُ هـذا المنصوب حكمُ الحَالِ؛ كأنه قال: جَاهِدِين أَيمانَهُم.

و﴿طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾ خبرُ مبتَدأ مَحذوف، أو مبتدأٌ محذوفُ الخَبر؛ ....

وإن هو لم يَحملْ على النفس ضَيمَها فليس إلى حُسن الثناء سبيلُ[١]

فمعنى "اجهَد جَهدَك": احمل على نفسك المشقّة التي يليق بك حملها على النفس، فالجهد فيه بمعنى المشقّة. الجَهد: نقيض العفو الذي هو السهولة؛ وهو أن يحمِل على النفس ما يبلِّغه المشقّة واستفراغ الوُسع.

وقوله: (**إذا بلغ**) تفسير لقوله: (**جهَد نفسَه**)، قال في **شرح الهادي**:[٢] «وقد يُفسّر الكلام بـ"إذا"، تقول: عَسْعَسَ الليل إذا أظلم، فتجعل "أظلم" تفسيرًا لعَسعَس»، هذا كلامه. وأنا أقول: إنّ في الكلام حذفًا، فتقدير قوله: (**من جَهد**) أي: من قول القائل: جهَد فلان نفسه إذا بلغ فلان أقصى وُسعها. وأما قول القائل: تقول: عسعس الليل إذا أظلم، فالتحقيق فيه أنّ "إذا" ظرف لقوله: "تقول".

وقوله: (**وذلك**) أي: جهد اليمين إذا بالغ في اليمين، أو هذه الاستعارة إنّما تكون إذا بالغ في اليمين، فيقول: شبّه المبالغة في اليمين بجَهْد النفس، فذُكر الجَهد وأريد المبالغة، ثمّ قيل: يجهَدون أيمانهم جَهدًا، ثمّ حذف الفعل وقدّم المصدر وأضِيف. وقوله: (**إذا بالغ في اليمين**) كأنّه إذا بالغ في اليمين كلّف يمينه المشقّة.

---

١ للسموءل بن عادياء كما في **الأمالي** لأبي عليّ القالي، ٢٦٩/١.

٢ **الكافي في شرح الهادي** للزنجاني، ١٩٩١/٤.

أي: أَمْرُكم والَّذي يُطلَبُ منكم طاعَةٌ مَعروفةٌ مَعلومةٌ لا يُشكُّ فيها ولا يُرتابُ، كطَاعةِ الخُلَّصِ من المؤمنين الذينَ طَابَق باطِنُ أَمْرِهم ظاهِرَهُ، لا أَيمانٌ تُقسِمُونَ بها بأفواهِكم وقُلوبُكم على خِلافها.

أو: طَاعتُكم طَاعةٌ مَعروفةٌ بأنها بالقول دون الفعل.

أو: طاعةٌ معروفةٌ أَمثَلُ وأَولى بكم من هذه الأَيمان الكاذبة.

وقرَأ اليَزيدِيُّ: "طاعةً معروفةً" بالنَّصب على مَعنى: أَطِيعُوا طَاعةً.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ﴾: يَعْلَمُ ما في ضَمائِركم ولا يَخفى عليه شَيءٌ من سَرائركم، وإنَّهُ فاضِحُكم لا مَحَالةَ ومُجازِيكم على نِفَاقِكم.

قوله: (**تُقسِمون**)... إلخ صفة "أيمان".

قوله: (**أو[1] طاعتكم**)... إلخ عطف على (**أمرُكم**)... إلخ، وهما على تقدير أنّ ﴿طَاعَةٌ﴾ خبر مبتدأ. وقوله: (أو طاعة) عطف على هذا المجموع، وهو على أنّ ﴿طَاعَةٌ﴾ مبتدأ، ففي الكلام لفّ ونشر.

قوله: (**وقرأ اليزيديُّ**) هو أبو محمد بن المُبارك العدَويُّ بصريّ يسكن بغداد وعرف باليزيديّ لصحبته يزيد بن منصورٍ خال المَهديّ، قرأ على أبي عمرو البصريّ واشتهر بقراءته، وتقدّم على أصحابه، ولمّا قام اليزيديّ بقراءة أبي عمرو بعدَه أخذها عنه جماعةٌ كثيرة، منهم أبو عمر الدوريّ، وأبو شعيب السوسيّ، والدور موضع ببغداد والسوس / موضع بالأهواز، [١٨٧و] وهما مشهوران بالرواية عن أبي عمرو، رحمةُ الله عليهم أجمعين،[2] قال الشيخ الشاطبيّ:

وأمّا الإمام المازنيُّ صريحهم	أبو عمروٍ البصري فوالده العَلا
أفاض على يحيى اليزيديّ سَيبَهُ	فأصبح بالعَذْب الفُرات مُعلَّلا
أبو عمَر الدُّوريّ وصالحُهم	أبو شُعيب هو السُّوسيّ عنه تقبَّلا[3]

---

١ ن: لو.
٢ د - رحمةُ الله عليهم أجمعين.
٣ حرز الأماني للشاطبي، ص ٣.

﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾

صُرِفَ الكلامُ عن الغَيبة إلى الخطاب على طريقةِ الالتِفاتِ وهو أَبلغُ في تبكيتِهم، يُريدُ: فإن تتولَّوا فما ضَرَرتُموه وإنَّما ضَرَرتُم أنفُسَكم، فإن الرسول ليس عليه إلَّا ما حَمَّله اللهُ وكَلَّفَه من أَداءِ الرِّسَالة، فإذا أدَّى فقد خرَج عن عُهدةِ تكليفِه، وأمَّا أنتُم فعَليْكُم ما كُلِّفْتُم من التَّلقِّي بالقَبول والإذعان، فإن لم تفعلُوا وتولَّيْتُم فقد عَرَّضتُم نفُوسَكم لسَخَط الله وعذابه، وإن أَطَعْتُمُوه فقد أَحرَزتُم نَصِيبَكم من الخرُوج عن الضَّلالة إلى الهُدَى، فالنَّفعُ والضَّررُ عَائدانِ إليْكُم، وما الرَّسول إلَّا ناصحٌ وهَادٍ، وما عليه إلَّا أن يُبَلِّغ ما له نفعٌ في قبُولكم، ولا عَليه ضَررٌ في تَولِّيكُم.

والبلاغُ بمعنى التَّبليغِ كالأداءِ بمعنى التَّأديَة، ومَعْنى ﴿ٱلْمُبِينُ﴾: كونُه مَقرُونًا بالآيات والمُعجزات.

قوله: (صُرِف الكلامُ) يريد: أنّه تعالى جعلهم كالغائب، حيث قال للرسول عليه الصلاة والسلام: ﴿قُلْ﴾[1] -أي: قل لهم- ﴿أَطِيعُواْ﴾، ثمّ خاطبهم الله تعالى بقوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾... إلخ.

قوله: (فما ضَررتموه) أي: ما ضرَرتم النبيّ عليه الصلاة والسلام،[2] وهذا إشارة إلى أنّ الجزاء محذوف، وهو هذان الكلامان، أي: "ما ضَررتموه"، و"إنما ضرَرتم أنفسكم"، وحذف الأوّل؛ لأنّ سببه -وهو قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾- دلّ عليه، وحذف الثاني؛ لأنّ سببه أيضًا -وهو قوله تعالى: ﴿وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾- دلّ عليه، كما بيّنه المصنِّف بيانًا شافيًا. وقوله: (عرّضتم) التعريض للشيء: النَّصْب له.

قوله: (مِن الخروج) يجوز أن يكون بيان "نصيبكم"، وأن يكون للتبعيض.

قوله: (ما لَه نفع) "ما" للنفي.

قوله: (ومعنى ﴿ٱلْمُبِينُ﴾)... إلخ، فهو مِن: أبان، بمعنى: أظهَر.

---

١ ن - ﴿قُلْ﴾.
٢ ف: صلّى الله عليه وسلّم.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾

الخطابُ لرسُول الله صلى الله عليه وسلم ولِمَن معه، و﴿مِنكُمْ﴾ للبيان كالتي في آخِر سُورة الفَتح، وَعَدهُم الله أن يَنصُرَ الإسلامَ على الكُفر ويُورِّثَهُم الأرضَ ويجْعَلَهُم فيها خلفَاءَ؛ كما فعَل ببَنِي إسرائيل حين أورَثهُم مصرَ والشَّامَ بعدَ إهْلاك الجبَابرة، وأن يُمكِّن الدِّين المُرتَضَى وهو دِينُ الإسْلام.

وتَمكينُه: تَثبيتُهُ وتَوطِيدُهُ، وأَنْ يُؤْمِنَ سِرْبَهُم ويُزِيلَ عنهم الخوفَ الذي كانوا عليه، وذلك أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابَه مَكثُوا بمكةَ عَشْرَ سِنينَ خائفينَ، ولمَّا هَاجَرُوا كانُوا بالمَدِينة يُصْبِحُون في السِّلاح ويُمسُون فيه، حتَّى قال رجُلٌ: ما يَأتي عَلينا يَومٌ نأمَنُ فيه ونَضعُ السِّلاحَ؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «لا تَغْبُرُونَ إلَّا يَسيرًا حَتَّى يَجلسَ الرجُلُ مِنكُم ....

قوله: (**كالتي في آخر سورة الفتح**) شبّه هذه الآية بما في آخر الفتح في كون "مِن" للبيان، وإن كان ههنا ﴿مِنكُمْ﴾ خِطابًا، وهناك ﴿مِنْهُم﴾ [الفتح ٢٩/٤٨] غَيبة.

قوله: (**وتوطيده**) وطَدت الشيء أطِده وَطْدًا؛ أثبتُّه، والتوطيد مثله.[١]

قوله: (**سِرْبَهم**) فلان آمِن في سِربِه -بالكسر- أي: في نفسه.

قوله: (**وذلك أنّ رسول الله عليه الصلاة والسلام**) إشارة إلى سبب النزول.

قوله: (**ما يأتي علينا**) يجوز أن يكون إخبارًا عن عدم الإتيان في الأزمنة المستقبلة، كأنّه قاس الزمان اللاحق على السابق ضجَرًا وسآمة، ويجوز أن يكون في معنى الاستفهام، أي: "أما يأتي؟" بطريق الاستبطاء لإتيان الأمْن، نحو: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة ٢١٤/٢].

قوله: (**لا تَغبرون**) أي: لا تبقون على ما أنتم عليه إلّا زمانًا يسيرًا، مِن: غبَرَ الشيءُ، أي: بقِي.

---

[١] **الصحاح** للجوهري، «وطد».

في المَلأ العَظيم مُحتَبيًا ليس فيه حَديدةٌ»، فأنجَز اللهُ وَعْدَهُ وأظهرَهُم عَلى جَزيرة العَرب، وافْتتحُوا بَعْدُ بلادَ المشرِقِ والمغرِبِ، ومَزَّقُوا مُلكَ الأكَاسرة ومَلكُوا خَزائنَهمْ، واستَولَوا على الدُّنيا، ثمَّ خرَجَ الذينَ على خلاف سِيرَتِهمْ فكفَرُوا بتِلك الأنعُمِ وفسَقُوا، وذلك قولُه صلى الله عليه وسلم: «الخلافةُ بَعْدي ثلاثُون سنةً، ثم يُملِّك اللهُ مَن يشَاء فتصيرُ ملكًا، ثمَّ تَصيرُ بِزّيزَى: ....

قوله: **(في الملأ)** أي: الجماعة.

قوله: **(مُحْتَبِيًا)** احتبى الرجل إذا جمع ظهره وساقَيه بِردائه، وقد يحتبي بيديه.[١] وهو عبارة عن الجلوس متمكِّنًا آمنًا، بحيث لا يَحوم حول قلبه خوف.

قوله: **(وأظهرهم)** أي: جعلهم غالبًا، يقال: ظهرتُ على الرجل؛ غلبتُه، وظهرتُ البيتَ: عَلوتُه، وأظهره الله على عدوّه.[٢]

قوله: **(على جزيرة العرب)** أمّا جزيرة العرب فهي الحجاز واليمن، وما لم يبلغه مُلك فارس والروم. وعن الأصمعيّ: أنّها مِن أقصى عدَن إلى ريف العراق طولًا، ومِن جُدّة وما والاها مِن الساحل إلى أطراف الشام عرضًا.[٣] وسبب تسميتها جزيرة: إحاطة البحار والأنهار العظيمة بها كبحر الحبشة وبحر فارس ودِجلة والفرات. وأمّا الحجاز فقد حُكِي عن الشافعيّ رضي الله عنه[٤] أنّها مكّة والمدينة واليمامة ومَخاليفها.[٥] قيل: سُمّي حِجازًا؛ لأنّه حجَز بين نَجد وتِهامة، وعن ابن الكلبيّ: أنّ حدود الحجاز ما بين جبلي طيٍّ إلى طريق / العراق.[٦] [١٨٧ظ]

قوله: **(فكفروا بتلك الأنعم)** يريد كُفران النِّعم.

قوله: **(بزّيزَى)** بَزَّه يَبُزُّه بَزًّا: سَلَبه، وفي المَثل: "مَن عَزَّ بزَّ"،[٧] أي: مَن غلب سلَب، والاسم: البِزّيزَى.

---

١ **الصحاح** للجوهري، «حبا».
٢ **الصحاح** للجوهري، «ظهر».
٣ انظر: **المُغرب** للمطرّزي، «جزر».
٤ د – رضي الله عنه.
٥ انظر: **المهذّب** للشيرازي، ٥/٣٤٠.
٦ انظر: **مشارق الأنوار** للقاضي عياض، ١/٢٢١.
٧ انظر: **جمهرة الأمثال** للعسكري، ٢/٢٨٨.

قَطعَ سبيلٍ، وَسفكَ دماءٍ، وأَخذَ أَموالٍ بغَير حقِّها».

وقُرِئَ: ﴿كما استُخْلِفَ﴾ على البناء للمفعُول، ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم﴾ بالتشديد.

فإن قلتَ: أينَ القَسمُ المُتَلقَّى باللَّام والنُّون في ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾؟

قلتُ: هو محذوفٌ تقديرُه: وعَدَهم اللهُ وأقسمَ ليَستخلفنَّهم، أو نُزِّلَ وَعدُ الله في تحقُّقِه منزلةَ القَسَم فتُلقِّيَ بما يُتَلقَّى بِهِ القسَمُ؛ كأنَّه أَقسَمَ اللهُ ليَسْتخلفنَّهُم.

فإن قلتَ: ما مَحلُّ ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾؟

قلتُ: إن جَعَلْتَه استئنافًا لم يكنْ له محَلٌّ؛ كأنَّ قائلًا قال: ما لَهُم يُستَخلَفُون ويُؤمَنونَ؟ فقال: ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾. وإن جَعلتَهُ حالًا عن "وَعَدَهُم"؛ أي: وعَدهُم اللهُ ذلك في حالِ عبَادتهم وإخلاصِهم، فمحَلُّه النصبُ.

﴿وَمَن كَفَرَ﴾ يُريد: كُفرانَ النِّعمة؛ كقَوله: ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ [النحل ١٦/١١٢].

قوله عليه الصلاة والسلام: («**قطْع سبيلٍ**»)...[١] إلخ؛ بيان "بِزّيزَى"، أو منصوب بتقدير: أعني. وقوله: (**حقِّها**) أي: حقّ الأموال، وهو الزكاة وما أشبهها في وجوب إخراجه مِن الأموال، قال تعالى: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام ٦/١٤١].

قوله: (**على البناء للمفعول**) المبنيّ للفاعل والمفعول كلاهما مِن السبعة.[٢]

قوله: (**بالتشديد**) التخفيف[٣] والتشديد في ﴿لَيُبَدِّلَنَّهُم﴾ مِن السبعة.[٤]

قوله: (**كقوله: ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾** [النحل ١٦/١١٢])، يريد الاستشهاد بهذه الآية: أنّ الكفر يطلق على كُفران النعمة.

---

١ قال الزيلعي: «غريب بهذا اللفظ». وأخرج أبو داود والترمذي من حديث سعيد بن جمهان عن سفينة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الخلافة في أمّتي ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك». **سنن أبي داود**، ٤٣/٧ (٤٦٤٦)؛ **سنن الترمذي**، ٧٣/٤ (٢٢٢٦). وانظر: **تخريج أحاديث الكشّاف** للزيلعي، ٤٤٨/٢.

٢ المبني للفاعل قراءة الجمهور، والمبنيّ للمفعول قراءة أبو بكر شعبة. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٣٢/٢.

٣ د: والتخفيف.

٤ قرأ ابن كثير ويعقوب وأبو بكر بتخفيف الدال، وقرأ الباقون بالتشديد. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٣٣/٢.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾؛ أي: هُم الكاملون في فِسْقهم حيث كفروا تلك النِّعمةَ العظيمةَ وجَسَرُوا على غَمْطِها.

فإن قلتَ: هل في هذه الآية دليلٌ على أَمْرِ الخلفاء الراشدين؟

قلتُ: أَوضحُ دليلٍ وأَبْيَنُه؛ لأنَّ المُستخلَفينَ الَّذين آمَنوا وعَمِلُوا الصَّالحات هُمْ هُمْ.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ۝٥٦ لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٥٧﴾

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ معطوفٌ على ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ وليس ببعيدٍ أَنْ يَقع بين المَعطوفِ والمعطُوفِ عليه فاصِلٌ وإن طالَ؛ لأنَّ حقَّ المعْطُوف أن يكون غيْرَ المعْطُوف عليه، وكُرِّرت طاعَةُ الرَّسُول تأكيدًا لوجوبها.

قوله: (**أي: هم الكاملون**) استُفيد هذا المعنى مِن الإتيان بالمبتدأ اسم الإشارة، وتعريف الخبر، وتوسيط الفَصل بينهما.

قوله: (**على غَمْطِها**) غَمِطَ النِّعمة -بالكسر- يَغْمَطُها، يقال: غَمِط عَيشه وغَمَطَه -بالفتح أيضًا- يَغمِط غَمْطًا، بالتسكين فيهما، أي: بطِرَه.[1]

قوله: (هم هم) "هم" **الأولى**: ضمير فَصل، **والثانية: تعود إلى** "المستخلَفين"، وهو خبر "أنّ".

قوله: (**معطوف على ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾**) أقول: لا يخفى أنّ ﴿وَأَقِيمُواْ﴾ ليس عطفًا على هذين الكلامين؛ بل هو عطف على الكلام الأوّل، وإنّما ذكر المصنِّف الكلام الثاني لتعيين موضع العطف وبيانه؛ وذلك لوقوع البُعد بينهما. ثمّ أشار إلى أنّ البُعد لا يمنع العطف إذا كان شرط العطف -وهو المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه- حاصلًا. ثمّ لمّا ذكَر أنّ المغايرة بينهما شرط استشعر سؤالًا؛ وهو أن يقال: فكيف جاز عطف ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾

---

[1] **الصحاح** للجوهري، «غمط».

وقُرئ: ﴿لا يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء، وفيه أَوجُهٌ:

أن يكون ﴿مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ هما المَفعولانِ، والمعنى: لا يَحسبنَّ الذين كفَرُوا أحَدًا يُعجِزُ الله في الأرض حَتَّى يَطْمَعوا هُم في مِثلِ ذلك، وهذا معنًى قويٌّ جَيِّد.

وأَن يكونَ فيه ضميرُ الرَّسول لتَقدُّم ذِكره في قوله: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾.

على ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾؟ فأجاب: بأنّ الثاني ليس عطفًا على الأوّل؛ بل هو تأكيدٌ لفظيّ له، يعني: عُطِف ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ على ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أوّلًا بواو العطف، ثمّ كرِّر هذا المعطوف مع حرف العطف الذي فيه؛ ليؤكد بهذا[١] التكرير وجوب طاعة الرسول؛[٢] لأنّ جميع الطاعات -مِن إقامة[٣] الصلاة وإيتاء الزكاة- داخلة في طاعة الرسول عليه الصلاة والسلام.[٤]

قوله: (**وفيه أوجه:**[٥] **أن يكون ﴿مُعْجِزِينَ﴾**)... إلخ، حقّ المفعول الأوّل في باب "حسبت" أن يكون معرفة، وإنّما ساغَ هنا[٦] وقوعه نكرة لإفادة العموم بسبب النفي، فصار مثل: ما أحدٌ[٧] خير[٨] منك؛ أو لأنّ ﴿مُعْجِزِينَ﴾ صفة موصوف محذوف كما ذكره، فاسمه نكرة موصوفة.

قوله: (**والمعنى**)... إلخ، والتقدير: فَوجًا أو قومًا معجزين، أو أحدًا[٩] معجزين؛ لأنّ "أحدًا" في سياق النفي يفيد العموم، فجاز وصفه بالجمع لذلك.

قوله: (**يُعجِزوا**[١٠] **الله**) صفة "أحد". وقوله: (**في الأرض**) مفعول ثانٍ. وقوله: (**هم**) تأكيد. وقوله: (**في مثل ذلك**) أي: في: "أن يُعجزوا الله تعالى".

---

١ ن: هذا.

٢ في الأصول الخطّيّة: "طاعة وجوب الرسول"، ولم أجد له وجهًا صحيحًا.

٣ ن: إقام.

٤ ف ن: صلّى الله عليه وسلّم.

٥ قرأ: ﴿لَا يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء ابن عامر وحمزة. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٢/٢٧٧.

٦ ف: هذا.

٧ ف: أجد.

٨ ف: خيرًا.

٩ ن: أحد.

١٠ في مطبوع **الكشّاف**: "يعجز".

وأَن يكونَ الأَصْلُ: لا يَحسَبنَّهُم الَّذينَ كَفرُوا مُعجزِينَ، ثـمَّ حُذِفَ الضَّميرُ الذي هو المفعولُ الأوَّلُ، وكأنَّ الذي سَوَّغ ذلك أَنَّ الفاعِل والمفعُولَين لمَّا كانت لِشيءٍ واحدٍ اقتُنِعَ بذكر اثنَين عن ذكر الثالِث.

وعُطفَ قولُه: ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ على ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعْجِزِينَ﴾؛ كأنّه قيل: الذين كفرُوا لا يَفُوتُونَ اللهَ ومَأواهم النَّارُ، والمرَادُ بهم: المُقسِمونَ جَهْدَ أَيمانِهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾

أمرَ بأَن يَستأْذِن العَبيد، وقيل: العبيدُ والإِماءُ والأَطْفالُ الذين لم يَحتلِمُوا مِن الأحرار.

قوله: (**وأن يكون الأصل**)... إلخ، وعلى الوجه الثالث: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ فاعل ﴿يَحْسَبَنَّ﴾، و﴿مُعْجِزِينَ﴾ مفعولًا ثانيًا.

قوله: (**كأنّه قيل: الذين كفروا**)... إلخ؛ وذلك[١] لأنّ دخول فعل "الحِسبان" وخروجه لا يُخلّ بالمعنى الأصليّ، وإذا كان كذلك يكون قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في حكم الجملة الاسميّة، فيجوز أن يعطف عليها الجملة الاسميّة، وإن كان الأولى إنشائيّة، وهذه خبريّة؛ / لأنّ النهي هناك في [١٨٨و]
معنى الخبر.

قوله: (**وقيل:**[٢] **العبيد والإماء**)... إلخ، فيكون ذلك بطريق تغليب الذكور، ظاهره أمر المماليك والأطفال بالاستئذان، والمقصود أمر المؤمنين بأن يمنعوا هؤلاء مِن الدخول عليهم في هذه الأوقات بغير إذن، وأن يأمروهم بالاستئذان في هذه الأوقات.

---

[١] ن: فذلك.

[٢] د: وقتيل.

﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ﴾ في اليوم والليلةِ:

قبلَ صَلاةِ الفجر: لأنَّه وَقتُ القِيام من المَضاجع وطَرحِ ما يُنامُ فيه من الثيَاب ولُبسِ ثياب اليَقَظةِ.

وبالظَّهيرة: لأنَّها وقتُ وَضْعِ الثياب للقَائلةِ.

وبَعد صلاةِ العشاءِ: لأنَّه وقتُ التجرُّدِ من ثياب اليَقَظةِ والالتِحافِ بثياب النَّوم.

وسَمَّى كلَّ واحِدةٍ من هذه الأَحوالِ عَورةً؛ لأنَّ الناسَ يَختَلُّ تَستُّرهُم وتَحفُّظُهُم فيها، والعَورةُ: الخللُ، ومنها: أَعْوَرَ الفارسُ وأَعْوَرَ المكانُ، والأَعورُ: المختلُّ العَين.

ثم عَذَرَهُم في تَركِ الاستئْذانِ ورَاء هذه المرَّاتِ، وبَيَّن وَجْهَ العُذر في قوله:

قوله: (للقائلة) أي: القيلولة، قال في **الصِّحاح**: «القائلة: الظَهِيرة، يقال: أتانا عند القائلة، وقد يكون أيضًا بمعنى القيلولة؛ وهي النوم في الظهيرة».[1]

قوله: (والالتحاف بثياب) التَحفتُ بالثوب: تغطَّيتُ به، واللِّحاف: اسم ما يُلتَحف به، وكلّ شيء تغطّيتَ به فقد التحفتَ به، فاللِّحاف: كلّ ثوب تغطّيتَ به، ومنه حديث عائشة رضي الله عنها:[2] «كان النبيّ عليه الصلاة والسلام[3] لا يصلي في شُعُرنا ولا في لُحُفنا».[4] ورُوي أنّ النبيّ عليه الصلاة والسلام[5] قال لجابر رضي الله عنه[6] في الثوب الواحد: «إن كان واسعًا فالتحف به، وإن كان ضيّقًا فائتزرْ به».[7] أراد صلّى الله عليه وسلّم بـ"الالتحاف": الاشتمال به مخالفًا بين طرفيه على عاتقيه. والمراد بـ"المخالفة": أن لا يَشُدّ الثوب على وسطه فيصلّي مكشوف المَنكِبين؛ بل يأتزر به، ويرفع طرفيه فيخالف بينهما، ويشدّه على عاتقه، فيكون بمنزلة الإزار والرداء.

قوله: (ومنها: أعوَرَ الفارسُ)[8] إذا بدا فيه مَوضع خلَل للضرب، قال:

---

١ **الصحاح** للجوهري، «قيل».

٢ د - رضي الله عنها.

٣ ف ن: صلّى الله عليه وسلّم.

٤ **سنن أبي داود**، ٢٧٣/١ (٣٦٧).

٥ ف ن: صلّى الله عليه وسلّم.

٦ د - رضي الله عنه.

٧ ن - به. | **صحيح البخاري**، ٨١/١ (٣٦١).

٨ ن + أعور الفارس.

﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُم﴾ يعني: أَنَّ بكُم وبهم حَاجَةً إلى المُخالَطةِ والمُدَاخَلةِ: يَطُوفون عليكم للخدمة وتَطُوفُون عَليهم للاستِخدام، فلو جُزِمَ الأمْرُ بالاستِئذانِ في كلِّ وقتٍ لأدَّى إلى الحرَجِ.

ورُوي: أن مُدْلِجَ بن عَمرٍو -وكان غُلامًا أَنصاريًا- أَرسلَه رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم وقت الظُّهر إلى عُمرَ رضي الله عنه ليَدْعُوَهُ، فدَخل عليه وهو نائمٌ وقد انكشفَت عنه ثوبُه، فقال عُمرُ: لَوَدِدْتُ أَنَّ الله عزَّ وجلَّ نهَى آباءنا وأبناءنا وخَدَمنا أنْ لا يَدْخُلُوا علينا هذه السَّاعاتِ إلَّا بإذنٍ، ثم انطَلَقَ معه إلى النَّبيّ صلى الله عليه وسلم، فوجَدهُ وقد أُنزِلَتْ عليه هذه الآية.

وهي إحدَى الآيات المُنزَلةِ بسَبب عُمرَ.

وقيل: نزَلت في أسماءَ بنتِ أَبي مُرْشِدٍ قالت: إنَّا لنَدخُلُ على الرجل والمَرأة ولعَلَّهُما يَكونان في لحافٍ واحدٍ، وقيل: دخلَ عليها غلامٌ لها كبيرٌ

له الشَّدَّة الأُولى إذا[1] القِرن أعـوَرا[2]

وتحقيقه: صار ذا عورة، أي: ذا خلَلٍ.

قوله تعالى: ﴿طَوَّافُونَ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي: هم طوّافون.

قوله: **(فلو جزم)** الجزم: القَطع.

قوله: **(أن لا يدخلوا علينا)** "لا" مَزيدة؛ لتأكيد النهي عن الدخول، كقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف ١٢/٧]، أي: ما منعك عن الجِدّ في السجود وتحقيقه كما فعلتِ الملائكة، ويجوز أن يكون التقدير: نهاهم عن الدخول لئلّا يدخلوا.

قوله: **(ثمّ انطلق معه)** أي: انطلق عمر رضي الله عنه[3] مع مُدلِجٍ.[4]

قوله: **(وقيل: دخل عليها)** أي: على أسماء.

---

١ ن: إذ.

٢ **الصحاح** للجوهري، «عور»، بغير نسبة.

٣ د - رضي الله عنه.

٤ **الكشف والبيان** للثعلبي، ٣١٤/١٩ (النور، ٥٨/٢٤)، بغير سند.

في وَقتٍ كَرِهَتْ دخُولَه، فأتَتْ رسُولَ الله صلى الله عليه وسلم فقالَتْ: إنَّ خَدمَنا وغِلمَانَنا يَدخُلون علينَا في حالٍ نُكرهُهَا.

وعن أبي عمرو: "الحُلْمَ" بالسكُون.

وقرئ ﴿ثلاثَ عورات﴾ بالنَّصبِ بَدلًا مِن ﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ﴾؛ أي: أَوقاتَ ثلاثِ عَوْرات.

وعن الأعمش: "ثلاثُ عَوَرَاتٍ" على لُغة هُذيلٍ.

قوله: (قرئ: ﴿ثَلَٰثَ عَوْرَٰتٍ﴾ بالنصب)[1] قال أبو عليّ في الحُجّة:

مَن رفع ﴿ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ﴾[2] كان خبر ابتداء[3] محذوف؛ لما قال: ﴿لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ﴾، وفصّل[4] "الثلاث" بقوله: ﴿مِن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ﴾، صار كأنّه قال: هذه ثلاث عوراتٍ، فأجمَل بعد التفصيل. ومَن قرأ: ﴿ثَلَٰثَ عَوْرَٰتٍ﴾ بالنصب جعله بدلًا مِن قوله: ﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ﴾. فإن قلتَ: قوله: ﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ﴾ زمان -بدلالة أنّه فسّر بزمان، وهو قوله: ﴿مِن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ﴾- وليس "العورات" بزمان، فكيف يصحّ[5] وليس هو هي؟ قيل: يكون ذلك على أن يضمر الأوقات، كأنّه قيل: أوقات ثلاث عورات، فلمّا حذِف المضاف أعرِب ما كان يقع[6] الإضافة عليه[7] بإعراب المضاف، فعلى هذا توجّه.[8]

[١٨٨ظ] قوله: (أي: أوقات ثلاث) يدلّ[9] على أنّ المرّات / تكون بمعنى الزمان كما تكون بمعنى المصدر، وقد أشار إلى هذا المعنى أبو عليّ رحمه الله[10] كما كتبنا قبل.

قوله: (على لغة هُذيل)[11] بيان ذلك: أنّ ما كان على "فَعلة" إذا جُمِع جَمْع التصحيح بالألف والتاء، وكان اسمًا يُحرَّك عينه في صحيح العين، نحو: تَمَراتٍ؛

---

[1] وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف وأبي بكر شعبة. انظر: النشر لابن الجزري، ٣٣٣/٢.

[2] وهي قراءة الجمهور عدا مَن مرّ ذكرهم.

[3] ن: مبتدأ. | وهي في مطبوع الحجّة: "ابتداء".

[4] ف: وفضل.

[5] في مطبوع الحجّة: "فكيف يصحّ البدل منه؟".

[6] ف: نفع.

[7] ن: عليه الإضافة.

[8] الحجّة لأبي عليّ الفارسي، ٦٣/٤.

[9] ن: تدلّ.

[10] د - رحمه الله.

[11] القراءة بفتح الواو نسبها الكرماني إلى ابن أبي إسحاق. انظر: شواذّ القراءات للكرماني، ص ٣٤٥.

فإن قلتَ: ما محَلُّ ﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ﴾؟

قلتُ: إذا رَفعْتَ ﴿ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ﴾ كان ذلك في محَلِّ الرَّفع على الوصف، المَعنى: هُنَّ ثلاثُ عَوْراتٍ مخصُوصةٌ بالاستئذان، وإذا نصَبتَ لم يكن له مَحلٌّ، وكان كلامًا مقرِّرًا للأمْرِ بالاستئذان في تلك الأحوال خاصَّةً.

فإن قلتَ: بِمَ ارتَفع ﴿بَعۡضُكُمۡ﴾؟

قلتُ: بالابتداء، وخبرُه ﴿عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ على مَعنى: طائفٌ على بعضٍ، وحُذِف لأنَّ ﴿طَوَّٰفُونَ﴾ يدلُّ عليه، ويجوز أنْ يَرتفِعَ بـ"يَطُوفُ" مضمَرًا؛ لتلك الدَّلالةِ.

﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٥٩﴾

﴿ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ﴾؛ أي: من الأحرار دُون المماليكِ.

فَرقًا بين الاسم والصفة، ويسكَّن في المعتلّ العين، نحو: بيْضات وجَوْزات؛ لأنّ عينها لو حُرِّكت لزِم وقوع حرف علّة متحرّكة مع فتح ما قبلَها وهو مُستكرَه، ولو قلبت ألِفًا لزِم الالتباس. وأمّا قبيلة هُذيل فيُحرّكونها ويُبقونها متحرّكة؛ لعروض الحركة، فيقولون: بَيَضات، وإن كان صِفة فتُسكّن عينه لا غير، نحو: صَعْبات.[1]

قوله: (**والمعنى**:[2] **هُنّ ثلاثُ عوراتٍ مخصوصةٌ**)؛ لأنّه لمّا نُفِي الحرجُ في نَفْي الاستئذان بعد هذه الأوقات كان المعنى اختصاص هذه الأوقات بالاستئذان.

قوله: (**وحُذِف**) يشير به إلى[3] أنّ متعلَّق الجارّ إنّما يُحذَف إذا كان عامًّا، نحو: زيد في الدار، أي: ثبَت أو حصَل أو استقرّ. وأمّا إذا كان خاصًّا فلا يُحذف إلّا إذا قامت قرينة تدلّ عليه، وههنا[4] متعلَّق الخبر أمر خاصّ، وهو "طائف"، وإنّما حذِف لقيام القرينة.

---

١ انظر: **الكتاب** لسيبويه، ٣/٦٠٠؛ و**المقتضَب** للمبرّد، ٢/١٩٣؛ و**المفصّل** للزمخشري، ص ٢٣٨.

٢ ن: والمعني.

٣ ن: إلي.

٤ ن: وهاهنا.

﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ يُريد: الذين بلَغُوا الحُلُمَ من قَبلِهم وهم الرِّجال، أو الذين ذُكِرُوا من قَبلِهم في قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ﴾ الآية [النور ٢٤/٢٧].

والمعنَى: أنَّ الأَطفالَ مأذونٌ لهُم في الدخول بغيْرِ إذنٍ إلَّا في العَوْراتِ الثلاثِ، فإذا اعتَادَ الأَطفالُ ذلك ثمَّ خَرجُوا مِن حَدِّ الطُّفُولة -بأن يَحتلِمُوا أو يَبلُغوا السِّنَّ الَّتي يُحكَمُ فيها عليهم بالبُلوغ- وجبَ أن يُفطَمُوا عن تلك العَادة، ويُحمَلُوا على أن يَستأذِنوا في جميع الأوقاتِ كما الرجالُ الكبارُ الذين لم يَعتَادُوا الدُّخولَ عَليكم إلَّا بإِذْنٍ، وهذا ممَّا النَّاسُ منه في غَفلةٍ، وهو عِندهم كالشَّرِيعة المنسوخة.

وعن ابن عباس: آيةٌ لا يُؤمِنُ بها أكثرُ النَّاسِ: **آيةُ الإِذن**، ....

قوله: **(أن يُفطَموا)** فِطام الصبيّ: فِصاله عن الرضاع، يقال: فَطَمتِ الأمُّ ولدَها عن الرضاع.[١] قال في **مُجمل اللغة**: «واشتُقّ مِنه: فطمتُ الرجل عن عادته».[٢] وأنا أقول: التحقيق: أنّ هذا بطريق التشبيه والاستعارة؛ شبّه المنع عن المعتاد بفِطام الصبيّ عن الرضاع، إذ يَعسُر على[٣] الشخص ترك المعتاد كما يعسُر على[٤] الصبيّ ترك الرضاع، ولذلك قالوا: "عادةٌ تَرضّعتْ بروحِها تَنزَّعتْ".[٥]

قوله: **(كما الرجال)** "ما" في "كما الرجال" كافّة، أي: كما يستأذن الرجال، ويجوز أن يُجعل "ما" زائدة، ويكون "الرجال" مجرورًا.

قوله: **(وعن ابن عبّاس رضي الله عنه:[٦] «آيةٌ لا يؤمِن بها أكثر الناس»)**[٧] يريد: أنّهم لا يعملون بها، جعلَهم -لترك عملهم بها- كأنّهم لم يؤمنوا بها؛

---

١ ف - يقال: فطمت الأمّ ولدها عن الرضاع. | انظر: **الصحاح** للجوهري، «فطم».
٢ **مجمل اللغة** لابن فارس، «فطم».
٣ ن: علي.
٤ ن: علي.
٥ انظر: **مجمع الأمثال** للميداني، ٢/٥٥.
٦ د - رضي الله عنه.
٧ انظر: **الدرّ المنثور** للسيوطي، ٦/٢١٨ (النور، ٢٤/٥٨). والحديث في **سنن أبي داود**، ٧/٤٨٨ (٥١٩١)، بلفظ: «لم يُؤمِن بها أكثرُ الناس، آية الإذن».

وإنّي لآمُرُ جارَتِي أن تَستأذِن عَليَّ.

وسَألَهُ عَطاءٌ: أأستَأذنُ عَلى أُختي؟ قال: نعَم، وإن كانت في حَجْرك تُموِّنُهَا، وتلا هذه الآيةَ.

وعنهُ: ثلاثُ آياتٍ جَحدَهنَّ النَّاسُ: الإذنُ كُلُّهُ، وقولُهُ: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجرات ١٣/٤٩] فقال نَاسٌ: أعظمُكم بَيتًا، وقولُه: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ﴾ [النساء ٨/٤].

وعن ابن مسعود: عليكم أَن تَستأذِنُوا على آبائكم وأُمَّهَاتِكم وأَخواتِكم.

وعن الشَّعبي: لَيست مَنسُوخةً، فقيل له: إنَّ الناس لا يَعلمونَ بها! ....

تشديدًا ومبالغة في الزجر،[1] وكذا معنى[2] قوله رضي الله عنه: «جَحَدَهنّ».[3]

قوله: (جارتي) يريد: زوجتي.

قوله: (وقوله تعالى:[4] ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجرات ١٣/٤٩]) يعني: يقول الله تعالى:[5] ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجرات ١٣/٤٩]، وبعض الناس يَجحدون ذلك، ويقولون: أكرمكم أعظمكم بيتًا، يريد: أنّهم لا ينظرون إلى التقوى[6] الذي اعتبره[7] الله تعالى،[8] وإنّما ينظرون إلى[9] النسب.

قوله: (وقوله: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ﴾ [النساء ٨/٤]) يعني: أنّ قوله تعالى:[10] ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ أُوْلُواْ ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينُ فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾ [النساء ٨/٤]، يوجب أنّ غير الوارث إذا حضر القسمة -أي: قسمة الميراث- يعطيه الورثة شيئًا مِن المال الموروث، وهم تركوا العمل بها، فلا يعطون شيئًا لهؤلاء المذكورين.

---

١ ف: النظر.
٢ ن: معني.
٣ جامع البيان للطبري، ٢٤٣/١٧ (النور، ٢٧/٢٤).
٤ ن: تعالي.
٥ ن: تعالي.
٦ ن: إلي التقوى.
٧ ن: اعتبرها.
٨ ن: تعالي.
٩ ن: إل.
١٠ ن - تعالى.

فقال: اللهُ المُستعانُ.

وعن سعيد بن جُبيرٍ يقولُون: هي منسوخةٌ، ولا والله ما هِيَ مَنسُوخَةٌ؛ ولكنَّ النَّاسَ تَهاوَنُوا بهَا.

فإن قلتَ: ما السِّنُّ التي يُحْكَم فيها بالبُلوغ؟

قلتُ: قال أبو حنيفة رحمه الله: ثماني عَشرةَ سنةً في الغُلام، وسَبْعَ عشرةَ في الجَارية، وعَامَّةُ العلماء على خَمسَ عشرةَ فيهِما.

وعن عليٍّ رضي الله عنه: أنَّه كان يَعتبرُ القَامَة ويُقَدِّره بخمسةِ أَشبَارٍ.

وبهِ أَخذَ الفرزدَقُ في قَوله:

ما زالَ مُذ عَقَدتْ يَداه إِزارَهُ   وسَما فَأَدْرَكَ خمسَةَ الأَشبارِ

قوله: (**فقال: الله المستعان**) أراد به تعظيم هذه الحال، وأن يستعان بالله في كفايته.

قوله: (**فيهما**) أي: في الغلام والجارية.

قوله:

(**ما زالَ مُذ عقَدَت يداه إزارَه   فَسَما وأدرَك خمسةَ الأشبارِ**)

[١٨٩و] / بعد هذا البيت قوله:

يُدني خَوافِقَ مِن خَوافقَ تلتقي   في ظلِّ معتبَط الغبار مُثارِ[1]

يمدح الفَرزدقُ يزيدَ بن المهلّب في مرثيَةٍ له. و"سما" مِن السُّموّ، أي: بلغ الرِّفعة. و"أدرك"، أي: لحِق. و"خمسةَ الأشبار" يحتمل أن يكون مراده ارتفاع قامته، وأن يكون موضع قبره مِن الأرض، كما قال الشاعر:

عجبًا لأربع أذرُعٍ في خمسةٍ   في جَوفه جبلٌ أشمُّ كبيرُ[2]

---

[1] **ديوان الفرزدق بشرح الحاوي**، ١/٤٩٨، بلفظ: "فدَنا" بدل "فسَما"، و"في كلّ معتبط" بدل "في ظلّ معتبط".

[2] لشمردل اللّيثي من قصيدة يرثي بها منصور بن زياد. انظر: **شرح شواهد المغني** للسيوطي، ٢/٩٢٨.

واعتَبر غيرُه الإنباتَ، وعن عُثمان رضي الله عنه أنَّهُ سئل عن غلام فقال: هل اخْضَرَّ إزارُهُ؟

﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٦٠﴾

"القاعِدُ": التي قعَدت عن الحَيض والوَلدِ لكبَرها.

﴿لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾: لا يَطمَعن فيه.

والمرادُ بالثياب: الثيابُ الظَّاهرةُ ....

معناه: لم يزل مذ كان صغيرًا وقدَر على[١] عقد إزاره إلى[٢] أن ارتفع وبلَغ مَبلغ الرجال، أو إلى[٣] أن مات ودفن في خمسة أشبار مِن الأرض؛ كان أميرًا محارِبًا للأعداء. و"الخوافق": الرايات، وإنّما يريد أنّه كان يقود الجيوش إلى الجيوش ويَحضُر الحروب. وقوله: "معتَبط الغبار" يريد: مكانًا لم يُقاتل فيه قبله، ولم يُثرْ له غبار حتّى[٤] أثاره هو، فالمعنى:[٥] في ظلِّ غبار مكان كان قبل قتاله فيه معتَبط الغبار، يعني: أنّه أثار الغبار فيه ولم يُثرْه أحد قبلَه. قال في **مُجمل اللغة**: «العَبْط: حفرُ أرض لم تحفر قبلُ»، ذكره في باب العين المهملة.[٦]

قوله: (**«اخضرّ إزاره»**)[٧] المراد بقوله: "اخضرّ نباته": إنبات شعر عانته، والمراد بالإزار: موضع الإزار.

قوله: (**القاعد التي**) القواعد: جمع القاعد بلا هاءٍ؛ وهي التي قعدت -أي: مُنعت- مِن الولد والحيض كِبَرًا، وهي بالهاء مِن القعود؛ الجُلوس، وجيء بالهاء للفرق، كحامل؛ مِن حمْل البطن، وحاملة؛ مِن حمْل الظهر.

---

١ ن: علي.

٢ ن: إلي.

٣ ن: إلي.

٤ ن: حتي.

٥ ن: فالمعني.

٦ **مُجمل اللغة** لابن فارس، «عبط».

٧ ذكره أبو حيّان التوحيدي في **البصائر والذخائر**، ٢٢٢/١.

كالمِلحفَةِ والجِلْبابِ الذي فوقَ الخِمار.

﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٍ﴾: غيرَ مُظهرَاتٍ زينةً، يُريدُ: الزِّينَةَ الخفِيَّة التي أرادَها في قوله: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ [النور ٣١/٢٤].

أو: غيرَ قاصداتٍ بالوضع التَّبرُّجَ؛ ولكنِ التخفُّفَ إذا احتَجن إليه.

﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾: والاستعفافُ من الوَضع خَيرٌ لهنَّ، لمَّا ذكرَ الجَائزَ عَقَّبَه بالمُستحَبِّ بَعثًا منه على اختيَار أفضَلِ الأَعمال وأَحسنِها؛ كقوله: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة ٢٣٧/٢]، ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة ٢٨٠/٢].

قوله: (**كالمِلحفة**) التحفتُ بالثوب: تغطّيتُ به، واللِحاف: اسم ما يُلتحف به، والمِلحفة: واحدة الملاحف.

قوله: (**غير متبرّجاتٍ**) التبرُّج:[١] إظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال، هكذا ذكر في **الصِّحاح**[٢] **والمُجمل**،[٣] وعلى[٤] هذا تكون الباء في ﴿بِزِينَةٍ﴾ زائدة في المفعول.

قوله: (**أو غيرَ قاصدات**) هذا موافق لما قال في **الوسيط**: «التبرّج: أن تُظهر المرأة مَحاسنها مِن وجهها وجسدها».[٥] فالباء في ﴿بِزِينَةٍ﴾ ليست زائدة؛ بل هي كما في: ضربت بالسَّوط، أي: غيرَ قاصداتٍ بوضع الزينة إظهارَ أنفسهنّ.

قوله: (**والاستعفاف عن وضع**) أي: طلب العِفّة عن وضع الثياب. وقوله: (**خير لهنّ**) أي: خير لهنّ مِن الوضع.

قوله تعالى: ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ﴾ أي: يطلبْن العفّة عن وضع الثياب.

قوله: (**كقوله تعالى**:[٦] ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ﴾ [البقرة ٢٣٧/٢])... إلخ، ذكر هاتين الآيتين؛ لأنّه تعالى ذكر فيهما الجائز ثمّ عقّبه بالمستحبّ، **الأولى**:[٧] قوله تعالى:

---

١ ف + ان.

٢ **الصحاح** للجوهري، «برج».

٣ **مجمل اللغة** لابن فارس، «برج».

٤ ن: وعلي.

٥ **التفسير الوسيط** للواحدي، ٣٢٨/٣ (النور، ٦٠/٢٤).

٦ ن: تعالي.

٧ ن: الأوّل.

فإن قلتَ: ما حقيقةُ التَّبرُّجِ؟

قلتُ: تكلُّفُ إظهارِ ما يجبُ إخفَاؤه، من قولهم: "سَفِينةٌ بارجٌ": **لا غِطاءَ** عليها، والبَرَجُ: سَعة العَين يُرَى بيَاضُها مُحيطًا بسَوادها كُلِّه لا يَغيبُ منه شيء، إلَّا أنّه اختُصَّ بأن تَتكشَّفَ المرأةُ للرِّجال بإبداءِ زينتهَا وإظهارِ محَاسِنها، و"بدا وَبَرَزَ" -بمعنًى: ظَهَرَ- من أخوات "تَبرَّج"، و"تَبَلَّج" كذلك.

﴿لَيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة ٢/٢٣٧]. **والثانية**: قوله تعالى: **﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾** [البقرة ٢/٢٨٠]. يريد: أنّ المعنى: أنّ التصدّق على المعسِر -بأن يُبرئَ ذمّتَه عن الدين- خير مِن أن يمهله إلى يساره، ثمّ يطالبه بالدّين عند اليسار.

قوله: **(لا يغيب مِنه شيء)** أي: مِن سوادها شيء.

قوله: / **(إلّا أنّه اختُصّ)** متعلِّق بقوله: **(تكلُّف)**. يعني: أنّ التبرُّج في أصل اللغة: هو تكلّف إظهار ما يجب إخفاؤه، ثمّ اختُصّ بهذا الإظهار المخصوص. **[١٨٩ظ]**

قوله: (وبرأ[١] وبرَزَ)... إلخ، يريد: أنّهما مِن العامّ الذي خُصّ، قال في **الصِّحاح**: «برَز: خرَج، والبَراز: الموضع الذي ليس به خَمرٌ مِن شجَر ولا غيره، وتبرَّز الرجل، أي: خرَج إلى البَراز للحاجة».[٢] وقال المطرّزي في **المُغرب**:

---

[١] في مطبوع **الكشّاف**: "وبدا".

[٢] **الصحاح** للجوهري، «برز».

كان المؤمنونَ يَذهبُونَ بالضُّعفاء وذوي العاهَاتِ إلى بيُوت أزواجهم وأولادهِم وإلى بيُوت أقربائهم وأصدِقَائهم فيُطعِمونَهُم منها، فخَالَج قلوبَ المُطْعِمين والمُطعَمينَ رَيْبَةٌ في ذلك، وخَافوا أَن يَلحقَهم فيه حَرَجٌ، وكرِهُوا أَنْ يكون أكْلًا بغيرِ حَقّ؛ لقَوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البقرة ١٨٨/٢]، فقيل لهم: ﴿لَّيْسَ عَلَى﴾ الضُّعفاء ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ -يعني: عَليكم وعَلى مَن في مثلِ حَالكم من المؤمنين- حَرَجٌ في ذلك.

وعن عكرمةَ: كانت الأنصارُ في أنفُسِها ....

«برِئَ مِن الدين والعيب براءةً، ومِنه: تبَرَّأ مِن الحَبَل، أي: قال أنا برِيء مِن عَيب الحَبَل».[1] وقوله: (مِن أخوات "تبرَّج") التبرّج: إظهار المرأة زينتَها ومحاسنَها للرجال.[2]

قوله: (وذوي العاهات) العاهة: الآفة، يقال: عِيهَ الزرعُ وإيفَ، وأرض معيوهة، وأعاه القوم؛ أصابَ ماشيتهم العاهة، وقال الأمويّ: أعْوَهَ القومُ مثله، هكذا في الصِّحاح.[3] وأنا أقول: قولهم: "مَعيوهة" يدلّ على أنّ ألِف "العاهة" مِن الياء، وقولهم: "أعوَه القوم" يدلّ على أنّها مِن الواو.

قوله: (فخالجَ قلوبَ المؤمنين ريبةٌ)[4] أي: نازَعها شكٌّ، والمراد: تردّدهم وشكُّهم في جواز ذلك. يقال: خلَجه يَخلِجه خَلْجًا إذا جذَبه وانتزَعه،[5] والمُخالجة والمنازعة بمعنًى.

قوله: (يعني: عليكم) أي: المراد بـ﴿أَنفُسِكُمْ﴾: هم ومَن في مِثل حالهم؛ فلذلك قيل: ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾، ولم يُقل: عليكم، فجعل مَن هو في مِثل حاله كنفسه؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات ١١/٤٩]. فالمعنى على هذا الوجه: ليس حرج على المُطعِمين ولا على المُطعَمين.

قوله: (وعن عكرمة) إشارة إلى وجه آخر.

---

١ المُغرب للمطرّزي، «جمع».
٢ الصحاح للجوهري، «برج».
٣ الصحاح للجوهري، «عوه».
٤ في مطبوع للكشاف: "فخالجَ قلوبَ المطعِمين والمطعَمين ريبة".
٥ الصحاح للجوهري، «خلج».

قَزازَةٌ، فكانت لا تأكلُ من هذه البيُوتِ إذا استَغنَوا.

وقيل: كان هؤلاء يتَوقَّونَ مُجالسَة النَّاس ومُؤَاكلتَهم لِمَا عسَى يؤدِّي إلى الكراهَةِ من قِبَلِهم؛ ولأنَّ الأعمى رُبَّما سبَقتْ يَدُه إلى ما سَبقَتْ عَينُ أكِيلِه إليه وهو لا يَشعُرُ، والأَعْرَجُ يتفسَّحُ في مَجلسِه ويَأخذُ أكثرَ من مَوضِعه فيُضيِّقُ على جَليسِه، والمريضُ لا يَخلُو من رائحةٍ تُؤذِي أو جُرْحٍ يَبِضُّ أو أَنْفٍ يَذِنُّ ونحوِ ذلك.

وقيل: كانوا يَخرجُون إلى الغَزو ويُخلِّفونَ الضُّعفَاءَ في بيُوتهم ويَدفَعُونَ إليهم المفَاتِيحَ ويأذنُون لهم أن يأكلُوا من بُيوتِهم، فكانوا يَتحرَّجُونَ.

حُكي عَن الحَارث بن عَمرو أنَّه خرَج غَازيًا وخَلَّف مالكَ بن زيد في بَيْته ومالِه، فلمَّا رجَع رَآهُ مجهودًا، فقال: ما أصَابك؟ قال: لم يكن عندي شَيءٌ

قوله: (**قَزازةٌ**) التقزّز: التنطّس[1] والتباعد مِن الدَّنس، وقد تقزَّز مِن أكل الضبّ وغيره، فهو رجل قَزٌّ وقِزٌّ وقُزٌّ؛ ثلاث لغات.[2]

قوله: (**وقيل: كان هؤلاء**) أي: الأعمى والأعرج والمريض. وقوله: (**مِن قِبَلهم**) أي: مِن جهتهم وجانبهم، وهو حال مِن الضمير في "يؤدِّي".

قوله: (**سبقتْ**) إشارة إلى أدبٍ حسَن مِن آداب الأكل؛ وهو الاحتياط في أخذ الشيء مِن الطعام، لا يأخذ ما سبقت عين أكيلِه[3] إليه.

قوله: (**يَبِضُّ**) بَضَّ الماء يَبِضُّ بَضيضًا، أي: سال قليلًا قليلًا.[4] وقوله: (**يَذِنُّ**) الذنين: مخاط[5] يسيل مِن الأنف، والذُّنان بالضم مِثله، وقد ذَنَّ يَذِنُّ ذَنينًا؛ وذلك إذا سال.[6]

قوله: (**مجهودًا**) جُهِد الرجل فهو مجهود،[7] أي: حُمل على أن يبلغ مَجهوده مِن المشقّة.[8]

---

[1] التَّنَطُّسُ: المبالغة في التطهُّر. الصحاح للجوهري، «نطس».

[2] **الصحاح** للجوهري، «قزز».

[3] ف: آكليه.

[4] **الصحاح** للجوهري، «بضض».

[5] ن: مخاظ.

[6] **الصحاح** للجوهري، «ذنن».

[7] ن: مجهودًا.

[8] **الصحاح** للجوهري، «جهد».

ولم يَحِلَّ لي أَن آكُلَ من مالك، فقيل: ليسَ على هؤلاء الضعفاء حَرَجٌ فيما تَحرَّجُوا عنه، ولا عَليكم أن تأكلُوا من هذه البُيُوت.

وهذا كلامٌ صحيحٌ، وكذلك إذا فُسِّرَ بأنَّ هؤلاء ليس عليهم حرَجٌ في القُعُود عن الغَزْو ولا عَليكم أن تَأكلُوا من البُيُوت المَذكورَة؛ لالتقاء الطَّائِفَتين في أنَّ كلَّ واحِدةٍ منهما مَنفيٌّ عنها الحَرجُ، ومثالُ هذا: أَن يَستَفتِيَك مُسَافر عن الإفطار في رمضانَ، وحَاجٌّ مُفرِدٌ عن تقديم الحَلْق على النَّحر، فقلتَ: ليس على المسافِر حَرجٌ أن يُفطِرَ، ولا عَليك يا حَاجُّ أن تُقدِّم الحَلقَ عَلى النَّحر.

فإن قلتَ: هلَّا ذَكَرَ الأولادَ؟

قلتُ: دَخل ذِكرهُم تحتَ قَوله: ﴿مِنۢ بُيُوتِكُمۡ﴾؛ لأنَّ ولدَ الرَّجُل بَعضُه وحكمُه حُكمُ نفسِه، وفي الحديثِ: «إنَّ أطيَبَ ما يأكل المرءُ من كَسْبِه، وإنَّ ولَدَه من كَسْبه»، ومعنى ﴿مِنۢ بُيُوتِكُمۡ﴾: من البيُوت التي فيها أَزواجُكم وعيَالكم؛ ولأن الوَلدَ أقربُ ممَّن عُدِّدَ من القَرابات، فإذا كان سبَبُ الرُّخصَة هو القَرابَةَ كان الذي هو أقربُ منهم أَولى.

فإن قلتَ: ما مَعنى: ﴿أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾؟

قوله:[1] **(وكذلك إذا فسّر)** يعني: لو فسّرنا الآية بما ذكرنا فلا خفاء في صحّة وجه العطف وحسنه؛ إذِ المعنى في الجميع:[2] نفي الحرج في الأكل، فيتناسب المعطوف والمعطوف عليه، وكذا لو فسّرناها بأنّ معنى[3] ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ﴾... إلخ: انتفاء الحرَج وترك الغذاء، ومعنى ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ بأن المراد ما ذكرنا؛ فإنّ العطف يصِحّ حينئذٍ أيضًا؛ لاشتراك المعطوف والمعطوف عليه في نفي الحرَج.

قوله: **(ومعنى ﴿مِنۢ بُيُوتِكُمۡ﴾)** هذا إشارة إلى بيان الدخول بوجهٍ آخر.

---

١ ن – قوله.
٢ ف: الجمع.
٣ ن – معنى.

قلتُ: أَموالُ الرَّجل إذا كان له عليها قيِّمٌ ووكيلٌ يَحفظُها له أَنْ يأكلَ من ثَمرِ بُستانِه ويَشربَ من لَبن ماشيَتِه، ومِلْكُ المَفاتح: كونُها في يَدِه وحِفظه.

وقيل: بيُوتُ المماليكِ؛ لأنَّ مال العَبدِ لمولَاه.

وقُرِئَ: "مفتاحَه".

فإن قلتَ: فما مَعنى ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾؟

قلتُ: معناه: أو بيُوت أَصْدِقائِكم، والصَّدِيقُ يكون واحدًا وجمعًا، وكذلك الخَلِيطُ والقَطِينُ والعَدوُّ.

قوله: (**قلت: أموال الرجل**)... إلخ، قوله تعالى: ﴿أَوْ مَامَلَكْتُم﴾ عطف على ﴿بُيُوتِكُمْ﴾، أو على ﴿بُيُوتِ﴾ المذكور بعد، فكأنّه قيل: أن تأكلوا ممّا ملكتم مفاتحه. وقوله تعالى: ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ عطف على ما أضيف إليه "البيوت". أمّا قول المصنِّف: "أموال الرجل" فهو خبر مبتدأ محذوف، أي: معناه: أموال الرجل. وقوله: (**إذا كان**) ظرف لمعنى الفعل في "أموال"، فكأنّه قال: ما يملكه إذا كان. وقوله: (**له أن يأكل**) جملة مستأنَفة مبيّنة للجملة الأولى. هذا هو معنى كلام المصنِّف، لا المكتوب مِن الجانب الآخر.[1] وقوله: (**يحفظُها**) صفة "قيّم ووكيل". وقوله: (**له أن يأكل**) أي: جاز له أن يأكل، وهو جزاء الشرط، والجملة الشرطية خبر المبتدأ، وهو "أموال". وقوله: (**ومِلْك المفاتح**) جملة معطوفة على قوله: "أموال الرجل"... إلخ، وحاصل الجواب: أن معنى ﴿مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾: ما كان مفتاحه في يدِكم. [١٩٠و]

قوله: (**وقيل: بيوت المماليك**) وذلك أنّ السيّد يملك منزل عبده، و"المفاتح" على هذا معناها: الخزائن؛ لقوله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ [الأنعام ٦/٥٩].

قوله: (**والقَطين**) قطَنَ بالمكان إذا أقام به وتوطَّنه، فهو قاطن وقَطين أيضًا، والقَطِين: الخدَم والأتباع.[2]

---

[1] لم يظهر لي مرادُه مِن قوله: "لا المكتوب مِن الجانب الآخر".

[2] **الصحاح** للجوهري، «قطن».

يُحكَى عن الحَسن أنَّه دخَل دارَهُ وإذا حَلْقَةٌ من أَصْدِقائه وقد استَلُّو سِلَالًا من تحت سريرِهِ فيها الخَبيصُ وأَطايبُ الأَطعِمة وهُم مُكِبُّون عليها يَأكُلُون، فتهَلَّلَتْ أَسَارِيرُ وَجهِهِ سُرورًا وضَحِك وقال: هكذا وجَدْناهم هكذا وجَدْناهم. يُرِيد كُبَراءَ الصَّحَابة ومَن لَقِيَهُم من البَدرِيِّين، ....

وقوله: (وإذا حلْقةٌ) "إذا" للمفاجأة.

قوله: (وقد استلُّوا سِلالًا) يقال: سَلَلتُ الشيء أسلُّه سلًّا، واستلَلته بمعنًى، أي: جذَبته، والسِّلال: جمع السَّلَّة؛ وهي سلّة الخبز ونحوه.[1] وفيه نوع مِن التجنيس، نحو قوله تعالى: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن ٥٥/٥٤]، و﴿أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ [يونس ١٠/١٠٥].

قوله: (فيها الخبيص) "الخبيص": نوع مِن الحلاوة[2] معروف، والخبيصة أخصّ مِنه.

قوله: (وهم مُكبُّون عليها) أي: على الأطعمة، وفيه حذف مضاف، أي: مكبُّون على أكلها، وحذَف[3] المضاف؛ لدلالة "يأكلون" عليه، فهو قريب مِن قولهم: سمعتُ زيدًا يقول، أي: سمعت قولَ زيد، والمعنى: هم مشتغلون بأكلِها، يقال: أكبّ فلان على الأمر يفعله وانكبَّ بمعنًى، وليس هذا بمعنى "أكبّ" مِن قولهم: كبّه لوجهه صرعَه، فأكبّ هو على[4] وجهه، فاعلم.

قوله: (فتهلَّلت أسارير)[5] يقال: تهلّل السحاب ببرقه؛ تلألأ، وتهلّل وجه الرجل مِن فرحه واستهلّ.[6] والسِّرَرُ واحد أسرار الكفّ والجبهة؛ وهو خطوطها، وجمع الجمع: أسارير، والسِّرار: لغة في السِّرَر، وجمعه: أَسِرَّة، مثل: خمار وأخمِرة.[7] وفي قوله: (أسارير وجهه سرورًا) نوع مِن التجانس.

---

١ انظر: **الصحاح** للجوهري، «سلل».

٢ د ن: الحلاوى.

٣ ف: وجذف؛ ن: وخذف.

٤ ن: علي.

٥ القصة في **تفسير الرازي**، ٣٧/٢٤ (النور، ٦١/٢٤).

٦ **الصحاح** للجوهري، «هلل».

٧ **الصحاح** للجوهري، «سرر».

وكان الرَّجلُ منهم يدخل دارَ صَديقِه وهو غائبٌ فيَسألُ جَاريتَه كِيسَهُ فيَأخذُ ما شَاء، فإذا حَضر مَولاهَا فأخبَرَتْه أعتَقها سُرُورًا بذلك.

وعن جَعفر بن محمَّدٍ: من عِظَم حُرمةِ الصَّديق أَنْ جَعله اللهُ من الأُنسِ والثِّقة والانْبِسَاطِ وطَرْحِ الحِشمةِ بمنزلةِ النفسِ والأَبِ والأَخِ والابنِ.

وعن ابن عباس: الصَّديقُ أكبَرُ من الوالدَيْن، إنَّ الجَهنميِّينَ لمَّا استغَاثُوا لم يَستغِيثُوا بالآباء والأمَّهاتِ فقالوا: ﴿فَمَالَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء ٢٦/١٠٠-١٠١].

وقالُوا: إذا دلَّ ظاهرُ الحال على رضا المالِك قامَ ذلك مَقام الإِذنِ الصَّريحِ، ورُبَّما سَمُج الاستئذانُ وثقُلَ؛ كمَن قُدِّمَ إليه طعَامٌ فاستَأذن صَاحِبَه في الأكل منه.

﴿جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾؛ أي: مُجتمعين أو مُتفرِّقين.

قوله: (**وكان الرجل مِنهم**) أي: مِن كُبراء الصحابة والبدريّين، والبدريُّون: هم الذين حضَروا حرب بدرٍ.

قوله: (**الحِشمة**) "الحِشمة": الانقباض مِن أخيك في المَطعم وطلب الحاجة، اسم مِن الاحتشام، يقال: احتشمه واحتشم مِنه إذا انقبض واستحيى، وقيل: هي عامّيّة؛ لأنّ الحِشمة عند العرب: الغضب لا غير، ومِنها حشَمُ الرجل لقرابته وعياله ومَن يغضب له إذا أصابه، وهي كلمة في معنى الجمع لا واحد لها مِن لفظها، وقيل: جُمعت على أحشام.[1]

قوله: (**إنّ الجهنّميّين**) بيان الجملة / المتقدّمة. [١٩٠ظ]

قوله: (**وربّما سَمُج**)[2] أي: قَبُح.

قوله: (**﴿أَوْ أَشْتَاتًا﴾ أي: مجتمعين**)... إلخ، أمرٌ شَتٌّ، أي: متفرّق، وشَتَّ الأمر شَتًّا وشَتاتًا، أي: تفرّق، وجاءوا أشتاتًا، أي: متفرّقين، واحدهم: شَتٌّ.[3]

---

[1] ن: أجشام. | **المُغرب** للمطرّزي، «جمع». وقال: "هكذا في جامع الغوري".

[2] د: سَمُح.

[3] **الصحاح** للجوهري، «شتت».

نَزلَتْ في بني لَيثِ بن عمرٍو من كِنانةَ، كانوا يَتحرَّجون أن يأكُلَ الرجُلُ وَحْدَهُ، فربَّما قعَد مُنتظِرًا نهارَهُ إلى الليل فإن لم يجِدْ مَن يُواكِله أكَلَ ضرُورةً.

وقيل: في قَومٍ من الأنصار إذا نَزل بهم ضَيْفٌ لا يأكلون إلّا مع ضَيفهم.

وقيل: تحَرَّجُوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الأَكلِ وزيَادة بعضِهم على بعْضٍ.

﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا﴾ مِن هذه البيُوت لتأكلُوا فبدِّئُوا بالسَّلام على أهلِهَا الذينَ هُم مِنكُم دِينًا وقرابةً ﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ثابتةً بأمْره مشرُوعةً من لَدُنه؛ أو لأنَّ التَّسليم والتحيَّة طَلَبُ سَلامةٍ وحيَاةٍ للمُسَلَّم عَليه والمُحَيَّا مِن عند الله، ووصَفَها بالبَركة والطِّيب؛ لأنَّها دَعْوةُ مُؤمنٍ لمؤمنٍ يُرجَى بها من الله زيادَةُ الخَيرِ وطِيبُ الرِّزق.

قوله: (يتحرَّجون)[١] الحرَج: ضِيق المَأثم، وتحرّج مِن كذا: تأثَّم، وحقيقته: جانَبَ الحرَج.[٢] وقوله: (أن يأكل الرجل) مفعول "تحرَّج" على التضمين،[٣] أي: يبعدون ويجتنبون الأكل منفردًا متحرِّجين.

قوله: (نهارَه) ظرف.

قوله: (وزيادة بعضهم) أي: في الأكل.

قوله: (منكم دينًا) يعني: أراد بقوله: "منكم": اتّصالهم بهم دينًا وقرابة.[٤]

قوله: (أو لأنّ التسليم)... إلخ، يعني: يكون معنى "سَلِّموا": اطلبوا السلامة مِن عند الله تعالى مسلِّمين، فهو على تضمين التسليم معنى طلب السلامة، فإنّ معنى "سَلِّموا" بحسب الاستعمال الشائع:[٥] قولوا: السلام عليكم، ولمّا ضُمِّن التسليم هنا معنى طلب السلامة صار المعنى على ما ذُكِر، ويكون ﴿تَحِيَّةً﴾ منصوبًا على المصدر على الوجهين.

---

١ الكشف والبيان للثعلبي، ٣٣٢/١٩ (النور، ٦١/٢٤)، وقال: «وهذا قول قتادة والضحاك وابن جريج، ورواية الوالبي عن ابن عبّاس».

٢ المُغرب للمطرّزي، «حرج».

٣ أي: على تضمين فعل "تحرّج" معنى فعل "اجتنب"، والتضمين: هو إشراب معنى فعل لفعل ليعامل معاملتَه. انظر: الكلّيّات لأبي البقاء، ص ٢٦٦.

٤ د ف: وقرابه.

٥ ف ن: السائغ.

وعن أنس قال: خدَمْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عَشر سنينَ -ورُوي: تسع سنين- فما قال لي لِشيء فعَلْتُه: لمَ فَعلْتَه؟ ولا قال لي لشيءٍ كسرتُه: لِمَ كسرتَهُ؟ وكُنت وَاقِفًا على رَأسِهِ أَصُبُّ الماءَ على يَدَيْه فرَفع رَأسَه فقال: «أَلَا أُعَلِّمُكَ ثلاث خصَالٍ تنتَفِعُ بهَا؟» قلتُ: بَلى، بأبِي وأُمِّي يا رسُول الله، قال: «مَتى لَقيتَ مِن أُمَّتِي أَحدًا فسَلِّم عليه يَطُلْ عُمرُكَ، وإذا دَخلتَ بَيتك فسَلِّم عليهم يكثُرْ خَيْرُ بَيتِك، وصَلِّ صَلاة الضُّحى فإنَّها صَلاةُ الأَبرار الأَوَّابينَ».

وقالوا: إنْ لم يكُن في البيت أحد فليقُلْ: "السَّلامُ علَينا من رَبِّنَا، السَّلامُ عَلينَا وعلى عبَادِ الله الصَّالحين، السَّلامُ عَلى أَهْل البَيْت ورحمةُ الله".

وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنه: إذا دَخلتَ المسجدَ فقُلْ: السَّلامُ عَلَينا وعلى عبَاد الله الصَّالحين تحيَّةً مِن عِند الله.

وانتصبَ ﴿تَحِيَّةً﴾ بـ"سَلِّمُوا"؛ لأَنَّها في معنى: تسْليمًا؛ كقولك: قعدْتُ جُلُوسًا.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾

أراد عَزَّ وجلَّ أَن يُريَهم عِظَمَ الجناية في ذهاب الذَّاهبِ عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بغيْر إذنه ﴿إذا كانُوا معهُ على أمرٍ جامِعٍ﴾ فجَعل تَرْكَ ذهابهم حتى يستأذِنُوه ثالثَ الإيمان بالله والإيمان برسوله، ....

قوله: **(وقالوا: إن لم يكن)** عطف على جملة قوله: **(فإذا دخلتم بيوتًا مِن هذه البيوت)**، فمعنى **الوجه الأوّل**: أنّ المراد بقوله: ﴿بُيُوتًا﴾: البيوت المذكورة في قوله تعالى: ﴿بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ﴾... إلخ. وفي **الوجه الثاني**: البيوت التي لا يكون فيها أحد. وعلى قول ابن عبّاس رضي الله عنه:[١] المساجد.

---

[١] د - رضي الله عنه. | قول ابن عبّاس في جامع البيان للطبري، ٣٨١/١٧ (النور، ٦١/٢٤)؛ وتفسير ابن أبي حاتم، ٢٦٤٩/٨ (النور، ٦١/٢٤).

وجعَلهما كالتَّشبيبِ له والبساطِ لذِكره، وذلك مع تَصْدِير الجملة بـ﴿إِنَّمَا﴾ وإيقاعِ المؤمِنين مُبتدَأً مخبَرًا عنه بموصُولٍ أحاطت صِلتُه بذكر الإيمانَيْنِ.

ثمَّ عقَّبه بما يَزيدُه توكيدًا وتَشديدًا حيثُ أعَادهُ على أُسلوبٍ آخرَ وهو قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ وضَمَّنه شيئًا آخر، وهو أنَّه جَعل الاستِئذان كالمِصداق لصحَّة الإيمانَيْن، وعَرَّض بحَال المنافِقين وتَسَلُّلِهمْ لِواذًا.

ومَعنى قوله: ﴿لَمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾: لم يَذهبُوا حَتَّى يَستَأذِنُوه ويَأذنَ لهم، ألا تَراه كيف عَلَّق الأمرَ بَعد وُجودِ استِئذانِهم بمشيئتِه وإذنه لمَن استَصْوبَ أن يأذَنَ له؟

والأمرُ الجامِعُ: الذي يُجمع لهُ الناسُ، فوُصفَ الأمرُ بالجمع على سبيل المجَاز، وذلك نحوُ مُقَاتَلةِ عَدوٍّ، أو تَشاوُرٍ في خَطْبٍ مُهِمٍّ، أو تضَامٍّ لإِرْهَابِ مخالِفٍ، أو تَمَاسُحٍ في حَلِفٍ، وغَيرِ ذلك.

أو: الأمرُ الذي يَعُمُّ بضَررِه أو بنَفعِه.

قوله: (**كالتشبيب**) "التشبيب": في اصطلاح علماء الفرائض: ذكر البنات على اختلاف الدرجات.[١] إمّا مِن تشبيب القصيدة؛ وهو تحسينها وتزيينُها بذكر النساء، أو مِن شبِّ النار؛ لأنّ فيه تذكيةً للخواطر، أو مِن شِباب الفرَس؛ لأنّه خروج وارتفاع مِن درجة إلى درجة، كحال الفرَس في نزَواته.[٢] "التشبيب"[٣] -بالشين المعجمة-: جعل الشيء وسيلةً للشيء وسببًا لذِكره، مِن شِباب الفرَس بكسر الشين؛ وهو نشاط الفرَس ورفع يديه جميعًا، يقال: شبَّ الفرَس يَشُبُّ ويَشِبّ -بالضم والكسر- إذا قَمَصَ ولعِب، أو مِن قولهم: شبَبْتُ النار أشبُّها، أي: أوقدتُها.

قوله: (**لإرهاب**) رَهِبَ، أي: خاف، وأرهَبه واستَرْهبه إذا أخافه.[٤] وقوله: (**أو تماسُحٍ**) التماسُح: وضع اليد في اليد عند المعاهدة.

---

١ كذا في **المُغرب**، وانظر: **حاشية ابن عابدين**، ٧٨٥/٦.
٢ د ن: نزوانه. | **المُغرب** للمطرّزي، «شبب».
٣ ف: التشبيب.
٤ انظر: **الصحاح** للجوهري، «رهب».

وقرئ: "أمرٍ جميعٍ".

وفي قوله: ﴿إذا كانُوا معهُ على أمرٍ جامِعٍ﴾ أنّه خَطبٌ جليلٌ لا بُدَّ لرسُول الله صلى الله عليه وسلم فيه من ذَوِي رَأيٍ وقُوَّةٍ يُظاهِرُونه عَليه ويُعَاونُونه، ويَستضيء بآرائهم ومَعَارِفِهم وتجَاربهم في كفايتِه، فمفَارَقةُ أحَدهِم في مِثل تلك الحالِ مما يَشُقُّ عَلى قَلبه ويُشعِثُ عَليه رَأيَهُ، فمِن ثَمَّ غُلِّظ عليهم وضُيِّق عليهم الأمرُ في الاستِئذان مع العُذر المَبسوط ومَسَاسِ الحَاجة إليه، واعتِراضِ ما يُهِمُّهُم ويَعنيهم، وذلك قَولُه: ﴿لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾.

وذِكرُ الاستِغفار للمُستأذِنين دليلٌ على أنَّ الأحسنَ الأفضَلَ أن لا يُحدِّثُوا أنفسَهُم بالذَّهاب ولا يَستأذِنوا فيه.

وقيل: نزَلتْ في حَفْر الخَندق، وكان قومٌ يتَسلَّلُونَ بغَير إذنٍ.

وقالوا: كذلك ينبَغي أنْ يكون النَّاسُ مع أئمَّتِهم ومُقَدَّمِيهم في الدِّين والعِلم يُظَاهِرُونهم ولا يَخذُلُونَهم في نَازلةٍ من النَّوازل ولا يتَفرَّقون عَنهم.

والأَمرُ في الإذن مُفوَّضٌ إلى الإمام: إن شَاء أَذِنَ وإِن شَاء لم يَأذَنْ، على حَسَبِ ما اقتضَاه رأيُه.

﴿لَا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾

قوله: (ويُشَعِّث عليه) تشعّيث[1] الشيء: تفريقه، والشَّعَث: انتشار الأمر، يقال: لَمَّ الله شَعَثك.[2]

قوله: (وذلك قوله تعالى) والأَولى أن يقال: ذلك إشارة إلى التغليظ والتضييق، فإنّ التغليظ هو قوله: ﴿لِبَعْضِ﴾ حيث لم يطلق الإذن؛ بل قيَّد بالبعض.

قوله: (وقالوا) أي: العلماء.

[1] ن: تشعث.

[2] انظر: الصحاح للجوهري، «شعث».

إذا احتاج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى اجتماعِكم عنده لأَمرٍ فدعَاكم فلَا تَفرَّقُوا عَنه إلَّا بإذنه، ولا تَقِيسُوا دُعَاءَه إيَّاكُم على دعاء بَعضِكم بعضًا ورجُوعِكم عن المجمَع بغيْرِ إذنِ الدَّاعي.

أو: لا تَجعَلوا تسْمِيَتَهُ ونِدَاءَه بَيْنكم كما يُسَمِّي بَعضُكم بَعضًا ويُنَادِيه باسْمِه الَّذي سمَّاهُ به أبوَاهُ، ولا تَقُولُوا: يا محمَّدُ؛ ولكن: يا نبيَّ الله، و: يا رسُولَ الله، مع التَّوقِير والتَّعظِيم والصَّوتِ المخفُوضِ والتَّواضُع.

ويَحتمِل: لا تجعَلوا دعَاءَ الرَّسُولِ رَبَّهُ مثلَما يدعُو صَغيرُكم كبيرَكم وفَقيرُكُمْ غنِيَّكُم، يَسْألُه حَاجةً فرُبَّما أجَابهُ ورُبَّما رَدَّه، فإنَّ دَعوات الرَّسولِ مَسموعةٌ مُستَجابةٌ.

﴿يَتَسَلَّلُونَ﴾: ينسَلُّونَ قليلًا قليلًا، ونظيرُ تَسلَّلَ: تدَرَّجَ وتَدَخَّلَ.

و"اللواذُ": المُلاوَذةُ، وهو أَن يَلُوذَ هذا بذاك وذاك بهذا، يعني: يَنسَلُّون عن الجَماعة في الخُفيَةِ على سبيل المُلاوَذةِ واستِتَار بَعضهم ببَعضٍ.

و﴿لِوَاذًا﴾ حالٌ؛ أي: مُلاوِذين.

وقيل: كان بَعضهم يلُوذ بالرجُل إذا استأذنَ، فيَأذَنُ له، فيَنطلِقُ الذي لم يُؤذَن له معَه.

قوله: (**فدعاكم، فلا تفرَّقوا**) الفاء في "فدعاكم" للعطف، وفي "فلا تفرَّقوا" جواب الشرط. و﴿دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ﴾ على الوجه الأوّل والثالث مصدر مضاف إلى الفاعل، وعلى الثاني إلى المفعول، والضمير مِن "عنه" عائد إلى ما دلّ عليه.

قوله: (**اجتماعكم**) وهو المَجمَع، وفي الكلام حذف تقديره: فدعاكم فحضرتم مَجْمَعه[1] فلا تفرَّقوا عن / مَجمَعه إلّا بإذنه. [١٩١و]

قوله: (**ولا تقيسوا**)... إلخ، فيه حذف أيضًا، أي: لا تقيسوا دعاءه إياكم وتفرُّقكم عن مَجمَعه بغير إذنه على دعاء... إلخ.

قوله: (**قليلًا قليلًا**) فقوله: "تسلّل" للعمل المتكرّر في مُهلة، نحو: تجرَّعه.

---

[1] ن: مجمعة.

وقرئ: "لَواذًا" بالفتح.

يُقال: "خَالفَه إلى الأَمْر": إذا ذهبَ إليه دُونَه، ومنه قولُه تعالى: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [هود ١١/٨٨]، و"خالفَه عن الأمر": إذا صَدَّ عنه دونَه.

ومَعنى ﴿ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾: الذين يَصُدُّون عن أَمْره دُون المؤمنينَ، وهم المنافقون، فحُذف المفعُولُ؛ لأنَّ الغرضَ ذكرُ المخالِفِ والمُخالَفِ عَنْهُ.

الضَّميرُ في ﴿أَمْرِهِۦٓ﴾ للهِ سُبْحانه وتعالى، أو للرَّسُول صلى الله عليه وسلم، والمعنَى: عن طاعتِهِ ودينِهِ.

﴿فِتْنَةٌ﴾: مِحنةٌ في الدنيا ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخِرة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿فِتْنَةٌ﴾: قتلٌ.

وعن عطاءٍ رحمه الله: زَلازِلُ وأَهوالٌ.

وعن جعفرِ بن محمدٍ رحمه الله: يُسَلَّطُ عَليهم سُلطانٌ جَائرٌ.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾﴾

أَدخلَ ﴿قَدْ﴾ ليُؤكِّدَ علْمَهُ بما هُم عليه من المخالَفةِ عن الدِّين والنِّفاقِ، ومَرجعُ توكيدِ العِلْمِ إلى تَوكيدِ الوَعيدِ، ....

قوله: (**يقال: خالفه إلى الأمر إذا ذهب إليه دونه**) وحقيقته: خالفه ذاهبًا إلى الأمر، فيكون "إلى الأمر" حالًا عن المخالِف.

قوله: (**وخالَفه عن الأمر إذا صدّ عنه دونه**) وحقيقته: خالفه صادًّا، أي: مُعرضًا عن الأمر، فيكون حالًا عن المخالف. وقوله: (**يَصُدُّون**) أي: يُعرِضون.

قوله: (**فحُذف المفعول**) إذ الأصل: يخالفون المؤمنين عن أمره، أي: يخالفون المؤمنين صادِّين عن أمر الله، فيكون ﴿عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ حالًا مِن فاعل ﴿يُخَالِفُونَ﴾.

وذلك أَنَّ "قد" إذا دخَلتْ على المضارِعِ كانت بمعنى: "رُبَّما"، فوافقَت "رُبَّما" في خرُوجها إلى معنى التَّكثير في نحوِ قوله:

فـإنْ تُـمْـسِ مـهـجُـورَ الفِنَـاء فربَّمَا　　أقَـام بـه بَـعـدَ الـوُفُـودِ وُفُـودُ

ونحوُه قَولُ زهير:

أَخِـي ثـقَـةٍ لا تُـهلِكُ الخمرُ مالَهُ　　ولـكـنَّـه قَـد يُـهـلِـكُ الـمـالَ نَـائـلُـه

والمعنَى: أَنَّ جميعَ ما في السماوات والأرض مُختصَّةٌ به خَلْقًا ومُلكًا وعِلْمًا، فكيفَ تَخفَى عليه أَحوالُ المنافِقين وإن كانُوا يَجْتَهِدُونَ في سَتْرِهَا عن العُيون وإِخفَائها؟ وسَيُنَبِّئُهم يومَ القيامَةِ بما أَبطنُوا من سُوء أَعمالِهم، وسَيُجازيهم حَقَّ جَزائِهم.

والخطَابُ والغَيبةُ في قولِهِ: ﴿قَدۡ يَعۡلَمُ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ وَيَوۡمَ يُرۡجَعُونَ إِلَيۡهِ﴾ يجُوز أَن يكونا جميعًا للمنافِقين على طريق الالتفات، ويجوز أَن يكونَ ﴿مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ﴾ عَامًّا و﴿يُرۡجَعُونَ﴾ للمُنافِقين.

قوله: (**وذلك أنّ "قد"**) هذا بيان أنّ[1] دخول "قد" يؤكّد علمه.

قوله:

(**بـــعـــدَ الـــوفـــودِ وفـــودُ**)[2]

"الوفود":[3] طلّاب الحاجات. المعنى: إن مُتَّ وصِرْتَ مهجور الساحة مرفوض الخدمة فربّما كانت الوفود فيما مضى مِن حياتك مزدحمين على بابك. يعني: إن هُجِرَ فِناؤك الساعةَ لمَوتك، فربّما كان مألوفًا للوفود[4] أيامَ حياتك.[5]

قوله: (**﴿مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ وَيَوۡمَ يُرۡجَعُونَ﴾**) فيه لفّ ونشر، يعني: هذا نشر لِما في قوله: (**والخِطاب والغَيبة**) مِن اللفِّ.

---

١ ف: إن.

٢ لأبي عطاء السِّندي يرثي يزيد بن هُبيرة. انظر: **لسان العرب** لابن منظور، «عهد».

٣ ف: الوفُوذ.

٤ ف: للوفوذ.

٥ **شرح أبيات الكشّاف** لمحبّ الدين أفندي، ص ٩٣.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سُورة النُّور أُعطيَ من الأَجر عشرَ حَسَناتٍ بعدَد كلِّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ فيما مَضى وفيما بَقِيَ».

تمّت السورة بحمد الله ومنّه وكرمه.[١]

---

١ ف ن – تمت السورة بحمد الله ومنه وكرمه.

سورة الفرقان

مكيَّةٌ، وهي سَبْعٌ وسَبْعُون آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ①﴾

"البَركةُ": كثرةُ الخَير وزِيادتُه، ومنها ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف ٧/٥٤]، وفيه مَعنيَان: أحَدُهما: تَزايَدَ خَيْرُهُ وتكاثَر.

أو: تزايَدَ عَن كلِّ شيءٍ وتَعالى عنه في صِفاته وأفعالِه.

و"الفُرقانُ": مَصْدرُ فَرَقَ بينَ الشَّيْئين: إذا فصَل بَينهما، وسمِّي به القرآنُ لفَصْلهِ بين الحقِّ والباطل؛ أو لأنَّه لم يُنزَلْ جُملةً واحدةً؛ ولكن مفرُوقًا مفصُولًا بينَ بعضِه وبعضٍ في الإنزال، ألَا ترى إلى قوله: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَـٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ

سورة الفرقان

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله: (**وفيه معنيان**)... إلخ، على المعنى **الأوّل** يكون المضاف محذوفًا مِن ﴿ٱلَّذِى﴾، دون المعنى **الثاني**.

قوله: (**وسُمّي به القرآن لفَصله**)... إلخ، فعلى **الأوّل** يكون بمعنى: الفارق، وعلى **الثاني** بمعنى: المَفروق، أو يكون المضاف محذوفًا، أي: ذي الفرقان، فيصلح للمعنيَين.

قوله: (**ألا ترى[١] إلى قوله تعالى**) في سورة الإسراء.[٢]

---

١ د: يرى.

٢ سورة الإسراء، ١٧/١٠٦.

﴿عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا﴾ [الإسراء ١٧/١٠٦]، وقد جَاء الفُرْقُ بمَعناهُ، قال:

ومُــشْــركــيّ كــافِــرٍ بــالــفُــرْقِ

وعن ابن الزُّبير: "عَلى عبَادِه"، وهُم رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم وأُمَّتُه؛ كما قال: ﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ﴾ [الأنبياء ٢١/١٠]، ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ [البقرة ٢/١٣٦].

والضميرُ في ﴿لِيَكُونَ﴾ لـ﴿عَبۡدِهِۦ﴾ أو لـ﴿ٱلۡفُرۡقَانَ﴾، ويَعْضدُ رجُوعَه إلى ﴿ٱلۡفُرۡقَانَ﴾ قراءةُ ابنِ الزُّبير.

﴿لِلۡعَٰلَمِينَ﴾: للجنّ والإنس ....

قوله: (وقد جاء الفُرْقُ بمعناه) نظيره:[1] الخُسْر والخُسران.

قوله:

(ومُــشــركــيّ كــافــرٍ بــالــفُــرْقِ)[2]

يقال: أشرك بالله، فهو مشرك ومشركيٌّ، مثل: دَوٍّ ودوّيّ؛[3] بمعنى المَفازة، وكذلك الدوّيّة؛ لأنّها مَفازة مثلها، فنسبتْ[4] إليها.[5] والقعْسَر والقعْسريّ: الضخم الشديد، يقال: جَملٌ قعسريّ.[6]

قوله: (ويَعضُد رجوعه إلى ﴿ٱلۡفُرۡقَانَ﴾ قراءة ابن الزبير)؛ لأنّه قرأ: "على عباده"،[7] فيكون المعنى: نزّل على عباده الفرقان؛ ليكون الفرقان[8] نذيرًا للعالمين، وهم العباد المنزَّل عليهم. والحاصل: أنّه لا يجوز أن يرجع الضمير مِن "يكون" إلى "عباده"؛ لأنّه لا يستقيم المعنى ولا اللفظ، وعلى هذا يكون مِن وضع الظاهر موضع الضمير،[9] إذ الأصل: نزّل الفرقان على عباده ليكون لهم نذيرًا، أي: ليكون الفرقان نذيرًا للعباد.

---

١ ن: ونظيره.
٢ بلا نسبة في **الصحاح** للجوهري، «فرق» «شرك».
٣ **الصحاح** للجوهري، «شرك».
٤ ن: فنسِب.
٥ **الصحاح** للجوهري، «دوى».
٦ **الصحاح** للجوهري، «قعسر».
٧ انظر: **المحتسب** لابن جنّي، ٢/١١٧.
٨ ن – ليكون الفرقان.
٩ ن: المضمر.

﴿نَذِيرًا﴾ مُنذرًا؛ أي: مُخوِّفًا، أو إنذارًا كالنَّكير بمَعنى الإنْكارِ، ومنه قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر ٥٤/١٦].

﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾

﴿ٱلَّذِي لَهُۥ﴾ رفعٌ على الإبدال من ﴿ٱلَّذِي نَزَّلَ﴾، أو رفعٌ عَلى المدح، أو نصبٌ عَليْه.

فإن قلتَ: كيف جاز الفَصل بين البَدل والمُبدَل منه؟

قلتُ: ما فُصِل بينهما بشيءٍ؛ لأنَّ المبدَلَ منه صِلتُه ﴿نَزَّلَ﴾، ....

قوله: (**منذرًا**) إذا كان الضمير في ﴿لِيَكُونَ﴾ لـ﴿عَبْدِهِۦ﴾ فسّر "النذير" بمعنى: المنذِر، وفيه البحث الذي مرّ في قوله: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة ٢/١١٧] في أنّه / بمعنى: المُبدِع. وقوله: (**أو إنذارًا**) إذا كان الضمير لـ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾. في هذا البيان نظر؛ لأنّ النذير إذا كان بمعنى الإنذار كان الضمير في ﴿لِيَكُونَ﴾ عائدًا إلى "التنزيل"؛ لدلالة ﴿نَزَّلَ﴾ عليه، فكأنّه[1] قيل: ليكون تنزيله إنذارًا للعالمين، وإنّما قلنا هذا هو الصواب لا الأوّل؛ لأنّ "الفرقان" لا يكون عينَ الإنذار؛ بل تنزيله إنذار. **[١٩١ظ]**

قوله تعالى: (**﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾** [القمر ٥٤/١٦]) قال في **الصحاح**: «الإنذار: الإبلاغ، ولا يكون إلّا في التخويف، والاسم: النُّذُر، ومنه: قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر ٥٤/١٦] أي: إنذاري».[2]

قوله: (**بشيء**) أي: بشيء أجنبيّ، أو المعنى: لا فصل أصلًا؛ لأن الصِّلة والموصول كالشيء الواحد، ولذا قال المصنِّف في **المفصّل**: «الموصول: ما لا يتمّ اسمًا إلّا بصِلة».[3]

---

١ ن: وكأنّه.

٢ **الصحاح** للجوهري، «نذر».

٣ **المفصّل** للزمخشري، ص ١٨٣، وعبارته: «والموصول: ما لا بدّ له في تمامه اسمًا مِن جملة تردفه مِن الجمل التي تقع صِفات، ومِن ضمير فيها يرجع إليه. وتسمّى هذه الجملة: صِلة».

و﴿لِيَكُونَ﴾ تَعليلٌ له، فكأنَّ المبدَل منه لم يَتِمَّ إلَّا بهِ.

فإن قلتَ: في الخَلق معنى التَّقدير، فما مَعنَى قوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ كأنَّه قال: وقدَّرَ كُلَّ شيءٍ فقَدَّره؟

قلتُ: المعنى: أنَّه أحدث كلَّ شيءٍ إحداثًا مُراعًى فيه التقديرُ والتَّسويةُ، فقَدَّره وهيَّأه لِمَا يَصلُحُ له، مثاله: أنَّه خلقَ الإنسانَ على هذا الشكلِ المقدَّر المُسوَّى الذي تَراه، فقَدَّرهُ للتكاليفِ والمصالح المنُوطةِ به في بابَي الدِّينِ والدُّنيا، وكذلك كلُّ حَيوانٍ وجَمادٍ جاء به على الجِبِلَّة المُستَوية المقَدَّرة بأَمثلةِ الحكمة والتَّدبير فقَدَّره لأَمْرٍ مَّا ومَصْلحةٍ مُطَابقًا لمَا قُدِّرَ له غيرَ مُتجَافٍ عنه.

أو سُمِّي إحداثُ الله خَلقًا؛ لأنَّه لا يُحدِثُ شيئًا لحكمته إلَّا عَلَى وَجْه التَّقدير من غَيْر تفَاوُتٍ، فإذا قِيلَ: خَلَقَ اللهُ كذا، فهُو بمَنزلة: أَحدَث وأَوْجَد، من غَيْرِ نَظرٍ إلى وَجْه الاشتِقاق؛ فكأَنَّه قيل: وأَوجَد كُلَّ شيءٍ فقَدَّرَه في إيجَادِه لم يُوجِدْهُ مُتفَاوِتًا.

وقيل: فجَعلَ له غايةً ومنتهًى، ومعناه: فقَدَّرهُ للبقَاء إلى أَمَدٍ مَعْلُوم.

قوله: (لم يتِمّ إلَّا به) الضمير مِن قوله: "به" يعود إلى ﴿لِيَكُونَ﴾، يعني: لمّا كان ﴿لِيَكُونَ﴾ تعليلًا للصِّلة، والموصول لا يتمّ إلّا بالصِّلة، فكأنّه لا يتِمّ إلّا بما هو تعليل للصِّلة، ولا يحسُن أن يقال: الضمير يعود إلى ﴿نَزَّلَ﴾؛ لأنّه لا يساعد على ذلك لفظة "كأنّ"، فتأمّل، فإنّ الموصول لا يتِمّ إلّا بصِلته البتّة، فلا يَحسُن لفظة "كأنّ"، فأراد أن يبيّن أنّ الموصول كأنّه لا يتِمّ إلّا بما هو تعليل للصِّلة.

قوله: (كأنّه: وقدّر)[1] الضمير مِن "كأنّه" يعود إلى "قوله"، أي: كأنّ قوله تعالى هكذا: فقدّر كلّ شيء فقدّره تقديرًا.

قوله: (قلت: المعنى أنّه)... إلخ حاصل الجواب: أنّ التقديرين بمعنيَين مختلفين.

قوله: (فكأنّه قيل) أي: في هذه الآية.

قوله: (فجعل له غاية) وعلى هذا الوجه يكون[2] اللام محذوفًا، قال في **الوسيط**:

---

[1] في مطبوع للكشاف: "كأنّه قال: وقدّر".

[2] ن: تكون.

"الخلقُ" بمعْنَى الافتِعَال؛ كما في قوله: ﴿إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ﴾ [العنكبوت ١٧/٢٩]، والمَعنى: أَنَّهم آثرُوا على عبَادةِ اللهِ سُبْحانه عبَادةَ آلِهةٍ لا عَجْزَ أَبْينُ من عَجزهم، لا يَقدِرُون على شيءٍ من أَفعال الله ولا من أفعَال العبَاد، حيثُ لا يَفتعِلُون شيئًا وهم يُفتَعَلون؛ لأنَّ عَبَدَتهم يَصْنَعُونهم بالنَّحْتِ والتَّصوير.

﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا ٣﴾

﴿وَلَا يَمۡلِكُونَ﴾؛ أي: لا يَستطيعُونَ ﴿لِأَنفُسِهِمۡ﴾ دَفعَ ضَررٍ عنها أو جَلبَ نَفعٍ إليها وهُم يَستطيعُون، وإذا عَجَزُوا عن الافتِعال ودَفع الضَّررِ وجَلْبِ النَّفع التي يَقدِرُ عليها العِبَادُ كانوا عن المَوتِ والحَياة والنُّشُور التي لا يَقدِرُ عَليها إلَّا الله أَعجزَ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ٤﴾

﴿قَوۡمٌ ءَاخَرُونَ﴾ هُم اليَهُودُ.

وقيل: عَدَّاسٌ مَوْلى حُويْطِب بن عَبْد العُزَّى، ويَسَارٌ مَولى العَلاء بن الحَضْرميِّ، وأبُو فُكَيْهَةَ الرُّوميُّ، قال ذلك النَّضرُ بن الحَارث بن عَبد الدَّار.

"جاءَ" و"أتَى" يُستعملانِ في معنى: فعَل، فيُعدَّيانِ تَعْديتَهُ، وقد يكونُ عَلى معنى: ورَدُوا ظُلْمًا، كمَا تقُول: "جِئتُ المكانَ"، ويجوز أن يُحذفَ الجارُّ ويُوصَلَ الفعلُ.

«قال المفسّرون: قدّر له تقديرًا مِن الأجل والرزق، فجَرَت المقادير على ما خلق».[١]

قوله: (**لا يقدرون على شيء**) بيان "لا عَجزَ أبْيَن".

قوله: (**ويجوز أن يحذَف الجارّ**) والأصل: جاء بظلم وزور، فحُذِف الجارّ كما في قوله تعالى: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ﴾ [الأعراف ١٥٥/٧].

---

١ **التفسير الوسيط** للواحدي، ٣٣٣/٣ (الفرقان، ٢/٢٥).

وظُلمُهم: أن جعَلوا العَربيَّ يتَلقَّنُ من العَجَميّ الرُّوميّ كلامًا عربيًّا أَعجَزَ بفصَاحتِه جميعَ فصحَاءِ العَرب، والزُّور: أنْ بَهتُوهُ بِنسبَةِ ما هُو بَرِيءٌ مِنه إليه.

﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٥ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝٦﴾

﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: ما سَطَّرَهُ المتقدِّمُون من نحو أَحاديث رُستُم وإسفنديار، جَمعُ أَسْطَار أَو أُسطورة كأُحدُوثَةٍ.

﴿ٱكۡتَتَبَهَا﴾: كَتبهَا لنَفسه وأَخذهَا؛ ....

قوله:[١] (وظلمهم)... إلخ؛ وذلك لأنّ الظلم: وضع الشيء في غير موضعه، وأخْذُ العربيّ الفصيح وتعلّمُه مِن العجميّ أمر غير مناسب وغير معقول، فهذا الانتساب ليس مِن وضع الشيء في موضعه. أو لأنّ الظلم: النقصان، فنسبة العربيّ الفصيح إلى أنّه يتعلّم الكلام الفصيح مِن العجميّ الروميّ نقص منه. وفيه إشارة إلى أنّ إعجاز القرآن إنّما هو مِن جهة فَصاحة اللفظ، وتلك لا يمكن أخذها مِن الذين نُسِبوا إليهم، فيكون مُعجِزًا دالًّا على نبوّته كما يقول،[٢] لا متلقَّنًا مأخوذًا مِن غيره كما يقولون.

قوله: (العربيّ) وهو النبيّ عليه الصلاة والسلام. وقوله: (أعجز) صفة "كلامًا".

قوله: (بنسبة ما هو) أي: النبيّ عليه الصلاة والسلام. وقوله: (إليه) أي: إلى النبيّ عليه الصلاة والسلام.

قوله: (﴿ٱكۡتَتَبَهَا﴾ كتبها لنفسه) يعني: يكون افتَعل هنا للاتّخاذ، نحو: استوى، ونحو: اضطرب رسول الله عليه الصلاة والسلام خاتَمًا.[٣]

---

[١] ن – قوله.

[٢] ن: تقول.

[٣] لم أجده بهذا اللفظ، وأخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اصطنع خاتمًا مِن ذهب وكان يلبسه... وأخرج مسلم عن أنس بن مالك: أنّه رأى في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتمًا مِن ورِق يومًا واحدًا، ثمّ إنّ الناس اضطربوا الخواتم مِن ورِق فلبسوها. **صحيح البخاري**، ١٣٣/٨ (٦٦٥١)؛ **صحيح مسلم**، ١٦٥٨/٣ (٢٠٩٣).

كما تَقولُ: استَكبَ الماءَ واصطَبَّهُ: إذا سَكبه وصَبَّه لنَفسهِ وأَخذَه.

وقرئ: "اكْتُتِبَها" على البناء للمفعُول، والمَعنى: اكتَتبَها كاتبٌ له؛ لأنَّه كان أُمِّيًّا لا يكتبُ بيَدِه، وذلك من تَمام إعجَازِهِ، ثم حُذِفت اللَّام فأَفضى الفعلُ إلى الضَّمير فصَار: اكتَتَبهَا إيَّاهُ كاتِبٌ؛ كقوله: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ [الأعراف ١٥٥/٧]،

قوله: (واصطَبَّه) افتِعال مِن الصَّبّ.

قوله: (والمعنى: اكتتبها كاتب) فعلى هذا لا يكون "افتعل" للاتّخاذ؛ بل يكون للتصرّف والاعتمال،[١] نحو: اكتسب.

قوله: (لأنّه كان أمّيًا) متعلّق بمحذوف، أي: حُمل على أنّ المعنى: كتبَها كاتب له، لا أنّه / كتب لنفسه؛ لأنّه كان أمّيًا، ويجوز أن يتعلّق بالمعنى، كأنّه [١٩٢و]
قيل: عنى هذا المعنى لأنّه كان أمّيًا.

قوله: (وذلك مِن تمام إعجازه) جملة معترضة، أي: كونه أمّيًا مِن تمام إعجاز القرآن؛ لأنّ القرآن في نفسه مُعجز ولو لم يكن النبيّ عليه الصلاة والسلام أمّيًا، فكيف إذا كان أمّيًا؟ إذ لا يرتاب أحدٌ حينئذٍ في كون القرآن مُعجزًا، فقد تَمّ الإعجاز بحيث لا يشكّ فيه مرتابٌ، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت ٤٨/٢٩].

قوله: (ثمّ حذِفت اللام) عطف مِن حيث المعنى على قوله: "والمعنى: اكتتبها"، كأنّه قيل: والأصل: اكتتبها كاتب له، ثمّ حذفت اللام.

قوله: (فأَفضى الفعل) بفتح الهمزة، أي: وصل. والفضاء: المكان الواسع، وقولهم: أَفضى فلان إلى فلان إذا وصل إليه؛ حقيقته: صار في فضائه،[٢] فهو لازم وتعدّى[٣] بالباء. يقال: أفضى بسرّه إلى فلان، وأفضى بيده إلى الأرض إذا مسّها ببطن راحته في سجوده.[٤]

---

١ ف: والاعتماد.

٢ **المُغرب** للمطرّزي، «فضو».

٣ ن: ويتعدّى.

٤ انظر: **الصحاح** للجوهري، «فضا».

ثمَّ بُني الفِعلُ للضَّمير الذي هو "إيَّاه" فانقَلَب مَرْفوعًا مُستَتِرًا بعْدَ أَنْ كان بارِزًا مَنصوبًا وبقي ضميرُ الأساطير على حاله فصار: "اكتُتِبها" كما تَرى.

فإن قلتَ: كيفَ قيل: ﴿ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ﴾ وإنَّما يقال: أُملِيَتْ عليه فهو يَكتَتِبُها؟

قلتُ: فيه وجهان:

أحَدُهما: أرَادَ اكتتَابهَا -أو: طَلَبَه- فهي تُملَى عَليه.

أو: كُتِبَتْ له وهُو أُمِّيٌّ فهي تُملَى عَليه؛ أي: تُلقَى عليه من كتَابهِ يَتحَفَّظُها؛ لأنَّ صُورةَ الإلقاء على الحَافظِ كصورة الإلقاء على الكاتب.

وعن الحسن رحمه الله: أنه قولُ الله سبحانَهُ يكذِّبُهم.

قوله: **(أراد اكتتبها)**[1] أي: أراد النبيُّ عليه الصلاة والسلام. وقوله: **(فهي تُمْلى عليه)** ليكتبها.

قوله: **(يتحفَّظُها)** أي: يحفظها قليلًا قليلًا، فهو مِن "تَفعَّل" الذي يكون للعمَل المتكرّر في مُهلة، نحو: تجرَّعه، ومنه: تفهَّم. فقوله: **(أو كُتبت له)** أي: كتبت له في الزمان الماضي؛ لكنّه أمّيّ لا يقدِر أن يقرأ ممّا كُتِب له، فيُلقى[2] عليه ما كتب له ليحفظه قليلًا قليلًا.

قوله: **(لأنّ صورة الإلقاء)** بيان جواز استعمال الإملاء بالمعنى الثاني.

قوله: **(كصورة الإلقاء على الكاتب)** فكما يصحّ أن يقال: يُملى على الكاتب، أي: على الذي يريد أن يَكتُب؛ يصحّ أن يقال: يُملى على الحافظ، أي: على الّذي يريد أن يحفظ. فإنّ الإملاء قراءة الشيء أو تقريره؛ ليكتبَه السامع أو يحفظه.

قوله: **(يُكذِّبهم)** أي: قال الحسَن: يكذّبهم الله تعالى بهذا الكلام، أي: بقوله: ﴿ٱكۡتَتَبَهَا﴾... إلخ، فيكون المعنى: ليس الأمر كما زعَم المشركون

---

[1] في مطبوع للكشاف: "أراد اكتتابها".

[2] ف: فليُقى.

وإنَّما يَستقيم أَن لَو فُتِحت الهمزةُ للاستفهام الذي في مَعنى الإنكار، ووَجْهُه أَن يكونَ نحوَ قوله:

أَفـــــرَحُ أَنْ أُرْزَأَ الكِــــرامَ وأنْ أُورَثَ ذَوْدًا شَــــصائصًا نَبَـــلَا

وحقُّ الحَسَن أن يقفَ على ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾؛ أي: دائمًا، أو: في الخُفيَة قَبل أن ينتَشرَ النَّاسُ وحينَ يَأْوُونَ إلى مساكِنهم.

أي: يَعلم كُلَّ سِرٍّ خفيٍّ في السماوات والأرض، ومن جُملتِه مَا تُسِرُّونهُ أَنتُم من الكَيد لرسُوله مع عِلمِكُم أَنَّ ما تقولُونه باطلٌ وزُورٌ، ....

مِن أنّ القرآن أساطير الأوّلين، وكيف يكون كذا؟ أَكتتبها فهي تُملى عليه كما يزعمون؟ وهذا زعم باطل يزعمونه. وقوله: (وإنّما يستقيم) أي: قول الحسَن. وقوله: (أن لو فُتِحت الهمزة) أي: مِن ﴿أَكْتَتَبَهَا﴾؛ لكنّها مكسورة. وقوله: (ووجهه) أي: وجه قول الحسَن. وقوله: (أن يكون) أي: ﴿أَكْتَتَبَهَا﴾.

قوله:

(أفـــــرَح أن أُرزَأَ الكـــــرامَ)

تمامه:

وأن أُورَثَ ذَودًا شـــــصائصًا نَبَـــــلا

وأوّله:

إن كـنـتَ أزنَـنْـتَـنـي بـهـا كـذِبًا جَــزءٌ فـلاقـيـتَ مـثـلَـهـا عَـجِـلا[1]

أي: يا جَزْءُ.[2] قُتل لهذا الشاعر أخوه، فاتُّهم بأنّه قد سُرَّ بأخذ الدية، فقال فيه. يقال: أَزْنَنتُه بشيء، أي: اتّهمتُه به. وقوله: "أفرَح" كلامُ مُنكِر الفرحة برَزِيَّة الكِرام ووِراثة الذَود، مع تعرّيه من حرف الإنكار؛ لانطوائه تحتَ حكم قول مَن قال له: أتفرَح بموت أخيك وبوِراثة إبلِه؟ والذي طُرِح لأجله حرف الإنكار:

---

[1] لحضرمي بن عامر في لسان العرب لابن منظور، «جزء».

[2] ن: يأجز.

وكذلك باطنُ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبراءتُهُ ممَّا تَبْهتُونَه به، وهو يُجَازِيكم ويُجَازِيه على ما عَلِم مِنكم وعَلِم مِنه.

فإن قلتَ: كيف طابَقَ قولُه: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ هذا المَعنى؟

قلتُ: لمَّا كان ما تقدَّمه في معنى الوَعيدِ عَقَّبَه بما يَدُلُّ على القُدرَة عليه؛ لأنَّه لا يُوصَفُ ....

إرادة أن يُصوِّر قُبح ما أُزِن به،[١] فكأنّه قال: نعَم، مثل نفرح[٢] برزيّة الكرام وبأن نستبدل[٣] منهم ذَودًا يقِلُّ طائله. وهو مِن التسليم الذي / تحته كلُّ إنكار.[٤] [١٩٢ظ]

والذَود من الإبل: ما بين الثلاث إلى العشرة، وهي مؤنّثة لا واحد لها مِن لفظها، والكثير: أذواد، وفي المَثل: "الذَّود إلى الذَّود إبل"،[٥] قولهم: "إلى" بمعنى "مع"، أي: إذا جمعتَ القليل مع القليل صار كثيرًا. والشَّصوص: الناقة القليلة اللبن، والجمع: شصائص. والنَّبَل: الصغار، وهو مِن الأضداد.[٦] يقول:[٧] أأفرح بصغار الإبل وقد رُزِئْتُ بكبار الكرام؟ أي: كيف أفرح بذلك؟ فإنّ ما فاتني أمرٌ عظيم وشيء جليل، والذي حصل لي في مقابلته حقير لا يُلتفت إليه. وبعضهم يرويه: "شصائصًا نُبَلًا"، يريد: جمع نُبلة؛ وهي العطيّة، فحرف الاستفهام في البيت محذوف، وكذا الآية على تفسير الحسن البصريّ رحمة الله عليه.[٨]

قوله: **(وكذلك باطن)** أي: ومِن جملته أيضًا.

قوله: **(على ما عَلِم مِنكم وعَلِم منه)** فيه لفّ ونشر.

---

١ في المطبوع من **شرح شواهد الكشّاف**: "ما أُرزئ فيه".

٢ ن: مفرح. | كذا العبارة في الأصول الخطيّة، وهي في **شرح شواهد الكشّاف**: "مِثلي يفرح برزيّة الكرام وبأن يستبدل منهم"

٣ ن: نستدل.

٤ كذا في **شرح شواهد الكشّاف** لمحبّ الدين أفندي، ص ٢٤٣.

٥ انظر: **مجمع الأمثال** للميداني، ١/٢٧٧.

٦ وإنّه جمع نبيل، ككريم وكرم. كذا في **شرح شواهد الكشّاف** لمحبّ الدين أفندي، ص ٢٤٣.

٧ ن: تقول.

٨ د - رحمة الله عليه.

بالمَغفرة والرَّحمة إلَّا القَادرُ عَلى العُقوبَة، أو هو تنبيهٌ على أنَّهم اسْتَوجبُوا بمُكابَرتهم هذه أن يَصُبَّ عليهم العَذابَ صَبًّا؛ ولكنْ صَرفَ ذلك عنهم إنَّه غفُورٌ رَحيمٌ يُمْهِلُ ولا يُعَاجِلُ.

﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ۝٨﴾

وَقعَت اللَّام في المُصحَف مفصُولةً عن ﴿هَٰذَا﴾ خَارِجةً عن أَوضاع الخَطِّ العَربيّ، وخَطُّ المُصحَفِ سُنَّةٌ لا تُغيَّرُ.

وفي هذا استهانةٌ وتصغيرٌ لشأنه، وتسميتُه بـ﴿ٱلرَّسُولِ﴾ سُخريَةٌ منهُم وطَنْزٌ؛ كأنَّهم قالوا: "ما لهذا الزَّاعِمِ أنَّه رسُولٌ"، ونحوهُ قَولُ فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ﴾ [الشعراء ٢٦/٢٧]؛ ....

قوله: **(بمكابرتهم هذه)** "هذه" صفة "مكابرتهم"، و"أن يُصبَّ" مفعول "استوجَبوا"، ويجوز أن تكون "هذه" مفعول "استوجبوا"، و"أن يُصَبَّ" بيانًا له، كقوله تعالى: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقۡطُوعٞ﴾ [الحجر ١٥/٦٦].

قوله: **(صَرَف ذلك)** يجوز أن يكون "ذلك" إشارة إلى "العذاب"، ويجوز أن يكون إشارة إلى "صبِّ العذاب"، وهو مفعول "صَرَف"، وفاعله: "أنَّه غفور"، أو فاعل "صَرَف": ضمير عائد إلى "الله تعالى"، و"أنَّه" تعليل بتقدير اللام، أي: صَرَف الله تعالى ذلك عنهم لأنَّه غفور رحيم.

قوله: **(وفي هذا استهانة)** أي: لفظه هذا كقوله: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان ٢٥/٤١].

قوله: **(وطَنْزٌ)** "الطَنْزُ": السُّخريَة، وطَنَزَ يَطنُزُ فهو طنَّازٌ. قال في **الصِّحاح**: «أظنّه مولّدًا أو مُعرّبًا».[1]

---

[1] **الصحاح** للجوهري، «طنز».

أي: إنْ صَحَّ أنَّه رسُولُ الله فمَا بالُه حالُه مِثلُ حالنا؟

﴿يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ﴾ كما نَأكلُ، ويَترَدَّدُ في الأَسواقِ لطَلَب المَعاشِ كمَا نترَدَّدُ، يَعْنُونَ أنَّه كان يَجبُ أَنْ يكُونَ مَلَكًا مُستَغْنِيًا عن الأكل والتَّعيُّش، ثمَّ نَزلُوا عن اقترَاحِهم أن يكُونَ ملَكًا إلى اقتراحِ أَن يكونَ إنسَانًا معه مَلَكٌ حتَّى يَتَسَاندَا في الإنذار والتَّخويف، ثم نَزلُوا أَيضًا فقالوا: إن لم يكُن مَرْفُودًا بمَلَكٍ فليكن مَرْفُودًا بكَنْزٍ يُلْقَى إليه من السَّماء يَستَظْهِرُ به ولا يَحتاجُ إلى تَحصيلِ المعاشِ، ثمَّ نَزلُوا فاقتَنَعُوا بأن يكُونَ رَجُلًا له بستانٌ ....

قوله: **(والتعيُّش)** "التعيّش": طلب أسباب المعيشة بالكُلْفة. والمعيشة: ما يُعاش به[١] مِن المطاعم والمشارِب والمنافع.[٢]

قوله: **(فما باله؟)** البال: الحال، يقال: ما بالك. وقوله: **(حاله مثل حالنا)** يجوز أن يكون حالًا مِن الضمير المجرور في "باله"؛ لأنّه في معنى الفاعل، فكأنّهم قالوا: أيّ شيء شأنه وصفته مِن الصدق والكذب في ادّعاء النبوّة مع أنّ حاله مثل حالنا في الأكل والتردّد؟ ويجوز أن يكون معنى "فما باله؟": إنكار أن يكون له حال وصفة معتبرة تليق بادّعاء النبوّة، ثمّ قرّروا ذلك الإنكار بقولهم: "حاله مثل حالنا"، فلا يكون لتلك الجملة محلّ مِن الإعراب. وقوله: **(يأكل)**... إلخ بيان الجملة المتقدِّمة، وهو قوله: "حاله مثل حالنا"... إلخ.[٣]

قوله: **(يتساند)**[٤] أي: يعتضد[٥] كلٌّ منهما بالآخر ويتقوّى به، يقال: ساندتُ الرجلَ مُساندةً[٦] إذا عضَدتَه وعاونتَه.[٧]

قوله: **(مَرفودًا)** الرِّفد: العطاء والصِّلة، والرَّفْد -بالفتح- المصدر، تقول: رفدتُه أرفِده رَفدًا، أي: أعطيته، وكذلك[٨] إذا أعنتَه.[٩]

---

١ ف + أي.
٢ في ف ن تقدّمت هذه الحاشية على التي قبلها.
٣ ف - آخره.
٤ ن: يتساندا.
٥ ن: يعضد.
٦ د ف: مساعدة.
٧ **الصحاح** للجوهري، «سند».
٨ ف: ولذلك.
٩ **الصحاح** للجوهري، «رفد».

يَأكلُ منه ويَرتزِقُ كما الدَّهَاقِينُ والمَيَاسيرُ، أو يأكُلُون هُم مِن ذلك البُستان فَينتَفِعون به في دُنياهم ومَعَاشهم.

وأراد بـ"الظالمين": إيَّاهُم بأعيَانهم، وُضِع الظَّاهرُ مَوضعَ المُضمَر ليُسجَّلَ عليهم بالظُّلم فيما قالُوا.

وقرئ: "فيَكونُ" بالرَّفع، "أو يَكونُ له جَنَّةٌ" بالياء، ....

قوله: (ويرتزق) أي: يأخذ رزقه، ومنه يقال: ارتزق الجُند، أي: أخذوا أرزاقهم.[١]

قوله: (كما للدهاقين) الدهاقين: جمع دِهقان، والمراد بـ"الدهاقين" هنا: مَن يكون لهم عَقار كثير. قال المطرّزي في **المُغرب**: «الدِّهقان عند العرب: الكبير مِن كفّار العَجم. وكانت العرب تستنكف مِن هذا / الاسم، ومنه حديث عمرَ [١٩٣و] رضي الله عنه:[٢] 'بارزتَ رجلًا دِهقانًا'،[٣] وقد غلب على أهل الرَّساتيق[٤] منهم، ثمّ قيل لكلّ مَن له عقار كثير: دِهقان، واشتقّ منه: الدَّهقنة، وتَدهقَن، ويقال للمرأة: دِهقانة، على القياس».[٥]

قوله: (أو يأكلون) والمعنيان على القراءتين، كما ستجيء[٦] القراءتان.

قوله: (وقرئ "فيكونُ" بالرفع)[٧] يريد: وبالنصب أيضًا، وترك ذِكره، وقد بيّنه في السؤال.

قوله: ("أو يكون له جَنّةٌ" بالياء)[٨] يريد: وبالتاء أيضًا، ولم يذكره لظهوره، وليس فيه إلّا الرفع كما سيجيء.

قال أبو عليّ:

---

١ انظر: **الصحاح** للجوهري، «رزق».

٢ د - رضي الله عنه.

٣ **مصنّف ابن أبي شيبة**، ٦/٤٧٨ (٣٣٠٨٦).

٤ الرَّساتيق جمع رُسْتاق أو رُسْداق؛ وهو بيوت مجتَمِعة. انظر: **لسان العرب** لابن منظور، «رستق».

٥ **المُغرب** للمطرّزي، «دهقن».

٦ د ن: سيجيء.

٧ القراءة بالرفع شاذّة. انظر: **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٣٤٦.

٨ القراءة بالياء شاذّة. انظر: **شواذّ القراءات** للكرماني، ص ٣٤٦.

و: ﴿نأكُلُ﴾ بالنُّون.

فإن قلتَ: ما وَجهَا الرَّفعِ والنَّصْب في ﴿فيكون﴾؟

قلتُ: النصْبُ لأنه جوابُ ﴿لَوْلَا﴾ بمعنى: هَلَّا، وحُكمُه حُكمُ الاستِفهام، والرَّفعُ على أنَّهُ مَعطوفٌ على ﴿أُنزِلَ﴾ ومَحلُّه الرَّفعُ، ألا تراكَ تقولُ: "لولا يُنزَلُ" بالرَّفع؟ وقد عُطِفَ عَليه ﴿يُلْقَىٰ﴾ و﴿تَكُونُ﴾ مَرفُوعَينِ، ولا يَجوزُ النَّصبُ فيهما؛ لأنَّهما في حكمِ الواقع بعد ﴿لَوْلَا﴾ ولا يكونُ إلَّا مرفُوعًا.

والقَائلُون هم كُفَّارُ قُرَيشٍ: النَّضرُ بن الحارث، وعَبدُ الله بن أبي أُميَّةَ،

﴿يَأْكُلُ﴾ بالياء[1] يُعنى به النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم،[2] كأنّهم أنكروا أن يكون رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[3] لمّا رأوه بشرًا مثلهم، يأكل كما يأكلون، فقالوا: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾، فيَبِين -أي: يَنفصل ويَمتاز- منّا باقتران المَلَك به، وكونه "معه نذيرًا" مِن جُملتنا، فكذلك اقترحوا عليه إلقاء كنزٍ إليه، وكون جنّة تختصّ به يأكل منها حتّى يَبين بأكله أيضًا منهم كما تبيّن باقتران المَلَك به وإلقاء الكنز إليه، وعلى هذا قالوا: ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ [المؤمنون ٣٤/٢٣]، وأمثال ذلك، واحتجّ الله تعالى عليهم في ذلك بقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام ٩/٦]. ومَن قرأ: ﴿نَأْكُلُ﴾[4] بالنون فكأنّه أراد أنّه يكون له بذلك مَزيّةٌ علينا في الفضل بأكلِنا مِن جَنّته.[5]

قوله: (و﴿نَأْكُلُ﴾ **بالنون**) أي: وبالياء أيضًا، وقد أشار إلى ذلك عند بيان معناه، وليس فيه إلّا الرفع، إذ لا وجه للنَّصب؛ لأنّه صفة ﴿جَنَّةٌ﴾.

قوله: (**وقد عُطف عليه**) أي: على ﴿أُنزِلَ﴾.

---

[1] وهي قراءة نافع وابن كثير أبي عمرو وابن عامر وعاصم أبي جعفر ويعقوب. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٣٣٣/٢.

[2] د - صلّى الله عليه وسلّم.

[3] د - صلّى الله عليه وسلّم.

[4] وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٣٣٣/٢.

[5] **الحجّة** لأبي عليّ الفارسي، ٦٥/٤.

ونَوفَلُ بن خُوَيْلِدٍ، ومَن ضَامَّهم.

﴿مَّسْحُورًا﴾ سُحِرَ فغُلِبَ على عَقلِه، أو: ذا سَحْرٍ وهُو الرِّئة، عَنَوا أنَّه بَشرٌ لا مَلَكٌ.

﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾﴾

﴿ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾؛ أي: قالُوا فيكَ تلك الأقوالَ، واختَرعُوا لك تلك الصِّفاتِ والأحوالَ النادرةَ، من نُبوَّةٍ مُشتَرَكةٍ بين إنسانٍ ومَلَكٍ، وإلقاءِ كَنزٍ عليك من السَّماءِ، وغيرِ ذلك، فَبَقُوا مُتحيِّرين ضُلَّالًا لا يجِدُونَ قَولًا يَستقرُّون عليه.

أو: فَضَلُّوا عن الحقِّ فلا يجِدُون طريقًا إليه.

تكاثَرَ خيرُ ﴿ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ﴾ وهَبَ لك في الدُّنيا ﴿خَيْرًا﴾ مما قالوا، وهو أن يُعجِّلَ لكَ مثلَ ما وَعدك في الآخرة من الجَنَّات والقصُور.

وقرئ: ﴿ويجعَلُ﴾ بالرَّفع عَطفًا على ﴿جَعَلَ﴾؛ لأن الشَّرط إذا وقعَ ماضيًا جاز في جوابه الجَزمُ والرَّفعُ؛ كقَوله:

وإنْ أتاهُ خليلٌ يومَ مَسْألةٍ يَقُولُ لا غائبٌ مالي ولا حَرِمُ

قوله: (ومَن ضامَّهم) ضَمَمْتُ الشيء إلى الشيء فانضمَّ إليه وضامَّه، وتضامَّ القوم إذا انضمّ بعضهم إلى بعضٍ.[1]

قوله: (وهو الرِّئة) الرِّئة: السَّحْر، مَهموزة، والهاء عوض مِن الياء، ويجمع: رِئِين،[2] تقول منه: رأيتُه، أي: أصبتُ رئَتَه، بمعنى: ضربتُ على رِئته.[3]

قوله: (أنّه بشَرٌ)؛ لأنّ الرئة مختصّةٌ بجِنس البشر، أي: الحيوان البرّيّ.

قوله:

(وإن أتاه خليل يومَ مسألةٍ يقول لا غائبٌ مالي ولا حَرِمُ)

---

١ **الصحاح** للجوهري، «ضمم».

٢ ن: رئيين.

٣ ن - بمعنى: ضربتُ على رئته. | انظر: **الصحاح** للجوهري، «رأى».

ويجوز في ﴿يَجعل لَكَ﴾ إذا أدغمتَ أَنْ تكون اللّامُ في تقدير الجَزْم والرَّفع جميعًا. وقرئ بالنَّصب على أنه جوابُ الشَّرط بالوَاو.

قبلَه:

هـو الـجـوادُ الـذي يعطيك نائلَه عـفـوًا ويُـظـلَـم أحـيـانًـا فـيَـنـظـلِـمُ[1]

"خليل"، أي: فقير، مشتقّ مِن الخَلّة؛ وهي الحاجة والفَقْر. و"الحَرِم": الحِرمان والمَنع. يقول:[2] ليس لمالي مَنع عنك. وقال أبو عبيد:[3] «يقال: مال حَرِمٌ، إذا كان لا يُعطى منه».[4] وقيل: حرِم زيد إذا قُمِرَ مالُه[5] فهو حَرِمٌ. وفسّره ابن جنّيّ[6] بـ"ولا أنا حَرِمٌ" بحذف المبتدأ، أي: لا أنا مقمور. الحرِم -بالكسر-: الحِرمان، وبالنصب: الممنوع، والفتح الرواية، والكسر الأصل.

قوله: **(على أنّه جواب الشرط)** غريب؛ لأنّ النصب في جواب الشرط بالواو لم يُذكر في كتب النحو، وكأنّ الشرط حمل على الأمر وما شابهه. [١٩٣ظ] قال الشيخ في **الكواشي**: «القراءة ﴿وَيَجْعَل/ لَّكَ قُصُورًا﴾ رفعًا[7] استئنافًا، وجزمًا[8] عطفًا على محلّ ﴿جَعَلَ﴾؛ لأنّه جواب الشرط، أو هما[9] عطف على ﴿جَعَلَ﴾؛ لأنّ الشرط إذا وقع ماضيًا جاز في جزائه الرفع والجزم، وقرِئ بالنصب[10] عطفًا على الجواب بالواو».[11]

---

[1] لزهير بن أبي سلمى مِن قصيدة يمدح بها هرَم بن سنان. انظر: **شرح شواهد المغني** للسيوطي، ٨٣٨/٢؛ **وشرح شواهد الكشّاف** لمحبّ الدين أفندي، ص ٢٧٢.

[2] ن: تقول.

[3] في مطبوع **المعاني**: "أبو عبيدة".

[4] **المعاني الكبير** لابن قتيبة، ٥٤١/١.

[5] قَمَرتُ الرجل أَقْمِرُهُ بالكسر قَمْرًا، إذا لاعبْتَه في القمار فغلبته. **الصحاح** للجوهري، «قمر».

[6] لم يتبيّن لي موضع تفسيره بذلك. وانظر: **المحتسب** لابن جنّي، ٦٥/٢.

[7] وهي قراءة ابن كثير وابن عامر ورواية أبي بكر شعبة عن عاصم. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٣٣٣/٢.

[8] وهي قراءة باقي القرّاء العشر. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٣٣٣/٢.

[9] ن: وهما.

[10] وهي قراءة شاذّة مرويّة عن عبيد الله بن موسى وطلحة بن سليمان. انظر: **المحتسب** لابن جنّي، ١١٨/٢.

[11] **تفسير الكواشي**، ٣٥٩و.

﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا وَزَفِيرٗا ﴿١٢﴾﴾

﴿بَلۡ كَذَّبُواْ﴾ عَطفٌ على ما حُكي عنهم، يقول: بل أَتَوْا بأَعْجَبَ من ذلك كُلِّه وهو تكذِيبُهم بالسَّاعَةِ، ويجوز أَن يتَّصِل بما يَليهِ كأنَّه قال: بل كذَّبُوا بالسَّاعَة فكَيف يَلتَفِتُونَ إلى هذا الجوابِ، وكيْفَ يُصَدِّقونَ بتَعجيلِ مثْلِ ما وَعَدك في الآخرة وهُم لا يُؤمِنُونَ بالآخِرة.

"السَّعيرُ": النَّارُ الشَّديدة الاستِعَار، وعن الحَسن: أنه اسمٌ من أسماء جَهنَّم.

﴿رَأَتۡهُم﴾ مِن قَولِهم: دُورُهم تتَراءى وتَتَناظَرُ، ومِن قَوله عليه السلام: «لا تَراءَى نارَاهُمَا» كأنَّ بعضَهما يَرى بَعضًا على سبيل المجاز، والمعنى: إذا كانَت مِنهُم بمَرْأَى النَّاظِر في البُعد سمعُوا صَوتَ غَليَانِها، وشبَّه ذلك بصَوت المُتَغيِّظِ والزَّافر.

قوله: (**بأعجَب**) يشير به إلى أنّ "بل" هنا لترك الأوّل والأخذِ فيما هو أهمّ، وكونه أهمّ لكونه أعجَب مِن جميع المَذكورات.

قوله: (**ناراهما**) أي: نار المشركين والمؤمنين.

قوله: (**كأنّ بعضها**)[١] إشارة إلى أنّه مَجاز، ووجهه أنّ كون الشيء بمَرأى الناظر في البعد لازمٌ للرؤية، إذ لا يمكن الرؤية بدون ذلك، فأطلق الملزوم -وهو الرؤية- على اللازم؛ وهو كون الشيء بحيث يُرى، فيكون مجازًا، ولم يقل: إنّه كناية؛ بناء على أنّ كون الشيء بحيث يُرى ملزوم للرؤية، فيكون مِن باب إطلاق اللازم وإرادة الملزوم؛ وذلك لوجهين: **الأوّل**: أنّه لا يلزم الرؤية مِن كون الشيء بحيث يُرى. **والثاني**: أنّ المجاز ينافي الحقيقة، والكناية لا تُنافي التصريح، وهنا الحقيقة -وهي الرؤية- غير مرادة؛ فلذلك حمله على المَجاز، لا على الكناية.

---

[١] في مطبوع **الكشّاف**: "بعضهما".

ويجوز أَن يُراد: إذا رأتْهم زبَانيَتُهَا تَغيَّظُوا وزَفرُوا غَضبًا على الكفّار وشَهوةً للانتِقام منهُم.

﴿وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا ۝١٣ لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورٗا وَٰحِدٗا وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا ۝١٤﴾

الكرْبُ مع الضِّيق كمَا أنَّ الرَّوْحَ معَ السَّعَةِ؛ ولذلك وصَف اللهُ الجنَّة بأنَّ عرْضَها السَّماواتُ والأرضُ، وجاء في الأحاديثِ: أنَّ لكلِّ مُؤمنٍ من القصُور والجِنان كذا وكذا، ولقد جَمع اللهُ على أهل النار أنواعَ التَّضْيِيق والإرهاق، حيث أَلْقَاهُم في مكانٍ ضيّقٍ يترَاصُّون فيه تَرَاصًّا كما رُوي عن ابن عبَّاس في تفسيره: أنَّه يَضيقُ عليهم كما يَضِيقُ الزُّجُّ في الرُّمح، وهم مع ذلك الضِّيقِ مُسَلسَلُونَ مُقَرَّنُون في السَّلاسل، قُرِنَتْ أَيدِيهم إلى أَعناقِهم في الجَوامِع.

قوله: **(الكَرْب مع الضيق)** الكُرْبة -بالضمّ-: الغمّ الذي يأخذ بالنفس، وكذلك الكَرْب على وزن الضَرْب، تقول مِنه: كَرَبَه الغمُّ إذا اشتدّ عليه.[١]

قوله: **(والإرهاق)** أرهَقه عُسرًا: كلّفه إيّاه، يقال: لا تُرهِقني لا أرهَقَكَ اللهُ، أي: لا تُعسِرني لا أعسَركَ اللهُ.[٢]

قوله: **(يتراصُّون)** رَصَصتُ الشيءَ أرصُّه رصًّا؛ ألصقتُ بعضَه ببعض، ومِنه: ﴿بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾ [الصف ٤/٦١]، وتراصَّ القوم في الصفّ، أي: تلاصقوا.[٣]

قوله: **(الزُّجُّ)** "الزُّجُّ": الحديدة التي في أسفل الرُّمح، والجمع: زِجَجة وزِجاج، ولا تقل: أزِجّة.[٤]

قوله: **(في الجوامع)** أي: في الأغلال. الجامعة: الغُلّ؛ لأنّها تَجمع اليدين إلى الغُلّ.[٥]

---

١ **الصحاح** للجوهري، «كرب».

٢ **الصحاح** للجوهري، «رهق».

٣ **الصحاح** للجوهري، «رصص».

٤ **الصحاح** للجوهري، «زجج».

٥ **الصحاح** للجوهري، «جمع»؛ لكن فيه: "تجمع اليدين إلى العُنق".

وقيل: يُقرَنُ مع كلِّ كافرٍ شَيْطانُه في سلسِلةٍ، وفي أَرجُلِهم الأصفَادُ.

و"الثُّبُورُ": الهَلاكُ، ودُعَاؤهُ أن يُقال: وَاثُبورَاه؛ أي: تعَالَ يا ثُبورُ فهذا حِينُك وزمَانكَ.

﴿لَا تَدْعُوا﴾؛ أي: يُقال لهم ذلك، أو: هُم أَحِقَّاءُ بأنْ يُقالَ لهم وإنْ لم يَكن ثَمَّ قولٌ.

ومعنَى ﴿وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾: أنَّكم وقَعتُم فيما ليس ثُبورُكم فيه واحدًا إنَّما هو ثُبورٌ كثيرٌ: إمَّا لأنَّ العذابَ أنواعٌ وألوانٌ كلُّ نوعٍ منها ثُبورٌ لشِدَّتِه وفَظَاعته؛ أو لأنَّهم كُلَّما نَضِجَتْ جُلودُهُم بُدِّلُوا غيرها فلا غايةَ لِهلاكِهم.

﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا ﴿١٦﴾﴾

الراجعُ إلى الموصُولَيْنِ مَحذوف، يعني: وُعِدَها المتَّقُونَ، و: ما يشَاؤُونه.

وإنَّما قيل: ﴿كَانَتْ﴾ لأنَّ ما وعَده اللهُ وَحْده فهو في تَحقُّقِه كأنَّه قد كان، أو كان مكتُوبًا في اللَّوح قبلَ أنْ بَرأَهُم بأزمِنةٍ مُتطَاولةٍ: أنَّ الجنَّة جزاؤهم ومَصيرُهم.

قوله: **(الأصفاد)** الصفَد -بالتحريك-: الوَثاق، والصِّفاد: ما يوثق به الأسير مِن قِدٍّ وقَيدٍ وغُلّ، والجمع: الأصفاد؛ وهي القيود.[١] أوثَقه في الوثاق، أي: شدّه، وقال تعالى: ﴿فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾ [محمد ٤/٤٧]، والوِثاق -بكسر الواو- لغةٌ فيه.[٢]

قوله: **(وحدَه)** هو مثل قولك: وعدَه الله تعالى، أو وعدَه الله عز وجل، أعني: هو مُستأنف، هو في معنى قولك: يَحِد وحْدَه، ولا محلَّ للجملة مِن الإعراب؛ لأنّه جملة مستأنَفة مَسوقة للمدح والتعظيم.

قوله: **(أو كان)** عطف على قوله: **(لأنّ)**... إلخ، وفي الكلام حذف،[٣] كأنّه قال: أو لأنّه كان مكتوبًا. وقوله: **(مكتوبًا)** خبر "كان". و**(أنّ الجنّة)**... إلخ اسم "كان".

---

١ **الصحاح** للجوهري، «صفد».

٢ **الصحاح** للجوهري، «وثق».

٣ ن: حذف.

فإن قلتَ: ما معنى قوله: ﴿كَانَتۡ لَهُمۡ جَزَآءٗ وَمَصِيرٗا﴾؟

قلتُ: هو كقوله: ﴿نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقًا﴾ [الكهف ٣١/١٨] فمَدَحَ الثَّوابَ ومكانَه؛ كما قال: ﴿بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا﴾ [الكهف ٢٩/١٨] فذَمَّ العقابَ ومَكانَه؛ لأنَّ النَّعيمَ لا يَتِمُّ للمُتنَعِّم إلَّا بطيبِ المكان وسَعَتِهِ ومُوافقَتِه للمُرادِ والشَّهوةِ وإلَّا تَنغَّصَ، وكذلك العقَابُ يَتَضاعَفُ بغَثَاثَةِ المَوضِع وضِيقه وظُلمتِه وجَمعِه لأسبَاب الاجتِواءِ والكراهَةِ، فلذلك ذكر المصيرَ مع ذِكرِ الجزاء.

والضميرُ في ﴿كَانَ﴾ لـ﴿مَا يَشَآءُونَ﴾، و"الوَعدُ": الموعودُ؛ أي: كان ذلك مَوعُودًا واجِبًا على ربِّك إنجَازُه حقيقًا أن يُسْأَلَ ويُطْلَبَ؛ لأنَّه جَزاءٌ وأَجْرٌ مُسْتَحَقٌّ.

وقيل: قَد سَألَهُ النَّاسُ والملائكةُ في دَعوَاتِهم: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران ١٩٤/٣]، ....

وقوله: (**برأهم الله تعالى**)[1] يقال: بَرَأَ الله الخلق برْأً، وهو البارئ، والبريّة: الخلق، وقد تركَت العرب همزَه، قال الفرّاء: «وإن أُخِذت 'البريّة' مِن البَرَى -وهو التراب- فأصلها غير الهمز».[2] تقول مِنه: برَاه الله يَبروه بَروًا، أي: خلقه.[3]

قوله: (**قلت: هو كقوله: ﴿نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ﴾** [الكهف ٣١/١٨]) وكأنّه قيل: مصيرًا في مقابلة قوله: / ﴿مَكَانٗا ضَيِّقٗا﴾، أعني: لمّا بيّن ضِيق المقام هناك بيّن ههنا[4] سَعته. [١٩٤و]

قوله: (**تنغّص**) أي: تكدّر.

قوله: (**بغثاثة**) الغثاثة: الرداءة.

قوله: (**موعودًا واجبًا**) ليس المعنى هنا على الوجوب، فإنّه تعالى هو يوجب الأشياء على العباد، ولا يجب عليه تعالى شيء البتّة، ولو كان المراد الوجوب لما قال: ﴿مَسۡـُٔولٗا﴾؛ لأنّه حينئذٍ يكون كائنًا وحاصلًا لا محالة، والسؤال عنه يكون عبثًا.

قوله: (﴿**رَبَّنَا وَءَاتِنَا**﴾ [آل عمران ١٩٤/٣]) استشهاد لسؤال الناس. وقوله:

---

[1] د ف - تعالى.
[2] ن: الهمزة. | **الصحاح** للجوهري، «برأ».
[3] **الصحاح** للجوهري، «برا».
[4] ن: هاهنا.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة ٢٠١/٢]، ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ﴾ [غافر ٨/٤٠].

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾﴾

﴿يَحْشُرُهُمْ﴾ ﴿فَيَقُولُ﴾ كلاهما بالنُّون والياء، وقرئ: "يَحشِرهُم" بكسر الشين.

﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ يُريدُ: المَعبُودين من الملائكة والمَسيحِ وعُزير. وعن الكلبي: الأَصنام يُنطِقُها اللهُ. ويجوز أن يكون عَامًّا لهم جميعًا.

فإن قلتَ: كيف صحَّ استعمالُ "ما" في العقَلاء؟

قلتُ: هو موضوعٌ عَلى العُموم لِلعُقلاء وغَيرهم، بدليلِ قَولك إذا رأيتَ شبَحًا مِن بَعيد: "ما هُو؟" فإذا قيل لك: "إنسانٌ" قلتَ حينئذ: "مَن هو؟"، ويَدُلُّك قوْلُهم: "'مَن' لِمَا يَعقِلُ".

أو أُرِيد به الوَصْفُ؛ كأنَّه قيل: ومَعبُودِيهم، ألا تَراكَ تقول إذا أَردتَ السُّؤالَ عن صِفَةِ زَيدٍ: "ما زيدٌ؟" تَعني: أَطَويلٌ أَم قصيرٌ، أَفَقيهٌ أمْ طَبِيبٌ؟

فإن قلتَ: ما فائدةُ ﴿ءَأَنتُمْ﴾ و﴿هُمْ﴾، وهَلَّا قيل: أَأَضْلَلتُم عِبَادي هؤُلاء أَمْ ضَلُّوا السَّبيلَ؟

قلتُ: ليس السُّؤال ....

(﴿ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا﴾ [البقرة ٢٠١/٢]) أيضًا. وقوله: (﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ﴾ [غافر ٨/٤٠]) استشهاد لسؤال الملائكة.

قوله: (**عامًّا لهم**) أي: للملائكة والمسيح وعُزير وللأصنام.

قوله: (**شَبَحًا**) الشَّبَح: الشخص، وقد يُسكَّن. والشخص: سواد الإنسان وغيره.

قوله: (**قلت: ليس السؤال**)... إلخ، يعني: أنّ أصل الضلال يتحقّق لا شبهةَ فيه، وإنّما السؤال عن التعيين، أعني: عن أنّهم ضلّوا بأنفسهم أو أضلَّهم غيرهم،

عن الفِعلِ ووجُوده؛ لأنَّه لولا وجُودُه لَمَا توجَّه هذا العتابُ، ....

وإلّا لم يصحّ استعمال "أم" المتّصلة هنا. ثمّ اعلم أنّ الشكّ إن كان في أحد جزأي الجملة يجب أن يكون أحد الجزأين يلي الهمزة، والثاني يلي "أم"، وأمّا إن كان الشكّ في جملتين ولم تشتركا[١] في أحد الجزأين وجب ذِكرهما جميعًا، كلّ واحدة مِنهما في الموضع الذي كان موضع المفرد، كقولك: أقام زيد أم قعَد عمرو؟ وههنا كذلك؛[٢] لأنّ الاستفهام التوبيخيّ ههنا متعلِّق بأنّ هؤلاء الضالّين ضلّوا بأنفسهم أم أضلّهم معبودوهم، والتحقيق في هذا الموضع هذا الذي ذكرناه، وتقديم الضمير لتأكيد الإضلال في الأوّل وتأكيد الضلال في الثاني، وليس الضلال ولا الإضلال مَحكومًا عليه بالقطع والتحقيق والسؤال عن فاعله، فإنّهما أمران متغايران تعلّق السؤال بهما على الاستواء، كأنّه قيل: أحد الأمرين: مِن الإضلال -وهو أنّكم أضلَلتموهم- ومِن الضلال -وهو أنّهم ضلّوا بأنفسهم- متحقِّق لا على التعيين، فبيّنوا أنّ الواقع مِنهما أيّهما، فكأنّه[٣] قيل: أَأضللتم عبادي أم ضلّوا بأنفسهم؟ وإنّما أُقحِم "أنتم" و"هم" لِما ذكرنا مِن التأكيد. واعلم أنّه يمكن تقدير[٤] كلام المصنِّف على وجهٍ يندفع الاعتراض[٥] عنه؛ بأن نقول: مَن ضلّ فإنّما يَضلُّ بإضلال غيره إيّاه، أو بأن أَضَلّ هو نفسَه، فالضالّ[٦] مُضِلٌّ نفسَه لا محالة، كما أنّ مَن أضلَّه غيره فقد ضَلَّ، فالسؤال ههنا عن الذي أضلَّهم، فكأنّه قيل: بيّنوا مَن أضلَّكم؛ أمعبودكم أم أنفسكم؟ فهذا وجه كلام المصنِّف، وهو كلام جيّد واضح. ولقائل أن يقول: لو كان المعنى على ذلك لقيل: أَأنتم أضلَلتم عبادي أم هم أضلّوا أنفسهم؟

قوله: (**هذا العتاب**) إشارة إلى أنّ هذا الاستفهام للتوبيخ والعتاب، أي: لإظهار الغضب. قال الخليل: «العِتاب: مخاطبة الإدلال، ومذاكرة المَوجِدة».[٧]

---

١ ف ن: يشتركا.
٢ ف: لذلك.
٣ ن: وكأنه.
٤ ف: تقرير.
٥ ف: الإعراض.
٦ ن: والضال.
٧ **الصحاح** للجوهري، «عتب».

وإنَّما هو عن مُتَولِّيه فلا بدَّ من ذكرهِ وإيلائه حَرفَ الاستفهام حتى يُعْلَم أنَّه المَسْؤولُ عنه.

فإن قلتَ: فالله سُبحَانه قد سَبق علمُه بالمسؤول عنه فما فائدَةُ هذا السُّؤال؟

قلتُ: فائدتُه: أن يُجيبُوا بمَا أجَابُوا به حتى يُبَكِّتَ عَبَدَتهم بتكذيبِهم إيَّاهُم فَيُبهَتُوا ويَنخزِلُوا وتَزيدَ حَسْرتُهم، ويكُونَ ذلك نوعًا مما يَلحقُهم من غَضَب الله وعذابه، ويَغتَبِطَ المؤمنون ويَفْرَحُوا بحَالِهم ونجَاتِهم من فَضيحةِ أُولئِك، ولتَكُونَ حكايةُ ذلك في القرآن لُطفًا للمكَلَّفين.

وفيه كَسرٌ بيِّنٌ لقولِ مَن يَزعُم أنَّ اللهَ يُضِلُّ عبَادَهُ على الحقيقةِ، حيث يقولُ للمعبُودين مِن دُونِه: "أأنتُم أَضللتمُوهم عبَادي أم هُم ضَلُّوا بأَنفُسِهم" فيَتبرَّؤُونَ

قوله: **(عن متولّيه)** أي: عن مباشِر ذلك الفعل؛ / وهو الضلال. وقوله: **(مِن ذِكره)** أي: مِن ذكر متولّيه. [١٩٤ظ]

قوله: **(عن الفعل ووجوده)** أي: عن وجود الفعل، فهو مثل قولك: أعجبني زيدٌ وكرمُه، أي: أعجبني كرمُ زيدٍ.

قوله: **(يبكِّت)** التَّبكيت: كالتَّقريع والتَّعنيف، ويقال: بَكَّتَه بالحجّة، أي: غلبه.

قوله: **(وينخزلوا)** انخزل الشيء: انقطع، والاختزال: الاقتطاع.

قوله:[١] **(بحالهم)** يعني: بحال أنفسهم، وسببُ[٢] فرحهم: ما ذكَره مِن تبيُّن نجاتهم مِن تلك الفضيحة.

قوله: **(وليكون)** عطف على قوله: **(حتّى يُبكِّت)**... إلخ.

قوله: **(على الحقيقة)** متعلِّق بقوله: **(يُضلّ)**، يريد: أنّ ذلك بطريق المَجاز؛ لأنّه عبارة عن الخِذلان، في هذه الآية تصريح بإسنادِ الإضلال إلى الله تعالى؛ لأنّ قولهم: ﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ﴾ في معنى: أضللتهم،[٣] إذ لو لم يكن المعنى ذلك

---

١ ن: قولهم.

٢ ن: بسبب.

٣ ن: أضللتم.

من إضلالِهم ويَستَعيذونَ به أن يكُونوا مضِلّين، ويَقُولونَ: بل أنتَ تفضَّلتَ مِن غَيْر سَابقةٍ على هؤلاء وآبائهم تَفضُّلَ جَوادٍ كريمٍ فجَعلوا النِّعمَة -التي حَقُّها أن تكونَ سببَ الشكر- سَبَبَ الكُفر ونسيَانِ الذِّكر، وكان ذلك سبَبَ هَلاكهم، فإذا برَّأتِ الملائكةُ والرُّسُلُ أنفسَهم من نسبَة الإضلال -الذي هو عملُ الشياطين- إليهم واستعاذُوا مِنه، فهُم لربِّهم الغنيِّ العدلِ أشدُّ تَبرئةً وتنزيهًا منه، ولقد نزَّهُوهُ حين أضافُوا إليه التَّفضُّلَ بالنِّعم والتَّمتيعَ بها، وأسْنَدُوا نِسيانَ الذِّكر والتَّسبُّبَ به للبَوَار إلى الكَفرة، فشَرحُوا الإضْلالَ المجَازيَّ الذي أَسندَهُ اللهُ إلى ذَاتهِ في قوله: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ [الرعد ٢٧/١٣]، ولو كان هو المضِلَّ على الحقيقة لكان الجوابُ العَتِيدُ أن يَقولوا: بل أنتَ أَضلَلتهُم.

والمَعنى: أَأَنتُم أَوقَعتُمُوهم في الضَّلالِ عن طريق الحقِّ أَمْ هُم ضَلُّوا عنهُ بأنفُسِهم؟

و"ضَلَّ": مُطَاوِعُ أضلَّهُ، وكانَ القِياسُ: ضَلَّ عن السَّبيل، إلَّا أَنَّهم تركُوا الجَارَّ كما تركُوه في: "هَدَاه الطَّريقَ" ....

لَما انطبق الجواب على السؤال؛ لأنّ السؤال إنّما هو عمّن هو أضلّهم، وهذا ظاهر؛ لكنّ المصنِّف يتعصَّب ويتعسَّف ويبالِغ.

قوله: **(مِن غير سابقة)** أي: مِن غير أن يَسبق ويصدر مِنهم عبادة يستحقّون بها تلك النِعَم.

قوله: **(ولقد نزّهوه)**... إلخ، وليس المعنى ما ذكره المصنِّف؛ بل المعنى: أنّهم نزَّهوا الله تعالى بقولهم: ﴿سُبْحَـٰنَكَ﴾ عن أن يشاركه أحدٌ في فعل شيء مِن الأشياء، ثم صرَّحوا[١] بعَجزهم عن فعل الإضلال وغيره بقولهم: "ما يَنبغي"، أي: ما يتيسَّر ولا يمكن لنا. يقال: بَغيتُه، أي: طلبتُه، فانبغى، أي: تيسَّر.

قوله: **(والمعنى: أأنتم أوقعتموهم)** بل المعنى: أأنتم جعلتموهم وصيّرتموهم ضالّين عن الطريق، وهذا هو مراد المصنِّف.

---

١ ف: صرَّخوا.

والأصْلُ: "إلى الطريق" و"للطريق"، وقولهُم: "أَضلَّ البعيرَ" في مَعنى: جَعله ضَالًّا؛ أي: ضَائعًا، لمَّا كان أكثرُ ذلك بتَفريطٍ مِن صَاحِبه وقِلَّةِ احتيَاطٍ في حِفظهِ قيل: "أَضَلَّهُ" سواءٌ كان منه فِعْلٌ أو لم يكُن.

﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعۡتَهُمۡ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكۡرَ وَكَانُواْ قَوۡمَۢا بُورٗا ١٨﴾

﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾ تعجُّبٌ منهم، قد تَعجَّبُوا ممَّا قِيل لهم؛ لأنَّهم مَلائِكةٌ وأنبياءُ معصُومُون فما أَبعَدَهُم عن الإضلال الذي هو مختصٌّ بإبليس وحِزْبهِ!

أو نَطقُوا بـ﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾ ليَدُلُّوا على أنَّهم المسبِّحُونَ المُقدِّسُون الموسُومُون بذلك، فكيف يَليقُ بحَالهم أَن يُضِلُّوا عبَاده.

أو قصَدُوا به تَنزيهَهُ عَن الأَنداد وأن يكُون له مَلَكٌ أَو نَبيٌّ أو غيرُهما نِدًّا.

ثمَّ قالُوا: ما كان يَصِحُّ لنَا ولا يَستقيمُ ونَحن مَعصُومُون أَن نَتوَلَّى أحدًا دونك، فكَيف يصحُّ لنَا أن نَحْمِلَ غَيرَنا على أن يتولَّونا دُونك؟

قوله: (**والأصل: إلى الطريق**)؛ لأنَّه يُعدَّى باللام و"إلى"، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشورى ٤٢/٥٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ [الإسراء ١٧/٩].

قوله: (**أكثرُ ذلك**) أي: أكثرُ ضَياع البعير.

قوله: (**تعجُّبٌ مِنهم**) "مِنهم" ليست صِلة "التعجّب"؛ بل هو متعلِّق بمحذوف صفة "التعجّب"، أي: هو تعجّب صادِر مِنهم.

قوله: (**فما أبعدَهم!**) للتعجّب.[1]

قوله: (**المَوسومون**) أي: المُعْلَمون المشهورون بأنّهم يُسبِّحون دائمًا دائبًا، قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾ [الأنبياء ٢١/٢٠].

---

١ ف: عن التعجّب.

أو: ما كان يَنبغي لنا أَنْ نكُونَ أَمثالَ الشَّياطينِ في تَولّيهم الكفَّارَ كما تَولَّاهُم الكفَّار، قال الله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ [النساء ٤/٧٦] يُريد الكفرةَ، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ [البقرة ٢/٢٥٧].

وقرأ أبو جَعفر المَدَنيّ: ﴿نُتَّخَذَ﴾ للبناء للمفعول، وهذا الفعلُ -أَعني: اتَّخذَ- يتعدَّى إلى مفعُول واحدٍ كقولك: "اتَّخذَ وليًّا" وإلى مفعُولَين كقولك: "اتَّخذ فُلانًا وَليًّا"، قال الله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنبياء ٢١/٢١]، وقال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء ٤/١٢٥] فالقراءةُ الأولى من المتعدِّي إلى واحِدٍ وهو ﴿مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ والأَصْلُ: أَن نَتَّخذَ أولياءَ، فزيدَتْ ﴿مِنۡ﴾ لتأكيد مَعنى النفي، والثانية: من المتعدِّي إلى مفعُولَين، فالأَوَّل مَا بُنيَ له الفعلُ، والثاني ﴿مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ و﴿مِنۡ﴾ للتبعيضِ؛ أي: لا نُتَّخَذُ بَعضَ أوليَاء، وتنكيرُ ﴿أَوۡلِيَآءَ﴾ مِن حيث إنَّهم أولياءُ مَخصُوصون وهم الجنُّ والأَصنام.

و"الذِّكر": ذكرُ الله والإيمانُ به، أو القرآنُ والشرائعُ.

و"البُور": الهَلاكُ، يُوصف به الواحِدُ والجمعُ، ويجوز أَن يكُون جمعَ بَائرٍ كعَائذٍ وعُوذٍ.

قوله: (قال الله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ﴾ [النساء ٤/٧٦]) استشهاد. وقوله: (وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ [البقرة ٢/٢٥٧]) استشهاد آخر.

قوله: (قال الله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً﴾ [الأنبياء ٢١/٢١]) متعدٍّ إلى واحد. وقوله: (وقال: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء ٤/١٢٥]) متعدٍّ إلى اثنين.

قوله: (فالأوّل ما بُني له الفعل) يعني: المفعول الأوّل الضمير الذي بُني الفعل له، وهو "نحن" المستتر في ﴿نَتَّخِذَ﴾. وقوله: (والثاني) أي: والمفعول الثاني.

قوله: (والبُور: الهلاك) أي: مصدر.[1]

قوله: (يوصَف به الواحد والجمع) قال ابن الزِّبَعْرَى يمدَح النبيّ عليه الصلاة والسلام:

---

١ ف: المصدر.

هذه المفاجأةُ بالاحتِجاج والإلْزامِ حَسَنةٌ رَائعةٌ، وخاصَّةً إذا انضمَّ إليها الالتفاتُ وحَذفُ القَول، ونحْوُها قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞ﴾ [المائدة ١٩/٥].

وقولُ القَائل:

قالوا خُراسانُ أقصَى ما يُرادُ بنا ثم القُفُول فقد جئنا خُراسانا

يا رسولَ المَليك إنّ لساني راتِقٌ ما فتَقْتُ إذْ أنا بورُ[١]

أي: مصلحٌ[٢] ما أفسدتُ ورافئٌ ما مزّقت، يعتذر إليه ممّا ذكَر في أشعاره في حال شِركه. وهذا البيت مثال لِما وصف به الواحد، أي: جُعل خبرًا عنه. ومثال ما وصِف به الجمع: قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمۡ/ قَوۡمَۢا بُورٗا﴾ [الفتح ١٢/٤٨]. [١٩٥و]

قوله: (هذه المفاجأة) دلّ على المفاجأة: الفاء؛ لأنّها للترتيب مِن غير مُهلةٍ وتراخ.

قوله: (رائعةٌ) يقال: راعني الشيء، أي: أعجبني.

قوله: (وحذف القول) حقّ الكلام أن يقال: إن قلتم: إنّهم معبودونا وآلهتنا فقد كذّبوكم أيّها الكفّار.

قوله تعالى: (﴿أَن تَقُولُواْ﴾ [المائدة ١٩/٥]) أي: كراهةَ أن تقولوا، أو لئلّا تقولوا. وقوله تعالى: (﴿فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞ﴾ [المائدة ١٩/٥]) أي: لا تعتذروا بأن لم يأتكم رسول، فقد جاءكم بشير ونذير.

قوله:[٣]

(قالوا خُراسان أقصَى ما يُراد بنا ثمّ القُفول فقد جئنا خُراسانا)[٤]

---

١ انظر: **الصحاح** للجوهري، «بور».

٢ ن: يصلح.

٣ ن: وقوله.

٤ للعبّاس بن الأحنف في **الحماسة** للقرشي، ٤٤٥/١، بلفظ:

ثمّ القُفول فقد جِئنا خُراسانا

وهو له في **مصارع العشّاق** للسرّاج، ١٥٤/١، بلفظ:

قالوا: خُراسان أقصى ما تحاوِلُه ودونَ ذاك فقد جُزْنا خُراسانا

﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾

وقرئ ﴿تَقُولُونَ﴾ بالتاء والياء، فمعنى مَن قرَأ بالتاء: فقد كذَّبُوكم بقَولكم: إنَّهم آلِهَةٌ، ومعنى مَن قرأ بالياء: فقَد كذَّبوكم بقولهم: ﴿سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾.

فإن قلتَ: هل يختلفُ حكمُ الباء مع التَّاء والياء.

قلتُ: إي واللهِ، هي مع التَّاء كقوله: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ﴾ [ق ٥/٥٠]، والجَارُّ والمجرُورُ بدَلٌ من الضَّمير؛ كأنَّه قيل: فقَد كذَّبوا بما تقولُون، وهي مع الياء كقولك: "كتَبتُ بالقَلم".

وقرئ ﴿تَسْتَطِيعُونَ﴾ بالتاء والياء أيضًا، يَعني: فما تستَطِيعُون أنتُم يا كفَّارُ صَرْفَ العَذابِ عنكم، وقيل: الصَّرْفُ: التَّوبةُ، وقيل: الحِيلةُ؛ من قولهم: إنه لَيَتصرَّفُ؛ أي: يَحتالُ.

أو: فما يَستطيعُ آلِهتُكم أن يَصرِفُوا عنكم العذابَ أو أن يحتالوا لكم.

الخطابُ على العُموم للمكلَّفينَ، والعَذابُ الكبيرُ لاحِقٌ بكلِّ مَن ظَلَم،

قالوا: فيه حذف القول، أي: فقولوا لهم: قد جئنا، أو قولوا: فقد جئنا خراسان. معناه: إن صحّ ما قلتم مِن أنّ خراسان أقصى ما يُراد بنا فقد جئنا خراسان، فآن لنا أن نتخلّص، أي: فإن قالوا تلك مقصدنا فقد جئناه، فأين القُفول؟

قوله: (**بدل مِن الضمير**) أي: مِن الضمير المفعول في ﴿كَذَّبُوكُم﴾.

قوله: (**أو فما يستطيع آلهتُكم**) هذا على تقدير القراءة بالياء غَيبةً،[1] والأوّل كان على تقدير القراءة بالتاء خِطابًا.[2]

قوله: (**الخطاب**) أي: في قوله: ﴿مِنكُمْ﴾. وقوله: (**بكلّ مَن ظلَم**) يعني: مِن الكافرين والفاسقين.

---

[1] وهي قراءة القرّاء العشر غير حفص عن عاصم. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٣٣٤.

[2] هي رواية حفص عن عاصم. انظر: النشر لابن الجزري، ٢/٣٣٤.

والكافرُ ظالمٌ لِقوله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان ١٣/٣١]، والفاسقُ ظالمٌ لقوله: ﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات ١١/٤٩].

وقرئ: "يُذِقْهُ" بالياء، وفيه ضميرُ الله، أو ضميرُ مَصْدرِ ﴿يَظۡلِم﴾.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ٢٠﴾

الجملة بَعد ﴿إِلَّآ﴾ صفةٌ لمَوصوفٍ محذوف، والمعنى: وما أرْسَلنا قبلَك أحَدًا من المُرسَلين إِلَّا آكِلينَ وماشِينَ، وإنما حُذف اكتِفاءً بالجارِّ والمجرُور، أَعني ﴿مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ ونحوُه قَولُه عزَّ مِن قائل: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ﴾ [الصافات ١٦٤/٣٧] على معنى: وما مِنَّا أحَدٌ.

وقرئ: "ويُمشَّوْنَ" على البناء للمفعول؛ أي: تُمشِّيهِمْ حَوائجُهُم أو الناسُ،

قولـه: (أحـدًا مِـن المرسـلين) "أحـدًا" فـي قـول المصنِّـف: "أحـدًا مِـن المرسـلين" فـي معنـى الجمـع كمـا فـي قولـه تعالـى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقـة ٤٧/٦٩]، وكمـا فـي قولـه تعالـى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأحـزاب ٣٢/٣٣]، فلذلـك قـال: (إلّا آكليـن وماشـين). ثـمّ اعلـم أنّ التحقيـق فـي هـذا الموضـع أنّ مـا قبـل ﴿إِلَّآ﴾ -وهـو ﴿مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ صفـة موصـوف محـذوف علـى مـا ذكـر مِـن التقديـر، والاستثناء مفـرّغ، وهنـاك أيضًـا حـذف، أي: مـا أرسـلنا قبلـك أحـدًا مِـن المرسـلين متّصفيـن بصفـةٍ مـا إلّا بهـذه الصفـة؛ وهـو أنّهـم ليأكلـون الطعـام.

قولـه: (وقـرئ: "ويُمَشَّـون") يعنـي: بضـمّ اليـاء وفتـح الميـم وفتـح الشـين المشـدّدة مَجهـولًا؛ مِـن التمشـية، وهـي قـراءة علـيّ رضـي الله عنـه،[١] ومعنـاه: يُحمَلـون علـى المشـي ويُدعـون إليـه.

---

[١] د - رضي الله عنه. | انظر: المحتسب لابن جنّي، ١٢٠/٢.

ولو قُرئ: "يُمَشُّون" لكان أَوْجَهَ لولا الرِّوايةُ.

وقيل: هو احتجاجٌ على مَن قال ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾.

﴿فِتۡنَةً﴾؛ أي: محنةً وابتلاءً، وهذا تَصبيرٌ لرَسُول الله صلى الله عليه وسلم على ما قالُوه واستَبْدَعُوه مِن أَكْلِهِ الطَّعَامَ ومَشْيِهِ في الأَسواق بَعد ما احتجَّ عَلَيهم بسَائر الرُّسل؛ يَقُولُ: وجرَتْ عَادتي ومُوجَبُ حِكمتي على ابتِلاءِ بعضِكم أيُّهَا النَّاسُ ببعضٍ.

والمعنى: أنَّه ابتَلى المُرسَلين بالمُرسَل إليهم وبمُنَاصَبَتِهِم لهم العَداوةَ، وأقَاوِيلِهِم الخارجَةِ عن حَدِّ الإنصاف وأنواعِ أَذاهُم، وطَلَبَ مِنهُم الصَّبرَ الجميلَ، ونحوُه: ﴿وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [آل عمران ١٨٦/٣].

ومَوقعُ ﴿أَتَصۡبِرُونَ﴾ بَعد ذكر الفِتنةِ مَوقعُ ﴿أَيُّكُمۡ﴾ بَعد ذكر الابتلاءِ في قوله: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾ [هود ٧/١١].

قوله: (**ولو قرئ: "يُمَشُّون"**) يعني: بضمّ الياء وفتح الميم والشين المضمومة مبنيًّا للفاعل.

قوله: (**لكان أوجه**) لقوله: "يأكلون"؛ لأنّ معناه: يُكثرون المشي، فإنّه حينئذٍ يكون موافقًا له؛ لكونهما مبنيَّين للفاعل. وقوله: (**لولا الرِّواية**) متعلَّق "لولا الرواية" محذوف، أي: لولا الرواية بالأوّل دون هذا متحقّقة لكان هذا أوجه؛ ولكن لمّا ثبت الرواية بالأوّل دون هذا كان الأوّل أوجه؛ لأنّه ثابت، وهذا غير ثابت.

قوله: (**وهذا تصبير**) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ﴾... إلخ. وقوله: (**يقول**)... إلخ بيان "التصبير".

قوله: (**وموقع ﴿أَتَصۡبِرُونَ﴾**)... إلخ، يعني: كما تقول في قوله تعالى: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾ [الملك ٢/٦٧]: إنّه لا يجوز التعليق في غير أفعال القلوب، فوجب أن يكون العلم مقدّرًا بعد قوله: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ﴾؛ ليكون التقدير:

﴿بَصِيرًا﴾: عَالمًا بالصواب فيما يَبْتَلِي به وغَيرِه، فلا يَضِيقَنَّ صَدرُك ولا يَستخِفَّنَّك أقَاويلُهم فإنَّ في صبْرِك عليها سعَادتَكَ وفَوْزَكَ في الدَّارَيْن.

وقيل: هو تَسلِيةٌ له عَمَّا عَيَّرُوهُ بهِ من الفَقر حِين قالوا: ﴿أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾ [الفرقان ٢٥/٨]، وأنَّه جعَل الأغنياء فتنةً للفقراء لِينظُرَ: هَلْ يَصبرُونَ؟ وأنهَا حِكمتُه ومَشيَّتُه: يُغنِي مَن يشَاء ويُفْقِرُ مَن يشَاء.

وقيل: جَعلناك فتنةً لهم؛ لأنكَ لو كنتَ غنِيًّا صَاحِبَ كنُوزٍ وجِنَانٍ لكان مَيْلُهم إليْكَ وطاعتُهم لكَ للدُّنيا، أو مَمزوجَةً بالدُّنيا، فإنَّما بَعثْنَاك فقيرًا لتَكون طاعةُ مَن يُطِيعُك خالِصةً لوجهِ الله من غيرِ طَمعٍ دُنيَوِيٍّ.

ليبلوكم فيعلم، كذلك[1] تقول في قوله: ﴿فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَ﴾: العلم مقدّر ليكون تقديره: فتنةً لِنعلم أتصبرون؟ هذا / تقرير كلام المصنِّف، وأظنّ أنّ الأَولى [١٩٥ظ] أن يقال: قوله تعالى: ﴿أَتَصۡبِرُونَ﴾ أمرٌ لهم بالصبر في معنى: اصبروا بعد ما حملهم على الصبر بقوله[2] تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٍ فِتۡنَةً﴾، فهو كقوله تعالى: ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة ٥/٩١] بعد قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ﴾... إلخ [المائدة ٥/٩٠]، ويدلّ على هذا قول الشيخ في **الكواشي في تفسيره**: «فقال للمؤمنين: أتصبرون على البلاء».[3]

قوله: (**وقيل: هو تسلية له عمّا عيّروه به**)... إلخ، وعلى هذا أيضًا يكون المعنى أنّه ابتلي النبيّ عليه الصلاة والسلام وفقراء المسلمين بغِنى الأغنياء وبفقر أنفسهم.

قوله: (**وقيل: جعلناك فتنةً**)... إلخ، فعلى هذا يكون المراد بقوله: ﴿بَعۡضَكُمۡ﴾: هو النبيّ عليه الصلاة والسلام، ومعنى الفتنة على هذا الوجه: أنهم افتُتنوا بفقره عليه الصلاة والسلام، فعلى هذا ابتلِيَ القوم به عليه الصلاة والسلام.

---

[1] ف: لذلك.
[2] ن: لقوله.
[3] تفسير الكواشي، ٣٦٠ظ.

وقيل: كان أبو جهل والوليدُ بنُ المُغيرة والعَاصُ بن وائلٍ ومَن في طَبَقتهم يقولُون: إنْ أَسلمْنَا وقَد أَسْلم قبْلنَا عمّارٌ وصُهَيبٌ وبلالٌ وفُلانٌ وفلانٌ تَرفَّعُوا علينا إدْلَالًا بالسَّابقة، فهو افتِتَانُ بَعضهم ببعض.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ٢١﴾

أي: لا يأمُلونَ لِقاءنا بالخيْرِ؛ لأَنَّهُم كَفَرةٌ، أو: لا يَخافُون لِقَاءَنا بالشَّرِ، والرجاءُ في لُغة تِهَامَة: الخوفُ، وبه فُسِّر قَولُه تعَالى: ﴿لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا﴾ [نوح ١٣/٧١]، جُعِلتِ الصَّيرُورةُ إلى دار جزائه بمَنزِلةِ لقَائه لو كان مَلْقِيًا.

اقتَرحوا من الآيات أَن يُنزِل اللهُ عليهم الملائكةَ فَتُخبِرَهُم بأنَّ محمَّدا صادقٌ حتى يُصَدِّقُوه، أو يَرَوا اللهَ جَهْرةً فيَأمُرَهُم بتَصْديقِه واتِّبَاعِه، ولا يخلو: إمَّا أن يكونُوا عَالِمِين بأنَّ اللهَ لا يُرسِل الملائكة إلى غيْرِ الأنبياء وأنَّ اللهَ لا يصحُّ أن يُرَى، وإنما عَلَّقوا إيمانَهُم بما لا يكونُ، وإمَّا أن لا يكونوا عالِمِينَ بذلك وإنَّما أرَادُوا التَّعنُّتَ باقتراحِ آياتٍ سِوَى الآيات التي نَزلت ....

قوله: (وقد أسلم) حال.

قوله: (إدلالًا) أي: افتخارًا وتعظّمًا عليهم بسبب سَبْق إسلامهم على إسلامنا. والدَّلُّ: الغُنْجُ والشِّكل، وقد دلَّت المرأة، وكذا الإدلال، يقال: "أدَلَّ فأمَلَّ".[١]

قوله: (والرجاء في لغة تِهامة: الخوف).

إذا لَسَعَته الدَّبْر لم يَرْجُ لسْعَها[٢]

قوله: (لو كان مَلقيًا) المَلقِيّ: اسم مفعول، مِن لَقِيته، أي: أبصرته. أي: لو كان تعالى ممّن كان يمكن لقاؤه.

قوله: (التعنُّت) العنت: المشقّة والشدّة، ومِنه: إذا خشيَ الحُرُّ العنَت

---

١ الصحاح للجوهري، «دلل».

٢ لأبي ذؤيب الهذلي، وتمامه:

وخالفها في بَيتِ نُوبٍ عواملِ

انظر: الصحاح للجوهري، «نوب».

وقامَت بها الحجةُ عليهم كما فَعل قومُ موسى حين قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة ٢/٥٥].

فإن قلتَ: ما مَعنى ﴿فِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾؟

قلتُ: معناه: أنهم أضمَرُوا الاستِكبارَ عن الحق -وهو الكُفرُ والعِنادُ- في قُلُوبهم واعتقَدُوه، كما قال: ﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾ [غافر ٤٠/٥٦].

﴿وَعَتَوْ﴾: وتجَاوَزُوا الحدَّ في الظُّلمِ، يُقال: عَتَا علينَا فُلانٌ، وقد وصَف العتوَّ بالكبير فبالَغ في إفراطِه، يعني: أنَّهم لم يَجْسُرُوا على هذا القولِ العظيم؛ إلَّا لأنَّهم بلَغُوا غايةَ الاستِكبار وأقصَى العُتوِّ.

واللامُ جوابُ قسَمٍ مَحذوفٍ.

وهذه الجملةُ في حُسْن استِئنَافِهَا غَايةٌ، وفي أُسْلُوبهَا قولُ القَائل:

وجَـــارةُ جـسَّـاسٍ أَبـأْنَـا بِنـابِهَـا   كُليبًا غَـلـتْ نـابٌ كُـلَـيبٌ بَـواؤُهَـا

جاز أن يَنكِح الأمة.[1] وتفسيره بالزِّنى تَدريس.[2] وأعنتَه إعناتًا: أوقَعه في العَنَت وفيما يشُقُّ تحمُّله، ومِنه: تعنَّته في السؤال إذا سأَله على جهة التَّلبيس عليه.[3]

قوله: (**قلت: معناه**)... إلخ، فعلى هذا يكون ﴿فِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾ في محلّ الحال، أي: مُضمِرين وساترين الاستكبار في أنفسِهم.

قوله: (**فبالغ**) يعني: لمّا وصف العتوّ بالكِبر لزِم المبالغة في إفراطه؛ لأنّ العتوّ تجاوُز الحدّ، فإذا كان كثيرًا كان تجاوزه الحدّ في الغاية.

قوله: (**قول القائل:**

وجـــارة جَـــسّـــاسٍ)... البيتَ[4]

---

[1] انظر: **المهذّب** للشيرازي، ٤/١٥٤. والعبارة في **المُغرب**: "ومنه: الأسير مِن المسلمين في دار الحرب إذا خَشي العنت على نفسه والفجور، فلا بأس بأن يتزوج امرأة منهم".

[2] "تدريس" أي: تقريبٌ للمعنى، وليس هو المعنى المعجمي الدقيق. **الراموز على الصحاح** لابن السيّد حسن، ص ٩٣.

[3] **المُغرب** للمطرّزي، «عنت».

[4] بغير نسبة في **المستقصى** للزمخشري، ١/١٧٨.

وفي فَحوى هذا الفِعل دليلٌ على التعجُّب من غيرِ لَفظ تعجُّبٍ، ألا ترى أنَّ المعنى: ما أشَدَّ استكبَارَهُم، وما أكبرَ عُتُوَّهُم! وما أَغْلى نَابًا بوَاؤها كُلَيْبٌ!

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ﴾ مَنصوبٌ بأحَد شيئين:

"أَبأْنا": مِن الإباءة؛ وهي "إفعال" مِن البَوء، والبَوء: المماثَلة في القصاص. والمعنى: أن كُلَيبًا مع عِظَم شأنه لم يساوِ المقتولة التي هي جارة جسّاسٍ؛ بل ساوى نابها، وكُلَيب بمقامٍ قيل عند قتل قاتله: بؤ بِشِسْع نعل كُلَيب. في هذا البيان نظرٌ، وشرح البيت أن نقول: جسّاس اسم قاتل كُلَيب، وجارة جسّاس امرأة اسمها بَسوس، يقال: هي خالة جسّاس بن مرّة الشيبانيّ، كانت ناقةٌ فرآها كُلَيب وائل في حِماه وقد كسرَت بيضَ طير كان قد أجاره، فرمى ضَرعها بسهم فقتلَها، فقال جسّاس لجارته: لَيُقتلَنَّ غدًا فحْلٌ هو أعظم مِن ناقتك، فبلغ ذلك كُليبًا، فظنّ أنّه فحلُه الذي يسمى عُلَيّان، فقال: دون عليّان خَرْطُ القتاد، وكان جسّاس يعني بالفحل نفس كُلَيب، فقتَل كُلَيبًا، فهاجَت حرب بَكر وتغلِبَ ابني وائل بسببها أربعين سنة، حتّى ضُرِب بها المَثل في الشؤم، ويقال: "أشأم مِن بَسوس"،[1] وبها سمّيت حرب البسوس.[2]

[١٩٦و] والناب: المُسِنّة مِن / النُّوق، والجمع: النِّيب. وخَرطتُ[3] الورَق: حتتُّه؛ وهو أن تقبِض على أعلاه، ثمّ تُمِرّ يدك عليه إلى أسفله.[4] والقَتاد: شجر له شوك. وفي المَثل: "مِن دونه خَرْط القَتاد"،[5] أي: مِن دون هذا الأمر شدائد وأمور عِظام، لا يمكن الوصول إليه قبل تحمُّل تلك الأمور.

قوله: (بأحد الشيئين)[6] ولا يجوز أن يَعمل فيه ﴿بُشْرَىٰ﴾؛ لأنّها مصدر، ولا يعمل فيما قبله؛ أو[7] لأنّ المَنفيّ لا يعمل فيما قبل "لا".

---

١ انظر: **مجمع الأمثال** للميداني، ١/٣٧٤.

٢ انظر: **الصحاح** للجوهري، «بسس».

٣ ن: وخرُطت.

٤ **الصحاح** للجوهري، «خرط».

٥ **الصحاح** للجوهري، «قتد». وانظر: **مجمع الأمثال** للميداني، ١/٢٦٥.

٦ ف ن: شيئين.

٧ ف: لو.

إمَّا بما دَلَّ عَليه ﴿لَا بُشْرَىٰ﴾؛ أي: يومَ يرونَ الملائكة يُمنَعُونَ البُشرى أو يُعْدَمُونهَا، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ للتكرير.

وإمَّا بإضمارِ "اُذكُر"؛ أي: اذكُر يومَ يَرَوْن الملائكة، ثُمَّ قال: ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾.

وقولُه: ﴿لِّلْمُجْرِمِينَ﴾: إمَّا ظاهرٌ في مَوضع الضمير؛ وإمَّا لأنه عَامٌّ فقَد تناوَلَهُم بعُمومِه.

﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ ذكره سيبَويه في "باب المصَادر غيرِ المُتصرِّفَة المنصُوبة

قوله: (للتكرير)[١] أي: تأكيد لفظيّ.

قوله: (ذكره سيبويه في باب المصادر)...[٢] إلخ، المصادر غير المتصرّفة: هي التي لا تُستعمل إلا منصوبًا على المصدر، كالظروف غير المتصرِّفة؛ وهي التي تلزم[٣] الظرفيّة، و"عَمْرَكَ" مصدر منصوب عند سيبويه، وذلك أنّ معنَى "عَمْرَكَ الله": عَمَّرتُك الله، أي: سألتُ اللهَ عُمُرَك، وإذا وضح أنّ "عَمْرَكَ الله" بمعنى: "عمَّرتُكَ الله" وجب أن يكون مصدرًا، وقد ثبت أنّهم يقولون: "عَمْرَكَ الله" و"عمَّرتُكَ الله" بمعنًى،[٤] فيكون اسم "الله" منصوبًا بـ"عَمْرَكَ"، وقيل: منصوب بفعل مقدّر، أي: سألت الله عُمُرَك، أي: بقاءَك، وفتِحَت العين في القسَم تخفيفًا، والفرق بينه وبين قول سيبويه -وإن كان بمعنى: سألتُ الله بقاءَك- أنّ "عَمْرَكَ" في قول سيبويه بمعنى: "عَمَّرتُك" الملتزم حذفه، وهو الناصب له، واسم الله تعالى المفعول الثاني، وعلى الآخَر: "عَمْرَكَ" واسم "الله" مفعولان لسألتُ المقدّر. وأجاز الأخفش: "عَمْرَكَ اللهُ" برفع اسم الله، أي: أسأل بأن يعمِّرَك الله،[٥] حيث كان المعنى كذلك.[٦]

---

١ ف: للبكرير.

٢ انظر: **الكتاب** لسيبويه، ٣٢٢/١.

٣ ن: يلزم.

٤ ف + واجب.

٥ ف ن + فيرتفع بـ"عَمرك".

٦ انظر: **الكتاب** لسيبويه، ٣٢٢/١؛ **وشرح كتاب سيبويه** للسيرافي، ٢١٦/٢؛ **وشرح الكافية** لابن مالك، ٨٦٩/٢؛ **وارتشاف الضرَب** لأبي حيان الأندلسي، ١٧٩٥/٤.

بأفعَالٍ مَتروكٍ إظهَارُهَا"، نحوَ: "معَاذ الله" و"قِعْدَكَ" و"عَمْرَكَ"، وهـذه كلمةٌ كانوا يتَكلَّمونَ بهَا عند لِقَاء عَدُوٍّ مَوتُورٍ أو هُجُومِ نازلةٍ أو نحو ذلك، يَضعُونهَا مَوضِعَ الاستِعَاذة، قال سيبَويه: ويَقول الرَّجل للرجل: أتفعَلُ كذا وكذا؟ فيقُولُ: حِجْرًا.

وقوله:[١] (مَوتور) المَوتور: الذي قُتِل له قتيل فلم يُدرِك بدمه، تقول: وَتَره يَتِره وَتْرًا وتِرةً، والواتر: هو القاتل.[٢] والقِعْد والقَعيد: الحِفظ، مصدر مِن قوله تعالى: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق ١٧/٥٠]، أي: حافظ، قال في **الصِّحاح**: «قولهم: قَعيدَكَ لا آتيك، وقِعْدَكَ لا آتيك، وقَعيدَكَ اللهَ لا آتيك، وقِعْدكَ اللهَ لا آتيك؛ يمينٌ للعرَب، وهي مَصادر استُعملت منصوبةً بفعل مُضمَر، والمعنى: بِصاحِبِكَ الذي هو صاحب كلِّ نجوى، كما يقال: نشدتُك اللهَ».[٣] و"قِعْدَكَ الله" عند سيبويه مثل: "عَمْرَكَ اللهَ"، يجعله في معنى فعل مقدّر، معناه: سألته أن يكون حفيظك، وإن لم يُتكلّم به، كأنّه قيل: قَعَّدتُك اللهَ، أي: حفّظتك الله، مِن قوله: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق ١٧/٥٠]، أي: حافظ. ووضح[٤] ذلك في "عَمْرَكَ اللهَ"؛ لاستعمال فعله. وإذا تحقّق أنّ معنى "قِعدَكَ اللهَ" معنى الفعل المذكور؛ وضَح أيضًا قوله تعالى: ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾. الحَجْر: مصدر قولك: حَجَر عليه القاضي يَحجُر حَجْرًا إذا منَعه مِن التصرُّف في ماله، وحَجْر الإنسان وحِجْره بالفتح والكسر، والجمع: الحُجور، والحِجر: الحرام؛ يكسر[٥] ويُضمّ ويُفتح، والكسر أفصَح، وقرِئ بهنّ في قوله تعالى: ﴿وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ [الأنعام ١٣٨/٦]،[٦] ويقول المشركون يوم القيامة إذا رأوا ملائكة العذاب: ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾، أي: حرامًا محرَّمًا، يظنّون أنّ ذلك ينفعهم، كما كانوا يقولونه في دار الدنيا لمَن يخافونه في الشهر الحرام.[٧]

---

١ ف: قوله.

٢ انظر: **الصحاح** للجوهري، «وتر».

٣ **الصحاح** للجوهري، «قعد».

٤ ف: وصحّ.

٥ ن: بالكسر.

٦ قراءة الضمّ والفتح شاذّتان. انظر: **الكامل** للهذلي، ص ٥٤٩.

٧ **الصحاح** للجوهري، «حجر».

وهي مِن حَجَرهُ: إذا مَنعَه؛ لأن المُستعيذَ طَالِبٌ من الله أَنْ يَمنَع المَكرُوه فلا يلحَقَه، فكأنَّ المَعنى: أَسألُ اللهَ أَنْ يَمنع ذلك مَنعًا ويَحجُرَهُ حجرًا.

ومَجيئُهُ على فِعْلٍ، أَو فُعْلٍ في قراءة الحسن، تَصرُّفٌ فيه لاختِصاصه بمَوضعٍ واحدٍ؛ كما كان "قِعْدكَ" و"عَمرك" كذلك، وأُنشِدْتُ لبَعضِ الرُّجَّازِ:

قــالَــتْ وفــيــهــا حَــيْــدَةٌ وذُعْــرُ   عَــــوذٌ بــرَبِّــي مِــنــكُــم وحُــجْــرُ

فإن قلتَ: فإذ قد ثَبَت أَنَّه من باب المصَادر، فمَا مَعنى وَصْفِه بـ﴿مَّحْجُورًا﴾؟

قلتُ: جاءت هذه الصِّفةُ لتَأكيدِ معنى الحِجْرِ؛ كمَا قَالُوا: "ذَيلٌ ذائِلٌ"، والذَّيلُ: الهَوانُ، و: "مَوتٌ مائتٌ".

والمعنى في الآية: أَنَّهم يَطْلبُون نزُولَ الملائكة ويَقترحُونه، ....

قوله: (**ومجيئه على فِعْل أو فُعْل**)... إلخ، يريد:[١] أن أصل "حِجْر" / الكسر، [١٩٦ظ] فلما اختصّ بموضع واحد تصرّفوا فيه، كما فعلوا مثل ذلك في "عَمْرَك" و"قِعْدك"، فإنّهما لما اختصّا بموضع واحد -وهو الانتصاب على المصدر لا غير- أُمِن فيه الإلباس فغيّروا لفظه.

قوله: (**لبعض الرُّجّاز:**

قالت وفيها حَيدةٌ وذُعْـــرُ)... البيتَ[٢]

"بعض الرُّجّاز"، أي: بعض الشعراء، والرَّجَز: ضَرْب مِن الشعر. والحَيدة: الصدود، والذُّعر: الخَوف. والحُجر: العَوذ، مِن: حَجَره إذا منعه؛ لأنّ المستعيذَ طالب مِن الله تعالى أن يمنع مِنه المَكروه فلا يلحَقه، فكأنّ[٣] المعنى: أسأل ربي أن يمنع ذلك منعًا ويحجُره حَجرًا، و"فيها حَيدة وذُعر": حال مِن الضمير في "قالت"، وقولها: "عَوذ"... إلخ مَقول القول.

قوله: (**والمعنى في الآية: أنّهم يطلبون**) أي: في الدنيا بقولهم: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾.

---

١ ف + إلى.

٢ بغير نسبة في **الصحاح** للجوهري، «عوذ».

٣ ن: وكأنّه.

وهُمْ إذا رَأَوهُم عند الموت أو يومَ القيَامةِ كرِهُوا لِقاءهُم وفزِعُوا منهم؛ لأنَّهم لا يلقَونهُم إلَّا بما يكرَهُون، وقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يَقُولونه عندَ لقاء العَدُوّ المَوتُور والشِّدَّةِ النَّازِلةِ.

وقيل: هو من قول المَلائكة، ومعناه: حَرامًا مُحرَّمًا عليكم الغُفرانُ والجنَّةُ، أَو البُشرَى؛ أي: جَعَل اللهُ ذلك حَرامًا عَليكم.

﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾

ليس هاهُنا قدُومٌ ولا ما يُشبِهُ القدومَ؛ ولكنْ مُثِّلَتْ حالُ هؤلاء وأعمَالُهم التي عَمِلوها في كُفرِهم -من صلةِ رَحِمٍ، وإِغَاثةِ مَلهُوفٍ، وقِرَى ضَيْفٍ، ومَنٍّ على أَسيرٍ،

قوله: **(وقيل: هو مِن قول الملائكة)** عطف على قوله: **(ذكر سيبويه)**... إلخ مِن حيث المعنى، فإنّ ﴿حِجۡرٗا﴾ على هذا ليس مِن المصادر المنصوبة بأفعال مضمَرة، أي: مِن المصادر غير المتصرِّفة؛ بل هو مفعول به لفعل محذوف، كما قرّره ههنا، وأمّا قول سيبويه فمختَصّ بما إذا كان "حِجر" بمعنى المصدر، وليس هنا بمعنى المصدر على هذا الوجه؛ بل بمعنى: الحرام. قال الجوهري في **الصِّحاح**: «الحِجر: الحرام تُكسر[1] وتُفتح[2] وتُضمّ،[3] والكسر أفصَح، وقرِئَ بهنّ في قوله تعالى: ﴿وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ﴾ [الأنعام ٦/١٣٨]».[4]

قوله: **(ليس هَهنا قُدوم)**... إلخ يعني: ليس هذا مِن تشبيه المفرد بالمفرد؛ بل هو تشبيه المركّب بالمركّب، فلا يقدّر للقُدوم شيء مشبَّه بالقُدوم، قال في **المفتاح**: «قوله تعالى: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ﴾، فالقُدوم -وهو مجيء المسافر بعد مدّة- وقَع مستعارًا للأخذ في الجزاء بعدَ الإمهال، وهما أمران مَعقولان،[5] والجامع وقوع المدّة في البَين».[6] فأقول: يكون على ما ذكر في **المفتاح** تشبيه المفرد بالمفرد.

---

١ ن: يكسر.
٢ ن: ويفتح.
٣ ن: ويضمّ.

٤ **الصحاح** للجوهري، «حجر».
٥ ف: مفعولان.
٦ **مفتاح العلوم** للسكّاكي، ٣٨٩/١.

وغَيرِ ذلك من مَكارِمهم ومحَاسِنهم- بحَالِ قومٍ خالفوا سُلطَانَهم واستَعصَوا عليه، فَقدِمَ إلى أشيَائِهم وقصَد إلى ما تَحت أَيديهم فأفسَدها ومَزَّقها كُلَّ مُمزَّقٍ ولمْ يترَك لها أَثرًا ولا عِثْيَرًا.

و"الهبَاءُ": ما يخرُج من الكُوَّة مع ضوء الشَّمس شَبيهٌ بالغبار، وفي أمثالهم: "أقَلُّ منَ الهبَاء".

﴿مَنثُورًا﴾ صفةٌ للهباء، شبَّهُ بالهباء في قلَّتِه وحقَارته عنده وأنَّه لا يُنتَفَعُ به، ثـم بالمَنثُورِ منه؛ لأنَّك تَراهُ مُنتَظِمًا مع الضَّوءِ فإذا حرَّكَتْهُ الرِّيحُ رَأيتَهُ قد تَناثَرَ وذَهبَ كلَّ مَذهَبٍ، ....

قوله: (ولا عِثْيَرًا) العِثْيَر:[1] الغبار.

قوله: (والهباء: ما يخرج مِن الكُوّة) قال في الصِّحاح: «الهَباء: الشيء المنبَثُّ الذي تراه في البيت مِن ضَوء الشمس، والهباء أيضًا: دُقاق التراب، يقال له إذا ارتفع: هبا يَهبو هَبْوًا، والهَبوة: الغَبرة».[2] وقال في مُجمل اللغة: «يقال: هَبا الغبار يَهبو؛ سطع، والهَباء: دُقاق التراب، والشيء المنبَثّ الذي تراه في ضوء الشمس: هباءٌ».[3] وإذا عرَفت هذين المعنيين للهَباء ومعنى الهَبوة ظهر لك أنّ في قول المصنِّف: (لام الهَباء واو بدليل الهَبْوة) نظرًا؛ لأنّ الهَبوة ليس بمعنى الهباء الذي ذكَره المصنِّف، نعم يمكن أن يقال: هما متقاربان مِن حيث المعنى، فلذلك قال ما قال، أو أشار بهذا الكلام إلى معناه الآخر وإن كان المراد في الآية المعنى الأوّل. قال الواحدي رحمه الله[4] في الوسيط: «قال النضر بن شُمَيل: الهَباء: التراب الذي يطيّره الريح في الهواء كأنّه دخان. / وقال الزجّاج: [١٩٧و]
هو ما يَدخل مِن الكوّة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار».[5]

---

[1] في هامش د ف: والعِثْيَر -بتسكين الثاء-: الغبار، ولا تقل: عَثِير؛ لأنّه ليس في الكلام "فَعِيل" بفتح الفاء إلّا ضهيد، وهو مصنوع، معناه: الصلب الشديد. والعَيثَر -مثال: الغَيهب-: الأثر. صحاح. | الصحاح للجوهري، «عثر».

[2] الصحاح للجوهري، «هبا».

[3] مجمل اللغة لابن فارس، «هبو».

[4] د - رحمه الله.

[5] التفسير الوسيط للواحدي، ٣٣٨/٣.

ونحوُه قولُه: ﴿كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ﴾ [الفيل ٥/١٠٥] لم يكْفِ أن شَبَّههم بالعَصْفِ حَتَّى جعَلهُ مَؤُوفًا بالأُكالِ، ولا أن شبَّه عمَلَهم بالهبَاء حَتَّى جعَلهُ مُتنَاثِرًا.

أو مَفعولٌ ثالِثٌ لـ﴿جَعَلۡنَٰهُ﴾؛ أي: فجَعلناه جامِعًا لحقَارة الهبَاء والتَّناثُرِ؛ كقوله: ﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة ٦٥/٢]؛ أي: جامِعِين للمَسخِ والخَسْء.

ولامُ "الهبَاءِ" وَاوٌ بدَليلِ: الهَبوة.

﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا ۝٢٤﴾

"المستقرّ": المكان الذي يكونون فيه في أكثَرِ أوقاتِهم مُستقرِّين يتجَالَسُونَ ويتحَادثُونَ.

و"المَقِيلُ": المكانُ الذي يَأوُونَ إليه للاستِرْوَاحِ إلى أزوَاجهم والتَّمتُّعِ بمُغَازَلتِهنَّ ومُلامَستهنَّ؛ كما أَنَّ المُترَفينَ في الدُّنيَا يَعِيشُونَ على ذلك التَّرتيب.

قوله: (منه) أي: مِن الهباء.

قوله: (ونحوه كقوله تعالى: ﴿كَعَصۡفٖ﴾ [الفيل ٥/١٠٥]) العصف: التِّبن وورق الزرع. وقوله: (مَئوفًا) أي: مصابًا بالآفة. وقوله: (بالأُكال) ما تأكله.

قوله: (أو مفعول ثالث) يريد: أنّ الضمير مفعوله الأوّل، و"الهباء": مفعول ثانٍ، و﴿مَّنثُورًا﴾ تكرير للمفعول الثاني، بمنزلة الخبر بعد الخبر، ولذا شبَّهه بـ﴿قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة ٦٥/٢].

قوله: (يكونون فيه) أي: يكون أهل الجنّة فيه.

قوله: (للاسترواح) يقال: استراح إليه، أي: استنام. (والتمتيع بمغازلتهنّ) الغَزَل: هو الحال الذي تكون[١] بين الرجال والنساء مِن المحادثة والمجالسة والتمتّع بهنّ. وأمّا النسيب فهو ذِكر الغزَل في الشعر، فإذا قيل لذلك الشعر: غزَل فهو بنوع مِن المسامحة في العبارة.

---

[١] ف ن: يكون.

ورُوِيَ: أنَّه يُفرَغُ من الحسَاب في نِصف ذلك اليَوم، فيَقِيلُ أهْلُ الجنَّة في الجنَّة وأهْلُ النَّار في النَّار، وفي معناه قولُه عزَّ وجل: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ۞ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾ [يس ٣٦/٥٥-٥٦] قيل في تفسير الشُّغل: افتضَاضُ الأَبكار.

ولا نومَ في الجنَّة، وإنما سُمِّي مكَانُ دَعَتِهم واستِرْواحِهم إلى الحُور مَقِيلًا على طريق التشبيه.

وفي لفظ "الأَحسن" رَمزٌ إلى ما يَتزيَّن به مَقيلُهم: من حُسنِ الوُجُوه، ومَلاحَةِ الصُّوَرِ، إلى غيْر ذلك من التحاسين والزِّيَنِ.

قوله: (**اقتضاض الأبكار**) القِضّة -بالكسر-: بَكارة الجارية، واقتَضّ، أي: ذهبَ بقِضَّتها؛ وهي بَكارتها.[١]

قوله: (**دَعَتهم**) الدَّعة: الراحة وسعَة العيش.

قوله: (**على طريق التشبيه**)؛ وذلك لأنّ معنى القيلولة: النوم في الظهيرة، والقائلة: الظهيرة، يقال: أتانا عند القائلة. وقد تكون أيضًا بمعنى القيلولة؛ وهي النوم في الظهيرة.[٢] يقال: قال قيلولةً، أي: نام نصف النهار، والقائلة: القيلولة، ومِنها: «استعينوا بقائلة النهار».[٣]

قوله: (**مِن حُسن الوجوه**) يعني: حُسنَ وجوه أزواجهم مِن الحُور العين. وقوله: (**ومَلاحةِ الصور**) أي: صور أزواجهم مِن الحُور.

قوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾، قال المرزوقيّ في أوّل باب المراثي، في شرح قول الشاعر:[٤]

حَمِدتُ إلهي بعدَ عروة إذ نجا ... خِراشٌ وبعضُ الشرِّ أهون مِن بعضِ

المعنى: أشكر الله بعد ما اتّفق مِن قتل عروة على تخلّص خِراش،

---

١ **المُغرب** للمطرّزي، «قضض».

٢ **الصحاح** للجوهري، «قيل».

٣ **المُغرب** للمطرّزي، «قيل»، والحديث في المعجم الكبير للطبراني، ١١/٢٤٥.

٤ وهو أبو خِراش الهذلي كما في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، ٢/٧٨٢.

....

وبعض الشرِّ أخفُّ مِن الآخر، كأنّه تصوّر قتلهما جميعًا لو اتّفق، فرأى قتل أحدهما أهون. وهذا الكلام -أعني: "وبعض الشرِّ أهون مِن بعضٍ"- رمَى به مرمَى الأمثال.[1] فإن قال قائل: ليس في الشرِّ هيّن، و"أفعَل" هذا يُستعمل في مشترِكين في صفة زاد أحدهما على الآخر، لا يقال: زيد أفضل مِن عمرو إلّا وقد اشتركا في الفَضل، وكيف جاز أن يقول: "وبعض الشرِّ أهون مِن بعض" ولا هيّنَ في الشرّ؟ قلت: إنّ للشرّ مراتب ودرجات، فإذا جئت إلى آحادها وقد تصورت جُمَلها ورتبت الآحاد فيها؛ وجدتَ كلَّ نوع مِنها لمُضامّته للشرّ له حالٌ في الخِفّة أو الثِقل، وإذا كان كذلك فلا يمتنع[2] أن يوصف شيء مِنه بأنّه أهون مِن غيره. ولا يشبه هذا قوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾؛ لأنّك إذا تصوّرت حال أهل الجنّة / مع حال أهل النار لم تجِد[3] [١٩٧ظ]
مراتب متقاربة يترقّى الواصف في دَرَجها ويتصوّر اشتراكهم فيها، إذ[4] لم يكن ثمّة مشاركة البتّة بوَجه مِن الوجوه، والجامع بين هذا وأشباهه وبين الآية خارج عن الطريقة، والصواب أن يقال في الآية: أنّ المعنى: أصحاب الجنّة يومئذ أحسنُ حالًا، وأعظم شأنًا، وأعلى درجةً ومكانًا، وأحسن مستقرًّا، وأفضل مَقيلًا مِن أن يشبَّه بشيء أو يُحَدّ[5] بوصف،[6] فحُذف مِنه ما حذف، وعلى هذا يُحمل قول المسلمين: الله أكبر، وما رُوي عن النبيّ عليه الصلاة والسلام لمّا سمع الكفّار يقول: أُعْلُ هُبَل، قال: «الله أعلى وأجلّ».[7]

واعلم أن قول المرزوقيّ: "المعنى أحسن مِن أن يُشبَّه بشيء" ليس كلامًا منقّحًا؛ إذ ليس ما بعد "مِن" مفضّلًا عليه، فتأمّل؛ بل التحقيق أنّ التقدير: أحسن مِن جميع المستقَرّات، وهذا ظاهر، وقد سألني بعض الطلبة عن معنى قول المتنبّي:

---

١ انظر: **مجمع الأمثال** للميداني، ١/٩٤.
٢ ن: يمنع.
٣ ن: يجد.
٤ ف ن: إذا.
٥ ن: بحدّ.
٦ ن: يوصف.
٧ **شرح ديوان الحماسة** للمرزوقي، ٢/٧٨٥. والحديث في **صحيح البخاري**، ٤/٦٥ (٣٠٣٩).

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾

وقرئ: ﴿تَشَّقَّقُ﴾ والأصلُ: تتشقَّقُ، فحذَف بعضهم التَّاء وغيرُه أدغمها، ولمَّا كان انشِقاقُ السَّماء بسَببِ طُلوع الغَمام منها جُعِل الغَمامُ كأنَّه الذي تُشَقُّ به السَّماءُ؛ كما تقول: شُقَّ السَّنامُ بالشَّفرة وانشقَّ بهَا، ....

النـاسُ أكيسُ مِن أن يَمدَحوا رجلًا حتّـى يـرَوا فيـهـمُ آثـار إحسـانِ[1]

أنّه كيف يستقيم تفضيل الناس على أن يَمدحوا؟ فأجبتُ: بأنّ في[2] الكلام حَذفًا، أي: الناس أكيس مِن غيرهم يَبعُدون أو يتنزّهون مِن أن يَمدحوا.

قوله: (**وقرئ: ﴿تَشَّقَّقُ﴾**)[3] كلاهما مِن السبعة.[4]

قوله: (**شُقَّ السَّنام بالشَّفرة**)؛ لكون الشَّفرة سببًا فيه وآلة له. والسَّنام: واحد أسنِمة الإبل. والشَّفرة -بالفتح-: السِّكِّين العظيم،[5] وشَفرة الإسكاف: إزميله الذي يقطع به.[6] قال أبو عليّ في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾: «معناه: وعليها غمام».[7] كما يقال: ركِب الأمير بسلاحه، وخرَج بثيابه، أي: وعليه ثيابه وسلاحه، وقيل: معناه: بسبب طلوع الغمام، ولمّا كان طلوعه سببًا لتشقُّقِها جَعل الغمام يَشقُّها.

---

١ لم أجد مَن عزاه للمتنبي غيره، وعزاه ابن قتيبة إلى بعض الحارثيين، والراغب الأصفهاني للغفالي. انظر: **عيون الأخبار** لابن قتيبة، ١٧٨/٣؛ و**محاضرات الأدباء** للراغب الأصفهاني، ٤٦٠/١.

٢ ف + هذا.

٣ قرأ أبو عمرو والكوفيّون بتخفيف الشين، وقرأ باقي القرّاء العشر بالتشديد. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٣٣٤/٢.

٤ في هامش د ف: قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ﴾ انتصاب "يوم" على تقدير: اذكر، أو على معنى: وينفرد الله بالملك يوم تشقّق. قوله: (ولما كان انشقاق السماء بالغمام)... إلخ، إنّما عدَل عن الباء السببيّة إلى باء الاستعانة والآلة؛ لأنّ الباء السببيّة لا تدخل في السبب الباعث والداعي، وإنّما تدخل فيه اللام، فلا يقال: ضربت بالتأديب مريدًا: بسببه، وإنّما يقال: للتأديب، فليُتأمّل.

٥ ف ن: العظم.

٦ **الصحاح** للجوهري، «شفر».

٧ **الحجّة** لأبي عليّ الفارسي، ٧٠/٤.

ونَظيرُه قَوله: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦ﴾ [المزمل ١٨/٧٣].

فإن قلتَ: أيُّ فرقٍ بين قولِك: "انْشَقَّتِ الأَرضُ بالنَّبات" و: "انشقَّتْ عن النَّبَاتِ"؟

قلتُ: مَعنى "انشقَّتْ به": أنَّ اللهَ شقَّهَا بطُلوعِه فانشقَّت به، ومَعنى: "انشقَّت عَنه": أنَّ التُّربَة ارتفَعت عنه عند طلوعه.

والمعنى: أنَّ السَّماء تنفَتِحُ بغمامٍ يخرُجُ منها، وفي الغمامِ الملائكةُ يَنزِلُونَ وفي أيديهم صَحَائِفُ أعمال العبَاد.

ورُوي: تنشقُّ سَماءٌ سَماءٌ وتَنزِلُ الملائكةُ إلى الأرض.

وقيل: هو غمامٌ أَبيضُ رقيقٌ مثلُ الضَّبابةِ، ولم يكُن إلَّا لبَني إسرائيل في تِيهِهم.

وفي مَعناه قَولُه تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة ٢/٢١٠].

وقرئ: ﴿ونُنْزِلُ الملائكةَ﴾.

قوله: (**ونظيره قوله تعالى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦ﴾**) ﴿فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ۝ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦ﴾ [المزمل ١٧/٧٣-١٨]، الباء في ﴿بِهِۦ﴾ مثلها في قولك: فَطَرْتُ العودَ بالقدُوم فانفطر به، يعني: أنّها تنفطر بشدّة ذلك اليوم وهَوله كما يَنفطر الشيء بما يُفطر به، فالضمير يعود إلى اليوم، والمراد: وَصف اليوم بالشدّة، وأن السماء على عِظَمها وإحكامها تنفطر فيه، فما ظنُّك بغيرها مِن الخلائق، والمعنى: ذات انفطار، أو على تأويل السماء بالسقف، أو السماء شيء منفَطِر.

قوله: (**يَتَشقَّق سماءٌ سماءٌ**) إن قرئ بنصبهما فوجهه أنّه إذا قسّم شيء على صفة يكرَّر اللفظ كالمعنى، نحو: جاء القوم رجلًا رجلًا، وإن قرئ برفعهما فالثاني تأكيد لفظيّ؛ ليكون إشارة إلى أنّ ما صدَق عليه هذا الاسم -وهو سماء- ينشقّ،[1] فيفيد انشقاق جميع السماوات واحدًا واحدًا.

---

١ ف: يتشقّق.

و: "نُنَزِّلُ" و"نَزَّلَ الملائكةَ"، و: "نُزِّلَت الملائكةُ"، و: "أُنزِلَ الملائكةُ"، و: "نَزَلَ الملائكةُ".

و"نُزِّلُ الملائكةَ" على حذف النُّون الَّذي هو فَاء الفعل من نُنزِّلُ: قِراءةُ أَهْل مكَّة.

﴿ٱلْحَقُّ﴾: الثَّابتُ؛ لأنَّ كلَّ مُلْكٍ يَزُولُ يومئذٍ ويَبْطُلُ ولا يَبْقَى إِلَّا مُلكُه.

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾﴾

عَضُّ اليَدينِ والأناملِ، والسُّقوطُ في اليَد، وأَكلُ البنَانَ، وحرقُ الأَسنَان والأُرَّمِ وقَرعُهَا: كناياتٌ عن الغَيظ والحَسرة؛ لأنها من روَادِفهما، فتُذكَرُ الرادفةُ ويُدَلُّ بها على المردُوفِ، فيَرتفعُ الكلام به في طَبَقة الفصَاحة، ويَجدُ السَّامع عنده في نفسه من الرَّوعةِ والاستحسان ما لا يَجدُه عند لَفظِ المُكنيِّ عنه.

وقيل: نزلت في عُقبةَ بن أَبِي مُعَيْطِ بن أميَّة بن عبْدِ شمسٍ، وكان يُكثِرُ مجَالسَةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل: اتَّخذ ضِيَافةً فدعَا إليها رسُولَ الله صلى الله عليه وسلم، فأَبى أن يأكلَ من طعامهِ حتى يَنْطِقَ بالشَّهادتين، ففَعَلَ، وكانَ أُبيُّ بن خَلَفٍ صَديقَه، فعَاتبَه وقال: صَبأْتَ يا عُقبةُ؟! قال: لا؛ ولكن آلَى أَنْ لا يأكل من طعامي وهو في بَيتي، فاستحيَيتُ منه فشَهدتُ له والشَّهادةُ ليسَتْ في نَفسي، فقال: ....

قوله: (لأنّ كلَّ مُلك يزول) اللام مِن "لأنّ" متعلِّق بمحذوف، أي: إنّما وصف الملك بالثابت؛ لأنّ كلّ ملك...

قوله: (مِن الرَّوعة) أي: مِن التعجّب، يقال: راعني الشيء، أي: أعجبني.

قوله: (وقيل: نزلت) / أي: الآية، وهي قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ [١٩٨و]
يَدَيْهِ﴾، أراد بالظالم: عُقبة.

قوله: (آلى) أي: حلَف، يعني: رسول الله عليه الصلاة والسلام.

قوله: (فشهدتُ) يعني شَهِدتُ بوحدانيّة الله تعالى.

وَجهي من وَجْهك حَرامٌ إن لَقيتَ مُحمَّدًا فلَم تَطأ قفاهُ وتَبْزُقْ في وجهه وتلطِمَ عَينَهُ، فوجَده سَاجدًا في دار النَدوةِ ففَعل ذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا أَلْقَاكَ خارجًا من مَكَّة إلّا عَلوتُ رأسَكَ بالسَّيف» فقُتِل يومَ بَدرٍ، أَمَر عَليًّا رضي الله عنه بقتله -وقيل: قَتلهُ عَاصمُ بن ثابت بن أَقلَح الأنصاريُّ- وقال: يا محمَّد! إلى مَن الصِّبيةُ؟ قال: «إلى النَّارِ»، وطعَنَ رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم أُبيًّا بأحُدٍ فرجَع إلى مكّة فمات.

فاللامُ في ﴿ٱلظَّالِمُ﴾ يجوز أَن تكونَ للعَهْد يُرادُ به عُقبَةُ خَاصَّةً، ويجوز أن تكون للجِنس فتتَناولَ عُقبَةَ وغيرَه، تَمنَّى أَنْ لَو صَحِبَ الرَّسولَ وسَلك معه طريقًا واحدًا وهو طريقُ الحقِ، ولم يَتَشعَّبْ به طُرُق الضَّلَالة والهَوى،

قوله: **(حرامٌ)** قول اللعين: حرام، أي: ممنوع، فكأنّه قال: وجهي ممنوع مِن وجهك، أي: مِن مقابلته وملاقته.[1]

قوله: **(ثابت)** "أقلح" صحّ بالقاف، قال في **المُغرب**: «الأقلَح -بالقاف-: الذي بأسنانه صُفرة أو خُضرة، وبه كُني جدّ عاصم بن ثابت».[2] وقال فيه: «الأفلَح -بالفاء-: المشقوق الشفة السفلى، وبه سمّي أفلح أبو القُعَيس، أو أخو أبي[3] القُعيس عمّ عائشة رضي الله عنها».[4]

قوله: **(وطعَن رسول الله عليه الصلاة والسلام أُبيًّا)** أي: ابنَ خلَف.[5]

قوله: **(ولم يتشعَّبْ)** الشَّعْب: الاجتماع والافتراق،[6] يقال: قد التأم شَعْب بني فلان إذا اجتمعوا بعد التفرّق، وتفرَّق شَعب بني فلان إذا تفرّقوا بعد الاجتماع. والباء في قوله: "به" للتعدية، ويجوز أن يكون قوله: "يتشعَّب" مِن معنى التفرّق، أي: فرّقه طُرق الضلالة؛ لأنّه لمّا كان تارة في هذه الطريق مِن طرق الضلالة وتارة في تلك فكأنّ طرق الضلالة فرّقته، ويجوز أن يكون مِن معنى الاجتماع؛

---

١ ف ن: وملاقاته.

٢ **المُغرب** للمطرّزي، «قلح».

٣ ف: بني.

٤ **المُغرب** للمطرّزي، «فلح».

٥ انظر: **جامع البيان** للطبري، ١٧/٤٤٠ (الفرقان، ٢٥/٢٧)؛ و**دلائل النبوّة** لأبي نعيم، ص ٤٧٠ (٤٠١).

٦ ف + فيكون "الشَّعب" من الأضداد.

أَو أَرَاد أَنِّي كُنتُ ضَالًّا لَم يكُن لي سَبيلٌ قَطُّ، فَليتَني حَصَّلتُ لنَفسي في صُحبَة الرَّسُول سَبيلًا.

﴿يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨﴾

وقرئ: "يا وَيْلتي" باليَاء وهو الأَصْلُ؛ لأَنَّ الرَّجُلَ يُنادي وَيْلتَهُ -وهي هَلَكتُهُ- يَقُول لها: تعَالي فهذا أَوَانُكِ، وإنَّما قُلبَت الياءُ أَلِفًا كما في صحَارَى ومَدَارَى.

"فُلانٌ": كنايةٌ عن الأَعلام كما أَنَّ "الهَنَ" كنَايةٌ عن الأَجنَاسِ، فإِنْ أُريدَ بالظَّالم عُقبةُ فَالمَعنى: لَيتَني لم أَتَّخِذْ أُبيًّا خَليلًا، فكنَى عن اسْمِه، وإن أُريدَ به الجنسُ فكُلُّ مَن اتَّخذ من المُضِلِّينَ خَليلًا كان لخليله اسمٌ عَلَمٌ لا محَالةَ فجعَله كنايةً عنه.

لأنّه لمّا كان دائمًا في طريق مِن طرق الضلالة غير خارج مِنها كان طرق الضلالة كأنّها جمعته.

قوله: **(أو أراد: إنّي كنت)**... إلخ، بيّن المصنِّف رحمه الله[1] فائدة التنكير في قوله تعالى: ﴿سَبِيلٗا﴾ مِن وَجهين، وحاصلهما يرجع إلى الإفراد؛ لكن باعتبارين مختلفين، فتأمّل فيهما، فإنّهما في غاية اللطف.

قوله: **(ومَدارى)** جمع مِدْراة؛ وهي القَرن، وكذلك المِدْرى.

قوله: **(كما أنّ الهَنَ كناية)** اعلم أنّ قوله: "في هَنٍ كناية" ليس كقوله: "في فلان كناية"؛ لأنّ "فلانًا" علَم موضوع دلّ على اسمِ علمٍ، و"هَنًا" اسم موضوع بإزاء مدلول اسمٍ آخر، لا أنّ مدلوله اسم، ولذلك تقول: كانت بينهم هَناتٌ، وليس الهَنات ألفاظًا، وإنّما تعني أشياء قبيحةً، ولذلك يُكنى عن نفس[2] الفرْج لا عن لفظ الفرْج، وإنّما صحّ أن يقال: كنايةً؛ لأنّه يُعدَل عن ذلك اللفظ إلى هذا؛ لما في ذلك مِن الاستهجان والاستقباح.

قوله: **(فكَنى عن اسمه)** الوجه أن يقال: الضمير مِن قوله: "كنى" عائد إلى الله تعالى بطريق الحكاية عمّا قاله عُقبة بن أبي مُعيط، ولا يجوز أن يكون الضمير

---

[1] د - رحمه الله.

[2] ن - نفس.

﴿لَقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ۝٢٩﴾

﴿عَنِ ٱلذِّكۡرِ﴾: عن ذكر الله، أو القرآنِ، أو موعظةِ الرَّسُول، ويجوز أَنْ يُريدَ نُطقَهُ بشهادة الحقِّ وعَزْمَه على الإسلام، و﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾: إشارةٌ إلى خليله، سَمَّاه شَيْطانًا؛ لأنَّه أَضَلَّه كما يُضِلُّ الشَّيطانُ، ثمَّ خذَله ولم يَنفَعْه في العَاقبة.

أَو أراد إبليسَ، وأنَّه هُو الَّذي حَملَه على مُخالَّةِ المُضِلِّ ومُخالفَةِ الرَّسُولِ ثمَّ خَذَله.

أو أراد الجنسَ، وكُلَّ مَن تَشَيْطنَ من الجنِّ والإنس.

ويحتمِل أَن يكونَ ﴿وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ حكايةَ كلامِ الظَّالِم، وأَن يكونَ كلامَ الله.

﴿ٱتَّخَذۡتُ﴾: يُقرَأ على الإِدْغَام والإِظهارِ، والإِدْغامُ أكثرُ.

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ۝٣٠ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ۝٣١﴾

﴿ٱلرَّسُولُ﴾: محمَّدٌ صلى الله عليه وسلم، وقومُه: قُرَيشٌ، حَكَى اللهُ عنه شَكواهُ

مِن "كنى" عائدًا إلى عُقبة، قال ابن الحاجِب في **شرح المفصّل**: «فلان وفلانة وشبههما: أعلامٌ لأعلام الأناسيّ، ولم يثبت استعمالها إلّا حكاية؛ لأنّها اسم للّفظ الذي هو علَم، لا اسم مدلولِ العلَم، فلذلك لا يقال: جاءني فلان؛ ولكن يقال: قال زيد: جاءني فلان». ثمّ أورد هذه الآية، وقال: «فهو إذَن اسمُ الاسم».[١]

قوله: (**على الإدغام**) يريد إدغام الذال في التاء.[٢]

قوله: (**ثمّ شكواه**)[٣] مضاف إلى الفاعل، و"قومه" مفعوله؛ لأنّ "الشكوى" اسم للمصدر. قال في **الصّحاح**: «شَكوتُ فلانًا أشكوه شَكْوَى[٤] / وشِكايةً إذا أخبرتَ عنه بسوء فعله، والاسم: الشكوى».[٥] [١٩٨ظ]

---

١ **الإيضاح في شرح المفصّل** لابن الحاجب، ٧٧/١.

٢ ف ن: الثاء.

٣ في مطبوع **الكشّاف**: "عنه شكواه".

٤ د ن: شكوًا.

٥ **الصحاح** للجوهري، «شكا».

قَومَه إليه، وفي هذِه الحكاية تعظيمٌ للشِّكاية وتخويفٌ لقَومهِ؛ لأن الأنبياءَ كانوا إذا الْتَجَؤوا إليه وشَكَوْا إليه قَومَهم حَلَّ بهم العذابُ ولم يُنظَرُوا.

ثم أَقبلَ عليه مُسَلِّيًا ومُؤسِّيًا ووَاعِدًا النُّصرةَ عليهم فقال: ﴿كذلك﴾ كان كُلُّ نبيٍّ قبلك مُبتَلًى بعَدَاوةِ قَوْمهِ، وكفَاك بي هَادِيًا إلى طريق قهْرِهم والانتِصَار منهم، وناصِرًا لك عليهم.

﴿مَهۡجُورٗا﴾: تركُوه وصَدُّوا عنه وعن الإيمان به، وعن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: «مَن تعلَّم القرآنَ وعَلَّمهُ وعَلَّق مصحَفًا لم يتعَاهَدْهُ ولم يَنْظرْ فيهِ جاء يوم القِيامة مُتعَلِّقًا به يَقُولُ: يا ربَّ العالمين، عَبدُكَ هذا اتَّخذني مهجُورًا، اقضِ بَيني وبَينَه».

وقيل: هو مِن هَجَر: إذا هَذَى؛ أي: "جعَلوهُ مَهْجورًا فيه" فحُذف الجَارُّ، وهو على وجهين:

أحَدُهما: زَعْمُهم أنَّه هَذَيانٌ وباطلٌ وأسَاطيرُ الأوَّلين.

والثَّاني: أنهم كانوا إذا سمعُوهُ هَجَرُوا فيه؛ كقوله: ﴿لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ﴾ [فصلت ٤١/٢٦].

قوله: (**ثمّ أقبل**) عطف على قوله: (**حكى**)، أي: حكى الله تعالى[1] عنه ثمّ أقبل عليه، فيكون في الكلام التِفات.

قوله: (**ومُوَسِّيًا**)[2] أسَّيتُه تأسِيةً: عزَّيته.

قوله: (**وكفاك بي**) ففيه التِفات.

قوله: (**مهجورًا فيه**) إشارة إلى أن الهَجر لازم، فاسم المفعول إنّما يجيء مِنه إذا عُدِّي بحرف الجر. يقال: هجَر المريضُ هَجْرًا فهو هاجرٌ، والهَجْر -بفتح الهاء-: الهذَيان، والهُجر -بالضم-: الفُحش، فالهَجْر -بالفتح- مصدر، وبالضمّ اسم مِن الإهجار؛ وهو الإفحاش في المَنطق والخَنى.[3]

---

[1] ف - تعالى.

[2] في بعض مطبوعات الكشاف: "ومواسيًا".

[3] انظر: الصحاح للجوهري، «هجر».

ويجوز أن يكون المَهجُور بمَعنى الهَجْر؛ كالمَجلود والمَعقول، والمَعنى: اتَّخذوهُ هَجْرًا.

و"العَدُوُّ": يجوز أن يكونَ واحدًا وجمعًا، كقوله: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي﴾ [الشعراء ٢٦/٧٧].

وقيل: المعنى: وقال الرَّسولُ يومَ القيامة.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾

﴿نُزِّلَ﴾ هاهُنا بمَعنى: "أُنزِل" لا غير؛ كخُبِّرَ بمعنى: أُخْبِرَ، وإلَّا كان مُتَدافعًا.

وهذا أيضًا من اعترَاضاتِهم واقتراحَاتِهم الدَّالةِ على شِرَادِهم عن الحقِّ وتجَافِيهِم عن اتِّباعه، قالوا: هَلَّا أُنزِل عَليه دفعةً في وقتٍ واحدٍ كما أُنزِلَت الكتُب الثَّلاثةُ، وما له أُنزِلَ على التَّفاريق، والقَائلُونَ قُريشٌ، وقيل: اليَهُودُ.

قوله: (**وقيل: المعنى**) عطف على قوله: (**حكى الله عنه شكواه**) فعلى هذا يكون ﴿قَالَ﴾ بمعنى: يقول.

قوله: (**وإلّا كان**) أي: وإن لم يكن ﴿نُزِّلَ﴾ بمعنى "أُنزل" كان الكلام متدافعًا، أي: يدفع بعضُه بعضًا؛ لأنّ قوله: ﴿نُزِّلَ﴾ يكون دافعًا لقوله: ﴿جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾، ويكون قوله: ﴿جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ دافعًا لقوله: ﴿نُزِّلَ﴾؛ لأنّ أحدهما يقتضي أن يكون تدريجيًّا، والآخر يقتضي أن يكون دفعيًّا. وقوله: (**متدافعًا**)؛ لأنّ قوله: ﴿نُزِّلَ﴾ للتدريج حينئذٍ. وقوله: ﴿جُمْلَةً﴾ ينافيه.[1]

قوله: (**على شِرادهم**) أي: نِفارهم[2] عن الحقّ وتباعدهم عنه، يقال: شَرَد البعير شُرودًا، أي: نفَر. وقوله: (**وتجافيهم**) جفا جنبُه عن الفراش، وتجافى عنه، أي: نبا وارتفع.

قوله: (**الكتب الثلاثة**) أي: **التوراة والإنجيل والزبور**.

---

[1] في هامش د ف: قوله تعالى: ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ حال من القرآن، أي: مجتمعًا.

[2] ن: نفاقهم.

وهذا فضُولٌ من القول ومماراةٌ بما لا طائلَ تحتَه؛ لأنَّ أمرَ الإعجاز والاحتِجاجِ به لا يَختلِفُ بنُزوله جُملة واحدة أو مُفرَّقًا.

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ جوابٌ لهُم؛ أي: كذلك أُنزِلَ مُفرَّقًا، والحكمةُ فيه: أَن نُقوِّيَ بتَفريقِه فُؤادكَ حَتَّى تَعِيَهُ وتَحفَظَهُ؛ لأن المتَلقِّنَ إنَّما يقوَى قَلبُه على حِفظ العِلم

قوله: (**فضولٌ مِن القول**) أي: شيء لا فائدة فيه، و"مِن" للتبعيض، أي: قولٌ خالٍ عن الفائدة مِن جنس الأقوال ومِن جملتها، قال المطرّزي في **المُغرب**: «الفَضل: الزيادة، وقد غلب جَمعه على ما لا خير فيه، حتّى قيل -شعر-:

فُضول بلا فَضل وسِنٌّ بلا سنًا[1] وطولٌ بِلا طول وعَرْض بِلا عِرْضِ[2]

ثمّ قيل لمَن يشتغل بما لا يَعنيه: فُضوليّ، وهو في اصطلاح الفقهاء: مَن ليس بوكيل».[3] قولهم: "عَرْض بلا عِرْض":[4] **الأوّل**: بسكون الراء، والمراد به: خلاف الطول. **والثاني**: يجوز أن يكون بسكون الراء أيضًا، ويجوز أن يكون بفتحها، فالعَرْض بالسكون: المتاع وجميع الأشياء خلاف النقد، أي: خلاف الدراهم والدنانير، فإنّهما عَين، وأمّا العَرَض بفتحتَين فحُطام الدنيا، أي: جميع أموال الدنيا مِن الأمتعة والدراهم والدنانير يسمى عَرَضًا، ومِنه: «الدنيا عرَض حاضر».[5]

قوله: (**ومُماراة**) المُماراة: المجادلة، يقال: مارَيتُ الرجل أماريه إذا جادلتَه.[6] وقوله: (**بما لا طائل تحتَه**) يقال: هذا أمر لا طائل فيه، أي: لا غَناء فيه أو لا مَزيّة.[7]

قوله: (**لأنّ أمر الإعجاز**) أي: لأنّ أمر إعجاز **القرآن** والاحتجاج **بالقرآن** على النبوّة لا يختلف بنزول **القرآن** جملة أو مفرّقًا.

---

١ ن: سَنان. | وفي مطبوع **المُغرب**: "بلا سِنّ"، وفي مطبوع **الكلّيّات**: "بلا سنًا".

٢ بغير نسبة في **المُغرب** للمطرّزي، «فضل»؛ و**الكلّيّات** لأبي البقاء، ص ٦٨٣.

٣ **المُغرب** للمطرّزي، «فضل».

٤ كذا حُرّك "عِرْض" الثاني بكسر العين وسكون الراء في الأصول الخطّيّة، وفي مطبوع **المُغرب**، وهو يخالف ما ضبطه هنا في الحاشية.

٥ **المعجم الكبير** للطبراني، ٢٨٨/٧ (٧١٥٨).

٦ انظر: **الصحاح** للجوهري، «مرا».

٧ انظر: **الصحاح** للجوهري، «طول».

شيئًا بَعدَ شيءٍ وجُزءًا عقيبَ جُزءٍ، ولو أُلْقيَ عليه جُملةً واحدةً لبَعِلَ به وتَعيًا بحِفظِهِ، والرَّسولُ صلى الله عليه وسلم فارَقت حَالُه حالَ موسى وداود وعيسَى حيث كان أُمِّيًا لا يقرأُ ولا يَكتبُ وهُم كانوا قَارئين كاتِبين، فلم يكن له بُدٌّ من التَّلقُّنِ والتَّحفُّظِ فَأُنزِلَ عَليه مُنَجَّمًا في عِشرين سنةً، وقيل: في ثلاثٍ وعشرينَ.

وأيضًا: فكان يَنزل عَلى حسَب الحوادثِ وجَوابات السَّائلين؛ ولأنَّ بعضَه منسُوخٌ وبَعضَه ناسخٌ، ولا يتَأتَّى ذلك إلَّا فيما أُنزِل مُفرَّقًا.

فإن قلتَ: "ذلك" في ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يجبُ أَن يكون إشارةً إلى شَيءٍ تقَدَّمَهُ، والذي تقَدَّم هو إنزالُه جُملةً، فكيفَ فسَّرْتَهُ بـ"كذلك أَنزلناه مُفَرَّقًا".

قلتُ: لأنَّ قولهم: "لولا أُنزل جملةً" مَعناه: لِمَ أُنزِل مُفرَّقًا، والدَّليلُ على فساد هذا الاعتِراضِ: أَنَّهم عجَزُوا عن أَنْ يَأتُوا بنجمٍ واحدٍ من نجُومهِ، وتُحُدُّوا بسُورةٍ واحدةٍ من أَصغرِ السُّور فأبرَزُوا صَفْحَة عَجزهم، وسَجَّلُوا به على أنفُسهم حِين لَاذُوا بالمناصَبةِ وفزِعُوا إلى المُحَاربة، ثمَّ قَالُوا: هَلَّا نُزِّلَ جُملةً واحِدةً؛ كأنَّهم قَدَرُوا عَلى تفَاريقه حَتَّى يقْدِرُوا على جُملتِه.

﴿وَرَتَّلۡنَٰهُ﴾ مَعْطوفٌ على الفِعل الذي تعَلَّق به ﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ كأنَّه قال: كذلك فرَّقنَاه ورَتَّلْنَاهُ.

ومَعنى تَرْتيلِه: أَنْ قَدَّرَهُ آيةً بَعد آيَةٍ ووَقفةً عقيبَ وَقْفَةٍ.

ويجوز أنْ يكونَ المَعنى: وأَمَرْنا بِتَرْتيلِ قراءتِه، وذلك قولُه: ﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ [المزمل ٧٣/٤]؛ أي: اقرَأْهُ بتَرَسُّلٍ وَتثبُّتٍ، ومنه حديثُ عائشةَ رضي الله عنها في صفةِ قراءته: «لا كَسَردِكُمْ هذا، لَو أَرَادَ السَّامِعُ أَن يعُدَّ حُروفه لعَدَّهَا».

قوله: (لَبَعِل) بَعِلَ الرجل إذا دُهِش، وامرأةٌ بَعِلة.

قوله: (**هذا الإعراض**) أي: إعراض[١] الكفّار بقولهم: ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ﴾... إلخ.

قوله: (**بترسُّلٍ**) ترسَّل في قراءته، أي: اتّأَد فيها.[٢]

---

١ ف ن: اعتراض.

٢ د ن – قوله: (بترسُّلٍ) ترسّل في قراءته، أي: اتّأَد فيها.

وأَصْلُه: التَّرتيلُ في الأَسنان: وهو تَفليجُها، يُقال: ثَغرٌ رَتِلٌ ومُرَتَّلٌ، ويُشبَّه بنُور الأُقحوان في تَفليجِه.

وقيل: هو أنْ نَزَّلَهُ مع كونه مُتفرِّقًا على تمَكُّثٍ وتَمهُّلٍ في مُدَّةٍ مُتباعِدةٍ وهي عشرُون سَنةً، ولم يُفرِّقهُ في مدَّةٍ متقاربَةٍ.

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ﴾ بسُؤالٍ عجيبٍ من سُؤالاتِهم الباطِلةِ -كأنَّه مَثَلٌ في البُطلان- إلَّا آتينَاكَ نحنُ بالجوابِ الحقِّ الَّذي لا مَحِيدَ عنه، وبما هو أَحسنُ مَعنًى ومُؤدًّى من سؤالهم، ....

قوله: (**لا مَحيدَ عنه**) "عنه" خبر "لا"، فهو متعلِّق بمحذوف؛ لأنّه خبر "لا"، ولا يجوز أن يكون متعلِّقًا بـ"مَحيد"؛ إمّا لأنّه لو كان متعلِّقًا به لوجب / أن يقال: لا مَحيدًا بالتنوين؛ وإمّا لأنّه اسم مكان فلا يعمل في شيء. وهو يحتمل معنيين: **الأوّل**: أنّه لا يمكن أن يُعدَل عنه إلى غيره مِن الجواب الآخر؛ لأنّه متعيّن أن يكون جوابًا له، فلا جواب سواه. **والثاني**: أن لا يمكن أن يُعدَل عنه بأن لا يُقبل ويُرَدَّ؛ بل هو جواب صواب يجب الوقوف عنده والاعتماد عليه. [١٩٩و]

وقوله: (**بما هو أحسن معنًى**) فإن قيل: قد ذكر أوّلًا أن السؤال "مَثَل في البطلان"، فكيف يصحّ مع هذا أن يقال: الجواب أحسن مِنه، فإنّ الحُسن ليس مشترَكًا بينهما؟ فالجواب مِن وجهين: **الأوّل**: أنّه لمّا كان السؤال حسَنًا بزعمهم قيل: الجواب أحسن مِن السؤال. **والثاني**: أنّه مِثل قولهم: **الصيف أحرّ مِن الشتاء**؛ يريدون أنّ حرّ الصيف أشدُّ مِن برد الشتاء، فيكون المعنى: أنّ الجواب في باب الحقّ والحُسن أقوى وأدخَل مِن سؤالهم في باب القُبح والبطلان؛ وذلك لأنّ **القرآن** مُعجز، فلا يمكن أن يكون شيء أحقَّ مِنه وأحسن. وأمّا كلامهم فباطل قبيح لا يمتنع أن يوجد أبطلُ مِنه وأقبح.

ولمَّا كان التفسيرُ هو التَّكشِيفُ عمَّا يدُلُّ عليه الكلامُ وُضِعَ مَوضِعَ مَعناه فقالوا: "تَفسيرُ هذا الكلام كيْتَ وكيْتَ"؛ كما قِيل: مَعْناه كذَا وكَذَا.

أو: لا يأتُونك بحَالٍ وصِفةٍ عجيبةٍ يقولُونَ: هَلَّا كانتْ هذه صفتُكَ وحَالُكَ، نحوُ: أَنْ يُقْرَنَ بك ملَكٌ يُنذِرُ مَعك، أو يُلقَى إليك كَنْزٌ، أَو تكُونَ لك جنَّةٌ، أو يُنْزَلَ عَليْك القرآنُ جُملةً، إلَّا أعْطَيناك نحْنُ من الأحْوالِ ما يَحِقُّ لك في حِكمتنَا ومَشيئتِنَا أَنْ تُعطَاهُ، وما هُو أَحسنُ تكشيفًا لِمَا بُعثْتَ عَليه ودَلالةً على صحَّته، يعني: أَن تَنزيلَهُ مُفرَّقًا، وتحَدِّيَهُم بأن يأتُوا ببَعض تلك التَّفاريقِ كُلَّما نزَل شيءٌ منهَا، أَدْخلُ في الإعجَاز وأَنورُ للحُجَّة مِن أَنْ يُنْزَل كُلُّه جُملةً ويُقالَ لهم: جِيئُوا بمِثْلِ هذا الكتاب في فصاحتِه مع بُعْدِ ما بين طرَفَيْه، كأنه قيل لهُم: إِنَّ حَامِلَكُم على هذه السُّؤالات أَنَّكُم تُضَلِّلُونَ سبيلَه وتَحتقِرُونَ مكَانَه ومَنْزِلتَهُ،

قوله: **(ولمّا كان التفسير)** يريد: أن معنى التفسير: هو إظهار المعنى، فأطلق وأريد به المعنى، فإنّ معنى قوله تعالى: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ هو أحسن معنًى، ولا شكّ في أنّ إظهار المعنى وبيانه غير المعنى؛ لكن لبيان المعنى تعلّق بالمعنى فأطلق عليه، فإذا قلت للمعنى: إنه تفسير؛ يكون مجازًا، فإنّ التفسير فِعل المفسِّر، والمعنى مدلول اللفظ، ولا شبهة في مُغايرتهما.

قوله: **(أو لا يأتونك بحال)** عطف على قوله: **(ولا يأتونك بسؤال)**، وحاصل المعنى على الوجه **الأوّل**: كلّما سألوك بسؤال عجيب أجبنا عنه بجواب أحسن معنًى. وعلى الوجه **الثاني**: كلّما يأتونك بصفة عجيبة قائلين: لِم لَم تكن على هذه الصفة لتكون[1] تلك الصفة مناسبة للنبوّة ودالّة على أنّك نبيّ؟ جعلناك على صِفة هي أشدُّ مناسبةً للنبوّة[2] ودلالةً على أنّك نبيّ حقّ.

قوله: **(تُضَلِّلون)** التضليل: النسبة إلى الضلالة. وقوله: **(سبيله)** أي: سبيل رسول الله عليه الصلاة والسلام.

---

[1] ن: ليكون.

[2] ف + ودالّة على أنّك نبيّ؟ جعلناك على صِفة هي أشدُّ مناسبة للنبوّة.

ولو نَظَرتُم بعَيْنِ الإنصافِ وأنتُم مِنَ المَسْحُوبينَ على وجُوههم إلى جَهنَّم، لعَلِمْتُم أنَّ مكانكم شَرٌّ من مكانِه، وسَبيلَكُم أَضَلُّ من سَبيله، وفي طريقَتِه قولُه: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ الآية [المائدة ٥/٦٠].

ويجُوز أن يُرادَ بالمكان: الشَّرفُ والمنْزِلَةُ، وأن يُرادَ: الدَّارُ والمَسْكنُ؛ كقَوله: ﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم ١٩/٧٣]، ووَصْفُ السَّبيلِ بالضَّلال من الإسنادِ المجازيِّ.

وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «يُحشَرُ الناسُ يومَ القيَامةِ عَلى ثَلاثة أثلاثٍ: ثُلثٌ عَلى الدَّوَابِّ، وثُلثٌ عَلى وجُوهِهم، وثلثٌ عَلى أقدامِهم يَنْسِلُونَ نَسْلًا».

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ۝٣٥ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ۝٣٦ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةًۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٣٧﴾

"الوزارةُ": لا تُنافي النُّبوَّةَ، فقَد كان يُبعَث في الزَّمَن الواحد أنبيَاءُ ....

قوله: (وأنتم[١] مِن المسجونين)[٢] جملة معترِضة.

قوله: (﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾) الآية ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة ٥/٦٠].[٣]

قوله: (يَنسِلون نَسلًا)[٤] نسَل في العدْو يَنسِل نَسلًا ونَسلانًا، أي: أسرع، قال الله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس ٣٦/٥١].[٥]

قوله: (الوِزارة)... إلخ، جواب عن سؤال مقدَّر؛ وهو أن يقال: بعض الآيات تدلّ على أنّه كان نبيًّا، وهذه الآية تدلُّ على أنّه كان وزيرًا لموسى، فكيف الجمع بينهما؟ فأجاب: بأنّه لا منافاة بينهما. و"الوِزارة" هو معتلّ الفاء واويّ،

---

١ ن: واسم.

٢ في مطبوع الكشاف: "من المسحوبين".

٣ ن - عن سواء السبيل.

٤ الكشف والبيان للثعلبي، ١٩/٤١٠ (الفرقان، ٢٥/٣٤).

٥ الصحاح للجوهري، «نسل».

ويُؤمَرُونَ بأَن يُؤازِرَ بَعضُهم بَعْضًا، والمعنى: فذهبَا إليْهم فكذَّبُوهُمَا فدمَّرنَاهُم؛ كقَولِه: ﴿ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ﴾ [الشعراء ٦٣/٢٦]؛ أي: فضرَبَ فانفلقَ، أرادَ اختصَار القصَّةِ فذكَر حَاشِيَتيْها أَوَّلهَا وآخِرَها؛ لأنَّهما المقصُودُ من القصة بطولها، أعني: إلزام الحجة ببعثَةِ الرُّسُلِ واستِحقَاقَ التَّدمير بتكذيبهم.

وعن عليّ رضي الله عنه: "فدَمَّرْتُهُم"، وعنه: "فَدَمِّراهُم"، وقرئ: "فَدَمِّرانِّهم" على التأكيد بالنون الثَّقيلة.

كأنَّهم كَذَّبُوا نُوحًا ومَن قَبْلَه من الرُّسل صريحًا، أو كان تكْذِيبُهم لِوَاحِدٍ منهم تكذِيبًا للجَمِيع، أو لم يروا بِعثَة الرُّسل أصلًا كالبَراهِمَة.

قال في **الصِّحاح** في فصل الواو: «الوزير: المُوازر، كالأكيل بمعنى[١] المُواكل؛ / لأنّه يُحمل عنه وِزره، أي: ثِقله، والوِزْر: الثِقل».[٢] وقوله: **(يؤازر بعضهم بعضًا)** [١٩٩ظ] أي: يعاون، مهموز، قال في فصل الهمزة: «الأزرُ: القوة، وقوله تعالى: ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى﴾ [طه ٣١/٢٠]، أي: ظهري، وآزرتُ فلانًا: عاونته، والعامّة تقول: وازَرْتُه».[٣]

قوله: **(فذكر حاشيتيها)**[٤] الحاشية: الجانب، والجمع: الحواشي.[٥]

قوله: **(أوَلم يَرَوا بعثة الرسل)** هو مِن الرأي، كقوله تعالى: ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء ١٠٥/٤]، أي: بما جعله لك رأيًا. وقوله: **(أصلًا)** نصب على الحال مِن "الرسُل"، أي:[٦] رأسًا وجملةً. وقوله: **(كالبَراهمة)** "البراهِمة": قومٌ لا يُجوِّزون[٧] على الله تعالى بعثة الرسُل، وكأنّهم نُسبوا إلى إبراهيم، وهو جمع إبراهيميّ، وهم طائفة طَعنوا في إبراهيم عليه السلام، ولم يَطعن فيه أحد مِن أهل المِلَل، وإنّما طَعنوا فيه لإنكارهم[٨] النبوّة، فلاختصاصهم بهذا الأمر العجيب

---

١ ف - بمعنى.

٢ **الصحاح** للجوهري، «وزر».

٣ **الصحاح** للجوهري، «أزر».

٤ ن: حاشيتها.

٥ في هامش د ف: قوله تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ يجوز أن يكون معطوفًا على ما قبله، أي: ودمّرنا قوم نوح، و"أغرقنا" تفسير للتدمير، ويجوز أن يكون التقدير: وأغرقنا قومَ نوح.

٦ ف - أي.

٧ ن: تجوزون.

٨ ف: لإزكارهم.

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ﴾: وجعَلْنا إغراقَهم، أو قصَّتَهم.

﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾ إمَّا أن يُعْنَى بهم قومُ نُوح وأَصْلُه: وأَعتَدنا لهُم، إلَّا أنَّه قَصَدَ تَظلِيمَهُم فَأَظْهَر، وإمَّا أَنْ يتناولَهم بعُمومِه.

﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ٣٨﴾

عَطَف ﴿عادًا﴾ على "هم" في ﴿جَعلناهم﴾، أو على ﴿لِلظَّالمين﴾ لأنَّ المَعنى: ووَعَدنا الظالمين.

وقرئ: ﴿وَثَمُودَاْ﴾ على تأويلِ القَبِيلة، وأمَّا المنصَرِفُ فعَلى تأويلِ الحيِّ؛ أو لأنَّه اسمُ الأَبِ الأكبَرِ.

قيل في "أصحاب الرَّسِّ": كانُوا قومًا مِن عَبَدةِ الأصْنَام أصحابَ آبارٍ ومَواشٍ، فبَعث الله إليهم شُعَيبًا فدَعَاهم إلى الإسلام، فتَمادَوا في طُغيَانِهم وفي إيذَائه، فبَينَا هُم حَولَ الرَّس -وهو البئر غيْرُ المَطويَّة؛ عن أبي عُبَيدةَ- انهَارَتْ بهم فخُسِف بهم وبدِيارِهم.

بالنسبة إلى إبراهيم دون سائر أهل المِلَل نُسبوا إليه، وهذا كما قالوا للمعتزلة: قَدَريّ؛ لطعنهم في القدَر، وعدمِ اعتقادهم أنّ الأشياء بقدَر الله تعالى.

قوله: (**تظليمهم**) أي: نسبتهم إلى الظلم.

قوله: (**لأنّ المعنى**) أي: لأنّ معنى ﴿أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا﴾[1] [الكهف ٢٩/١٨]: وعدنا الظالمين نارًا، فهو مفعول به مِن حيث المعنى منصوب، فعطف عليه بالنصب.

قوله: (**أبآر**) الأبآر: جمع بئر، ومِن العرب مَن يقدّم الهمزة على الباء ويقلبها ألفًا ويقول: آبار.

قوله: (**غير المطويّة**) الطيُّ: إصلاح البئر بالحجارة بأن يَجعل في داخله الحجَر في جوانبه مِن أسفلِه إلى أعلاه.

قوله: (**عن أبي عبيدة**) اعتراض.

---

[1] ذكَر آية الكهف، وكان المناسب أن يذكر آية الفرقان: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

وقيل: الرسُّ قريةٌ بفَلْجِ اليَمامة قَتَلُوا نَبيَّهُم فَهُلِكُوا، وهُم بَقيَّةُ ثمُودَ قومِ صَالحٍ.

وقيل: هم أصحابُ النَّبيِّ حَنظَلَة بن صَفوانَ، كانوا مُبْتَلَيْنَ بالعنقَاء وهي أعظمُ ما يكونُ من الطَّير سُمِّيتْ لطُول عُنُقها، وكانَتْ تَسكُن جبَلَهم الَّذي يُقال له: فَتخٌ، وهي تَنقضُّ على صِبيَانِهم فتخَتطِفهم إنْ أَعوزَها الصَّيدُ، فدَعَا عليهَا حَنظلةُ فأصَابَتها الصَّاعقة، ثمَّ إنهم قتلُوا حنظلةَ فأُهلكوا.

وقيل: هم أَصحابُ الأُخدُود، والرَّسُّ: هو الأُخدُود.

وقيل: الرَّسُّ بأَنطاكيَّة قتَلوا فيها حَبيبًا النَّجارَ.

وقيل: كَذَّبُوا نبيَّهُم ورَسُّوهُ في بئرٍ؛ أي: دَسُّوه فيهَا.

﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: بَين ذلك المذكورِ، وقد يَذكُرُ الذَّاكِرُ أشياءَ مُخْتَلِفةً ثمَّ يُشيرُ إليها بـ"ذلِكَ"، ويَحْسِب الحَاسبُ أَعدَادًا مُتكاثرةً ثُمَّ يَقُولُ: فذلك كَيت وكَيتَ، على مَعْنى: فذلك المحسُوبُ أو المَعدُود.

﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾﴾

﴿ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ﴾: بَيَّنَّا له القِصصَ العَجِيبَة من قِصَصِ الأوَّلِينَ، ووصَفْنَا لهُم ما أَجرَوا إليه من تكذيب الأنبيَاء ....

قوله: (بِفَلْجِ اليمامة) الفَلْج: النهر الصغير، والفلَج -بالتحريك- لغة فيه.

قوله: (قوم صالح) عطف بيان لقوله: (ثمود).

قوله: (حنظلة) عطف بيان للنبيّ.

قوله: (وهي تنقضُّ) انقضَّ الطائر: هوى في طيرانه، ومِنه انقضاض الكوكب.

قوله: (الأخدود) "الأُخدُود": الخَدُّ في الأرض؛ وهو الشِّق، وسيأتي قصّة ذلك في سورة البروج.

قوله: (ووصفنا[1] لهم) باعتبار معنى الكلّ.

---

[1] ن: ووضعنا.

وجَرى عليهم من عَذاب الله وتَدْمِيره، والتَّتبِيرُ: التَّفتيتُ والتَّكسيرُ، ومنه: التِّبرُ، وهو كُسارُ الذَّهب والفضَّة والزُّجاج.

و﴿وَكُلًّا﴾ الأوَّلُ منصوبٌ بما دلَّ عليه ﴿ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾ وهو: أَنذرنَا، أو: حَذَّرنَا، والثاني: بـ﴿تَبَّرْنَا﴾؛ لأنَّه فارغٌ له.

﴿وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾﴾

أراد بـ﴿ٱلْقَرْيَةِ﴾: سَدُومَ مِن قُرَى قَومِ لُوط، وكانت خمْسًا: أهلك الله أَربعًا بأَهلها وبَقِيَتْ واحدةٌ.

و"مَطَرُ السَّوء": الحجَارةُ، يَعني: أنَّ قُريشًا مَرُّوا مِرَارًا كثيرَةً في مَتَاجِرهِم إلى الشَّام عَلى تلك القرية التي أُهلِكت بالحجَارة من السَّماء ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا۟﴾ في مِرارِ مُرُورهم يَنظُرون إلى آثارِ عذاب الله ونكالِه ويَذَّكَّرُونَ ﴿بَلْ كَانُوا۟﴾ قومًا كفرةً بالبَعث ﴿لَا﴾ يتوقَّعُونَ ﴿نُشُورًا﴾ وعَاقبةً، فوُضِعَ الرَّجاءُ مَوضع التوقُّع؛ لأنه إنما يَتوقَّعُ العَاقِبةَ مَن يُؤمِن، فَمِن ثَمَّ لَم يَنظُروا ولم يَذكَّرُوا ومَرُّوا بها كما مَرَّت ركَابُهم.

أو: لَا يَأمُلُون نشُورًا كما يأمُله المُؤمِنُونَ لطَمعِهم في الوُصول إلى ثواب أعمالهم.

أو: لا يخافون، على اللُّغةِ التِّهاميَّة.

قوله: **(وبقيت واحدة)** هي سَدوم.

قوله: **(في مِرار)** جمع المرَّة.

قولـه: **(ينظرون)** أي: يتفكّرون، فلذلك قال بعده: فمِن ثمّة[1] لـم ينظروا، وإنّما فسّر ﴿يَرَوْنَهَا﴾ بقوله: "ينظرون" بمعنى التفكّر؛ لأنّهم لمّا لم يتفكّروا فكأنّهم[2] لم يروها.

قوله: **(كما يأمُله المؤمنون)** وحاصل هذا الوجه: لمَ لا يؤمنون ويعملون مثلَ المؤمنين ليأمُلوا مثلَ أملهم؟

---

[1] ف ن: ثمَ.

[2] ن: وكأنّهم.

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾

﴿أَن﴾ الأُولى نافيةٌ والثَّانيةُ مخفَّفةٌ من الثَّقيلة، واللَّامُ هي الفارقةُ بينهما.

و"اتَّخذه هُزوًا" في مَعنَى: استهزاءً به، والأصْلُ: اتَّخذهُ مَوضعَ هُزُوٍ، أو مَهزوءًا به.

﴿أَهَٰذَا﴾ مَحْكيٌّ بَعد القَول المُضمَر، و"هذا" استصغَارٌ، و﴿بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ وإخراجُه في مَعْرِضِ التَّسليمِ والإقرارِ -وهم على غايةِ الجحُودِ والإنكار- سُخرِيةٌ واستِهزاءٌ، ولو لم يَستَهزِئوا لقالُوا: أهذا الَّذي زعَم أو ادَّعَى أنَّه مَبعُوثٌ من عِند الله رسُولًا.

وقولهم: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾ دليلٌ على فَرْطِ مُجَاهَدةِ رسولِ الله في دعوتهم وبَذلهِ قُصَارى الوُسع والطَّاقة في استعطافهم مع عَرضِ الآياتِ والمُعجزات عليهم حتَّى شَارَفوا بزُعْمِهم أَنْ يَترُكُوا دينَهُم إلى دِين الإسلام لولا فَرطُ لَجَاجِهم واستمسَاكِهم بعبَادة آلِهتِهم.

و﴿لَوْلَآ﴾ في مثل هذا الكلام جَارٍ -من حيث المَعنى لا من حيثُ الصَّنعةُ- مَجرَى التَّقييد للحُكْم المُطلَقِ.

قوله: (**موضع هُزْءٍ**) إن كان "هزْء" مصدرًا فالتقدير: موضع هزْءٍ، حذف المضاف، وإن كان "فُعْلًا" بمعنى "مفعول" فالتقدير: مَهزوءًا به.

قوله: (**و"هذا" استصغار**) يعني: لفظة "هذا".

قوله: (**و﴿بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾**) يعني: وهذا الكلام، فهو في محلّ الرفع على الابتداء. وقوله: (**وإخراجه**) عطف عليه، وهو مِن العطف الذي يكون للبيان. وقوله: (**سُخْرِيَة**) خبر المبتدأ.

قوله: (**مِن عند الله رسولًا**) "رسولًا" حال.

قوله: (**في استعطافهم**) أي: إمالتهم.

[٢٠٠و] قوله: (**مِن حيث الصنعة**) / صناعة النحو تقتضي أنّ كلمات الشرط يأتي بعدها جملتان؛ شرط وجزاء، وقد تأتي في بعض المواضع الذي يراد به

﴿وَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ وَعيدٌ ودَلالةٌ عَلى أَنَّهم لا يَفُوتُونَهُ وإِن طالَت مُدَّةُ الإِمهَالِ، ولا بُدَّ لِلوَعيدِ أَن يَلحَقَهُم فلا يَغُرَّنَّهم التَّأخيرُ.

وقوله: ﴿مَنۡ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ كالجواب عن قَولهم: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾؛ لأنَّه نِسبةٌ لرسُول الله صلى الله عليه وسلم إلى الضَّلال من حَيثُ لا يُضِلُّ غيرَهُ إلَّا مَن هو ضَالٌّ في نَفسه.

ويُروَى أنه من قولِ أبي جَهل لعنه اللهُ.

﴿أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾

مَن كانَ في طاعة الهَوى في دِينه يَتبَعُه في كُلِّ ما يأتِي ويَذرُ لا يتبَصَّرُ دليلًا ولا يُصغِي إلى بُرهَانٍ فهُوَ عَابدُ هَواهُ وجَاعِلُه آلِهَةً، فيَقولُ لرسُوله: هذا الذي لا يرَى مَعبُودًا إِلَّا هَواه كيف تَستَطيع أَن تَدعُوَهُ إلى الهُدَى، أَفتَتَوكَّلُ عليه

تقييد الجملة المتقدّمة محذوفًا جوابها، فيتقيّد بها الجملة المذكورة قبلها، ويكون جوابها محذوفًا، وكما تكون[1] كلمات الشرط بهذه الحيثيّة، فكذلك نقول في "لولا"، فإنّ حكمَها حكم كلمات الشرط في اقتضاء الجملتين وتقدير الربط بينهما.

قوله: **(في دينه)** الدين: العادة والشأن. وقوله: "في دينه" حال مِن الضمير المستتر في خبر "كان". وقوله: **(في طاعة الهوى)**،[2] وقوله: **(يتبعُه)** أي: يتبع الهوى، بدل عن قوله: "في طاعة الهوى"... إلخ بطريق البيان، أي: مَن كان تابعًا لهواه[3] في جميع ما يفعله ويتركه فكأنّه يعبد هواه.

قوله: **(فيقول لرسوله)** أي: يقول الله تعالى، وهذه الجملة مسبّبةٌ عن قوله: **(مَن كان)**... إلخ.

قوله: **(هذا الذي لا يرى معبودًا)** إشارة إلى أنّ ﴿أَرَءَيۡتَ﴾ ممّا يتعدّى إلى مفعولين، و﴿مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ مفعوله الأوّل، وحذِف مفعوله الثاني،

---

١ ن: يكون.

٢ في الأصول الخطّيّة: "في طاعة الله"، وأثبتُّ ما في مطبوع الكشاف.

٣ ن: لهداه.

وتُجْبِرُه على الإسْلام وتقولُ: "لا بُدَّ أنْ تُسْلِمَ شِئتَ أَو أَبيتَ" ولا إكراه في الدِّين، وهذا كقوله: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ [ق ٥٠/٤٥] ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية ٨٨/٢٢].

ويُروى: أنَّ الرَّجُلَ منهم كان يَعبُد الحجَر فإذا رأَى أَحسنَ منه رمَى به وأخَذ آخَر، ومِنهم الحَارثُ بنُ قيسٍ السَّهميُّ.

وهو: "كيف تستطيع...؟" بدلالة قوله: ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾، فإن قيل: "رأيت" هنا بمعنى: علمت، فكيف ساغ حذف أحد مفعوليه؟ قلت: لمّا كان قوله: ﴿أَفَأَنتَ﴾... إلخ دالًّا عليه دلالة ظاهرة ساغَ ذلك، ومثله كثير مذكور في هذا الكتاب. والتحقيق أن يقول: ﴿أَرَءَيْتَ﴾ هنا بمعنى: أخبرني، والإخبار إنّما يتعدّى إلى مفعول واحد، وما يُذكر بعده مِن المفاعيل الثلاثة نحو: أخبرتُ زيدًا عَمرًا فاضلًا، فزيدًا هو المفعول به مِن جملتها، وأما الآخران فهُما واقعان موقع المصدر، فإذا قلتَ: أخبرتُ زيدًا عَمرًا فاضلًا، فكأنّك قلتَ" أخبرتُ زيدًا خبرًا، ثمّ فصَّلته[1] بعد ذلك، ومثله: حدَّثت زيدًا عَمرًا فاضلًا، كما قُرّر وبُيّن في موضعه.

قوله: (**شئتَ**) حال مِن الضمير في "تُسلّم".[2]

قوله: (**ولا إكراه**) حال مِن الضمير في "تقول" أي: أتقول له ذلك، والحال أنّ الله تعالى لم يُجْرِ أمر الإيمان على الإجبار والقَسْر؛ ولكن على التمكين والاختيار.

قوله: (**﴿بِمُصَيْطِرٍ﴾** [الغاشية ٨٨/٢٢]) المسيطر والمصيطر: المسلَّط على الشيء ليشرف عليه ويتعهّد أحواله ويكتب عمله، وأصله مِن السَّطْر؛ لأنّ الكتاب مَسَطَّرٌ.

قوله: (**ويُروى**) عطف على قوله: (**من كان**)... إلخ، فهو إشارة إلى وجهٍ آخَر مِن التفسير.

---

[1] ف ن: فضّلته.

[2] ن: تسْلّم.

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾

﴿أَمْ﴾ هذه مُنقطعةٌ، مَعناه: بل أَتحسَبُ؛ كأنَّ هذه المَذمَّةَ أَشدُّ من التي تَقدَّمَتْها حتى حُقَّتْ بالإضراب عنها إليها، وهي كونُهم مَسْلُوبِي الأَسْماعِ والعقُول؛ لأنَّهم لا يُلقُونَ إلى استماعِ الحقِّ أُذُنًا ولا إلى تَدَبُّرِه عَقْلًا، ومُشبَّهِينَ بالأنعام التي هي مَثَلٌ في الغَفْلَةِ والضَّلالة بل هم أَرجَحُ ضَلالةً منها.

فإن قلتَ: لِم أُخِرَ ﴿هَوَىٰهُ﴾، والأصلُ قولُكَ: اتَّخَذ الهَوى إلهًا؟

قلتُ: ما هُو إلَّا تَقديمُ المفعول الثاني على الأوَّل للعنَاية؛ كما تقول: عَلمتُ مُنطلِقًا زيدًا، لِفَضلِ عنايتكَ بالمُنطَلِق.

فإن قلتَ: ما مَعنى ذِكرِ الأكثَر؟

قوله: (**"أم" هذه منقطعة**) يعني: أنّ "أم" هنا بمعنى "بل"، والهمزة و"بل" هنا لترك الأوّل والنظر فيما هو أهمّ، وهو معنى قوله: (**حُقّتْ**)، أي: صارت هذه المَذَمّة حقيقًا وجديرًا بالإضراب عن المَذَمّة الأولى إليها، يقال: حُقَّ لك أن تفعل كذا، وهو حقيق به، ومحقوق به، أي: خليق جَدير.

قوله: (**وهي كونهم**) أي: الحالة المذمومة الأشدّ، أضمرها لدلالة المذمّة عليها.

قوله: (**عنايتك**) فإنّ العناية بذكر[1] الآلة أشدّ، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ [الأنعام ٦/١٠٠]، على أنّ ﴿لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ مفعولا ﴿وَجَعَلُوا﴾، قُدّم الثاني على الأوّل، / وذكر صاحب **المفتاح** هذه الآية[2] في أمثلة ما يكون الغرض [٢٠٠ظ]
مِن التشبيه عائدًا إلى[3] المشبّه به، لا إلى المشبّه؛ للإشارة إلى أنّ معنى التشبيه فيه أشدّ، فيَقلبون التشبيه لهذا المعنى، كقول الشاعر:

وبَدا الصباح كأنّ غُرّته ... وجهُ الخليفة حين يُمتدَح[4]

---

[1] ن: بد.

[2] في هامش د: أي: قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾؛ لأنّ معناه: مَن اتخذ هواه مثل معبوده.

[3] ن – إلى.

[4] لمحمّد بن وُهيب في **أسرار البلاغة** للجرجاني، ص ٢٢٣؛ وزهر الآداب للقيرواني، ٣/٦٥٢.

قلتُ: كأنَّ فيهم مَن لم يَصُدَّهُ عن الإسلامِ إلَّا داءٌ واحدٌ: وهو حُبُّ الرِّياسَةِ، وَكَفى به دَاءً عُضَالًا.

فإن قلتَ: كيف جُعِلوا أضَلَّ من الأنعام؟

قلتُ: لأنَّ الأنعام تَنقَادُ لأَربابِها التي تَعلِفُها وتَتعَهَّدُها، وتعرِفُ مَن يُحسِنُ إلَيها مِمَّن يُسيءُ إليها، وتَطلبُ ما يَنفَعُها وتجتَنِبُ ما يَضرُّهَا، وتَهتدِي لمَراعيها ومَشَارِبها، وهؤلاء لا ينقَادُون لرَبِّهم ولا يَعرفُونَ إحسانَه إليهم مِن إساءَةِ الشَّيطان الذي هو عَدوُّهم، ولا يَطلُبُونَ الثَّوابَ الذي هو أعظمُ المنافِعِ، ولا يَتَّقُونَ العِقَابَ الذي هو أشَدُّ المضَارِّ والمَهالِكِ، ولا يَهتدون للحقِّ الذي هو المشرَعُ الهَنِيُّ والعَذبُ الرَّوِيُّ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: ألم تنظُرْ إلى صُنْع ربِّك وقُدرتهِ؟ ومَعْنى مَدِّ الظِّلِّ: أنْ جَعَله يَمتَدُّ وينبَسِط فيَنتفعُ به النَّاسُ.

﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾؛ أي: لاصقًا بأصلِ كلِّ مُظِلٍّ من جَبلٍ وبناءٍ وشَجرة

فإنّه تعمّد[١] إيهام أنّ وجه الخليفة في الوضوح أتمّ مِن الصباح، وكقوله تعالى حكاية عن مُستَحلّي الربا: ﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ [البقرة ٢/٢٧٥]، في مقام: إنّما الربا مثل البيع، ذهابًا مِنهم إلى جعل الربا في باب الحلّ أقوى. فكذا[٢] في هذه الآية إشارة إلى أنّ اعتناءهم بمتابعة الهوى أشدّ مِن اعتنائهم بامتثال أوامر الله تعالى ونواهيه.[٣]

قوله: **(داءً عُضالًا)** أمرٌ عُضالٌ وداءٌ عُضالٌ، أي: شديد أعيى الأطباء، يقال: أعضلني فلان، أي: أعياني، وقد أعضل الأمر، أي: اشتدّ.

---

١ ن: تعهّد.

٢ ن: فكذى.

٣ انظر: **مفتاح العلوم** للسكّاكي، ١/٣٤٣-٣٤٥.

غَيرَ مُنبَسطٍ، فلَم يَنتَفِعْ به أحدٌ، سَمَّى انبسَاطَ الظلِّ وامتدادَه تَحرُّكًا مِنه، وعَدمَ ذلك سُكونًا.

ومعنى كونِ الشمس دليلًا: أن الناس يَستدلُّون بالشَّمس وبأَحوالِها في مَسيرِهَا على أحوال الظِّلِّ: من كونه ثابتًا في مكانٍ وزائلًا، ومُتَّسعًا ومُتقَلِّصًا، فيَبنُون حاجتَهم إلى الظِّلِّ واستغناءهُم عنه على حَسَب ذلك.

و"قَبضُهُ إلَيه": أنَّه ينسَخُهُ بضِحِّ الشمس.

﴿يَسِيرًا﴾؛ أي: على مَهَلٍ، وفي هذا القبضِ اليَسير شيئًا بَعدَ شيءٍ من المنافع ما لا يُعَدُّ ولا يُحصَى، ....

قوله: (سُمّي انبساطُ الظلّ)... إلخ، فالظلّ المنبسِط كأنّه متحرّك، سمّي انبساطه تَحرّكًا مجازًا؛ لأنّ المنبسِط يشغَل بانبساطِه أحيازًا كثيرة، كالمتحرّك يحصل بالحركة في أحياز كثيرة.

قوله: (ومتقلّصًا) يريد: بتقلُّص الظلّ: ضدَّ اتساعه، يقال: قَلَص وقَلَّص[1] وتقلَّص، كلُّه بمعنًى: انضمّ وانزوَى، يقال: انقلصتْ شَفَتُه، أي: انزَوت، وقلَص الثوبُ بعدَ الغسل، وشَفَة قالِصة، وظلّ قالِصٌ إذا نقص.[2] وقوله: (على حسب ذلك) أي: على قدْر ثُبوته وزواله واتّساعه وتقلُّصه.

قوله: (بِضِحّ الشمس) الضِحّ: ضوء الشمس إذا استَمكن مِن الأرض، وكان ابن الأعرابيّ يقول: هو لون الشمس. وفي الحديث: «لا يَقعُدَنَّ أحدُكم بينَ الضِحّ والظلّ، فإنّه مَقعد الشيطان».[3]

قوله: (شيئًا بعد شيء) "شيئًا" مفعول "القبض". وفي قول المصنِّف: "شيئًا بعد شيء" إشارة إلى معنى قوله تعالى: ﴿يَسِيرًا﴾، يعني: أنّ المراد بـ"القبض اليسير": أن يَقبِضَ الظلَّ شيئًا بعد شيء، ولا يَقبضَه جملةً واحدة.

---

[1] ن: وقُلِّص.

[2] **الصحاح** للجوهري، «قلص».

[3] انظر: **مجمَل اللغة** لابن فارس، «ضحح»؛ و**الصحاح** للجوهري، «ضحح». والحديث في **مسند الإمام أحمد**، ١٤٧/٢٤ (١٥٤٢١).

ولو قُبِضَ دفعةً واحدةً لتعطَّلت أكثَرُ مَرافق النَّاسِ بالظِّلِّ والشمس جميعًا.

فإن قلتَ: ﴿ثُمَّ﴾ في هذين المَوضِعين كيف مَوقعُها؟

قلتُ: مَوقعُها لبيَان تَفاضُل الأمُور الثَّلاثة: كأنَّ الثَّانيَ أعظَمُ من الأول، والثالثَ أعظَمُ منهما؛ تَشبيهًا لتَباعُد ما بَيْنَها في الفَضل بتباعُدِ ما بين الحَوادث في الوقت.

ووجهٌ آخرُ: وهو أنه مدَّ الظِّلَّ حينَ بنَى السَّماءَ كالقُبَّةِ المضروبة ودحَا الأرضَ تحتَها، فألْقتِ القُبَّةُ ظلَّها على الأرض فَينَانًا ما في أديمِه جُوَبٌ لعَدم النيِّر

قوله: (**مَرافق**) المَرفِق[1] والمِرفَق مِن الأمر: هو ما ارتفقتَ[2] به وانتفعتَ به.[3]

قوله: (**تشبيهًا**) مفعول له، والعامل فيه قوله: (**لبيان**)، فإنّ جواز استعمال "ثمّ" لتباعد ما بين الأشياء في الفضل مع أنّها موضوعة لتباعد ما بين الحوادث في الوقت، إنّما هو للتشبيه المذكور. فكأنّه قال: موقعها حاصل للبيان المذكور؛ لأجل التشبيه، أي: علّة صحّة استعمالها للبيان المذكور هو التشبيه.

قوله: (**فَيْنانًا**) حال مِن "الظلّ"، يعني: تامًّا ممتدًّا طويلًا، ليس جُوَبٌ في ذلك الظلِّ لعدم النيِّر، فإنّه إذا لم يكن نيّر يكون الظلّ منبسِطًا تامًّا ممتدًّا، ولو كان نيّر مثل الشمس لم يكن الظلّ ممتدًّا مِن غير فُرَج؛ بل تخلّل بين أجزائه فُرَج كما هو الآن، أي: عند ظهور النيِّر، قال في **الصِّحاح**: «فَيْنانٌ: حَسَنُ الشَّعر طويلُه، وهو فَعلانُ».[4] ثمّ قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ﴾، أي: أراد بقاءَ الظلِّ على حاله ممتدًّا لمّا خلق الشمس؛ ليكون الظلّ باقيًا على / امتداده؛ لكن أراد تغييره فخلَق الشمس وسلَّطها على الظلّ، فالظلّ تابع للشمس كما يتبع تابعُ الدليل الدليلَ، والمراد بكون الظلِّ تابعًا للشمس: أنّ زيادةَ الظلِّ ونقصانَه بالشمس. [٢٠١و]

قوله: (**ما في أديمه**) "ما" للنفي، و"الأديم": هو الجلد المدبوغ المُصلَح بالدِّباغ، يعني: ليس في ظاهر ذلك الظِّل فُرَج. وقوله: (**جُوَبٌ**) الجُوب: جمع جَوْبة؛

---

[1] ن: المرافق.

[2] د: ارتفعتَ.

[3] **الصحاح** للجوهري، «رفق».

[4] **الصحاح** للجوهري، «فين».

﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ مُستقرًّا على تلك الحالة، ثمَّ خلَق الشَّمسَ وجَعلَها على ذلك الظلِّ؛ أي: سَلَّطَها عليه ونصَبها ﴿دَلِيلًا﴾ مَتبوعًا له كما يُتبَعُ الدَّليل في الطريق، فهو يَزيدُ بها وينقصُ ويمتَدُّ ويَقلِصُ، ثمَّ نَسخَه بها فقبضَهُ ﴿قَبْضًا﴾ سَهْلًا ﴿يَسِيرًا﴾ غيرَ عسيرٍ.

ويَحتمِلُ أن يريد قَبْضَه عند قيام السَّاعة بقَبْض أسبابهِ وهي الأَجرامُ التي تُلقي الظِّل، فيَكونُ قد ذكَر إعدَامَه بإعدامِ أسبَابه كما ذكَر إنشاءَه بإنشاءِ أسبابه، وقوله: ﴿قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا﴾ يدُلُّ عليه، وكذلك قوله: ﴿يَسِيرًا﴾ كما قال: ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق ٥٠/٤٤].

وهي الفُرَج، كنُوَبٍ في جمع نَوبة.[١] وقوله: (**على ذلك**) تفسير لقوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ﴾،[٢] فهو مفعول ثانٍ لـ"جعل".[٣] وقوله: ﴿دَلِيلًا﴾ حال مِن ﴿ٱلشَّمْسَ﴾، أو مِن الضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾، أو هو[٤] مفعول ثالث لـ"جعل" بالمعنى المذكور في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان ٢٥/٢٣]، أعني: هو تكرير للمفعول الثاني.

قوله: (**مَتبوعًا له**) الضمير المستتر في "متبوعًا" يعود إلى "دليلًا"،[٥] وضمير "له" يعود إلى "الظلّ"، فإنّ الظلَّ تابع لذلك الدليل، فيكون الدليل متبوعَه، وقول المصنِّف: (**دليلًا**) منصوب بقوله: (**نصبَها**).

قوله: (**سهلًا**)... إلخ إشارة إلى أنّ معنى ﴿قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ على هذا غيره على المعنى الأوّل، فتأمّل، فمعنى ﴿ثُمَّ﴾ في ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا﴾: تراخي الزمان، بخلافه في ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ﴾.

قوله: (**كما ذكر**) بقوله: ﴿مَدَّ﴾ إلى ﴿دَلِيلًا﴾. وقوله: (**إنشاءه**) يقال: أنشأه الله تعالى، أي: خلقه. وقوله: (**يدلّ عليه**) يعني: أنّ قوله تعالى: ﴿إِلَيْنَا﴾ يدلُّ على أنَّ المراد بالقبض: إعدامه يوم القيامة.

---

١ ن + وقوله: (نوبة).
٢ ف - ﴿عَلَيْهِ﴾.
٣ ن: بجعل.
٤ ف - هو.
٥ ن: دليل.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾

شبَّه ما يَستُر من ظَلام اللَّيل باللِّباس السَّاتر، و"السُّباتُ": المَوتُ، والمسبُوت: الميّتُ؛ لأنّه مَقطُوعُ الحَياة، وهذا كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ [الأنعام ٦/٦٠].

فإن قلتَ: هَلَّا فسَّرْتَهُ بالرَّاحَةِ؟

قلتُ: النُّشورُ في مقابَلَتِه يأباهُ إباءَ العَيُوف الوِرْدَ وهو مُرَنَّقٌ.

وهذه الآيةُ مَع دلالتها على قُدرة الخالق فيها إظهارٌ لِنعمتِه على خَلْقه؛ لأنَّ الاحتجابَ بِستر اللَّيل كم فيه لِكثيرٍ من النَّاس من فَوائدَ دينيَّةٍ ودنياويَّة،

قوله: (**شُبّه ما يستُر**) تقديره: جُعل الليل كاللباس، فحُذِف حرف التشبيه، وكذا التقدير: والنوم كالسُّبات، فحذِف حرف التشبيه منهما، ولا يجوز أن يقال: هو استعارة؛ لذِكر المشبّه.

قوله: (**لأنّه مقطوع الحياة**) هذا إشارة إلى أنّ "السبت" جاء بمعنى: القَطع، ومنه: سَبَتَ رأسه، أي: حلَقه.

قوله: (**إباءَ العَيوف**) إلى (**مُرَنّق**) نصف بيت مِن البحر الطويل،[١] ضمَّنه المصنِّف في كلامه تحقيقًا وتأكيدًا لامتناع تفسير "السُّبات" بالراحة في الآية، فقال: قوله تعالى: ﴿نُشُورًا﴾ في مقابلة قوله تعالى: ﴿سُبَاتًا﴾ يمنع مِن تفسير "السُّبات" بالراحة منعًا قويًّا؛ وذلك لأنّ مقابلة "النشور" بالراحة ليست مناسبة، ومقابلته بالموت ظاهر المناسبة. والعَيُوف مِن الإبل: هو الذي يشمُّ الماءَ فيدعه وهو عَطشان. أرْنَقْتُ الماء ورَنَّقته ترنيقًا: كدَّرته.[٢] والوِرد: المَورود. عاف الرجل الطعام والشراب: كرِهه فلم يشربه ولم يطعَمه.

قوله: (**لأنّ الاحتجاب بستر الليل**) قريب مِن هذا المعنى قول المتنبّي:

وكم لظلامِ الليل عندك مِن يدٍ ... تُخَبِّرُ أنّ المانويّة تكذبُ

---

[١] لم أجد تمامه ولا قائله في ما بحثت فيه مِن المصادر. [٢] ن: لدَّرته.

والنَّومُ واليقَظةُ -وشبَّهَهما بالمَوت والحَياة- أيُّ عَبرةٍ فيهمَا لمَن اعتَبرَ.

وعن لقمان أنَّه قال لابنِه: يا بُنيَّ كمَا تَنامُ فتوقَظ كذلك تَموتُ فتُنشَرُ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا ٤٨﴾

قرئَ: ﴿الريحَ﴾ و﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾.

﴿نَشۡرًا﴾: إحْيَاءً، و: ﴿نُشُرًا﴾: جَمعَ نشُور وهي المُحْيِيَةُ، و: ﴿نُشْرًا﴾: تخفيفَ نُشُر، و﴿بُشْرًا﴾ تخفيفَ بُشُرٍ: جَمع بَشُورٍ وبُشرَى.

و﴿بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦ﴾ استعَارةٌ مليحة؛ أي: قُدَّامَ المَطر.

وقـاكَ رَدى الأعـداء تسري عليهمُ   وزارَكَ فيه ذو الـدَّلال المُحجَّبُ[1]

"المانويّة": طائفة منسوبة إلى ماني، وهم قائلون بالنور والظلمة، يعتقدون أنّ النور خالق الخير، وأنّ الظلمة خالق الشرِّ، فكذَّبهم المتنبي بأنّ في الظلمة يكون خيرٌ كثيرٌ.

وفي قوله: (الاحتجاب) و(النوم)... إلى آخرهما لفّ ونشر على غير الترتيب، فتأمّل، فقوله: "الاحتجاب"... / إلخ بيان "النعمة"، وقوله: "النوم"... [٢٠١ظ]
إلخ بيان "القدرة". وقوله: (وشبَّههما) حال، و"قد" مقدّرة، والأَولى أن نقول:[2] هي جُملة معترِضة.

قوله: (استعارةٌ مليحةٌ) وذلك لما فيه مِن تشبيه المطر برجل كبير[3] القَدر عظيم الخَطَر، وتشبيه الريح بمَن يتقدّم ذلك العظيم القدْر ويمشي بين يديه تعظيمًا له وتوطئةً لطريقه، ويَقرُب منه قول من قال:

كـأنّـمـا الـمـرِّيـخُ والـمشـتـري   قـدّامـه فـي شـامـخ الـرِفْـعـهْ
مـنـصـرفٌ بـالـلـيـل عـن دعـوةٍ   قـد أُسـرِجَـتْ قُـدّامَـه شـمـعـهْ[4]

---

[1] ديوان المتنبّي، ص ٤٦٤.

[2] ف: يقال.

[3] ف ن: كثير.

[4] هما للقاضي التنّوخي كما في نهاية الأرب للنويري، ٤٢/٧، وهما بغير نسبة في مفتاح العلوم للسكّاكي، ٣٣٧/١.

﴿طَهُورًا﴾: بليغًا في طهَارته، وعن أحمدَ بن يحيى: "هو ما كان طاهرًا في نَفسه مُطهّرًا لغَيره"، فإنْ كان ما قاله شَرحًا لبَلاغتِه في الطَّهَارة كان سَديدًا، ويَعضُده قولُه تَعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ [الأنفال ١١/٨] وإلَّا فلَيس فَعُولٌ من التَّفعيل في شيءٍ.

والطَّهُور على وجهين في العَربيَّة: صفةٌ، واسمٌ غيرُ صفة؛ فالصِّفة قولُك: "ماء طَهُورٌ" كقولك: "طَاهرٌ"، والاسمُ قولُك لِمَا يُتَطهَّرُ به: "طَهُور" كالوَضُوءِ والوَقُود لِمَا يُتَوَضَّأ به وتُوقَدُ به النَّار.

وقَولُهم: «تَطهَّرتُ طَهُورًا حَسنًا» كقولك: «وَضُوءًا حَسنًا» ذكره سيبويه، ومنه قولُه عليه الصلاة والسلام: «لا صلاةَ إلّا بطَهُور»؛ أي: بطهارةٍ.

قوله: **(مطهّرًا لغيره)** قال محيي السنّة في **شرح السنّة** بإسناده: سأل رجل رسولَ الله عليه الصلاة والسلام: إنّا نركب البحر، أفنتوضّأ[1] بماء البحر؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «هو الطَّهور ماؤه»،[2] ثمّ قال محيي السنّة: «فيه دليل على أنّ الطَّهور هو المطهِّر؛ لأنّهم سألوا عن تطهير ماء البحر، لا عن طهارته، فلولا أنّهم عَرفوا مِن 'الطَّهور' أنّ معناه: المُطهِّر لكان لا يزال إشكالهم بقوله عليه الصلاة والسلام: 'هو الطَّهور ماؤه'».[3]

قوله: **(شرحًا لبلاغته في الطهارة)** أي: لبلوغه الغاية في شأن الطهارة حتّى أثّر في غيره فجعله[4] طاهرًا، فإنّه لمّا كان بليغًا في طهارته تعدّى طهارتُه إلى طهارة غيره.

قوله: **(وإلّا فليس "فعول" مِن التفعيل في شيء)** "مِن" في "مِن التفعيل" للابتداء، وهو في محلّ الحال مِن "فَعول"، أي: ليس "فعول" مبتدِئًا أمره مِن التفعيل حاصلًا في شيء مِن الأشياء، يريد: أنّ "فَعولًا" ليس بمعنى اسم الفاعل من باب التفعيل.

قوله: **(وقولهم: تطهَّرْتُ طَهورًا حسنًا)**.

---

[1] ن: أفنتوضأ.

[2] شرح السنّة للبغوي، ٥٥/٢ (٢٨١). والحديث في سنن أبي داود، ٦٢/١ (٨٣)؛ وسنن الترمذي، ١٢٥/١ (٦٩).

[3] شرح السنّة للبغوي، ٥٦/٢.

[4] د: فجعلة.

فإن قلتَ: ما الذي يُزيل عن الماء اسمَ الطَّهُور؟

قلتُ: تيَقُّنُ مُخالَطةِ النَّجاسة، أو غَلبَتُها على الظنِّ، تَغَيُّر أحَدُ أوصافه الثَّلاثة أو لَم يَتغيَّر، أو استعمالُه في البَدَن ....

"الطَّهور" -بالفتح- مصدر بمعنى: التطهير، يقال: تطهَّرتُ طَهورًا حسَنًا، ومنه: «مفتاح الصلاة الطَّهور»،[١] «طَهور إناءِ أحدكم»،[٢] «حتّى يضع الطَّهور مواضعَه».[٣] واسم لِما يُتطهّر به، كالسَّحور والفَطور، وصِفة في قوله تعالى: ﴿مَآءً طَهُورًا﴾. وما حُكي عن ثعلبٍ أنّ الطَّهور ما كان طاهرًا في نفسه مطهِّرًا لغيره إن كان هذا زيادةً[٤] بيان لنهايته[٥] في الطهارة فصواب حسَن، وإلّا فليس "فَعول" مِن التفعيل في شيء، وقياس هذا على ما هو مشتقّ مِن الأفعال المتعدِّية -كقَطوعٍ ومَنوعٍ- غير سديد. مُغرِب.[٦]

اعلم أنّ ما ذكره في **المُغرب** في الردّ على ثعلب ضعيفٌ؛ لما نقلنا مِن **شرح السنّة** قبيل هذا، فـ"الطَّهور" إذا كان اسمًا يكون بمعنيين كالوَضوء، يعني: يكون اسم عين واسم معنًى.

قوله: (**قلت: تيقُّنُ مخالطةِ النجاسة**) هذا في الماء القليل.

قوله: (**أو استعماله في البدَن**)... إلخ؛ لما مرّ أنّه يَحسُن تفسير "الطَّهور" بالبليغ في الطهارة حتّى يكون طاهرًا في نفسه مُطهِّرًا لغيره، فعند الاستعمال في البدَن لأداء فرض الطهارة يزول عن الماء اسم الطَّهور، وكذا لأداء عبادة الطهارة على قولٍ على مذهب الشافعي رضي الله عنه[٧] كما عند أبي حنيفة رضي الله عنه.[٨] وأمّا على القول المختار في مذهب الشافعي فالوجه أن يقال:

---

[١] **سنن أبي داود**، ٤٥/١ (٦١)؛ **سنن الترمذي**، ٥٤/١ (٣).

[٢] **صحيح مسلم**، ٢٣٤/١ (٢٧٩).

[٣] قال فيه الحافظ ابن حجر: «لم أجده بهذا اللفظ، وقال النووي: إنه ضعيف غير معروف». **التلخيص الحبير** لابن حجر، ٢٢٤/١. وفي **مسند الإمام أحمد**، ٥٣٤/٣٦ (٢٢١٩٦) من قول أبي أمامة رضي الله عنه: «إذا وضعت الطَّهور مواضعه قعدت مغفورًا لك».

[٤] ن: ربيره.

[٥] ن: لهايته.

[٦] **المُغرب** للمطرّزي، «طهر».

[٧] د - رضي الله عنه. | انظر: **المجموع شرح المهذّب** للنووي، ١٥٧/١.

[٨] د - رضي الله عنه. | انظر: **الهداية** للمرغيناني، ٢٢/١.

لأداء عبَادةٍ عند أبي حنيفة رحمه الله، وعند مالك بن أنسٍ: ما لم يَتغيَّر أحدُ أوصَافه فهو طَهُورٌ.

فإن قلتَ: فما تقُولُ في قوله عليه السلام حين سُئلَ عن بئرِ بُضَاعة فقال: «الماءُ طَهُورٌ لا ينجِّسهُ شيء إلا ما غيَّر لَونه أو طعمَه أَو ريحَه».

قلتُ: قال الواقديُّ: كان بئرُ بضاعةَ طريقًا لِلماء إلى البَساتين.

[٢٠٢و] لأداء فرض الطهارة.[١] وقوله: **(عند أبي حنيفة)** فإنّ الماء المستعمل / نجِس عند أبي حنيفة.[٢]

قوله: **(عن بئر بُضاعة)** "بئر بُضاعةَ" التي في الحديث تُضمّ وتُكسَر. وقوله: **(«إلّا ما غيَّر لونَه أو طعمَه أو ريحَه»)**[٣] واعلم أنّ لونه لم يَرِد في الرواية؛ بل الحديث هكذا: «الماء طهورٌ لا يُنجّسه شيء إلّا ما غيّر طعمَه أو ريحَه»،[٤] ثمّ إنّ العلماء قاسوا اللون على الطعم والريح.[٥]

قوله: **(طريقًا للماء إلى البساتين)** فيكون ماؤها جاريًا، وما ذكره حُكم الماء الراكد، فلا يَرِد اعتراضًا، وفي هذا الجواب نظر؛ لأن النظر إلى عموم اللفظ

---

١ انظر: **المجموع شرح المهذّب** للنووي، ١/١٥٧.

٢ انظر: **الهداية** للمرغيناني، ١/٢٢.

٣ حديث بئر بضاعة أخرجه أصحاب **السنن** عن أبي سعيد الخدري، أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أنتوضّأ مِن بئر بُضاعة؛ وهي بئر يطرح فيها الحِيَض ولحم الكلاب والنتَن؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الماء طَهور لا ينجّسه شيء». انظر: **سنن أبي داود**، ١/٤٩ (٦٦)؛ و**سنن الترمذي**، ١/١٢٢ (٦٦). وليس فيه: «إلّا ما غيّر لونه أو طعمه أو ريحه»، وقد وردت هذه القطعة في حديث آخر، وهو الحديث التالي في الحاشية.

٤ انظر: **سنن الدارقطني**، ١/٣١ (٤٧).

٥ فيه نظر، فقد ورد ذكر "اللون" في رواية ابن ماجه والبيهقي وغيرهما عن أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ الماء لا ينجّسه شيء إلّا ما غلَب على ريحه وطعمه ولونه». **سنن ابن ماجه**، ١/٣٢٧ (٥٢١)؛ **معرفة السنن** للبيهقي، ٢/٨٢ (١٨٤٧). وقد تبع الجاربردي في هذه الحاشية قولَ بعض الفقهاء كالروياني والشيرازي والرافعي، وقد قال النووي رحمه الله: «وأمّا قول المصنّف: 'فنصَّ على الطعم والريح وقسنا اللون عليهما' فكأنّه قاله لأنّه لم يقف على الرواية التي فيها اللون، وهي موجودة في سنن ابن ماجه والبيهقي كما قدمناه، فإن قيل: لعلّه رآها فتركها لضَعفها، قلنا: هذا لا يصحّ؛ لأنّه لو راعى الضعف واجتنبه لترك جملة الحديث لضعفه المتّفق عليه». **المجموع شرح المهذب** للنووي، ١/١١١. ونقله الحافظ ابن حجر في **التلخيص الحبير**، ١/١٣٢.

﴿لِنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ۝٤٩﴾

وإنما قال: ﴿مَيْتًا﴾ لأنَّ البَلدةَ في مَعنى البَلَد في قوله: ﴿فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ [فاطر ٩/٣٥]، وأنَّه غيرُ جارٍ على الفِعل كفَعولٍ ومِفعَالٍ ومِفعيلٍ.

وقُرِئ: "ونَسْقِيَه" بالفَتح، وسَقى وأَسقَى: لُغتان، وقيل: أَسقَاه: جَعَل له سُقْيَا.

لا إلى خصوص المَورد، فالأَولى في الجواب: أنّه مخصوص بمفهوم قوله عليه الصلاة والسلام: «إذا بلغ الماء قُلّتَين لم يحمِلْ خَبَثًا».[١] واعلم أنّ الجواب الصواب أن نقول: كان ماء بئر بُضاعة أكثر مِن قُلّتين، قال محيي السنّة في **شرح السُّنّة**:

> هذا الحديث غير مخالف لحديث ابن عمر رضي الله عنه[٢] عن النبيّ عليه الصلاة والسلام: «إذا كان الماء قُلّتين ليس يحمل الخَبَث»؛ لأنّ ماء بئر بُضاعة كان كثيرًا لا يُغيّره وقوع هذه الأشياء، يعني: ما كان يُلقى فيها مِن الحِيَض ولحوم الكلاب والنتَن، قال قتيبة بن سعيد: «سألت قيّم بئر بُضاعة عن عمقها أكثر ما يكون الماء فيها، قال: إلى العانة، قلت: فإذا نقَص، قال: دون العورة». قال أبو داود: «مَدَدْتُ ردائي عليها فإذا عَرْضُها ستّةُ[٣] أذرع».[٤]

قوله: (**في قوله تعالى: ﴿فَسُقْنَٰهُ﴾** [فاطر ٩/٣٥]) مِن: ساقه يسوقه، يقال: ساق النَّعَم يسوقها سَوْقًا. وقوله: (**وأنّه غير جارٍ**) أي: أنّ[٥] "الميّت"...، وجه آخر لقوله تعالى: ﴿مَيْتًا﴾ دون "مَيتة"،[٦] فإنّه إذا لم يكن جاريًا على الفعل لا يؤنّث.

قوله: (**وقُرئ: "نَسْقِيَه"**)[٧] سقاه الله وأسقاه، والاسم: السُّقيا بالضمّ.

قوله: (**وقيل**) إشارة إلى الفرق بين سَقى وأسقى، قال في **الصِّحاح**: «يقال: سَقيتُه لشَفَته، وأسقيتُه لماشيته[٨] وأرضه».[٩] وقوله: (**سُقيا**) غير منصرِف؛ لأنّ ألف "فُعلى" لا يكون إلّا للتأنيث.

---

١ **سنن أبي داود**، ٤٦/١ (٦٣)؛ **سنن الترمذي**، ١٢٣/١ (٦٧).
٢ د - رضي الله عنه.
٣ د ف: ستُّ. ن - ستّ. | وصحّحتها مِن **شرح السنّة**.
٤ **شرح السنّة** للبغوي، ٦٢/٢.
٥ ف - أنّ.
٦ ن: مته.
٧ انظر: **الكامل** للهذلي، ص ٥٨٥؛ **وشواذّ القراءات** للكرماني، ص ٣٥٠.
٨ ن: لماشية.
٩ **الصحاح** للجوهري، «سقى».

الأناسيُّ: جمْعُ إنسيّ أو إنسانٍ، ونحوُه: "ظَرَابيُّ" في ظَرِبَان على قلب النُّون ياءً، والأصْلُ: أَناسِينُ وظَرابينُ، وقرئ بالتخفيف بحذف ياء أفاعيلَ؛ كقولك: "أَناعِمُ" في: أَناعيم.

فإن قلتَ: إنزالُ الماء موْصُوفًا بالطَّهارة وتَعْليلُه بالإحياء والسَّقي يُؤْذِنُ بأنَّ الطَّهارة شَرطٌ في صحَّة ذلك؛ كما تقول: حَملَني الأَميرُ عَلى فَرسٍ جَوادٍ لأَصِيدَ عليه الوحشَ؟

قلتُ: لمَّا كان سَقيُ الأنَاسيّ من جُملةِ ما أُنزل له الماءُ وصَفَهُ بالطَّهُور إكرامًا لَهُم وتتميمًا للمِنَّة عَلَيهم، وبَيانًا أَنَّ من حَقِّهم حينَ أراد اللهُ لهم الطَّهارةَ وأَرادهم عليها أنْ يُؤثِرُوها في بَواطِنهم ثم في ظَواهِرِهمْ، وأَنْ يَرْبَؤوا بأنفسِهم عن مُخالطة القَاذُوراتِ كُلِّها كما ربَّأ بِهم رَبُّهم.

قوله: (**في ظَرِبان**) مثل: القَطِران، و"الظَّرِبان": دُوَيبّة مثل الهِرَّة مُنتِنة الريح، تزعم الأعراب أنّها تَفسو في ثوب أحدهم إذا صادها، فلا يذهب رائحتُه حتّى يَبلى الثوب، وفي المثل: "فَسا بيننا الظِربان"،[1] وذلك إذا تقاطع القوم.[2]

قوله: (**قلتَ: إنزال الماء موصوفًا بالطهارة**) بل موصوفًا بالطهوريّة؛ لِما ذكَر ثعلب وغيره مِن العلماء المتقنين،[3] وعلى ما نقلنا مِن **شرح السنّة**.[4] وقوله: (**في صحّة ذلك**) أي: الإحياء والسَّقي، فكأنّه قيل: في صحة المذكور، كما في قوله تعالى: ﴿عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة ٢/٦٨].

قوله: (**قلتُ: لمّا كان سَقْيُ**) يعني: إنّما وصفه بالطهارة؛ لذِكر الأناسيّ، لا للإحياء ولا لسَقي الأنعام. وقوله: (**وأرادهم عليها**) إفْعال مِن الرَّوْدِ؛ وهو الطلب، أي: حملهم على رَوْد الطهارة، ويجوز أن يكون مِن الإرادة نقيض الكراهة، بتضمين الإرادة معنى الحمل، أي: حمَلهم عليها مريدًا منهم الطهارة. وقوله: (**وأن يَرْبَئوا بأنفسهم**) رَبَئوا بأنفسهم، أي: رفَعوا أنفسهم.

---

١ انظر: **مجمع الأمثال** للميداني، ٢/٧٤.

٢ ف: الدم. | **الصحاح** للجوهري، «ظرب».

٣ انظر: **المصباح المنير** للفيّومي، «طهر»؛ **والمُغرب** للمطرّزي، «طهر».

٤ انظر: **شرح السنّة** للبغوي، ٢/٥٦.

فإن قلتَ: لِمَ خَصَّ الأَنْعامَ من بين ما خَلَق من الحيوان الشَّارب؟

قلتُ: لأنَّ الطَّير والوحش تُبعِدُ في طَلب الماء فلا يُعْوِزُها الشُّرْبُ بخلاف الأنعام؛ ولأنَّها قِنْيَةُ الأناسيِّ وعَامَّةُ منَافِعهم متعَلِّقةٌ بها، فكان الإنعامُ عليهم بسَقْي أنعامهم كالإنعام بسَقْيهم.

فإن قلتَ: فما معنى تنكير الأنعام والأناسيِّ ووَصْفِها بالكثرة.

قلتُ: معنى ذلك: أنَّ عِلْيةَ النَّاسِ وجُلَّهم مُنِيخُون بالقُرب من الأودية والأنهار ومنابعِ الماء، فبِهِم غُنْيَةٌ عن سَقي الماء، وأعقَابُهم -وهم كثيرٌ منهُم- لا يُعِيشُهم إلَّا ما يُنزِل الله من رَحْمته وسُقيَا سَمائه، وكذلك قَولُه: ﴿لِنُحۡـِۧيَ بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا﴾ يُريد بعضَ بلادِ هؤلاءِ المُتَبعِّدينَ عن مظانِّ الماء.

فإن قلتَ: فلِم قُدِّم إحياءُ الأرض وسَقيُ الأنعام على سَقي الأَناسيِّ؟

قلتُ: لأنَّ حياةَ الأناسيِّ بحياة أَرضهم وحياةِ أَنعَامِهم، فقُدِّم ما هو سَبَبُ حيَاتهم وتَعيُّشِهم على سَقْيهم؛ ولأنَّهم إذا ظفِرُوا بما يكون سُقيا أَرضِهم ومَواشيهم لم يَعْدَمُوا سُقيَاهُم.

﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ۝٥٠﴾

يُريد: ولقَد صَرَّفنا هذا القولَ بَيْنَ الناس في القرآن وفي سائر الكُتب والصُّحف التي أُنزِلَتْ على الرُّسل -وهو ذكرُ إِنشَاءِ السَّحاب وإنزالِ القَطْر-

قوله: / **(فلا يُعوِزها)** يقال: أعوزه الشيء، إذا احتاج إليه فلم يقدر عليه. [٢٠٢ظ]

قوله: **(ولأنّها قِنْيَة)** قَنوت الغنم وغيرها قِنْوةً وقُنْوةً، وقَنَيْتُه أيضًا قِنْيةً وقُنْيَةً إذا اقتَنيتَها لنفسك لا للتجارة.[١]

قوله: **(قلت: معنى ذلك: أن عِلْيةَ الناس)** فلان مِن عِلْية الناس، وهو جمع: رجل عَليٍّ، أي: شريف رفيع، مثل: صَبيّ وصِبْية.[٢]

قوله: **(وهو ذِكر)** أي: "القول".

[١] **الصحاح** للجوهري، «قنا».

[٢] ف: وصبيَة. | **الصحاح** للجوهري، «علا».

لِيُفكِّرُوا ويَعتبرُوا ويَعرفُوا حقَّ النِّعمة فيه ويَشكُروا ﴿فَأَبَىٰ﴾ أكثرُهم إِلَّا كُفرانَ النِّعمة وجحُودَها وقلَّةَ الاكتراثِ لها.

وقيل: صَرَّفنَا المَطَر بينهم في البُلدانِ المختلفة والأَوقاتِ المتغايرةِ، وعلى الصِّفات المتفاوتة: من وابِلٍ وطَلٍّ، وجَوْدٍ ورَذَاذٍ، ودِيمةٍ ورِهَامٍ، فأَبَوا إِلَّا الكُفُورَ وأن يقُولوا: "مُطِرنا بنَوءِ كذا"، ولا يَذْكُرُوا صُنعَ الله ورحمتَه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ما مِن عامٍ أَقلُّ مَطرًا مِن عام؛ ولكن الله قسَم ذلك بين عبَاده على ما شاء. وتَلا هذه الآية.

ورُوي: أنَّ الملائكة يَعرفون عدَدَ المَطر ومقدارَه في كلِّ عام؛ لأنَّه لا يَختلِفُ؛ ولكنْ تَختلِفُ فيه البلاد.

قوله: (**حقَّ النعمة فيه**) أي: في كلّ واحد مِن إنشاء السحاب والمطر،[1] فأفرد الضمير باعتبار كلّ واحدٍ واحدٍ؛ أو لأنّهما في حكم الشيء الواحد؛ لأنّ المقصود هو إنزال المطر بإنشاء السحاب.

قوله: (**الاكتراث**) أي: المبالاة.

قوله: (**وجَوْدٍ**) الجَود: المَطر الغزير، يقول: جادَ المطر يجود جَودًا، فهو جائد، والجمع: جَوْدٌ، مثل: صاحب وصَحْب.[2]

قوله: (**ورَذاذٍ**) أي: المَطر الضعيف.

قوله: (**ورِهامٍ**) الرِهْمة -بالكسر-: المطرة[3] الضعيفة الدائمة، والجمع: رِهَمٌ ورِهام.[4]

قوله: (**وأنْ[5] يقولوا**) عطف على (**الكُفور**) بطريق البيان.

قوله: (**بنَوء**) النَوء: نجم المَطر، الأنواء: جمعٌ. النَّوْء واحد الأنواء، وهي منازل القمر، وتسمّى: نجوم المطر.[6]

---

١ ف: المطر.

٢ **الصحاح** للجوهري، «جود».

٣ في الأصول الخطّيّة: "المطر"، وأثبتُّ ما في **الصحاح**.

٤ **الصحاح** للجوهري، «رهم».

٥ ن: ولنا.

٦ **المُغرب** للمطرّزي، «خطأ».

ويُنتزَع مِن هاهُنا جوابٌ في تنكير البَلدة والأنعام والأناسيِّ؛ كأنَّه قال: لنُحْيِيَ به بعضَ البلاد الميتةِ ونُسقِيَه بَعضَ الأنعام والأَناسيِّ وذلك البَعضُ كثيرٌ.

فإن قلتَ: هل يَكفُر مَن يَنسُب الأمطارَ إلى الأنواء؟

قلتُ: إن كان لا يَراهَا إلَّا مِن الأنواء ويَجحَدُ أَنْ تكُونَ هي والأَنواءُ مِن خَلْقِ الله فهُو كافِرٌ، وإن كان يَرى أَنَّ الله خالِقُها وقد نصَبَ الأنواءَ دلائلَ وأَماراتٍ عليها لـم يَكفُر.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ۝٥١ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ۝٥٢﴾

يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَوْ شِئْنَا﴾ لخففَّنا عنك أَعْباءَ نِذارَةِ جميعِ القُرى، و﴿لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ﴾ نبيًّا يُنذِرُهَا، وإنما قَصَرْنا الأَمر عليك وعَظَّمناك به وأَجْلَلناك وفَضَّلناك على سَائر الرسل فقابِلْ ذلك بالتَّشدُّدِ والتَّصبُّر ولا ﴿تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فيما يُرِيدُونكَ عليه.

وإنما أَراد بهذا تهييجَهُ وتهييجَ المؤمنين وتحْريكَهُم.

والضميرُ للقرآن، أو لِترك الطَّاعة الذي يدُلُّ عليه ﴿فَلَا تُطِعِ﴾ والمراد: أَنَّ الكفار يَجِدُّونَ ويَجتَهِدُون في توهِين أمرك، فقَابِلْهم من جِدِّكَ واجتِهادكَ وعَضِّك على نَواجِذك بما تَغلِبُهم به وتَعلُوهم، وجَعَله جهادًا كبيرًا لِمَا يَحْتَمِلُ فيه من المشَّاقِّ العِظام.

قولـه: (**جواب**) فاعل (يُنتزع)، أي: يُستخرج مِن هذا المَرويّ جواب آخر غير ما مرَّ في التنكير.

قوله: (**أعباء**) العِبْء: الحِمل، والعِبْءُ: كلّ ثِقل مِن غُرم أو غيره.

قولـه: (**فيما يريدونك[1] عليه**) أي: فيما يَحملونك عليه. يقال: أراده على الأمر، أي: حَمَلَه عليه، ومنه: أراد الملك الأمير على أن يكتب.[2]

---

١ ف: يُزيدونك.

٢ المُغرب للمطرّزي، «رود».

ويجوز أن يَرجع الضميرُ في ﴿بِهِۦ﴾ إلى ما دلَّ عليه ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا﴾ من كونه نذيرَ كافَّةِ القُرى؛ لأنَّه لو بَعث في كلِّ قريةٍ نذيرًا لوجبَتْ على كلِّ نذيرٍ مُجاهَدةُ قريتِه، فاجتَمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المجاهَداتُ كلُّها، فكبُر جهادُه من أجل ذلك وعَظُم، فقال لهُ: ﴿وَجَٰهِدۡهُم﴾ بسَببِ كونك نذيرَ كافَّةِ القُرى ﴿جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾: جَامعًا لكلِّ مجاهَدةٍ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞ وَجَعَلَ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٗا وَحِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ۝٥٣﴾

سمَّى المَاءَين الكَثِيرين الوَاسِعين: بَحْرين، و"الفراتُ": البَليغُ العَذُوبة حَتى يَضْرِبُ إلى الحَلاوَة، و"الأُجَاجُ": نقيضُه، و"مَرَجَهما": ....

قوله: (**ويجوز أن يرجع الضمير**)... إلخ، والظاهر أنّ المعنى: لمّا لم نبعث غيرك وقصَرْنا النبوّة عليك لزِم عليك بسبب هذا التعظيم لك والرفع لِقدرك أن تجاهد جهادًا عظيمًا قضاءً لحقِّ هذه النعمة.

قوله: (**سمّى الماءين**) يعني: أنّ ذلك بحرٌ واحد، بعضه عذب، وبعضه مِلْح، وإنّما سمّاه "بحرين" لكثرة كلِّ واحد مِن عذبه ومِلْحه.

قوله:[1] (**بحرين**) البحر: خلاف البَرِّ، وسمّي بحرًا لسَعته، ويقال: فرسٌ بحرٌ إذا كان واسِعَ الجَرْيِ، ومِن ذلك قول رسول الله عليه الصلاة والسلام في مندوبٍ فرسِ أبي طلحة رضي الله عنه:[2] «إن وجدناه لَبحرًا».[3]

قوله: (**والفرات**)... إلخ قال في **الصِّحاح** و**المُجمل**: «الفُرات: الماء العذب، يقال: ماءٌ فراتٌ، ومياه فراتٌ».[4]

قوله: (ومَرَجهما) ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾: أرسلَهما في مَجاريهما وخلّاهما

---

١ ف - قوله.

٢ د - رضي الله عنه.

٣ انظر: **مجمل اللغة** لابن فارس، «بحر». والحديث في **صحيح البخاري**، ١٦٥/٣ (٢٦٢٧)؛ وصحيح مسلم، ١٨٠٣/٤ (٢٣٠٧).

٤ **الصحاح** للجوهري، «فرت»؛ **مجمل اللغة** لابن فارس، «فرت».

خَلَّاهُما مُتَجاورَيْن مُتَلاصِقَين، وهو بقُدرته يَفصِلُ بينَهما ويمنَعُهما التَّمازُجَ، وهذا من عَظيمِ اقتِدارِه. وفي كلام بَعضهم: وبَحران أَحدُهما معَ الآخَر مَمرُوجٌ وماءُ العذبِ منهما بالأُجاج ممَزوجٌ.

﴿بَرْزَخًا﴾: حائلًا من قدرتهِ؛ كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد ٢/١٣]، يُريدُ: بغَير عَمدٍ مَرئيَّةٍ، وهُو قدرتُه.

وقرئَ: "مَلِحٌ" على فَعِلٍ، وقيل: كأنَّه حُذف من "مالِحٍ" تخفيفًا؛ كما قال:

وصِـــلِّـــيـــانـــا بَـــــرِدًا

يُريدُ: بَاردًا.

كما ترسل الخَيل في المَرْج.[١] والمَرْج: الموضع الذي ترعى فيه الدوابّ.[٢]

قوله: **(مع الآخر ممروج)** أي: مرسل. وقوله: **(وما العذب)**[٣] "ما" نافية.

قوله:

(وصِـــلِّـــيـــانًـــا بَـــــرِدًا)

الصِّلّيان: نبَت، وهو فِعْليان، الواحد:[٤] صِلِّيانة، قال الساجع عن لسان الضبّ:

أصـــبـــح قـــلـــبـــي صَـــرِدا لا أشـــــتهي أنْ أرِدا
إلّا عَـــــرادًا عَـــــرِدا وعَـــنـــكـــثًـــا مـــلـــتـــبِـــدًا
وصِـــلِّـــيـــانًـــا بَـــــرِدا[٥]

"الصَّرْدُ": البرد، فارسيّ معرَّب، وصَرِد الرجل -بالكسر- يَصرَد صَرَدًا، فهو صَرِدٌ ومِصراد؛ / يجد البرد سريعًا. و"العَراد": النبت، و"عَرِدًا" صفة له، يقال: [٢٠٣و]
عَرِد النبت يَعْرُدُ عُرودًا؛ طلَع وارتفع. والعَنكث: النبت. والْتَبَدَ الوَرَق: تلبَّد بعضُه على بعضٍ، والتَبَدَتِ الشجر: كثُرت أوراقها.

---

١ **التفسير الوسيط** للواحدي، ٣٤٣/٣.

٢ **الصحاح** للجوهري، «مرج».

٣ في مطبوع **الكشّاف**: "وماء العذب".

٤ ف: الواحده.

٥ بغير نسبة في **الصحاح** للجوهري، «ضبب»، قال: «ومِن كلامهم الذي يضعونه على ألسنة البهائم: قالت السمكة: وردًا ياضبّ، فقال»... فذكره.

فإن قلتَ: ﴿وَحِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا﴾ ما مَعناه؟

قلتُ: هي الكلمةُ التي يقولها المُتعوّذ، وقد فسَّرناهَا، وهي هاهُنَا واقِعةٌ على سبيل المجاز؛ كأنَّ كلَّ واحِدٍ من البَحرين يتَعوَّذ من صاحبه ويقول له: ﴿حِجرًا محجورًا﴾ كما قال: ﴿لَّا يَبۡغِيَانِ﴾ [الرحمن ٢٠/٥٥]؛ أي: لا يَبغِي أحدُهما على صاحبه بالمُمازَجة، فانتفاءُ البَغي ثَمَّ كالتَّعوُّذِ هاهُنا: جُعل كلُّ واحدٍ منهما في صُورة الباغي على صاحبِهِ فهو يتعَوَّذ منه، وهي من أحسَنِ الاستِعَاراتِ وأشهَدِها على البلاغة.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرٗا ٥٤ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمۡ وَلَا يَضُرُّهُمۡۗ وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرٗا ٥٥﴾

أرادَ: فقَسَم البَشر قِسْمين: ذوِي نَسَبٍ؛ أَي: ذكُورًا يُنسَبُ إليهم فيُقالُ: فلانُ بن فلانٍ، وفلانةُ بنتُ فلانٍ. وذواتِ صِهْر؛ أي: إناثًا يُصَاهَرُ بهِنَّ.

ونحوُه قولُه تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ [القيامة ٣٩/٧٥].

﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرٗا﴾ حيث خَلَق من النُّطفةِ الواحدة بَشرًا ذا نَوعيْن: ذكرًا وَأُنثى.

الظهيرُ والمظاهِرُ كالعَوِين والمُعَاوِن، وفعيلٌ بمَعنى مُفَاعِلٍ غيرُ عَزيزٍ، والمعنَى: أنَّ الكافر يُظاهِرُ الشَّيطانَ على رَبِّه بالعَداوة والشِّرك.

قوله: (فهو يتعوَّذ) فكأنَّ[١] كلّ واحد منهما يتعوَّذ مِن الآخر ويقول: "حِجرًا مِحجورًا"، فالله تعالى جعل بينهما هذه الكلمة فيقولانها، وتحقيق ذلك أنّ الله تعالى لمّا منعهما مِن مزج أحدهما بالآخر شبّه ذلك المنع بجعله تعالى إيّاهما قائلًا: "حِجرًا محجورًا"، فقيل: جعل بينهما هذا الكلام، أي: جعلَهما قائلين هذا الكلام، وأريد منعهما مِن المَزْج.

قوله: (وذواتِ صِهْر) الصِّهْر: حُرمة الخُتونة، وخَتَنُ الرجل: زوجُ ابنته، ويقال لأهل بيت الخَتَن: أختانٌ، ولأهل بيت المرأة: أصهار.[٢]

قوله: (غير عزيز) أي: هو كثير الوجود، يقال: عَزَّ الشيءُ يَعِزُّ عِزًّا وعَزازةً،

---

١ ن: وكأن.

٢ انظر: **الصحاح** للجوهري، «ختن».

رُوي أنَّها نَزلَت في أبي جَهْلٍ لعنَه اللهُ.

ويجُوز أَن يُريدَ بالظَّهير: الجماعةَ؛ كقَوله: ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم ٦٦/٤] كما جاء: الصَّديقُ والخَليطُ، ويُريدُ بالكافر: الجنسَ، وأنَّ بَعضهم مُظاهِرٌ لبَعضٍ على إطفاء نُور دينِ الله.

وقيل: معناه: وكانَ الذي يَفعلُ هذا الفِعلَ -وهو عبَادَةُ ما لا يَنفعُ ولا يَضُرُّ- على رَبِّه هَيِّنًا مَهينًا، من قولهم: ظَهَرْتُ به، إذا خَلَّفتَه خَلف ظَهرِكَ لا تَلتفِتُ إليه، وهذا نحوُ قوله: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ [آل عمران ٣/٧٧].

إذا قلّ لا يكاد يوجد، فهو عزيز.[١] ثمّ اعلم أنّه لمّا ذكر أنّ "الظهير"[٢] بمعنى: المظاهر، ومِن المعلوم أنّ "فاعَلَ" موضوع للمشاركة، أي: لنسبة أصله إلى أحد الأمرين متعلّقًا بالآخر، أشار إلى أنّ المراد بـ﴿ٱلْكَافِرُ﴾ إن كان شخصًا واحدًا -وهو أبو جهل كما ذكر- فمشاركه الشيطان، وإن كان المراد بـ﴿ٱلْكَافِرُ﴾ الجنس فالمعنى: أنّ بعض الكفّار يظاهر بعضًا.

قوله: (وقيل: معناه)... إلخ، فعلى هذا يكون مِن وضع الظاهر مَوضع الضمير، إذ أصله: وكانوا، أو وكان على ربّه؛ ليكون الضمير عائدًا إلى العابدين المذكورين، أو إلى العابد المذكور؛ لدلالة ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ على ذلك، فوضع ﴿ٱلْكَافِرُ﴾ موضع الضمير تسجيلًا على ذلك العابد بالكفر. ثمّ إنّ توحيد الضمير في ﴿رَبِّهِۦ﴾ للنظر إلى لفظ ﴿ٱلْكَافِرُ﴾ إذا أريد به الجنس، وإن أريد به الواحد فظاهر. و"الظهير" على هذا الوجه مِن الظَّهر خلاف البطن، يقال: لا تجعل حاجتي بظَهر، أي: لا تنسَه،[٣] كالشيء الملقى خلف الظهر، ويَقرب منه قوله تعالى: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ [آل عمران ٣/١٨٧]، أي: جعلوه كالشيء المنسيّ الذي لا يُلتفت إليه.

قوله: (هيّنًا) أي: ذليلًا.[٤]

---

١ الصحاح للجوهري، «عزز».
٢ ن: الطهر.
٣ الصحاح للجوهري، «ظهر».
٤ ن – قوله: (هيّنًا) أي: ذليلًا.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٥٦ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ۝٥٧﴾

مثالُ ﴿إِلَّا مَن شَآءَ﴾ -والمرادُ: إلَّا فِعْلَ مَن شَاء- واستِثنائِهِ عن الأجْر قَولُ ذِي شَفَقةٍ عليك قد سَعى لك في تحصْيل مالٍ: "ما أَطلُبُ منك ثوابًا على ما سَعيتُ إلَّا أَن تحفَظ هذا المالَ ولا تُضيِّعَه"، فليس حفظُك المالَ لنفسِك من جِنس الثواب؛ ولكنْ صَوَّرهُ هو بصُورَة الثَّواب وسمَّاه باسمه فأَفَاد فائدَتين:

إحداهما: قلْعُ شُبهَةِ الطَّمع في الثواب من أصله؛ كأنَّه يقولُ لك: إن كان حفظُك لمَالك ثوابًا فإنِّي أَطلبُ الثَّوابَ.

والثَّانيةُ: إظهَارُ الشَّفقَةِ البَالغة، وأنَّكَ إنْ حَفِظتَ مالكَ اعتَدَّ بحِفظك ثوابًا ورَضِيَ به كما يَرضَى المُثَابُ بالثَّواب، ولعَمري إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مع المَبعُوثِ إليهم بهذا الصَّدَد وفوقَهُ.

ومعنى اتِّخاذِهم إلى الله سبيلًا: تقرُّبُهم إليه، وطَلبُهم عنْدَه الزُّلفَى بالإيمان والطَّاعة.

وقيل: المراد: التَّقرُّبُ بالصَّدقة والنفقة في سبيل الله.

﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٨﴾

قوله: (**والمراد: إلّا فِعل مَن شاء**) حال أو معترضة. وقوله: (**ما أطلب**) مقول. وقوله: (**صوَّره هو**) أي: ذو شفقة.

قوله: (**فإنّي أطلب**) ولا شبهة في أنّ حفظه المال ليس بثواب، فيلزم بالبرهان أن لا يكون طالبًا للثواب.

قوله: (**بهذا الصَّدد**) الصَّدَد: القُرب، يقال: داري صددَ داره، أي: قُبالَتها، نُصِب على الظرف.[١]

---

١ **الصحاح** للجوهري، «صدد».

أمَره بأنْ يَثِق به ويُسنِدَ أمرَه إليه في استكفاءِ شرُورهم، مع التَّمسُّك بقَاعِدة التوكُّل وأساسِ الالتِجاء، وهو طَاعتُه وعبَادتُه وتَنزيهُه وتحميدُه، وعَرَّفهُ أنَّ الحيَّ الذي لا يمُوت حقِيقٌ بأَن يُتوكَّلَ عليه وَحْدَه ولا يُتَّكلَ على غَيره من الأحياء الَّذين يَمُوتُونَ.

وعن بعض السَّلف أنَّه قرأهَا فقال: لا يصحُّ لذِي عَقلٍ أن يَثِقَ بَعدها بمَخلُوقٍ.

ثُمَّ أرَاهُ أنْ ليس إليه من أَمْرِ عبَادِه شيءٌ، آمَنُوا أم كفَروا، وأنَّه خبيرٌ بأَحوالهم كافٍ في جَزاء أعمَالهم.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾

﴿فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ يعني: في مُدَّةٍ مِقدارُها هذه المُدَّةُ؛ لأنَّه لم يكُن حينئذٍ نهَارٌ ولا لَيْلٌ.

وقيل: ستَّةُ أيَّام من أيَّام الآخِرة، وكلُّ يومٍ ألف سَنَةٍ.

والظَّاهِرُ أنَّها من أيَّام الدُّنيَا، وعن مجاهد: أوَّلُها يَومُ الأحد وآخرُها يومُ الجُمعةِ.

ووجهُه: أن يُسمِّيَ اللهُ تعالى لمَلائكته تلك الأَيامَ المُقدَّرةَ بهذه الأسماء، فلمَّا خَلق الشَّمسَ وأدارَها وتَرتَّب أَمرُ العَالم على ما هُو عَليه جرَتِ التَّسميةُ على هذه الأيَّام.

قوله: (ثمّ أراه) عطف على قوله: (أمَره). وحاصل المعنى: أنّه أمَره بأن يَثِق به ويشتغل بعبادته ولا يشتغل بمكافاتهم، فإنّه تعالى عالم بأحوالهم وأفعالهم فيجازيهم على ذلك. وقوله: (أراه) أرى النبيَّ عليه الصلاة والسلام. وقوله: (إليه) أي: إلى النبيّ عليه الصلاة والسلام. وقوله: (عباده) أي: عباد الله تعالى.

[٢٠٣ظ] قوله: (فلمّا خلَق الشمس)... إلخ، وتحقيق ذلك: / أنّه لمّا خلق الله الشمس والقمر، وترتّب أمر العالم على ما هو عليه، وسمّيت الأيّام بهذه التسمية المعلومة

وأمّا الدَّاعي إلى هذا العَدد -أَعني: السِّتَّةَ- دون سَائر الأَعداد، فلا نَشُكُّ أَنَّه داعِي حِكمةٍ لعِلْمنَا أَنَّه لا يُقدِّرُ تَقديرًا إلَّا بدَاعِي حِكمةٍ، وإن كنَّا لا نَطَّلِعُ عليه ولا نَهتدِي إلى معرفته، ومن ذلك تَقديرُ الملائكة الَّذين هم أصحَابُ النَّار تسْعَةَ عشَرَ، وحَملةِ العرش ثمانيةً، والشُّهورِ اثني عشَر، والسماواتِ سبْعًا والأرضِ كذلك، والصَّلواتِ خمسًا، وأعدادِ النُّصُب والحُدود والكفَّاراتِ وغيْرِ ذلك.

والإقرارُ بدَواعي الحِكمة في جميع أفعالِه وبأنَّ ما قدَّرَهُ حَقٌّ وصوابٌ هو الإيمانُ، وقد نصَّ عَليْه في قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ [المدثر ٧٤/٣١] ثمَّ قال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر ٧٤/٣١]

-أعني:[1] من السبت إلى الجمعة- لزِم إذا رجعت بطريق القَهقرى إلى الأيّام المقدّرة السابقة التي وقع فيها خلق هذه الأشياء أن تجدها مِن الأحد إلى الجمعة؛ لأنّها ستّة، فتأمّل، واحمَد الله تعالى كما يحمَده أحمد على ما هداه لهذا، وما كان ليهتدي لولا أن هداه الله تعالى.

قوله: **(وأعداد النُصُب)** جمع: نصاب الزكاة.

قوله: **(بدواعي الحكمة)** أي: الحكمة الداعية إلى الإيجاد على الوجه المخصوص.

قوله: **(وقد نصَّ عليه)** أي: على أنّ الإقرار بها هو الإيمان، أي: قد نصّ الله تعالى على أنّ هذا الإقرار هو الإيمان حيث قال: ﴿وَيَزْدَادَ﴾ ﴿وَلَا يَرْتَابَ﴾ ﴿وَلِيَقُولَ﴾... إلخ [المدثر ٧٤/٣١]، هذه الكلمات الثلاث، وكذلك[2] قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر ٧٤/٣١]، إشارة أنّ حكمة جميع الأشياء لا يعلمها إلّا الله تعالى. وقوله: **(ثمّ قال)** عطف على قوله: "نصّ".

---

[1] ف: أغنى.

[2] ف + في.

وهو الجوابُ أيضًا في أَنْ لم يَخلُقْها في لَحظةٍ وهو قادِرٌ على ذلك.

وعن سعيد بن جبير: إنَّما خَلقَها في ستَّةِ أيَّامٍ وهو يَقْدرُ على أن يَخلُقها في لَحظةٍ تَعليمًا لخَلقِه الرِّفق والتَّثبُّت.

وقيل: اجتمعَ خَلْقُها يومَ الجُمعة فجعَله الله عيدًا للمُسلمين.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ مبتدأ، و﴿ٱلرَّحۡمَٰنُۚ﴾ خبرُه، أو هو صِفَةٌ لـ﴿ٱلۡحَيِّ﴾ و﴿ٱلرَّحۡمَٰنُۚ﴾ خبَرُ مُبتدأ مَحذوف، أو بَدلٌ عن المستَتِرِ في ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾.

وقرئ: "الرحمنِ" بالجرِّ صفةٌ لـ﴿ٱلۡحَيِّ﴾. وقرئ: ﴿فَسْئَلْ﴾.

والباءُ في ﴿بِهِۦ﴾ صِلةُ ﴿سَل﴾؛ كقوله: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾ [المعارج ٧٠/١]،

قوله: (وهو الجواب) "هو" عائد إلى ما تقدّم مِن قوله: "داعي حكمة[1] لا نطّلع عليها".

قوله: (وعن سعيد بن جبير)[2] عطف على قوله: "وهو[3] الجواب"، وهذا إشارة إلى وجه آخر مِن الجواب؛ وهو بتعيين الحكمة، وذلك تعليم الرِّفْق؛ لكن لو أُورد السؤال وقيل لسعيد: لمَ تَعيّن الستّة؟ لاحتاج إلى الجواب.

قوله: (وقيل: اجتمع خلقُها) إن أُريد بـ"الخلق" تلك النسبة التي بين القدرة والمخلوق حال الإيجاد فاجتماعها محال؛ لأنّ تلك النسبة تنقضي بوجود أيّ موجود كان مِن تلك المخلوقات، فيقول: المراد باجتماع الخلق أنّه وجد كلّ مِن الموجودات وانقضى تلك النسب، فكأنّها اجتمعت، وإن أريد بـ"الخلق" المخلوقات فالإضافة كما في: شجر[4] أراك، أي: اجتمعت المخلوقات التي هي السموات والأرض.

قوله: (وقرئ: "الرحمنِ" بالجرّ)[5] فيكون صفةً بعد صفة.

قوله: (كقوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾) "كقوله" خبر مبتدأ محذوف، أي: هذا

---

١ ف: الحكمة.

٢ ذكره الثعلبي في الكشف والبيان، ٣٦٤/١٢ (الأعراف، ٥٤/٧).

٣ ن: هو.

٤ ف: سحر.

٥ شاذّة. انظر: شواذ القراءات للكرماني، ص ٣٥٠.

كما تكُونُ "عن" صِلَتَه في نحوِ قَوله: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر ١٠٢/٨]. فـ"سَأَلَ به" كقولك: اهتَمَّ به، واعتَنى به، واشتَغلَ به، و"سأل عنه" كقولك: بَحَثَ عنه، وفتَّش عَنه، ونَقَّر عنه.

أَو صِلةُ ﴿خَبِيرًا﴾ وتجعَلُ ﴿خَبِيرًا﴾ مفعُولَ ﴿سَلْ﴾.

مثل قوله تعالى: ﴿سَأَلَ﴾. وقوله: **(كما يكون)** في محلّ النصب على المصدر ممّا دلّ قوله: **(والباء في ﴿بِهِ﴾)**... إلخ، فكأنّه قال: يجوز كون الباء صلة "سَلْ" جوازًا مثل جواز كون ﴿عَنِ﴾[1] صلته، فـ"ما"[2] في قوله: "كما يكون" مصدريّة، والكاف بمعنى: مثل، والمضاف محذوف كما بيّنت. وإنّما قدَّرْتُ هكذا ولم أقل: تقديره: يكون الباء صلة "سَلْ" كونًا مثلَ كون ﴿عَنِ﴾ صِلتَه مع قلّة هذا[3] التقدير؛ وذلك لأنّ "كان" الناقصة لا تَنصب المصدر. والأَولى أن يقال: "كما" خبر مبتدأ محذوف، أي: كون الباء صِلتَه مثل كون ﴿عَنِ﴾ صلته.

قوله: **(فـ"سَأَلَ به" كقوله: اهتمَّ به)** لمّا ذكَر أنّ "سأل" يستعمل بـ"عن" وبالباء ذكَر وجه كلِّ واحد مِن الاستعمالَين، فهو[4] جواب شرط محذوف، أي: إذا كان كذلك فيقول: "سأل به" وجهه كذا، و"سأل عنه" وجهه كذا.

[٢٠٤و] قوله: **(فـ"سَأَلَ به" / كقوله: اهتمَّ به)**؛ وذلك لأنّ السائل يكون مهتمًّا بالمسئول معتنيًا به مشتغلًا به، ولمّا كان متضمّنًا معنى هذه الأفعال عُدِّي تعديتَها، وكذا نقول: السائل باحث عن المسئول مفتِّش عنه منقِّر عنه، أي: باحث عنه، يقال: نقرتُ الشيء، أي: نقَبْتُه بالمنقار؛ وهو آلة يُنقَب به الشيء، ومنه النقير؛ الخشبة المنقورة.

قوله: **(وتجعل ﴿خَبِيرًا﴾ مفعول "سل")** اعلم أنّ المصنِّف لمّا ذكَر وجهين في ﴿بِهِ﴾ شرع في بيان نصب ﴿خَبِيرًا﴾، فهو عطف على قوله: "والباء في ﴿بِهِ﴾"... إلخ، وذكَر لنصبه وجهين: **الأوّل**: أن يكون مفعول "سل". **والثاني**:

---

[1] من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر ١٠٢/٨].

[2] ن: كما.

[3] ن: هكذا.

[4] ف + أي: قوله: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِ﴾.

يُريد: فَسَلْ عَنه رجلًا عَارفًا يُخبِرْكَ برَحمتِه، أو: فسَلْ رجُلًا خبيرًا بهِ وبرَحمتِه، أو: فَسَلْ بسُؤالِه خبيرًا؛ كقولك: رَأيتُ به أسَدًا؛ أي: برؤيته، والمعنى: إنْ سَألتَهُ وجَدْتَه خبيرًا، أو تَجعَلُه حَالًا عن الهَاء في ﴿بِهِۦ﴾ تُريدُ: ....

أن يكون حالًا. ولمّا ذكَر الوجه الأوّل مِن وجهي ﴿خَبِيرًا﴾ بيّن المعنى على الوجهين المذكورين أوّلًا للباء في ﴿بِهِ﴾، فقوله: (**فسَلْ عنه**) هذا على تقدير كون الباء صلة "سل"، فوضع "عنه" موضع ﴿بِهِ﴾ ليتبيّن المعنى. وقوله: (**رجلًا عارفًا**) تفسير ﴿خَبِيرًا﴾. وقوله: (**يُخبِرْك برحمته**) إشارة إلى الحذف في الكلام، وليس قوله: "يخبرك" معنى قوله: ﴿خَبِيرًا﴾، فإنّ "الفَعيل" لا يكون بمعنى "المُفعِل" كما قرّر المصنِّف ذلك في أوائل الكتاب.[1] وقوله: (**فسلْ رجلًا**) هذا على تقدير أن يكون ﴿بِهِ﴾ صلة ﴿خَبِيرًا﴾، فلذلك لم يذكر صلة "سل"، وأخّر "به" عن "خبيرًا".

قوله: (**أو فسَلْ بسؤاله**) هذا أيضًا على تقدير تعلّق الباء بقوله: "سَلْ"، وإنّما أخّر هذا الوجه؛ لأنّ هذا التعلّق ليس مثل التعلّق المتقدّم؛ لأنّه ليس صلته مثل قولك: "سأل عنه"؛ بل فيه معنى السببيّة، فتأمّل. ولمّا ذكَر الوجه الأوّل مِن وجهَي ﴿خَبِيرًا﴾ وبيّن المعنى فيه ذكَر الوجه الثاني مِن وجهَي ﴿خَبِيرًا﴾؛ وهو قوله: (**أو تجعله حالًا**)، وهو عطف على قوله: (**تجعل ﴿خَبِيرًا﴾ مفعول "سَلْ"**).

قوله:[2] (**يُخبِرْك**) جُزِم؛ لأنّه جواب الأمر.

قوله: (**أو فسَلْ بسؤاله**) على هذا يكون ﴿بِهِ﴾ صلة "سَل"، والضمير في ﴿بِهِ﴾ مِن إضافة المصدر إلى المفعول، تقديره: فسَل بسؤاله.

قوله: (**أو تجعله حالًا**) وإذا جعلت ﴿خَبِيرًا﴾ حالًا عن الهاء في ﴿بِهِ﴾ لا يجوز أن تكون[3] الباء صلة ﴿خَبِيرًا﴾، وهو ظاهر؛ بل تكون[4] صلة "سل"،

---

[1] لعلّه يريد: البحث الذي مرّ في قوله: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [البقرة ١١٧/٢] في أنّه بمعنى: المُبدِع وقول الزمخشري: "فيه نظر". وذكَر ابن دريد: "باب ما جَاء من فَعيل على مُفْعِل" فذكر تسعة أمثلة في الباب. انظر: **جمهرة اللغة** لابن دريد، ١٢٤٩/٣.

[2] ن - قوله.

[3] ن: يكون.

[4] ن: يكون.

فسَل عنه عالمًا بكلِّ شيءٍ.

وقيل: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ اسمٌ من أسماءِ الله تعالى مَذكورٌ في الكُتب المتقَدِّمة ولم يَكونُوا يَعرفُونه، فقِيل: فسَلْ بهذا الاسمِ مَن يُخبرُكَ من أهل الكتابِ حَتَّى تعرفَ مَن يُنكرُه، ومِن ثَمَّ كانوا يقولُونَ: ما يَعرف الرَّحمنَ إلَّا الذي باليَمامة يَعنُون مُسَيلمة، وكان يُقَال لهُ: رَحمنُ اليَمامة.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا ۩ ٦٠﴾

﴿وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ يجوز أن يكون سؤالًا عن المُسمَّى به؛ لأنَّهم ما كانوا يَعرفُونهُ بهذا الاسم، والسؤالُ عن المجهول بـ"مَا"، ويجوز أن يكونَ سؤالًا عن معناه؛ لأنَّه لم يكن مُستعمَلًا في كلامِهم كما استُعمل الرَّحيم والرَّحوم والراحمُ،

فيكون ﴿فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ﴾ مثل: سأل عنه، ويكون صلة ﴿خَبِيرٗا﴾ محذوفًا، أي: خبيرًا بكلِّ شيء، فأشار المصنِّف إلى هذا المعنى بقوله: (**فسأل عنه عالمًا بكلِّ شيء**)، وقوله: "عالمًا"، أي: هو تعالى.

قوله: (**وقيل: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾**) عطف على قوله: (**تريد**)، وإنّما غيّر العبارة ههنا ولم يذكر هذا الوجه معطوفًا بـ"أو" على الوجوه المذكورة في تفسير ﴿فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾؛ لأنّها طريقة أخرى في تفسيرها، فكان المعنى على هذا: فسل عن معنى لفظ "الرحمن"، وأنّه هل يطلَق على الله تعالى أم لا؟ وذلك لأنّ المشركين كانوا ينكِرونه. واعلم أنّ في هذا البيان نظرًا، والصواب / أن يقال: عدَل إلى هذه العبارة لئلّا يُظنّ أنّه على تقدير كونه حالًا فإنّه ليس متعلِّقًا به؛ بل هو على أنّ ﴿بِهِۦ﴾ متعلّق بـ"سَل"، و﴿خَبِيرٗا﴾ مفعوله. [٢٠٤ظ]

قوله: (**كما استُعمل**) صفة مصدر محذوف، والعامل فيه (**مستعملًا**)، أي: لم يكن "الرحمن" مستعمَلًا استعمالًا[١] مثل استعمال هذه الألفاظ الثلاثة في الكثرة، فلمّا لم يكن كثيرَ الاستعمال لم يعرِف هؤلاء معناه، فسألوا عن معناه.

---

١ ف: استعمال.

أَو لأنَّهم أنكرُوا إطلاقَهُ على الله.

﴿لِمَا تَأْمُرُنَا﴾؛ أي: لِلَّذي تأمُرناه، بمَعنَى: تَأمُرنَا سجُودَه، على قوله:

أمَــــرتُــــك الــــخَــــيــــرَ

أو: لِأمرك لنَا.

وقرئ بالياء؛ كأنَّ بعضَهم قال لبعضٍ: أَنسجُد لمَا يَأمرنا محمدٌ؟ أَو: يَأمرُنا المسمَّى بالرَّحمن ولا نَعرف ما هو؟

وفِي: ﴿وَزَادَهُمْ﴾ ضميرُ ﴿ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ﴾؛ لأنَّه هو المَقُولُ.

قوله: (أو لأنّهم أنكروا)... إلخ، معنى هذا الوجه: أنّهم عرفوا معنى "الرحمن" في لغتهم كما عرفوا معنى "الرحيم" وغيره، وعرفوا أنّ مراد النبيّ عليه الصلاة والسلام مِن هذا اللفظ هو الله تعالى؛ لكن أنكروا جواز إطلاقه على الله تعالى، فقالوا بطريق الإنكار: "ما الرحمن!؟" فكأنّهم قالوا: كيف جاز إطلاق هذا اللفظ على الله تعالى، فإنّه ليس مِن أسمائه تعالى؟

قوله: (بمعنى: تأمرنا سُجودَه) يريد: أنّ أصله: تأمرنا به، فحذِف الجارُّ ووُصِل الفعل، كما في: "أمرتك الخير"، أي: بالخير، ثمّ حذِف المفعول، قال الشاعر:

أمرتكَ الخيرَ فافعلْ ما أُمِرْتَ به   فقد تركتكَ ذا مالٍ وذا نشَبِ[1]

و"النَشَب": المال والعقار. فهو مثل البيت في حذف الجارّ وإيصال الفعل؛ لكن في الآية زيادة حذف، وهو حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مُقامه، ثمّ حذِف المضاف إليه أيضًا؛ لأنّ الأصل: لِما تأمرنا بسجوده، ثمّ: تأمرنا سجودَه، ثمّ: تأمرُناه،[2] ثمّ: "تأمرُنا".

قوله: (أو لأمرِك لنا) فيكون مصدريّة.

---

[1] لعمرو بن معدي كرب في المخصّص لابن سيده، ٤/٢٤٤؛ وشرح شواهد المغني للسيوطي، ٢/٧٢٧.

[2] ن - ثم تأمرُناه.

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾﴾

"البُروجُ": منَازلُ الكواكب السَّبعةِ السيَّارة: الحَمَلُ، والثَّورُ، والجَوْزاءُ، والسَّرَطانُ، والأَسدُ، والسُّنبلةُ، والميزانُ، والعقربُ، والقوسُ، والجَدْي، والدَّلو، والحوتُ، سُمِّيت بالبُروج التي هي القصُورُ العاليةُ؛ لأنَّها لهذه الكواكب كالمنَازل لسُكَّانِها، واشتقاقُ البُرْج منَ التَّبرُّج لظُهوره.

والسِّراجُ: الشَّمسُ؛ كقوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح ١٦/٧١].

وقرئ: ﴿سُرُجًا﴾، وهي الشَّمسُ والكواكبُ الكبار معها.

وقرأ الحسن والأعمشُ: "وقُمْرًا مُنيرًا"، وهي جمعُ ليلةٍ قَمْراءَ؛ كأنَّهُ قال: وذا قُمْرٍ مُنيرًا؛ لأنَّ اللَّياليَ تكون قُمْرًا بالقَمَرِ فأَضَافهُ إليهَا، ونظيرُه في بقَاء حُكمِ المُضافِ بَعد سقُوطِه وقيَامِ المضاف إليه مُقامَه قولُ حسَّان:

قوله: (**الكواكب السبعة السيّارة**) هي: القمر، وعُطارد، وزُهرة، والشمس، والمريخ، والمشتري، وزُحل. وقوله: (**الحَمَل**)... إلخ؛ بيان المنازل. قال محيي السنّة في **مَعالم التنزيل**: «فالحَمَل والعقرب بيتا المرّيخ، والثور والميزان بيتا الزُّهرة، والجوزاء والسنبلة بيتا عُطارد، والسرطان بيت القمر، والأسد بيت الشمس، والقوس والحوت بيتا المشتري، والجدْي والدلو بيتا زُحل».[1]

قوله: (**وهي جمع: ليلةٍ قمراء**) يريد: أنه جمع قمراء؛ لكن لمّا كان معنى قمراء: ليلة قمراء قال كذلك إشارة إلى المعنى ببيان[2] حذف الموصوف.

قوله: (**لأنّ الليالي**) متعلّق بـ"قال".

قوله: (**فأضافه إليها**) أي: فأضاف القمر إلى الليالي، يعني في تقديره: ذا قمرٍ.

قوله:

---

[1] ن – قال محيي السنّة في **مَعالم التنزيل**: «فالحَمَل والعقرب بيتا المرّيخ، والثور والميزان بيتا الزُّهرة، والجوزاء والسنبلة بيتا عُطارد، والسرطان بيت القمر، والأسد بيت الشمس، والقوس والحوت بيتا المشتري، والجدْي والدلو بيتا زُحل». | **معالم التنزيل** للبغوي، ٩٢/٦ (الفرقان، ٦١/٢٥).

[2] ن: ببيا.

بَــــردَى يُـصـفَّــقُ بـالـرَّحِـيـقِ الـسَّـلْـسَـلِ

يُريدُ: ماءَ بَردَى.

ولا يَبعُد أَن يكون "القُمْر" بمَعنى القَمَرِ؛ كالرُّشد والرَّشَد، والعُرْب والعَرَب.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ۝٦٢﴾

"الخِلفةُ" مِن خَلَفَ كالرِّكبَة مِن رَكِبَ، وهي الحَالةُ التي يَخلُف عليها اللَّيْلُ والنهارُ كلُّ واحدٍ منهما الآخَرَ، والمعنَى: جَعلهما ذَوَيْ خِلْفةٍ؛ أي: ذَوَيْ عُقْبةٍ يَعقُبُ هذا ذاك وذاك هذا، ويقال: "الليلُ والنهار يَختلفان" كما يقال: "يَعتَقبان"،

(بَـــرَدى يُصفَّـــق بالرَّحيـــق السَّلسَـــلِ)

أوّله:

يَســـقُون مَـــن وَرَد البريـــصَ[1] عليهـــمِ[2]

يريد: أنّهم يحذِفون المضاف، ويقيمون المضاف إليه مُقامه، ويعربونه بإعرابه، وكما يعطون الثابت حقّ المحذوف في الإعراب يعطونه حقّه في غير الإعراب، كالتذكير والتأنيث، كما في قول حسّان، فإنّه ذكَر الضمير في "يُصفَّق" حيث أراد: ماء بَردى. و"البَريص": موضع، ويقال: نهرٌ. وصفَّق الشراب: حوَّله مِن إناءٍ إلى إناءٍ. والرَّحيق: الخمر الخالص. والسَّلسَل: سهل الدخول في الحلْق. و"بَردى": نهرٌ بدمشق.

قوله: (ولا يبعُدُ) عطف على قوله: "وهي جمع: ليلةٍ قمراء".

قوله: (كلُّ واحدٍ) بدَل مِن "الليل والنهار". واعلم أنّ "الخِلفة" -على ما ذكَر المصنّف- مصدرٌ للنوع، كالرِكبة والجِلسة، والمضاف / محذوف معها. والظاهر [٢٠٥و] أنّ "الخِلْفة" هنا بمعنى الخالف؛ وهو الذي يجيء بعد ذهاب الذي كان قبله. قال المطرّزي في المُغرب: «خلَف فلان فلانًا؛ جاء خَلْفَه، خَلْفًا وخِلْفةً، ومِنها: خِلْفة الشجر؛ وهي ثمرةٌ تخرج بعد الثمر الكثير، وخِلفة النبات: ما ينبت في الصيف

---

[1] ف: الغدير.

[2] ديوان حسّان بن ثابت، ١/ ٧٤.

ومنه قَولُه: ﴿وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [البقرة ٢/١٦٤]، ويقالُ: بفلانٍ خِلْفَةٌ واختِلافٌ، إذا اختلفَ كثيرًا إلى مُتبَرَّزِه.

وقرئ: ﴿يَذَّكَّرَ﴾ و: ﴿يَذْكُرَ﴾، وعن أُبيّ بن كعب: "يَتَذكَّرَ".

والمعنَى: لِيَنظُرَ في اختِلافِهما النَّاظِرُ فيَعلمَ أنْ لا بُدَّ لانتِقالهما من حالٍ إلى حالٍ وتغيُّرِهما من ناقلٍ ومُغيِّرٍ، ويَستدِلَّ بذلك عَلى عِظم قُدرته، ويَشكُرَ الشاكرُ على النِّعْمة فيهما: من السُّكون باللَّيْل، والتَّصرُّفِ بالنَّهار؛ كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [القصص ٢٨/٧٣].

أو: لِيَكُونَا وَقتَين للمُتذكِّرينَ والشَّاكِرين؛ مَن فَاتَهُ في أَحدهما وِرْدُه من العبَادة قام به في الآخَرِ.

وعن الحسن رحمه الله: من فَاتَه عمَلُه من التَّذكُّر والشكرِ بالنَّهار ....

بعد ما يَبس العشب الربيعيّ. وقال الأزهري: وكذلك ما زرع مِن الحبوب بعد إدراك الأُولى سمّي: خِلفة».[1] وهذا المذكور في **المُغرب** يدلّ على ما ذكرت. وقال الواحدي في **الوسيط**: «قال أبو عبيدة: الخِلفة: كلُّ شيء بعد شيء، الليل خِلْفة للنهار، والنهار خِلفة للّيل؛ لأنّ أحدهما يخلُف الآخرَ ويجيء بعده».[2] ثمّ أقول: التحقيق هو الذي ذكره المصنِّف، فإنّ "الفِعْلة" لا تكون بمعنى الفاعل، ومَجيئها للمصدر بمعنى النوع كثير، فالوجه أنّ ما ذُكر في **المُغرب**، و**الوسيط** محمول على ما ذَكر المصنِّف، أي: هو بتقدير المضاف، والله أعلم.

قوله: (**إلى متبرَّز**)[3] مَبْرَز.

قوله: (**مَن فاته**) جملة مستأنفة.

قوله: (**وِرْدُه**)[4] الوِرد: الموروود،[5] ومِنه الوِرد مِن **القرآن**؛ الوظيفة؛ وهي مقدار معلوم، إمّا سُبُع أو نصف سُبُع، يقال:[6] قرأ فلان وِرْده أو حِزبه.[7]

---

١ **المُغرب** للمطرّزي، «خلف».

٢ **التفسير الوسيط** للواحدي، ٣/٣٤٥ (الفرقان، ٢٥/٦٢).

٣ ف ن: متبرَّزه. | وهو في مطبوع **الكشّاف**: "متبرَّزه".

٤ ن: إرده.

٥ في مطبوع **المُغرب**: "المورِد".

٦ ن: يقا.

٧ **المُغرب** للمطرّزي، «ورد».

كان له في اللَّيل مُسْتَعتَبٌ، ومن فَاته بالليل كان له في النَّهار مُستَعتَبٌ.

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣﴾

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ مبتدأٌ خبرُه في آخر السُّورة؛ كأنه قيل: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ الَّذين هذه صِفاتُهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ﴾.

ويجوز أَنْ يكون خبرهُ ﴿ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ﴾ وأضافَهُم إلى الرَّحمن تخصيصًا وتفضِيلًا.

وقرئ: "وعُبَّاد الرحمن"، وقرئ: "يُمشَّون".

﴿هَوۡنٗا﴾ حالٌ، أو صفةٌ للمشْيِ، بمَعنى: هَيِّنِينَ، أو: مَشيًا هَيِّنًا، إلَّا أنَّ في وَضع المصْدر مَوْضِعَ الصِّفة مُبالغةً.

و"الهَونُ": الرِّفقُ واللِّين، ومنه الحديثُ: «أَحبِبْ حَبيبَك هَوْنًا مَّا»، وقولُه: «المؤمنُونَ هَيْنُونَ ليْنُونَ»، ....

قوله: («كان له في الليل مُستعتَب»)[1] أي: زمان استعتاب،[2] أي: زمان يطلب فيه مِن الله تعالى أن يُعتبه، أي: يرضيه، بأن يعطيه الثواب ويدفع عنه العذاب. يقال: استَعْتَبْتُه[3] أي: طلبت مِنه أن يُعتِب، أي: يُرضِي، وأعتبني فلان، أي: أرضاني بعد إسخاطه إيّاي، العتَب: الغضَب، والإعتاب: إزالة العَتَب؛ لأنَّ همزته للسَّلب، فالإعتاب: بمعنى الإرضاء، والاستعتاب: طلب الإعتاب،[4] أي: طلب الإرضاء بالطاعة وغيرها.[5] فعلى هذا "الاستعتاب" هنا لطلب[6] الثلاثيّ المزيد لا الثلاثيّ المجرّد، أي: الاسترضاع بمعنى طلب الإرضاع، قال تعالى: ﴿وَإِنۡ أَرَدتُّمۡ أَن تَسۡتَرۡضِعُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ﴾ [البقرة ٢/٢٣٣].

قوله: («أحبِبْ حَبيبك هونًا ما») تمام الحديث: «عسى أن يكون بَغيضك

---

١ تفسير ابن أبي حاتم، ٢٧١٩/٨ (الفرقان، ٦٢/٢٥)، بإسناده.

٢ ف: استعباب.

٣ ن: استعتبه.

٤ ف + أي: طلب الإعتاب.

٥ انظر: الصحاح للجوهري، «عتب»؛ ولسان العرب لابن منظور، «عتب».

٦ ف: هذا الثلاثي.

والمثَلُ: "إذا عَزَّ أخُوكَ فهُنْ"، ومعناه: إذا عَاسر فيَاسِرْ.

والمعنَى: أَنَّهم يمشُون بسَكينةٍ ووَقار وتَواضُعٍ، لا يَضْرِبُونَ بأَقدامِهِم، ولا يَخْفِقُونَ بِنِعَالِهِم أَشرًا وبَطَرًا، ولذلك كَرِه بعضُ العلماء الركوبَ في الأَسواقِ، ولقوله: ﴿وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان ٢٥/٢٠].

﴿سَلَٰمًا﴾: تَسَلُّمًا مِنكم لا نُجاهِلكُم، ومُتَاركةً لا خَيرَ بينَنا ولا شَرَّ؛ أي: نَتسَلَّم منكُم تَسلُّمًا، فأُقيمَ السَّلامُ مقامَ التَّسلُّم.

يومًا ما، وأبغِض بَغيضك هونًا ما، عسى أن يكون حَبيبك يومًا ما».[1] ويقرُب مِن معنى هذا الحديث معنى قول[2] النَّمر بن تَوْلَبٍ:

وأبغِض بغيضَك بُغضًا رويدًا إذا أنت حاولت أن تحكُما[3]

قال في **الصِّحاح**: «الحكيم: المتقِن بالأمور، وقد حَكُم إذا صار حكيمًا».[4] وأورد هذا البيت.

قوله: (**والمَثل: "إذا عزَّ أخوك فهُن"**)...[5] إلخ، ياسَرَه: ضدّ عاسَرَه، ومعنى ياسره: ساهَله، وهذا المَثل قريب مِن قول الشاعر:

وقَبِّل يدَ الجاني الذي لست قادرًا على قطعِها وانظرْ سقوطَ جدارِهِ[6]

قوله: (**ولا يخفقون**) خفقُ النعال: صوتها، مِن: خفَقَه إذا ضرَبه بالمِخْفَقِ؛ وهو كلّ شيء عريضٍ، أو بالمِخفقة؛ وهي الدرّة.[7]

قوله: (**تَسلُّمًا**)... إلخ، اعلم أنّ ﴿سَلَٰمًا﴾ على هذا الوجه يكون عبارة عمّا قالوه بلفظه / بطريق الحكاية، فإنّهم قالوا ذلك اللفظ. وقوله: (**ومتاركةً**) [٢٠٥ظ]
أي: وداعًا. وقوله: (**أي: نتسلَّم مِنكم**) يريد بالتسلُّم: التحمّل والتحلّم. وقوله:

---

١ **سنن الترمذي**، ٤٢٨/٣ (١٩٩٧).

٢ ن: قوله.

٣ **الصحاح** للجوهري، «حكم»؛ **لسان العرب** لابن منظور، «حكم».

٤ **الصحاح** للجوهري، «حكم».

٥ انظر: **مجمع الأمثال** للميداني، ٢٢/١.

٦ ينسب لعليّ بن أبي طالبٍ كرّم الله وجهه. انظر: **المِخلاة** للعاملي، ص ١٥٢.

٧ **المُغرب** للمطرّزي، «خفق».

وقيل: قالُوا سَدادًا من القَول يَسْلَمُونَ فيه من الإيذاءِ والإِثْم.

والمرادُ بـ"الجَهْل": السَّفهُ وقلَّةُ الأَدبِ وسُوءُ الرِّعَةِ، من قوله:

أَلَا لا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلينَا فَنَجْهَلَ فَوقَ جَهْلِ الجَاهلينَا

وعن أبي العَالية: نسخَتْها آيةُ القِتال. ولا حاجةَ إلى ذلك؛ لأنَّ الإِغضاء عن السُّفهاء وتَرْكَ المُقابَلة مُستَحسَنٌ في الأدب والمُروَّة والشَّريعة وأَسْلَمُ للعِرْض والوَرع.

﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ۝٦٤﴾

"البَيتُوتَةُ": خِلافُ الظُّلُول، وهي أَن يُدرِكَكَ اللَّيلُ نِمْتَ أَو لم تَنَمْ، وقالوا: مَن قَرأ شيئًا من القرآن في صَلاةٍ وإِنْ قَلَّ فقد بَاتَ سَاجدًا وقَائمًا.

وقيل: هما الرَّكعَتان بعد المغرب والركعَتان بَعد العشاء.

(سَدادًا[1] مِن القول) فعلى هذا الوجه يكون ﴿سَلَٰمًا﴾ إشارة إلى ما قالوه مِن حيث المعنى، لا بعبارتهم بعينها.

قوله: (وسوءِ الرِّعة) أي: الورع.

قوله:

(أَلَا لا يَجهلَنْ أحدٌ)... البيتَ[2]

أي: أَلَا لا يَسفَهنْ أحدٌ، فنَسفه فوقَ سَفَههم، أي: نُجازيهم بسفَههم جزاءً يُربي[3] عليه، أي: يزيد، فسمّى جزاء السفَه سفَهًا؛ لازدواج الكلام.[4]

قوله: (وقيل: هما الركعتان) أي: الصلاة المراد بقوله: (ساجدًا وقائمًا) هما الركعتان،[5] وإنّما ثنّى بالنظر إلى الخبر.

---

[1] ف: سداد.

[2] من معلّقة عمرو بن كلثوم. انظر: شرح المعلّقات السبع للزوزني، ص ٢٢٦.

[3] في الأصول الخطّيّة: "يرتمي"، وليس في معاجم العربيّة "يرتمي" بمعنى يزيد، وصححته مِن شرح المعلّقات للزوزني.

[4] انظر: شرح المعلّقات السبع للزوزني، ص ٢٢٦.

[5] ن: الركعتا.

والظاهرُ أنّه وصفٌ لهم بإحياء اللَّيل أو أكثرِه، يقال: فلانٌ يظَلُّ صَائمًا ويَبيتُ قَائمًا.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾﴾

﴿غَرَامًا﴾: هَلاكًا وخُسرانًا مُلِحًّا لازمًا، قال:

ويومُ النِّسارِ ويومُ الجِفَا ... رِ كانَا عَذابًا وكانا غرامًا

وقال:

إنْ يُعاقِبْ يَكُنْ غَرامًا ... وإن يُعْطِ جَزيلًا فإنّه لا يُبَالي

ومنه: الغريمُ؛ لإلحاحه وَلِزامِه.

قوله:

(**يوم النِّسار ويوم الجِفا ... ر**)... البيتَ[١]

"النِّسار" -بكسر النون-: ماء لبني عامر، ومِنه: يوم النِّسار لبني أسدٍ وذُبيان على بني جُشَم بن معاوية.[٢] و"الجِفار" ماءٌ لبني تميمٍ بنجدٍ، ومِنه: يوم الجِفار.[٣]

قوله: (**مُلِحًّا**) الإلحاح مثل: الإلحاف، تقول: ألحَّ عليه بالمسألة، وألحَّ السحاب: دام مطره، الأصمعيُّ: «ألحَّ السحاب بالمكان: أقام»،[٤] وأنشد:[٥]

ألَدُّ إذا لاقيتُ قومًا بخُطَّةٍ ... ألحَّ على أكتافِهم قَتَبٌ عُقَرْ[٦]

سَرْجٌ عُقَرٌ، أي: مِعقَرٌ غير واقٍ.

قوله:

(**إن يعاقِبْ يكن غرامًا وإن يُعـ ... ـطِ جزيلًا فإنّه لا يبالي**)[٧]

"الجزيل" والجَزْلُ: العطاء الكثير، وأجزلُ العطاء، أي: أكثره. والمبالاة: الاكتراث.

---

١ لبشر بن أبي خازم في **ديوانه**، ص ١٩٠.

٢ **الصحاح** للجوهري، «نسر».

٣ **الصحاح** للجوهري، «جفر».

٤ **الصحاح** للجوهري، «لحح».

٥ في **الصحاح**: "وأنشد للبعيث المجاشعي".

٦ **الصحاح** للجوهري، «لحح».

٧ للأعشى الكبير في **ديوانه**، ص ٩.

وصَفَهُم بإحياء اللَّيل سَاجِدين وقائِمِينَ، ثمَّ عَقَّبهُ بذِكر دَعوَتهم هذه إيذانًا بأنَّهم مع اجتهادهم خائفُون مُبتَهِلُون إلى الله في صَرف العَذاب عنهم؛ كقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون ٢٣/٦٠].

﴿إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٦٦﴾

﴿سَآءَتۡ﴾ في حُكم "بئسَتْ"، وفيها ضميرٌ مُبهمٌ يُفسِّره ﴿مُسۡتَقَرّٗا﴾،

يقول: إن يُعاقِب الأعداء يكن العقاب خسرانًا وهلاكًا لازمًا لهم، وإن يعطِ الأولياء عطاءً جزيلًا فإنّه لا يبالي بإعطاء الكثير.[١]

قوله: (**بذكر دَعوتهم هذه**) "هذه" صفة "دَعوتهم".

قوله: (**مبتهِلون**) الابتهال: التضرّع.

قوله: (**وفيها ضميرٌ مبهَم يفسِّره: ﴿مُسۡتَقَرّٗا﴾**) إن قلتَ: كيف ذكِّر المفسِّر والمفسَّر مؤنّث في قوله: ﴿سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا﴾؟ قلتُ: لمّا أُنِّث المفسَّر بمعنى الدار والمَنزلة وجَب تأويل المفسِّر به، كأنّه قيل: ساءت دارًا ومَنزلةً، وإنّما وجَب التأنيث نظرًا إلى المخصوص بالذمّ، ألا ترى إلى ذي الرمّة كيف أنَّث الزَّورق على تأويل السفينة حين كان المخصوص مؤنّثًا في قوله:

أو حــرَّةٌ عَـيْطـلٌ ثَـبْـجـاءُ مُـجْـفَـرةٌ   دعائمَ الـزَّور نِعمَتْ زَورقُ البلدِ[٢]

ناقةٌ حرّةٌ، أي: كريمةٌ. و"العَيطل" مِن النساء: الطويلة، وكذا مِن النُّوق. و"الثَّبجاء": عظيمة الثَّبَجِ؛ وهو ما بين الكاهل إلى الظهر. و"المُجْفَرة": عظيمة الجَفْرة؛ وهو الوسط. و"دعائمَ الزَّور": عظامه، وانتصابها على التمييز، كقوله:

... شَــــــــنْباءُ أنيابَـــــــــا[٣]

---

[١] انظر: **شرح شواهد الكشّاف** لمحبّ الدين أفندي، ص ٢٤٣.

[٢] انظر: **الصحاح** للجوهري، «زرق»؛ و**خزانة الأدب** للبغدادي، ٩/٤٢٠.

[٣] تمامه:

هَـيفـاءُ مُقبِـلـةً، عَـجـزاءُ مُـدبـرةً
مَحطوطةٌ جُـدِلَـت شَـنبـاءُ أنيـابا

وهو لأبي زُبيد في **لسان العرب** لابن منظور، «هلب».

والمخصوصُ بالذمّ مَحذوفٌ معناه: سَاءَتْ مستقرًّا ومُقَامًا هي، وهذا الضَّميرُ هو الذي رَبَط الجملةَ باسم "إنَّ" وجَعلها خبرًا لها.

ويجوز أن يكون ﴿سَآءَتۡ﴾ بمعنى: أَحزَنَتْ، وفيها ضميرُ اسم "إنَّ"، و﴿مُسۡتَقَرًّا﴾ حالٌ أو تمييزٌ.

والتَّعليلانِ يَصحُّ أَن يكُونا مُتَدَاخِليْن ومُترادِفيْن، وأَن يكونا من كلام الله وحكايةً لِقَولهم.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧﴾

قرئ ﴿يَقۡتِرُوا﴾ بكسر التاء وضمِّهَا، و﴿يُقۡتِرُوا﴾ بتخفيف التاء وتشديدها.

والقَتْرُ والإقْتَار والتَّقتيرُ: التَّضييقُ الذي هو نقيضُ الإسراف، والإسرافُ: مجاوَزةُ الحدِّ في النَّفقة.

وصَفَهُم بالقَصد الذي هو بين الغُلوِّ والتَّقصير، وبمِثلِه أمرَ رسولَه عليه السلام: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ﴾ [الإسراء ١٧/٢٩].

و"الزَّور": أعلى الصدر. و"الزَّورق" مذكّرٌ، وقد قال: "نعمَتْ"؛ لأنّه أراد الناقة. و"البلد": المَفازة.

قوله: (وهذا الضمير) يعني: "هي"، حيث ذكَر أنّها المخصوص بالذمّ، يريد: أنّ ﴿سَآءَتۡ﴾ إذا كان بمعنى: "بِئسَتْ" مِن / أفعال الذمّ تعيّن أن يكون الضمير الرابط لخبر "إنّ" باسمه هذا المخصوص المحذوف، لا الضمير في "بئسَتْ"؛ لأنّ الضمير في "بئسَتْ" مبهم، لا يكون عائدًا إلى اسم "إنّ"، ولا إلى شيء آخر بعينه.[١] [٢٠٦و]

قوله: (متداخِلَين) أي: يكون الأوّل تعليلًا لقوله: ﴿ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾، والثاني -وهو ﴿إِنَّهَا سَآءَتۡ﴾- تعليلًا لقوله: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾.

قوله: (ومترادِفَين) يعني: يكون كِلا التعليلين تعليلًا لقوله: ﴿رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾.

---

[١] في ف وقعت هذه الحاشية متقدّمة على التي قبلها.

وقيلَ: الإِسْراف إنما هو الإنفاقُ في المعَاصي، فأمَّا في القُرَبِ فلا إسْرافَ.

وسمِع رَجُلٌ رجُلًا يقول: لا خيرَ في الإسراف، فقال: لا إسرافَ في الخَير.

وعن عُمر بن عَبد العزيز: أنَّه شكر عبدَ الملك بن مروان حين زَوَّجَه ابنتَهُ وأَحسن إليه فقال: "وَصَلْتَ الرَّحِم وفَعلْتَ وصَنعْتَ..." وجاء بكلامٍ حَسنٍ، فقال ابنٌ لعَبد المَلك: إنَّما هو كلامٌ أَعَدَّهُ لهذا المقَام، فسَكت عَبدُ الملك، فلمَّا كان بَعد أيَّامٍ دَخل عليه والابنُ حَاضرٌ، فسَأله عَن نفقَتِه وأَحواله فقال: الحَسنةُ بينَ السَّيِّئتَينِ، فَعَرف عَبْدُ الملك أنَّه أرادَ ما في هذه الآية، فقال لابْنه: يا بُنيَّ! أهَذا أيضًا ممَّا أَعَدَّهُ؟

وقيل: أُولئك أصحابُ محمَّدٍ كانوا لا يَأكلُون طعَامًا للتَّنعُّم واللَّذة ولا يلْبَسُونَ ثوبًا لِلجَمال والزِّينة؛ ولكن كانوا يأكلُون ما يَسُدُّ جَوْعَتَهُم ويُعِينُهم على عبَادة ربِّهم، ويَلبسُون ما يَستُر عَوراتِهم ويُكِنُّهم ....

قوله: (فقال ابنٌ) أي: ابنٌ مِن أبناء عبد الملك، واللام في "لعبد" يجوز أن يتعلَّق بـ"قال"، ويجوز أن يكون متعلِّقًا بمحذوف، ويكون صفة "ابن".

قوله: (وقيل: أولئك أصحاب محمّد عليه الصلاة والسلام) "أولئك"، أي: الموصوفون بقوله: ﴿إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ﴾...

قوله: (ما يستر عوراتهم) العَورة: سَوءة الإنسان، وكلُّ ما يُستَحيَى مِنه، والجمع: عَوْرات بالتسكين، وإنّما يُحرَّك الثاني مِن "فَعْلة" في جَمع الأسماء إذا لم يكن ياءً أو واوًا، قرأ بعضهم: "عَوَرات النِّساء"[1] بالتحريك.[2]

قوله: (ويَكِنُّهم) يجوز "يُكِنّهم" بضمّ الياء، والفتح أصوَب، قال في **الصِّحاح**: «الكِنّ: سُترة، والجَمع: أكنان، قال الكسائيّ: 'كنَنْتُ الشيء: ستَرته،

---

[1] مِن قوله تعالى: ﴿أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النور ٢٤/٣١].

[2] ن – قوله: (ما يستر عوراتهم) العَورة: سَوءة الإنسان، وكلُّ ما يُستَحيَى مِنه، والجمع: عَوْرات بالتسكين، وإنّما يُحرَّك الثاني مِن "فَعْلة" في جَمع الأسماء إذا لم يكن ياءً أو واوًا، قرأ بعضهم: "عَوَرات النِّساء" بالتحريك. | **الصحاح** للجوهري، «عور». والقراءة بالتحريك شاذّة مرويّة عن الأعمش وابن مقسِم، وهي لغة هذيل. انظر: **القراءات الشاذّة** للكرماني، ص ٣٤٢.

من الحَرِّ والقَرِّ.

وقال عمر رضي الله عنه: كفَى سَرَفًا أَنْ لا يَشتَهي رجُلٌ شيئًا إلَّا اشتراه فأكَلَه.

والقَوامُ: العَدلُ بين الشَّيئَين لاستِقامة الطَّرفيْن واعتِدَالهما، ونَظيرُ القَوام مِن الاستقامة: السَّواء من الاستواء، وقرِئ: "قِوامًا" بالكسْر، وهو مَا يُقام به الشَّيءُ، يقال: أَنتَ قِوامُنَا، يَعني: ما تُقامُ به الحاجةُ لا يَفْضُلُ عنها ولا يَنقصُ.

والمنصُوبان -أعني ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾- جَائزٌ أَنْ يكونا خبَريْن مَعًا، وأن يجعلَ ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ لَغوًا و﴿قَوَامًا﴾ مُستقِرًّا، وأن يكون الظَّرف خبرًا و﴿قَوَامًا﴾ حالًا مؤكِّدةً.

وكننتُه مِن الشمس، وأكننتُه في نفسي: أسرَرْتُه'. وقال أبو زيد: 'كننتُه وأكننتُه بمعنًى في الكِنِّ والنفس جميعًا'».[١]

قوله: (والقُرِّ) يومٌ قَرٌّ وليلةٌ قَرٌّ،[٢] أي: باردةٌ، والقُرُّ -بالضمّ-: البَرد.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ وكان إنفاقهم بين الإسراف والإقتار، لا إسرافًا يدخل به في حدّ التبذير، ولا تَضييقًا يصير به في حدّ المانع لِما يجب.[٣]

قوله: (لاستقامة الطرفين) يعني: أنّ "القَوام" بمعنى: المستقيم، وسمّي مستقيمًا؛ لأنّ طرفَيه مستقيمان معتدِلان لا يترجّح أحدهما على الآخر بالنسبة إليه؛ لأنه وسَط بينهما، كمركز الدائرة يكون نسبةُ جميع أجزاء الدائرة إليه على السواء. ثمّ ذكَر أنّ "القَوام" مِن الاستقامة بمعنى المستقيم، كالسَّواء مِن الاستواء بمعنى المستوي، وإذا كان الطرفان مستقيمين بالنسبة إليه معتدلَين كان هو أيضًا مستقيمًا معتدلًا بالنسبة إليهما لا محالة، فصحّ أن يسمَّى الوسطُ مستقيمًا.

قوله: (وأن يُجعل ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ لغوًا، و﴿قَوَامًا﴾ مستقَرًّا) سمّاه: "لغوًا"؛ لأنّه ظرفٌ فَضْلةٌ ليس جزءًا مِن الكلام بأن يكون خبرًا؛ بل هو زائد يتِمّ الكلام بدونه. وجعَل ﴿قَوَامًا﴾ مستقَرًّا؛ لتمام الكلام به؛ لأنّه جزءٌ مِنه خبرٌ لـ﴿كَانَ﴾.

---

١ **الصحاح** للجوهري، «كنن».

٢ ن: قرّة.

٣ **التفسير الوسيط** للواحدي، ٣/٣٤٦ (الفرقان، ٢٥/٦٧).

وأجاز الفرّاءُ أن يكون ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ اسمَ ﴿وَكَانَ﴾ على أنّه مبنيٌّ لإضافتِه إلى غير متمكّنٍ؛ كقوله:

لم يمنعِ الشُّربَ منها غيرَ أن نطقَتْ

وهو من جهةِ الإعراب لا بأسَ به؛ ولكنَّ المعنى ليس بقَوِيّ؛ لأنَّ ما بَين الإسراف والتَّقتير قَوامٌ لا محالَة، فليس في الخبر الذي هو مُعْتَمدُ الفائدة فائدةٌ.

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾

ثمّ المشهور أنّ هذا الاصطلاح للنُّحاة إنّما هو في الظرف، يقولون للظرف الذي ليسَ جزءًا مِن الكلام: لغوًا، وللظرف الذي هو جزءٌ مِن الكلام: مستقرًّا. قال المصنِّف في **المفصّل**: «فصّل سيبويه في تقديم الظرف وتأخيره بين اللغو منه والمستقَرّ، فاستحسَن تقديمَه إذا كان مستقرًّا، نحو: ما كان فيها أحدٌ خيرٌ منك، وتأخيرَه إذا كان لغوًا،[1] نحو: ما كان أحدٌ خيرًا مِنك فيها».[2] وقال ابن الحاجب في **شرحه**: «يريد بـ'المستقَرّ': ما كان محتاجًا إليه، وجعلَه مستقَرًّا؛ لأنّه يتعلَّق بالاستقرار، / فالاستقرار فيه، فهو مُستقَرٌّ فيه، ثمّ حُذِف 'فيه' اختصارًا، [٢٠٦ظ] ويريد بقوله: 'لغوًا': ما كان فَضلة، سمّاه فضلةً؛ لأنّك لو حذفته لكان الكلام مستغنيًا عنه لا حاجة به إليه».[3] وأصل اللغو: الباطل مِن الكلام، ومِنه: اللغو في الأيمان: ما لا[4] يُعقَد عليه القلب.[5] وسمّى النحويّون الظرفَ الذي يتمّ الكلام بدونه ولا يكون جزءًا مِنه: لغوًا.

قوله: (**على أنّه مبنيّ**) يعني: أنّ فتحَه بنائيّ، ومحلُّه الرفع؛ لأنّه اسم "كان".

قوله:

(لم يمنع الشِّرْب مِنها غيرَ أن نطقَت)

---

[1] ن – لغوًا.

[2] **المفصّل** للزمخشري، ص ٣٥٦.

[3] **الإيضاح شرح المفصّل** لابن الحاجب، ٨٢/٢.

[4] ن – لا.

[5] **المُغرب** للمطرّزي، «لغو».

﴿حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: حرَّمَها، والمعنى: حَرَّم قَتْلَها، و﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ متعَلِّق بهذا القَتل المحذوف، أو بـ﴿لا يَقتُلون﴾.

ونَفيُ هذه المقبَّحاتِ العظامِ عن المَوصُوفينَ بتلك الخِلال العظيمةِ في الدِّين للتَّعريض بما كان عليه أَعداءُ المؤمنينَ من قريش وغَيْرِهم؛ كأنَّه قيل: والذين بَرَّأَهُم اللهُ وطَهَّرهُم ممَّا أَنتُم عليه.

والقتلُ بغير حَقٍّ يدخل فيه الوَأدُ وغيرُه، وعن ابن مسعود رضي الله عنه: قلتُ: يا رسول الله، أيُّ الذَّنبِ أَعْظم؟ قال: «أن تَجعل لله نِدًّا وهُو خَلقَك»، قلتُ: ثمَّ أَيٌّ؟ قال: «أَن تَقتُلَ وَلدَك خشيةَ أَن يأكُلَ مَعك»، قلتُ: ثم أَيٌّ؟ قال: «أن تُزانِيَ حَلِيلةَ جَارِك»، فأنزلَ الله تصْديقَه.

وقرئ: "يُلَقَّ فيه أثامًا"، وقرئ: "يَلْقَى" بإثبَات الألف وقَد مَرَّ مِثْلُه.

والأثَامُ: جَزاءُ الإِثم، بوزن الوَبَال والنَّكَالِ ومَعْناهُما، قال:

تمامه:[١]

حمامـــةٌ فـــي غصـــونِ ذاتِ أوقـــالِ[٢]

"غصونِ" بغير تنوين؛ مضاف إلى ذات. و"مِنها"، أي: مِن الناقة أو الراحلة. أي: لم يمنعها مِن الشِّرب إلّا أنّها سمعت صوتَ حمامة فنَفَرَتْ. يريد: أنّها حديدةُ الحِسِّ، فيها فزَع[٣] وذُعْر؛ لِحِدّة نفسها، وذلك محمودٌ فيها. "في غصون" صفة "حمامة"، أراد: أنّ الحمامة كانت في غصون. و"الأوقال": جمع وَقْلٍ؛ وهو شجَر المُقْل. أي: في غصون نابتة في أرض فيها تلك الشجر.[٤]

قوله: **(وقد مرّ مثله)** يريد: إثبات الألِف في الجزم. مثال إثبات الألِف في الجزم قوله:

---

١ ف - تمامه.

٢ لأبي قيس بن الأَسلت في **التكملة والذيل** للصغاني، ٧٤٥/٥. وانظر: **خزانة الأدب** للبغدادي، ٤١٠/٣.

٣ ن: فز.

٤ انظر: **شرح شواهد الكشّاف** لمحبّ الدين أفندي، ص ٢٣٣.

جَـزى اللهُ ابـنَ عُـرْوَة حَيث أَمْسَى   عَـقُـوقًـا والـعُـقُـوق لـه أثَـامُ

وقيل: هو الإِثْمُ، ومعناهُ: يَلقَ جزاءَ أَثَامٍ، وقرأ ابنُ مسْعُود: "أيَّامًا"؛ أي: شَدائدَ، يقال: يَومٌ ذُو أيَّامٍ، لليَوم العَصيب.

﴿يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ٦٩﴾

﴿يُضَٰعَفۡ﴾ بدَلٌ مِنْ ﴿يَلۡقَ﴾؛ لأنَّهما في مَعنًى واحدٍ، كقوله:

مـا أنـسَ لا أنـسـاه آخـرَ عِيشتي   مـا لاحَ بـالـمَـعْـزاء ريـعُ سـرابِ[1]

"الأمعَز": المكان الصُّلب الكثير الحصى، والأرض مَعزاء. والرِّيع -بكسر الراء-: الطريق.[2]

قوله: (عَقوقًا) في البيت:[3] بفتح العين، وهو العاقّ، والعُقوق -بضم العين- مصدر؛ وهو ترك برّ الوالد[4] وقطعه، وهكذا في الرَّحِم. و"عَقوقًا" نُصِب على الحال، أو بتقدير: أعني، فيكون نَصبًا على الذَّمّ، وهو الأحسن؛[5] لأنّه يكون إشارة إلى أنّه مشهور بهذه الصفة الذميمة.

قوله: (لليوم العصيب) يوم عصيب وعَصَوصَب،[6] أي: شديد، واعْصَوصَب اليوم، أي: اشتدّ.[7]

قوله: (﴿يُضَٰعَفۡ﴾ بدَل) اعلم أنّ ﴿يُضَٰعَفۡ﴾ بدل مِن الجزاء، وشبَّهه المصنِّف بما في البيت، وقد أُبدل فيه "تُلْمِمْ" مِن الشرط. قال أبو عليّ في **الحجّة**: «كما أُبدِل مِن جزاء الشرط أبدِل مِن الشرط، وذلك في قوله:

---

[1] الشاهد في البيت أنّه أثبت الألف في "أنساه" شذوذًا، والقياس "لا أنسه" بحذفها؛ لأنّه جواب الشرط. قال البغدادي: «أورده ابن الأعرابي في نوادره مع بيت قبله، وقال: هما لحصين بن قَعْقَاع». انظر: **شرح أبيات الشافية** للبغدادي المذيّل على **شرح الرضيّ**، ٤/٤١٤.

[2] د ن - "الأمعز": المكان الصُّلب الكثير الحصا، والأرض مَعزاء. والرِّيع -بكسر الراء-: الطريق.

[3] البيت لشافع الليثي في **لسان العرب** لابن منظور، «أثم».

[4] ن: الوالدين.

[5] ن: أحسن.

[6] كذا في الأصول الخطّيّة، والذي في **الصحاح** وغيره من كتب اللغة: "وعصَبصَب".

[7] في ف ن وقعت هذه الحاشية متقدّمة على التي قبلها. | **الصحاح** للجوهري، «عصب».

مَتى تَـأتِـنَـا تُـلـمِـمْ بنا في ديارنـا   تجِـدْ حَطبًـا جَـزلًا ونـارًا تَأجَّجَـا

وقرئَ: ﴿يُضَعَّفْ﴾، و: "نُضَعِّفْ له العَذَابَ" بالنُّون ونصبِ "العَذاب"، وقرئ بالرَّفع عَلَى الاستئناف أو عَلى الحال، وكذلك ﴿يَخْلُد﴾.

وقرئ: "ويُخلد" على البناء للمفعول مُخَفَّفًا ومثقَّلًا من الإخْلاد والتَّخْليد.

وَقرئ: "وتَخْلُدْ" بالتَّاء على الالتِفَاتِ.

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ٧٠﴾

مـتـى تـأتـنـا تُـلْـمِـمْ...

أبدل "تُلمِم" مِن "تأتنا"؛ لأنّ الإلمامَ إتيان في المعنَى».[1]

قوله:

(مـتـى تـأتـنا تُـلـمِـم)... الـبـيـتَ

بعده:

ومَـرْبِـطَ أفـراسٍ ومَـنـزِلَ فتيةٍ   وخبـزًا حُـوارِيًـا ولحمًا مُلَهْوَجا[2]

يقال: لَهْوَج الرجل أمرَه لهْوجةً؛ وهو أن لا يُبرمَه، وشِواءٌ مُلَهوَجٌ إذا لم يُنضَج، وقد لَهْوجْتُ اللحم وتلهْوَجْتُه إذا لم تُنعِم نضجه.[3] قوله: "وخبزًا حُواريًّا" هو بضمّ الحاء وكسر الراء وبعدها ياء مشدّدة منسوبة إلى الحُوّارَى، قال في **الصِّحاح**: «الحُوَّارَى -بالضمّ وتشديد الواو والراء مفتوحة-: ما حُوِّر مِن الطعام، أي: بُيِّض».[4] وأنا أقول: أمّا في البيت فبتخفيف الواو لضرورة الشِّعر، والراء مكسورة؛ لأنّ الألف الأخيرة حذِفت للنسبة، وكسر الراء لياء النسبة.

---

١ **الحجّة** لأبي عليّ الفارسي، ٧٨/٤.

٢ ف + اللحم الذي لم يَتمّ نضجه. | البيتان مِن قصيدة لعبيد بن الحرّ قالها وهو في السجن لرجل مِن أصحابه أصابه الجزع. انظر: **خزانة الأدب** للبغدادي، ٩٩/٩.

٣ **الصحاح** للجوهري، «لهج».

٤ **الصحاح** للجوهري، «حور».

﴿يُبَدِّلُ﴾ مُخفَّفٌ ومُثَقَّلٌ، وكذلك ﴿سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾.

فإن قلتَ: ما معنى مُضَاعفةِ العذاب وإِبْدالِ السَّيِّئاتِ حَسَناتٍ؟

قلتُ: إذا ارتكبَ المشركُ مَعَاصيَ مَعَ الشِّرك عُذِّبَ على الشِّرك وعلى المعاصي جميعًا، تَضَاعُفُ العقُوبة لمضَاعفة المعَاقَب عليه، وإبدَالُ السيِّئَاتِ حَسناتٍ: أنَّه يَمحُوها بالتوبة ويُثبِّتُ مكانَها الحسنَاتِ: الإيمانَ والطَّاعةَ والتَّقوَى.

وقيل: يُبدِّلهُم بالشِّرك إيمانًا، وبقَتلِ المُسلمين قَتلَ المشركين، وبالزِّنَا عِفَّةً وإِحْصَانًا.

﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾

يُريدُ: ﴿وَمَن﴾ يَترُكِ المعَاصيَ ويَندَمْ عليها ....

قوله: (**وكذلك**[1] / ﴿سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾)[2] وجه التخفيف: أن يحذف إحدى الياءين كما حذف مِن نحو: سيّد وهيّن. [٢٠٧و]

قوله: (**إذا ارتكب**)... إلخ، إشارة[3] إلى أنّ الكافر مخاطب بالفروع بالمعنى المذكور.

قوله: (**يضاعف**[4] **العقوبة**) جملة مستأنفة مبيّنة لِما تقدّمها.

قوله: (**الإيمان**) وما بعده: بدل مِن "الحسنات"، فالإيمان مكان الكفر، والطاعات مكان ترك الواجبات، والتقوى مكان المعاصي.

قوله: (**يُبدّلهم**)... إلخ، يعني: يوفّقهم الله تعالى للإيمان، فصاروا مؤمنين بعد أن كانوا كافرين، ويوفّقهم للجهاد بعد الإيمان فيَقتلون الكافرين بعد أن كانوا يَقتلون المؤمنين، ويوفّقهم للإحصان بعد أن كانوا يزنون.

قوله: (**يريد: ومَن يترك المعاصي**)... إلخ، ذكَر لقوله تعالى:[5] ﴿يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ ثلاثة معانٍ:

---

[1] ف: ولذلك.

[2] قراءة التخفيف في ﴿سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ شاذّة، ولم أجد ذِكرَها فيما بحثت فيه مِن مصادر القراءات.

[3] ف: أشار.

[4] في مطبوع الكشّاف: "تضاعف".

[5] ن - تعالى.

ويَدخُلْ في العَمل الصَّالح فإنَّه بذلك تائبٌ ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ مَرضيًّا عِندَهُ مُكفِّرًا للخَطايَا مُحصِّلًا للثَّواب.

أو: فإنَّه تائِبٌ مَتابًا إلى الله الذي يَعرِفُ حَقَّ التَّائِبينَ ويفعَلُ بهم ما يَستَوجبُون، والذي يُحِبُّ التَّوابينَ ويُحبُّ المتطهرين، وفي كلام بعض العرب: "للهُ أَفرَحُ بتَوبة العبد من المُضِلِّ الوَاجد والظَّمآن الوارد والعقيم الوالِدِ".

أو: فإنَّه يَرجعُ إلى الله وإلى ثوابِهِ مَرجعًا حسَنًا وأَيَّ مَرْجِعٍ.

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ۝٧٢﴾

يَحتمِل أنَّهم يَنفِرُون عن محَاضِر الكذَّابينَ ومجالس الخطَّائين فلا يَحضُرونهَا ولا يَقربُونهَا؛ ....

الأوّل: أن يكون المراد بإضافة التوبة إلى الله تعالى: أنّه توبة مَرضيّ مُعتبرٍ عظيم القدر يليق بأن يضاف إلى الله تعالى ويُنسَبَ إليه عزّ شأنه، فإنّه لا يُنسَب إليه تعالى مِن الأمور إلّا العِظام، ومِن الخُطوب إلّا الجِسام.

والثاني: أن يكون المراد مِن الإضافة إلى الله تعالى: أنّ ذلك توبة إلى مَن يحبّ التوابين ويُكرمهم ويُعظِّمهم، فلذلك ذكر المصنِّف هنا كلام بعض العرب.

والثالث: أنّ المراد مِن قوله: ﴿يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ﴾: أنّه يرجع إلى دار الثواب ومرجع الجزاء رجوعًا على وجه حصول المَطالب ونُجح المآرب كما يحبّه الطالب ويرتضيه ويطلبه ويبتغيه ويقصده وينتحيه.[١]

قوله: **(أو فإنّه تائب)** عطف على قوله: **(فإنّه بذلك)**... إلخ، والحاصل: أنّ المعنى **الأوّل** نشأ مِن تنكير ﴿مَتَابًا﴾. **والثاني**: مِن ذكر الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ الزور: الكذب. وقوله: **(يحتمل أنّهم ينفرون)** إشارة إلى أنّ ﴿يَشْهَدُونَ﴾ مِن الشهود[٢] بمعنى: الحضور، تقول: شَهده شهودًا، أي: حضره، فالمعنى: لا يَحضرون مجالس ومَحاضِر الكذّابين، فهو مِن الكناية؛

---

١ ن: وينتجيه.

٢ ن: المشهود.

تنَزُّهًا عن مخالطةِ الشَّرِّ وأَهْلِه، وصِيَانةً لدِينهم عمَّا يَثْلِمُه؛ لأنَّ مشاهَدةَ البَاطل شِركةٌ فيه؛ ولذلك قيل في النَّظَّارة إلى كُلِّ ما لم تُسوِّغْهُ الشَّريعةُ: هم شُرَكاءُ فاعلِيه في الإِثم؛ لأنَّ حضُورَهم ونَظَرهم دَليلُ الرِّضَا به، وسَببُ وجُوده والزِّيادةِ فيه؛ لأنَّ الذي سَلَّط على فِعله هو استحسَانُ النَّظَّارة ورغبَتُهم في النَّظَر إليه.

وفي مَواعظ عيسى بن مريم عليه السلام: إيَّاكُم ومجَالسَةَ الخَطَّائين.

ويَحتمِل: أَنَّهم لا يشهَدُون شهَادةَ الزُّور، فحُذِف المضافُ وأُقيم المضاف إليه مقَامَهُ.

وعن قتادة: مَجالسُ البَاطل.

لأنّ الزور -أي: الكذب- ليس شيئًا قائمًا بنفسه حتّى يمكن أن يَحضُر بنفسه عنده، وإنّما يمكن حضوره بحضور مجلس فيه الكذّابون، فالكذب مِن لوازم مجلس الكذّابين، فإذا أُطلق الكذب على مجلس الكذّابين يكون كناية. وقوله: "يَنفرون" يعني: يَهربون هرَبًا عظيمًا كما تَنفِر الدابّة إذا عرضها ما خافت[1] مِنه. وقوله: (**تنزُّهًا**) مفعول له، أي: ينفِرون للتنزّه. وقوله: (**في النَّظّارة**) "النَّظّارة": القوم ينظرون إلى شيء، النظّار: اسم فاعل بمعنى: الناظر؛ للمبالغة، وإلحاق التاء لمعنى[2] الجماعة، أي: الجماعة النظّارة،[3] فالنظّار كالضرّاب في معنى المبالغة، غير أنّ التاء أُلحِقت بها لما ذكرنا.

قوله: (**لأنّ الذي سلّط**) أي: الذي سلّط الفاعل على فعله.

قوله: (**ويحتمل أنّهم**)... إلخ، أشار إلى أنّه مِن الشهادة؛ وهو الإخبار بصحّة الشيء عن مشاهدة وعِيان، يقال: شَهِد عند الحاكم لفلان على فلان بكذا شهادةً، / فعلى هذا يكون ﴿ٱلزُّورَ﴾ مفعولًا مطلقًا، وتقديره ما ذكره المصنِّف، والإضافة في قوله: (**شهادة الزور**) إضافة العامّ إلى الخاصّ، وعلى هذا الوجه الثاني لا يكون كناية؛ بل تصريحًا. [٢٠٧ظ]

---

١ في الأصول الخطّيّة: "ما خاف" بالتذكير.
٢ ن: بمعنى.
٣ ف: النضّارة.

وعن ابنِ الحنَفيَّة: اللَّهوُ والغِناءُ.

وعن مجاهد: أَعيَادُ المشركينَ.

"اللَّغوُ": كُلُّ ما يَنبغي أَن يُلغَى ويُطَّرحَ، والمَعنى: وإذا مَرُّوا بأَهل اللَّغو والمُشتغِلينَ به مَرُّوا مُعْرِضين عنهم مُكرِمينَ أَنفسَهُم عن التَّوقُّف عليهم والخَوض معهم؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [القصص ٥٥/٢٨].

وعن الحسن: لم تُسفِّهْهُم المَعاصي.

وقيل: إذا سمعُوا من الكفَّار الشَّتمَ والأذَى ....

قوله: (**بأهل اللغو**) إشارة إلى أنّ المضاف محذوف، أو إلى أنّه مِن قبيل الكناية،[١] قال في **الوسيط**: «يعني بـ"اللغو": المعاصي كلّها، قاله الحسَن والكلبيُّ». ثمّ قال في **الوسيط**: «﴿مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾ مرُّوا مَرَّ الكرماء الذين لا يرضون باللغو؛ لأنّهم يَجِلُّون عن الدخول فيه والاختلاط بأهله، يقال: تكرَّم فلان عمّا يَشينه إذا تنزَّه وأكرم نفسه عنها».[٢] وأنا أقول: هذا الذي ذكر[٣] في **الوسيط** إشارة إلى أنّ ﴿كِرَامًا﴾ نُصبَ على المصدر بحذف المضاف، وهذا خير مما ذُكر في **الكواشي** مِن أنّ ﴿كِرَامًا﴾ حال، أي: منزِّهين نفوسهم ممّا يدنِّسها.[٤] وأقول: الظاهر أنّ صاحب **الكواشي** أخذ هذا المعنى مِن قول صاحب **الوسيط** حيث قال: «والمعنى: مُنزِّهين أنفسهم معرضين عنه».[٥] وأنا أقول: بيّن في **الوسيط** أوّلًا أنّه[٦] نُصِب على المصدر، ثمّ ذكَر حاصل المعنى وما يئول إليه الكلام. قال في **الصِّحاح**: «الكرم: ضدُّ اللؤم، وقد كَرُم -بالضمّ- فهو كريم، وقوم كِرام وكُرماء، ونسوة كرائم».[٧]

---

١ ن: الكتابة.

٢ **التفسير الوسيط** للواحدي، ٣٤٨/٣ (الفرقان، ٧٢/٢٥).

٣ ف: ذكره.

٤ **تفسير الكواشي**، ٣٦٥ظ.

٥ **التفسير الوسيط** للواحدي، ٣٤٨/٣ (الفرقان، ٧٢/٢٥).

٦ ن: أو لأنه.

٧ **الصحاح** للجوهري، «كرم».

أَعرَضُوا وصَفَّحُوا.

وقيل: إذا ذَكرُوا النِّكاحَ كَنَوا عَنْه.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ٧٣ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤﴾

﴿لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا﴾ ليس بنَفيٍ للخُرُورِ، إنَّما هو إثباتٌ له ونَفيٌ للصَّمم والعَمى؛ كما تَقولُ: «لا يَلقَاني زَيدٌ مُسْلِّمًا» هو نَفيٌ للسَّلام لا لِلِّقَاءِ، والمعنَى: أنَّهُم إذا ذُكِّرُوا بهَا أَكَبُّوا عليها حِرْصًا على استماعِها، وأقبَلُوا على المُذكِّر بهَا، وهُمْ في إِكبَابِهم عليها سامِعُون بآذانٍ واعيةٍ مُبْصِرُونَ بعيُونٍ راعيَةٍ، لا كالذين يُذَكَّرونَ بها فتَراهُم مُكِبِّين عليها مُقبِلينَ على مَن يُذكِّر بهَا مُظهِرين الحِرصَ الشَّديدَ على استماعهَا وهُمْ كالصُّمِّ العُمْيَانِ حيث لا يَعُونها ولا يتبَصَّرونَ ما فيها كالمنافقين وأشباهِهم.

قرئ: ﴿وذُرِّيتنَا﴾ ﴿وَذُرِّيَّٰتِنَا﴾، و: ﴿قُرَّةَ أَعۡيُنٖ﴾ و: "قُرَّاتِ أعيُنٍ".

سَأَلُوا رَبَّهُم أَن يَرزقَهُم أَزواجًا وأَعقابًا عُمَّالًا لِلهِ ....

قوله: **(أعرَضوا)** يقرب مِنه قول الشاعر:

ولـقـد أمُــرُّ عـلـى الـلـئيـم يَسُبّني فمضيــتُ ثُمّــةَ قلــتُ: لا يعنينـــي[١]

قوله: **(وقيل: إذا ذكروا النكاح)** أي: الوطء.

قوله: **(كما تقول: لا يلقاني زيد مسلِّمًا)** فمعنى "لا يلقاني مسلّمًا": إذا لَقيني لا يُسلِّم عليّ، فربّما يكون اللقاء كثيرًا؛ لكن لا يكون بعده التسليم.

قوله: **(أكبُّوا)** يقال: كبَّه على وجهه -صَرَعه- فأكبَّ هو، وحقيقته: صار ذا كَبّ.

قوله: **(على المُذكَّر بها)** ليس في "المذكَّر" ضمير؛ بل هو مسند إلى "بها".

قوله: **(لا يَعونها)** أي: لا يحفظونها.

---

[١] بغير نسبة في **الصحاح** للجوهري، «ثمم»، ولبعض بني سلول في **البصائر والذخائر** لأبي حيّان التوحيدي، ٨/١١١، ولعميرة بن جابر الحنفي في **حماسة البحتري**، ص ٣٥٠.

يُسَرُّونَ بمَكانهم وتَقَرُّ بهِم عُيُونهُم، وعن محمد بن كعْب: ليس شَيءٌ أَقرَّ لعَين المؤمِن من أن يرَى زَوجته وَأولَادَه مُطِيعين لله.

وعن ابن عباس: هو الولدُ إذا رَآهُ يَكتُب الفقهَ.

وقيل: سَألوا أنْ يُلْحِق اللهُ بهم أَزواجَهم وذُرِّيتهَم في الجنَّة ليَتِمَّ لهُم سرُورُهمْ.

﴿وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ أراد: أئمَّةً، فاكتفَى بالواحِد لِدلالتِه على الجنسِ ولعَدم اللَّبسِ؛ كقوله: ﴿ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا﴾ [غافر ٦٧/٤٠]، أو أرَادَ: واجْعَلْ كُلَّ واحِدٍ مِنَّا إمامًا.

أو أرادَ جمعَ آمٍّ كصَائمٍ وصيَامٍ، أو أرَادَ: واجْعَلنَا إمامًا وَاحِدًا لاتِّحادنَا واتِّفاقِ كلمَتنَا وكونِنا يدًا واحدةً كإمامٍ واحد.

وعن بعضهم: في الآية ما يَدُلُّ على أَنَّ الرِّياسَة في الدِّين يجبُ أَنْ تُطْلبَ ويُرْغَبَ فيها.

وقيل: نزلَتْ هذه الآياتُ في العَشرة المُبشَّرِينَ رضوان الله عليهم بالجنَّة.

فإن قلتَ: ﴿مِنۡ﴾ في قوله ﴿مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا﴾ ما هيَ؟

قلتُ: يَحتمِلُ أَن تكون بيَانيَّة كأنَّه قِيل: "هَبْ لنَا قُرَّة أَعيُنٍ" ثُمَّ بُيِّنَتِ القُرَّةُ وفُسِّرتْ بقَوله: ﴿مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا﴾، ومَعناه: أَنْ يجعَلهم اللهُ لهُم قُرَّةَ أَعيُنٍ، وهو من قولهم: "رأيتُ منك أسَدًا" أي: أنتَ أَسَدٌ. وأَن تكون ابتدائيَّةً على مَعنى:

قوله: (**بمكانهم**) أي: بهم، فلفظ "مكان" زائد.

قوله: (**جمع آمّ**) مِن الأَمّ؛ وهو القصد.

قوله: (**في العشرة المبشّرين بالجنّة**) هم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وأبو عُبيدة بن الجرّاح، وعبد الرحمن بن عوف؛ رضوان الله عليهم أجمعين.

قوله: (**ثمّ بُيّنتْ "القُرّة"**) فإن قيل: كيف قال: "ثمّ بُيّنت" والبيان هنا مقدَّم؟ قلت: قوله "كأنّه" إشارة إلى أنّه وإن كان مؤخّرًا؛ لكنّه في حكم المقدَّم.

هَبْ لنَا من جِهَتِهِمْ مَا تَقرُّ به عُيُونُنا من طاعةٍ وصَلاحٍ.

فإن قلتَ: لَمَ قال: ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ فنكَّرَ وقلَّلَ؟

قلتُ: أمَّا التَّنكيرُ فلأجْل تنكيرِ القُرَّةِ؛ لأنَّ المضَاف لا سبيلَ إلى تنكيرِه إلَّا بتنكيرِ المضاف إليه؛ كأنَّه قال: هَبْ لنا منهم سُرُورًا وفرحًا، وإنما قال: ﴿أَعْيُنٍ﴾ دُونَ "عُيُونٍ"؛ لأنَّه أراد أَعيُنَ المتَّقينَ، وهي قليلةٌ بالإضافة إلى عُيُون غيْرهم، قال الله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ ١٣/٣٤] ويجوز أن يُقَال في تنكير ﴿أَعْيُنٍ﴾: إنَّها أَعيُنٌ خاصَّةٌ وهي أَعيُنُ المتَّقينَ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ۝٧٥ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝٧٦﴾

قوله: (**ما تَقَرُّ به**) قال صلّى الله عليه وسلّم: «قُرَّةُ عيني في الصلاة».[1]

قوله: (**مِن طاعةٍ**) بيان "ما تَقَرُّ".

قوله: (**فإن قلتَ: لَمَ قال: ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾**)... إلخ؟ السؤال إنّما هو عن التنكير والتقليل في ﴿أَعْيُنٍ﴾. وقوله: (**قلت: أمّا التنكير**) أي: أمّا تنكير ﴿أَعْيُنٍ﴾ فليلزَم مِنه تنكير ﴿قُرَّةَ﴾.

قوله: (**أراد: أعين المتّقين**) فإنّ المتّقين هم الذين تَقَرُّ أعينُهم بصلاح أزواجهم وأولادهم، وأمّا غير المتّقين فيحبّون الدنيا والأموال، فلا تقَرُّ أعينُهم إلّا بمثلها. والحاصل: أنّهم طلبوا ما تقَرّ به أعينُ الصالحين، لا ما تقَرّ به أعينُ طالبي الدنيا. / ثمّ إنّ تنكير[2] ﴿أَعْيُنٍ﴾ مع دلالته على القلّة يدلّ على التعظيم، [٢٠٨و]
فإنّ العيون المعتبَرة العظيمة هي عيون المتّقين.

قوله: (**كأنّه قال: هبْ لنا مِنهم سرورًا**) "مِنهم" يحتمل أن تكون بيانيّة وابتدائيّة.

قوله: (**ويجوز**) متعلّق بقوله: "أمّا التنكير"، فذَكَر لِتنكير ﴿أَعْيُنٍ﴾ وجهين: **الأوّل**: أنّ المراد مِنه تنكير ﴿قُرَّةَ﴾. والثاني: أنّ تنكيره في نفسه مراد.

---

[1] سنن النسائي، ٦١/٧ (٣٩٣٩).

[2] ن: تنكيرًا.

المراد: "يُجزَونَ الغُرفاتِ" وهي العَلالِيُّ في الجنَّة، فوحَّد اقتصَارًا على الواحد الدَّالِّ على الجِنس، والدَّليلُ على ذلك قولُه: ﴿وهم فى الغرفات آمنون﴾ [سبأ ٣٤/٣٧]، وقراءةُ مَن قَرأ: "في الغُرفة".

﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾: بِصَبْرهم على الطَّاعاتِ وعن الشَّهَواتِ، وعلى أَذَى الكفَّارِ ومُجَاهَدتهِم، وعلى الفَقر وغيرِ ذلك، وإطْلاقُه لأَجلِ الشِّيَاع في كلِّ مَصْبُورٍ عَليه.

وقرئ: ﴿وَيُلَقَّوْنَ﴾ كقوله: ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً﴾ [الإنسان ٧٦/١١]، ﴿ويَلْقَونَ﴾ كقوله: ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾.

"التَّحيَّةُ": دُعَاءٌ بالتَّعْمير، و"السَّلامُ": دُعَاء بالسَّلامةِ، يَعني: أنَّ المَلائكة يُحيُّونَهُم ويُسَلِّمُونَ عليهم، أَو يُحَيِّي بَعضُهم بَعضًا ويُسَلِّمُ عليه، ....

قوله: **(وهي العلاليّ)** جمع العُلِّيَة؛ بتشديد اللام والياء،[١] وهو فُعلِيَّةٌ مثل: مُرِّيقةٍ، وأصله: عُلِّيوةٌ، فأُبدلت الواو ياء وأدغمت، وهي مِن: علوتُ، وقال بعضهم: هي العِلِّيَة بالكسر على "فِعْلِيَة"، يجعلها مِن المضاعف.

قوله: **(والدليل على ذلك)** أي: على أنّه قد يقتصر بالواحد الدالِّ على الجنس، فإنّه لمّا قرئ بالواحد والجمع في موضع واحد[٢] فُهِم مِنه ذلك.

قوله: **(والتحيّة دعاء)** أي: التحيّة: دعاء للشخص بأن يُعمِّره الله، وذلك بأن يقول له: حيّاك الله.

قوله: **(يعني: أنّ الملائكة)**... إلخ، على قراءة ﴿يُلَقَّوْنَ﴾.[٣]

قوله: **(أو يُعطَون)** عطف على قوله: **(والتحيّة: دعاء بالتعمير)**. وهذان المَعنيان على كلتا القراءتين في ﴿يُلَقَّوْنَ﴾؛ لأنّ مَن يُلقَّى شيئًا يَلقى ذلك الشيء لا محالة. ثمّ اعلم أنّ حيّاه -بمعنى: أحياه- تحيّةً، كبقّاه -بمعنى: أبقاه- تبقيةً،

---

١ ن: والثاء.

٢ يعني في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾، فقرأ حمزة ﴿فِي ٱلْغُرْفَةِ﴾ بإسكان الراء مِن غير ألف على التوحيد، وقرأ باقي القرّاء بضمّها مع الألف على الجمع. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٢/٣٥١.

٣ وهي قراءة جمهور القرّاء غير حمزة والكسائي وخلف وشعبة، فقرءوا: ﴿يَلْقَوْنَ﴾ بفتح الياء وإسكان اللام وتخفيف القاف. انظر: **النشر** لابن الجزري، ٢/٣٣٥.

أو يُعْطَوْنَ التَّبقِيَةَ والتخليد مَعَ السَّلامة من كُلِّ آفةٍ.

اللّٰهـمَّ وَفِّقْنَا لطَاعتِك، واجعَلنا مَعَ أهْل رَحمتك، وارزُقنَا ممَّا تَرزقُهُم في دار رِضوَانِكَ.

﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ٧٧﴾

هذا أصلها، ثمّ سُمّي ما يُحيَّى به مِن سلام ونحوه: تحيّةً، قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب ٣٣/٤٤]؛ فلذا جُمعت فقيل: تحيّات وتَحايا، وحقيقةُ "حَيَّيْتُ فلانًا" قلتُ له: حيّاك الله، أي: عمَّرك وأحياك وأطال حياتك، كقولهم: "صلّى على النبيّ عليه السلام" إذا دعا له وقال له: صلى الله عليك. وأمّا "التحيّات لله" فمعناها: أنّ كلمات التحايا والأدعية خاصّةٌ بالله تعالى وفي ملَكَته،[1] لا أنّ هذا تحيّةٌ له وتسليمٌ عليه، فإنّ ذلك منهيّ عنه على ما رُوي أنّ ابن مسعود رضي الله عنه[2] قال: كنّا إذا صلَّينا خلفَ رسول الله عليه الصلاة والسلام قلنا: السلام على الله مِن عباده، السلام على فلان، فقال عليه السلام: «لا تقولوا: السلام على الله؛ ولكن قولوا: التحيّات لله والصلوات والطيّبات».[3]
(أو يُعْطَوْن) أي: يعطيهم الله البقاء والخلود، بأن يُبقيهم في الجنّة خالدين. ولو قال المصنِّف: "يُعْطَون البقاء والخلود" كان أصوب؛ لأنّ التبقية صفة الله تعالى فِعلٌ مِن أفعاله تعالى، وكذا التخليد، والذي يحصل لأهل الجنّة بإعطاء الله تعالى هو البقاء والخلود. ثمّ اعلم أنّه إذا كان المراد هذا المعنى الثاني يكون بطريق الحقيقة؛ لأنّ معنى التحيّة إعطاء الحياة، وعلى المعنى الأوّل مجازٌ؛ لأنّه يُنزَّل الدعاء بالتحيّة منزلةَ التحيّة، يعني: إذا دعا بأن يُبَقِّيَه الله تعالى ويُخلِّدَه فكأنّ الداعيَ بقّاه وخلّده للاعتماد على إجابة الدعاء.

قوله: **(والتخليد)** عطف على (التبقية) بطريق البيان.

---

[1] أي: وفي مِلْكه. انظر: لسان العرب لابن منظور، «ملك».

[2] ن: رضي الله عنهما؛ د - رضي الله عنه.

[3] صحيح البخاري، ١/١٦٧ (٨٣٥)؛ صحيح مسلم، ١/٣٠١ (٤٠٢).

لمَّا وصَف عِبَادة العُبَّاد وعَدَّد صالحَاتِهم وحسَناتِهم، وأثنَى عَليْهِم مِن أَجْلها، ووَعَدهُم الرَّفعَ من درجَاتِهم في الجنَّة= أَتْبَعَ ذلك بيَانَ أنَّه إنَّما اكتَرَث لأُولئك وعَبَأَ بهم وأعلى ذكرَهُم ووعَدَهُم ما وعَدَهم لأجْلِ عبادتِهم، فأمر رَسُولَه أن يُصَرِّحَ للنَّاس ويَجْزِمَ لهم القَولَ بأنَّ الاكتِراثَ لهم عِنْدَ ربِّهم إنَّما هو للعبَادة وَحْدَها لا لِمعنًى آخرَ، ولولا عِبَادتُهم لمْ يَكترِثْ لَهُم البَتَّةَ ولم يَعتَدَّ بهِم ولم يكُونُوا عنْدَه شَيئًا يُبالَى به.

و"الدُّعَاء": العبَادة، و﴿مَا﴾ مُتضَمِّنَةٌ لمَعْنَى الاستِفْهَام، وهي في محَلِّ النَّصب، وهي عبَارَةٌ عن المَصْدر؛ كأنَّه قيل: وأيَّ عبءٍ يَعْبَأُ بكم لولا دُعاؤُكم؟ يعني: أنكم لا تَستأهِلُونَ شيئًا من العَبءِ بِكُم لولا عبَادتُكم، وحَقيقةُ قَولهم: "ما عَبَأتُ به": ما اعتَدَدْتُ به مِن فوادحِ هُمومي وممَّا يَكُون عِبئًا عَليَّ، كمَا تقُولُ: ما اكترَثْتُ له؛ أي: مَا اعتدَدتُ به من كَوارثي ومما يُهمُّني.

قوله: (**صالحاتهم وحسناتهم**) أي: أعمالهم الصالحة وأعمالهم الحسنة.

[٢٠٨ظ] قوله: (**لم يَكتَرِث**) أي: لم يُبالِ، الاكتراث: المبالاة، / يقال: ما أَكْتَرِثُ له، أي: ما أُبالي به.[١]

قوله: (**يُبالى به**) صفة "شيئًا".

قوله: (**مِن العَبْء**) العِبء: كلّ ثِقل مِن غُرم وغيره.

قوله: (**مِن فَوادح**) أمرٌ فادح: إذا عاله[٢] وبَهَضَه.[٣]

قوله: (**مِن كَوارثي**) يقال: كَرَثَه الغمّ يكْرُثه -بالضمّ-؛ اشتدّ عليه وبلغ مِنه المشقّة، وأكْرَثَه[٤] مثله، الأصمعيّ: «لا يقال: كرَثه، وإنّما يقال: أكرَثه»،[٥] على أن رؤبة قد قاله:

---

١ انظر: **الصحاح** للجوهري، «كرث».

٢ ن: حاله.

٣ **الصحاح** للجوهري، «فدح»؛ لكن في مطبوعه: "وبهظه" بالظاء، وهما لغتان وبالظاء أشهر، قال ابن منظور: «البَهض: ما شقَّ عليك؛ عن كُراع، وهي عربيّة البتّة. وفي التهذيب: قال أبو تراب: سمعت أعرابيًا مِن أشجع يقول: 'بَهضَني هذا الأمر وبَهَظَني'، قال: ولم يتابعه على ذلك أحد». **لسان العرب** لابن منظور، «بهض».

٤ ن: وأكثرته.

٥ ن: أكثرته. | **الصحاح** للجوهري، «كرث».

وقال الزَّجَّاج في تأويل ﴿مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي﴾: أَيُّ وَزنٍ يكُونُ لكم عنْدهُ.

ويجوز أَنْ تكونَ ﴿مَا﴾ نافية.

﴿فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ﴾ يقُول: إذا أَعلَمْتُكُم أَنَّ حُكمي أَنِّي لا أعتَدُّ بعبَادي إلَّا لِعبَادتِهِم، فقد خَالفتُم بتكذيبكُم حُكمي، فَسَوف يلزمُكُم أَثرُ تكذيبِكُم حَتَّى يُكبَّكُم في النَّار،

وقــد تُـجـلّـى الـكُـرَبُ الـكـوارثُ[١]

ويقال: ما أَكترِث له، أي: ما أُبالي به.[٢]

قوله: (**إذا أعلمتكم**)... إلخ، ظاهره يدلّ على أنّ الشرط محذوف، وقوله تعالى: ﴿فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ﴾ عطف عليه بالفاء، وقوله تعالى: ﴿فَسَوۡفَ﴾ جزاء الشرط، فكأنّه قيل: إذا أعلمتُكم أنّي لا أعتَدُّ بمَن لا يشتغل بالعبادة، وبعد هذا الإعلام تركتم العبادة فسوف يلحقكم العذاب. وقوله: (**فقد خالفتم بتكذيبكم**) في معنى: تركتم عبادتي؛ لأنّ التصديق أصل العبادات، والتكذيب مستلزم لترك العبادات. في كلام المصنِّف هنا حذف، أي: إذا علمتم أنّ حكمي أن لا أعتدّ بعبادي إلّا لعبادتهم فاعلموا أنّي لا أعبأُ بكم بترككم العبادة، فإنّ التوحيد أصل العبادة جميعًا، فقوله تعالى: ﴿فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ﴾ علّة الجزاء المحذوف، وكذا (**فقد خالفتم**) في كلام المصنِّف على ما بيَّنتُ.

قوله: (**فسوف يَلزمكم**) إشارة إلى أنّ الضمير المستتر في ﴿يَكُونُ﴾ يعود إلى ما دلّ عليه ﴿كَذَّبۡتُمۡ﴾؛ وهو تكذيبكم؛ لكنّ المضاف محذوف، أي: يكون أثر تكذيبكم لازمًا لكم. قال في **الوسيط**: «﴿لِزَامَۢا﴾[٣] قال الزجّاج: تأويله: فسوف يكون تكذيبكم لِزامًا يَلزَمكم».[٤]

قوله: (**حتّى يَكُبَّكم**) بفتح الياء مِن: كبّ، لا بضمِّها مِن: أكبَّ، يقال: كبَّه لوجهه؛

---

١ **ديوان رؤبة بن العجّاج**، ص ٣٠، وتمامه:
وإن فشَت في قومك المشاعثُ

٢ **الصحاح** للجوهري، «كرث».

٣ د ف + لازمًا. | وهذه الزيادة غير موجودة في **الوسيط**، وإنما عبارته: «﴿لِزَامَۢا﴾ تهديد لهم، قال الزجّاج».

٤ **التفسير الوسيط** للواحدي، ٣٤٩/٣ (الفرقان، ٧٧/٢٥)؛ **معاني القرآن وإعرابه** للزجّاج، ٧٨/٤.

ونظيرُه في الكلام أَن يَقول الملِكُ لمَن استعصَى عَليه: إنَّ من عَادَتي أن أُحْسِنَ إلى مَن يُطيعُني ويَتَّبعُ أَمْري، فقد عصَيْتَ فسَوف ترَى مَا أُحِلُّ بكَ بسَببِ عصيَانِكَ.

وقيل: مَعناه: ما يَصْنَعُ بكُم ربِّي لولا دعَاؤُه إيَّاكُم إلى الإِسْلام.

وقيل: ما يَصنع بعذابكُم لولا دُعَاؤُكم معه آلهةً.

فإن قلتَ: إلى مَن يتوَجَّهُ هذا الخطابُ؟

قلتُ: إلى الناس على الإطلاق، ومنهم مؤمنُون عَابدُون، ومكذِّبُون عَاصُونَ، فخُوطبُوا بما وُجِدَ في جِنسِهم من العبَادة والتكذيب.

وقرئ: "فقَد كَذَّبَ الكافِرُون".

وقيل: يكُون العذابُ لِزامًا.

وعن مجَاهد: هو القتلُ يومَ بَدْرٍ، وأَنَّه لُوزِمَ بَين القَتلى لِزامًا.

صرعه، فأكبَّ هو على وجهه، وتحقيقه أن يقال: همزته للصيرورة، نحو: أَغدَّ البعيرُ،[1] وأحصد الزرع.

قوله: (**ونظيره في الكلام**) اعلم أنّ نظيره ليس ما ذكره المصنِّف؛ بل نظيره أن يقول الملِك لمَن استعصى عليه: عادتي أن أُعذِّب وأجازي بالسُوء مَن لا يُطيعني ولا يَتّبِع أمري، فقد عصيت فسوف...، وإنّما قلت ذلك؛ لأنّ الإحسان إلى مَن يطيع لا يوجب الإساءة إلى مَن يعصي، فتأمّل.

قوله: (**وقيل: معناه: ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه إياكم**) فعلى هذا يكون "الدعاء" مضافًا إلى المفعول، وعلى الأوّل كان مضافًا إلى الفاعل، فهو مثل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات ٥١/٥٦].

قوله: (**لولا دعاؤكم معه آلهةً**) يعني: لا يعذِّب العذاب المؤبّد إلّا للمشركين، وأمّا غيرهم فإمّا أن يعذِّبهم مدّةً ثمّ يدخلهم الجنّة، وإمّا أن يعفوَ بفضله.

---

[1] قال الجوهري: «غُدّة البعير: طاعونه. وقد أغَدَّ البعيرُ فهو مُغِدٌّ، أي به غُدّة». **الصحاح** للجوهري، «غدد».

وقرئ: "لَزامًا" بالفتح بمَعنى اللُّزُوم؛ كالثَّبات والثُّبوت، والوجهُ: أن ترك اسمِ "كانَ" غيرَ منطُوقٍ به -بَعْدَما عُلِم أنَّه مما تُوُعِّدَ به- لأجْل الإبهام وتنَاوُلِ ما لا يَكتَنِهُه الوصفُ، واللهُ أعلمُ بالصَّواب.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قرأ سُورة الفُرْقَانِ لقيَ اللهَ يومَ القِيامة وهو مُؤمِنٌ بأن السَّاعة آتيةٌ لا ريْبَ فيهَا وأُدخِلَ الجنَّة بغير نَصَبٍ».

قوله: **(والوجه)** عطف على قوله: **(قيل)**، فذكر أوّلًا أنّ اسم "كان" ضمير يعود إلى "العذاب" أو إلى "القتل" أو "التكذيب" بحذف المضاف، ثمّ اختار أنّ الوجه أنّه تُرِك غيرَ منطوق به، فإن أراد أنّه عائد إلى / مبهم -لم ينطق به؛ لإفادة العموم والإبهام- فحسن، وإن أراد أنّه ليس فيه ضمير -بل ترك اسمه لإفادة الإبهام والعموم- فمُشكِل؛ لأنّ اسم "كان" لا يجوز حذفه؛ لأنّه فاعل، والفاعل لا يحذَف. وظاهر[1] قوله: **(غيرَ[2] منطوق به)** يدلّ على أنّه ليس ملفوظًا؛ بل هو ضمير مستتر مبهم؛ لإفادة التفخيم والتعظيم. [٢٠٩و]

قوله: **(غيرَ منطوق)** حال. وقوله: **(عُلم أنّه)** أي: اسم "كان".

تمّت السورة بحمد الله ومَنّه وكرمه.[3]

---

١ ن: وظا.

٢ ن: وغير.

٣ ف ن - تمّت السورة بحمد الله ومنّه وكرمه.